ديوان

عبد الرحمن شكري

مراجعة وتقديم :

فاروق شوشة

المجلس الأعلى للثقافة

ديـــــوان
عبد الرحمن شكرى

(١٢ أكتوبر ١٨٨٦ - ١٥ ديسمبر ١٩٥٨)

جمعه وحققه : نقولا يوسف

شارك فى جمعه : محمد رجب البيومى

مراجعة وتقديم : فاروق شوشة



٢٠٠٠

عبد الرحمن شكرى

شاعر النفس الإنسانية

بقلم

فاروق شوشة

لم يتح لعبد الرحمن شكرى ما أتيح لزميليه فى جماعة الديوان : عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازنى من شهرة وذيوع صيت ، بالرغم من سبقه لهما فى الظهور على الساحة الأدبية والثقافية بنشر ديوانه الأول « ضوء الفجر » عام ١٩٠٩ ، بينما نشر المازنى ديوانه عام ١٩١٣ والعقاد ديوانه الأول عام ١٩١٣ ، بالإضافة إلى أن شكرى – فى معظم شعره – يقترب من طبيعة الفهم للشعر الذى أشاعته جماعة الديوان – منذ صدور كتاب الديوان عام ١٩٢١ – وهو أن الشعر فى جوهره تعبير عن الوجدان ، وكشف لحالات النفس الإنسانية ، وهو الفهم الذى فى ضوئه وضع عبد الرحمن شكرى فى مستهل ديوانه الأول « ضوء الفجر » بيته المشهور الذى سيصبح من بعد شعاراً للجماعة وهو :

ألا ياطائرَ الفردو ... سِ إنَّ الشعرَ وجدان

والغريب أن شكرى لم يشارك فى تأليف كتاب الديوان ، بل إن الجزء الثانى من الكتاب يتضمن فصلين كاملين فى الهجوم على شكرى كتبهما المازنى حين ساءت العلاقة بينهما ، بسبب نقد وجهه شكرى لشعر المازنى ،عندما رأى فيه سرقة واضحة لقصائد معروفة لعدد من الشعراء الإنجليز والألمان والأمريكيين : وقد بدأت القصة عندما نشر شكرى فى مقدمة ديوانه الخامس « الخطرات » عام ١٩١٦ قائمة بقصائد للمازنى يرجعها شكرى إلى مؤلفيها الأصليين ، مبيناً الفرق بين التأثر والسرقة ، ذاكراً صعوبة النقل من لغة إلى أخرى تختلف عنها جوهرياً فى خصائصها . وفى آخر فقرات هذه المقدمة يقول شكرى وهو يتحدث عن المازنى : « وقد لفتنى أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها « الشاعر المحتضر » اليائية التى نشرت فى « عكاظ » ، واتضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة أدونى للشاعر شيللى الإنجليزى . كما لفتنى أديب آخر إلى قصيدة المازنى التى عنوانها « قبر الشعر » وهى منقولة عن « هينى »» الشاعر الألمانى . ولفتنى آخر إلى قصيدة المازنى « فتى فى سباق الموت » وهى للشاعر هود الإنكليزى . ولفتنى أيضا أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها « الراعى المعبود » وهى منقولة عن الشاعر

لويل الأمريكي . وقصيدة المازني التي عنوانها « الوردة الرسول » وهي للشاعر ولر الإنكليزي . وأشياء أخرى ليس هذا مكان إظهارها . وقرأت له في مجلة « البيان » مقالة « تناسخ الأرواح » وهي من أولها إلى آخرها من مجلة « السبكتاتور » لأديسون الكاتب الإنكليزي . ومن مقالاته في ابن الرومي التي نشرت في البيان قطع طويلة عن العظماء . وهي مأخوذة من كتاب « شكسبير والعظماء » تأليف ڤيكتور هيجو ومن مقالات كارلايل الأدبية .

وقد ذاعت هذه الأشياء ، ولو كنت أعرف أن المازني تعمد أخذها لقلت إنه خان أصحابه بهذه الأعمال ، ولكني لا أصدق تعمد أخذها . ولو أني رأيت عفريتا لما عراني من الحيرة والدهشة قدر ما عراني لرؤية هذه الأشياء . ولا أظن أني أبرأ من دهشتي طول عمري . وفي أقل من ذلك مبرر لمروِّجي الإشاعات والتُّهم . ولا أظن أن أحداً يجعل مدحي المازني وإيثاري إياه وإهدائي الجزء الثالث من ديواني إليه ، وصداقتي له . ولكن كل هذا لا يمنع من إظهار ما أظهرت ، ومعاتبته في عمله . لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع في ماضيه ، حتى يداوي ما فعل ويرد كل شيء إلى أصله . وليس الاطلاع قاصرا على رجل دون رجل حتى يأمل المرء ظهور هذه الأشياء ، ولسنا في قرية من قرى النمل حتى تخفى » . وكان رد المازني على صديقه شكري عنيفا ومفزعا . فقد اتهمه بالجنون ، وبأنه صنم الألاعيب ، وكتب يقول : « ولقد سبق لنا أن نبهنا شكري إلى ما في شعره من دلائل الاضطراب في جهازه العصبي ، وأشرنا عليه بالانصراف عن كل تأليف أو نظم ليفوز بالراحة اللازمة له أولاً ، ولأن جهوده عقيمة وتعبه ضائع ثانياً » .

ويبدو أن خطأ شكري كان يتمثل في إيثاره الحق والحقيقة على مراعاة الصداقة والزمالة والأخوة ، فلم يشأ أن يغفر للمازني سقطته التي رآها موجبة للنقد العلني والتصريح الفاضح ، لكن رد الفعل الهائل عند المازني جعل شكري يكفر بكل شيء ، ويفضل الانطواء والانزواء والعكوف بعيدا عن المشاركة في الحياة الأدبية والنقدية .

وتكفلت نفسه الشديدة الحساسية – حتى المرض – وطبعه المتوجس السيء الظن بالحياة والأحياء ، بإغلاق الدائرة على نفسه ، والتوقف عن الكتابة والنشر ، حتى إن ما جمع له من شعر فى مناسبات متفرقة بعد عام ١٩١٩ – وهو عام الخصومة بينه وبين المازنى – حتى وفاته فى ديسمبر عام ١٩٥٨ لم يزد عن قصائد معدودة هى مجموعة ديوانه الثامن الذى نشر بعد وفاته بعامين ، والذى لا يجاوز حجمه حجم ديوانه الأول .

وسيظل شكرى – نتيجة للعزلة والاعتكاف ، وإهمال رفيقيه له سنوات طويلة بعد هذا التاريخ – مغمورا ، بعيد عن الشهرة والأضواء ، لا يكاد يذكره أحد ، والكثيرون يعتقدون أنه رحل عن الدنيا دون أن يدروا برحيله ، وآخرون يبحثون عنه ويطمعون فى مراسلته أو زيارته ، حتى إذا طيَّر بعض مراسلى الصحف بالإسكندرية إلى صحفهم فى القاهرة نبأ العثور على الشاعر هرع عدد من المحررين والمصورين لمقابلته وإجراء حوارات معه ، لكن آلام الشلل والمرض السكرى ووهن الشيخوخة كانت حائلة بينه وبينهم ، وما هى إلا أيام قليلة حتى رحل شكرى فى الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٥٨ .

أسهم شكرى بنفسه إذن ، بحساسيته المفرطة وتوجسه الدائم فى صنع هذا المصير الفاجع ، كما أسهم رفيقاه العقاد والمازنى – عندما تجاهلاه وأسقطاه من حسابهما سنوات طويلة – فى الإسراع بهذا المصير . بالرغم من اعترافهما معا بأستاذية شكرى ، وريادته ، وسبقه لهما فى الإبداع والمعرفة والاطلاع وتبنى الفكر الجديد فى الشعر والنقد ، ومتابعة التيارات العالمية الشعرية والأدبية .

يقول عنه العقاد – بعد رحيله – فى مقالة نشرت بمجلة الهلال – فبراير ١٩٥٩ – : عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس وأربعين سنة ، فلم أعرف قبله ولا بعده أحداً من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعاً على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الإنجليزية ، وما يترجم إليها من اللغات الأخرى ، ولا أذكر أننى حدثته عن كتاب قرأته إلا وجدت منه علما به وإحاطة بخير ما فيه . وكان يحدثنا أحيانا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت إليها ولا

سيما كتب القصة والتاريخ . وقد كان مع سعة اطلاعة صادق الملاحظة ، نافذ الفطنة ، حسن التخيل ، سريع التمييز بين ألوان الكلام . فلا جرم أن تهيأت له ملكة النقد على أوفاها ؛ لأنه يطلع على الكثير ويميز منه ما يستحسنه وما يأباه ، فلا يكلفه نقد الأدب غير نظرة في الصفحة والصفحات يلقي بعدها الكتاب وقد وزنه وزنا لا يتأتى لغيره في الجلسات الطوال » .

ويعترف المازني بدوره بأستاذية شكري وسبقه في مقالة نشرها في جريدة السياسة عام ١٩٣٠ يقول فيها : « كنا يومئذ طالبين في مدرسة المعلمين العليا ، وكانت صلتي به وثيقة . كان كل منا يخلط صاحبه بنفسه ، ولكنني لم أكن يومئذ إلا مبتدئا على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين في الأدب ، ورأى حاسم فيما ينبغي أن يكون عليه . ومن اللؤم الذي أتجافى بنفسي عنه أن أنكر أنه أول من أخذ بيدي ، وسدد خطاي ، ودلني على المحجة الواضحة . وأنني لولا عونه المستمر لكان الأرجح أن أظل أتخبط أعواما أخرى ، ولكان من المحتمل جدا أن أضل طريق الهدى » .

وفي موضع آخر ، ومناسبة أخرى – في مقالة له بجريدة أخبار اليوم : أكتوبر ١٩٤٧ – يقول المازني عن شكري قبيل وفاته بعامين : « وتوثقت الصلة بيني وبين شكري ، فصار أستاذي وهو زميلي . وكان لي قدر يسير من الاطلاع على الأدب العربي ، ولكنه كان ينقصني التوجيه . فتولاه شكري فعكفت على الدرس . وبفضل شكري عرفت عبدالحميد بدوي والسباعي رحمة الله ، ثم عرفت العقاد عن طريق آخر وعرفته بشكري . فصرنا ثالوثا : العقاد وشكري والعبد لله . وهكذا صرت أديباً وقررت أن أكون شاعراً وناقداً ... » .

بل المدهش والغريب أن يكون المازني – وهو الأديب والناقد والكاتب – أعرف الناس بشعر شكري ، وعمق تمثيله للمذهب الجديد الذي تدعو إليه جماعة الديوان في الشعر . عندما كتب عدداً من المقالات في جريدة عكاظ الأسبوعية يقارن فيها بين شعر شكري باعتباره مثالا للجديد وشعر حافظ إبراهيم باعتباره مثالا للقديم . وكان رأى

المازنى أن شكرى شاعر لا يصعد طرفه إلى أرفع من آمال النفس البشرية ، ولا يصوّبه إلى أعمق من قلبها ، وذلك دأبه ووكده ، وهو لا يبالغ - كحافظ - فى تحبير شعره وتبييجه ، بل حسبه من الوشى والتطريز أن يسمعك صوت تدفق الدماء من جراح الفؤاد . وأن يفضى إليك بنجوى القلوب والضمائر ، وأن يريك عيون الندى على خدود الزهر ، وافترار ضوء القمر على مكفهر القبور ، ووميض الابتسامات فى ظلام الصدور ، وأن ينشقك نسيم الرياض وأنفاس السحر ، وأن يشعرك هزة الحنين ودفقة اليأس والأمل ، وأن يغوص بك فى لجج الفكر ليكشف لك عن معانٍ لا يدركها التعبير ، ويتناول أبسط معانى الطبيعة والعقل وأشبهها بالحياة واتصالا بالنفس ، ثم يصوغ لك منها شعرا نقىّ المستشف ، كثير الماء ، جم المحاسن . وهو يختتم رأية النقدى بأن حافظا إذا قيس بشكرى كالبركة الآجنة إلى جانب البحر العميق الزاخر .

وهى رؤية تؤكد ما قلناه فى بداية هذه السطور ، من أن شعر شكرى كان أصدق تمثيلا لمفهوم الشعر الجديد وللدعوة الجديدة التى تبنتها جماعة الديوان من شعر رفيقيه العقاد والمازنى . أما المازنى فقد أجاد وتفوق فى المقالة والقصة والرواية والترجمة ، وتراجع شعره إلى المحل الثانى فى تقدير عبقريته الأدبية والإبداعية . وأما العقاد فإن شعره - على كثرته - لم ينجُ من تأثير معاركه القلمية ومواقفه السياسية - تأكيدا لزعامته وشخصيته القوية المسيطرة - فاتسم بعضه بالنبرة العالية والخطابية والمحفلية والاستجابة للمناسبات الخارجية - التى عابها على شوقى وأضرابه - وابتعد عن فورة الوجدان وأشواق النفس الإنسانية . وأية مقارنة عابرة بين عناوين قصائد شكرى والعقاد تكشف على الفور عن نوعية العالم الشعرى عند شكرى وتفرده وخصوصيته . وهو الأمر الذى التفتت إلى جوهره الدكتورة / سهير القلماوى فى دراستها النقدية عن شكرى فى الكتاب الثالث من سلسلة « أعلام الأدب المعاصر فى مصر » التى تصدر عن مركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية ، والتى كان يشرف عليها الدكتور / حمدى السكوت والدكتور / مارسدن جونز الأستاذان بالجامعة ثم انفرد بالإشراف عليها الدكتور / السكوت بعد رحيل الدكتور / جونز . فهى ترى « أن شعر الخيال والوجدان

شعر المدرسة الجديدة - كما مثله شكرى - الذى أنزل العقل من على عرشه فى إلهام الشعراء المعانى والأفكار ، شعر ليس له حدود . إنه خيال متحرر يرفض حدود الزمان والمكان بكما يرفض أضعف سمات القصيدة التقليدية وهى الطول أو الاتصال والاستمرار ، حتى عندما تنتهى الفكرة أو يبرد الوجدان . إن مدرسة الخيال ، مدرسة رواد الرومانسية ، والرومانسيين أنفسهم ، يركزون على الوحدة العضوية أى على وحدة الموقف الانفعالى .ولذلك لابد أن تندمج الأبيات بعضها فى البعض ، ومن ثم كانت وحدة القصيدة من أهم ما ضغطوا عليه شرطاً من شروط الشعر التجديدى الذى يدعون إليه ، وكان ألذع نقدهم ، وربما أكبر سلاح لهم ، هو نقد تفرق الأبيات فى قصائد شوقى وحافظ وعدم المساس بقيمة القصيدة مهما خالفنا ترتيب الأبيات وغيرّنا نظام تتابعها » .

ثم تقول الدكتورة / سهير القلماوى فى تحليلها لشعر الجماعة الجديدة - جماعة الديوان - : « هذه النقلة الضخمة من شعر العقل إلى شعر الخيال - وأهم روادها شاعرنا شكرى - كانت تجتاز مرحلة المخاض ، وكانت ترتاد ميادين جديدة تمزج فيها الخيال بالفكر للتعبير عن الوجدان . إن الفكرة لابدّ لها من صدى فى الوجدان ، وكل فكرة لها رد فعل فى وجدان الشاعر . وإذا كان سهلاً أن نعدد الأوصاف وأن نتناول مفردات الواقع بالذكر والشرح والوصف فليس سهلاً أبداً أن نسبر غور هذا الوجدان للتعبير عن رد الفعل العاطفى الذى يمتزج فيه الخيال بالفكر والوجدان بالعقل . لهذا كثرت الأفكار وتناثرت الموضوعات التى لا يمكن أن يفى التشبيه بوصفها أو الإلمام بالأجزاء للتعبير عما أثارته فى نفس الشاعر من خواطر وأحاسيس » .

وتدرك الدكتورة / سهير القلماوى ببصيرتها النقدية وقدرتها على التذوق والتحليل أن شكرى لم يقدم نظرية متكاملة لطبيعته وطبيعة شعره أى موضوع الشعر ، وهو أكثر موضوع شغل فكره ، والأمر كذلك فى سائر الموضوعات التى وقف عندها فى شعره . فقد تحدث عن الموت والحياة والحب والثورة والتغير والناس من حوله والمجتمع ككل ، وغير ذلك من موضوعات ، فى أنحاء دواوينه المختلفة . وفى رأيها أننا لو جمعنا أقواله فى الحب مثلا فإننا لن نظفر بموقف موحد . هو فى كل مرة فى حال ، وفى كل مرة هو

أمين على وجدان ، لذلك فهو يعبر عنه دون مراجعة ما قال أو تخيل ما سيقول . إنه – فى رأيها – شاعر قلق فى مرحلة تغيير مضطرب وأشد قلقا .

وللمرء أن يتساءل بعد قراءة ما قالته الدكتورة / سهير القلماوى : وهل كان شكرى مطالباً بنظرية متكاملة لطبيعته وطبيعة شعره ؟ ألا يتنافى هذا مع كونه شاعرا رومانسى الوجدان والنزوع ، قلقا – فى مرحلة تغيير مضطرب وأشد قلقا – كما تقول هى فى عباراتها السابقة ؟ لقد كان شكرى صادقا مع وجدانه ، واهتزازات نفسه وجيشان مشاعره ، بأكثر مما كان منضبط الوتر والاستجابة لنظرية ثابتة أو فكرة مستقرة أو وجهة نظر مكتملة . وكان قلقه عنوان حريته وتمرده ومغامرته الإبداعية ، وانتقاله من حال إلى حال ، ومن رؤية إلى رؤية ، ومن أفق إلى أفق دون قيد إلا قيد الشاعرية وفورة الوجدان .

وفى قصيدته « إلى المجهول » التى يضمها ديوانه الخامس « الخطرات » نجد نموذجاً لعالم شكرى الشعرى ، وقصيدته ذات الأفق اللامحدود ، ونفسه الرومانسى المقترن بجدلية الحوار مع الذات والحياة والكون . وهو يقدم لقصيدته بسطور نثرية شاعرية ، يتحدث فيها عن الولوع بالمجهول وكيف أنه من أمور الحياة والطبيعة والنفس والكون ، وأن الشغف باستطلاعه وكشفه هو الذى أخرج الإنسان من المعيشة فى الكهوف ، ومن حضارة العصر الحجرى من عصور الحضارة ، وأزال عنه خوفه من مظاهر الطبيعة فأخذ يبحث تلك المظاهر . وهو الذى أدى إلى كشف القارات والبحار ، وزاد علمه بالسماء ، وعلّمه ركوب الهواء فى الطائرات ، حتى طمع فى الوصول إلى الأفلاك . وذلك الولوع بالمجهول هو الذى جعله يخترع مخترعات الحضارة التى زادت حياته بهاء ومتعة وراحة ولذة ، وجعله يجد لذة حتى فى ركوب الأخطار من أجل كشف مغاليق الكون والحياة والطبيعة ، ويستشعر اللذة حتى فيما قد يصيبه من الألم أو الهلاك فى أثناء بحثه عن المجهول من أمور الحياة والكون .

ثم يقول شكرى :

يحوطني منك بحر لست أعرفُه | ومهمه لست أدري ما أقاصيه
أقضي حياتي بنفس لست أعرفها | وحولي الكون لم تُدرك مجاليه
ياليت لي نظرة في الغيب تسعدني | لعلّ فيه ضياء الحق يبديه
أخال أني غريب وهو لي وطن | خاب الغريب الذي يرجو مقاصيه
أوليت لي خطوة تدحو مجاهله | وتكشف الستر عن خافي مساعيه
كأنّ روحيَ عود أنت تُحكمهُ | فابسط يديك وأطلق من أغانيه
والروح كالكون لا تبدو أسافله | عند اللبيب ولا يبدو أعاليه
وأكبر الظن أني هلك أبدا | شوقا إليك ، وقلبي فيه ما فيه !

هذا الانخلاع في مواجهة المجهول ، وهذا الظمأ الحاد إلى الكشف والمعرفة والنفاذ إلى سرّ الأسرار ، ملمح رومانسي أصيل في شعر شكري ، الذي عندما نضعه في إطار زمانه بدءاً من العقد الأول من عقود هذا القرن ، مقارنا بما كان يكتبه غيره من الشعراء ، وجدنا هوة شاسعة ، ومذاقاً مغايراً ، ونفساً شعرياً مختلفاً ، وقصيدة تضّج بالخواطر الكبرى وتجيش بزلزال الوقت وبركان الشعور ، تاركة للآخرين أن يجربوا حظوظهم مع شعر المناسبات الخارجية والموضوعات التقليدية والتناول الفاتر البارد .

يقول شكري في إحدى قصائده التي تتفجر منها روح التجديد والمغايرة :

أقلّب طرفي في وجوه كثيرة | وأُكثر من تلحاظها وأُطيلُ
وأبغي بديلا من هواك يتاحُ ليَ | وهيهات ، مالي من هواك بديلُ !
وكيف ! وعندي من خيالك حارسٌ | تجسّم حتى مايكاد يزولُ
فيهمس في أذني ، ويسري بخاطري | ويسمع ما أشدو به وأقولُ
ويشغلني عما سواه ، فإن أردْ | سلواً تصدّى دونه فيحولُ
كأني أسير وهو في السجن | فما لي إلى طعم الخلاص سبيلُ

وأعجب من أمرى ، وكيف عشقتكم	وقــد كنت لا يـقــوى علىّ غليلُ
وأرخصنى حُبّيك من طول هجرةٍ	فــإن عــزيز العــاشــقين ذليلُ
فأبكى على نفسى ، وليس بنافعى	إذا تلفتْ نفسى لديك عــويلُ
وأبكى على العـزم الذى أنا ناشـدٌ	فـعـزمى شـريد فى هواك ضئـيلُ
فـيـا جنّة العـشـاق ظلك وارف	وإنّىَ فـى حـرّ الغـرام أقـيلُ
وكـيف يفـرُّ المرء من ظلّ جسمـه ؟	فـطيـــفـك لى ظـلٌّ لدى ظـليـلُ

يبقى أمران لابدّ من الإشارة إليهما ضمن أى حديث عن عبد الرحمن شكرى .

لقد نجح فى أن يضمن مقدمته لديوانه الخامس « الخطرات » ما يمكن أن يعتبر مشروع نظرية أو وجهة نظر فى الشعر ومذاهبه . ولقد اعتبرتها الدكتور / سهير القلماوى أهم وثيقة فى شرح مذهب مدرسة الديوان ، وأقرب محاولة للخروج بنظرية جديدة ورأى جديد فى الشعر والشاعر وعملية الإبداع نفسها ، ولولا أنه لم يكتبها فى أسلوب علمى لخرجت فعلا نظرية متكاملة جديدة .

فى هذه المقدمة يهاجم شكرى الشعراء الذين يملأون شعرهم بالكلمات الغريبة ، حتى تجيز لهم ادعاء الغرابة ، كأن الغرابة تستعصى على أقل الناس ذهنا واطلاعا . وهو يرى أن العبارة الملأى بالكلمات الغريبة قد تكون أخسّ أسلوبا وديباجة وأقل متانة من العبارة السهلة التى ليس بها غير المألوف من الكلمات . فينبغى للشاعر المبتدئ أن يتطلب المتانة وألا يخلط بينها وبين الغرابة ، كى لا تضله الغرابة عن المتانة فيقنع بها .

وبالرغم من هذه الدعوة الواضحة لتجنب الغريب فى الشعر ، فإن قارئ شعر شكرى تستوقفه مئات الكلمات الغريبة التى يولع شكرى بتكرارها مرة ومرة ، حتى فى القصيدة الواحدة . فهو يكثر من استخدام كلمة الوزيلة بمعنى المرآة ، والإقليد بمعنى ما يفتح به الباب ، واللأواء بمعنى الشدة ، والدقعاء بمعنى الأرض ، والعباديد بمعنى المتفرقة ، والمصمئلات بمعنى المصائب والكوارث ، والضريك بمعنى الأحمق أو الفقير ،

والشخشخان بمعنى القوى الشجاع ، والرعبلة بمعنى الثوب البالى ، والخضرم بمعنى الكثير الواسع والسّيراء بمعنى المخططة ، والثؤباء بمعنى التثاؤب ، والعزهاة بمعنى الزاهد ، والغطريف بمعنى الماجد السخىّ ، والضمّاء بمعنى الضمام ، إلى آخر هذه المفردات الشديدة الغرابة والحوشية ، وهى كما قلت كثيرة فى شعره ، بالرغم من قوله الصريح المعلن : « إن الشاعر الكبير يأتى بالأسلوب رائعا جليلا من غير تكلف للغريب ، أما المبتدئ فهو الذى يتكلف الغريب كى يخفى به ركاكة عبارته ، وكذلك الوزان يتكلف الغريب كى يخفى به جمود طبعه وقلة معانيه ، فإن الغرابة لا تستعصى على أحد ، وإنما الصعوبة فى الجمع بين المتانة والسهولة » .

الأمر الثانى هو تعرض عبدالرحمن شكرى لموضوع السرقة فى الشعر فى سياق حديثه عن دلائل هلاك الأمم ، وكيف أن من بينها نظرها دائما إلى حياة أجدادها واحتذائهم فيها احتذاء لا روح فيه ولا قوة ولا ذكاء ولا فطنة . ويتحدث شكرى عن النقل والأخذ والسرقة ويحتكم للقراء فى أن يميزوا ما يقال ، فالجهل لا يمنع من السرقة كما أن الاطلاع لا يمنع من الأمانة ، وفى شعر شكرى – على امتداد دواوينه الثمانية – أبيات كثيرة تستحضر بصياغتها وتركيبها ومعناها أبياتا قديمة مشهورة على الفور ، ويعجب القارئ لهذا الاستدعاء الذى قد يحدث أحيانا بمعظم صورة الأبيات القديمة ، ويتساءل عن الهدف منه إذا كان شكرى واعيا به ، وهل هى رغبة فى المعارضة الشعرية أو الفكرية أو استنبات للبيت الشعرى فى تُربة مختلفة وبيئة مغايرة ، أو هى ذاكرة شكرى تنساب من خلال إبداعه الشعرى دون أن يتنبه إلى أن هذه الأبيات ليست له وإنما هى لشعراء سابقين معروفين . وهو يلجأ فى مواضع أخرى إلى تضمن أبيات تراثية مشهورة بين ثنايا قصائده وكأنه يستشهد بها ويؤكد توجّهاً أو فكرةً أو موقفاً ، من بينها :

فقل للشامتين بنا أفيقوا　　　سيلقى الشامتون كما لقينا

ومن بينها :

أترثى للعباد وأنت منهم　　　من الرب الذى خلق العبادا

ومنها :

تبسّطنا على الآثام لما   رأينا العفو من ثمر الذنوبِ

ومنها :

ولو أنى أردت لرعت قوما   (أضاعونى وأى فتى أضاعوا)

وأصل الكلام :

أضاعونى وأىَ فتى أضاعوا   ليوم كريهة وسداد ثغر

وقوله :

راحة الهوى تعب   واحتماله عجب

الذى يذكرنا بقول أبى نواس :

حامل الهوى تعبُ   يستخفّه الطربُ

وقوله :

وما الخلد إلا عزةٌ وطماعة   وأنبل كذب يخدع اللُّبَّ والفهما

الذى يذكرنا بقول المتنبى :

وما العشق إلا غرّةٌ وطماعة   يعرض قلب نفسه فيصابُ

ويقول :

ألا لا أُبيح العيش مدحا ولا ذما   سكت فلا عذراً نطقتُ ولا لوما

الذى يذكرنا بقول المتنبى فى رثاء جدته :

ألا لا أُرى الأحداث حمدا ولا ذما

ويقول :

كللوا بالمجد هاماتهمو   فى نعيم العزّ أو فى الأبؤس

وهو يذكرنا بقول مهيار الديلمي في الفخر بقومه الفرس :

عـمّـمـوا بالشـمس هامـاتهـمـو ... وبـنوا أبيـاتـهـم بالشـهـبِ

ويـقـول :

فليـتك تحلو والحـوادث مـرة ... وليـتك واف والأنامُ غـوادرُ

وهو يذكرنا بقول أبي فراس الحمداني :

فليـتك تحلو والحـيـاة مـريرة ... وليت ترضى والأنـامُ غـضـابُ

ويـقـول :

كـفى بنفـسـى داء أنني رجل ... أخشى الحياة وأقلي سطوة الأجل

وهويذكرنا بقول الشاعر القديم :

كـفى بجـسـمى نحولا أنني رجلٌ ... لولا مـخـاطبـتي إياك لم ترني

ويـقـول :

إنـا لفي زمـن عـيش الأديب بـه ... عيش الخبال سقيم الوجه والحال

وهو يذكرنا بالبيت المعروف :

إنا لـفي زمـن ترك الـقـبـيح بـه ... من أكثر الناس إحسان وإفضالُ

ويـقـول :

وإذا كـانت النفـوس لئـامـا ... فلمـاذا تقـرّ في الأجـسـاد

وهو يذكرنا بقـول المتنبي :

وإذا كـانـت النفـوس كـبـارا ... تعـبت في مـراد هـا الأجـسـامُ

ويقول شكرى :

للناس فى العيش من بدو وحاضرة طبع العقور وإما طبع معقور

فيذكرنا ببيت أبى العلاء المعرى :

الناس للناس من بدو وحاضرةٍ بعض لبعض وإن لم يشعروا خدمُ

ويقول شكرى :

وإنى لتعرونى - إذا لحت - هزة كما ارتعش المصروع حينا وجمجما

فيذكرنا بالبيت المشهور لأبى صخر الهذلى :

وإنى لتعرونى لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلّله القطر

أكتفى بهذه النماذج التى تشير إلى ظاهرة واضحة فى العديد من قصائد شكرى : اتكاء دائم على الموروث الشعرى ، واستدعاء لأبيات مختارة من عيون قصائده ، تأكيدا لحضورها الحىّ ، ورغبة فى استعادة جمرها أو جلوتها داخل سياق الإبداع الشعرى الجديد ، أو لعله لون من الولع بامتطاء المألوف من التراكيب والتعابير رغبة فى الوصول إلى أفق شعرى جديد ولغة شعرية جديدة ؟؟

يبقى أن أشير إلى الجهد الكبير الذى يقوم به المجلس الأعلى للثقافة من أجل إعادة نشر ديوان شكرى وتيسيره لقراء هذا الزمان ودارسيه ، من خلال طبعة جديدة تعنى بتحقيق القصائد ومراجعتها وضبطها ضبطا محكما ، بعد أن امتلأت الطبعة السابقة الصادرة عام ١٩٦٠ بأخطاء لا حصر لها ، لغوية وعروضية وإملائية ، فكان لابد من تصويب القديم وصولا إلى صحة الجديد وسلامته ، من خلال جهد شاقٍ مضنٍ ، تطلّب وقتاً وصبْراً كبيرين .

لكن إعادة قراءة ديوان شكرى ، والتجوّل فى أبهاء عالمه الشعرى ومنعطفاته ، متعة كفيلة بإزالة أى عناء ، والقضاء على أية شكوى ... وهى المتعة التى نرجوها لكل من يقبل على قراءة شكرى الذى ظل طويلا مظلوما حياً وميتاً ، وآن أوان إنصافه حتى يعتدل الميزان ، فى النظر إلى شعراء جماعة الديوان .

تقديم

بقلم الأستاذ عبد العزيز مخيون

كان واجباً عليّ ، ووفاءً لأستاذنا الشاعر الكبير ، المغفور له عبد الرحمن شكرى ، وتقديراً لفضله وعلمه وأدبه ، أن أتكفل بطبع ديوانه ، وتقديمه لأدباء هذا العهد الجديد الناهض ، ليتناولوه بالبحث والدرس .

وما أعز تلك الذكرى - ذكرى أيام الدراسة بالمدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية - وكنت بين تلاميذ هذا المربى العظيم ، يوم كان أستاذاً بتلك المدرسة ، كنا نلمس فيه العطف ، والرعاية ، والسماحة ، والتواضع ، والخلق الكريم .

ومع ما امتاز به من اطلاع واسع على شتى العلوم والآداب ، مع ما بلغه منذ شبابه الباكر من مجد أدبى ، وتقدير فى ميادين الشعر والنثر ، وحصوله على الدرجات العلمية العالية ، ما كان ليأنف أن يجلس معنا بعد انتهاء الدروس ساعات كل يوم ، ليزودنا بعلمه ومعرفته ، ويجيبنا على أسئلتنا التى نوجهها إليه فى كل علم وفن .

ثم فرق بيننا الدهر مدة طويلة ، إلى أن قرأت فى إحدى الصحف فى صيف ١٩٥٧ أنه مريض يسكن مع أبناء أخيه بسيدى بشر برمل الإسكندرية ، فذهبت لزيارته ومعى أخى - الأستاذ عبد الله مخيون المحامى ، وهو من تلاميذه أيضاً . كان ، رحمه الله ، يعانى يومذاك مرض الشلل ، وقد ساءت حاله ، وبدا عليه الضعف والعجز عن المشى والكلام ، وفارقناه فى ذلك اليوم والألم يعتصر قلبينا ، وتركنا له عنواننا ورجوناه أن يتصل بنا متى شاء .

وراحت الصحف قبيل وفاته تكتب عنه وعن مرضه واعتكافه ، فأبدى الأستاذ الكبير السيد / ثروت عكاشة - وزير الثقافة والإرشاد - اهتماماً بالغاً بصحة الفقيد وآثاره ، وقرر أن ترعاه الدولة بالعناية والعلاج . غير أن القدر كان السابق ، وانتقل أستاذنا إلى رحمة الله فى ١٥ من ديسمبر عام ١٩٥٨ .

واليوم إذ تغمرني السعادة لما وفقني الله لإحياء ذكرى هذا الرائد العظيم ، بطبع ديوانه الجليل ، تخليداً لذكراه واعترافاً بفضله ، لا يفوتني أن أسجل عميق شكرى لصديقي الكاتب الكبير الأستاذ نقولا يوسف - ناظر مدرسة أبو حمص الإعدادية بوزارة التربية سابقاً - على ما قام به من جمع هذا الديوان وتصحيحه ، والإشراف على طبعه وتحقيقه ، وهو عمل شاق دقيق ، نهض به هذا الرجل الوفي لأستاذه على أكمل وجه مستطاع ، وللأستاذ الأديب محمد رجب البيومي ، المدرس بمدرسة المنصورة الثانوية ، على معاونته في البحث عن القصائد المتفرقة في الصحف والمجلات ، جزاهما الله خير الجزاء على هذا التطوع المشكور .

واللهَ نسألُ أن يوفقنا إلى ما فيه خير الأمة العربية في ظل ورعاية رئيسنا الظافر ، وقائد نهضتنا المباركة ، جمال عبد الناصر ، وفقه الله ونصره .

الإسكندرية في ٢٢ يوليه ١٩٦٠

عبد الرحمن شكرى
حياته وآثاره

بقلم: نقولا يوسف

ولد الشاعر عبد الرحمن شكرى بمدينة بورسعيد فى ١٢ من أكتوبر عام ١٨٨٦ ، وتوفى بالإسكندرية فى ١٥ من ديسمبر ١٩٥٨ . وبين هذين المكانين ، وبين هذين الزمنين ، تدور قصة حياته التى دامت اثنين وسبعين عاماً .

وكان أسلافه من عرب المغرب ، نزحوا منذ جيلين إلى وادى النيل ، واندمجوا فى فلاحيه ، وأصبحوا منهم ، وإلى هذه العروبة الأصيلة والموروثة ، يعزى ما عرف عنه من رصانة الأسلوب ، وبلاغة اللفظ ، والصراحة ، والأنفة ، وحب الحرية .

فقد جاءت أسرة « عياد » المغربية إلى أطراف بنى سويف المتاخمة للصحراء ، واستوطنتها ، واختلطت بالفلاحين ، وزرعت النخيل ، وأصبح حسن عياد بن حسن عياد عربياً مصرياً ، ورزق غلاماً سماه أحمد شكرى عياد ، وألحقه بالمدارس وتعلم الفرنسية ، فلما شب ، وظف فى « الضبطية » بالإسكندرية ، ثم صار رئيساً بقلم المرور بالميناء ، ثم تزوج ابنة السيد / محمد المغربى ، وقد عمرت هذه السيدة طويلا ، وكانت مولعة بالحكايات والأساطير ، تقصها على أحفادها الأطفال ، ومنهم شاعرنا ، فتثير خيالهم وشاعريتهم .

وكان نجله محمد شكرى عياد - والد الشاعر - يحتذى أباه ، فلما كبر التحق بوظيفة فى « الضبطية » أيضا ، ثم تزوج من ابنة سعد المغربى ، ورأس أسرة مغربية ، كان مهندساً وأثرى وأسرف ، وخلف نسلاً كثيراً تشتت واندثر .

وبينما كان محمد شكرى عياد مستقراً فى وظيفته بالضبطية فى عهد الخديو توفيق بدأت الحوادث التى أدت إلى الثورة العرابية . كانت الأحداث تجرى سراعا ؛ فالجيش والشعب فى جانب ، والخديو وأعوانه من الجراكسة وعمال الاستعمار فى جانب آخر .

ويتظاهر الجيش فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ أمام عابدين مقدماً مطالبه القومية ، ويضرب الأسطول الإنجليزى الإسكندرية فى ١١ يولية ١٨٨٢ ، ثم تحدث موقعة التل الكبير ، ويحتل الجيش الإنجليزى القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ ، ويسلم عرابى نفسه ، ويحاكم ، ويقبض الإنجليز على زعماء الثورة وعلى الكثيرين من أبناء الشعب .

ويلقى القبض على محمد شكرى عياد - والد الشاعر - متهماً بمناصرة العرابيين ، وبصداقته لفريق منهم ، وخاصة لعبد الله النديم - خطيب الثورة - ويحكم عليه بالسجن ، ويظل فى الحبس زمناً ؛ ولما كان أبوه يُدرِّس اللغة الفرنسية لبعض الكبراء فقد استشفع لابنه المعتقل حتى أطلق سراحه ، ولكنه ظل متعطلا يطارده غضب المحتلين ، وما زال أبوه يواليه بشفاعته حتى عين معاوناً للإدارة بمحافظة بورسعيد .

ونجم عن هذا السجن وهذا التعطل ، وعما كابده من الضيق والإرهاق ، أن مات بعض أبنائه ، ثم ولد له أبناء غير أشداء العود ، منهم الشاعر عبد الرحمن شكرى الذى ولد ببورسعيد فى ١٢ من أكتوبر عام ١٨٨٦ ، وقد أسقط منه لقب « عياد » عندما التحق بالمدارس .

ويحدثنا الشاعر عن طريقة تلقيه العلم فى ذلك العهد . ففى المدرسة الابتدائية كان الشيخ مصطفى يعلم تلاميذه الإعراب قبل تعلم النحو والصرف ، ويعلمهم النحو والصرف عن طريق الإعراب . وكان الشيخ مصطفى شاعراً يجيد حفظ الشعر ، ويلقى على التلميذ بيتاً فى الغزل ، ثم يطلب منه إعرابه ويساعده ، فإذا نسى التلميذ أو سها عما يلقن ، ضربه بالعصا ضرباً مبرحا . فكان تلاميذه - ومنهم شاعرنا - يحفظون الشعر ، وكذلك الإعراب والنحو والصرف ، هكذا بالعصا .

وفى مكتبة أبيه وجد الصبى عبد الرحمن ، بعض دواوين الشعر ومنها : ديوان ابن الفارض ، وديوان البهاء زهير ، وهما من أوائل الدواوين التى درسها ، ثم ديوان

المتنبى ، وكتاب « الوسيلة الأدبية » التى اختار فيها الشيخ المرصفى شيئاً من شعر العرب ، وبعض قصائد محمود سامى البارودى . ومن هنا قرأ شكرى شعر البارودى ووصله بشعراء العرب كالشريف الرضى ، وأبى تمام ، وأبى نواس ، وغيرهم .

وكان السيد عبد الله النديم - الشاعر والصحفى وخطيب الثورة العرابية - يزور والد الشاعر فى بيته وينزل فى ضيافته ، وكانت الحكومة الخديوية تناوئه وتطارده . وكان الصبى يستمع إلى ما يدور من حديث ويعيه . ويقول شكرى : « إنه كان يرى النديم دائماً فى حيرة وقلق ، ولكنه كان ينظر بعين الصقر أو النسر . فكان كالصقر الحائر . وكان هذا بيناً ظاهراً حتى للغلام ، فلابد أن همومه كانت كثيرة » . وكان الشاعر صبياً فى العاشرة حين بلغه موت النديم عام ١٨٩٦ .

قضى الشاعر أيام صباه ببورسعيد مع أبيه حتى عام ١٩٠٠ ، وكان فى الرابعة عشرة من العمر حين حصل على الشهادة الابتدائية عامذاك .. وعلى شاطئ البحر فى مسقط رأسه ، كان يلهو ويمرح ويقرأ .. وتراه فى كتابه « الاعترافات » - الذى طبعه فى شبابه عام ١٩١٦ - يعود فى بعض فصوله إلى أيام الطفولة والصبا ؛ فيتحدث عنها بأسلوب فلسفى ساحر .

ينتقل الشاعر إلى الإسكندرية ليلتحق بمدرسة رأس التين الثانوية المطلة على الميناء ، وعلى شاطئ البحر كان يطوف مع الشعراء فى دواوينهم ، ويتمرس بنظم الشعر ، وظل بهذه المدرسة السنوات الأربع المقررة ، ثم نال الشادة الثانوية (البكالوريا) فى شهر مايو ١٩٠٤ - وترك مدرسة رأس التين ليعود إليها بعد ثمانى سنوات مدرساً .

ثم ارتحل الشاعر إلى القاهرة ، والتحق « بمدرسة الحقوق » ، وظل بها عامين (١٩٠٤ - ١٩٠٦) ، وكانت الحركة الوطنية التى تزعمها مصطفى كامل فى أشدها . فاندمج فيها الشاعر ، وحدث أن نظم شكرى قصيدة وطنية مطلعها :

ثباتاً فإن العار أصعب محملا ∴ من الذل لا يفضى بنا الذل للعار

(وهى القصيدة التى نشر بعض أبياتها بالجزء الأول من ديوانه بعنوان « الثبات » بعد أن صادرتها السلطات) .. وألقاها بحديقة الأزبكية على الجماهير زميل الشاعر بمدرسة الحقوق عبد الحميد بدوى - (القاضى فيما بعد بمحكمة العدل الدولية بلاهاى) - واتصل الخبر برجال الاحتلال ، فاتهموا الشاعر بالتحريض على الثورة ، وفصلوه من مدرسة الحقوق .

وعند ذلك قابل الشاعر الزعيم مصطفى كامل ، وطلب أن يشتغل محرراً بجريدة اللواء ليدفع بقلمه عن حقوق البلاد ، ولكن الزعيم رأى أن يتابع دراسته العالية أولا بمدرسة أخرى ، ثم يعمل بعد ذلك ، إذا شاء فى ميدان الصحافة . وقال له إن البلاد فى حاجة إلى المثقفين ثقافة عالية ؛ فعمل الشاعر بنصيحته ، والتحق بمدرسة المعلمين العليا بالقاهرة ، وظل بها من عام ١٩٠٦ إلى ١٩٠٩ حين حاز دبلومها بتفوق .

وقد وجد الشاعر بمدرسة المعلمين مجالا لإشباع ميوله الأدبية ، إذ كانت تدرس بها الآداب العربية والإنجليزية والفرنسية ، إلى جانب المواد الأخرى : كالتاريخ والتربية وعلم النفس وغيرها ، كما كان يدرس بها كتاب « الذخيرة الذهبية » وهو مجموعة مختارة من أحسن الشعر الإنجليزى ، فوجد فيه شاعرنا ألواناً جديدة من الشعر ، ودفعه ذلك إلى قراءة شكسبير وبيرون وشلى وكيتس وتنيسون ووردسورث وغيرهم .

كان فى أثناء دراسته بمدرسة المعلمين قد عاد إلى كتاب الأغانى ، وحماسة أبى تمام ، وديوان الشريف الرضى ، وغيرهم . ووجد فيها كثيراً من شعر الزخرف والاستعارات والتشبيهات ، والشعر الوجدانى ، فتأثر بهذا كله ، وظهر هذا الأثر فى دواوينه الباكرة ؛ فكان فى أول الأمر - كما يقول - ينظر إلى الشعر كأدب ترف وزخرف وتشبيهات ، ثم راح ينظر إليه كأدب وجدان وإيمان - « فن إيمان فى الموضوع الوطنى ، وفن إيمان ووجدان فى العقيدة والنسب » . وقلّت فى شعره بعد ذلك الزخارف والاستعارات القديمة ، وامتزجت فيه الرومانسية بالواقعية .

كما كان فى تلك الفترة ينظم القصائد ، ويكتب المقالات ، وينشرها فى صحف ذلك العهد ، ومن ذلك مراثيه فى مصطفى كامل وقاسم أمين (حين انتقلا إلى رحمة الله عام ١٩٠٨) والشيخ محمد عبده (١٩٠٥) – وقصائد : فى سبيل الجامعة ، والثبات ، وغيرها .

وقبل أن تتصرم هذه الأعوام الثلاثة بمدرسة المعلمين ، كان الجزء الأول من ديوانه : « ضوء الفجر » فى أيدى القراء . ظهر عام ١٩٠٩ ، وكان الشاعر فى الثالثة والعشرين ، يقف على عتبة الحياة ، ولم يقتحم بعد ساحات مشاكلها ومتاهات تجاريبها ، ومع ذلك فإن روح الثائر المجدد ، الذى سطع فى تلك الباكورة ، كان باهراً ؛ فانبرى المازنى يقرظه فى الصحف ، وأرسل الشاعر حافظ إبراهيم إلى شكرى يقول :

أفى العشرين تعجز كل طوق	وترقصنا بإحكام القوافى ؟
شهدت بأن شعرك لا يجارى	وزكيت الشهادة باعترافى !
لقد بايعت قبل الناس شكرى	فمن هذا يكابر بالخلاف ؟

وبمدرسة المعلمين توطدت الصلة بين شكرى وإبراهيم عبد القادر المازنى ، فقد كان كلاهما شغوفاً بالشعر ونظمه . ويحدثنا المازنى عن تلك الصلة فى مقالة نشرها بجريدة السياسة فى ٥ أبريل ١٩٣٠ ، ومما قال :

« .. كنا يومئذ طالبين فى مدرسة المعلمين العليا . وكانت صلتى به وثيقة . وكان كل منا يخلط صاحبه بنفسه . ولكنى لم أكن يومئذ إلا مبتدئاً ، على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين فى الأدب ورأى حاسم فيما ينبغى أن يكون عليه ، ومن اللؤم الذى أتجافى بنفسى عنه ، أن أنكر أنه أول من أخذ بيدى ، وسدد خطاى ، ودلنى على الحجة الواضحة . وأننى لولا عونه المستمر لكان الأرجح أن أظل أتخبط أعواماً أخرى ، ولكان من المحتمل جداً أن أضل طريق الهدى ...) وعاد المازنى – رحمه الله – يتحدث مرة أخرى عن هذه الذكريات (فى مقالة له بجريدة « أخبار اليوم » ٢٥ – ١٠ – ١٩٤٧) أى قبل وفاته بعامين) :

« ... وشاءت الأقدار - أو المصادفة - أيضاً أن أشتغل بالأدب لا بالطب ولا بالقانون ، فقد كان من زملائي في مدرسة المعلمين : الأستاذ عبد الرحمن شكرى وكان كاتباً شاعراً ، واسع الاطلاع على الأدب العربي ، والآداب الغربية ، وقد أخرج أول جزء من ديوان شعره ، وهو في السنة الأولى بمدرسة المعلمين ؛ فكانت له ضجة . وكان هذا الديوان - كما كانت يوميات الأستاذ العقاد - بداية اقتحام المذهب الجديد في الأدب للميدان ، وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم - مذهب شوقي وحافظ وأضرابهما - وتوثقت الصلة بيني وبين شكرى ، فصار أستاذى وهو زميلي . وكان لي قدر يسير من الاطلاع على الأدب العربي ، ولكنه كان ينقصني التوجيه . فتولاه شكرى فعكفت على الدرس . ومن الإنصاف أن أقول إن أساتذتنا في اللغة الإنجليزية وآدابها كانوا رجالا مخلصين أكفاء ، فأحسنوا توجيهنا وتشجيعنا . وبفضل شكرى عرفت عبد المجيد بدوى (باشا الآن) والسباعى رحمه الله . ثم عرفت العقاد من طريق آخر ، وعرفته بشكرى . فصرنا « ثالوثا » العقاد وشكرى والعبد لله . هكذا صرت أديباً وقررت أن أكون شاعراً وناقداً ... » .

وما أن تخرّج شكرى من مدرسة المعلمين عام ١٩٠٩ حتى أرسل ، لتفوقه ، في بعثة إلى جامعة شيفيلد بإنجلترا . وهناك مكث ثلاث سنوات (١٩٠٩ - ١٩١٢) قضاها في الدرس والتحصيل ، والاطلاع والتثقف . ودرس في الجامعة : التاريخ القديم والحديث ، والتاريخ الدستوري ، والعلوم السياسية والاقتصادية ، والجغرافيا ، والأدب الإنجليزي . وفي نهاية الأعوام الثلاثة حاز من جامعة شيفيلد درجة B . A . في الآداب ، وذلك في ٣١ أكتوبر ١٩١٢ .

وكانت هذه الإقامة بإنجلترا ، وزيارته لبعض أقطار أخرى ، ما وسع آفاق ثقافته وتجاربه ، وما أوحى إليه بقصائد ذات صور جديدة ، ومن ذلك قصائد عن الغابة ، والبحر ، والجبل ، والشلال ، والشتاء في إنجلترا ... وفي ليالي الشتاء الطويلة كان ينكب على مطالعة المئات من الكتب الإنجليزية والمترجمة إليها ، وخاصة في التاريخ والقصص والأدب ودواوين الشعر .. « وتذكى نار المواقد في البيوت ، فكأن ألوان النار ألوان الأزهار الزاهية في جنة الربيع ، وتذكى نار المواقد وجنات الوجوه ، فكأن في

المواقد جمراً وفي الوجوه جمرا . وتبحث في القلوب فترى نار الحياة وشرّتها ، وترى الحب والآمال لم يغض منها برد الشتاء وثلجه » ، ولكنه يعود بخياله إلى وطنه ، ويحن إلى سمائه وشمسه ونيله ، وينظم « حنين غريب » و « شاعر في الغربة » :

أنشقوني نسائم النيل إني	لعليل والنيل حاجة نفسي !

وتنقضي أعوام الغربة ، ويعود الغريب إلى وطنه ، وفي قلبه آمال عراض ؛ فلسوف يعلم ويكتب وينظم ، ولن يلقي القلم حتى يتحقق لبلاده ما تصبو إليه من حرية ورفعة ، وتربية صحيحة .

وعاد من إنجلترا في خريف عام ١٩١٢ ، وكان في السادسة والعشرين ، واستقبله صديقه المازني لدى وصوله بقصيدة يقول فيها : - (ديوان المازني جـ١ - استقبال صديق) :

قد قل من يصدق الوداد فما	أحس من ودهم سوى كذبه
أما فتى صادق الهوى كأخي	« شكري » يرد الزمان عن نوبه
أوثق من تصطفي وأكرم من	تأخذ من عقله ومن أدبه

وعين الشاعر في ذلك العام مدرساً للتاريخ واللغة الإنجليزية بمدرسة رأس التين بالإسكندرية ، وبدأ يومذاك جهاده التربوي الذي دام نحو ربع قرن .

ولم يمض عام على عودته هذه إلى وطنه ، حتى ظهر الجزء الثاني من ديوانه (عام ١٩١٣) مصدراً بمقدمة للأستاذ العقاد يقول فيها عن شعر شكري إنه « ينبسط انبساط البحر في عمق وسعة وسكون .. » « فإذا تلقى قراء العربية اليوم هذا الجزء الثاني من ديوان شكري ، فإنما يتلقون صفحات جمعت من الشعر أفانين ، قد سمح بها قلم سخي وقريحة خصبة .. » وفي هذا الجزء الثاني نرى نماذج من الشعر المرسل ومن الرباعيات والمطولات في شتى المعاني والصور ، وما برح الشاعر الشاب يوقع أناشيده إلى الليل والفجر والطير والزهر ، ولكن هذا كله لا ينسيه وطنه الراسف في

أغلال الاحتلال والجمود والرجعية ، فتتوالى قصائده : « حياة الأمم أو التجدد والتغير » و « الحياة والعبادة » و « الحياة والعمل » و « الحرية » و « الحجاب » و « الإيمان بالحياة » و « نحن إخوة » و « مصر مهد العلوم » و « الشام فى عصر الاستبداد » .. منادياً بالنهوض ، والعمل ، والتحرر من الخرافات ، والسير فى موكب الحضار والعلم ، نحو الحرية والاستقلال والمجد .

وفى خلال عام ١٩١٤ أخذ المازنى ينشر فى جريدة « عكاظ » الأسبوعية ، نقداً لشعر حافظ إبراهيم ، ويعقد الموازنة بين شاعرية شكرى، وشاعرية حافظ . ويقول :

« لا نجد أبلغ فى إظهار فضل شكرى والدلالة عليه ، وبيان ما للمذهب الجديد على القديم من المزية والحسن ، من الموازنة بين شاعر مطبوع مثل شكرى ، وآخر ممن ينظمون بالصنعة مثل حافظ إبراهيم . فإن الله لم يخلق اثنين هما أشد تناقضاً فى المذهب و وتبايناً فى المنزع ، من هذين . والضد - كما قيل - يظهر حسن الضد » .

وبعد أن ينقد شعر حافظ يعود إلى شكرى فيقول :

« أما شكرى فشاعر لا يصعد طرفه إلى أرفع من آمال النفس البشرية ، ولا يصوبه إلى أعمق من قلبها . ذلك دأبه ووكده . وهو لا يبالغ كحافظ فى تحبير شعره وتدبيجه ، بل حسبه من الوشى والتطريز أن يسمعك صوت تدفق الدماء من جراح الفؤاد ، وأن يفضى إليك بنجوى القلوب والضمائر ، وأن يريك عيون الندى على خدود الزهر ، وافترار ضوء القمر على مكفهر القبور ، ووميض الابتسامات فى ظلام الصدور ، وأن ينشقك نسيم الرياض وأنفاس السحر ، وأن يشعرك هزة الحنين ودفعة اليأس والأمل ، وأن يغوص بك فى لجج الفكر ليكشف لك عن معان لا يدركها التعبير ، ويتناول أبسط معانى الطبيعة والعقل ، وأشدها ارتباطا بالحياة واتصالا بالنفس ، ثم يصوغ لك منها شعراً نقى المستشف ، كثير الماء ، جم المحاسن .. » .

ويختم المازنى موازنته بين الشاعرين بقوله : إن حافظاً إذا قيس إلى شكرى لكالبركة الآجنة إلى جانب البحر العميق الزاخر » .

وفى عام ١٩١٤ أعاد شكرى طبع الجزء الأول من ديوانه لنفاد طبعته . وفى ١٩١٥ طبع الجزء الثالث ، وكان قد سطع نجمه فى أفق الأدب ، وسعى الأدباء إلى مجالسه ، وسجل بعضهم فيما بعد شيئا من ذكريات تلك المجالس . ويقص الأستاذ العقاد بعضاً من تلك الذكريات (وذلك فى مقالته بمجّلة « الهلال » ١٩٥٩/٢/١) - فيقول :

« .. عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس وأربعين سنة ، فلم أعرف قبله ولا بعده أحداً من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعاً على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الإنجليزية ، وما يترجم إليها من اللغات الأخرى . ولا أذكر أننى حدثته عن كتاب قرأته إلا وجدت منه علما به وإحاطة بخير ما فيه . وكان يحدثنا أحيانا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت إليها ، ولاسيما كتب القصة والتاريخ . وقد كان مع سعة اطلاعه صادق الملاحظة ، نافذ الفطنة ، حسن التخيل ، سريع التمييز بين ألوان الكلام . فلا جرم أن تهيأت له ملكة النقد على أوفاها ؛ لأنه يطلع على الكثير ويميز منه ما يستحسنه وما يأباه . فلا يكلفه نقد الأدب غير نظرة فى الصفحة والصفحات يلقى بعدها الكتاب وقد وزنه وزناً لا يتأتى لغيره فى الجلسات الطوال ! » .

ويقول :

« .. ولم يسبقه أحد ، فيما أذكر ، إلى تطبيق البلاغة النفسية - السيكولوجية - المستمدة من أدب الغرب ، على ما يقرؤه من شعر الفحول فى اللغة العربية . ولعله أول من كتب فى لغتنا عن الفرق بين تصوير الخيال وتصوير الوهم . وهما ملتبسان حتى فى موزاين بعض النقاد الغربيين .. » .

ويقول : « ولم يكن أمتع من الاستماع إلى شكرى وهو يقرأ القصيدة العربية أو الأوربية ، ويعلق عليها بيتاً بيتاً . أمثال هذه التعليقات ، وما كتبه من النقد فى مؤلفاته قطرة من بحر تلك الآراء النفسية التى كان يرسلها عفو الساعة - ولا يعنى بتقييدها » .

ثم يقول الأستاذ العقاد في مقالة أخرى نشرها بمجلة « الشهر » (عدد مارس ١٩٥٩) :

« .. إن ما قاله شكرى لصحبه وتلاميذه فى توضيح رأيه لأضعاف ما كتبه أو نشره فى دعوته الأدبية ؛ لأنه كان مطبوعا على التعقيب الجامع الناقد على مطالعاته ومطالعات غيره . يتناول الديوان أو الكتاب أو المقال ، فيجيل فيه بصره لحظة بعد لحظة ، ثم يلقيه وقد فرغ من وزنه وتقديره كما يفرغ الصيرفى البصير من تقويم الجوهرة بعد لمحة من بصره ، ولمسة من يديه . فإذا اطلع سامعه بعد ذلك على الكتابة ، وعاود الاطلاع عليه مرة بعد مرة ، لم يكن ينتهى فيه إلى رأى أصدق من ذلك الرأى الذى فاه به شكرى فى جلسة واحدة ، وخيل إلى سامعه أنه من آراء البديهة والارتجال ، وإنما هو فى الواقع رأى الأناة المحفوظة لساعتها ، يظهر مع المناسبة الحاضرة كلما تحركت دواعيه .. » .

ويتحدث الأستاذ على أدهم (وكان من تلاميذ الشاعر بمدرسة رأس التين الثانوية فيما بين عامى ١٩١٣ - ١٩١٤) عن ذكريات تلك الأيام - وذلك فى مقالة نشرها « بالمجلة » فى فبراير ١٩٥٩ :

« .. وكان الأستاذ شكرى ، فى مجالسه الخاصة ، محدثاً لبقاً ، شائق الحديث ، واسع المعرفة ، نافذ النظرات . وكان يزيد حديثه متعة أنه كان دائم الاطلاع ، سريع القراءة ، قوى الاستيعاب ، حسن الهضم لما يقرأ . وكان له على جميع ما يقرأ تعليقات رائعة ، وتعقيبات نافعة ، وإذا اطمأن إلى جليسه واستراح له ، مضى ينثر ذخائر معرفته ، ونفائس علمه فى تواضع محبب ، وسخاء جميل . وإن أنسَ من الأشياء فإننى لا أنسى تلك المجالس الرائعة التى كان ينظم شملنا فيها الود الصادق ، والتقدير المتسامى فوق الأغراض الدنيوية والمآرب الأرضية .. » .

* * *

كانت الفترة بين عامى ١٩١٣ و ١٩١٩ فترة خصبية فى إنتاج الشاعر . ففى ١٩١٣ ظهر الجزء الثانى من ديوانه . وفى ١٩١٥ ظهر الجزء الثالث . وفى١٩١٦ طبع له كل من

الجزء الرابع ، والجزء الخامس من الديوان ، كما نشر له ثلاثة كتب نثرية : « الثمرات » و « حديث إبليس » و « الاعترافات » - (وقد نشر أكثر فصول الكتاب الأخير فى (الجريدة) بين عامى ١٩٠٩ و ١٩١٣ . وفى ١٩١٨ ظهر كل من الجزء السادس من الديوان ، وكتاب « الصحائف » . وفى ١٩١٩ ظهر الجزء السابع ، وقصة « الحلاق المجنون » وهى قصة سيكولوجية نشرها بتوقيع ع . ش .

وفى تلك الفترة فيما بين ١٩١٨ - ١٩٢٠ بدأ تعرفى بعبد الرحمن شكرى ، كان ذلك فى يوم من أكتوبر ١٩١٨ - وكنت بين تلاميذ مدرسة رأس التين الثانوية بالإسكندرية ، كنا صبية صغارا نستهل العام الدراسى الجديد جلوساً فى الفصل المطل على ميناء الإسكندرية ؛ حيث كان الشاعر يجلس مثلنا منذ أربعة عشر عاما ، وكنا ننتظر أستاذنا فى حصته الأولى ذلك العام . وكان بعضنا قد سمع به وعرفه ، والبعض الآخر لم يره بعد ، حين دلف إلى الغرفة ، بخطا ثابتة بطيئة ، شاب نيف على الثلاثين ، متوسط القامة ، ممتلئ الجسم ، مع ميل إلى القصر وإلى السمرة ، وقور ، عصبى المزاج قليلا ، حسن البزة فى غير تأنق ، ذو شارب أسود صغير ، وعلى عينيه الواسعتين النافذتين منظار سميك مستدير ، وفى يده كتب ودفاتر وأضابير ؛ فحييناه وقوفاً كالعادة ، ثم جلسنا ، وراح البعض يهمس : عبد الرحمن شكرى الشاعر الكبير ! .

ولم تمض الدروس الأولى حينذاك - وكان يدرس لنا التاريخ واللغة الإنجليزية - حتى ثبت لدينا أنه رجل جد وعمل ، يميل إلى الهدوء والنظام ، واسع الاطلاع ، غزير المادة ، مثقل بالتجارب والذكريات ، متمكن من اللغتين العربية والإنجليزية على وجه خاص ؛ هذا إلى أنه شاب رصين، قوى الشخصية ، عطوف ، طيب القلب ، مهذب اللفظ ، لا تخرج من فمه كلمة نابية أو لفظة جارحة .. فإذا ما انتهى الدرس رحب بأية مسألة يعرضها عليه تلاميذه ، وناقشهم فيها بصدر رحب ، لا يطعن فى أديب أو غير أديب ، أو صحبهم إلى مكتبة المدرسة ليحبب إليهم المطالعة والبحث .

لم نقنع بهذه الصورة المجملة ، وقد علمنا أنه شاعر وكاتب وناقد .. له خارج النطاق المدرسى جولات وصولات ، فرحنا ننقب عن آثاره المطبوعة فى مكتبات الأنفوشى ورأس

التين ، وهناك عثرنا على ما نشر له حتى ذلك العهد من كتب ودواوين ، وكانت لحسن الحظ ، رخيصة الثمن ، ووجدنا فيها من الأدب والأفكار والإنشاء ما لم نعهده في جل ما لدينا من كتب ومطبوعات .

كانت أيام العام الدراسى تمر على هذا المنوال ، وإذا بثورة عام ١٩١٩ تشب فتضطرب معها الدراسة ، ويخرج التلاميذ إلى المظاهرات ، وتغلق المدارس ويتشتت الشمل ، ثم نعود لنرى أستاذنا فترة أخرى ، ثم نقلت إلى مدرسة أخرى بالقاهرة ، ولم أعد أرى شاعرنا إلا لماما ، وشاءت الظروف أن ألتحق مثله بمدرسة المعلمين العليا ، وأتلقى ما تلقاه هناك من علوم ، ثم أشتغل معلما مثله ، فكانت تجمعنا فيما بعد وفى بلاد شتى ، لجان الامتحان حين كان يعهد إليه أحيانا برئاستها ، فأراه لم يتبدل .. الرجل الفاضل ، المحب للهدوء والعمل والنظام ، ثم الاعتكاف فى صومعته ليلاً ليقرأ الكتاب تلو الكتاب .

كان يقف بيننا فى خلال ثورة ١٩١٩ والدنيا تغلى وتفور .. صامتاً متأملا حزينا ، والشرر يتطاير خلال منظاره السميك ، كانت عيناه تهتفان معنا .. وقصائده الوطنية الصارخة تتحرك أمامنا فى دواوينه وتلتهب .. ها هم تلاميذه يفصلون ، ويعتقلون فى السجن ، ويضربون فى الشوارع بالرصاص ، كما اعتقل والده وسجن من قبل فى الثورة العرابية وتعطل .. وكما فصل هو من المدرسة فى عهد مصطفى كامل وتشرد . وها هو يواجه ثورة ثالثة فى حياته .. أما كان ينبغى أن تحرر بلاده منذ زمن بعيد ؟ ويروح ليتابع جهاده بالقلم نظما ونثرا ، ولكن الصحف تعطل أيضا ، والأقلام تشرد ، والسجون تبتلع الجميع .

كانت الفترة منذ عام ١٨٨٠ فترة ثورية متصلة . يناضل فيها الشعب فى معركة دائمة متأرجحا بين النصر والهزيمة . وكانت الطبقة المتوسطة بالبلاد ، قد جمعت تحت شعاراتها التقدمية كل الطبقات الصاعدة . فمما لا شك فيه أن التحرر الوطنى ، وإلغاء الامتيازات الإقطاعية ، وتسليم المصريين دفة الحكم ، كانت مطالب ضرورية للطبقة المتوسطة فى تلك المرحلة من تاريخها ، ضرورتها لسواها من الطبقات الجديدة ، وإن لم

تكن أشد ضرورة . ولكن لم يقدر لتلك الثورة أن تنجح لأسباب تاريخية . فوجود عامل طفيلي كالاستعمارية العالمية ، كان عائقاً للتطور الطبيعي في مصر . كما أن الطبقة الجديدة نفسها كانت ما تزال أضعف من أن تقود كل هذه الجماهير وتنظمها في معركتها مع الإقطاع الراسخ وحليفه الاستعمار ، وكانت – إذن – أول هزيمة للطبقة المتوسطة المصرية أفضت إلى تحالف دائم بين الاستعمار والإقطاع ؛ ولذلك كان رد الفعل تنكيلا بكل من كانت له بالثورة أدنى صلة نفياً أو قتلا أو سجنا أو تشريدا .

وقد رأينا ما أصاب أسرة عبد الرحمن شكري من أهوال نتيجة لفصل والده من عمله لاشتراكه في الثورة ، ولاعتقالة ، وكيف مات بعض أبنائه من الضيق والإرهاق ، وكيف شب البعض الآخر – والشاعر منهم – غير أشداء العود ، وكيف كان يرى عبد الله النديم كالصقر الحائر تثقله الهموم .. في هذا الجو ولد شاعرنا وسط الهزيمة والفشل والتردد ، عقب ضرب الإسكندرية وهزيمة العرابيين ، وشاهد بعينيه قادة الثورة أنفسهم يعانون المرارة ويحملون الهم ، ووعى ما وعى من تشرد والده وسجنه ، فكانت صدمة لم تغب عن ذاكرته .

وشب عبد الرحمن شكري وترعرع في فترة الجزر الثوري التي اقترنت بالاحتلال البريطاني ولورد كرومر وما سمي بسياسة الوفاق . ثم فتح عينيه فجأة على شئ جديد غريب : محاولات لشراء الطبقة المتوسطة نفسها ، وهي التي كان يحمل لها شكري حتى ذلك الوقت كل احترام ، والتي كانت تتمثل في عرابي والنديم والبارودي ووالده ، وكل الذين أسهموا في ثورتها تلك .وهنا بدأت خيانات الأصدقاء وترددهم ، ولأسباب تاريخية جديدة راحت البرجوازية المصرية تؤثر التسليم لأعدائها ، متنكبة بذلك طريقها الذي قدر لها أن تسلكه . ففشلت ثورة ١٩١٩ لتحالف البرجوازية المصرية مع نقيضها الإقطاع . وكانت قد ارتبطت – عن طريق هذا التحالف – بالبرجوازية العالمية الرجعية . مما أدى إلى تحطيم جميع الأجهزة الديمقراطية في البلاد ، وكانت الضربة التي أصابت الكُتّاب

العرب المصريين . وكانت خط تقسيم حدد لكل منهم غايته وطريقه ، وكذا تعددت مدارس الفكر فى الإقليم المصرى وتبلورت ، وظهر مكان كل كاتب من كتابنا وشعرائنا . وفهمت دوافع الهجوم المجحف غير الموضوعي الذى قام به عدد من الكتاب على شاعرنا شكرى .

ومن هنا انبثقت مأساة شكرى ؛ فثمة آمال عريضة فى كفة ، ونأى تلك الآمال فى الكفة الأخرى ، والرجل لم يولد ميتا كما كتب أحدهم ، وهو الذى يقول :

« كنت أتمنى أن أقطف أزهار الحياة كلها ، وأن أخرج من الحياة عطرها . فإن للحياة عطراً كما للزهر عطرا . كنت أتمنى أن أمتع نفسى بكل شئ فى هذا الوجود ، وفى كل وجود تتصوره وتتوق إليه النفس . كنت أتمنى أن أعانق الوجود ، وأن أقبله قبلة أسقى بها كل ما فى روحه من الجمال والجلال ... » .

فسوداوية شكرى التى تنبرى أحيانا فى شعره ، ليست إذن مرضية ، بل هى بالأحرى وليدة ظروفه الاجتماعية ؛ فهو لم يرفض الحياة قط ، كما أن إيمانه بمسرات الحياة لم ينهزم ، وإنما المسألة أن الآمال بلغت غايتها فى تلك النفس الكبيرة ، الطموح ، ولكن شاءت الأحداث ، وشاءت الأقدار إلا أن تبدل من الأمل يأساً ، وتدفع الشاعر الشاب إلى أن يخلق حوله عالماً من الأحلام والأمانى .. « خلقت كثيراً من الأمانى والأطماع . كنت أطلب كل شئ ، وصارت هذه الأطماع تعظم كلما كبرت ، فصرت أقضى الساعات فى أحلام الأمانى .. » .

إن شكرى لم يرفض النجاح بين قومه ، بل كان النجاح غايته ، ولكنه رأى فئة ممن حوله تصطنع صفات ووسائل معينة للوصول إلى هذا النجاح . وهو لا يرتضى لنفسه هذه الصفات ، بل يؤمن بالوصول السوى إلى غايته . فإذا حاول أن يصطنع مثل هذه السبل لبلوغ غايته فشل فى مسعاه ، وهنا يلجأ الشاعر إلى نقد هذه العادات ويلوم مصطنعيها ، واتخاذهم العلم كقناع ، وهنا نجد حملاته على الرياء والخبث والكذب ،

والحقد والحسد ، والشر عامة .. ومع ذلك فهم فرائس لقوى قاهرة تعبث بهم .. وهذا ما يستدعى العطف عليهم والرثاء لهم .. ويقول لهم إنما نحن إخوة ، وارحمةً للناس ، صرعنا القدر بما بذره فى نفوسنا من قيود لا فكاك لنا منها لسوء الحظ ! .

وفى تلك الأيام حدثت جفوة بين الصديقين شكرى والمازنى .. بالغ بعض الكتاب فى وصفها ، ووقعها فى نفس الشاعر ، وإن كانت لا تعدو كونها مناقشة قلمية فى الصحف ، ما لبثت أن ذهبت مع الريح ، ومع ذلك فلا مفر لمن يؤرخ لشكرى من أن يشير إليها وقد باتت فى ذمة التاريخ .

فقد ظل الأديبان - رحمهما الله - صديقين منذ عهدهما بمدرسة المعلمين ، ثم نقل إلى شكرى أن صديقه يتنقص من شعره وينسب بعضه إلى شعراء الغرب . فكان رد شكرى على ذلك تلك الصفحة التى ختم بها مقدمة الجزء الخامس من ديوانه المطبوع عام ١٩١٦ . وفيها يعد للمازنى ما نقل من شعر ونثر عن الأدباء الغربيين . وقال إن صداقته للمازنى لا تمنع من معاتبته فى عمله هذا ، « لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع فى ماضيه ، حتى يداوى ما فعل ويرد كل شئ إلى أصله » ، وكان جواب المازنى أن شرع فى نقد شعر شكرى فى إحدى الجرائد اليومية ، ولعلها جريدة « النظام » ، ورد شكرى على نقد المازنى فى الجريدة نفسها .. ولما طبع المازنى الجزء الثانى من ديوانه عام ١٩١٧ دافع فى مقدمته عن نفسه ، وختم مقالته بقوله : « هذا لا يسعنا إلا أن نشكر لصديقنا شكرى أن نبهنا إلى مآخذ شعرنا والسلام » . ولكن لم يصفُ الجو بين الصديقين ، وظهر بجريدة « عكاظ » خلال سنتى ١٩١٩ و ١٩٢٠ فصول فى نقد شعر المازنى والعقاد بقلم « ناقد » ، وظن البعض أن « ناقداً » هو شكرى نفسه .

وفى عام ١٩٢١ ظهر الجزء الأول والثانى من كتاب « الديوان » الذى اشترك فى تأليفه العقاد والمازنى ، وفيهما فصلان كتبهما المازنى فى نقد شكرى وشعره ، فى لهجة عنيفة يتخللها السب واتهام شكرى بالجنون ، وانتهز بعض الكتاب هذه الجفوة بين

الشاعرين فراحوا يزيدون النار ضراما ، وظهرت بعكاظ ثم بمجلة أبولو مقالات فى هذا الموضوع .

وكان الأستاذ مختار الوكيل قد أصدر كتاباً نقدياً بعنوان « الشعراء المجددون » شاد فيه بفضل شكرى وأدبه ، كما أصدر الدكتور رمزى مفتاح كتاباً بعنوان : « رسائل فى النقد » يناصر فيه شكرى على خصومه .. وأخيراً كتب المازنى مقالة فى « البلاغ » – فى أول سبتمبر ١٩٢٤ – يعتذر فيها عما بدر منه ، ويعلن فضل شكرى وتوجيهه له ، وكتب العقاد بجريدة « الجهاد » فى ٤ سبتمبر ١٩٢٤ يعلن أنه لم يتأثر بأحد ، وعلق شكرى على هاتين المقالتين فى البلاغ (١٩٢٤/٩/٦) فقال إنه ليس أستاذاً لأحد ، ثم عاد شكرى فكتب فى « المقطم » فى ١٩٢٤/٩/١٢ كلمة تحت عنوان : « الشهرة والخلود » يكرر ما قاله ، كما نظم قصيدة بعنوان « بعد الإخاء والعداء » ، وقد ذكر العقاد بجريدة « الأخبار » أن هذه القصيدة قيلت فى الأستاذ المازنى ، وزاد فقال إنها من أروع قصائد الأدب العربى .

تلك خلاصة ذلك النقاش الذى دام بضع سنوات ، وبالغ بعض الناس فى نتائجه حتى قال ذلك البعض إنه أرغم شكرى على الانزواء وتحطيم القلم !! .

ولقد زار شكرى القاهرة عام ١٩٤٤ ، وانتهز تلك الفرصة فزار صديقه القديم المازنى فى دار جريد البلاغ ، كما زار العقاد ، ولم يعد ينكر هذا الموضوع أو يتحدث عنه .

وكانت الفترة – كما سلف – فيما بين عامى ١٩١٢ و ١٩٢٨ هى المدة التي قضاها الشاعر مشتغلا بالتعليم بمدارس وزارة التربية ، وبدأ حياته التعليمية مدرساً بالمدارس الثانوية كما سلف ، وأولاها مدرستا رأس التين والعباسية الثانويتان بالإسكندرية ، ثم رقى ناظراً بالمدارس الثانوية الكبرى ، ومنها مدارس الزقازيق والفيوم وحلوان ، والعباسية الثانوية (١٩٢٤ – ١٩٢٥) ، فمفتشاً بالتعليم الثانوى من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٢٨ حين اعتزل الخدمة ولم يعد لأية وظيفة بقية حياته .. فقد بلغ برمه بالوظائف

أقصاه ، وقد ظل بها نحو ٢٦ عاما ، كان يشتهى خلالها التفرغ للأدب والبحث وحدهما ، فلم يلق من حكومات ذلك العهد البائد التقدير الجدير بأديب كبير مثله ، أو العمل الذى يتفق مع مواهبه ، بل لقد كان يرى التجاهل والتخطى فى الحقوق ، وقد ادخر الشاعر من مهنة التعليم كثيراً من الذكريات والتجارب . وكان ينوى فى شبابه أن ينشر كتاباً بعنوان « المدارس » - آراء فى التعليم والقائمين به وفى المدارس ونظارها - ونرى إعلاناً عنه عام ١٩١٨ على غلاف ديوانه الجزء السادس وعلى كتابه « الصحائف » . ولكنه عدل عن ذلك ، واكتفى ببعض الفصول التى نشرها فيما بعد كمقالتيه عن « ذكريات سنى التعليم » (بمجلة الرسالة عام ١٩٣٩) .

وكان الشاعر فى أثناء طوافه بالمدن التى قام بها بمهام وظيفته ، يقضى جل فراغه فى القراءة والكتابة ونظم الشعر ، وكان قد كف عن النشر طويلا ، وإن كان لم ينقطع عن الكتابة والنظم . ثم عاد فنشر بمجلة الهلال فى أغسطس ١٩٣٢ قصيدة عن « الطفل » بتوقيع ع . أ ش ، كما نشر بمجلة أبولو فى يونيه ١٩٣٣ مقالة عن « نقد الطريقة الرمزية » ، نشرتها هذه المجلة التى كانت تناصره ومعها صورة بديعة له ، ثم عاد فكف عن النشر ، وفى عام ١٩٣٥ نشط إلى إذاعة قصائده ومقالاته وقد تراكم منها الكثير . فنشر فى ذلك العام نحو عشرين قصيدة جديدة بالرسالة والمقتطف والمجلة الجديدة وتابع النشر ، فى العام التالى ١٩٣٦ ، فظهر له بالمجلات نحو عشرين قصيدة ، ونحو عشر مقالات ، كما أعاد نشر بعض قصائده القديمة لتوضيح أغراضها . ولم يذع عام ١٩٣٧ غير مقالة بالرسالة بعنوان : « بين تولستوى وماكس نورنو » .

وما كاد الشاعر يعتزل وظيفته بوزارة التعليم حتى رحل إلى مسقط رأسه ومسرح صباه بورسعيد . وسكن مع عائلة أخيه بشارع أفريقية فى إحدى شقق منزل متواضع قريب من البحر تملكه الأسرة هناك ، قانعاً بالمعاش الضئيل الذى كان يتقاضاه كل شهر وعاش نباتياً ، مستقيماً ، مفكراً ، مشغولا بمطالعاته وكتاباته ، متريضاً أحيانا على شاطئ البحر ، ومصطحباً أحيانا أخرى أبناء أخيه يلاعبهم ويدربهم على السباحة

والرياضة ، وظل عزباً لم يتزوج طوال حياته ، ولم يمارس الرذائل ، شغوفاً بالأطفال والأزهار والبحر والكتب . فإذا ما انفرد في مكتبته العامرة بشتى صنوف المؤلفات نسى نفسه أحيانا ، وراح يقرأ حتى اليوم التالي ، وهكذا قضى الشاعر سبعة عشر عاما في بورسعيد ، قلما كان يبرحها إلى القاهرة أو غيرها ، وفي خلال تلك الأعوام ، نشر كثيراً من القصائد والأبحاث في الصحف والمجلات .

ففي عام ١٩٣٨ نشر أكثر من عشر مقالات وثماني قصائد جديدة ، وزاد اهتمامه عام ١٩٣٩ بكتابة الفصول النقدية والأدبية والنفسية ، فنشر منها في ذلك العام أكثر من ثلاثين مقالة ، منها دراسات قيمة في نقد الشعر العباسي ، وقصيدتين جديدتين ، ثم انقطع ثانية عن مراسلة الصحف والمجلات ، وإن كان لم ينقطع عن مطالعاته وكتاباته الخاصة .. وبغتة عاد إلى الميدان عام ١٩٤٧ ، فنشر بعضاً من المقالات في المقتطف ، وتبعها بفصول كتابه : « نظرات في النفس والحياة » .. ظهرت في سلسلة رائعة من ٣٢ مقالة بمجلة المقتطف أيضاً ، وذلك فيما بين أغسطس ١٩٤٧ وسبتمبر ١٩٥١ ، وكلها بتوقيع ع . ش . ويعد هذا الكتاب من خير ما كتب في النقد والتحليل والتعليق على آراء كبار المؤلفين ، ومنهم جوته وبيكون وأناتول فرانس وشوبنهور ومارسيل بروست وابن المقفع ، وغيرهم .

وفي يوم من يناير ١٩٥٢ كان الشاعر يسير في أحد شوارع بورسعيد ، حاملا رزمة من الكتب ، اشتراها كعادته وعاد بها فرحاً إلى بيته ، وإذا بالشلل الذي أفلج نصفه الأيمن يباغته فيترنح ويسنده بعضهم إلى المنزل ، وظل مشلولا بقية حياته ، وبذلك أرغمته العلة على ترك القراءة والنظم والكتابة ، وانصرف إلى الراحة والعلاج ، وكان الشلل قد أضعف ذاكرته قليلا وعطل ذراعه اليمنى التي كان يكتب بها ، ومع ذلك فقد ظل إلى آخر نسمة من حياته محتفظاً بقواه العقلية ، ومتحلياً بالصبر والتجلد والإباء . ولما كان من عادته أن يرد على كل من يكتب إليه ، فقد اضطر إلى الكتابة بيده اليسرى حتى لا يكلف غيره عناء الكتابة بدلاً منه ؛ وبذلك أرسل إلى أهله وأصحابه عشرات البطاقات والرسائل في تلك الفترة العصيبة من حياته !

وفي أكتوبر ١٩٥٥ انتقل إلى الإسكندرية نزولا على رغبة أهله ، وكان يحب الإسكندرية ؛ حيث قضى أعواماً كثيرة طالباً ومدرساً وناظراً ، وحيث طبع كل ما نشر له في حياته من كتب ودواوين .. واستأجر شقة على مسافة قريبة من البحر بناحية سيدى بشر برمل الإسكندرية ، ونقل معه نصف مكتبته ، ونسق كتبه في خزائنها ، ولو لم يستطع العودة إلى مطالعتها .

وفي مكتبه بتلك الشقة الصغيرة كان يستقبل القليل من مريديه وتلاميذه ، ويجلس معهم مرحباً مصغياً ، وقضى هناك الأعوام الثلاثة الأخيرة من حياته ملازماً بيته لا يبرحه إلا فيما ندر ؛ وذلك حينما يصفو الجو فيخرج متوكئاً على عصاه ليشترى شيئا من الحوانيت المجاورة ، ليتسلى ثم يعود إلى صومعته .

وكان لا يهتم بالشهرة والدعاية قدر اهتمامه بالهدوء والسلام ، ولطالما نشر في القديم المقالات والقصائد بتوقيع ع . ش . أو بإمضاءات أخرى ، وحدث أننا أردنا عام ١٩٥٦ تكريمه لبلوغه السبعين فرفض كل نوع من التكريم أو النشر ، وآثر السكينة والسلام . ثم وافق أخيراً على رغبة مجلة « العالم العربى » بالقاهرة – والتى يرأس تحريرها الأستاذ أسعد حسنى – في إصدار عدد خاص عنه في هذه الذكرى ، وصدر العدد في ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ ، وبه بعض الدراسات والذكريات عن الشاعر ، فلفت صدوره أنظار الكثيرين ، وكان منهم من نسيه ، ومنهم من الشباب من لم يكن يعرف عنه غير القليل ، لعزوفه عن الدعاية والضجيج . وراح بعض الأدباء والصحفيين يبحث عن بيته أو يكاتبه ، والرجل بطبيعته السمحة يستقبل كل زائر ، ويرد على كل رسالة أو بطاقة ، يكتبها بيده اليسرى ، ثم تكالب عليه الشلل والمرض السكرى ووهن الشيخوخة ، فهدت قواه ، واستجدت آلام أخرى في نفسه ، وقت الاعتداء الثلاثى الغاشم على بورسعيد ، فقد هدمت قنابل الأسطول الإنجليزى فيما هدمت وهى تضرب بورسعيد ، منزل الشاعر الذى كان لا يملك غيره هو وأسرته ، وأسر ابنا أخيه الضابطان في البحرية ، ولم يسمع عنهما طويلا .

وفي عام ١٩٥٨ – قبيل وفاته – طير بعض مراسلى الصحف بالإسكندرية إلى صحفهم بالقاهرة « نبأ العثور على الشاعر » ! فحضر نفر من المحررين والمصورين

لمقابلته وهو يحتضر ، ثم نسبوا إليه الأحاديث المختلقة والطرائف العجيبة ، كما نسبوا إليه كلمات لم يقلها وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة !

وفى الساعة الثانية بعد ظهر الإثنين ١٥ من ديسمبر عام ١٩٥٨ انتقل الشاعر إلى عالم الخلود ، بمنزله بسيدى بشر برمل الإسكندرية ، وتحققت أمنيته فى الراحة والهدوء والسلام . كما تحققت آماله فلم يمت حتى شهد بلاده تنعم بالحرية والعزة والاستقلال .

وشيعت جنازته عصر الثلاثاء ١٦ من ديسمبر ١٩٥٨ بالإسكندرية ، وكان على رأس المشيعين نائب الرئيس جمال عبد الناصر ، ونائب السيد وزير الثقافة والإرشاد ، ودفن فى مقبرة متواضعة بمدافن « العمود » بالإسكندرية طبقاً لوصيته ، فلقد ترك الشاعر مظروفاً وحيداً كتب عليه : « لا يفتح إلا بعد وفاتى » . وبه ورقة صغيرة مكتوبة بيده اليسرى جاء بها : « لا تدفنونى فى حجرة تقفل على كالسجن . ولكن فى قبر يهال عليه التراب » !

ولقد كتب الكثير من الأدباء عن شكرى – شاعراً وكاتباً وناقداً ومعلماً ومصلحاً – كتبوا عنه شتى الفصول النقدية والتحليلية ، منذ أن أخرج ديوانه الأول عام ١٩٠٩ وما برحوا يكتبون عنه إلى الساعة ، ولو جمعت ما كتب عنه فى هذه الأعوام الخمسين ، وما كتبه هو فى الرد على ناقديه ومناقشة آرائهم ، لخرجت بكتاب كبير يزدحم بالمتناقضات ، وكثيراً ما كان يناقض ناقده نفسه .. ولا عجب فى هذا ، فهو ككل عظيم من الناس تتضارب فيه الأقوال ، وتختلف وجهات النظر ، وتمدحه فئة وتقدح فيه أخرى ، ويطيب للبعض أن يحوك حوله الطرائف والأساطير .

وأراد شكرى أن يوفر على النقاد بعض الجهد ، فأخذ منذ الشباب الباكر ينشر فصول « الاعترافات » فى الصحف ، ثم طبعها عام ١٩١٦ فى كتاب ، كما راح يصحح بعض الآراء فى عدة مقالات لم تزل مبعثرة فى الصحف والمجلات ، إلى جانب الفصول التى تضمها كتبه الخمسة المطبوعة ، ثم كانت مقدماته النثرية التى صدر بها أجزاء دواوينه *الخمسة الأخيرة* : شرح فيها رأيه فى الشعر ومذاهبه ، والشعراء وحقيقتهم ،

كما عرف الشعر والشاعر نظماً في بعض قصائده ، كما في قصيدته « الشعر » (جـ ٤ ص ٣٢٤) و« أغاريد شاعر » (جـ ٤ ص ٣٤٧) وفي أبيات من قصائد أخرى ، ومن ذلك قوله :

والشعر مرآة الحياة تطل في مرآتها

فتراه في آلامها وتراه في لذاتها

والكون آية شاعر يأتي بمبتكراتها

ويقول في إحدى تلك المقدمات الموضحة : « لو كانت الحياة شجرة لكان الجمال زهرها والشعر طائرها . وكل شيء في الوجود قصيدة من قصائد الله ، والشاعر أبلغ قصائده ، والشاعر هو الذي لا يعيش مثل أكثر الناس مقبوراً في الأحوال التي تحوطه ، هو الذي يحلق فوق ذلك اليوم الذي يعيش فيه ، ثم ينظر في أعماق الزمن آخذاً بأطراف ما مضى وما يستقبل ، فيجئ شعره أبدياً مثل نظرته ، وهو الذي يلج إلى صميم النفس فينزع عنها غطاءها . لقد كان بالأمس نديم الملوك ، وحلية في بيوت الأمراء ، ولكنه اليوم رسول الطبيعة ، ترسله مزوداً بالنغمات العذاب ، كي يصقل بها النفوس ويحركها ويزيدها نوراً وناراً » .

والحق ، إن نفس شاعرنا كانت مرآة عظيمة صافية ، تنعكس عليها صورة الحياة ومناظر الوجود .. فهنا ترى صور الحياة الدنيا في مدها وجزرها ، وسعادتها وشقائها ، وتفاؤلها وتشاؤمها ، وحلوها ومرها .. وهنا تعرض أمامك صور الطبيعة في كافة أشكالها وألوانها ، فترى سماءها وأفلاكها ، وبحرها وبرها ، وجبالها ووديانها ، وصحراءها وخضرتها ، وغابها وشلالها ، واختلاف فصولها وأجوائها .. « فإذا رأيت أن شعره جزء من الطبيعة مثل النجم أو السماء أو البحر فاعلم أنه خير الشعر ، وأما إذا رأيته وأكثره صنعة كاذبة فاعلم أنه شر الشعر ! » .

وها هنا ترى صور النفوس البشرية في سموها وضعتها ، خيرها وشرها ، فإذا ما أطربك من مرأى جنات الخير والفضائل ، وكشف لك عن محاسن المحبة ، والجود ، والرحمة ، والأمانة ، والعفة ، والسلام .. عرج بك إلى الجحيم الرذيلة والشر ، فكشف لك

عن قبحها وضراوتها ونفّرك من بشاعتها ، فترى قبح الظلم والحقد ، والحسد واللؤم ، والخداع والرياء ، والبغض والعداء ، وهو فى هذا كله لا يعنى إنساناً بالذات فيمدحه أو يهجوه ، بل هو يمدح الفضائل أينما كانت ، ويذم الرذائل حيثما وجدت .

وكما يصور لك النفوس فى كمالها ونقصها ، يصور لك أيضاً الأجساد فى فتنتها وقبحها ، وما تلده تلك الفتنة فى النفس من حب وهجر ، وصد وعتاب ، وأمل ويأس ، وشوق وحنين ، وابتسامات ودموع .

فأنت أمام دنيا سحرية زاخرة بألوان الجمال ، وأزاهير الحب ، ورياحين الحكم ، وأنوار الفلسفات ، وأنت أمام دنيا من الأنغام والموسيقا والترانيم ، تأخذك أول وهلة تلك « السمفونية » الرائعة الصادرة عن قلب يحكى « الأركستر » الكثير الآلات ، والمتعدد النغمات ، فإذا زدت تمعنًا وجدت وسط ذلك المحيط من العاطفة المتوقدة ، والخيال المحلق ، والألحان المنوعة ، والصور الشاملة للنفس والحياة والطبيعة ، فكراً قوياً مسيطراً ، أشبه « بالمايسترو » القدير ، الذى لا تفلت الآلات والأنغام من رقابته .

والحب عند شكرى هو الحياة ومحور الوجود .. الحب الصوفى النبيل .. والعشق الأسمى العفيف ، الخالى من المجون والميول الوضيعة ، الدافع إلى الخير والفضيلة :

يا من به قد نسيت الشر أجمعه   لا يجتلى الحسن والأرزاء فى آن

ولن يضيع رجاء فى الحياة إذا   ما ظل حبى مكلوءا بإيمانى

****

لست الخليق بأن تنال محبتى   إن لم تنل من عفة ورشاد

إنى أريدك كعبة لا حانة   إن الدنايا جمة الوراد

خير الهوى حب الفضائل والنهى   ومودة الأمثال والأنداد

فتفرد فى الغزل والنسيب ، فى رقة وعفة ورجولة ، واقترنت ترانيم الحب عنده بصور الجمال البشرى والطبيعى فى شتى أجزائه ، وبموسيقى النظم ، ومحاسن التشبيهات ، وتعد ترانيم الحب المتفرقة فى جميع دواوينه ، فى جملتها ، من أعذب وأعظم أشعار الحب والغزل فى الأدب العالمى بأسره ، وكان ينبغى أن يلحن منها الكثير ، ويتغنى بها المطربون ..

وتراه يناجى « المحبوب » بلفظة المذكر ولو كان أنثى، بالأسلوب الصوفى التقليدى ، وهو المحبوب المثالى الذى يعيش فى خيال الشاعر أكثر مما يعيش فى الحقيقة والواقع .. « وما يدرينا – على حد قوله – لعل قيساً بن الملوح كان يشبب بليلى التى فى الدنيا ، التى فى نفسه ، لا بليلى العامرية ! » .

ويوضح لنا الشاعر (فى مقدمة ديوانه الرابع) منزلة الغزل فى الشعر : « وإن مزية الغزل سببها أن حب الجمال حب الحياة . وكلما كان نصيب المرء من حب الجمال أوفر ، كان نصيبه من حب الحياة أعظم . وحب الحياة والجمال من العوامل الاجتماعية القوية التى تزجى الأمم إلى التفوق والاستعلاء ... » .

وشكرى يحب الله ، ويحب الوطن ، ويحب الحياة ، ويحب الجمال ، ويحب الناس ، ويجب الحب ، ولكنه ينفر من الشر والرذيلة والانحراف والقبح .. ويخطئ من يزعم أنه كان يرفض الحياة ، ويزهد فيها ، ويهرب منها ، ويعيش دائما فى عزلة واعتكاف وتشاؤم ويأس . وحتى فى سنيه الأخيرة ، وقد حطمه الشلل ، وقف مرة فى نافذة بيته يسرح البصر فى جمال البحر ، فطرب من روق الجو ، فأخذ قلماً وكتب بيده اليسرى : فى فبراير ١٩٥٦ « .. فاليوم الجو صحو فى الإسكندرية . أقول اليوم والواجب أن أقول الساعة : الجو بلورى ! » .

والعالم عنده عالمان – (مقدمة الجزء السادس) – « عالم الجمال ، وعالم القبح ، وكل منهما ممتزج بأخيه ، منعدم فيه ، والشاعر رسول الجمال ، يسعى فى تحقيق عالمه . وإنما الخير ضرب من الجمال ، والشر ضرب من القبح . والشاعر يعرف أن الشر

محتوم ، ولكنه يعرف أن من الحتم أيضاً الطموح إلى ما وراء الشر المحتوم من الخير المحتوم . ومن أجل ذلك كان كل شاعر كمالياً ، سواء أعرف أم لم يعرف ... » .

وشكرى رجل مؤمن بالله وخيره وجماله ، وله صوفيته الدينية السامية . ولقد دافع عن إيمانه فى مقدمة الجزء السابع حين قال : « ولى كلمة أريد ذكرها فى العقيدة ، ومن يذيع بين الناس أنى على غير هدى ! وأكثر أمثال هذا إما من الجهلاء الأغبياء ، وإما أهل الحقد والحسد . فليس التساؤل والامتعاض من مظاهر الشر ، قلة فى الإيمان ، بل إن ذلك غاية الإيمان .. » .

أليس هو القائل :

إنما الدين قوة وجمال ... وحياة وعدة وعديد

كيف يدرى جلالة الله غر ... حركته ضغائن وحقود ؟

والقائل فى قصيدة : « صوت الله ونجوى المؤمن » :

أنصت ففى الإنصات نجوى النفوس ... فإن صوت الله دان كليم

والنفس بيت الله إن طهرت ... والنفس إن لم تصف مثل الجحيم

وهو يدعو إلى الرحمة بالناس ، وإلى الأخوة العامة :

تعلمنى الأقدار أن أرحم الورى ... فقلبى لكل العالمين رحيم

وإن جميع الناس أهلى وإخوتى ... وإن كان منهم جارم وذميم

وقد تكون هناك حيرة وتساؤل وشك ، ولكن :

والشك مشعال الحكيم وربما ... أضحى حريقاً للجهول الوانى !

وهو يعود لينبه قارئه إلى « سوء الفهم الذى يعتور بعض الناس فى قراءة القصائد

التى تشرح أمثال هذه الخواطر ، والعواطف النفسية التى لها علاقة بالحياة والخلق . فإنه لا يحاول تفهم مغزى القصيدة ، الذى لا يستخلص من أبيات مفردة من القصائد ، بل يستخلصه بأن يفهم وحدة القصيدة الفنية ، وما تقتضيه المقابلة الفنية من اختلاف جوانب الرأى فيها ، واختلاف حالات النفس التى ضمتها القصيدة .. » .

وكما أنه ينبغى على القارئ ألا يتسرع فى الحكم على الشاعر من بيت أو أبيات مفردة ، لا من وحدة القصيدة أو جملة الديوان ، فينسب إليه المروق والإلحاد وهو المؤمن المحب لله ولخليقته ، أو يصفه بالتشاؤم وهو المتفائل المرنم بجمال الحياة ومباهج الوجود فى أكثر شعره ، أو يلصق به الهروب من المجتمع وهو من قضى جل حياته يكتب لهم وينظم ، ويعلم ويربى ، كذلك لا يجب الخلط بين الحقائق التى يؤمن بها الشاعر وبين السخرية اللابسة ثوب الحقيقة أحيانا ، أو الخلط بين التخيل والتوهم (وهو من شرح لنا هذا الفرق فى مقدمة ديوانه الخامس) .. إن الحكم فى كل ذلك للديوان ككل لا يتجزأ ، كما أن النفس لا تتجزأ ، وإن كانت تلبس لكل ظرف لبوسه ، كالسنة تتغير فصولها وتتشكل أجواؤها ، ولكنها سنة واحدة .

هذا الديوان تتشكل فصوله أيضا ، ولكنه يجتمع فى النهاية فى ديوان واحد لشاعر واحد ؛ فبعض قصائده مطولات تجتمع فيها العاطفة والفكر والإرادة ، وبعضها ترانيم وأناشيد وأغان « ليريكية » نظمت للموسيقى والغناء ، وبعضها شعر قصصى للعظة والعبرة ، والبعض شعر مرسل ملئ بالحكم والتجارب ، وغيره رباعيات بها رائع الأمثال .. وهنا وهناك تفنن فى المعانى وابتكار فى القوافى ، وتحرر من القافية أحيانا ومن قواعد العروض قليلا .. روح شعرى منطلق متحرر ، لا يترسم خطا غيره من الشعراء ، ولا يتقيد بنهج معين مرسوم ، وقد يذكرك بشكسبير فى إحاطته بصور النفوس خيرها وشرها ، وحينا ببيرون فى رعده وبرقه ، أو بشلى فى مثالياته ، أو ببليك فى رمزياته ، أو بالمعرى فى بعد غوره وفرط ذكائه ، وتوقد خاطره ، وتعمقه فى التصورات الفلسفية ، وفى زهده وشكه وحيرته ، أو بأبى تمام فى لطافة حسه وميله إلى الحكم

والعظات ، أو بالبحترى فى بداعة الخيال الشعرى ، وصقل اللفظ ، وبداعة المعنى ، أو بابن الرومى فى المعانى المخترعة والتوليد النادر ، أو بابن المعتز فى براعة الوصف والتشبيهات ، أو بالمتنبى فى ثروة الحكم والأمثال ، أو بابن الفارض فى صوفيته وروحانيته ، أو بابن هانئ الأندلسى فى فخامة اللفظ وروعة التراكيب وإجادة التشبيه .. قد يذكرك بهذا أو بذاك ، ولكنه فى النهاية نسيج وحده ، لا يحتذى ولا يسطو ، ولا ينسب لنفسه ما ليس له .

وكما يقول الدكتور محمد منور فى مقاله عن شكرى : « .. وبذلك جاء شعره أصيلا متميزاً بطابعه الخاص . فهو لا يمكن أن يوصف بأنه شعر عاطفى ، ولا بأنه شعر عقلى ، ولكنه شعر ذو طابع خاص يمكن أن نصفه بأنه شعر التأملات النفسية أو الاستبطان الذاتى ؛ أى تأمل العقل فى النفس البشرية وتحليل عناصرها كوسيلة لمعرفة تلك النفس .. » .

لقد كان شكرى رائداً أهلّ على القصيدة العربية فوجدها ترسف فى أغلال من الشكل والموضوع التقليديين . فكان فى طليعة المبادرين إلى تحرير الشعر من الأغراض القديمة التى كانت تستنفد طاقة الشاعر الإبداعية ؛ فعمد إلى تجاربه الذاتية ، وانفعالاته الخاصة ، ينظمها شعراً رائعا عكس موقفه من الحياة والناس . كما أنه لم يخضع للصياغة الكلاسيكية الموروثة ، فافتن فى أوزانه ؛ مما أضفى على شعره مرونة وموسيقية ، كما كان له الفضل فى أن يكون أول من يثور على القافية ، ويرى فيها عائقاً عن الوحدة العضوية للقصيدة . فأدخل الشعر المرسل . وبذلك أسهم فى وضع أساس القصيدة العربية الجديدة .

أما عن الأسلوب اللغوى ، فلشكرى طريقته الخاصة فى النظم والتعبير .. شعر عربى قوى رصين ، وأسلوب لغوى مكين متين .. يدل على تبحر الشاعر فى اللغة وأساليبها ، وألفاظها ، واشتقاقات الألفاظ ومترادفاتها .. والذين لا ينظرون إلى هذا

الديوان إلا بمنظار اللغة وحدها ، نحوها وصرفها ، فلهم ألا يتسرعوا فى الحكم على هفوة هنا أو فلتة – غير مطبعية – هناك ، قبل القليل من التحقق والبحث . فإن لغتنا العربية أرحب صدراً ، وأكثر مرونة ، وأوسع ترادفا واشتقاقا مما نظن أول وهلة .. وأمامنا المعاجم الكبرى تؤيد هذا وتزيد عليه .. ونحن لا نحاسب الشعراء المجنحين ، كما نحاسب علماء النحو والصرف والعروض . بقدر ما نحاسب الطيور المنطلقة فى رحب الفضاء على طريقة حطها وطيرانها .. ومع هذا كله ، فأين هو الشاعر الذى لم يهفُ قط ؟ !

* * *

هذا هو ديوان الشاعر العبقرى عبد الرحمن شكرى ، فى واقعه وفى طبعته الأولى الشاملة الجامعة .. بعد أن نفدت طبعات أجزائه الأولى منذ أربعين عاما ، ولم يجمع جزؤه الثامن والأخير قبل اليوم .. نخرجه وفاء لأستاذنا ، وعملا بتفويضه ، – وإن كنا لم نحذف منه شيئا – عالمين بأن سنة التطور سوف تخرجه فيما بعد أكثر كمالا ودقة ، وشكلاً وشرحا . فقد كان همنا هنا أن نجمع – بقدر المستطاع – شمله ونضعه فى أيدى أدباء الجيل الجديد الذين كانوا يبحثون عنه ، ويطالبوننا بجمعه وإخراجه .

ولقد تركنا دواوين الشاعر متتابعة طبقاً لتاريخها القديم كما أصدرها الشاعر فى حياته ، دون تبديل ولا تعديل ، وبترتيب القصائد كما كان فى الأصل .. فقد أصبحت فى ذمة التاريخ وهو يقتضينا الدقة والأمانة .

وما كان فى مقدور من يخرج مثل هذا الديوان فى مجلد واحد ، أن يعمد إلى شرح كل بيت وكل لفظ .. وإلا احتاج الأمر إلى مجلد آخر .. فهنا مئات الألفاظ والأبيات التى فسرت فى الهوامش ، ولكن هناك أيضا ألفاظ كثيرة قد يصعب على القارئ المبتدئ تفهمها . كما أن هناك كلمات شرحت مرة ثم تركت لتكرارها فى قصائد أخرى ، وكذلك

لم يكن من السهل شكل هذا الديوان شكلا كاملا كما يحدث فى كتب المطالعة المدرسية .. وأخيراً لم يكن من المستطاع خروجه خلواً من كل هفوة مطبعية لاسيمّا فى الشكل والهمزات وما أشبه .. ففى الطبعات المثالية القادمة نرجو الكمال .. ولله تعالى الحمد على توفيقه ، ولكل من أيدنا وعاوننا وشد عزيمتنا ، عميق الشكر والوفاء .

عبد الرحمن شكرى

رائد الشعر الحديث واحد أساطين الأدب العربى

بقلم محمد رجب البيومى

ما ذكرتُ فقيد الأدب العربى المغفور له الشاعر الكبير الأستاذ عبد الرحمن شكرى ، إلا طاف بذهنى قول أبى الطيب : « ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله » . فقد كان ذهنه الجبار سر مأساته ، إذ أتعب نفسه فى التعليل والتفسير لأوضاع متناقضة تتعدد فى دنيا مليئة بالغرائب والفجاءات ، وقد رزق من رهافة إحساسه ، وشبوب عاطفته ما عمق أغوار المأساة فى فؤاده الملتاع .. وبعقله الحصيف ، وإحساسه الرقيق ، ناء تحت عبء ثقيل من المحن ، فضاق بالأحياء والحياة ، وانزوى فى ركنه الهادئ البعيد ، حتى لقى ربه ، فاستراح من شجنه الثائر ووجده المقيم .

ولقد نشأ الشاعر فى أسرة مثقفة مستنيرة ، فقد كان جده أستاذاً للغة الفرنسية ، ووالده رجلا وطنيا ناصر الثورة العرابية ، وتعرف بزعمائها وأبطالها ، حتى إذا بلغت نهايتها الأليمة ، ترصده الاعتقال والفصل والتعذيب ! وقد ولد فى هذا الجو العابس نجله عبد الرحمن ، فتفتحت عيناه على مظاهر الأسف والحسرة فى أسرته ، والحزن واللهف فى أمته ، ثم نما عوده فتخرج فى مدرسة المعلمين العليا ، وسافر إلى إنجلترا فى بعثة تعليمية ، ورجع إلى وطنه ، وقد ألم بثقافات متسعة محيطة ، وعرف الجديد عن رسالات الخيال والفكر والشعر فى الحياة ، وعقد العزم على التبشير بمُثُل رفيعة فى عوالم الفن والفكر والتربية ، ثم والى أبحاثه الأدبية وقصائده الشعرية فى قوة وإيمان ، فكان رائدا كبيراً فى المضمار الأدبى شعراً ونقداً وتصويراً ، ولكن نوازعه الصريحة قد ألّبت عليه كثيراً ممن أشربوا أدبه ونهلوا من حياته ، فثابر وجالد حتى أدركته العلة الوبيئة ، فلجأ إلى الاستسلام بعد إنتاج حافل ، ويقظة ذات توجيه وتسديد .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد فى تحليل مأساته - نقلا عن جريدة الأخبار ١٩٥٨/١٢/٢٢ : « كان شكرى رجلا مرهف الحس ، عزيز النفس ، كبير الأمل ، كانت

له آمال فى النهضة الأدبية ، وآمال فى وظائف التعليم ، وآمال فى حياته الوجدانية ، فلم يظفر من جميع هذه الآمال بغير الصدمات تلو الصدمات ، ولم يكن له جلد على العراك والجدال ، ولم تكن له تلك الأعصاب التى تثيرها الصدمة بعد الصدمة إلى الحركة . فاعتزل الصحب والناس ، وسكن إلى مأواه الأمين » .

وقول العقاد صادق فى أكثره ، فقد حصر الجهات الثلاث التى اتجه إليها الشاعر ، وسيطرت ردحاً على آفاقه ، فقدم لنا فى محيطها الشاسع خير ما أنتج من أفكار وأقوى ما أسس من البناء ، وإذا كان الرجل قد قوبل بالصدمات تلو الصدمات ، كما ذكر الأستاذ العقاد ، فقد كانت هذه الصدمات تجد مكانها فى شعوره وحده ، ولكنها لم تصب ما أذاع على الناس من روائع خالدة فى البحث النفسى ، والتحليل الأدبى ، أو ما تغنى به من قصائد قوية رنانة كانت فاتحة نهضة حية فى الشعر العربى ، وطلائع صباح مؤتلق وضئ .

لقد كانت رسالة الشعر فى مطلع هذا القرن مجهولة أو كالمجهولة لدى كثير من الشعراء والقراء معاً ؛ فالكثرة الكاثرة من أولئك وهؤلاء يرون جودة الصياغة ، وجزالة التركيب ، وكثرة التشبيه هى كل ما يطلب من الشاعر ، ولا ينتظرون منه غير الحديث عن الأغراض التقليدية فى قوالب محفوظة تمدها الذاكرة الدارسة لا الإحساس المتوقد ، وقصارى المجيد منهم أن يتحدث عما يشعرون به من العواطف السطحية ، أو يألفونه من حوادث الحياة اليومية ، مثل افتتاح خزان ، أو بناء مدرسة ، أو تهنئة بميلاد ، أو مرثية لفقيد . فجاء مطران لينتقل بالشعر إلى الموضوعية الرحبة ، وليتحرر من القوالب المكرورة ، وجاء شكرى عقبه ليعلن وحدة القصيدة ، ويوضح رسالة الشاعر فى الحياة ، وليعمق نظرات مطران - رحمه الله - إلى الفن تعميقاً يصل به إلى الأغوار الدفينة والمسارب الملتوية فى ظلمات الهواجس ، واختلاج النوازع ، ثم ليحل به أسرار الوجود ؛ فيعلل ظواهره ، ويفسر تياراته ، فوظيفة الشاعر كما يقول شكرى : « هى الإبانة عن الصلات التى تربط أعضاء الوجود ومظاهره ، وكل شاعر عبقرى خليق بأن يدعى متنبئاً ،

أليس هو الذى يرمى مجاهل الأبد بعين الصقر ، فيكشف عنها غطاء الظلام ، ويرينا من الأسرار الجليلة ما يهابها الناس فتغرى به أهل القساوة والجهل ؟ » .

وقد أغرى أهل القساوة والجهل بشكرى رحمه الله ، فتعرض لحملات جاهلة من نظامى القريض ، ومحترفى الصناعة ، إذ عجزت قرائحهم الكليلة عن إدراك مناحيه ، فإذا أخذتهم قوة فكرته ، واضطراد منطقه ، ظنوا بشعره جفافاً موهوما ، وجمودا مزعوما ، ونأوا به عن العاطفة المترقرقة ، والوجدان المشبوب ، واهمين أن العاطفة قرينة السطحية والسذاجة والبداهة ! جاهلين أن الوجدان فى عمقه وسعته وانبساطة ، يمنح الشاعر خصوبة حية ونماء مثمرا ، وشكرى يضطر إلى الرد عليهم فيقول : « إن الشعر مهما اختلفت أبوابه لابد أن يكون ذا عاطفة ، ولا أعنى بشعر العواطف رصف كلمات ميتة تدل على التوجع أو ذرف الدموع ، فإن شعر العواطف يحتاج إلى ذهن خصيب وخيال واسع لدرس العواطف ومعرفة أسرارها وتحليلها ، وقلب الشاعر مرآة الكون ، فيه يبصر كل عاطفة جليلة شريفة ، أو قبيحة مرذولة » .

وإذا كان توماس كارليل قد جعل الشاعر فى كتاب الأبطال بطلا يلى النبى منزلة ومكانة ، فما نحسبه يختلف عن شكرى في فهم رسالة الشاعر المجيد ، تلك الرسالة التى تلوح فى استشفاف الروح الإلهى المتدفق فى الأحياء والأشياء ؛ فعليه أن يؤدى مهمته السامية فى إخلاص ووفاء سواء لقى الإقبال أو الإعراض ، فهو – مشتهراً أو غير مشتهر – يقوم بدوره الحى فى الوجود الإنسانى ، فإذا مات كانت الشهرة كما يقول شكرى - فى كتاب الاعترافات – زهرة على قبرة ، فإذا لم تسعده الشهرة ، هبطت روح الطبيعة على قبره تظلله بجناحها ، وتفرخ فوقه أبناءها الشعراء ، تلك الأرواح التى تستمد الوحى من عظامه ، وتسقيه من دموع الرحمة والحب والحنان ... » .

وشكرى إذ يقول ذلك ، إنما يسطر الوحى الملهم فى سياق نثرى لا يدع من الشعر غير القافية والوزن ، وكثيراً ما كانت تأملاته الفكرية ميداناً رائعاً للخيال والإلهام

البصير ، على أن القدر الساخر قد شاء لشكرى أن يحاربه أنصاره وتلاميذه من دعاة التجديد والانطلاق ، فيكابد من حرب الرجعية والتقدمية معاً نارين مستعرتين ، وتضطرب أعصابه فى مجالين متناقضين فيميل إلى الانطواء . ولعل مما يعزينا في ذلك أن الرجل قد قاوم فترة طويلة حتى استطاع أن يكتب مئات القصائد ، وأن يخرج أيضا مئات الفصول والأبحاث فى مختلف فنون الثقافة ! وبذلك احتل مكان الريادة فى الأدب العربى عن جدارة أكيدة وجهد سباق .

أما الحقل التربوى فقد جابهه بأشواك وصخور ، فقد قرأ الشاعر كثيراً عن أساليب التربية الحديثة ، ولمس التقدم التعليمى فى أوربا لمس المتأمل البصير ، ثم عاد إلى مصر ، فوجد المدارس لعهده ، تمهد للوظيفة لا للتربية . وتعطى الدروس للاستظهار لا للتمثيل ، وهى قبل كل شئ بعيدة كل البعد عما ينبغى له من دراسة المجتمع وتفهم نفسيات التلاميذ على ضوء الأبحاث السيكولوجية والاجتماعية ! وتلك حال تصيب المربى الملهم بعقابيل مؤلمة تؤرقه وتضنيه . أضف إليها ما أحاط به من كيد الوصولية ، وتناطح الزمالة ووثوب الأنانية ، وكان شكرى بطبيعته منكمشاً يألف الوحدة ، فحسب هذا عليه ، وعد تكبراً وصلفاً ، ولعل أحرج ما قاساه من ذلك قد كان فى نظارته للمدارس الثانوية ، وإنه ليقول فى مذاكرته عن سنى التعليم التى نشرها سنة ١٩٣٩ بمجلة الرسالة الغراء : « ومنصب ناظر المدرسة الثانوية منصب تحوطه العداوات ، فإذا أراد أن يهئ أسباب النظام قيل إنه متشدد مرهق مجرم ، وإذا تسهل وترك الأمور تجرى فى مجاريها قيل إنه ضعيف كسول ، وإذا كان بين بين اتُّهم تارة بالإرهاق والإجرام ، وتارة بالضعف والكسل ، واتهم فوق ذلك بالتذبذب والاضطراب » ... وإذا كان الرجل قد ولى النظارة فى عهود مترنحة تعصف بها زعازع السياسة الحزبية ، فإنه باعتداله ونزاهته قد كسب خصومات أليمة ، وأذكر أن بعض كبار الرسميين قد رجاه أن يزيد درجة ابنه فى اللغة الإنجليزية لينتقل من فرقة إلى فرقة فوقها ، فأفهمه شكرى أن الناظر لا يملك شيئا من ذلك ، فاضطغن عليه وشهر به لدى الرؤساء ، فظنوا به الظنون ، ثم آثر الاستقالة حين

تقدمه فى الترقية من دونه دون سبب معقول يذكر ! فأراح الشاعر نفسه ، وترك شئون التعليم لمن يجيدون التحايل والانتهاز . وهكذا خرج من ميدان العمل صفر اليدين قانعاً بمعاش ضئيل لا يفى ببعض ما تطلبه العلة المرهقة من دواء ! فضلا عن الطعام والسكنى والكساء .

أما إخفاقه الوجدانى فلا نعرف دواعيه الأصيلة ، إذ إن شكرى فى غزله وحنينه وشكواه لم يكن شاعرا جزئيا يرسم الصورة القريبة من علاقاته الشخصية ، ولكنه كان يربط الحب بالوجود ، فيتحدث عن فلسفة الألم وطغيان الحسن ، ويرى فى جمال حبيبته مثالا رائعاً لجمال مثالى يتدفق فى النهر والزهر والبدر والأفق والشجر وشتى مجالى السحر فى الطبيعة الناطقة والصامتة ! ومثل هذا العاشق لا تدرك قصته العاطفية من قصائده ، إنما تستشف نوازعه استشفافا يشعل الإحساس ، ويدفع الفكر إلى الاستبصار ، ولن نلمس فى الشعر حقيقة الحوادث العاطفية إلا عند شاعر حسى يدون قصائده الغزلية على طريقة المذكرات اليومية ، ولن يكون ذلك عبد الرحمن شكرى بحال !

على أن اعترافات الشاعر ، وهى قريبة جدا من المذكرات اليومية ، تؤكد لنا أن الرجل قد أحس الحب إحساسا عميقاً تغلغل فى أغواره ، وتسرب فى أعماقه ، وهى وإن لم تصف نهاية حبه التى لا نعرف عنها غير الإخفاق ، فإنها تصور شكرى العاشق تصويراً رائعا ، وتجلو لك صورة حلوة من عاطفة الشاعر ، وأخيلته الحالمة المغردة ، فهو يقول : « إن طيش الحب مثل طيش العصافير فى حركاتها ، وإنه ليخيل إليه أن الحب قد أنبت فى كتفيه أجنحة يطير بها إلى حيث يشاء ، فيحسب أنه لو رمى بنفسه من نافذة منزله لم يسقط ، ولم يصبه أذى ، بل يطير به الحب ، ويخيل إليه أنه قادر على أن يقفز من شارع إلى شارع فوق المنازل من غير أن يلمسها ، ويسمع الحب ألحاناً وأنغاماً غريبة لا يسمعها غيره ، ويحسب أنه مركز هذا الوجود ، وأن حبه موجود منذ الأزل خالدا إلى الأبد مثل جمال حبيبته ، ويحسب أن هذا الوجود لو أصابه العدم لبقى حبه مستقلا عن الوجود » .

وقد كان فشل شكرى الوجدانى أمراً محتوماً لمن له سبحاته ونوازعه ، فالعاشق إذا كان مفكراً محللا من ناحية وعاطفياً ثائراً من ناحية ثانية فإن أمواج الهواجس ، وتيارات الظنون لابد أن تقيمه وتقعده، وقد يتحدى القدر بعض العمالقة فيغريهم بدمية حسناء ليس لها رصيد غير الجمال ، فهى لا تفهم صاحبها ، ولا تستطيع أن تسبح معه فى عوالمه ، فتتسع الفجوة بين القلبين ، وتأتى الجفوة الظالمة فتسحق القلب وتذيب الضلوع !! ولعل هذا ما كان .

إن مأساة شكرى هى مأساة العقل الحصيف والإحساس المتوقد ! ذلك العقل الذى يحلل كل شئ ويعلل كل شئ ! وذلك الإحساس الذى يستشف أدق السرائر ، وألطف الخواطر ! ولئن رماه الداء بكارثته الأليمة فما بلغ به غير جسمه ، وبقيت روحه عالية شماء تكلف صاحبها ما تقتضيه الرجولة والإخاء ، فكان لا يهمل الرد على أقل بطاقة صغيرة ترد إليه ، بل يكتب بيده اليسرى ما عجزت عنه يمينه الشلاء ! وظل صابراً على فراش مرضه البطئ حتى لقى ربه ، فعرف الناس مكانته ، وشرفته الدولة أعز تشريف ، وفاضت أنهار المجلات بتحليل أدبه ، والاعتراف بزعامته ، ولن نخلى هذه المقدمة المتواضعة من بعض ماقيل ، ولكننا نختمها بقول الأستاذ عباس محمود العقاد نقلا عن مجلة الهلال فبراير سنة ١٩٥٩ : « .. وله فى ميدان القريض فضل الرائد الذى سبق زمانه فى عدة صفات مأثورات : فهو من أسبق المتقدمين إلى توحيد بنية القصيدة وإلى التصرف فى القافية على أنواع من التصرف المقبول ، فنظم القصيدة من وزن واحد ومقطوعات متعددة القوافى ، ونظمها مزدوجات وأبياتاً من بحر واحد بغير قافية ملتزمة ، وآثر فى تجاربه الأخيرة أن تلتزم القافية مع تعديدها فى مقطوعات القصيدة الواحدة ! وتسنى له فى جميع هذه المناهج أن ينظم الكثير من القصص العاطفية والاجتماعية قبل أن يشيع نظم القصص فى أدبنا الحديث .. » .

هذا رأى العقاد ، وإنه لشهادة رائعة بزعامة الشاعر وريادته ، وما أجدرها أن تكون مسك الختام لمقدمة سريعة تعتمد على الإيجاز .

الطبعة الأولى للديوان جميعه
في مجلد واحد
عام ١٩٦٠
بتفويض من الشاعر
ويشمل أجزاء الديوان السبعة التى طبعها
الشاعر فى حياته من ١٩٠٩ - ١٩١٩

والجزء الثامن ، ويتضمن القصائد
التى نشرها الشاعر فى الصحف والمجلات
بعد عام ١٩١٩ ، والتى لم تنشر
ولم تجمع من قبل فى ديوان .

مؤلفــات

عبد الرحمن شكرى

(أ) - شعر :

ديوان عبد الرحمن شكرى (فى ثمانية أجزاء) :

١ - الجزء الأول	:	ضوء الفجر	١٩٠٩ و ١٩١٤
٢ - « الثـانى	:	لآلئ الأفكار	١٩١٣
٣ - « الثـالث	:	أناشيد الصبا	١٩١٥
٤ - « الرابـع	:	زهر الربيع	١٩١٦
٥ - « الخـامس	:	الخطرات	١٩١٦
٦ - « السـادس	:	الأفنان	١٩١٨
٧ - « السـابع	:	أزهار الخريف	١٩١٩
٨ - « الثـامن	:	(ويشمل القصائد التى نشرها الشاعر فى الصحف والمجلات ، والتى لم تنشر، ولم تجمع بعد فى ديوان ١٩٦٠) .	

(ب) - نثر :

١ - كتاب الثمرات ١٩١٦

٢ - « حديث إبليس ١٩١٦

٣ - « الاعترافات ١٩١٦

٤ - « الصحائف ١٩١٨

٥ - قصة الحلاق المجنون ١٩١٩ (بقلم ع . ش)

٦ - فى الشعر العباسى - (نشرت فصوله متفرقة بمجلات : الرسالة ، والثقافة ، والهلال ، والمقتطف ، فيما بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، ولم تجمع بعد فى كتاب) .

٧ - دراسات نفسية - (نشرت فصوله بمجلات الرسالة ، والثقافة ، والمقتطف ، والهلال فيما بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ولم تجمع بعد) .

٨ - بين القديم والجديد - (سلسلة مقالات فى إيضاح حقيقة القديم والجديد فى الأدب . نشرت بمجلة الرسالة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ بإمضاء مستعار ، ومصدرة بهذه العبارة : « بقلم أحد أساطين الأدب الحديث » .

٩ - كتاب « نظرات فى النفس والحياة » - (نشرت فصوله بمجلة المقتطف بالقاهرة فيما بين أغسطس ١٩٤٧ وسبتمبر ١٩٥١) بتوقيع ع . ش .

١٠ - مقالات وأبحاث مختلفة فى النقد والأدب - (نشرت فى الصحف والمجلات فيما بين ١٩٣٣ - ١٩٤٧) .

الجزء الأوّل

ضوء الفجر

أَلا يا طائرَ الفردو س إنَّ الشعرَ وجدان

(من قصيدة « عصفور الجنة » فى الجزء الثالث لصاحب الديوان)

الطبعة الأولى للجزء الأول

عام ١٩٠٩

والطبعة الثانية ١٩١٤

كسرى والأسيرة

قصــة

يا فتاةَ الحيّ قومي فاسمعي   قصةً تقتل أطماعَ الهوى

قصة ذات اعتبار آخذ   بصميم اللبِّ يقريه الهدى (١)

غضب الجبارُ كسرى غضبةً   فنما من شره ما قد نما (٢)

غضبة ذات وعيدٍ رائع   ترك العرب كأطيار العرا

ترك العربَ على عزتها   تبتغي المنعةَ ما بين الربى

أرسل الغارة في ذي مرة   ينزع الغلَّ بتقطير الدما (٣)

يفقد الطرف لديه لحظه   ويضل السيف فيه والقنا (٤)

رام أمراً لم يرمه غيرُه   رُبَّ باغ نال أطراف المنى

فرمى العرب بعزم ناقمٍ   ذي اغتيال لم يمانعه حمى

فغزا من أرضهم ما قد غزا   وسبى من أهلهم ما قد سبى

إن في السبى لخوداً علمت   سنة البدر ملاشاة الدجى

جال ماء الحسن في أعضائها   فإذا ناجيته مجَّ الضحى

* * *

رأت الإيوان في أبهة   تطّبي النفس لأوطار الهوى (٥)

---

(١) ذات اعتبار : أي فيها ما يعتبر به - يقريه هنا معناها يمنحه .

(٢) نما : ذاع وانتشر . المنعة : التحصن - الربى : جمع ربوة وهي أعالي الجبال والأماكن المرتفعة .

(٣) المرة بكسر الميم : الشدة والقوة أي جيش عظيم . وتقطير الدماء : إراقتها .

(٤) أي لعظم هذا الجيش تفقد العين لحظها فيه ويضل السيف .

(٥) اطبى على وزن افتعل : بمعنى استمال .

لو بغـيـر الطهـر عينٌ نظرت ... لـرأت ذاك مقـامًا للعـلى

رامَ كـسرى من هواها بغـية ... فحسا من حسنها حتى انتشى [1]

وأذلت شـهـوة مـقـبـوحـة ... منه حـتى رامَ مـا فـوق الرضى

أكلـت أحـشـاءَه والجـنـة ... كـولوج النارِ في عودِ الغضا [2]

جـاء كـسرى شاهرًا أطماعـه ... فنضـا من حلمه ما قد نضـا [3]

سـامها كلٌّ خـسيس كـارثٍ ... قـاتل اللذات يزرى بالنهى [4]

ورمـاها بوعـيـدٍ جـاسـر ... شرس الإرهاب مجلوب الأذى [5]

سـاءه أن قـد تأبت فـأتت ... نقـمـة في طي ذياك الإبـا

فـاحتـمت عنهـا بصبرٍ دارعٍ ... كـاحتماء الحر عن ضيم عرا [6]

إيه لله عـفـاف مـخلص ... لك مـا سـيم الخنى إلاَّ أبَى

ثم قـالت قـولة في أسـرها ... تبـعث الغلَّ وتهـفـو بالوغى

« قـيدوني، غللوني ، ضـربوا ... ملمس العـفـة منى بالعـصـا »

فـأتاها نبـأ من قـومـهـا ... أنهم عـافـوا لذاذات الكرى [7]

أو تجـول الحـربُ في ميـدانها ... كـمجال الطيشِ في عـهـد الصبـا

أو يكون السـيفُ في أعـدائهم ... مُـعـمـلاً يودى بهـامٍ وطلا [8]

---

(١) حسا الخمر : شربها . انتشى بمعنى : سكر . (٢) الغضا : نوع من الشجر .

(٣) نضا بمعنى : خلع . (٤) كارث : جالب للحزن . (٥) جاسر : عار .

(٦) دارع : أي لابس الدرع ، والمراد هنا صبر ذي احتمال . (٧) عـاف : كره .

(٨) أعمل السيف في الهام : أي جعله عاملا فيها . أودى بالشيء إذا ذهب به . والهام : جمع هامة ، وهي الرؤوس . والطلى : جمع طلية ، وهي العنق .

خطراتٌ فى المساء

مناجاة يوم مضى

نحن نبكى كلَّ ميت راحلٍ	كيف لا نأسى على يومٍ مضى [1]
أشباب لك مرجو الضحى	أم مشيب لك معذول المسا [2]
أنت فى حاليك كاس من بهاءٍ	خالب الأنحاء محمود الروا
رحم أنتَ لما تأتى به	أم ضريح للذى مر بنا
يا حليفَ الحدثِ المقدور ما	فعل الحظ بمخلوف المنى
يا سليلَ الدهر كم من حادثٍ	يجعل البائسَ محلول العزا [3]
أنت مأواه فهل من عطفةٍ	تدع الناقمَ مجلوب الرضى
قد عهدناك ملاذاً من شقاءٍ	وعهدناك ملاذاً للشقا
تبعث الأحداث من مسكنها	بعثة الفارسِ أطراف القنا [4]
تطلق الأحوالَ فينا مثلما	يطلق الساحر أقوال الرُّقى [5]

---

(١) نأسى : أى نحزن .

(٢) اليوم مرجو الضحى ؛ لأن الإنسان إذا استيقظ استيقظت آماله، وانفتحت أبواب حيله ، وانبعثت مساعيه ، فإذا أمسى كان قد صادف من الحوادث ما ينيم آماله .

(٣) العزا : هو العزاء مقصوراً .

(٤) الأحداث : هى الحوادث .

(٥) الرُّقى : جمع رقية .

عـــاشق المـــال

خداع الغوانى

نســمــاتُ الربيع تخـفـق كـالعـتـ ـب برفقٍ فـعل اللبـيـبِ الخـبـيـرِ

فـهى تغـدو مـا بين غـصن نضـيرٍ فـاتن حـسنه وغـصن نضـيـر

كـــالرســـولِ الأديـبِ بين مـــحب وحـبـيـبٍ أو كـالحكيم السـفـيـر

يعـقـد الصلح فى أناةٍ كـمـا يعـ ـقـد ربُّ النهى قـضـاء الأمـور [1]

وضـيـاءُ الشـمسِ المنيـرة كـالبـشـ ـرِ إذا مـا احـتـواه وجـه البـشـيـر

والندى عـاشقٌ يـدل عليـه الـ ـورد إدلال فـاتنات الثـغـور [2]

وهناك الطيــر المغــرد كـــالشـــا عـرِ يتلو حـمـدَ الزمـان النضـيـر

نغـمـات لم يحـوها المطرب البـا رع إلا دعــوى نـفــاقٍ وزور

هى برد على القـلوبِ وعـــقـــد للأمـــانى ومـــدخـل للســـرور

تستـميل الأغـصانَ بالنغم العـذ ب فـتـهـتـز هزة المخـمـور [3]

للك شـأو لم تلتـمـسـه مـيـاه مــا أعـــدت ســوى غـنـاء الخـرير

منظرٌ يجـعـل المهـذب يبـغى لبَّ ذاك الأمـر الجليلِ الستـيـر

منظر يبـعث الشـجـونَ ويحـبـو فـاتنات المنى ببـردٍ نضـيـر [4]

* * *

(١) الأناة : التؤدة . (٢) معنى إدلال الورد على الندى : أنه إذا تمايل سقط عنه الندى .

(٣) المخمور : هو الذى عملت فيه الخمر . (٤) برد بمعنى : ثوب .

وأتت تخطر المعشّقةُ الحسنـ ـاءُ تزهى بوجهها المستنير [١]

بقوامٍ ينقد من دونه القلـ ـب وطرف يسطو بحسن الفتور [٢]

خلفها العاشق المتيمُ يمشى مشيةَ الظافرِ الأمير الخطير

هو يتلو آيات حبٍّ كريح الـ ـزهر فى طيبهِ ونشر العبير

وهى ملذوذة به كتملى ذى عناء للظل وقت الهجير [٣]

كلمات كأنها الحلم العذ بُ وود يحكى صفاءَ الطَّهور [٤]

ومواثيق جمة تدع الحرَّ على حكمها قرين الأسير

لم تذر للفتاة ما يبعث الشَّك ويزرى بعهدهِ فى الضمير

بينما كان جاثيًا يرسل البثَّ بشجوٍ يلين صم الصخور

جاءت الخادم العجوز لأمر مستجدٍّ من طارقات الأمور

أرسلت دمعها الغزيرَ وقالت أنشب اليأسُ ظفره فى الأمير

أكل الدهرُ ماله وقواه فغدا حظُّه كحظِّ الفقير

وحليف القمار يدركه الذلُّ ولو كان فى ذمامِ القصور [٥]

أثقل الدَّين ظهرَه وعدا الدهـ ـر عليه بقسمة المقمور [٦]

فغدا يائسًا تكاءده الهـ ـمُّ ببال جوٍ وجدّ عثور [٧]

ثم أهوى إلى الحسامِ وكان الـ ـموتُ منه بموعدٍ مقدور

---

(١) المعشقة بتشديد الشين : هى المعشوقة تزهى أى يدخلها العجب . والمستنير : المضىء .

(٢) ينقد : أى ينقطع . (٣) تملى بالشىء : نعم به .

(٤) الطهور بفتح الطاء : الطاهر . (٥) أى فى حمى القصور .

(٦) عدا معناها : سطا ، والمقمور : المغلوب فى القمار . (٧) تكاءده : أثقله ، جو : أى كسيف .

فاندبى حظَّك الضئيلَ وعيشى بعد هذا عيش الذليلِ الحقير !

* * *

مَن معينى على الحياةِ وقد ما ت معينى وراحَ عنى نصيرى

حين لم يبقَ لى سوى الأمل المرِّ وذكرٍ رثٍّ وحظٍّ نزور [١]

جزع القلبُ يوم مات وما القلـ ـب على كل نكبةٍ بصبور

هكذا قالت الفتاةُ ومالت فى التجاء إلى الحبيب الظهير [٢]

فرماها بنظرة لو رمى الليـ ـث بها لاغتدى بقلب كسير

نظرة ملؤها الخيانة والحقـ ـد تصيب الأحشاءَ قبل الصدور

نظرة تبعث الغضاضة فى النفـ ـس وتصمى بمثل وقع الذكور [٣]

ثم قال اذهبى فقد ذهب الما لُ جميعًا بأنّتى وزفيرى

فات عمرُ الخداع وانكشف الغيـ ـهبُ منى عن الرجاء القصير [٤]

كنتُ أهواكِ حين مجدك عال يأسر الدهر بالدرور المطير [٥]

كنت أهواك حين جاهك عذب وذراك الأغرّ غير حقير [٦]

كنت أهواكِ حين أنت من الإقـ ـبال والعزّ بالمكان الأثير

كنت أهواك والزمان مؤاتيـ ـك وريب الزمان غير مغير

فإذا شئت فالفراق قريب غير مُبك ولا مهيب قدير

قال ما قال ثم مال إلى البا بِ كميلِ الظمآن نحو الغدير !

---

(١) النزور بفتح النون : المقل .

(٢) الظهير : هو النصير .

(٣) تصمى : أى تصيب ، والذكور : هى السيوف .

(٤) الغيهب : الظلام .

(٥) الدرور بفتح الدال : كناية عن الثروة .

(٦) الذرى بالفتح : الكنف .

هكذا تخدع الرجال الغواني والغواني قنيصةٌ للغرور
باحتيالٍ أدق من خدع الدهـ ـر وزى غض ودمع غزير !

حنين الغريب

عند غروب الشمس

أيُّهذا الغريب ذو البلد النا زح ماذا دهاك عند الغروب ؟ (١)
قد عهدناك مستكينًا لريْب الـ ـدهر مستلئماً بعزمٍ صليب (٢)
وعهدناك لست تعرف ما الحـ ـبُّ ولا لوعة الفؤادِ الطروب
وعهدناك ليس يكرثك الضيـ ـمُ ولا سطوة الزمان العصيب (٣)
وعهدناك خاشعًا مستقاداً ذاكراً نعمة الأغر النجيب (٤)
وعهدناك إن زللت فأدليـ ـت بعذر سللت غلّ القطوب (٥)
وعهدناك لا حسوداً ولا غراً طموحًا إلى المكان الخصيب
وعهدناك لا بكيًّا قطوعًا لرجاء المستصرخ المستثيب (٦)
أنت واسيتنا وقد أجلب الدهـ ـر علينا بالمستذلِّ الجديب (٧)
أنت علمتنا الرجاءَ بأن كنـ ـت غريبًا مباسلاً للخطوب (٨)

---

(١) أيهذا أصلها أيها ذا ، وذا هنا اسم إشارة ، هكذا استعملتها العرب .
(٢) المستلئم : الذى لبس اللامة وهى الدرع .
(٣) يكرث : يجلب الحزن القاتل . والعصيب : الصعب الشديد .
(٤) أى إذا أولاك أحد منة كنت ذاكراً لها .
(٥) أدلى بعذره إذا اعتذر . والغل : الحقد . والقطوب : الذى يقطب حاجبيه كثيراً .
(٦) الناقة البكى بتشديد الياء : القليلة اللبن . والمستصرخ : المستنجد . المستثيب : العافى .
(٧) أجلب فلان على فلان : أعان عليه ، أى عاداه وآذاه .
(٨) مباسلا : من البسالة ، أى مدافعاً ومباعدا .

فسقى الله غربةً ألحقتنا   برجاءٍ عذبٍ وصبرٍ لبيب

أنت أعطيتنا الطلاقةَ والبشـ   ـر وأرفدتنا برأيٍ مصيب (1)

فخليق بنا وقد ظهرت في   وجهك السمح ظلمةُ التقطيب

أن نفدّيك بالنفوس اللواتي   هن من جودك الغزير الصبيب (2)

* * *

أيها النافثون في قلبه الحز   ن ولا تعلمون داءَ القلوب

قد ذكرتم حالاً يروح لها مشـ   ـتملا بالشقاءِ والتعذيب

إنما العزُّ أن يكون بأرضٍ   أنبتت نبعَ شمله المشعوب

حيث لا يعرف المداراة والضيـ   ـم وذلَّ السؤال والتثريب

ما به قلة الولاءِ ولكن   ودّه أن يكونَ غير غريب

* * *

مستعير من السماءِ شعار الـ   ـحزنِ أم مرتدٍ بعيش الأديب (3)

فأخوك الأديب في الأهل والدّا   ر له عيشة الغريب الكئيب

ليس في ثوبه سوى طلل با   لٍ وداء صعب وجرح رغيب

ليس في وجهه من البشر إلا   مدمع مشرقٌ كلمع الضريب (4)

ليس في قلبه سوى الحبِّ والحز   نِ وغيظ على الزمان المريب

---

(1) أرفد ورفد : أي أعطى .

(2) القطعة الأولى التي تنتهي هنا قيلت على لسان أصحاب البلد التي نزلها هذا الغريب .

والقطعة التي بعدها على لسان أناس يلومون أصحاب هذه البلد .

(3) أي هل ظلمة التقطيب مستعارة من ظلمة السماء عند الغروب ، أم لأنك ارتديت بعيش الأديب وهو أسود اللون .

(4) الضريب الثلج .

فـــانـدب الـنادبات والمرأة الحـــمـ ـقاء ممن يعـددن شق الجـيـوب [1]
فــــتنتنـا الحـــسناءُ بـالزبـرج المحـ ـض وغابت فى مستقرٍّ غريب [2]
أضـمـر الغـرب وجـهـهـا فـقنعنا بـذؤاباتـهــــــا قـنوع الـسلـيـب
منظر يبـعـث الشـجـونَ ويحـبـو فـاتنات المنى بـبـردٍ قـشـيـب [3]
مـسـتـمـد من الجـلال جـلال الـ ـلـه والمظهــر العظيم المهـــيب
أذكـرتنى العـيش اللذيذ الذى فـا ت بغـصـن كـاسٍ وعـود رطيب
ثم لـم يبق لـى سـوى الذكـر الغُـرِّ فـسحـقًا لصرفـه من غصوب [4]
يا حـنينًا إلى الحـــبـــيـب ترفق بفـؤادٍ أجـهـدته بـالوجـيـب [5]
يا حـنينًا إلى الأغـــر الذى كـــا ن خــبــيـرًا طبـــا بداء القلوب
هل يطيـب الزمــــان والأمـل المعـ ـسول ناءٍ والصبـر غـيـر قـريب !

حمام الكازينو بالإسكندرية

مـــــــاذا دهـى القـلـب من الـ أشـــجـــانِ يـوم الأحــــدِ
حـــيث الـغــــوانى فـــتنة آخــــــــــــذة بـالجـلـد
حـــالـيـــــة كــــاتـهـــــا آتيـــة عن مــــوعــــد [6]
خــــــاطرة فى مـــــهـلٍ كـــمــشـيــةِ المقــيـــد
تـهـتــز فى مــشـيـتـهــا كـــهــــزةِ المســـوّد [7]

---

(١) ندب : أى دعا .
(٢) المراد بالحسناء : الشمس ، والزبرج : الذهب .
(٣) القشيب : الجديد .
(٤) سحقاً : أى بعدا .
(٥) الوجيب : الخفقان .
(٦) حالية : أى لابسة حليها .
(٧) المسود بتشديد الواو : الذى يسود ويشرف .

باسمة ضاحكة	كالبلبلِ المغرد
خصورها خافية	كأنها لم توجد
ضعيفة ناحلة	كالزاهد المقتصد [1]
ثيابُها خافقة	كالنفس المردد
والبحرُ لا تحده	إلا بطولِ الأبد
كأنه ذو دولة	مكلل بالزبد
كأنه ذو مهجةٍ	موسومة بالحسد
أمواجه سائرة	كالمثلِ المطرد
مياهه ممتدةٌ	مثل امتداد الأمد
منبسطٌ منقبضٌ	كالعاذل المفند [2]
ظلالها واقعةٌ	في مائه المرتعد
كأنما أطرافها	دراهمُ المنتقد
عابثة بمائه	مائلة على اليد
كأنما أعضاؤها	مخلوقة من غَيَد [3]
فقدُّها معتدلٌ	مقوم من أود [4]
وخصرها مختبيء	في قدِّها المنعقد
وشعرُها منتشرٌ	كالذهبِ المبدد!

(١) الزاهد : المقتصد الذى لا يريد من الدنيا غير الكفاف . (٢) المفند : المكذب .

(٣) الغيد بفتحتين : النعومة . (٤) الأود : هو العوج .

الحبُّ نائمٌ ويقظان

نبّئتُ أن الحورَ جئن حديقةً ... بكراً كحاشية الرداء الأجدد

حيث الندى فتق الزهور بحيلةٍ ... أزرت بوقع الصارمِ المتعمد

والطير مفتونٌ بحسن بيانه ... فمغرد يشجو وغير مغرد

والأرض كالحسناءِ يوم زفافها ... رود النواحي بالمحاسن ترتدى

حيث الهوى وهو العظيم قضاؤه ... شرك الأبى وعقلة المتعبد [1]

أرخى لواحظَه وأطبق جفنَه ... فعل اللبيب القانصِ المترصد

فأمنَّ منه صولة عربية ... تدع العزيز من الفناءِ بموعد

يحسبن ذاك وما أمنّ وإنما ... هى حيلة ذهبت بحزم الأرشد

فمشى إليهن الهوى بترقبٍ ... مشى الشجاعة فى فؤاد القعدد [2]

فعثرن فى أذيالهن تخوفاً ... منه وسوين المطارف باليد [3]

وعدون عدوة خائف متظالعٍ ... إن لم يكن متزايلاً فكأن قد [4]

* * *

فكأنهن أزاهر منثورةٌ ... نثر المبشر غرة الخبر الندِى [5]

---

(١) العقلة : ما يربط ويقيد به .

(٢) القعدد : الجبان ، والشجاعة تمشى ببطء فى قلب الجبان ، فكأن الهوى أراد أن يأسر الحسان فى غفلتهن فمشى إليهن ببطء كى لا ينتبهن .

(٣) المطارف : جمع مطرف وهو نوع من الثياب . وتسوية المطارف : كناية عن الاستعداد للجرى .

(٤) التظالع فى المشى : الخروج عن الطريق المستقيم . والتزايل : التفكك . والمتزايل الذى تتفكك أعضاؤه .

(٥) غرة الشئ : أوله . والخبر الندى : كناية عن الخبر السار .

وكـــأنهن صـــوادفـــاً وشـــوارداً ... حـبـات عـقـدِ اللؤلـؤِ المتـبـدد[1]

وكـــأنهن نـســائم الصـيـف التى ... تحـيـى رجــاءَ العـاشق المتنهــد

وكـــأنهن كـواكـب السـعـدِ التى ... سكنت فؤادَ الحندس المتجسد[2]

وكـــأنهن عــزائم النحسِ الذى ... لعب القـضـاءُ بسـعـيـه المتجـدد

* * *

إلا فـــتـــاة علّهـــا مـــاء الصـبـــا ... فـتـمـهلت كـبـراً بحـسن تأود[3]

أألخـــاف هـذا الحب فى يـقـظاتـه ... وأنا التى لعبت بلُبٍّ الأصـيـد[4]

وأنا التى شقىَ السعيدُ بهجرها ... وقضى الجليد بدلها المتوعد[5] ؟

* * *

قـــال الغـــرام وربّ قـــولة ناصح ... أبدت لها وجه السبيلِ الأقصد[6]

يارب غـــانيـــة طرقت فناءها ... فوصمتـهـا بضـراعةِ المستعبد[7]

كـــانـت تظنُّ فـــؤادَها مـتـــابيًـا ... عنى ولم تعلم بسـهـمى المقصد[8]

فـتـركـتـهـا والنار بين ضلوعـهـا ... تـدعـــو علىَّ بلهـفـــةٍ وتلدد[9]

أحـسـبت أن الحسنَ يأنف أن يرى ... بحنين مـفـتـون وجـفـنٍ مـسـهـد

* * *

(١) صدف : أى نفر وصد . والمتبدد : المتفرق .

(٢) الحندس : الظلام .

(٣) علها : أى سقاها . والتأود : التثنى .

(٤) الأصيد : السيد الشريف .

(٥) قضى : أى مات .

(٦) الأقصد : أى الأكثر استقامة .

(٧) الضراعة : الذل .

(٨) المقصد : المصيب .

(٩) تلدد : أى تحرق .

مناجاة الحبيب

لو أن أشجانَ الفؤادِ تطيعني   لنظمتها لك في القريض نسيبا

أو ما علمت بأنني لك عاشقٌ   أفنى الزمانَ صبابة ونحيبا

يا بؤس من سكنت إليك لحاظه   أن كنت أنت على المحبِّ رقيبا

أرنو إليك فتحتويني هيبةٌ   فأرد طرفي خاشعًا مغلوبا

ما حيلة الطرفِ الذليل إذا كبا   أن كان شخصك في الفؤاد مهيبا[1]

يا نظرة تهدى الشجون وتنتضى   سيفًا من الطرف الكحيل مصيبا[2]

ويعيذك القلب الذى عانى القلى   من أن تكونَ على الجفاء معيبا

وإذا وضعتك في الجفونِ صيانة   أذرت عليك لدى البكاء صبيباً

وإذا رغبت لك الضلوع فإنني   أخشى عليك لهيبها المشبوبا

وإذا وضعتك في الفؤاد فإنني   أخشى عليك من الفؤاد وجيبا

إن كنت تأبى أنني بك هائم   فاردد إليَّ فؤاديَ المسلوبا

أو كنت تبعد بالوصال مضنة   فابعث إليَّ خيالكَ المحجوبا

هل بعد أن أفنى الغرامُ حشاشتي   يأبى دلالك أن تكون طبيبا ؟

حب كماءِ المزن حين وقوعه   فوق الزهورِ مرقرقًا مسكوبا

ياليت حظى منك أنى نفحة   تسعى إليك مع النسيم هبوبا

وأود لو ركد النسيمُ وقد رمى   بى دون قيد الرمح منك قريبا[3]

فاكونُ منك بحيث يطمع عاشقٌ   لا اتقى هجراً ولا تأنيبا

---

(١) كبا : أى عثر .   (٢) انتضى : سل .

(٣) ركد : أى وقف . وقيد الرمح : مقدار طوله .

لو ذاق طعمَ الحب كلُّ مـــؤنب ... قلبى لصـــارَ العـــاذلون قلوبا

هل نافـعى أنى أكـتِّم لوعـتى ... عـمن يظل بما أسـر لعـوبا ؟

عجبًـا لطرفى يستريح إلى البكا ... من بعـد مـا كـان البكاءُ غـريبـا

مـا أخلق الدنف المشـوق بسلوةٍ ... إن كـان لا يرجـو المحب حبيبا

شكوى الزمان

كـفى حَزَنًا أن التطلبَ بالصـبر ... وأن مـآقى العينِ أدمـعـهـا تجرى

لقـد لفظتنى رحـمـةُ الله يافـعـا ... فصرت كانى فى الثمانين من عمرى

رضـيتُ بهـذا العيش بعـد أبوة ... لأبلغ شـأوًا أو أُغـيَّب فى قـبـرى

وحـاول منى الهمُّ صبرًا فلم أزل ... أدافـعـه حـتى أبحتُ له صـدرى

وإنى لأدرى أن فى الموت راحـــة ... وأجنبـه حـتى كـأنىَ لا أدرى [1]

ولولا تقى لا يملك اليـأسُ صـرفـه ... لأوردنى يأسى على المسلك الوعـر

فما أسرع الأحداثَ إن قلت أبطئى ... وما أبطأ الآمال إن سمتها نصرى

فإن كـان ذنبى من تناقض خطتى ... فعذرى إلى الأيامِ أن ضاق بى عذرى

وربَّ ليـال بتُّ أدحـو ظلامـهـا ... بطرفى وذيل الليل يعثر بالفجر [2]

وزاولتُ صرف الدهر حتى عرفته ... فسيَّان ما لاقيت فى العسر واليسر

دعـانى إليـه الفـضلُ لما دعـوته ... فما زال بى حتى التقينا على قَدْر [3]

فما ساءنى ما بتُّ أخفيه جاهدًا ... ولا سرنى ما يعلم الناسُ من أمرى

هل العـيش إلا أن تنالَ بعـزمـة ... مقامًا كـان النجم من تحته يسرى

---

(١) أجنبه : أى أتجنبه .

(٢) أدحو : أى أبسط .

(٣) أى موعد مقدر .

فـمــا العــزمُ إلّا مــا يبلّغك المنى وما العـجز إلّا أن تُنهنه بالزجر (١)
إذا كنـت ذا عــســر فـكن ذا قناعـة فإنَّ احتمالَ العسـر يذهـب بالعسـر

شـكوى الصّديق

ومطّلب بالعــتبِ هجـرىَ لم أزل أداريه حـتى عـارضـتـه مـذاهبُـه
يعــالج منى باسمَ الثـغـر راضيًــا وأخـبـر غـرًا أنكرته مـعـايبـه (٢)
أجـودُ بنفـسى فى هواه سـمـاحـة ويبـخل بالنـذرالذى أنا طالبـه (٣)
ومـا كل أمـرٍ تسـتـقـيم صـدوره لمن لم يَرُضْهُ تستقيم عواقبه (٤)
لقــد ســامنى أن أقبـل الذل ضـلةً هل الغبن إلا مــا تقل مطالبـه (٥)
ووكل بى الأعــراض حـتى ألـفـتـه وما كل صافى الوجه تصفو مشاربه (٦)
سأندب عـهـدًا كنت فـيـه بغبطة وهل يرجع العـهـدُ الذى أنا نادبه
وليل كـأغـضـاءِ الحليم درعــتــه لأقـضـىَ أو تنجاب عنى غـيـاهبـه
وصلـت بـه الأوهام حــتى كـــأنما يراقــبــهــا فى مكثـهــا وتراقــبــه

تحـيــة للشـمـس
عند شروقها

أشــرقى يا طلعــة الشّــمـ ـسِ علينـا وأنيــــــرى
أنـت للـغـــرس حـــيـــاةٌ وحلى الروض النضــيــر
كـــيف لا ترتاح نفسٌ للبــهــاءِ المســتنيــر

---

(١) تنهنه : أى تدفع . (٢) أخبر : أختبر . (٣) النزر : القليل .
(٤) راض الأمر : ذلله . (٥) أقل : أى حمل . (٦) مشاربه : كناية عن مودته .

مـــا رأى ضـــوءك غـــرٌّ بســوى الطرف الحسـيـر[1]

غـــازلى الغـــصنَ برفق وامـســحى وجـهَ الغـدير

وسلى الغـيـد ابتـسـامـا من أقـــاحىِّ الثـــغـــور

واذممى وجـــه مـــريب واحـمــدى وجـهَ بشـيـر

وسـلـى المـقـلـةَ أن تـشـ ـرق بـالـدمـع الغـــزير

إن فى الدمع إذا اسـتـغـ زر إعـــلان الســرور

وتمشى فى فـــضــاء الـ ـله مـشىَ المسـتـغـيـر

مـــشـيـــة الحـرِّ المرجى لعظيـــمـــات الأمـــور

* * *

وابعــثى أبناءَك الغـــر إلــى بـيـت الـعـلـيـل[2]

ســهــر الليلَ ولا مـــســ ـعـــد فى الليل الطويل

نـظـرة مـنـك إلـيــــــه خلست بشـــر الرســول

نـظـرة غــــــرَّاء تـودى بجـوى الداء الدخـيـل

وكــــأن الـلـيـلَ لمـا خـــانه وقـت الرحـيـل

ضـــامن قـلـب مـــحب راعـــه قـــول عـــذول

* * *

وكـــأن الشـــمس تجلى فى خـــمـارٍ من لهـيـب

أقــبلت فى الأفق تـسـعـى مـثل إقـبـال الحـبـيـب

منظر يفـــعـل فـــعل الـ ـعــودِ بالقلب الطروب

(١) الحسير : الكليل والضعيف .
(٢) أبناء الشمس : كناية عن أشعتها .

غيـر أنَّ الليلَ أدرى بأحاديثِ القلوب
شملة العاشق والسارق والعادى المهيب [1]
لبس الأفق ضياءً بدّل الجنح المريب
وشباب المرءِ لا يعقبه غيرُ المشيب

الحبُّ والليل

عمىَ الدجى عن مطلع الفجرِ في ليلةٍ كسريرة الدهرِ
ولع البكاء بناظرىَّ كما ولع الندى ببدائع الزهر
والروض ممتنع الرقادِ وقد نمَّت عليه مواقعُ القطر
والليل مشقوق الجيوب وقد باح السحاب بطلعة البدر
والطرف بالإفشاءِ متهمٌ والقلب مؤتمن على السر
وأكادُ أن لا أستقر جوى فكأنما خلس الدجى صبرى
وأملت أن أجد الوسيلةَ لى عند الصبا فمنيت بالهجر
لا تلح مشتاقًا على شجنٍ إن الشباب مطية العذر [2]
والسعى رزقٌ والهوى أمل والهجر يأكل جدةَ العمر
والحب إن دبَّ السلو به فكما يدب الشرُّ في الخير
والصفو قد يفضى إلى كدرٍ واليسر قد يفضى إلى عسر
من ناوشت نظراته حسنًا فقد استثار الموت بالسحر

---

(١) الشملة : كساء .

(٢) الشطر الثانى من هذا البيت مأخوذ من قول أبى نواس : إن الشباب مطية الجهل .

النغمـات

إذا ترنَّم والآذان ظامئة خلنا الروىَّ على آذاننا اندفقا

لج من النغمات الغرّ يحمدها إن النفوس تعانى بينها الغرقا

لو صورت فأقامت غير خافية كانت أجل الذى يستعبد الحدقا

كأن شيئًا من الحب الذى غريت به الخليقة فى أثنائها انبثقا

* * *

إذا ابتداها عظيم فى مهارته حسبت كل ضجيجٍ لج فى الخرس

تظل تفعل بالأحزان ما فعلت أشعةُ القمر الوضاح بالغلس[1]

تذوب فيها همومُ النفس خافية كما يذوب الندى فى موقع النفس

ينزو الهيامُ بقلبى حين أسمعها لعب الرياح بثوب البائس التعس[2]

كعصفها حين لجت فى تأوبها كلجة البحر تطفى شعلةَ القبس[3]

تثير من نزعات القلب مرحمةً ترد عاديةَ المستأسد الشرس

وتبعث الذكر العهد الذى ضمنت فتودع القلبَ وجداً غير ملتبس

* * *

كأنها ذات حول ليس يعجزها إحياء منعفر فى القبر منفرد

كأنها شاعرٌ جادت مخيلتُه الـ ـغراءُ بالكلم المسعود بالسدد

لا شيءٌ من حسن الألحان يفضلها إلا الخرير وصوت الطائر الغرد

وأنّة النسمة المعطار جاذبة جيد الغصون بحبلٍ ليس من مسد

---

(١) الغلس : الظلام . (٢) ينزو : أى يثب .

(٣) الهاء فى كعصفها تعود على الرياح ، كذلك الضمير المستتر فى تطفى .

الفونوغراف

هل علمَ الغريد في وكره — شأنَ الذي خفض من قدره ؟
وهل درى المطرب ماذا الذي — يستحضر الملحود من قبره ؟
يا عجبًا من ناطقٍ أبكم — تأتلف الألحانُ في صدره
يستخرج اللحن بمسنونة — تزيل ذاك اللبس عن أمره
تخطُّ في أعطافه أحرفاً — كأنها تبحث عن سره
يروي أحاديث أناسٍ مضوا — كأنها مرّت على فكره

حديقة

فيحاء زان شبابها — لون الربيع الأزهرِ
حيث الفرائد جمةٌ — تزهو بأروع منظر
من كل محمود البها — ءِ مكلل ومنوّر
والوردُ يقطر بالندى — كالعاشقِ المستعبر
والنهر يرفل عندها — في ثوبه المتكسّر
فكأنه وكأنها — أحوى استكن بمئزر
تجلى بصفحة مائه — صور الربيع الأخضر
فكأنّ فوق الماء ما — صنعته كفُّ مصوّرٍ
وكأنّ صورة درهمٍ — سكنت بخاطر معسر
وكأنّ طلعة فاتن — أخذت بلبٍّ محير

تتـــردد الأطيـــارُ فـــو — ق غـــصـــونهـــا بتـــخطر
كـــتـــردّد الآمـــالِ فى — خلد الطمـــوح المـمـــتـــرى
مـــرح الطيـــور أجل من — مـــرح الخليع الموســـر
هـذا يـدبٌ بـه الشـــقـــا — ءُ وذاك غـــيـــر مكـدر

مغالبة الهوى

هل قلدوك مـــدامعَ الآمـــاق — أم ضـمنوك مـصارع العـشاق !
يا فـتنة أخـذت علىَّ مـذاهبى — وسطت بنقـمـة هجـرة وفـراق
إن كنتِ لا تخـشين صـولة ظالم — مـرّ الوقـيـعـةِ صـادق الإبراق
فـدعى مـغالبةَ الضـعيف وناجزى — ذل الهـوى وصـبـابة المشـتـاق

مطال الهوى

حـاذر الطيف أن يلم فـيشـفى — باتصـال الرقـاد نضـواً صـريعـا
أودع القـلب حـبـه زفـرات — سـجـرته حـتى استحال دمـوعـا
أيُّهـا العـاذلون قـد وضع الحـ — ـبُّ على مـسـمعى حجابًا منوعـا
قـد تبعت الهـوى إلى آخر المطـ — ـل فـمـا اسطعت بعـد ذاك نزوعـا
وتخـــوفت أن يـدبَّ بـه الخلـ — ـف فطاليتُ بالوفـاءِ تبـوعـا
مـا يضـيـرُ الذى يعللنى بالـ — ـمطل أن أجعل البكاءَ شـفـيعـا
طالما قـد ذممت مطلك قـبل الـ — ـخلف حتى فقدت منه صنيعـا
وتنبـهت حين أعلنت الأقـ — ـدار بؤسى ونازعـتنى الهـجـوعـا

نظـــرة

نظرت إليّ بعين مستخبر … جمع الدلالَ وحيرة الساهى
يا نظرة فى طيها نعم … فكأنها من رحمة الله

فى سبيل الجامعة

برأى سديدٍ واعتزام مصمم … يقوّم ميل الحادث المتجهّمِ
فلا قول يغنى عنك غير مؤيدٍ … بفعل حميد الوقع غير مذمّمِ
ألا عصبة غراء يصدق سعيها … تنادى لأمرٍ مدبر غير مجرم
ألا قائل أو باذل أو مؤازر … برأى يقوى عزمةَ المتبرم
فنبصر إما أسعدت عزماتهم … محاسن تزرى بالجمانِ المنظم
هنالك آمال كأن بطونها … تفتح عن عيشٍ رقيق منعم
فيا حسن ذكر للذين تملكوا … لبابَ الغنى فاستمسكوا بالتكرم
أيدعى غنى القوم سيد قومه … إذا غاب عنه فضل فعل معظم
إذا لم يكن طبعٌ فجودوا تطبعا … فربَّ جميل جاء من متندم
وأنتم عمادٌ للبلاد مشيّد … فلا تتركوها كالبناءِ المهدم
ألم يكفكم فخراً وعزاً وسؤدداً … رجاء محلًّى بالثناءِ المفخم
فجودوا فقد جادَ البهاليل قبلكم … وحظهم الموفورُ غير المثلم
وإنَّ شنيع العار أعظم سبّة … من الفقر إما عادكم من توهّم
إذا لم تناصركم حميةُ ماجدٍ … فياضيعة الآمالِ فى الزمن العمى !

مصرى عربى

يخطاب أخاه القبطى

بنى البهاليل من علياء شاهقة ... ومحتد الصيد لا تمشى له الريبُ
إذا تناءى بكم عن مجدنا نسبٌ ... فأنتم فى مراقى مجدكم عرب
إن التآلفَ لم يترك لنا نسبًا ... يلوى بكم دوننا من دونه نسب
أما وقومى وقومى خير ما حلف ... إذا حلفت تدانى المجد والحسب
إذا الأواصر لم تجعل لنا سببًا ... فحرمة الودِ فيما بيننا سبب
إذا هفوتم رميناكم بمعتبة ... فإن هفونا فلا يملككم الغضب
يدان إن تقطعونا تقطعوا يدكم ... كذاك نحن لنا فى عزكم أرب
إنى على شغفى بالأهل يطربنى ... أنى إليكم إذا فاخرت أنتسب
فإن فخرت فبالصيد الأولى أسروا ... حوادث الدهر لم يخذلهم الغلب
كانت لكم دولة غراءُ ثابتة ... فى مرتقى العز تبغى شأوها الشهب
كنتم تطلون فوق النجم من أنف ... حتى تركتم سهيلاً قلبه يجب

ضرر اليأس

أخذ القنوطُ عليكَ كلَّ وسيلةٍ ... من حيث لم يترك لرأيك منزلا
واليأس إن يعرض لعزمة عازمٍ ... بلغ الصميمَ وحال من أن يعملا
لولا مزاولة التجهّم ما رأت ... هذى الرذيلة فى فؤادك مدخلا
فإذا نهجت من التفكّر منهجًا ... فاجعل فؤادك للطلاقة موئلا
كم طالبٍ وجد التجهم مغنما ... حتى ثناه اليأسُ عن طلب العلا

ذكـــرى

مـحبٌّ حـمـاه الـهجر أن يتصبّرا ... ومن حـاجـة المهـجورِ أن يتـذكـرا

وفى الـذكـر الغـرُّ التـذاذٌ بما مـضى ... ورجـعـة عـيش جلَّ عن أن يـكدرا

ذكـرت بـه لـيـلاً كـان نجـومَـهُ ... ثقوبٌ نرى منهـا الصـباحَ المسـترا

يبيت الندى فـوق الزهـور مرقرقًا ... كـمـا انبـعـث الطلُّ الرقـيق ليـقطرا

وفى سـاعـدى ريان من نـهلة الصـبا ... كـمـا فـتح الشـؤبوب زهرًا منوّرًا

يبـيت يناجـينى بسـحـر لحـاظه ... ويسـمـعنى ذاك الحـديث المغـررا

فـمـا إن طلبتُ الوصل إلاّ تحـرجـا ... ومـا إن شكوت الهـجرَ إلاّ تحـسـرا

وألتـمس العـذر الخـفىَّ لصـده ... ولستُ أريد العـذر إلا تعـذرا

فأغضيتُ عن بعض الذى كان فى الهوى ... ومـا عـشق الفـتـان إلا ليـعـذرا

أعمـى يرثى بصـره

قال الرغيبُ المواسى لا تكن جزعا ... فـفـتنة العين داءٌ غـيـر مـأمـون

وفى الظلام عـبـارات منمـقـة ... تكن فى لبِّهـا مـا ليس بالدون(١)

لو أن كل فـتـون مـثل مـا زعـمـوا ... وددت أن لنفـسـى حـالَ مـفـتـون

إذا سمعت حبيبًا ليس فى نظرى ... علمت أنى بين العـزِّ والهـون

كـان الأمين المرجى يوم كـارثةٍ ... فـأصـبح الدهرُ فـيـه غـيـر مـأمـون

أبكى عليـه بعينٍ كـان يعـمـرها ... كـأنهـا نحـر دامى النحـر مطعـون

---

(١) يقال إن الخيال يقوى إذا فقد البصر . وقد قال بشار : « عميت جنيناً والذكاء من العمى » .

لى بعد فقدك سمع كله حذر		يظل يسعدنى من حيث يعيينى[1]

البخيـــل

يرعى البخيلُ ماله لولده		يحرسه فى نومه وسهده		يلصقه فى نومه بخده

كأنه يحسبه من جلده		يجمعه بكده أو جده		كأنه يجمعه لعده

وبخله داعية لفقده		فعيشه مستعبد لزهده		مجدبه مستجلب من رغده

إن البخيل معدمٌ فى سعده		كأنما يطلبه بـرده

ألومهُ فى التجنّى

ألومُـهُ فى التجنّى ثم أعذرُه		والدمع يفصح عما كنت أستُرُه

يبيت ممتلىء الأجفان من وسنٍ		منعماً وحليف الليل يسهره

ياليته كان يدرى كيف يرحمنى		أو ليتنى كنت أدرى كيف أهجرُه

لكل صبٍّ شفيع من صبابته		ودمعه وشفيع الحسن منظره

إذا نظرت إليه حرتُ من ولهٍ		ياليت قلبى يقسو حين أنظره

أبيت أعذل قلبى فى محبته		والعين فى عبرات الدمع تحدره

فهل تعاون قلبى فى حوائجه		يأيُّها الأمل الممنوع مصدره

بالله يا نسمات الريح سائرة		نحو الحبيب الذى قد طاب عنصره

استودعيه سلامًا كله شجن		من المحبِّ الذى قد مات أكثره !

---

(١) يعيبه لأنه لا يقوم مقام النظر ، وقد قال ابن الرومى :

هل العين بعد السمع تكفى مكانه		أم السمع بعد العين يهدى كما تهدى

الخُمُـــول

كـم وردةٍ لـيـس لـهـــــا نـاشقٌ　　يحــفــهــا الروضُ بـوادٍ ســحــيق
تَنبت فى زهـرٍ كـــريم الثـــرى　　مـسـتـوثق الأصلِ عــزيز العــروق
طـيـبـة النكهــة لـم تبـتـــذل　　يخلص رياها النســيم الرقــيق
كـلـلهـــا القطر ومـــاءُ الندى　　بلؤلـؤٍ من دمـــعـــه ذى بريق
وجـــدول ينســـاب بين الرُّبى　　يحــسـبـه الذائقُ كـأس الرحـيق
وبلبل يعـــرب عن شــجــوِه　　من حيث لا يـأخـذ سمع المشوق
وخـــامل والفـــضل من حظِّهِ　　قـد أحـرجـوه بالأذى والعــقـوق

اليُسرُ بعد العُسْرِ

إن الشــتـــاءَ إذا تطاول أمــرُه　　دخل الربيع بطيــبــه وروائه
والليــل إمـــا لجّ فى غلـــوائه　　جـاء الصـبــاح بضـوئه وبهـائه
والسحبُ إما أسقمت وجه السما　　برز الهــلال يزينهــا بضــيــائه
وكـذا الشـقـاء إذا تمادى عـهـده　　جـــاء النعــيم يذل من غلوائه

حسناء ماتت فى صِباها

أى مــهــدٍ أهدى المنونُ إليــهــا　　واسـتـعـار الربيعُ من وجنتيـهـا
وهى حــسناء مــثل لؤلؤة الحـا　　لى إذا قـامت اللحــاظ عليـهـا
وسـقـاهـا مـاءُ الحـيـاءِ مـريئًـا　　واسـتـبـدّ الفتـونُ فى مقلتيـهـا
عـظة تبــعث الشــجـونَ وتجلى　　خـادعـات الصروف فى حالتيـهـا

عتابٌ وإعتابٌ

ألا مبلغ عنى الصديق رسالة ... ودون التراضى معتب وغضوب

حمدتك لا أنى أردت مثوبةً ... على الحمدِ لكن كى يقال مصيب

لقد أعلمتك الحادثات مكانها ... فصار على المقدار منك رقيب

وما كنت إلا الدهر فى حال سلمه ... سوى أنه فى الحالتين مريب

وما أخذتك النفس إلا فضائلا ... كأنك معنى فى الضمير عجيب

أظل ولم أكحل بمرآك ناظرى ... كأنىَ بين الأقربين غريب

المشنوق

ضاقت الأرض عن مآثمه فاعـ ... ـتاض عنها برقة الملحود

حملته على الرياحِ وأعلتـ ... ـه عن الناس زاجراً بالوعيد

يعظ الناسَ بالممات كأنّ الـ ... رشد مستجلبٌ من التبعيد

جمعت حوله الورى فله حا ... ل حسود ووقفة المحسود

وأقالته من مآثمه فر ... قة عيش معجل التنكيد

منظر ما أقام بالعين إلّا ... راعها بالبكاءِ والتسهيد

وله فى النفوس وقع أليمٌ ... ينزع الغلَّ من فؤاد الحقود

ذاك من ملّه الشقاء وكل الـ ... ـبؤس منه فصار صنو الشريد

كان فى عيشه من الخبث كالأجـ ... ـرب يغدو فى أهله كالوحيد

ربَّ صحو من سكرةٍ ورخاء ... من عناءٍ ويقظة فى رقود

حسناءُ تغنِّى

ربَّ لحنٍ كـــــأنه المنظر الغض … يـبـثُّ الآمـــــــــالَ والأوطـارا
وغناء عـــذب يدبُّ إلى حـــيـ … ـثُ الأمـــانى فـيـخـرج الأسـرارا
وفـم لا يـكـاد يـنـطـق مـن دقَّـ … ـتـــــه بـالـغـنـاءِ إلا اضـطـرارا
وكـــانَّ السكونَ أصـغى إليـــهـــا … فــافــاضت على السكون وقـــارا

نصيبى من الحياة

هـل ألومُ المنى وهـن ثـقـــــاتى … وأسـيـغ الأسى بغـيـــر شكـاةِ ؟
يـا غـــــريمَ البُـكـا رويدك لاتمـ … ـحى دواعى الهـمـومِ بالعـبـرات
إن يـكـن حظُّك القليل فـــهـل تقـ … ـضى عليـه بهـذه الحـسـرات
إنَّ عـشـرين حـجـةً تركـتـنى … لا أرجِّى ســــوى الذى هو آت
إنَّ من أخطأ الرجـــاءَ يرى الدّهـ … ـرَ بعين تقـــذى بغـيـــر قـــذاة
من دهاه الشـقـاءُ فى يقظة الدّهـ … ـرِ جـزاه النعـيمَ فى الغـفـلات
كـلُّ يومٍ يـفـنـى مـن المرءِ شـىءٌ … مـا سـمـعنا عليـه صـوت النعـاة
كـيـف أثنى على الزمـان إذا كـا … ن ارتقـابُ الآمـالِ من عـزمـاتى
إن تراخى الرجـــاءُ عنى قليـــلا … فـــوداعًـا لما بقى من حـيـاتى
يا لهــذى الحـيـــاة مَنْ لأُنــاسٍ … يدفـعـون الحـقـوق بالشـبـهـات
فـــأناسٌ تـســرُّهم سـيـئـــاتى … وأناس تــســوؤُهم حـــسـناتى !

الصغير والكبير

رأيتُ الكبيرَ ضئيل الطماح ... يتبع خاطره ما تولّى
وفي الذكر الغر ذخر جليلٌ ... لمن جعلته العوادي مقلاً
وإن الصغير أبيُّ الطماح ... يرجي من الغد عزًّا ونبلا
وفي الحق إن غنيً الأماني ... يعجز أن يتبع القولَ فعلا
وفي السعي شيءٌ يعوق الطموحَ ... فيخطى الأجلّ ويصمي الأفلا

الطموح

بكاءُ العين علّمها السُّهادا ... وهمُّ النفسِ جشّمها الجلادا
وبي ظمأٌ لو أن الماءَ ريّ ... له مابتُّ أفتقد الرقادا
ولو أن الظلامَ بقدر ما بي ... لما عرف الصباحُ له نفادا
وقد كان الزمانُ إذا رماني ... تطرقني فعلمني السدادا
وناشتني الهمومُ ولم أرعها ... كأنّ لها على حلمي اعتمادا
أهمُّ إلى العلا وتعافُ نفسي ... لغير قلى مخافةَ أن تكادا
وروّضها طموحي للتمنّي ... فصيّرت الطلابَ لها اعتقادا
وزاولت السباق بها فلمّا ... سبقت البرق جاريت المرادا
بلغت بها المدى فلو استزادت ... علواً ما وجدت المستزادا

رثاء مصطفى كامل[1]

نفـد العـمـر على طولِ الليـالى | واسـتبـاح الموتُ ذكـراً غـيـر بالى
ومــجــالُ الدهر فى أحــواله | ألحق التـــالين منا بـالأوالى
ياضلوعــاً دونهــا حــرُّ الجـوى | أصبح السلوانُ بعـد الدمعِ غـالى
فــاجــزعى يانفس أولا تجـزعى | مــــا بـقـــاءُ المرءِ إلا للـزوال
وانقـــعى الحـــزنَ بآمـــاقى إذا | وجـــد الظمـــآن ريًّا عند آل
قــد يفـيـد الحـزن في مـرزئة | لو يعـود المرءُ بعـد الانتـقـالِ
وإذا المقـــدار لم ينج امــرأ | جـزع الدرع على ذكـر النصـال
قـد مـضى من كـان فـينا رحـمـةً | لليـتـامى واعـتـصـامـاً للعـيـال
ولقــد عــاش على غـيـر قلى | فــرمــاه الدهرُ بالداءِ العــضــال
باشــر الآمــال مــبـذول اللهى | واستـقـاد الدهر محـمـود الجلال
ولقـــــد دك المعــــالى أنه | فـارق الأحـوال مـفـقـود المثـال
أوحش الموت بـه أنفــــسنا | والمنى دانيــــةٌ والمجـــد عـــالى
وهـب الدهر نفـيـســاً للعـلا | واســتـبــاح الرد ضنًّا بالنوال
ولئن أودى فــقـــد أبقى لنا | ســيــراً فى مـجـده غـيـر بوالى
إنمـا العــــيش طريقٌ للردى | وخلود المرءِ فى حـسنِ الفـعـال

موقف

وليلةٌ كـشـعـار الحزن داجـيـة | لا أسـتـعـيـذ بهـا إلا من الأرق
جاءت باغيد يفرى الليل عن وضح | من وجهـه كطلوع البدر فى الغسق

---

(١) كانت وفاة الزعيم مصطفى كامل في ١١ من فبراير عام ١٩٠٨ .

فبت أودعه النجوى وقد فعلت — بى الصبابةُ فعل النوم بالحدق
ينأى به الدلُّ عنى ثم تعطفه — نحوى الدموع فعطفيه على قلق
وبات أدنى من الأشواق يحرسه — أن لا ألذ سوى مرأى ومعتنق
يدٌ على القلب تستجدى الهوى ويد — على الجفون تصادى عادىَ الغرق
يقول والحر فى الأنفاس يؤلمه — ما بال قلبك مطوياً على حرق ؟

التآليف

أبنى أبينا والأمور ضعيفة — أسبابها أن تقطعوا اليد باليدِ
إن الثريا لو تسر نجومها — غير الوفاقِ غدت بشمل مشرد
والفرقدين إذا تخلى عنهما — ودٌ تناءى فرقد عن فرقد
هل سركم يوم اللجاجة أننا — ندنى على الأحقادِ عادية الغد ؟
كنا وكنتم فى الصميم من العلا — لولا مداهنة الزمان الأنكد
لولا اللجاجة والمراء وعصبة — رصدت لكل محزبٍ وموحد
ومن البلية أن نكون وجمعنا — متقسمٌ والشامتون بمرصد
يا ابن الفراعنة الأولى ورثوا العلى — أرث الأماجد سيداً عن سيد
قم نرجع الفضل الصريحَ ودولة — يمشى عليها الدهر مشى مقيد
هذا مقالى شيبته بنصيحةٍ — فتلق فيه رقة المتودد

الشاعر وحبيبته

دعينى وحظى لست أهلاً لأن ترى — حبيبة مشبوب الفؤادِ معذب
إذا ما رأيت البشرَ يملا صفحتى — ضياءً فآمالى خديعة خلب

ومـا بـعث الله الأديبَ ليـمـتطى على سـروات العـزِّ أطيـبَ مـركـب
تـريه مكـانَ الـهـمّ عينٌ بـصـيـرةٌ فـيـحـويه منه كـالخـبـاءِ المطنب
يفـرُّ الـرجـاء الـعـذبُ من خطراته فرار الصحيح الجسم من لمس أجرب
مـهـيـجـة أشجـانه لا يمسّـهـا سـوى كل فـوّارِ الصـبـابةِ أغلب
فـهـن كـاعـضـاءِ اللديغ إذا دَنت لشيء تأذت من حكاك المقـرب

ليلة من ليالى الحبّ

يـارُبَّ ليـلٍ بتُّ فى جنحـه أستـنصـرُ البـدرَ على ندّه
فـزارنى زورةً ذى رقـبـة يرى التـدانى منتـهى جـدّه
فـرحت أحكى الدهرَ فى سلمه وراح يحكى السيف فى جـهـده
وانتـزع الرقـةَ من قلبـه وأسكـن الرقـة فى قـده
ثم ائتلفنا عند حكمِ الهـوى مـثل ائتـلاف الدرِّ فى عـقـده

عين اليقظة وعين الحلم

مـا لعـينى دمـعـهـا قـد نفـدا ولجنبى لا يمسُّ المرقـدا
آفـةُ العـاشق من حـيث يرى كـشـقـاءٍ من نعـيمٍ وردا
بعـثت عـينى منهـا نظرةً قـربتنى منه حـتى بعـدا
قـد عـرفتُ الصبـر حتى راعنى بالتنائى فـعـرفتُ الكمـدا
إنَّ عـينى ولـهـا الحـمـد لقـد أنجـزت بالنومِ مـا قـد وعـدا
فـاسلّى الهـمَّ عنى بالمنى ويبـيح العـتب منه مـوعـدا

قــد أحلَّ اليــأس قلبى أننى قـد سجرتُ الشـوقَ حتى خمدَا

إنما الآمــالُ أزكى مــتــجــرٍ لا تخَف من حبسـهـا أن تكمـدا

النصيحة

ورُبَّ خـليـلٍ لا أجـود بودّه أراه على العـلّات وهو حـمـيدُ

أناصحه جهدى فيحسب أننى أريدُ بـه شـراً ولستُ أريد

فـصـرتُ أداريه وإنّى لمشـفق إذا مـا طويت الرأىَ وهو سـديد

مخافةَ أن يقضى الأمورَ بضدها فـيـدركـه من دونهن قـعـود

إذا اعترضتك الحادثاتُ فلا تكن عـيـوفـاً لما يلقى عليك مـريد

فـإنّ التـمـاسَ الحق ليس بعـائبٍ مـجـداً إذا عـاب العنيد جحـود

الحزم والحدثانُ

أهاب بحـزمى طارقُ الحـدثان ولم يبق منى الدهرُ غـيـر لسـانى

فلو حاولت منى الخطوبُ استكانةً لبـاشـرتهـا مـستلئـمـا ببـيـانى

ولو أوطاتنى الحـادثاتُ مـهـانةً أبى لىَ طبـعـى أن تكون مكانى

ولكنَّ مـثلى ليس تكبـو به المنى ولو كـان فى أيدى الخطوبِ عنانى

عتابٌ ومحبة

أيمنعنى الأعـتـابُ أنك جـارم فـتنسب لى الهـجـران وهو توهُّمُ

وإنى ضنين أن تمسّك وحـشـةٌ إذا مـا دنا من مـسـمـعيك الملوم

فـمـا أنا بالراجى عن الحبٌ نبـوة ولا أنا بالمسطيع صـبـرًا فـأكـتم

ولكن إذا مـــا الداءُ دبَّ بمعــصمٍ فأوشكْ بأن لا يحمل الكفَ معصمُ

وما كنتُ أدرى قبلَ هجرك ما الهوى ولكنَّ مَنْ يَبْلُ الأحــبــةَ يعلم

وما أنكر العتبَ الذى يبعث الرضى فإن كان فى لا شىءَ فهو تبرّم

ولست أبيحُ السرَّ للجفنِ ضلّةً ولكنّه بين الضلوعِ مكتّم

آمـال النفـس

مالى أراقبُ نفسى فى تمنّيها وحالة اليأسِ ترضينى وأرضيها

نزهتها عن رجاءٍ لست آمنه حتى كأنّىَ بالتنزيه أغنيها

إن الحياةَ إذا ما شابَهَا ضرعٌ عادت كأنّ المنايا فى حواشيها

لو أنّ لى حيلةً فى الذل أجنبها خوفًا فلا بلغت نفسى أمانيها

أيحسب القومُ أن أرضَى بمنزلةٍ العجزُ أولُها والذلُ ثانيها

سأرقبُ النجحَ والآمال داجيةٌ حتى يجابَ إلى العلياءِ داعيها

إن الحميَّة لو دبّت إلى رممٍ ريعت قلوب الأعادى من عواديها

ولو سرت بوضيعٍ صار ذا شرفٍ حتى كأنَّ المعالى من معانيها

ولو سرت بأسيرٍ عاده جلد كأنّما أسْرُهُ أغرى به تيها

إن اللئيمَ يريك الحزمَ مهلكةً ويخلط النصحَ بالتضليل تمويها

وحالة العجزِ لا تبقى على أملٍ من النهوضِ فإن العزمَ ينفيها

ذكرى ليلة

كلفتنى فى هواك أمرا يدعوه أهلُ الوفاءِ غدرا

فابلُ الهوى واستعر ضلوعى لكى ترى هل نطيق صبرا

وربَّ هجـرٍ يعـودُ وصـلا ... وربّ وصلٍ يعـود ذكـرَى

وربَّ ليـلٍ أرخـى علـينـا ... لما احـتـوانا الظلامُ سـتـرا

وشى بى البـدرُ عند ليلى ... فـخلتـه من دجـاه يعـرى

بـات يمجّ الظـلامَ طـرفـى ... كـأنه بالسـهـادِ مـغـرى

وحين وافى الحـبيبُ ليـلا ... كـاد يكون المسـاءُ فـجـرا

أخـبـره الطرفُ مـا أعـانى ... فـهل رأى فى الجفـاءِ عـذرا

أضنى اصطبارى ونوم عينى ... كـلاهمـا خـاف منه هجـرا

يحـفظ سـمـعى عنه حديثاً ... أيام كـان الزمـانُ نضـرا

بتُّ وعـينى بالحـزنِ عبـرى ... لأعـين بـالـذبـولِ سـكـرَى

جـعلت قلبى للحـبِّ وكـراً ... فـصـار طرفى للطيفِ وكـرا

مـلأت صـدرى من الليـالى ... فصار مابى فى الصدرِ صدرا

أمـانى الحـب

لواعجُ الحبِّ تـلويهم وتغـرينى ... وسطوةُ الهـجرِ تبقـيهم وتفنينى

وفى الجـفـون دمـوعٌ ضلَّ رائدها ... قـول العـذول عليـهـا غـيـرُ مـامونِ

نجبى من اليأسِ أن الحبَّ ذو غـيـر ... وهل يـعـودُ بما قـد كـان يلوينى

ما أبعدَ الصبر من قلبى على جلدى ... وأقربَ الوجـد من قلبى على دينى

رجعتُ بـالخسرِ والآمال تخـدعنى ... حـتى ظننتُ بانى غـيـر مـغـبـون

من لى به وعـيـون الليلِ تنظرنـا ... بعـد التـصـافى فـادنيـه ويدنينى

يكفى من الدهرِ أن الـدهرَ يمطلنى ... فـإنّ وعـدَ الليـالى غـيـرُ مضـمـون

يكفى من القربِ أنّ النومَ يجمعنا فإنّ ذلك وصلٌ غيرُ مظنون

إنى لأهوى الردى والعيش مقتبلٌ لعلّه بعد موتى فيه يبكينى

كن كيف شئتَ مدلاً أو على صلةٍ فكلُ شىءٍ من الأحبابِ يرضينى

دليل الشوق

أتنكرُ أشواقى وأنت دليلُها وتطفىء أشجانى وأنت غليلُها

وهل عائبى عند العيونِ إذا رنت سوى أنها تدرى بأنى قتيلها

هل الوجدُ إلا أن ترانىَ باكياً إذا لوعة زادت وضرّ قليلها

بسطت لكم بينَ الضلوعِ مكانةً على القلبِ لا يأبى الوفاءَ نزيلها

ولكنّ آمالى يرجين عطفةً لديك ولو أن الجفاءَ رسولها

شقيتُ بنفسى والحسود عذيرها فكيف شقائى والحبيب عذولها !

مرثية فقيد الوطن والعلم

قاسم أمين[1]

أودى البكاءُ بمعوز السلوان وبقيتُ بين طوارق الأحزانِ

طوراً تكاثرنى الهمومُ وتارةً آوى إلى صبرِ الضعيفِ العانى

يا دمع رفقًا بالمحاجر واتئد فالمرءُ رهنُ قطيعةٍ وليان

ولقد علمتُ وإن عرتنى وحشةٌ أن المنايا آفةُ الإنسان

إن الفجيعةَ بالرجالِ أجلّها فقد الكفاةِ لطارق الحدثان

لهفى على الفضلِ الصريح إذا ثوى فى حفرةِ القرم العظيم الشان

ليتَ الزمان وقد أرادك بالذى يأبى أحسّ بمقتلى فرمانى

---

(١) توفى قاسم أمين عام ١٩٠٨ .

مـال الرجـالُ أمام نعشِك حسـرةً ... مـيلَ الغـصـونِ مع النسيم الوانى

وضعوا الشمالَ على الجفونِ وأختها ... مـوكـولة بمجـامعِ الأشـجـان

وبكى الجليـدُ بكاءَ ثكلى واحـد ... فـرد رمـاه مـقطر الفـرسـان

فاذهب كما ذهبَ السحابُ محببا ... تثنى عليـه نفـحـةُ الريحـان

يا سـعـد مـا فـعل الزمـانُ بماجـدٍ ... غـدَر الزمـانُ بعـودهِ الفـينان

قـد كنتَ تدعـو للعظيم مـغلبـاً ... يدنى الرجـاء بهـمـةِ المعـوان

قـد كـان يدنى من فـؤادِك حبّـه ... صـدق الجـهـادِ وصـحّـة الإيمان

رثاء قاسم امين

الدمعُ بعـدك قـد أصـابَ مـسيـلا ... والرزءُ مكّن فى الضلوعِ غليـلا

وعـدا على الآمالِ بعـدك عـاصفٌ ... صـعبٌ أمـرَّ رجـاءنا المعـسـولا

كـانت تفـتح كـالزهورِ فـيجـتنى ... لحظُ العـيـون بهـاءَها المطلولا

فغَدت كوجهِ التربِ أعوزه الحيا ... جـدباً ضنينا بالثـمـارِ وبيـلا

هل عند رهن القـبـرِ أن زفـيـرَنا ... يقـرى السـلامَ جنابه المأمـولا

هل عنده أنى افـتـقـدتُ بفـقـده ... رَبَّ الكفـايةِ بكرةً وأصـيـلا

أخـذَ الفـؤادُ على الجفـون وثيـقـةً ... أن لا تميل إلى العـزاءِ قليـلا

ولقـد رأيتُ الدهـرَ فى أحـوالهِ ... تخـذ الأمـانَ على النفـوسِ دليـلا

قل للذى لم يصم رزؤك قلبَـه ... إنى حـسـبت فـؤادَه مـدخـولا

كـيف احتـواك القـبرُ فى أحشـائه ... ولقـد عـهـدتك صـارمـاً مسلولا

يـارُبَّ أقـوامٍ نفـسيـت ضـلالهم ... وعـجـمـتـهـم حتى أقمتَ مميلا

أخـذوك بالطرفِ الحسـيـر وربما بعث العليلُ إلى الضيـاء عليـلا

زورة حبيب

جعلتُ فيك على العلّات آمالي لما انتزعت حديثَ اليأسِ من بالي
ورحتُ أدأبُ والآمال تُسعدني حتى سئمتُ على الآمالِ أحوالي
وفاتني الحظُّ منبوذاً بمنزلةٍ ينمُّ فيها الهوى عن راحةِ السالي
حسبت دمعي قرى والشوق منتجعاً وخلت قلبي لهيباً والجوى صالي
جريت في الحبّ مدفوعًا بلاعبث فما اعتذاري إذا ما فاتني التالي
يسعى أُناسٌ إلى وردٍ لينقذهم من الغليلِ وهذا الورد يسعى لي
يا أيها الزائر المدلي بمعذرةٍ وفي تمهلهِ لو شاءَ إبلالي
لو أنني مودع في طَيِّ مقبرة تسعى على تربها أحييت أوصالي

الحبُّ والرقة

شكوتُ إليه ذلّتي فتحكّما وأرسلتُ دمعي شافعاً فتبرَّما
وقال له الواشون أنت وصلته ببعثك طيفاً في الكرى فتظلَّما
وخبر أني قد تخيلت أنني تزودتُ منه قبلةً فتألَّما
وخبر أني سوف أخلس نظرةً إليه فاضحى بالحياءِ ملثَّما
وإني لأهوى أن أموت لعله إذا مرّ ذكرى في الحديث ترحَّما

في الفخر والحكم

نقم الحقودُ جنايةَ الرجحان ومحا النعيمُ فضيلةَ الحرمان
ما زاد ذو جدٍّ ليحتاز العلى لكنّه قد زادَ للنقصان

ولقد علمتُ وإن شكوت خصاصةً ... أن المنيـــةَ غـــايةُ الإنســـان
عَجَمَ الزمانُ عزيمتي وعجمتُه ... فكأننا علمـــان يصطدمـــان
ولئن سفلت كما عليت تواضعاً ... حيث الأسافل ما جهلت مكانى
صاحبتهم بالشك حتى ذقتهم ... فعلمتُ أنى قد أبحتُ عنانى
وإذا كريت عن الحوادث غرةً ... راعيتها بلواحظِ اليقظان
روّضتُ نفسى للطماح فراعها ... أنَّ الأمـــانى آفـــةُ الإنســـان
أربى بنفسى أن أبين سريرتى ... لمضللٍ قـــد غـــرَّه إعـــلانى
وملمة تنسى الجبان حياتَه ... كشّفتها بحفيظتى وبيانى
ولربما أدع المناظر أبكما ... فى موقفٍ ما حار فيه لسانى
وإذا الحوادثُ نوَّهت بملمّـــةٍ ... لتروعنى لا يستطارُ جنانى

إلى صديق

دافع الآمـــال بالتُّـــهم ... لو قـــراه النومُ لم ينم
فيبيتُ الليل يسهره ... وهو يرجو الوصلَ فى الحلم
وإذا ناجى مســـامـــره ... لم يجبه النجمُ من صمم
فاجتباه السهدُ يؤنسه ... واجتـــبـــاه الحبُّ للالم
وشـــبـــابُ الليل متهمٌ ... يقـــرع الأفـــلاكَ بالظلم
دبَّ فيه البدر مهتتكاً ... (كدبيب النار فى الفحم)
واستباح الصبحُ دولتَه ... إذ رماه الفجرُ بالهرم
لم يدع منه الصباحُ سوى ... رمقٍ فى شخص منعدم

يقتفيه وجهُ ذى خلق   أصله من عنصرِ الكرمِ

قد أنار البشرُ صورتَه   فهو فى التعبيسِ يبتسم

حلّ بين الناسِ منزلةً   كحلولِ الصفوِ فى الشيَم

واقعٌ فى حيث لا دنس   موقع الآمالِ فى الهمم

سائرٌ إلا إلى عبثٍ   واقفٌ إلا على ندم

نفسه للفضل تدفعه   فهواه غيرُ متَّهم

جالَ فيه المدحُ ملتثماً   كمجالِ الحمدِ فى النعم

ومشت فيه فضائلُه   مشية الآرام فى الحرم

وجدت فينا محبته   كوجودِ الدين فى الذمم

ضيقة حال

أعاتبُ دهرى أو تهون خطوبُه   وأعذلُ حالى والدموعُ تشيبُه

وكيف ألومُ الدهرَ فيما يريبنى   وأحسنُ شيءٍ فى الزمانِ عيوبه

سأندبُ حظى والأمانى شواردٌ   كأنى سقيٌم قد جفاه طبيبُه

إذا عبثَ الدهرُ اللئيمُ ببائسٍ   فحسب نصيبى أنَّ مثلى نصيبه

وصرتُ كما شاء الزمانُ مخيباً   يعاتبنى قلبى كأنى رقيبه

ودافعتُ آمالى كأنى سئمتُها   وأخلفنى صبرى كأنى أريبه

وَضَاقَتْ بى الأحوالُ حتى كأنَّها   فؤاد محبٍّ غاب عنه حبيبه

أضن بصدرى أن يلمّ به الأسى   على الخطبِ إلا أن يضيقَ رحيبه

ولا أرقبُ الآمالَ إلا تعللاً   لعلّ الذى يعدو المراد يصيبه

سأذكرُ أياماً نعمت بلبسها إذا ماشدا عند النضيرِ خطيبه

وما أنا ممن لا يعزى فُؤاده إذا خان جدّ أو تناءى قريبه

وللمرءِ أحوالٌ تريد عزيمةً يذود بها عن قلبه ما ينوبه

إذا كان دون الشيبِ للمرءِ مانعٌ من الموتِ لم يجرؤ عليه مشيبه

رثاء الشيخ محمد عبده[1]

سجرت فؤادَك حتى خمد وأرخصت دمعك حتى نفدْ

وحق على العينِ أن لا تنى تشرد من دمعها ما جمد

أردتَ الوفاءَ فهان البكاءُ ورمتَ التعزّى فخانَ الجلد

وأسمعك الموت حتى أصم فهل للذى فات من مسترد

ولو أقصد الموت غير الإما مِ لهان على مصرَ من تفتقد

فكم من مضلٍّ له قد عنا وكم من شقيٍّ به قد سعد

ترقب منه الردى غِرة فقد صار يمزح حتى عمد

أبى ذخره أن يهابَ الردى وقد عرف العيشَ حتى زهد

وإنَّ الفتى ليخاف المما تَ وما جنب الورد حتى ورد

يقيم على أملٍ خادعٍ ومن غرَّه العيشُ لا يقتصد

يرجي سفاها متاب الغدا ة فهل أمن الموت من دون غد

وما أخطأ الموتُ فى حكمه ولكنْ لكل بقاءٍ أمد

وقد نال من فضله الحاسدو ن حتى الزمان عليه وجد

فيا آية الله لم تقصرى فقد عرف الحقَّ من قد جحد

---

(١) كانت وفاته يوم ١١ من يوليو عام ١٩٠٥ .

وكم رام شـاْوَك من حـاقـدٍ فـمـا ذمّ فـضلك حـتى حـمـد

وهل يجـهلُ الضـوءَ إلا العـمى وينتـقصُ الشـمسَ إلا الرمـد !

وهل يُنكر العـيبَ إلا الرضى وهل يجـحـد الفضلَ إلا الحسـد !

عقـيدة الحبّ

زارنى والطرفُ مسلوب الكرَى وانثنى والجسمُ مسلوب الفـؤاد

حـالة لم ينعم الطرف بهـا فـاباح الطيفُ لى طعمَ الرُقـاد

لـم يدر فـى خلدى السلوان حـ ـتى كـأن الحبَّ فى قلبى اعـتـقـاد

إنما يوحش فى القـرب التجـافى مثلما يوحش فى البـعـد افـتـقـاد

إنْ يَجُـدْ بالوصل يُحى رمـقـاً هالكاً من مطله هلك اقـتـصـاد

خطة الهـجـران مـا أنكرتهـا هكذا الآرام لا تـعطى قـيـاد

وعـيـون ناطقـات بالكرى ألهـمتنى كلَّ مـعنى مستـفـاد

وصفُ راقصـة

آنسـةٌ تمرحُ فى جلبـابهـا كـأنها تعجب من شبابها

وشـعرها كـأمـة تعنى بهـا راقصة كالصلِّ فى انسيابها

كـأنهـا تـدور فى إهابهـا تكاد أن تخرج من ثيابها

وثوبهـا يكاد أن يزهى بهـا !

حالات الحب

مــا لعــينى خــانهــا الدمعُ ولا عــــذر للعين إذا لم تــســـجمِ

نفـــد الدمع على طول البكى فــاســتــعــار الحب لحمى ودمى

أنا والآلام تســـتـــهــــدفنى نـادم لـو كــــان يغنى ندمى

قـــد كــرهت النومَ حــتى إننى لـو أتـانـى طيـــــفُكم لـم أنم

مـــا أبالى والهـــوى يبـــرئنى إن رمـــانى حـــاســدٌ بالتُّـــهم

هانـت الأنفسُ فى الحبِّ فـــلا ترحم العـــاشقَ إن لم يســـقم

إن أعنت الصبَّ فى حمل الهوى هـزئـت أعــــضــــاؤه بالألـم

قـد منعت الوصلَ من غيـر قلى فـــارض لى الصــدَّ إذا لم يحـــرم

طلعة وشجون

يا طلعــةً طلعت بكلِ شـجـونى أجـهــدت قلبَ متيمٍ مفـتـون

ومن العجائبِ أن تصد حبيبة وثقت بحب الصــادق المأمــون

أنا فى هواكِ بمنزلٍ لم يعــــده أسف الحـــزين وحـــالة المجنون

رضى الفؤادُ بذلتى وخصاصتى أرثيـتِ أنت لذلك المسكين ؟

طوراً تكاثرنى الشــجـونُ وتارةً آوى إلى صـــبـــرٍ عليك أمين !

الحظ القليل الكثير

حـسبى من الدر أنى كلمـا نظرت عـينى إلى الأفق جـادتنى بلالاءِ

وإن ترصَّــدَ للأســعــار جـاهلُهـا مـا ضـرَّنى حـالُ إرخـاصٍ وإغـلاءِ

وإن ترفع بالأسرار كاتمها ... ناجيت صوت التقاء الماء بالماء
وإن تمادى غنى فى غوايته ... علمت أنى كفيت الداءَ بالداء
إنى لأنظرُ بالعينِ التى نظرت ... ما بين ذلك من حالات آلاء

حساد على الصبر

نقم الحسّادُ أنى صابر ... رُبَّ صبر فى فؤاد البائسِ
قد رأونى ذا سلام صارمٍ ... ربّ ثَلْمٍ فى سلاح الفارس

الحزن والسرور

إنّما الحزنُ والسرور غذاءٌ ... لفؤاد الإنسان طولَ الحياة
فإذا طاح بالسرور قضاءٌ ... فارضَ بالحزن قبل أن لا يؤاتى

مواطن الأشياء

تعرض الأشياء فى أوطانها ... آفة الجوهرِ أن لا يعرفا
كم جهولٍ عزبت عنه النُّهى ... نَبذَ الدرَّ ونالَ الصَدَفا

إلى صديق
بعد إبلاله من مرض

رضينا بالبعادِ وأنت دانى ... فصرتَ على بعادك كالأمانى
وكلَّفنا احتجابك عنك صبراً ... وهل يغنى السماعُ عن العيانِ
وكيف تنالك الدنيا بشىءٍ ... وأنت البرءُ من حَدَثِ الزمان
وما هزئت بصعدتك العوادى ... ولكن غرّها سلس الليان

ولمـا جــــــاءك الأمـلُ المرجّى ... طعلت طلوع يوم أضـحـيـان

بـبـشـرٍ مـثل مـا نقم الأعـادى ... ووجـهٍ مـثل مـا عـشق الغـوانى

أرانى يوم أغـبطُ فـيك نفـسى ... كـأنى لستُ أمنحك التـهـانى !

شاهد الدمع

أحـبـيبُ لو دبت إليك صـبـابتى ... لعـلمـت أن الحـبَّ ليـس بمنكـر

لا تحـسـبنّ الدمعَ ليس بخلقـه ... إن البكاءَ مـوكلٌ بالمحـجـر

وهل ابتـغيتَ على وفـائى شـاهداً ... أم هل دللتَ على الصباح بنيّر ؟ !

رثاء الحبّ

ولا تـدفـنـوه بـأرضٍ خَـلاء ... فـقـد كـان يأبىَ المكانَ الجـديبـا

ولا تنزلوه صـمـيمَ الفـؤادِ ... فـإنى أخـافُ عليـه الوجـيـبـا

ولكن بحـيث غـناء الطيـو ... ر يقـريه لحنًا لذيذاً رطيـبـا

وإنى لأخـشى عليـه الأذى ... كـمـا كنتُ أخشى عليه الرقـيـبا

وإن خليـقًـا بطيبِ المقـا ... مِ من كـان يهـدى إلىّ الحبـيـبا

فـلا تشـمـتـوا بعظيمٍ مـضى ... فـقـد كـان فـينا قـديراً مـهـيـبـا

ومن عـجبٍ أن أراه الحـمـيـد ... وقـد كـان يدمى الكُلَى والقلوبا

يصـول بحـالين هجـر ووصل ... يشـبّ لهـيـبًا ويطفى لهـيـبا

تعـالوا نُظَلّلْهُ بالغـاديات ... من السحب لو أسعدت مستثيبا

ونـنـهـلـه مـن قـطـرات الـنـدى ... هنيـئـاً وننزلْهُ روضـاً قـشـيـبـا

استهداء رَسْم جميل

يا أبيًّا يعافُ مدرجةَ الجا ه إذا ما رأى عليها الهوانا
قد عهدناكَ منعة لضئيل الـ ـحظِ إن لده الشقاء طعانا
وعهدناكَ أعظم الناسِ قلبًا وجماحاً وهمةً وبيانا
ترسل اللفظَ فى مناجزة البطـ ـل فيهوى سيفًا وينحى سنانا
أنت خلو من المداجاةِ واللؤ م إذا استعبد النفاقُ الجبانا
فسقىَ اللهُ عزمةً لك شما ءَ ونفساً لا تستطار جنانا
إن لى حرمةً لديك على مد حيك لا تجزنى عليها امتهانا
كان هارون يمنح الخلع الغـ ـرّاءَ برًا بأختها وامتنانا
ولديك الشفاءُ من سقم القلـ ـبِ إذا كنتَ تحمد الإحسانا
طلعة ضمنت مصارع قتلا ها اعتداء وأودعت أشجانا
من مجيرى من الذى تبل القلـ ـب وليس المواصل المعوانا
شرع اللحظَ ثم قال لطرفى فى وعيدٍ : هن يا عزيز فهانا
فأنا اليوم إن رمانى بلحظٍ قال طرفى يا مقلتيه أمانا !

عبادة الحسن

عجبتُ لأشجانٍ مجوسية اللظى أصارتك معشوقًا فصرتَ معبَّدا
وراضَ لى الأعذار أنى شاعر وأنك قد أصبحت فى الحسنِ أوحدا
حنانيكَ يا هذا الحبيب على فتى يحبك حُبًّا حيث ما نفد ابتدا
يبيت سميرَ الليلِ يخفق قلبُه فيسعده القلبُ الذى ضمن الصدى

نشـدتك لو جـاءَ النعيُّ مـخـبّـراً بموتى فــلا تحـبس بكـاءً مــرددا
وقل رحمَ اللهُ الوفيَّ الذى قــضى ولم يلق منى فى المحبـةِ مسـعـدا

الـود الرخـيـص

أيهـــا الـنـاقم الذى أطلق الكيـ ـدَ ولـم تـثـنـه هـوادةُ حـلـمـى
قــد حلمت الودادَ من غـيـر أجـرٍ فـقـبلت الجـفـاءَ فى غـيـرِ جـرم

إلى صديق

وقـفـتُ عليك القـلب عند منازلٍ أوائلهــا مـعـقــودةٌ بطمـــوعِــه
فكنت أخافى النائبات وساعداً قــديراً يردّ الخطبَ قـبل وقـوعـه
تكثـرت بـالأنـصـار حـتى عـرفـتـه فـغـابت غيـابَ الشكِ عند طلوعه
وحـسـبى من الحظّ المدلّ بـنـفـسـه إذا قـيـلَ هذا القــرم ملْءُ ضلوعــه

لجاجة الحب

همـو قـيـدوا قلبى بهـا وتـواقـفـوا طويلاً مع الأهواءِ يدفـعـهـا العـتـبُ
يريدون أن لا يجـمـعـونـا سـفـاهـةً وما نحن إلا الخمـر والبـارد العـذب
يقــولون لا تعطِ الغــرامَ مــقــادةً فـمـا هو إلا الخطب أو دونه الخطب
لك الخـيرُ لا تجزع فـمـا لك حـاجـة إليـهـا ومـا يدرون مـا فـعلَ الحبُّ
ألا لى غـيـر الخـيـر لى كـل لاعـجٍ قدير من الأشـجـانِ يضـمـره القلب
هوى نازع الأحـشـاءَ فى مستـقـرها وأحـدث مـا لا يسـتـحـث له اللب
لقـد أضـمـر الغـيـبُ المضـلـلُ وصـلهـا فيا ليت هـذا الهـجر أضمره الغيب

غلالة الصهباء

زارنى زورةً أتيــــهُ بهـــا مـــا تاهَ بالعــزِّ صــاحبُ الخيـــلاءِ
قلتُ يا ظالم القلوبِ ترفق بحنينى ولوعـــتى وبكائى
فتمشّى الحَياءُ فى الخدِّ حتى حجبته غلالةُ الصهباء !

مخادعة الهم

نحن قـــــومٌ إذا تطرقنا الهمُّ خـــدعناه بالرحـــيقِ المشــوب
ثم ننفـــيـــه بالأزاهرِ والشــعــ ـرِ ووصل المنى وعطفِ الحبيب !

العذر فى الكأس

أيُّها العـاذلون فى الكأس مهلاً قـد جـهلتم عـلالةَ العـشّـاق
هى تبر يحيى الطلاقةَ فى النفـ ـسِ ويمحو غضاضةَ الإمــلاق !

خطرات فى الحياة

قنوع اليـأسِ يجحدنى رجائى وهمُّ النفسِ داعيـــةُ الرخـــاءِ
وقد غَلَبت صروفُ الدهرِ حزمى فـجـالدتُ المصـائبَ بالنجـاءِ
وقـد سلبت صـروفُ الدهر منى كـمـا سلب البقاءُ من البـهاء
وقــد يُغنى العـزاءُ عن التـمنّى وقــد يُغنى الطلاب عن العـزاء
أأجـــزع من مـجـالدتى الرزايا كـأنى لستُ فى طلب العـلاء !

مجلس

أسفرَ وجهُ الأفقِ بالصباحِ كأنه يبسمُ عن أقاحي

وكلُّنا من منتشٍ وصاحي قمنا نحيي الفجرَ باصطباحِ

ونخلطُ الوقارَ بالمراح لا نؤثرُ الجدّ على المزاح

فعرضنا ليس بمستباح ثارت بنا إلى كؤوس الراح

ولم نطع فى تركها اللواحي شبيبة تدعو إلى الجماح

سبيل الحب

إذا كان لا يرضيك أنيَ هالك بحبِّك فابعث فى المنامِ خيالكا

وأجهلُ أسبابَ الهوى غير أننى أسائلُ عنها مقلتى وجمالكا

محبُّك لو تدعوه والنارُ بينهُ وبينك تبغى موتَه لسعى لكا

غناءُ الليل والحبُّ

ما لحدادِ الليلِ لم يخلعِ وما لعين الأفقِ لم تهجعِ

لعلّه يفرق من هيبتى أن يخلسَ الأنداءَ من أدمعى

وربَّ ليل ملّنى جنحه لو مرّ بالمخطىءِ لم يجزع

قريتُه من زفرات الحشا فما لهذا الليل لم يشبع

لم يُدمِ قلبى طول هجرانه لكن سهمَ اللحظِ لم ينزع

أبدلنى بالوعدِ من وصله لكنتى بالوعدِ لم أقنع

إن لم أكن عن حبّه مقلعًا فما لهذا الصدِّ لم يقلع

إن لم يكن حـبى له شـافـعى فـمـا لجنحِ الليلِ لم يشـفـعِ
إن أشـفـق الغـيث على تربهم أقـولُ هل خـانهـمـو مـدمـعى ؟
هل حـيـلة تصـرفنى عنكم فـإن صـرفَ الدهرِ لم يزمع
دلوا على عطفكم مـولعـاً ظمـآن لا يسلو ولم يطمع !

خطرات الحبّ

حبيب هل عوتبت فى مغرم فـإننى عـوقـبـتُ فى ظالمِ
إن يك منك البخلُ مستحسناً فـرحـمـةُ الله على حـاتم
لئن أرانى عـتـبكم عطفـة فـإننى أشـبـهُ بالنائم
أعلم أنى فـيـكم هالك حـتى كـأنى لستُ بالعـالمِ
أثريت لما أن تجـافـيـتـمـو من مدمعى باللؤلؤِ الساجم
إن تك قد غرتكم صبوتى لا تستحـثـوا خدعـةَ الراغم
أو أكُ فى مـعـتـبـتى آثـمـاً كـيف استـجـزتم زلةَ النادم
أو أكُ بالكتـمـانِ عاهدتكم مـا حـيلتى فى لغط الحـالم
وبالمنى أفـدى الذى قـال لى مـا أنتَ فى حـبِّك بالغـانم
إذا الرضى أعلن فى ثغـره فـخـادعٌ أشـبـه بالبـاسم
وإن تبدى السخط فى وجهه فـمـعـتـب أشـبـه بالناقم
وإن أرم إرضـاءه جـاهـداً لاسـكـرتـنى نـظـرة الـواجـم
لو أثم العـاشقُ فى حـبِّـه لاشـتـبـه المظلومُ بالآثـم
لئن يخاصمنى الهوى فيكمُ عند المنى كان الهوى خاصمى

كيف أرجّي رحمةً منكمُ إن كان قلبي ليس بالراحم ؟

من كان من أسقامه واثقاً لم تستمله قالةُ اللائم

من يجعل الحبَّ شفيعاً له خاصمه الحبُّ لدى الحاكم !

زهرة ووعد

وما زهرةٌ صان الربيعُ بهاءها وكلّلها الإصباحُ باللؤلؤ الندى

بأحسن من وعد الحبيبِ وفرحة الـ ـمحبِّ وقولِ العاذرِ المتودد

اليأس من الحب

وكيف يكونُ الحبُّ عني راضيًا وقلبي عنه بالحوادثِ مشغولُ

أشايعه حيناً على ما يريده وإنّي لأدري أن ذلك تعليل

ولا راحة في العيش ما دمت هكذا يبغضني في العيشِ يأس وتأميل

إذا كان طرفي خانني في دموعه فإنّ فؤادي لا محالةَ مدخول !

وضيعني القومُ الذين حفظتهم كأني معنى بالإعادة مملول !

طول الليل

يا ليلُ هل وقف الفلكْ أم هل دليلك قد هلكْ ؟

ووقفت تلتمس الطريـ ـقَ فساءَ ظَنُّ الصبِّ بك

ولقد ثقلتَ على المحبِّ فهل ثقلتَ على الحبك ؟

بيني وبينك يا ظلا مُ وبين طرفي معترك

يا من أباحَ مقاتلي وأحلَّ في صدري الضنك

لولاك مـــا عـــدل الحـســـــو ... دُ عـلـى هـواكَ ولا مـــــــحـك

لو كـنـتَ مـــحــستكـمـــاً علـيـ ... ـنا لانتـــصــرتُ عـليك بـك

لـو كـنـتَ تـقـــضـى بيننا ... لـشـكـوتُ عـــــذالى إليـك !

عـفـة الطـرف

لـو أن طـرفـى فـــــاسقُ ... لـعلـمت أنى عــــاشقُ

أغـــضـى لحـاظـى عـــفـةً ... لـكـنَّ دمــــــعى ناطق

إنَّ المحـبَّ مـــــشـــــردٌ ... فـكأن نـومى عـــــاشـق !

لحن يتمشى بالألـم

مـطربى الحىِّ تـعــــالوا أيقـظوا ... ربـةَ الـدلِّ عـلـى وقـع الـنـغـم

واحـــذروا من رقـــةِ السـامع أن ... يـتـمـشى اللحنُ فـيـه بالألـم !

الأمـانى حـدق

يـذكـرنيك ضـيـاءُ الهـلالِ ... إذا مـا الهـلال بدا فى الغـسق

فـإن تلكُ قـد غـبتَ عن ناظرىّ ... فـإنِّى تخـذتُ الأمـانى حـدق !

الخمـود والجمـود

قـد أداروا من الخـمـود عـقـارا ... واسـتـبـاحـوا من الذهولِ وقـارا

واستـكانوا فـأنفـذ الدهرُ فـيـهم ... حكمَـه واسـتـردَّ مـا قـد أعـارا

سلكَ العـجزُ فيـهم مسلك العز ... م فظلوا يرون فى المجـد عـارا

ليـتنى متُّ قـبل أن أُنكرَ العـيـ ... ـشَ ولكننى فـقـدتُ الخـيـارا

أنا فى ذمــــةِ الـزمـــــانِ ولـكـن ... لا أســيغُ الحـيـــاةَ إلا اضـطـرارا
يـا بنى مـــــصــــرَ والمذلة عـــــار ... إنما يُنكـر المفـــيقُ الخـــمـــــارا

الـروض والهـجـير

بعثَ الهجير إلى الزهور نسيمَه ... بتنفس كـسـتنفس الولهـــانِ
خلس الهجير إلى الزهورِ حياتها ... فـغـدَت كطرف الناعسِ الفـتـان
ودّت ذواتُ الحسنِ أن لبوسـها ... مـن تـمــج ذاك الـرائـع الألـوان

معـانى النظـر

لهـــا نظرٌ جمٌ المعـــانى إذا رنت ... ســألت فــؤادى أى مـعنى تريده
إذا نظرت طاحت بقلبى نشـــوةٌ ... فـينحل مـعـقـود العـزاءِ جليده

شـفـق الغـروب

وكـــأنما شـــفـق الغــــرو ... بِ إذا اسـتـقـرَّ على الغـدير
خـجل المليـحـةِ يومَ يجـ ... ـلوها الزفــافُ إلى السـرير

الحيـاة قمـار

إنّى رأيتُ المساعى فى مَصَادرِها ... والنَّاس مـا بين مـهـمـومٍ ومـســرور
مـقـامـرٌ ظافـر راضٍ بقـسـمـتـه ... وآخــر ناقمٌ فـــعلَ المقـــادير

الخاطر والزمن الخالى

يـمـــرُّ بى الخـــاطرُ فى شـجـوه ... على هوى فـاتَ وعـهـدٍ قـديم
كـــمـــا تجـول ا لريحُ فى مـرّها ... بـــدارسٍ رثٌ ذلـيـلِ الأديــــم

الثَّبـاتُ

ثبـاتًـا فـإنّ العـارَ أصـعـب مـحـمـلاً ... من الذلِ لا يـفـضـى بنا الذلّ للعـارِ

وإن تحـسـبـوها خطةَ الطيش إننا ... ذوى العزمِ لا نـغـضـى لصولةِ جبار

فـإن روعـونـا كى يقـودوا أشـدة ... ثبـتنا على التـرويعِ نلهـو بأخطار

فـمـا زادنا التـرويعُ إلا حـمـيّـةً ... وهل حسبوا أن يطفئوا النارَ بالنار

سـيـهـزمـهـم منا أبوةُ مـاجـد ... وهمـةُ خطار وعـزمـةُ مـقـدار

فيا قوم لا حـقـقـتـمو قـولَ عازبٍ ... عن الحقِ يسـتـخـبى الرياءَ بأعـذار

أقـيـمـوا بنا نـهجَ الطريق لغـيـرنا ... فـإنا بنى الأوطانِ كـالجـارِ للجـار

الحـب أعمـى

يا رئم هل للوفـاءِ مـرتجـع ... فـالحبُّ أعـمى يقـوده الطمعُ

وإن رأيتَ المحـبَّ ذا ضـرعٍ ... فـفى الصـبـا لا يشـينه الضـرع

وليلة بالنجـومِ حـاليـة ... رعـيـتـهـا والفـؤادُ منصـدع

ضنَّ بهـا الدهرُ أن يزوّجـهـا ... فـجـاء نورُ الصـبـاحِ يفـتـرع

لغـز الحيـاة

إذا كـان فى مـوتِ الفـتى راحـةٌ له ... فـأى رجـاءٍ فى الحـيـاةِ يريدُهُ

عـجـبتُ لهـذا الدهرِ إمّا يغـرنا ... ببعض المنى حتى يرجى حميده

وإمّـا شـقـاء ليس يرجى نفـاده ... تمرُّ علينا خـيلُـه وجنوده

أنضـحكُ أم نبكى وهذا زمـانُنا ... عـجـيـبٌ لدينا وعـدُه ووعـيـدُه

دواء الملل

مللتُ فكان العتبُ منى سفاهةً ... كلانا له ممن يملُّ بديلُ
ولولا خداعٌ شابَ طبعك لم يكن ... إليك لمن يبغى الوفاء سبيل

الروض بالليل

نزلنا ليلةً بالروضِ نسعى ... كسعيِ العامدين إلى يسارِ
إذا لاحت أوائلهُ ابتهجنا ... كأنا قد نجونا من إسار
أمنا صولةَ الأيام لمَّا ... رأينا الروضَ محمود الجوار
إذا ظمىء الفُؤادُ إلى بهاءٍ ... فإنَّ الروضَ يذهب بالأوار
شربنا باللواحظِ ما رأينا ... من الحسناتِ والطرف الكثار
بهاء آخذ بالنفسِ يسطو ... بمثل الخمرِ مأمون الخمار
يميلُ الغصنُ من طرب إلينا ... كأنَّ الغصنَ مخلوعُ العذار
ومرأى النجمِ من خلل الغصونِ ... كمرأى الحسنِ من خللِ الستار

البرق

شَبَّ برقٌ فى فحمةِ الليلِ ماضٍ ... شبَّ فى أضلعى لهيبَ الغرام
أنت لحظٌ من الحبيبِ إلينا ... أم مغير من طائشات السهام !

أمنية

ولقد قلتُ إذ رأيتُ حبيبى ... يتغنى بطرفةٍ من شعرى
ليتنى فى خلال بيتٍ رقيقٍ ... لاثماً ثغرَه باطرافِ ثغرى !

جسم وقبر

لیس جسمی الذی ترون ولکن ... ذاكَ قبرٌ لما تكنّ الضلوعُ
من شجونٍ ولوعةٍ وادّكارٍ ... وهمومٍ تنمُّ عنها الدموع !

النجوم

لعمرك ما أدری أتلك أزاهر ... مفتحة أم قد رأيتُ أمانيا ؟
ويبعثن نحوی باللحاظِ كأنما ... يردن ليعرفنَ الذی فی فؤاديا !

الخمول

إنی وإن كنتُ منبوذاً بمنزلةٍ ... ينمّ فيها الرضى عن موضعِ العجبِ
لذو فؤادٍ ذكی الطبعِ مختبیءٍ ... بين الضلوعِ اختباء البرقِ فی السحب !

نصيب قليل

اجعل الدمعَ والسهادَ نصيبی ... واجعل الطيفَ عاذلی ورقيبی
حسب الصدِّ أن يميل بقلبٍ ... ذی شجون عن أن يراك حبيبی
لست أصبو إلی الملالة والهجـ ... ـرِ ولو قلَّ فی هواك نصيبی

الروض والحب

زارنا والليلُ منبسطٌ ... فرأينا طلعةَ الشمسِ
قمت أسعى نحوه جذلاً ... وأفدی النفسَ بالنفس
ثم عجنا نحو حالية ... ببديع طيِّبَ الغرس
وغناءُ الطيرِ يطربنا ... كالغوانی ليلةَ العرس

صديق عــدو

تناوشني الوشــاةُ فــأدريهــا ... ولكــنْ أنــتَ مــغــفــرها المتينُ

وكــيف أصيبُ أعدائي رماء ... وهم يحميهمُ الدرعُ الحصينُ ؟

كلمة فى الشاعر بيرون

تقول قولاً فتذرى الدمعَ من شجنٍ ... كــأنَّ قلبَك مــدلولٌ على العِــبَــرِ

ألبستــه من سوادِ الحــزنِ ضــافيــةً ... فخلتهــا من سوادِ القلبِ والبــصر

فكرٌ كــأنَّ مــلاكَ الوحى يُسْــعــده ... مــوكَّلٌ بصــروفِ الدهرِ والغــيَــر

إذا ظفــرت بمعنى كــان مــوقــعُــه ... ألذَّ من وقــعــات النجحِ والظفــر

قــد اجــتــبيــت من الآراءِ أشرفــهــا ... حتى كأنك معنى الصدق فى الخبر !

إلى صــديق[1]

ســـامـــر الليلَ بابنةِ العنقـــود ... وأدرها ترح فــؤادَ العـــمــيـــد

خلدت فى الدنانِ حــتى لقــد أر ... بَت سنوها على مــدى التخليد

وئدت كى تعيش حــتى لقــد حــا ... لت وجلت عن هيــئــةِ الموجــود

وتعــدت مــدى الصــفــاء فكادت ... أن توازى من خلقِ عبــد الحــميــد

مــســتــحــيلُ النديدِ منقطعُ القــر ... ن لدى مــاقط البــيــان الشــديد

مــتــقــصّى البــيــان يعضّــده الحق ... برأيٍ فى النــائبــــاتِ ســــديد

أنتَ قــد قــمــتَ بالنشــيــر ولكنــ ... ــك أزريتَ فــيــه بابن العــمــيــد

(١) هو الصديق الجليل والأستاذ المفكر عبد الحميد بك بدوى (والقاضى بمحكمة العدل الدولية بلاهاى فيما بعد) .

واطمأنت بك البلاغةُ حتى   نسيت عهدها بعبد الحميد
وفضلتَ الورى فلو نظم الكو   ن قصيداً لكنتَ بيتَ القصيد !

موعد

موعدٌ يجذب الفؤادَ إليه   سأذم الزمانَ حتى يَحينا
ووصالٌ أشهى لدىَّ من النجـ   ـحِ سافنى الرجاءَ حتى يكونا
يا حبيبى لقد أقامَ بنا الهجـ   ـرُ على حكمِه فكيف رَضينا ؟

عذير الحب

غال قلبى بالصدِّ حين تخلى   أتراه يضن بالوصلِ بخلا
إن يكن للعذولِ فيه عذيرٌ   فالعميد الشجى بالعذرِ أولى !

عذاب ونعمة

من استعار النومَ من ناظرى   ومن أبان العذرَ للعاذرِ
إن فندوا الساحرَ فى فعله   فإن سقمى حجةُ الساحر
وردت ظمآن فلم أرتو   ما أشبهَ الوارد بالصادر
إنْ يعقبَ الصبرَ رجاءٌ فمن   يؤمننى من ميتةِ الصابر
إنْ لم يَجِدْ لى عاقلٌ حيلةً   ما حيلة المختبلِ الحائر
إنْ يجعلَ الحبَّ شفيعًا له   فالحبُّ طوعُ الحاكم الجائر
إنَّ عذابَ الحبِّ لى نعمةٌ   وجاحد النعمةِ كالكافر !

فى التبسط

أدر الكأس فقد طابَ الصبوح | لا تطع فى تركها قولَ النصيح
وافترعها نصطبح موؤدة | خلدت فى دنِّها من عهدِ نوح
عاطها أغيد معسولَ اللمى | ناعم الأطرافِ كالرئمِ السنيح
جاءنا يمشى بعطفيه الصبا | جيئة النومِ إلى الجفنِ القريح
قهوة مشمولة تبدى لنا | مثل ما يلفظه الظبىُ الذبيح !

إلى عالم جليل

إن المقرَّ بما أُوتيت مجهود | من ينكر الضوءَ والإصباحُ مشهودُ ؟
قد قمت بالبشرِ حتى قيل بارقة | وقمت بالحلمِ حتى قيلَ جلمود
وألبس اللهُ منك الدينَ حلّته | كأنما هو سرٌ فيك موءود

إلى صديق

لابد لى منك مهجوراً ومودودا | فاكفف ولست بما تجنيه مجهوداً
وإن تكن لست تدرى كيف تحفظنا | على الوفاءِ فقد سمناك تقليدا

لقاء على صد

سائل بليلى هل ألوى بآخرهِ | خوف اغتماضى لما ملنى السهد ؟
كم خفت صبرى على من ليس ينصفنى | والآن إن رمت صبراً خاننى الجلد
أبيتُ منبعث الآمالِ يحرسنى | من السلوِ فؤادٌ ملؤه كمد

ونمَّ بـالحـبِّ لمـا زارنـي هـطـلٌ   من الدمـوعِ ونَمَّت بالسلامِ يد
نبـيت يلهـو بنا صـد وعـاذلنا   يبيتُ من وهمِه يلهو به الحَسد

حبٌّ من لوازم الحياة

شكوتُ إليـه هجـره فـتـعللا   وحق لمن أهواهُ أنْ يتـدللا
ووافـقـه لينٌ فـأرخَى لحـاظَه   لأطلق طرفـاً راجـيـاً متـذللا
وإنّي ليـغـريني بحـبـيـه أنني   لثـمتُ بثـغـرى ثغـرَه فـتـهللا
ولستُ أبالى أن يضجَّ عـواذلى   إذا كـان وصلٌ منه يشمت عُـذّلا
ومـا رغبتى فى العـيشِ إلا لأنني   أُؤمّـل أن أهوى حـبـيـبـاً مؤمَـلا
إذا مـا خـلا قلبى من الحبِ طَرْفَةً   تقـبل داءَ اليـأس فـيـمـا تقـبلا
وإن هجـر الحبُّ الضلوعَ زهادةً   ترحل قلب الصبِّ فـيـمـا ترحـلا
فـمـا جـاءَ داءُ الحب إلا مـخادعـاً   ومـا راحَ داءُ الحب إلا ليـقـتـلا
يرجى المحبون الخلاصَ من الهوى   وأرغـب أن أبـقـى المحبَّ تَـلا

الهـوى

راحـةُ الهـوى تـعبُ   واحـتـمـاله عَـجَبُ
لـم يـدع بنـا رمـقـا   إنّ صـدقـه كـذب
وأعـزَّ مطـلبـه   أنّ جـدَّه لـعب
الحـبيبُ مـحـتكم   فـالقـلوبُ تضـطرب
بالعـتـابِ منعطف   بالدلالِ منسـحب

للعيونِ مختطف | للقلوبِ مختلبُ
غاضبٌ ومن عجبٍ | يستحثني الغضب
إن بكيتُ منتحباً | يستميله الطرب !

فى التبسط

ربَّ ليلٍ لبست منه شعارَ الـ | ـحزنِ حتى أبحتُ فيه السرورا
قد لهونا فيه بطيبةِ الأنـ | ـفاس ملء الكؤوس ناراً ونورا
روضتها السقاة بالماء حتى | خلت فيها السكونَ شيئًا ستيرا
ثم صار الزجاجُ من عنصر النو | رِ وصار المزيجُ فيه ضميرا !

مغنم ام مغرم

لو أن الهوى مغنمٌ | لأثريت مما أعانى
ويا ليتَ أنَّ العذولَ | شجاه الذى قد شجانى
فيعلمُ أنَّ الهوى | كفيلٌ بما قد دهانى
تحملتُ فيه الجوى | وأفنيتُ فيه الأمانى
فما كان إلّا الرضى | بما جر صرف الزمان !

الحياة

ما أشبهَ الحزن بالسرورِ | وأشبهَ المكثَ بالمرورِ
وما أخالُ الحياةَ إلا | كجولةِ الفكرِ فى الضمير

العزيز تعله

كلُّ مـــا كـــان عـــزيزًا ... فـــهـــو للنفس تعلّه
ومـمـــاتُ المـــرءِ رزءٌ ... وحـــيـــاةُ المرءِ ذلّه

كان الخداع وكنت الحذار

محبٌّ يخادع فيك الوقارا ... ويسألُ عن قلبه أين سارا
ولولا الوثوق بفضلِ الوفاءِ ... لما كان يحسبُ فى الهجر عارا
وبادرة ذهبت بالعزاءِ ... لا يعرف القلبُ فيها قرارا
لقد جلت فى غفلات الزمانِ ... فما أعقب السعى إلا عثارا
وخِلٌّ أعان علىَّ الهمومَ ... فكان الخداع وكنت الحذارا

رثاء عزيز

أمنيةٌ صارت له أملا ... والسن قد هجنه عذلا
وأعين أزرى بها سهد ... فأرسلت من دمعها هطلا
وآمل بالجهلِ ممتنعٌ ... لو يعلم المأمول ما أملا
والمرءُ إن يعرض له قدر ... يضلّ فيما يبتغى الحيلا
أرجو إيابًا بعد مرزئةٍ ... من ساكنٍ يهتاج لى خبلا

ليلة نحس وليلة سعدِ

هل أثارَ الخيالُ داءً دخيلا ... فاستحال العزاءُ إلا قليلا
واستعار السهادُ عينى وقد أطـ ... ـلقَ نجمُ السماءِ طرفًا كليلا

وكـانَّ الأوهامَ من عنصـر الحبِ فليسـت تزولُ حـتى يزولا
طال عـهـدى بذلك الليلِ يا صبـ ـح فكـن لى من الظلامِ بـديلا
خـبـرونى أين القـبـيح إذا كـا نَ اصطبارى عن الحبيب جميلا
يا عـمـيـد الهـوى إذا مـا تحـرجـ ـت فكن واصلاً شـفيـقًا منيلا
وإذا كنتَ لست تعلم مـا الحبّ تخـذنى على الوفـاءِ دليـلا
قد بثثتُ النسيمَ ما بى وقد هبَّ فـصـار النسيمُ مـثلى عليـلا
سئـمـتنى الأحوال إنّى قـد صـر تُ على الحادثات حـمـلاً ثقيـلا
غـفل الدهرُ يا حـبيـبى فـقم نـنـ ـفض زمـاناً دون الوصـالِ طويلا
ونكتّم عن الحـواسـد سرًا جلّ عن أن ندعوه شيئـاً جليلا
ونبـادر قـبل الحـوادثِ آمـا لًا ونشـفى صـبـابةً وغليـلا
احتـوانا الدجى فقم يا حـبيبى نتـخـذه إلى الوصـالِ سبـيلا !

استعطاف

تعرف عقيد الفضلِ ما أنت صانعُ فـإنّى إذا لم تحـتـفظ بى نازعُ
ضمنت لكم فى القلبِ منى مودةً وإنَّ مـودات القلوبِ ودائع
ولو لم تكن ذاك الذى قـد عـرفتـه لابعـدنى عن منهلِ الذلِ وازع
ولى عزمةٌ غرّاء يصدق سعيهـا وليس بوغـدٍ مـا تكنّ الاضـالع

إلى صديق[1]

مـا كلُ ناءٍ عن الأحبـابِ بالنائى فـفى التـذكـر خطُّ الناعم الرائى

---

(١) هو الأستاذ المفكر عبد الحميد بلوى .

إن كان يعوزكم ما ترحمون به ... هلا استعرتم من الأضلاعِ أحشائى ؟

يا حبذا العيش والأحوال مسعدة ... كأنما جرعت من كأسِ صهباءِ

وكنت كالأمل الممدودِ جانبه ... فى ليلةٍ للعوادى ذات أنواءِ

ضمنت كلَّ جليلٍ يستعز به ... من الفضائلِ إلا النطق بالراء !

وكم بغيضٍ تردى من معايبه ... ضمنت فى العين منه بعض أقذاء

فلستُ أغمضُ عينى بعد نايِكُم ... ولستُ أفتحُها إلا على داءِ

فى معلم جاهل

لا تلوموا الشيخَ الجليلَ على ما ... كان منه فى مجلسِ التدريس

إنما همُّه التكسبُ بالآ ... ى وخطفُ الرغفان يوم الخميس

عمةٌ فوق رأسه تشبه الور ... دةَ فوق التربِ الذليل الخسيس !

ذكرى زورة

ألم ترَ أنَّ الحبَّ غيَّر حساليا ... وأوردنى الإدلال ما كنت خاشيا

لئن بقيت نفسى ولم يانِ يومُها ... فما هو إلّا أن تملَّ الأمانيا

وكيف أرجّى فى الأمانى علالةً ... وقد منع الهجران ما كنتُ راجيا

ولم أنسَ يوماً زارنى بعد هجعةٍ ... فجاء بإبلالى وطول بلائيا

لمستُ بكفّى خدَّه فحسبته ... يفتح فيه الزهر غضًا وزاهيا

يعاتب ذا شجو فيبسم سالم ... فهل كان يستمرى لذيذَ عتابيا ؟

أذلُّ ويناى بالدلالِ وبالجفا ... فقلتُ له يا ليت ما بك ما بيا !

رثاء عزيز

مـا لعـينى ترى الضـيـاءَ ظلامـا ... ولجنبى يرى الرقـادَ حـرامـا ؟

ولـقـلـبى كـأنه مـسـتـزار ... لا يـحـلّ الضـلوعَ إلا لمـامـا

يا جـديراً بأن أكـونَ شـجىَّ الـ ... ـقلبِ فيه هل اتقيت الحـمـامـا

أنزلتك الأحـداثُ قلبى وقـد كنـ ... ـت لسـمـعى وناظرىَّ قـوامـا

كنتَ فى العيشِ منظرًا يبعث البشـ ... ـرَ وللنفس بهـجـةً واعـتـصـامـا

المحب الهالك

سـترى الناسَ حـول قـبـ ... ـرى يـبـكـون هـالـكـا

وغـداً يسـتـريحُ من ... خنتـه فى خـيـالـكا

كلُّ شيءٍ سـوى الهـوى ... لا تـدعـهُ بـبـالـكا

واذكـر العـاشقَ الذى ... مـات صـبـراً بـذلـكا

نـسـبـوا شـقـوتى إلى ... حـسـنٍ مـن دلالـكـا

ظلمـونى لو أنصـفـوا ... زعـمـوا غـيـر ذلكا !

فى شاب يدّعى سعة الاطلاع كذبا

قل للذى حسـبَ العلومَ رغـيـبـةً ... لا يجـتـبـيـهـا المرءُ إن لم يـكذب

مـا زلت تقـرأ كلَّ سـفـرٍ وارمٍ ... حتى قـراتَ اليوم ما لم يكتب !

الحب يدعم بالحب

رعى الله محبوبًا أعان محبَّه ... على مـــا به والودُّ يدعم بالودِّ
حبيبى سل العذالَ فى غير عطفة ... إذا عابنى العذّالُ هل وجدوا وجدى
فـيـا فـاتناً لولاه قـامت هواجسٌ ... بنا لا نقيم القلب فى منزل الصدِّ
عـهـدتك نعـمى للإله وتحـفـة ... لمن بات مخذول الفؤاد على جهدِ
وما أنت إلّا السعد فى السخطِ والرضى ... وما أنا إلّا الشوق فى القربِ والبعد !

المجـادلة

وعـــاوٍ عـــوى والحق بينى وبينه ... فـألقـمـتـه البطل الذى هو قـائله
أعـــوذ بحـــزمى أن أنازلَ مـــثله ... ويأبى رقـــيب الحقِّ أن لا أنازله !

حنين واشتياق

أتنكر مـــا بى وأنت الحـبـيـب ... وتجـهـل دائى وأنت الطبـيب ؟
حـنـنـتُ إليـك فـلـولا الـضـلـو ... ع لطار إليك الفـــؤاد الطروب
دهتنى حـــوادثُ هذا الزمـــا ... ن فـمـا بال قلبك لا يستـريب ؟

داء أم دواء

أبحتُ فؤادى للهوى وسبـقـتـه ... إليـــه ولم يعلم بذاك رقـــيبى
وليس نصيبى أن تكونَ مواصلى ... ولكن نصيبى أن تكونَ حبيبى
شقيتُ ولكنْ فى الشقاءِ سعادةٌ ... وليس شقائى فى الهوى بعجيبِ

فدمعي على حقِّ الصبابةِ مسعدى — وقلبى إلى ما لا يريب مجيبى
فإنْ كنتُ مسحوراً فأنت تميمتى — وإنْ كنتُ معلولاً فأنت طبيبى !
أبيتُ كأنَّ الليلَ صبَّ سوادَه — عليَّ فأخفى والدموع تشى بى !

إسعاد الهوى

يا حبيبى إن لم أكن بك مسعو — داً فماذا يرجو العواذلُ منَّا ؟
اغتنمنى فإننى بين قلبى — ومَقَالِ العذولِ فيك مُعَنَّى !

إلى أديب

حمدنا فيكَ ما قالَ البشيرُ — وقبل اليوم برَّأك الضميرُ
ولكنَّ العظيمَ إذا تلظَّى — على مكروهةٍ شمتَ الحقير
وبادرة إليك أقمت فيها — كأنَّ الحقَ ليس له نصير
ولولا عزمة لكَ وانبساط — لدى الأحداث أخطاكَ العثور
فلا تخشَ مراغمةَ الليالى — فإنَّ البدَر يلزمه السفور
ولا تحمل يراعك عن دعىٍّ — فإنَّ المرءَ يطغيه الغرور
وأنكى ما يكون المرءُ يوماً — إذا كان العذولُ هو العذير
إذا أخذ البعيد عليك أمراً — فلا يزرى بك النظرُ الحسير !

كلماتُ العَواطفِ

وهي

قصيدة من الشعر المرسل

فيها يشرح الشاعرُ ما يحزنه من أمور الحياة ، ومواقع
هذه الأمور من عواطفه ؛ ويطمح إلى حياة أكمل
من هذه الحياة ، وأسعد حالاً ،
وأكثر إنصافاً .

الإهداء

خليلى والإخاء إلى جفاءٍ — إذا لم يغذه الشوقُ الصحيح

يقولون الصحاب ثمار صدقٍ — وقد نبلو المرارةَ فى الثمار[1]

شكوت إلى الزمانِ بنى إخائى — فجاء بك الزمانُ كما أريد

أرانى قد ظفرتُ بذى وفاءٍ — له خلق يضيق عن الرياء

أظلُّ إذا رأيتك مستفزاً — كأنى قد جرعت من العقار[2]

يؤم بى العلاء أخو وجيف — وتنبت فىَّ أجنحة النسور[3]

تقبل طرفة لك من خليلٍ — وقد يهدى الصديق إلى الصديق

فإن أكُ محسناً فلربَّ غرٍّ — أصاب الفضل فى المحضِ اللباب

وإن أكُ مخطئاً فالفضلُ يؤتى — من الخطأ المبين عن الصواب

لعلك واجدٌ عذراً صريحاً — إذا عجز تعرض للتهدى[4]

---

(١) العرب تقول : الأصحاب ثمار صدق . ويقولون فتيان صدق ، كما قال الشاعر وهو مسكين الدارمى :

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم — على سر بعض غير أني جماعها

قال عبد يغوث :

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل — لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا

(٢) استفزه الشوق إذا لم يجعل له قراراً - جرعت أى شربت ، العقار : الخمر .

(٣) يؤم : أى يقصد - أخو وجيف : أى جواد ذو وجيف . والوجيف : نوع من السير فيه إسراع ، النسور : أبعد الطير صعوداً فى السماء .

(٤) التهدى تلمس الإصابة والاهتداء . قال الحمدونى فى طيلسانه :

طال تردداه إلى الرفو حتى — لو بعثناه وحده لتهدى

وإن تهـــد الزهور إلى ربيعٍ فقد يهدى النظيم إلى الحبيب

بلونا سهـمـةَ الأيام حتى رأينا الشكَ يثبت في اليقين

تقيم السخل في سبلِ الضوارى وتقضى للقوىِّ على الضعيف !

وتغفر زلةَ المثرى المفدى وترحم كلَّ جبارٍ عنيف !

وتسعد ذا الدهاء بما جناه على صافى السريرةِ من دهاءِ

وتقصد صاحب التقوى بأمرٍ تحامق من عواقبِه الحليم

تليح لمصحر بالآل حتى يفيض النفس في الوادى البعيد

وتودعُ في نفوس الصحب شكاً يميل به الودودُ عن الودود

وتشقى أنفسًا بالحبِّ حتى كأنَّ الحسنَ من عدد البلاء

فيا لك من شقاءٍ في نعيمٍ ويا لك من نعيمٍ في شقاءِ !

تمد لآمل أملاً عريضا يذيق العز في خطرات بال

وما صرف الزمان وإنْ تمادى بمقص بعض آمالِ الطموح

ومنزلة الرجاءِ من المساعى كمنزلة البشائر في الربيع

لعمرك ما النعيم ولا أخوه بقاتل همتى ومميت شانى

وكم في العزِّ مفسدة لقومٍ وفي الأرزاءِ إعلاء لناس

وكم غرسٍ كريم ليس ينمو على عللٍ تعهده بماء

وكم من جرعةٍ كانت شفاءً فعادت غصةً تأتى بداء

وإنّ العودَ بالإحراق يذكو فيامرُ طيبهُ أنف المشوق

وأيام تناءى الوصلُ عنها تمرّ كأنها ورقُ الخريف

أضاعت عزتى الدنيا وأمسى جناح الذلِّ مأمون الخفيف

أيحسـدنى على صبرى أناسٌ ... وليس الصبرُ محمودَ المذاق

وكم من كربة هجمت علينا ... فلما استحكمت جعلت تزول

وإنّ القرَّ يتبعه حرورٌ ... وجنحُ الليل يفريه الهلال

وإنّ العودَ بعد العرى يكسى ... ومحل الأرض يسعده السحاب

وكانت ضيقة فأقمت فيها ... مقامَ البدرِ أضمره السرار

(فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا)

رعاك الله يا وقع الرزايا ... فربَّ فضيلةٍ لك لاتذال

تعهدت المنى بالشكِّ حتى ... أقمت الغافلين على انتباه

وعلمت العظيم وإن تأبى ... معاناة الطوارق بالدواهى

ولم تتطرق المسكين حتى ... أفيض عليك من نورِ الإله

ولو لا أنتَ لم يبلغ رشادا ... غوى بات يكفر وهو لاه

لحاك اللهُ يا حدثا دهانا ... وكنّا قبل ذلك غافلينا

أأطربك الشهيقُ إذا تعالى ... وأصوات الكواعبِ والبنينا ؟

لقد علمتنا ذم العوادى ... وأدرار الرجالِ الباخلينا

كأنك يا جليد القلب آتٍ ... لتوقظَ رحمةً هجعت منينا

تطامن للنوائب إن تمادت ... فلولا الحزن ما عُرف السرور

ولولا المجدب المنحوس يعدو ... علينا ما استقام لنا النضير

لقد قال السلامى بيتَ شعر ... يردده الخليع من الرجال :

(تبسطنا على الآثام لما ... رأينا العفوَ من ثمر الذنوب)

وإنَّ العفو موقعه عزيزٌ ... وقوع القطر فى الروض الأنيق

فلا تثلم ضميرك بالدنايا ... وهل شيءٌ أرقُّ من الضمير

نقمت من الزمان دنو صرف ... له جدب يقعقع بالشنان

ولم أقر الحياةَ سوى انتقاص ... فهل يثنى الزمانُ على بيانى

ألم ترَ بائساً لاقى المنايا ... ولم يذق المرىء من الحياة

فلو أن الحياة على انتظام ... لأخصب محله ورعى الأمانى

جهين أأنتِ مخبرتى أهدىٌ ... أريد من المعيشة أم ضلال ؟

وهل ضمن البقاء من المعانى ... سوى لمعات خداعٍ خلوب ؟

نسائله فيخدعنا مراراً ... كما يتمنعُ المعنى البعيد

نرى فى اليوم ما هو فى أخيهِ ... كذاك حياة أبقار السواقى !

ولولا عصب أعينها لكانت ... تعانى اليأس والسأمَ الدخيلا

ولولا خدعة الأمل المرجى ... لأسلمنا النفوسَ إلى الحمام

وليس العيش إلَّا ما نعمنا ... به أيام نمرح فى الشباب

إذا سقط العجوز على نعيم ... فقد سقط الهشيمُ على الزهور

بكائى أن أرى رجلا لئيما ... يقدمه الرياء على الكريم

فإن حركته للعرف يوماً ... تبدّى منشداً قولاً رخيصا :

(أترثى للعباد وأنت منهم ... من الرب الذى خلق العبادا)

بكائى إننى أغدو غريباً ... وحولى معشرى وبنو ودادى

بكائى إنَّ لى طبعاً أبيَّا ... ورأياً مثل حدِّ السيف ماضى

بكائى إنَّ فى الدنيا أموراً ... يضيق بمثلها الصدرُ الرحيب

وكم وغد رفيع الجاهِ يغدو ... كأنَّ الكونَ ليس به سواه

تعاف الرحمة الغراء نزلا ... قلوبا قد أضرَّ بها التعالى

فإنَّ الزهرَ فى القيعانِ ينمو ... وإنَّ الثلجَ فى قمم الجبال

أرى قوماً تسوسهم الأعادى ... كسوقِ الخيلِ فى يوم الطراد

أرى زغبَ الحواصلِ فوق قبرٍ ... تضمن ما تضمن من رجاءِ

وكم موتٍ ألذ من الأمانى ... وكم موت أشد من الهزيمة

وكم من طالبٍ للموتِ يأساً ... تعمَّد أن يباعده الحمامُ

أخوك النوم ألين منك مساً ... وأوطأُ مسلكاً وأجل شأنًا

ولكن فيك آياتٌ كثار ... ومعجزةٌ وذكرى للغفول

تذلُّ الثائر العادى وتلهى ... أسير العزِ عن ظلم العباد

وخوفُ الناس من حكم المنايا ... كخوف الطفلِ من وجه الظلام

وإشفاقُ السليمِ من العوادى ... كإشفاق المريضِ من الرجام

وما مستمسك بالعيش إلا ... كموقوفٍ على خوف الحمام

وإنَّ الموتَ مرآة أبانت ... حياةَ المرءِ كالنفس الرقيق

وكم من أيمٍّ فجعت بإلفٍ ... وقد كان النصير على الحياة

تمد يداً لو ان الحقَ فيها ... لأذوته الخصاصةُ والسؤال

أرى الحسناءَ فى طمرٍ ذليلٍ ... وفى الديباج ، داجيةَ الجبين

أرى الدنيا تضيق بكل حرٍ ... فتلفظه كما لفظ البصاق

أرى خدعاً تقاد بها الغوانى ... وفى أعقابها الذلُّ الكمين

أرى الثكلى تكاد تسيل دمعاً ... وفى أحشائها النارُ الأكول

هواجس تعترينى لست أدرى ... أأقتلها وأقنع بالجهالة ؟

أم التسآلُ خيرٌ من سكوت وإنَّ الرأى ينضجه الزمان ؟

* * *

ألم يبلغك أنَّ الموت أودى بمن علقتهم الحربُ الزبون ؟

صفوف الجيش نزقها الحفاظ وعدو الخيل أعجله المغار

ويمم « مقدن » جيش الأعادى فحلَّ بأرضها الفلك المدار

لقد جلبوا السوابق مقربات يضنُّ بقصدها النقعُ المثار

تثير على جوانبها غبارًا كأنَّ الأرضَ ليس لها قرار

وقد سكبت جلودُ الخيلِ دمعاً فبان على جوانبها شعار

وأصواتُ المدافعِ إذ تعالت كصوت الحمقِ أغضبها اعتذار

لقد ضاق المجالُ فلا قرار وقد عزَّ النجاءُ فلا فرار

فوجه الجوِ يعبس من شحوب وعين الشمس يكحلها الغبار

كأنَّ المدبرين غداة ولوا رؤوس الشرب غازلها الخمار

وضاجعت المقانبُ قائديها بأرضٍ لا ينم بها النهار

وإنَّ الحربَ مرزئةٌ وبلوى وبعض السلم مرزئة وعار !

وإنَّ لكل هائجة سكونا (وإنَّ لكل سائلة قرارا)

كأن الحربَ فى الميدان رسم أجاد صنيعه الحذق اللبيق

فأين الحقد تنفثه اللحاظ وأين البغض يضرب فى الصدور

وإنَّ الحرب آخرها خراب كذاك النار آخرها خمود

وكان اليتمُ ما غنم الصغار وكان الثكلُ ما غنم الكبار !

* * *

ألمْ يكفِ الحوادثُ أنَّ عيني ... تريق القلبَ في ماءِ البكاء
فحسبي أن أعدائي كثيرٌ ... وأنَّ السعدَ يزلق عن مكاني
يعيبوني وما عابوا بغيضاً ... ولكن ذلك الخلق الحميدا
إذا ما سبَّني سفهاءُ قومٍ ... فما يغني اهتمامي بالعواء
وإن يكُ قد تقدمني أناسٌ ... فإنَّ السبقَ من بعد الجراء
حياتي بين أعدائي مماتٌ ... وموتي بين أحبابي حياة
سألزم كسرَ بيتي في احتجاز ... وأهجرُ كلَّ ممنوعِ الوداد
وكم من وحدةٍ منعت عذابًا ... وكم من وحدة جلبت عذابا
ألأخت اليأسِ هل حلف قديم ؟ ... فإن اليأسَ فيك لذو طروق
وربَّ مصاحبٍ حلو اللقاءِ ... سقيم الصدرِ مسموم اللحاظ
كبعضِ الزرعِ تحسبه مريئاً ... وتحت بهائه السمُّ المميت
وجلدُ الحية الرقطاءِ يزهو ... ولكن لا يغرُّ به اللديغ
صبرت له ويحسبني عمياً ... ولا والله ما أنا بالعميّ
ولكنيَّ رأيت العفوَ أبقى ... وهل في القلبِ للشكوى مجال ؟

* * *

هوينا الذكرَ من حبِّ الغواني ... كأنَّ الذكرَ من حيلِ الرسول
كفاني من نبيه الذكرِ أنّي ... تمرُّ بيَ الحسانُ فترتضيني
أرى دمعي يرنقه احمرار ... كأنَّ الشوقَ قد ذبح المناما
حنين يترك الأشجانَ جمراً ... وشوقٌ يترك الزفرات نارا
تغنّى الحبُّ في فجرِ الحياةِ ... غناء الطير في فلقِ الصباح

نبجّله فيخفضنا سفاهًا ... كأنَّ الحبَّ ميزانٌ ظلوم
تطالبنا الحسانُ به دلالاً ... كأنَّ الحبَّ دَينٌ في الرقاب
فإن دنّا له لم نلق منه ... سوى المقبوح من غدرِ الملول
وبطش الغدرِ مردودٌ عليه ... كأنّ الغدرَ مغوارٌ سليب
أيا هذا الغرام لطفتَ حتى ... كأنك قد خلقتَ من النفوس
أرى عينًا يصافحها الفتورُ ... وقلباً لا يصافحه الحنان
أرى عينًا يجول السحرُ فيها ... مجالَ الماءِ في العودِ الرطيب
وحولك من دماءِ الناسِ بحرٌ ... مهيب اللجِ مهجورُ النواحي
وفوقك من نفوس الناسِ طيرٌ ... يظل الجو مملوء الفناء
أتخذلنا ونحن مناصرونا ... وتخذعنا ونحن مناصحونا ؟
وتقصينا ونحن مقربونا ... من التبيان والأدب الغزير
أبوك الوهم متسعُ الفناءِ ... وأنتَ تضيق بالرجلِ الأديب
رجوتُ بك الخلاص من العوادى ... فكنتَ عليَّ عوناً للعوادى
وكم من لحظةٍ نزلت علينا ... نزولَ القطر من خلل السحاب

* * *

أيغلبنى على أمرى التصابى ... ولم تخنع لريب الدهرِ نفسى
لعمرُكَ ما الخمولُ بمستذلى ... فإنّ البرقَ فى طيِّ الغمام
وإن يكُ فى مآقى العين ماءٌ ... فكم من عبرةٍ فيها اعتبار
أما للشاعرِ الفياضِ دهرٌ ... فينفث بعضَ ما ضمن الضلوع
ولو أنى أردتُ لرعت قوماً ... (أضاعونى وأى فتى أضاعوا)

ولو أنى لفحتُ بغلٍّ صدرى لغاضَ الماءُ واحترقَ الهواءُ

سأحدثُ فى غدٍ حدثًا عظيمًا تظل له البوارقُ تستطار

فإن أعمر فويل للأعادى وإن أهلك فويل للصديق

حناناً أيها الوطن المفدّى ولا تسمع مقالَ السوءِ فينا

سنهديكَ النصيحةَ ما استطعنا وننشدو فيك بالقولِ العجيب

له فى نفسِ قارئه فعالٌ كفعلِ الغيثِ فى المرعى الجديب

وكم من ناعقٍ يدعو لأمرٍ نعيقَ البومِ فى الطللِ الخراب

وآخر لا يقيمُ على قرارٍ يحاكى وثبُه وثبَ الجراد

ويَحكى فى تنقله سفاهًا خيامَ العُرب بالأرض الخلاء

يعيثُ الجهلُ فى أبناءِ قومى كعيثِ الذئبِ فى الغنم النيام

أبىُّ القلبِ بينهُم ذليلٌ ووغدُ القلبِ مرفوعُ العماد

يفرقُنا التباغضُ والتعادى كنثرِ الريحِ أوراقَ الغصون

متى تدعو الحميةُ للمعالى فتُصغى فى العروقِ لها الدماء

وكم من عبرةٍ هبطت علينا هبوط الوحيِ من عندِ الإله

إذا عاثَ القوىُ فلا تُراعوا فإن الظلمَ نعشٌ للظلوم

ضئيلُ الأمرِ يتبعه عظيمٌ كذاك النار تقدح من شرار

الجزء الثانى

لآلئُ الأفــــكـار

وإنَّمـا الشـعـرُ مـرآةٌ لـغـانـيـةٍ	هيَ الحـيـاةُ فـمن سـوءٍ وإحـسـانِ
وإنَّمـا الشـعـرُ تـصـويرٌ وتـذكـرةٌ	ومـتـعـةٌ وخـيـالٌ غـيـر خـوانِ
وإنَّمـا الشعرُ إحساس بما خـفـقت	له القلوبُ كـأقـدار وحِـدْثانِ
من كـل مـعنى يروعُ الفـهمَ طائلهُ	معنى من الجان فى لفظ من الجانِ

صاحب الديوان

عن الطبعة الأولى للجزء الثانى

عام ١٩١٣

مقدمة

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

الشعر ومزاياه[1]

ليس الشعر لغواً تهذى به القرائح ، فتتلقاه العقول فى ساع كلالها وفتورها . فلو كان كذلك لما كان له هذا الشأن فى حياة الناس .

لا بل الشعر حقيقة الحقائق ، ولبُّ اللباب ، والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول . وهو ترجمان النفس ، والناقل الأمين عن لسانها . فإن كانت النفس تكذب فيما تحس به أو تداجى بينها وبين ضميرها ، فالشعر كاذب ، وكل شيء فى هذا الوجود كاذب ، والدنيا كلها رياء ، ولا موضع للحقيقة فى شيء من الأشياء .

وقد يخالف الشعر الحقيقة في صورته . ولكن الحر الأصيل منه لا يتعداها ، ولا يمكن أن يشذ عنها ؛ لأنه لا حقيقة إلا بما ثبت فى النفس واحتواه الحس . والشعر إذا عبر عن الوجدان لا ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى .

وما هذه الاستعارات والتشبيهات إلا أشياء تختلف فى ظاهرها ، ولكنها فى كنهها واحدة لا خلاف بينها . فليس الجميل قمراً ، ولا الزئير رعداً ، ولا الكريم غماماً ، والشمس لا تتكدر لغياب الحبيب ، ولا الليل ينجاب لحضوره . ولكن الغبطة بالصورة الحسناء ، كالغبطة بالليلة القمراء . والرهبة من زمجرة الأسود فى غابها ، كالرهبة من جلجلة الرعود في سحابها . وتجدد الروض بعد انهمال المطر كتجدد الأمل بعد نوال المطر . وإن الشمس إن كانت تشرق بعد نأى الحبيب ، فكأنها لا تشرق لأن عين المحب لا تنظر إلى ما يجلوه نورها ، وإن تكشَّف لها فكأنما

---

(١) نشرت هذه المقدمة فى أول الجزء الثانى من هذا الديوان - عام ١٩١٣

هو بادٍ لغيرها – والليل إذا عسعس فما هو بساتر عن عين المحب ، منظراً يشتاق رؤيته بعد أن يمتعه بوجه حبيبه . فإنما هو من الدنيا حسبه ، وهو الضياء الذى يبصر به قلبه .

فهذه معانٍ مترادفة فى لغة النفس، وإن اختلف نطقها فى الشفاه ؛ إذ أنه لا محل فى معجم النفوس إلا للمعانى ، فأما الألفاظ فهى رموز بين الألسنة والآذان .

وهل تبصر العين أو تسمع الأذن إلا بالنفس ؟ أو تبلغ الحواس خبراً إذا كانت النفس ساهية والمدارك غير واعية ؟

والشعر بهذه المثابة باب كبير من أبواب السعادة . بل إن السعادة ما لم تعقها حوائل الحياة لا تدخل إلى القلوب إلا من بابه ، فإنه ما من شىء فى هذه الدنيا يسر لذاته أو يحزن لذاته ؛ وإنما تسر الأشياء أو تحزن بما تكسوها الخواطر من الهيئات ؛ وتكيفها الأذهان من الصور . وآية ذلك أن الشىء الواحد بينما يكون مدعاة البهجة والرضى ؛ إذ يكون فى غير ذلك الوقت مجلبة للأسف والأسى وطريقا إلى الشجن والجوى ؛ والشعر وحده كفيل بأن يبدى لنا الأشياء فى الزمن الذى ترضاه خواطرنا ، وتأنس به أرواحنا ؛ لأنه سلطان متربع فى عرش النفس ، يخلع الحلل على كل سانحة تمثل بين يديه ، ويغض الطرف عن كل ما لا يحب النظر إليه . والشعر أيضاً مسلاة لمن شاء السلوى ، وصدى تسمعه النفس فى وحشة الوحدة ، فتطمئن إليه كما يطمئن الصبى التائه إلى النداء فى الوادى ، ليأنس برجع صوته ، أو يسمع من عساه يقبل لنجدته .

فقد سبقت مشيئة الفطرة بأن يعيش أبناء آدم جماهير وأمماً مجتمعة ، وأن يكونوا نوعاً له غرائز كامنة فى طبائع أفراده يقتضيها بقاؤه ودوامه . فوجب أن يُجبل أبناؤه على الألفة ويذرأوا على التعاطف ودواعى الاجتماع . وقد درج نوع الإنسان على هذه الفطرة . فصرنا وليس يهنأ امرؤ منا بأن ينعم منفرداً ، ولن يطيق أحد أن يتأنس وحده . وما كان المعرى يمدح نفسه ، ولكنه قال قولا فى شرار الناس ، كما يصدق فى خيارهم ، إذ يقول :

ولو أنِّي حبيت الخلد فرداً   لما أحببت بالخلد انفرادا

فذلك ما لا فخر فيه لإنسان على إنسان . وأحسب لو أن الناس كلهم كانوا فجرة خسرة ، وكان لا يجوز منهم إلى فردوس الأبرار إلا رجل واحد ، لكان هذا الرجل التقى أشد عذاباً بتقواه وأسوأ جزاء من كل جناة الجحيم وعصاته . وكأنى بذلك الرجل ، وقد طاف فى الجنة حتى بليت نعلاه ، ثم نظر إلى ما حوله نظرة الكاره الزاهد ، فطرح بنفسه فى الكوثر هرباً من هذا النعيم الأعجم . أو صاح بهم ليحملوه إلى جهنم فيصلى النار فيها وهو واجد من يقول له إن عذاب النار أليم ، خير من أن يبقى فى جنة لا يرى فيها من يقول له ما أرغد هذا النعيم !!

ويقينى أنه لو نزع الحسد من الناس يوماً ما ، لاشتراه أولو النعمة ، وفرقوه على الناس مجاناً ليحسدوهم على ما بهم من نعمة . فإن السعادة أنثى لا يكمل سرورها حتى تستجلى مثالها فى المرآة ، وسواء لديها أكان رافع تلك المرآة لها شانئاً حسوداً أو صديقاً مخلصاً ؛ ومن أجل ذلك يرتاح العاشق إلى من يناجيه بأسرار حبيبه ونكايات عذوله . ويحيط الغنى مجلسه بحاشية ينفق عليها لتقول له إنّه ربُّ عيشة راضية ، وهناءة محسودة .

ولا تصدق أنَّ أحداً يصل به احتقار الناس أن لا يبالي بهم قاطبة . ولكنَّه ربما احتقر جيلاً منهم وهو ينتظر النصفة من جيل سواه . أو يهزأ بالفئة التى يعاشرها ، ولكنه يعتقد أنَّ هناك فئة لو لقيته ولقيها لأرضته وأرضاها . وإلَّا فلو احتقر المرء ما مضى من الناس وما سيجيء منهم ، لما كلَّف نفسه مشقة أن يقول ذلك بلسانه .

كذلك خلق الإنسان عضواً من جسم تدب حياته فى عروقه ، فلا سبيل له إلى الانفصال عنه ، والتخلى عن عاطفته النوعية ما دام داخلا فى اسم الجنس الذى يشمل الإنسان بأجمعه .

فإذا كان هذا شأن التعاطف فاعلم أنَّ الشعر شيءٌ لا غنى عنه ، وأنه باقٍ ما بقيت الحياة ، وإن تغيرت أساليبه ، وتناسخت أوزانه وأعاريضه .

وإذا كان الناس فى عهد من عهودهم الماضية فى حاجة إلى الشعر ، فهم الآن أحوج ما يكونون إليه . فقد باتت النفوس خواء من جلال العقائد وجمالها ، وخلا جانب من القلوب كانت تعمره فإن لم تخلفها عليه خيالات الشعر وأحلامه ، كسر اليأس القلوب ، وحطمتها رجة الشك واضطراب الحيلة . وما هو القرطاس القديم بين أيدى الشعراء . فليخطوا فيه رسم الفردوس الجديد . وليجعلوه فى الأرض أو فى السماء ، وليكن معاده المثل الأعلى ، أو خلود الذكر ، أو وحدة الإخاء . فإنَّ الإنسانية لا تعيش بغير رجاء .

هذا ولو أنَّ ما ألمحنا إليه من تعاطف الأرواح وتآلف المشارب ، كان أول ما يستفاد من الشعر وآخره ، لما كان الشعر جديراً بالعناية من عصر المادة الذى نحن فيه ، ولكنَّ ثمرة الشعر على ما بها من النعومة والجزالة ، وما لها من ذكاء المشم وحلاوة الطعم تشبع المعدة وتملأ الفم . ولو أمكن إرجاع كل حركة إلى مصدرها الأول من النفس ، لما عسر علينا حساب فضل الشعر بالدرهم والدينار ، وإحصاء قواه المعنوية بما تحصى به قوة الكهرباء والبخار .

فمما لا مشاحة فيه أنَّ كل نهضة من النهضات التى تشحذ عزائم الأمم وتحدوها فى نهج النماء والثراء ، لا تكون إلا بعد فترة يتيقظ فيها الشعور ، وتتحرك العواطف ، وتعتلج نوايا النفوس ومنازعها . وفى هذه الفترة ينبغ أعاظم الشعراء وتظهر أنفس مبتكرات الأدب . وما الشعر من تلك العواطف إلا مناطها الذى تتعلق به . بل هو ناقوسها المنبه لها ، وحاديها الذى يأخذ بزمام ركبها .

وهذه إنكلترا نهضت فى تاريخها نهضتين بلغت فى كلتيهما أسمى ما تحلم به أمة من العظمة والمجد . كانت أولاهما فى القرن السابع عشر ؛ أى عقب ازدهار الأدب الإنكليزى فى عهد شكسبير ، فتحركت فى ذلك القرن عوامل الحياة فى الأمة الإنكليزية . ووضع عهدئذ أساس إنكلترا الجديدة . وها هى الآن فى إبان نهضتها

الثانية تقبض على صولجان الدنيا وتطالب كلُّ فئة منها بقسطها من الحياة والعمل . وما جاءت نهضتها هذه إلا مسبوقة بنهضة أدبية كبرى ظهرت في أثنائها أكبر الأسماء المعروفة في الأدب الإنكليزي ، وأعني بهم أمثال : شلي وبيرون وسكوت وكيتس ووردزورث وكولوردج وسوذي وماكولي ، وغيرهم ممن لم يقرضوا الشعر ، ولكنهم كتبوا في النقد والأدب .

وهذا شبيه بما حدث في فرنسا فإنَّ جمهوريتها ليست إلا نفحة من نفحات تلك النهضة الأدبية التي كان يشرف عليها لويس الرابع عشر . وما كان يدري ذلك الملك المتجبر وهو يمد يديه بالحباء إلى زعماء تلك النهضة أنه يزلزل بيديه قوائم العرش الذي يجلس عليه ، ومن حقق تاريخ القرن الثامن عشر في فرنسا ولم ير في ثورته يداً لكورنيل وراسين وموليير وبوالو وشينيه وأمثالهم فهو قاصر النظر . ومثله في ذلك كمثل من تقول له إنَّ المد والجزر من فعل القمر فيقول لك أين السماء من الماء ؟! ثم تتابعت بعد ذلك ثورات كان يقوم على رأس كل ثورة منها رجال من أهل الخيال الذين يظن بعض كتاب التاريخ أنهم أبعد الناس عن التأثير في عالم الجد . وقد جهلوا أن الأمم تدأب في حياتها بين عاملي الحاجة والأمل . فإن كانت المادة تحكم حيز الحاجة من نفوسها ، فالخيال صاحب السلطان على حيز الأمل ، وهو أشد العاملين حثاً وأعذبهما نداء .

وجاء بسمارك في ألمانيا فأتم تأليف وحدتها بعد أن شاعت في ولاياتها مصنفات ليسنغ وهردر وجيتي وشيلر وهيني ورفقائهم ؛ فكان الألمانيون أمة ذات أدب واحد قبل أن يكونوا أمة ذات دستور واحد .

وأقرب من ذلك شاهد إلينا ، الدولتان الأموية والعباسية . بل أقرب منهما هذا الذي نشاهده من إقبال ناشئة مصر على الأدب واشتغالها بصوغ الشعر وحفظه . فإنه – ولا شك – عنوان النهضة المرجوة لمصر ، ودليل على تفتق الأذهان وسريان النبض في مركز الشعور . وفي الأمة نفر ممن يتعاطون صناعة الطب الاجتماعي

يزعمون أن البلد في غنى عن الأدب ، وأنه ليس بحاجة إلى غير مباحث الاقتصاد وما شاكلها . قالوا ذلك ؛ لأن الثروة قوت الأمة ومصر لا تنتفع إلا بقوتها ولا يمرأها الدم في شرايينها . وهو قول كما يرى القارئ في حديث الطب يقضي بأن لايجوز الكلام مع المعود في غير الأطعمة الدسمة والكينا وسلفات الصودا ... ولا غرابة فالطب تجارب !!

على أن كثرة الكلام في المال ليست هي التي توجد المال متى كانت الهمم راكدة والنفوس باردة .

فالشعر لا تنحصر مزيته في الفكاهة العاجلة والترفيه عن الخواطر ، لا بل ولا في تهذيب الأخلاق وتلطيف الإحساسات ، ولكنه يعين الأمة أيضاً في حياتها المادية والسياسية وإن لم ترد فيه كلمة عن الاقتصاد والاجتماع . فإنَّما هو كيف كانت موضوعاته وأبوابه مظهرٌ من مظاهر الشعور النفساني ، ولن تذهب حركة في النفس بغير أثر ظاهر في العالم الخارجي .

خدع بعض الباحثين ولا سيما من كان منهم من علماء الطبيعيات ، فقالوا إن الناس اليوم في نور العلم والتحقيق . وإن آباءنا كانوا ينظرون إلى العالم بعين الشعر أيام الجاهليات الأولى . وكان يحيرهم في تلك الأزمان المظلمة ما يدركونه الآن من أسرار الطبيعة وخفايا نواميسها ، فيذهبون في تأويلها مذاهب الحدس والتخيل . وإنما غشيت أصحابنا العلماء مادية العصر فرأوا ذلك الرأي ولست أدري كيف يخطر لأولئك العلماء الجهلاء أنه يجيء يوم على الإنسان يقف فيه جامداً بين يدي هذا الوجود مهما حصل من العلم وأحاط بأسراره . وهل يؤثر علم النباتي العارف بأجزاء الأشجار على خيشومه وبصره فلا يدعه يتنشق رائحتها ويبتهج بألوانها ؟ وهل علمي بنواميس الطبيعة يعصمني من الانفعال بمؤثراتها ويذود عني الخوف مما يدعو فيها إلى الخوف أو الطرب إلى ما يطرب من بدائع مشاهدها ؟

اللهم إنه علم يفقد الإنسان حواسه . ويا لله ما أضعف الإنسانية فإن الفرد منها لتملكه العاطفة فلا يكاد يبصر إلا بنورها أو يسمع إلا بصوتها . وإنَّ الإنسانية بأسرها لتغلب عليها حالةٌ من الأحوال الطارئة فى بعض الأجيال ، فلا تكاد تتوهم أنها تنتقل من تلك الحالة إلى سواها .. ظهرت أميركا بمناجمها واخترعت الآلات التى تصنع الواحدة منها صنع الألوف من العمال ، وأعلنت الحرية فألقى حمل كل طبقة على عاتقها ، وتوجهت الطبقات المختلفة إلى العمل لنفسها والسعى فى طلب رزقها . فحدث من جراء ذلك جميعه تهافت غير مألوف على الذهب . فما هى إلا سنوات مضت فى مقدمات هذه الزوبعة قد ملأت الدنيا غباراً ، ثم أصبحنا لا نسمع إلا سياسة المال وعلم المال وقوة المال وعصر المال ، نسى الناس كل شىء إلا أنهم فى عصر المال . ونسوا أيضاً أن الإنسان لم ينفض عنه فى عصر المال عنصره القديم . وأنه إن كان قد انتقل من فترة إلى فترة فإنه لا يزال فى مكانه من الطبيعة ، ولا يزال يهتز بنبراتها ويجرى مع طياراتها . ولسوف يمضى عصر المال هذا فلا تسمع عنه الأجيال القادمة إلا كما نسمع نحن عن أخبار العصور الخالية . وكذلك لا يبقى إلى الأبد إلا الأبد نفسه .

أقول ذلك ولا أعنى بما قلت كل الشعر ، ولكنى عنيت منه المطبوع الأصيل . إذ ليس لشعر التقليد فائدة قط ، وقلَّ أن يتجاوز أثره القرطاس الذى يكتب فيه ، أو المنبر الذى يلقى عليه . وشتان بين كلام هو قطعة من نفس ، وكلام هو رقعة من طرس .

فالشاعر العبقرى معانيه بناته ، فهن من لحمه ودمه . وأما الشاعر المقلد فمعانيه ربيباته ، فهن غريبات عنه وإن دعاهن باسمه . ولا يثمر شعر هذا الشاعر مهما أتقن التقليد ، كالوردة المصنوعة يبالغ الصانع فى تنميقها ، ويصبغها أحسن صبغة ، ثم يرشها بعطر الورد فيُشم منها عبق الوردة ويُرى لها لونها ورواؤها ولكنها عقيمة لا تنبت شجراً ولا تخرج شهداً . وتبقى بعد هذا الإتقان فى المحاجر زخرفاً باطلا .

ألا وإنّ خير الشعر المطبوع ما ناجي العواطف على اختلافها ، وبث الحياة في أجزاء النفس بأجمعها كشعر هذا الديوان .

* * *

فإذا تلقى قراء العربية اليوم هذا الجزء الثاني من ديوان شكرى ، فإنما يتلقون صفحات جمعت من الشعر أفانين ؛ قد سمح بها قلم سخي وقريحة خصبة .

في هذه الصفحات نظرة المتدبر ، وسجدة العابد ، ولمحة العاشق ، وزفرة المتوجع ، وصيحة الغاضب ، ودمعة الحزين ، وابتسامة السخر ، وبشاشة الرضى ، وعبوسة السخط ، وفتور اليأس ، وحرارة الرجاء . وفيها إلى جانب ذلك من روح الرجولة ما يكظم تلك الأهواء ، ويكفكف من غلوائها . فلا تنطلق إلا بما ينبغي من التجمل والثبات .

إن شعر شكرى لا ينحدر انحدار السيل في شدة وصخب وانصباب ، ولكنه ينبسط انبساط البحر في عمق وسعة وسكون .

قد يعسر على بعض القراء فهم شيء من شعر شكرى ، فهؤلاء هم الذين يريد أكثرهم من الشاعر أن يخلق فيهم العاطفة التي بها يفهمونه . وليس ذلك مما يطلب منه . ولو حاوله لأفسد شعره بالتعمل والزيادة . ومن دأب المبتدئين من الشعراء أن يتوخوا في كلامهم الشرح والإسهاب والتفصيل ، ظناً منهم أن ذلك يزيد معانيهم جلاء ويقربها من إحساس قرائهم . وليس أبعد من هذا الظن عن الصواب فإن العواطف لا تتأثر بالإطناب وإنما هو مما يتوسل به إلى إفهام العقول ، وإدخال المعاني إلى الأفكار .

ومن النفوس من لا يصلح لتوقيع جميع أنوار الشعر عليه ، كما لا توقع أنوار (الأوركستر) على القيثار أو المزهر . فإن هذه الآلات الصغيرة لا تسع تلك الأنغام المتنوعة الكثيرة . فإذا سمعت إحدى هذه النفوس أنشودة الشاعر فسبيلها أن تستغرب رنة اللحن الذى ليس في معزفها وتر يهتز به .

* * *

قال لي بعض المتأدبين إن شعر شكرى مشرب بالأسلوب الإفرنجي ! وأنا لا أعلم ماذا يعنى هؤلاء بقولهم الأسلوب الإفرنجي والأسلوب العربى ؟ فإن المسألة على ما أعتقد ليست مسألة تباين فى الأساليب والتراكيب ، ولكنها مسألة تفاوت فى جوهر الطبائع ، واختلاف بين شعراء الإفرنج وشعراء العرب فى المزاج كاختلاف الأمتين فى الملامح والسحناء .

وأشبه بالحقيقة عندى أن يقال الأسلوب الآرى والأسلوب السامي ، فإنه أدل على جهة الاختلاف بين شعر الإفرنج وشعر العرب .

الآريون أقوام خيال نشأوا فى أقطار طبيعتُها هائلة ، وحيواناتها مخوفة ، ومناظرها فخمة رهيبة . فاتسع لهم مجال الوهم وكبر فى أذهانهم جلال القوى الطبيعية . ومن عادة الذعر أنه يثير الخيالات فى الذهن ويجسم له الوهم . فيصبح شديد التصور ، قوى التشخيص لما هو مجرد عن الشخوص والأشباح .

والساميون أقوام نشأوا فى بلاد صاحية ضاحية ، وليس فيما حولهم ما يخيفهم ويذعرهم . فقويت حواسهم وضعف خيالهم .

ومن ثم كان الآريون أقدر فى شعرهم على وصف سرائر النفوس . وكان الساميون أقدر على تشبيه ظواهر الأشياء ، وذلك لأنّ مرجع الأول إلى الإحساس الباطن ، ومرجع هذا إلى الحس الظاهر .

السامي يشبه الإنسان بالبدر . ولكن الآرى يزيد أنه يمثل للبدر حياة كحياة الإنسان ، ويروى عنه نوادر الحب والمغازلة والانتقام كأنه بعض الأحياء . وهذا ولا مراء أجمع لمعانى الشعر لأنه يمد فى وشائج التعاطف ، ويولد بين الإنسان وبين ظواهر الطبيعة وداً وائتناساً يجعلهما الشعر السامي وقفاً على الأحياء ، بل على الناس دون سواهم من سائر الأحياء .

وهذا الفرق بين الآرى والسامى فى تصور الأشياء ، وهو السبب فى اتساع الميثولوجى عند الآريين ، وضيقها عند الساميين . فليست الميثولوجى إلا إلباس قوى الطبيعة وظواهرها ثوب الحياة ، ونسبة أعمال إليها تشبه أعمال الأحياء . وتلك طبيعة الآريين فإنهم - كما قلنا - قد امتازوا بقوة التشخيص والخيال على الساميين .

وهذا أيضا هو السبب فى افتقار الأدب السامى إلى الشعر القصصى ، ووفرة أساليب هذا النوع من الشعر فى الأدب الآرى . فإننا إذا راجعنا أكبر قصص الهنود والفرس ، وتقصينا الملاحم الغربية قديمها وحديثها ، وجدنا أنها تدور كلها على روايات الميثولوجى ، وتستمد منها أصولها . وقد وسعت القصص منطقة الشعر الغربى فكانت له ينبوعا تفرعت منه أساليبه وتشعبت أغراضه ومقاصده . وحرم الشعر العربى منها فوقف به التدرج عند أبواب لا يتعداها .

أما تقسيم الشعر إلى قديم وعصرى ، فليس المراد به تقسيمه إلى عربى وإفرنجى ، ولا يراد بالعصرى مقابلته بالقديم . فإنى أعتقد أن الشعر العصرى يشبه الشعر القديم فى أن كليهما يعبر عن الوجدان الصميم . ولكن المراد منه التفريق بين الشعر المطبوع وشعر التقليد الذى تدلى إليه الشعر العربى فى القرون الأخيرة .

فالشاعر قد يكون عصرياً بريئاً من التقليد ، إلا أنه لا يلزم من ذلك أن يكون إفرنجيا فى مسلكه .

وأيما شاعر كان واسع الخيال قوى التشخيص ، فهو أقرب إلى الإفرنج فى بيانه وأشبه بالآريين فى مزاجه وإن كان عربياً أو مصرياً . ولا سيما إذا كان مثل شكرى ، جامعاً بين سعة الخيال وسعة الاطلاع على آداب الغربيين .

حياة الأمم

أو

التجدد والتغير

حياةُ الناس إمّا ماءُ نهرٍ ... فيصلحهُ التدفُّقُ والمسيرُ

وإمّا ماءُ آجنةٍ كثير ... قذاه ، ويأجن الماءُ الطهورُ [1]

وليست هذه العادات إلاّ ... رداءُ العيش تبليه الدهور

رداءُ العيشِ تبليه الليالى ... ويبكى عهد جِدّته الغرور [2]

وأبكارُ المعانى حائكات ... رداءً عهدُ جِدّته نضيرُ

* * *

نظامات وعادات تقضى ... وبعضُ الأمرِ يصلح إذ يحولُ [3]

وأسبابُ البقاء لها صيالٌ ... صيال السيل يهلك إذ يصول

وأحكامُ الوجودِ لها مسيلٌ ... مسيلُ السيلِ يهلك إذ يسيل

فإن تسدد طريقَ السيلِ تهلك ... ولا يُغنى البكاءُ ولا العويل

ويحيا بالتغيّر كلُّ حيٍّ ... ويردى الفاسد القدرُ العجولُ

فلا تكُ جازعاً فى إثرِ أمرٍ ... جليلُ الأمرِ يعقبهُ الجليل

وآمالٍ وآراءٍ وعادٍ ... سواء فى تغيّرها شكولُ [4]

* * *

---

(١) أجن الماء : وقف وركد وعطن . (٢) الجدة (بكسر الجيم وتشديد الدال) : كون الشىء جديداً .

(٣) يحول : أى يتغير . (٤) عاد : أى عادات . وشكول : متشابهة .

وكم من أمـــةٍ تخـــشى زَوالاً ... على الأيامِ أدركـــهـــا الزوالُ
تحـــاذرُ أن تغـــيـــرها الليـــالى ... فـيـودى حـالهـا ويجئُ حـال[1]
وبين الدهرِ والدولِ اســتـبـــاقٌ ... وبعضُ النَّاس يُعْـوزهُ المجــال[2]
فــقل للغــافلين إذا أصـــاخـــوا ... حـيـاتُكم هى الداءُ العـضــالُ
ســتنفــذ فـيكم الأقــدارُ حكمًــا ... ويـرجـــمكم بـأنكـده المآل
وهل يخشى الجديدَ سوى جبانٍ ... له من حبٍ أقــدمـــه عــقـــال

الإيمـان والقضـاء

ليس يدرى مضاضةَ القدرِ الغا ... لبِ إلا مــعـــالج البـأســـاءِ[3]
تفـتق الذهن مـثلمـا يفـتق الأز ... هار وهـنـا مـــرقـــرق الأنـداءِ
غيـر أن الشقـاءَ قـد يخـز النفـ ... ـسَ ويصمى مجامعَ الأهواءِ[4]
فـهـو طـوراً يكون بـرءاً لـداءٍ ... وهو طوراً يُعـــدُّ فى الأدواء
هو سيف القـضـاءِ فى يد عـدل ... رُبَّ عـدل فى وقع ذاك البــلاء
خـفـيت حكمــةُ الحـوادث عنا ... فـشـقـينا شـقـاوةَ الجـهـلاءِ
لو رأينا منابتَ العـدل فـيـهـا ... لنعـمنا بالعـيـشـةِ الخـشناء
لو رأينا مطالع العــدل منهـــا ... مــا شكونا مـضـــاضـــةَ الأرزاء
وخـداعُ الحـيـاةِ أروعُ جلبـاً ... لأسى المرءِ من خـــداع النســاء
سكناتُ الإيمان برءٌ من الحـز ... ن ومــاوى لهــاربٍ من قـضــاء

---

(1) أودى : ذهب .

(2) يعوزه المجال : أى لايمكنه .

(3) المضاضة : الألم ، والبأساء : البؤس .

(4) يصمى : أى يصيب ، ومجامع الأهواء أى القلب .

هو حـصنٌ من الشـقـاءِ حـصينٌ ووقـــاءٌ أنْعِـمْ بـه مـن وقـــاءِ

كـنـفٌ مــــــانـعٌ وظـلٌّ ظـليـلٌ وشـرابٌ يشـفى أوامَ الظـمـاءِ(١)

يـلج الـنفسَ بـالـثـبـات وبـالحـز مِ ويطوى جـــوانـب الضـــراء

هـو روض جـمٌّ الـفـــروع أنيـقٌ ونـعـــيمٌ مـــوطـأ الأفـنـــاءِ(٢)

يـدخل الأمنَ والسـلامَ على قلـ ـبٍ خـفـوق الضلوع والأحـشـاءِ

الحيـاة والعبـادة

أكـذبُ الدينِ مـا ينيمُ قـوى المر ءِ كـمـا يُخـرس الرياحَ الركـودُ(٣)

إنّمـا الـدينُ أن تـفكَّ عـن النفـ ـسِ من اليـأس والخـمـولِ قـيـودُ

إنّمـا الـدينُ أن يجـدَّ مـجـدٌّ أعـمل السعىَ أو يجيدَ مُجيد(٤)

إنّمـا الـدينُ قـوةٌ وجـمـالٌ وحـيـاةٌ وعـدةٌ وعـديد

كـيف يدرى جـلالةَ النفسِ غِـرٌّ أزعـجـتــه بوارقٌ ورعـود

كـيف يدرى جـلالةَ الله غِـرٌّ حَـرَّكـتـه ضـغـائنٌ وحـقـود

أعـبـد اللهَ بالجـهـادِ وبالتـفـ ـكيرِ ، والعـقل عـابدٌ معـبـود

إنّمـا هـذه الحـيـاةُ جـهـادٌ والجـبانُ الموهونُ فـيـهـا جحـود(٥)

خـلق المرءُ كى يـنـاهـضَ أمــرًا فـهـو فى الموتِ والحـيـاةِ شـهـيـد

كُـتبَ الصـبـرُ فى الحـيـاةِ علينا فـالبس الصـبـرَ فـالعظيمُ جليـد

---

(١) الأوام : العطش والظمأ .

(٢) جم أى كثير ، وموطأ أى ممهد .

(٣) الركود للرياح : سكونها .

(٤) أعمل السعى أى جد فيه .

(٥) الموهون : الضعيف .

عش شهيداً تناجز الهمَّ والدا ... ءَ إذا أمَّ حتفه الرعديد[1]

فحنينُ الثكلى وخزُ ضمير ... ودموعٌ يريقها المكدود :[2]

هي ما يعبدُ الأنامُ به اللهَ ... كما يعبدُ القضاءَ الوجود[3]

القلق والغفلة

يا أسيراً قيودُه آمالٌ ... مشكلات لاتستبين لرائى[4]

تبتغى الخيرَ فى مجاهل مايأ ... تى من الدهر والقضاء النائى[5]

لك صدرٌ جم الحنو على النا ... سِ ولكن يضيق بالأرزاءِ

أنت عبدُ البقاءِ لو كره العبـ ... ـدُ إباقاً من رقِّ ذاك البقاء[6]

أنت تقرى الأنام من دمعك الغمـ ... ـر شآبيبِ عاجزات السخاء[7]

أنت تبكى مما يعالجه النَّا ... سُ وتاسى لبادرات البلاء[8]

إنَّ عتباً على القضاءِ سفاهٌ ... غاب عنه مطالع النعماء

ينعم الغافل الغبىُّ ويشقى ... عاتبٌ ساءهُ وقوعَ القضاء

أيُّها اللائمون فى الحزنِ مهلاً ... غافل القلبِ ميتُ الأحياء

---

(١) أمَّ : أى سار نحو حتفه والرعديد : الجبان . (٢) الثكلى : هى التى أصيبت بفقد بنيها .

(٣) أى أن الناس تعبد الله بتحمل الشقاء وآلامه .

(٤) مشكلات : من أشكل الأمر إذا التبس واختلط .

(٥) يقال للأرض المجهولة مجهل ، والجمع مجاهل . وهنا أطلقت على العصور المجهولة القادمة . والنائى أى : البعيد . (٦) إباق العبد : هروبه من سيده .

(٧) شآبيب جمع شؤبوب . وشؤبوب الدمع : ماؤه ، وعاجزات السخاء ؛ لأن هذه الدموع لا تفيد .

(٨) تاسى أى : تحزن . وبادرات البلاء : ما يبادر المرء منه .

مـا بكينا من الشـقـاءِ ولكـ ـنّا بكينا من ذلنا للقـضـاء

ضُـربَ الأمن والسـلامُ عليكم وعلينا عـرفـانُ وقع البـلاءِ[1]

لو منينا بعـيشكم مـا رضـينا ضاحك القلبِ جاهل بالبقاءِ[2]

لا يصـيب السـلامَ إلا غـبىٌ كيف نرضى بعيشِ أهلِ الغباءِ ؟

كم عظيمٍ قـضى ولم يبلغ النجـ ـحَ وغـرّ أصـابه برياء[3] !

كم جليلٍ مـرجم بسـبـابٍ وضـئـيلٍ مـزين بالثناء !

اليتيم

يتيمٌ تقاضاه الهموم حياته وتظميه من طيبِ الحياة خطوب[4]

ومـا اليتمُ إلا غـربة ومـهانة وأى قـريبٍ لليـتيمِ قـريبُ

يمرُّ به الغلمانُ مثنى وموحداً وكلُّ امرئٍ يلقى اليتيم غريبُ

يرى كلَّ أمٍ بابنها مستعزةً وهيهات أن يحنو عليه حبيب

يسـائلهُ الغلمانُ عن شأنِ أهله فيحزنه أن لا يجيب مجيب

إذا جاءه عيدٌ من الحول عاده من الوجد دمعٌ هاطلٌ ووجيب[5]

كأنَّ سرورَ الناسِ بالعيد قسوةٌ عليه تريق الدمعَ وهو صبيب[6]

يظل حسوداً للذين أظلهم من العيشِ ، فينانُ النعيمِ رطيب[7]

---

(١) ضرب أى جعل عليكم كالخيمة المنصوبة . (٢) منى بالشىء أى أصيب به .

(٣) قضى أى مات . (٤) تقاضاه أى تتقاضاه . (٥) الحول : العام .

(٦) صبيب : غزير . (٧) الفينان : المورق من الأغصان .

وما علم الغلُّ الفتى كمصيبةٍ دهته فلم يعطف عليه ضريب[1]

فيا ويله قد مزّق الغلُّ قلبَه وأُنشبَ فيه للشقاءِ نيوب

عزاءك لا يلمم بك الضيمُ إنّنا يتامى ولكن الشقاءَ ضروب[2]

فهذا يتيمٌ ثاكل صفو عيشه وذاك من الصحبِ الكرام سليب

وكلُّ امرئٍ في الناس باكٍ وضاحكٍ وكلُّ يتيمٍ لليتيم نسيب

فإن شئتَ فاعدد من رزئت أمانيا وإنك منها ما حييتَ سليب[3]

وما الرزءُ إلا فقد من لو حرمته حييت ولم يعنف عليك وجيب

ألا إنَّ بين الناسِ قربى ولو طغى جفاءٌ وأودت بالحنانِ شَعوب[4]

فإن جهلوا أنَّ القلوب أواصرٌ فما جهلوا أنَّ القلوبَ قلوب[5]

الجمال والعبادة

عند قدماء اليونان

كم أمةٍ أحكمت بالحسنِ دولتَها فخلفته وأودى مجدها الفاني

حبُّ الجمالِ حياةٌ لا نفادَ لها لانهبَ دهرٍ ولا أسلاب حدثان[6]

تلك التماثيلُ أم هذى المعابدُ أم تلك الفنون عليه خيرُ عنوان

ياربَّ مرأى لنا منها وربَّ مُنى فيها وحسن قديم العهدِ يوناني !

---

(١) الغل : الحقد . والضريب : هو الند والمثيل . (٢) لا يلمم أى لا يحل .

(٣) من رزئت أى من أصبت بفقدهم . (٤) شَعوب أى الموت وهى بفتح الشين .

(٥) أواصر أى صلات نسب . والقلوب قلوب أى من مميزاتها ولوازمها الرأفة .

(٦) لا نهب دهر أى لا تفنى على الأيام .

لهـفى على زمنٍ كـان الجـمـالُ به ... مـا يعــبـد النـاسُ فى دينٍ وإيمانِ
لـم يحـبـس المرء عن آمـالـه فَـرَقٌ ... منهـا ولـم يثنه عن عـزمِـه ثانى[1]
الحبُّ والحسـنُ والأشـعـارُ دينُهم ... أنـعـم بـذلـك ديـنـاً بـين أديـان
لم يزر بالحقِّ حبُّ الحـسنِ بينهم ... فـالحقُ والحسنُ إن فكَّرتَ سيّـان
كـأنما عيشـهـم من طيبِ مخبرهِ ... بيتٌ من الشعر فى حسنٍ وتبيان
يرون فى كـل شىءٍ حـولهم نفـسًا ... حـيًـا وروحًـا نماه طيب جـثـمـان
لـكلِّ شىءٍ إلـهٌ مـلؤه جـــذل ... مـعـبَّـدٌ بين أزهارٍ وأغـصـان[2]
وللجـمـالِ إلـهٌ غـيـر ذى بخلٍ ... مـكـللٌ بوريق العــودِ فـيـنان
لقد أضاءَت وجوه العيش عندهم ... محاسنُ الحبِّ من صدقٍ وإحسان
لا تحسب الحبَّ بين الناس منقصة ... فـالحبُّ سلوةُ هذا العـالمِ الفـانى !

الحيـاة والعمـل

المـرءُ لـيـس بمـالـكٍ يـده ... حـتى تكونَ وسـيلة الأملِ
والمرءُ يقـمـر جـسـمـه كـسل ... والعـمـرُ بعض غنيمـةِ الكسل[3]
والعـيشُ سـرٌّ أنتَ باحـثـه ... فـمـتى تجوب مجاهلَ السبل[4]
والعـيش سـجفٌ أنت رافـعـه ... عـمـا جـهلت بجـدّ ذى حـيل[5]
والعـيشُ تجـربةٌ لسـالِكه ... واليـأسُ أخطل فـيـه من خطل[6]

(١) فرق أى خوف . (٢) معبّد بتشديد الباء أى معبود .
(٣) يقمر أى يكسب فى القمار ، كأنما الكسل يقامر المرء عن جسمه وعمره .
(٤) المجاهل : الأماكن المجهولة . (٥) سجف أى ستار .
(٦) الخطل : الخطأ .

فحذار أن تعتده غرضاً إن الحياةَ وسيلةَ الرجلِ[1]

لو كان هذا العيشُ غايتَنا لم نطرق الأقدار بالأجل

لا تزدهيك منازل وُطئت فالسعيُ خيرُ منازلِ النزُل[2]

والنجحُ ليس بخير مكتسب كم نجحةٍ شر من الفشل

كم ظافر باقلٍّ مطلب خذلت يداه بمطلب جلل[3]

فالطيشُ ليس بعائب الأملِ والعجزُ ليس بعائبِ العمل

إن الذى يسعى على وجلٍ غير الذى يسعى على جذل !

ضحكات الأطفال

ضحكةٌ منك صوتها صوت تغريـ ـد العصافيرِ تستفزُّ القلوبا

ضحكةٌ ردَّت المشيبَ شباباً وأماتت من الوجوهِ الشحوبا

ضحكاتٌ كأنَّها كلمات الـ ـلّه تمحو مآثماً وذنوبا

ضحكات كأنها نغمات تترك الغافلَ الغبيَّ طروبا

ضحكات لا تعرف الخير والشرَّ ولا تضمر الجوى واللغوبا[4]

تفزع الهمَّ من ضلوع ذوى الهمِّ وتحنى على القلوبِ القلوبا[5]

كم أنامت دون الفؤادِ وجيبًا وأغاضت من الدموع غروبا[6]

---

(١) تعتده : أى تعده وتحسب .

(٢) لا تزدهيك أى لا تغرك . وطئت أى لانت وطابت . والنزل بضمتين جمع : نازل .

(٣) جلل أى عظيم .

(٤) لأن الطفل يفعل الشر والخير وهو لا يعرف أنه شر أو خير . واللغوب : هو التعب .

(٥) تحنى أى تميل (٦) غروب الدمع : شآبيب مائه .

رُبَّ ضحكٍ قد يضحك الغدرُ فيه ... ويُغطى عن خبِّه أن يريبا (١)

أبيض النفسِ صادق الضحكِ والغا ... درُ يعطيك ضحكه المكذوبا

ولقد يضحك اللئيمُ رياءً ... فتراه وهو الضحوك قَطوبا (٢)

يا رعى الله للطفولة حالاً ... تركت بعدها العزاءَ سليبا

يا رعى الله للطفولةِ حالا ... ما عهدنا الزمانَ فيها مريبا

كم صحبنا فيها الزمانَ أمينا ... ولبسنا فيها النعيمَ قشيبا (٣)

الجمال والموت[٤]

باعد الهمّ عن فراشى المناما ... فرعيت الأشجان نهباً سواما (٥)

وجعلت الفراش مأوى همومى ... فاستزادت من الظلام ظلاما

هو مورى الأشواق بعد خمودٍ ... وهو داءٌ مرٌّ يهيض السقاما (٦)

وهو أحنى علىَّ من وضح الصبحِ ... وأندى يداً وأهدا مقاما (٧)

غير أن الفناءَ يخطر فى شمـ ... ـلته غابنا جسوماً نياما (٨)

طرقتنى فى جنحهِ خطرات ... أنا محيى الدجى وهن الندامى(٩)

نضدت فوقى الرجامُ ضريحاً ... وسقتنى من الحمام مداما (١٠)

---

(١) الخب : الخداع . (٢) قطوب أى عابس . (٣) الثوب القشيب : هو الجديد .

(٤) يتخيل الشاعر أنه رأى خيال حبيبته التى ماتت فَهمَّ أن يعانق ذلك الخيال فرأى جماله يذهب ولم يبق من الخيال غير هيكل عظمى .

(٥) نهبا أى تتناهبها المسالك ، وسواما : أى غفل عنها راعيها . (٦) مورى أى مشعل .

(٧) أحنى أى أكثر حنواً ، وأندى أكثر ندى ، وأهدأ أكثر هدوءًا .

(٨) شملة الليل أى كساؤه أى الظلام . (٩) أحيا الدجى أى سهر .

(١٠) الرجام : الأحجار فوق القبور .

فـرأيتُ الشـيـابَ فـوقى أكـفـا ... نـاً وحـولى جـمـاجـمـاً وعظاما

ورمـيـتُ الظـلامَ بـالـنظـر الآ ... مل أبغى من الظلام مـراما

إن هـذا الـظـلام بـابٌ إلـى المو ... تِ نـراه وراءنـا وأمـامـا

ياسـمـيـرَ الموتى أبن لى حـبـيبًا ... كـان فى مـقـلتىّ بدراً تماما [١]

غـبـنتنى المنونُ فـيـه ولو شـا ... ءَت لسـامـت به الأنام مـسـاما

* * *

أىُّ زور يفـرى الدجى عن ضيـاءٍ ... أىُّ زورٍ يسـعـى إلىّ لمـامـا

انـتِ أنتِ التى هجـرت لحـاظى ... وتركتِ الفـؤاد يشكو أواما

أنتِ فى الموت والحـيـاةِ تقـودين ... فـؤاداً مـتـيـمـاً مسـتـهـامـا

عـانقـينى فـرُبَّ صـدرٍ خـفـوقٍ ... ظلَّ يحنو عليك عـامـاً فـعـامـا

واجعلى ساعديك عقـداً لجيدى ... واجعلى معصمَيك فيه زماما

عـانقـتنى فـعـانق الداء جـسـمى ... وكـأنَّ الخـيـالَ صـار رمـامـا

ورايت العظامَ تعـرى من اللحم ... وقـد فـارق البـهـاءُ العظامـا

أبعـدى عن مـشـمى النفس المرّ ... فقدماً شـمـمتُ منه البشاما [٢]

أبعدى فاك ذاك عن شفتى الظمأى ... فـقـد أبدل الرضـاب لغـامـا [٣]

بينمـا أنـت كـالضـيـاءِ بهـاءً ... إذ تعـودين رمـةً تتـحـامى [٤]

---

(١) سمير الموتى : الخطاب لليل .

(٢) مشم مكان الشم أى الأنف . والبشام : زهر له رائحة طيبة .

(٣) اللغام : ما يخرج من فم الإبل من الماء .

(٤) تتحامى أى يتحاماها ويبتعد عنها الناس .

عـابـدة الشـمـس

(اسم زهرة معروفة)

تديرين نحـو الشـمسِ وجهًـا كـأنمـا ... ترين بوجه الشمسِ ما كَتَبَ الدهرُ

فـمـا حـسـرت عـيـنـاك مـن طـول رقـبـة ... ويارُبَّ تـرصـادٍ ينوء به الصـبـر[1]

أتبـغين من تلحـاظهـا شـكرَ نعـمـةٍ ... هي النور لم يحسـب عليك له أجر ؟

تسـقِّـيك من أضـوائهـا بلواحظٍ ... وللشـمس لحظٌ لا بطيءٌ ولا شـزر

إذا غـربتْ أرخـيـتِ أجـفـانَ عـاشقٍ ... يناجي حبـيبًا دونه للدجى سـتـر

تضيئين وجهَ الروض من فرط صفرةٍ ... فـأنـت له شـمسٌ وأنـت له بـدر

وفى اللون آيات من النورِ غـضـةٌ ... ويارُبَّ لون قـد يضيءُ له جـمـر

كـأنَّك بين الزهرِ فى ليل أربع ... وعـشـر هلال حـوله الأنجم الزُّهر

وصـفـراء من نـسل المجـوسِ كـأنهـا ... تـعـالج أمـرًا لا يعـالجـه الزهر

تـهمُّ إلى وجـه الـسـمـاءِ كـأنمـا ... لها فى صميم الأرضِ من جذرها أسر

كـمـا يشرئب النسر هيض جناحه ... مقيم على الدهماءِ الحاظه طير[2]

جـحـدنا مـغـاليق الطبـيـعـةِ ضلة ... فكانت حياةُ المرءِ أكثرها سر[3]

---

(١) حسر أى تعب .

(٢) اشرأب : تطلع ومد عنقه . وهيض أى كسر وجرح . والدهماء : الأرض .

(٣) مغاليق الطبيعة : أسرارها الغامضة .

صوت الليل[1]

مـلأتَ الكونَ من نفس عـمـيق ... فـاسـمع كلّ ذى قلب مـفـيق

وأجـريت الجـلالَ على سكونٍ ... يفـيض على ظلامك كـالأنين

وأخـرست الحـيـاةَ وراغـبيـهـا ... وريحُ الموتِ تخـفق منك فـيـهـا

كـأنكَ شـدو ظئـر للوليـد ... إذا طردت به صحـو العنيـد[2]

كـان النومَ صنوك حين تجـرى ... على سمع سرارك ليس يدرى[3]

وأنتَ عـلالةُ الروحِ الكبـيـرة ... إذا أصـغت ولجت إلى السـريرة

فصوتُ الليلِ من صوت الضميرِ ... مـهـيب القـولِ كـالهـادى النذير

يئن صـداه فى صمّ الضلوعِ ... ويكسو النفسَ ثوبًا من خشـوع

فـيـا مـأواى من عنت الحـيـاةِ ... إذا أنا متُّ لا تهـجـر رفـاتى

فكم ناجـيتُ سـرّك فى الظلامِ ... وداءُ النومِ يـسـرى فى الأنام

خلسنا منك أسـرار البـيـانِ ... فـأنت اليمُّ تعـمـره المعـانى[4]

وصف البحر

ألا ليـتنى لجّ كلجّك زاخـر ... أعب كما تهوى النهى والبصائر[5]

فكم عبّت النفسُ اللجوج وحاولت ... كبعض سُطاك الآبيات النوافر[6]

فاخفت من الدرّ النفوس ومن حلى ... كما اختبأت فيك اللهى والذخائر

كـان بهـا افـقـاً كـافـقك نائيـاً ... ومن دونه كل المدى يتـقـاصـر

أتطرب من لحنِ الخـريـر كـأنه ... خـواطر تتلوها عليك السـرائر

---

(١) إذا هدأ الكون بالليل سمعت صوتاً مثل خرير المياه فكأنه صوت سكون الليل وهدوئه .

(٢) الظئر : المرضع . (٣) السرار : المسارة . (٤) خلسنا أى سرقنا .

(٥) أعاد الشاعر نشر هذه القصيدة بمجلة الرسالة (عدد ١٠ أغسطس ١٩٣٦) وأضاف إليها الخمسة والعشرين بيتًا الأولى ... أى لج من الحياة والنهى . (٦) أى النفوس الأبيات .

كما طرب النشوانُ من لحن صوته ... فجاشت لديك الراقصات الزواخرُ
وإلا فما للموج في اليمِّ راقصًا ... دعاه عذارى البحر شاد وشاعر [1]
خريرك يحكي صدحة الدهر صامتًا ... كأنك دهر بالحوادث مائر [2]
هو الدهر لا يخشى المنايا ولا يهي ... صباه ولا تقضي عليه المقادر
وأنت شبيه الدهر لا أنت هارم ... ولا أنت منقوص ولا أنت خاسر
ويصطخب الآذيُّ فيك كأنما اصـ ... ـطخابك من حكم المنية ساخر [3]
أخفقٌ وإعصار ودفع وهبة ... كأنك حيٌّ نابض القلب شاعر !
فريحك أنفاس وموجك نابض ... كنبض قلوب أعجلته البوادر
خلوت من السمّار كالبيد وامحّت ... معالم لا تبقى عليها الأعاصر
سوى شلو فلك قد حدرت إلى الردى ... يلوح كما لاحت رسوم غوائر
وكم جزرٍ مثل الجنان مضيئة ... كأنْ جَهلتها الصائلات الدوائر
لخيلت نجوم السعد والحب والمنى ... فحنَّ إليها الشخشخان المخاطر [4]
كما حنَّ للآل الخلوب قوافل ... تخب بها في البيد إبل ضوامر [5]
لخلفت في قلب المخاطر همة ... على الدهر لا تبلى وتبلى العمائر
يحنُّ إلى ما خلف أفقك ناظر ... كما تنشد الغيبَ النُّهى والبصائر
كأنَّ منىً للنفس من خلف أفقه ... تلوح كما لاح السراب المبادر
أو انّ مجال السعد درٌّ منظم ... على الأفق ينحوه الطلوب المغامر
بلى كل نفس للغريب مشوقة ... وإن خوفتها من سطاه المحاذر
ويصغر في مرآك عيش ابن يومه ... ويكبر رأيٌ ذاهب فيك سائر

---

(١) عذارى البحر (أو عرائس البحر) : إشارة إلى الأسطورة الإغريقية .
(٢) مائر : أي مائج . (٣) الآذي : الموج .
(٤) الشخشخان : القوي الشجاع . (٥) الخبب : العدو .

خواطر مثل الفلك فيك شوارد ... يضلُّ عليها عازب اللب حائرُ
تناءت بك الأمواج وهى نوافر ... وجاءت بك الأمواج وهى ثوائر[1]
كأن بها عجزَ المشيب إذا انثنت ... وعزمَ الشبابِ الغرِّ وهى بوادر[2]
فَنمْ نومةَ الظل البطئ مسيره ... وثب وثبةَ الغضبان حين يساور
فيارُبَّ حلمٍ خامل البطشِ هادئ ... ضمنتَ وجهل شرُّه متطاير
كأن لنا من لُجّ مائك واعظًا ... بليغًا له مما أثرت زواجر
رأيتك والأمواج فى وثباتها ... عساكر حرب قد تلتها عساكر
فبينا يريق الضوءُ فوقك ماءَه ... وتجرى عليك الريحُ وهى خواطر
ويتلو عليك الصائدون غناءَهم ... يرجّعه لحن من الماء مائر[3]
ويُسمعك الملاح من شجو قلبه ... أحاديث قد تاقت لهن الحرائر[4]
إذ الجو جهمٌ والرياح كتائبٌ ... وإذ أنت مقبوح السريرة غادر[5]
ورُبَّ سفينٍ يقرع النجم مجدها ... تقاذفها مستوفز اللجّ هامر[6]
يروّعها فى كل هوجاء موعد ... ويسعى لها قبر من الماء سائر
فليس الغمامُ الغمرُ إلا رياحها ... وما المرسلاتُ الهوجُ إلا الهوامر
وما ذلك اللج الذى فى سمائها ... بأهدأ من لجّ نمته الزواخر[7]
إذا ذكر الملاّح زوجاً وصبيةً ... طغى شجن فى مرجل الصدر فائر[8]
وتذهل عن مهد الوليدِ رءومه ... إذا ما رمتها بالوعيد الزماجر[9]
وما هى إلا صولة ثمت انجلت ... وأكبر غرقاها المساعى البوائر[10]
كما غرقت فى لجة الدهر دولةٌ ... زهتْ ما زهتْ والدهر للناس غامر

---

(١) تناءت : بعدت . (٢) أى أن الأمواج إذا ابتدرت الشاطىء كان لها بطش الشباب وعزمه ، وإذا رجعت عنه كان بها عجز المشيب وضعفه . (٣) مائر أى سائل .
(٤) تاق : اشتاق . والحرائر : النساء المحجبات . (٥) كتائب : جيوش .
(٦) أى أن الغمام فى صولته مثل الريح . والرياح مثل الأمواج .
(٧) نمته : نسبته إلى نفسها . (٨) المرجل : القدر وضع على النار .
(٩) الزماجر : جمع زمجرة أى صوت الرياح والأمواج . (١٠) البوائر من بار يبور : إذا تلف .

معانٍ لايذكرها التعبير

كم مـعـانٍ يودّ لو صـاغـهـا المر ... ءُ وحلّى بهـا وجـوهَ البـيـانِ

هى ملءُ الضـمـيرِ لـم يبلغ اللفـ ... ـظُ مـداها ولم تـذلهـا المبـانى[1]

كلمـا رامَ أن يـعـبـرٌ عنهـا ... إنـفـت أن تُـنـالَ بـالآذان

فـهى عـذراءُ لا تحـنُّ لـنـاءٍ ... وهـى عـذراءُ لا تـلين لـدانـى

نزلت فى النفـوس منزلَ صـدقٍ ... كـنزول الـنفـوسِ فى الأبـدان

وتـأبت عن قـانص الحقِ باللفـ ... ـظ ولـو كـان واسعَ التـبـيـان

هى جـزءٌ من النفـوسِ وهل تبـ ... ـدو نفـوسٌ لمـدرك بالعـيـان

لن تـراها بـالرأى حـتى تـراها ... بفـؤاد مـوفقٍ يـقـظـان

طالمـا نالهـا أخو الصـمتِ والصمـ ... ـتُ كـريم البـيـان جمٌ الأمـان

إنَّمـا تنطق النفـوسُ لدى كـل ... مـصـيخٍ إصـاخـة المذعـان[2]

ونجىُّ النفـوس ليس الـذى ألـ ... ـجمَ فـاه من رهبـةٍ أو هوان

إنَّ وأد الأبـنـاءِ أهـون خـطبـاً ... وأثـامـاً من وأد تلك المعـانى[3]

ذلّ من خـاف لـومـةَ النـاسِ فى قَـو ... لة حقٍ فلجَّ فى الكتـمـان !

---

(١) أذال : أرخص وحقر .

(٢) المذعان : الذى يذعن للحجة .

(٣) الأثام : اسم مصدر من أثم .

غلامٌ مريضٌ
يكلم أمه

خبريني أمي أئن متُّ ماتت ... نزعاتي إليكم وحنيني ؟
والحنانُ الذي أضمُّ به كـ ... ـلَّ قريب معانق أو قرينِ
والضياءُ الذي ترين بعيني ... أمضيءٌ سواد تلك المنون[1]
وهل المرءُ في المماتِ غبينٌ ... أم هو المرءُ فيه غيرُ غبين
عاهديني أن لا تعاني لموتي ... حرقات تفيض ماءَ الجفون
وإذا شئت فاجعليه رشاشًا ... ذلك الدمع واحبسي من أنين[2]
في قليلٍ من البكاءِ بلاغٌ ... وكثيرُ البكاءِ داء العيون
لستُ أرضى لحرٍّ وجهك أن يز ... رى به من شحوب وجهِ الحزين
لست أرضى لأضلعٍ حملتني ... أن تعاني حملَ الأسى المكنون
ولصدرٍ قد كان يحنو على جسـ ... ـمي في المهد لوعة من شجون
العصافيرُ في الرياض تغني ... لا كجسمي تحت الترابِ الدفين
كنتُ في العيش مثل هذي العصافيـ ... ـر أغني في وكرِيَ المأمون
فلاحت لي المنون بوجهٍ ... أي راءٍ يرضيه وجه المنون ؟
ليس ما بي خوف الجبانِ ولكن ... خوف جهلٍ لا خوف جبن وهون[3]
كالمكان الخراب يبعث في النفـ ... ـسِ خشوعاً ورعدةً للظنين[4]
فهو يخشى وليس يعرف ما يخـ ... ـشى ووجه الفناءِ غير أمين

(١) ضياء العين : لمعانها .
(٢) الرشاش : القليل من الماء أو الدمع .
(٣) الهون : الهوان والذل .
(٤) الظنين : المتهم ويبعث له رعدة ؛ لأنه يذكره بجناية .

التنويم المغنطيسي

أو عزيمة المجرم

« قصة »

بلحاظ راميات مصميات ساكنات[1]
كلحاظ الحية الرقـ ـطاء عند الوثبات
واعتزام ليس يثني بدعاء أو شكاة
قادها كرهاً وكانت قبلُ خير الآبيات[2]
جعلت تغضي لتمحي فعل تلك النظرات[3]
فهي كالطير قنيصٌ في الشباك القانصات
ولها قلبٌ خفوقٌ كجناح الطائرات
خيفة الرجس ولا خو ف كخوف الغانيات
صار يدعوها إليه بحديث اللحظات
لحظات آمرات فهي طوع الآمرات[4]
تأخذ المرءَ اقتساراً باقتدار العزمات
رحمات الله ترعا ها بخير الرحمات
كم يضحي الشر بالطهر لحكم الشهوات
رُبَّ جان علّم العا جز وجه العزمات
ربّ جان علم الغر جذاب الفرصات[5]

---

(١) مصميات : مصيبات . هذه قصة جناية استخدم مجرم شهوان التنويم المغنطيسي لكي ينال شهوته من فتاة كان يحبها .
(٢) الآبيات : المتمنعات .
(٣) يصح في محا أن يقال : محا يمحو ومحى يمحي ومحا يمحا .
(٤) آمرات ؛ لأنها لحظات المنوم بالمغنطيس .
(٥) الفرصات : الفرص .

كـــلُّ خـــب ودهـــاءِ واعــــتـــزامٍ للـجناة
هو مـحـسـوب علينا فى أسـاليب الحـيـاة !

ليتنى كنت إلها [1]

ليتنى كنتُ فى السمـاءِ إلهـا نافـذَ الأمـرِ فى شؤونِ الوجـودِ
فــأضمُّ الوجــودَ بين جناحـ ـىَّ وأسطو على الشقـاءِ بجـودى
ثم أحنو على الأنامِ كـمـا يحـ ـنو شفيقٌ على الرضيع الوليـد
ليس شـرّى عليـهم بهـتـون إنَّمـا العـدلُ آيةُ المعـبـود[2]
إنّ وعـدى لديهم خـيـر وعـدٍ ووعـيـدى بالشـرِّ غـيـر وعـيـد
ليس حكمى عليـهم بشـديدٍ وقـيـودى لديهم بقـيـود
وندامـاى فى الملائكة الغـرّ حـسـان من الظبـاءِ الغـيـد
مـجدونى حتى عطفت عليـهم فاستراحوا من ضجة التمجيد
هم أجـادوا المديحَ والنغمَ العـذ بَ فاعـفوا من ركـعـةٍ أو سجود
هم أضـاءوا كـواكـبى بضـيـائى وأثـاروا بـوارقـى ورعـــودى
وهم فى الظلامِ حـولى قـيـامٌ لم يهـيـجوا لواعجى بالصدود
كم عناقٍ لى بينهم والتـزام وارتشـاف من الرضـابِ البـرود
لو ترانى وعـزتى وجـلالى وجنودى وعـدتى وعـديدى

(١) المقصود من هذه القصيدة تحذير الناس من نسبة الصفات الإنسانية إلى ذات الله أو أن يقيسوا قدرة الله بقدرة الناس ، ويقصد أيضاً السخر بالذين ينتقدون نظام الكون ، ويزعمون أنهم لو وكل إليهم أمره لأصلحوه .

(٢) هتون : متدفق هاطل .

لو تراني وعـزتي غـيـر عـزها ... ة وقولي : أحبكم يا عبيدى !

وهم يبسـمـون عن جـذل جمٍ ... وعـيشٍ هناك غـيـرُ عـمـيـدِ

فـتنوني بمبـسـم وقـوامٍ ... وبجـيـدٍ وأعينٍ وخـدودِ

ليس فـيهم من خائنٍ أو خبيثٍ ... أو لئـيمٍ أوحـاقـدٍ أو حـسـودِ

ولهم في أوائل الفـجـرِ لحنٌ ... يوقظون الطيـورَ بالتـغـريد[1]

وسـقـاني من الملائكة الغـرُّ ... وصـيـف شـراب أهلِ الخلود

رُبَّ سـاقٍ مـتـوَّج الرأسِ بالزهرِ ... صَـقـيلِ اللحـاظِ غـيـر عنيـد

ولنا من سـمـائنا فـوق هذا الـ ... ـنَّاس إشرافُ سيـدٍ مـعـبـود[2]

كم بعثنا اللحاظَ في غَسَقِ الليل ... ولحظ الإلـهِ غـيـر شـريد

فـإذا النَّاسُ بين باكٍ وضـحـا ... ك ومضني من لوعـةٍ أو حـقـود

ورأينا في مـرقـد الغـادة الرو ... د نسـاءً حُلّين بالتـجـريد[3]

فضحكنا حتى أفقنا من الضحـ ... ـكِ وحتى حسبنه من رعودى

كم رفـعـنا قناني الخـمـرِ للسـا ... رى إذا ضلَّ في الليـالى السـود[4]

فـأضـاءت له الطريق سـويًا ... وهدته هدى اللبـيـبِ الرشـيـد

فـأرقنا عليـه ديمة مـزنٍ ... سلبت منه جـدة في البـرود[5]

وضـحـكنا ضـحـكاً يضجُّ له المو ... تى ويشكو منه حبيس اللحود[6]

(١) لحن : أى غناء ، أى أن الملائكة تغني في الفجر لتوقظ الأطيار . (٢) أشرف : أى أطل .

(٣) الغادة الرود : الناعمة . والتجريد : العرى ، أى أن النساء أحسن ما تكون عند العرى .

(٤) قناني الخمر : دنانها . (٥) البرود : الثياب . (٦) اللحود : القبور .

هكذا تمزح الملائكةُ الغرّ ومزحُ الكرامِ غيرُ شديدِ

رُبَّ مزحٍ سهل المساغ ومزحٍ مستطيل العداءِ غير حميد

مزحنا مزح خالص النفسِ والكـ ـف برئ من سوأة أو حقود[1]

بسط العرش فاستويتُ عليه مستعزاً بملكىَ الممدود

أنا بالخير قائمٌ ، وأخى إبـ ـليس بالشر قائم والوعيد

كم سخرنا من خائفٍ غير ندبٍ إنما الجبنُ آفةُ الرعديد[2]

وطربنا من عابد العملِ الجمِّ عظيم الفؤادِ غير قعيد

أنا والحب خالدان ، كلانا ذو صيال ونشوة وجنود !

هو تربى والكون طفلٌ وليدٌ وسميرى ومسعدى وعقيدى

يا جمالَ الحياةِ من علَّم العـ ـشاق رشفَ اللمى ولثمَ النهود ؟

يا جمالَ الحياة من علَّم الشا عر وصفَ الهوى ونسجَ القصيد ؟

يا ضياءَ الحياة من علَّم الرا سمَ رسمَ الضحى وورد الخدود ؟

يا حياةَ الحياةِ من علَّم الصا نع صُنعَ الدمى الحسان الغيد[3] ؟

يا حياة الحياةِ من علَّم المطـ ربَ حسنَ الغناءِ والتغريد

يا حياة الحياةِ من علَّم العـ ـوادَ إفصاح عوده الغريد ؟

قد ارتهم ملائكى طرفَ العيـ ـشِ فأوروا ذكاءَهم بزنودى[4]

أنا شيخٌ وهم تلاميذ صدقٍ شايعونى بالنصرِ والتأييد

---

(١) السوأة : الشئ الذى يشين .

(٢) الندب : الشجاع النشط . والرعديد : الجبان .

(٣) الدمى : التماثيل

(٤) طرف العيش : ما يستحب منه . وأوروا : أى أشعلوا .

سُـــمتُ هذا الأنامَ بـالحلم حـتى ... صـار رأيى فى الحلمِ غـيـرَ سـديدِ

وهجـانى من البُـغـاثِ كـثـيـرٌ ... ليس فـيـهم من عـاقل أو رشـيـد

هـكذا سنة الورى ، وقـــديمًـا ... هلك الليثُ فى زمـــانِ القـــرود

وأتتنى قـــوارصٌ عن أخ الجـــهـ ... ـلِ فـويح لمثله من قـصـيـدى

ذهـنه خـــاذل فلو كـــان ريًا ... لذباب لمات من تصـــريد[1]

كيف أخشى هجو البغاثِ وقد نا ... هضتُ إبليسَ فى زبون كـؤود[2]

فـاعتـزامُ الجـهـولِ غـيـرُ جليلٍ ... وأمـاتى الحسـودِ غـيـرُ ولود[3]

مـا رعـودى لهم وعـيـداً ،ولكن ... ضحك سخر بالشانىءِ المجهود[4]

طارق اليـــأس لا تلحْ لى بأمنٍ ... واعــفنى من حـديثك المقنود[5]

أنا أقـــوى من أنْ أذلَّ ليـــأسٍ ... مـسـتـعـيـذاً بأمـره المعـقـود

ودم للحـــيـــاةِ هاج بقلبى ... مـوقظًا بعضَ همـتى بالوئيـد[6]

نبضاتٌ فى القلبِ تحيى طموحى ... وتزيحُ الهـبـاءَ عن مـجلودى

كلُّ عـيش سَـهْلُ المساغ وإنْ مـرَّ ... سوى عَيْشِ يائسٍ مـصـفـود[7]

لهفُ نفـسى على مـراتب عـزٍّ ... تطَّبـينا بالسـؤددِ المعـقـود[8]

لهف نفسى على مـراتب قـد يبـ ... ـلغـهـا المرءُ فى الخـيـالِ البـعـيـد

رُبَّ عـيش لى فى السمـوات رغـد ... ليس عـيشٌ من بعـده بحـمـيـد

---

(١) التصريد : قلة الماء أو المأكول .

(٢) الحرب الزبون : الشديدة البطش . الكؤود : التى تهد وتثقل .

(٣) غير ولود : أى لا تلد

(٤) الشانئ : المبغض .

(٥) الذى به حلاوة السكر .

(٦) وئيد القلب : ضرباته .

(٧) مصفود : أى مقيد .

(٨) تطبى : أى تستميل .

كان يقضي القضاء أمري فما حكـ ـمي لدى الحادثات بالمردود

عزلوني عن حكمها فكأني يوم ذاك السلطان عبد الحميد !

غير أني قد كنتُ أحسن عهداً وعهودُ البغاةِ غيرُ عهودي

ولو أني بقيتُ في الدست حيناً هلك الناسُ من زمانٍ بعيد(1)

فكأني قردٌ يقلد فيها ربَّه بئسَ ذاكَ من تقليد !

أيُّها الغافلون قوموا جميعاً واسألوني عن عدتي وعديدي

لم تدع لي نوائبُ الدهرِ منها غيرَ قلبٍ على الحياةِ جليد

ولسانٍ مثل الحسام رهيفٍ وبيانٍ كاللؤلؤ المنضود !

لسان الغيب

يا لسان الغيب ناجي شاعراً كشفَ الغيبَ له طولُ الأنين

عرف الهمَّ فلم يخنع له ورمى الدهرَ بصبرٍ لا يخون(2)

إنّما العيشُ عزيم لا يني يتقاضاه الأسى وهو ديون(3)

ودحا الكون بلحظٍ صادق فرأى ما لا يراه الناظرون(4)

يبتغي المخبوءَ في مكمنه ويناجي الله في تلك الظنون

ويردُّ الناسَ عن غفلتهم ما علا يوماً على الشكِّ اليقين

---

(1) الدست : كرسي الرئاسة (فارسي معرب) .

(2) يخنع : أي يخضع .

(3) لاينى : لا يتباطأ .

(4) دحا : أي بسط .

باشر الحالات كى يخبرها ... ويرى فى بعض ذاك العزّ هون[1]

يا رسول الغيبِ لا تعنف به ... أطرق الشاعر فى رفقٍ ولين[2]

إنما الشاعر فيما يبتغى ... باحث برٌّ على الغيبِ أمين

بائعٌ باع رخيصًا عمره ... بعلالات المنى وهو غبين[3]

ودهتهُ فى العوادى حكمٌ ... جنّ منها لبه أى جنون[4]

قد أحبّ العيش لاحب امرىءٍ ... واجد يخشى على العيش المنون[5]

وقلاهُ لا قلى مستضعفٍ ... يبتغى الآمال أو حز الوتين[6]

واستقاد العيش لا تكرثه ... صولةُ العادات بالداء الدفين[7]

فإذا شاءَ رأى فى الجدب خصبًا ... ورأى فى الراكد الماءَ المعين

نعمى الزواج

إنّما عقدةُ الزواجِ عقالٌ ... وإسار أنعم به من إسارِ

هو ذاك النعيم لو أسلسَ الحظ ... وباب الجحيم عند العثار

وهو مأوى المطلول من حدث الدهـ ... ـر بشؤبوب ديمةٍ مدرار[8]

جاعل بيننا هضابًا منيعا ... ت وبين الأهواء والأوطار

---

(١) أى فى بعض ما يراه الناس عزاً يرى ذلا . (٢) رسول الغيب : يقصد به الخيال الصادق .

(٣) العلالات : ما يتعلل به الإنسان . (٤) العوادى : المصائب . (٥) واجد : أى له مال وغناء .
أى أن الشاعر لا يحب العيش كما يحب الأغنياء العيش .

(٦) الشاعر لا يبغض الحياة بغض الضعيف لها .

(٧) استقاد : ذلل وروض . (٨) المطلول : أى وقع عليه الطل .

غـيـر أن الحـلاب أعـذب وردًا وهو أنأى عن ذلة وصـغـار
إنما المورد الحـرام كـسـمٍّ الـ ـصلّ فى طرف مـؤخـر غـدّار
أحكم الله عـقـدةً هى كـالعـضـ ـب لدى عقدة الخطوب الكبار[1]
جـاعـلاً ذلك الزواجَ كـريماً كـزواج الأنداء لـلأزهـار
إنَّمـا الزوج مـوئلٌ حـيث لا مـو ئل يُنجى من صـولة الأقـدار
وهى كـالنجـمـة المنيـرة فى جُنـ ـح دُجى الخطب للشريد السارى[2]
ولجت فى الصـميم من حبّة القلـ ـب وحلّت بموطن الأسـرار

الشاعر وصورة الكمال[3]

« قصـة »

قـد حـدثوا عن شـاعـرٍ نابغ مـجـود الشـعـر شـريف المقـال
لم يعـشق الغـيـدَ ولكنه هامَ ببكرٍ من بنات الخـيـال
صُـورةُ حـسـنٍ صـاغـهـا لبُّـه وحـدُّها فى الحسن حـدّ الكمـال
فـصـارَ كـالطفل رأى بارقـاً هـاج له أطمـاعـه فى المحـال
يمدُّ نحـو النجم كـفـًّا له ويحـسـبُ النجمَ قـريب المنال
فـأينمـا سـارَ تراءت له كـمـا تراءى خـادعـاً لمع آل[4]
خـيـالهـا دان بـه حـائمٌ كـأنه غـيـر عـزيز النوال
وربما ألبـسـهـا وهمُـه جسماً وكم وهمٍ غريب الصيال[5]

---

(١) العضب : السيف . (٢) الشريد : الهائم على وجهه . (٣) قصة شاعر فتنته صورة الكمال فى الحسن ، حتى عشق صورة من بنات الخيال كانت سبب موته .

(٤) الآل : السراب . (٥) الصيال : من صال يصول .

قد هجر الأترابَ من وحشة ... وصار يمشى فوق هام الجبال[1]
يحدّثُ النفسَ بأمرِ الهوى ... ويسأل الأرواحَ رجع السؤال[2]
فبينما يسعى على قمةٍ ... تروّع النفسَ بمرأى الجلال[3]
رأى التى صوّرها لُبُّهُ ... تصوير صبٍ عابدٍ للجمال
قالت له : إن كنتَ لى عاشقًا ... فاتبع خطاى واستضئ بالخيال
فسارَ يقفو إثرها هائماً ... والمهتدى بالوهم جمُّ الضلال
وهمَّ أن يمسكهَا جَاهداً ... بين ذراعيه بأيد عجال
مازال يعدو جهدَه نحوها ... حتى هوى من فوق تلك القلال
فرحمة الله على شاعرٍ ... مات قتيلاً للأمانى الطوال !!

ربّما

أو

المزهُوُّ بحميد خلقه

يا سعيداً يتيه بالخُلقِ الفَا ... ضِلِ فينا كتيه أهل الثراءِ
خفّض اللحظَ قد يتيح لك العيـ ... ـشُ أموراً من حادثات القضاءِ
ربما شبَّ بين جنبيك للشر ... ضرامٌ ما إن له من فناء
كلُّ نفسٍ فيها إلى الخير والشرِ ... دواعٍ طويلة الإغفاء

---

(١) الأتراب : أى الأصحاب والأنداد ، وهام الجبال : رؤوسها .   (٢) الأرواح : هى الرياح .
(٣) روع بتشديد الواو : أزعج وأخاف .   (٤) هناك أناس يتيهون بفضائلهم كما يتيه الغنى بغناه وماله .
(٥) أتاح له : أى سبب له .   (٦) شب : أشعل .   (٧) الإغفاء : النوم .

أنت فى اليوم واسعُ الجاهِ غضُّ الـ ـخيرِ لدن الرخاءِ رطبُ الرجاءِ

خالصُ الكفِّ من دماءِ قتيلٍ أبيضُ الطبعِ لم يشب برياء[1]

ربما كنتَ فى غدٍ أشعثَ الطبـ ـعِ لئيمَ الخصالِ جمَّ الشقاء[2]

خاضبَ الكفِّ من دماءِ عدوٍ طائرَ الضغنِ ثائرَ الشحناء[3]

أو طريداً يرميه بالنظرِ الشَّز رِ عظيم الرياء جمّ الحياء[4]

كم وجوهٍ مشبوبةٍ من حياءٍ وقلوبٍ لئيمة الأهواء

كلُّ نفسٍ فيها عزائم وسنى فهى كالغيبِ لا تبينُ لرائى[5]

ليس تبدو حتى يمزّق عنها قدر واقع ستور الخفاء

أكثر النفس ساكنٌ غيرُ يقظا ن خفيٌّ خفاءَ غير عفاء[6]

ربما أضرمت حوادث فى النفـ ـسِ ولوعاً بالخيرِ جمَّ السناء[7]

النساء فى الحياة والموت

قُمنَ يرفلْنَ فى الليالى السودِ بعد أنْ صِرن طعمةً للدودِ[8]

بعد أن كنَّ للعيون جلاءً فاتناتٍ بأعينٍ وخدودِ

مالئاتٍ وجهَ الحياة ضياءً عابثاتٍ بمسعدات الجدودِ[9]

هزَّ منها الهوى ثمارَ صباها هزةَ الريح زهرة الأملودِ[10]

---

(١) لم يشب : لم يمزج . (٢) أشعث أغبر أى أن الرجل من أهل الخير قد يكون فى غد من أهل الشر .

(٣) ثائر الشحناء : مهيج البغض .

(٤) كما كان هو يرمى غيره بالنظر الشزر . (٥) وسنى : نائمة .

(٦) العفاء : الفناء . (٧) السناء : الضياء . (٨) يرفل : يميس فى الثوب .

(٩) هذه حالة النساء فى الحياة . (١٠) الأملود : الغصن الناعم .

يتـواقـعن كـالنسـيمِ ويجنين لحـاظى بثنى تلك القـدودِ

صـرن يخطرن فى الظلام ويرمـيـ ـن عـيـونَ الرائين منهـا بداءِ

ويرجِّـعن فى الظلامِ صـراخ الـ ـبومِ حتى يسقمن وجهَ الهواء

لابسـات أكـفـانهنَّ حـيـاءً إن ترى قـبـحـهن عين الرائى[١]

هنَّ فى الموت والحـيـاةِ يخـبئـ ـن عـيوبًا تزرى بذاك الحـيـاءِ

ربما أضـمـر الرياءُ حـيـاءً وبدا فى الحـيـاءِ بعضُ الرياء[٢] !

الحلال والحرام

إذا لم يَعُـدْ بالشـر مـا أنتَ ناعمٌ به فـانتـهـزه ليس فـيـه حـرامُ

فكم لذةٍ للمرءِ كـان اغتـصابهـا حـرامـاً أحلت والصـروفُ كـرام

ومـا كلُّ مـا يأتيك عـفـواً محللاً ولا كـلُّ مـا لا ينتـحـيـه مـلام

ولكنهـا اللذات مـا غـاب ضـرُّها حـلالٌ وإن هـابَ الحـلالَ لئـامُ

فَـرُبَّ حـلالٍ حـرّمـوه وحـرمـة أحلوا وألبـاب الأنامِ نيـام !

متى يعـرف الأقـوامُ حلاً مـحـرمًا فـيـروى من الحلِّ الحـرامِ أوام ؟

---

(١) حالتهن فى الموت كما يصورها الخيال .

(٢) أى من أهل الرياء من يستحي من ريائه ، ومن أهل الحياء من هو منافق فى حيائه .

العقاب بالقتل

أطيلوا حياةَ الجارمين فإنَّها ... حياةٌ إذا سدّ المطامع عاقرُ[1] !

أتبغون أن تنفوا بجرمٍ جريمةً ... هي القتلُ يأتيها مقيد وعاثرُ[2]

فلو أنهم عاشوا وفي السجن معهدٌ ... لتهذيبهم عاشوا وفي العلم زاجرُ

لقد أخلفتهم بلغة العيشِ برّها ... زماناً وحاجات الحياة غوادر[3]

لبئس حياة المرءِ والفقر عاكف ... عليه وأسباب الحياة جرائر[4]

فقل للأُلى أذوى النعيمُ قلوبهم ... أعينوا أُلِي الحاجاتِ فالفقرُ كافر[5]

كأنكم بالضامرين تعارفوا ... على نيةٍ سوآء والجوعُ آمر[6]

هنالك إنّي للفقير لعاذلٌ ... وإنّي له مما يعانيه عاذر !

عيون الندى[7]

عيون الندى كوني على الزهر إنَّه ... يطلُّ على العشّاق منك ويشرفُ

فليس عيونُ الغيدِ أشعلها الصبا ... بأروع في لألائها حين تعطفُ

ولا أطفأت منك الغزالةُ رونقًا ... على الروضِ جذلان المدامع يذرف

---

(١) أي أن حياة المجرمين لا تلد الشر إذ سد بينه وبينهم .

(٢) المقيد الذي يصدر العقوبة . أي كيف تنهى الحكومات الناس عن القتل وهي تأتيه .

(٣) البلغة من العيش : الكفاف ، أي القليل من الرزق .

(٤) جرائر : أي جرائم . (٥) أذوى : جفف وأتلف .

(٦) ضمر : أي صار نحيفا . وسوآء : سيئة ، أي تثور حرب اقتصادية بين الفقراء المعدمين والأغنياء يقسو فيها الفقراء على الأغنياء انتقاما .

(٧) عيون الندى : أي قطراته .

ولا زال مكسالُ النسيم إذا سرى على روضةٍ يحنو عليك ويرؤف

يهزك هزّ الظئر مهدَ وليدها فلا المهدُ يشكوها ولا هى تعنف[1]

ولا زال غرّيدُ العصافيرِ واقعاً على الزهرِ يحسو منك ريًا ويرشف[2]

الحاجة المكتومة[3]

«قصة»

زعموا أن فتاةً جمعت طيبَ النساءِ

شهرت بالبرِّ والتقـ ـوى وحسنٍ وحياءِ

ما رآها عارفوها ضحكت ضحكَ الضياء

ما رآها عارفوها رددت رجعَ الغناء

هى عاشت فى جلالٍ كجلالٍ للمساء[4]

حين ترنو الشمسُ حزنًا وهدوءًا فى السماء

لم تجد وجداً فتمحو ه بإحياء البكاء

فلها عيش رقيق كغديرٍ فى الصفاء

وهى لم تُمْنَ بهمٍّ وهى لم تُمْنَ بداء[5]

غير داء خفيت أسـ ـبابه عن كل رائى

وافتقارُ النفس للحبِّ عنيفٌ لا يرائى

---

(١) الظئر : المرضع . (٢) غريد بتشديد الراء : المغرد ، ويحسو : أى يشرب .

(٣) فتاة أحبت فأخفت حبها وماتت من ظمئها إلى لذاته . (٤) رب فتاة هى فى سكونها ووقارها مثل المساء فى سكونه ووقاره وجلاله . (٥) منى بالشئ : أصيب به .

هـزلـت فـى كـل يـومٍ — فى صـبـاحٍ ومـسـاءِ
ولـهـا لحظٌ ضـعـيـف — مـثل ضـعـف للفناء
أتراها سـتـرت حـا — جـتَـهـا سـتـر رياء
أم تراها جـهـلتـهـا — جـهلَ طهـرٍ أو غـبـاء[1] ؟
عـمـرت حـينًا ومـاتـت — من عـفـافٍ وحـيـاء !

الإنسان والزمن[2]

حـيـوانٌ مـهـذب — أم إله مـعـذَّبُ[3] ؟
صـرَّح الخـيـر والأذى — فـيـه والخـيـرُ أغلب[4]
فـإلى العـجم نـسـبـة — وإلـى الله يـنـسـب[5]
وهـو فى الشـرِّ يرغـب — وهـو فى الخـيـر يرغب !
ولـهُ دُونَ شـرِّه — فى اللـيـالى مـؤنب[6]
ولـه دُونَ خـيـرِهِ — فى اللـيـالى مـهـذب
نَـهَـلٌ هـذه المـنـى — والمسـاعى تـقـرّب

(١) أى هل هى كانت تعرف أن سبب مرضها حاجتها إلى الحب أم كانت تشعر بهذه الحاجة ولكنها لم تفهمها لأحد سببين إما لمهارتها وإما غباوتها .

(٢) هذه القصيدة تبحث فى الإنسان وآماله ومنزلته فى الوجود .

(٣) أى هل الإنسان حيوان مهذب أم الإنسان إله معذب . (٤) صرح بالتشديد : أى ظهر .

(٥) أى أن الإنسان بينه وبين الحيوانات صلة كما أن بينه وبين الله صلة .

(٦) أى أن التجارب تدله على أن فى الشر ضره .

لحـيـاة قـبل الحـيـا ... ةِ وعـيش لا يـكذبُ[1]

تذكر النفسُ حالهَا ... فيـه والحالُ تعجبُ

فجنابٌ موطأ ... واقتدارٌ محبّبُ

ولها عند أمسها ... فى ضحى اليومِ مطلب

وملالٌ فى يومها ... وطموحٌ ومعتب

ولها كلَّ ساعةٍ ... شجن أو تطرب

مثلما أذكر الغريـ ... ـب حبيباً تغرَّب

مثلما هاج للغريـ ... ـب جوى الحزنِ مغرب[2]

فالمآلُ التنقُّل ... والمآل التقلُّب[3]

والبقاءُ التغيُّر ... والحياةُ التطلب[4]

أوما تبصر الزما ... ن أتيّاً لا ينضب[5]

وهو للعمر مالئ ... وهو للعمر يسكب

وله الكونُ خلعةٌ ... يرتديها فيحجب[6]

وله القلبُ منزلٌ ... وله النفسُ ملعب !

---

(١) أى هل أمانى الإنسان وأطماعه ورغبته فى حياة أكمل من حياته هذه ، هى فى الحقيقة تذكر لحياة ماضية ، وشوق إلى تلك الحياة الماضية .

(٢) ويحن إلى تلك الحياة الماضية كما يحن الغريب إلى حبيبه عند غروب الشمس .

(٣) أى مآل الإنسان أن يتنقل من حياة إلى حياة .

(٤) أى أن التغير لازم للبقاء والتطلب من لوازم الحياة .

(٥) الأتى بتشديد التاء : السيل العظيم .

(٦) خلعة : أى رداء وثياب .

مراجعة الحب

دعني أقتاتُ من عيونك بالـ ... ـلحظِ وأروى من خمرةِ الجذل[1]

ودعْ جفوني تبلُّ خدَّك بالـ ... ـدمعِ وتحكى مصارعَ الأمَلِ

نستدفعُ العتبَ بالعناقِ وننـ ... ـفيه بإحياءِ ضجة القُبل[2]

هل تذكر الموقفَ الرهيب وقد ... مالت بسمعيك حجة العذل

ولهان أبكى وأنت ذو خجلٍ ... وقد يراضُ الحبيب بالخجل[3]

تحسب حبيك شرّ منقصةٍ ... تفعل بالجاه فعلةَ الأسل[4]

وإنَّما الحبُّ سلوة جلل ... على شقاءٍ ذى دولةٍ جلل[5]

وإنَّما الحبّ كالضرامِ إذا ... أجيع يخبو كخبوةِ الشعل[6]

وإنَّما الحسنُ نهزةٌ تدع الـ ... ـخائبَ يبكى منها على طَلَل

لقد عرفنا الحياةَ معرفةً ... يهابها خائفٌ من الزلل

فاملا بعطفيك ساعدىَّ ولا ... تترك فؤادى بالصدِّ فى شغل[7]

لم يخلق اللهُ حسنكم عبثًا ... يا باعثين الهيامَ بالمقل

أليس يرضيك أننى رجلٌ ... طال من الشِّعرِ مبلغ الأُول ؟

---

(١) أى دعنى أتغذى بالنظر إلى عينك . والجذل : السرور . (٢) ضجة القبل : صوتها .

(٣) أى قد يكون خجل الحبيب داعية إلى إسعافه . (٤) الأسل : الرماح ، أى تحسب أن حبى يجرح شرفك وجاهك كما تجرح الرماح الأجسام . (٥) سلوة جلل : أى عظيمة .

(٦) أى أن الحب إذا أجيع ولم يسعف بالعطف خمد كما تخمد شعل النار .

(٧) العطف : الجانب . والساعد : ما بين الذراع والمعصم . والمعنى عانقنى أو دعنى أعانقك .

مـــا أنت القــارىءِ الأديب فـــار ... قــيكَ بقــولٍ من حكمــةِ الرسلِ
يا دولةَ الحـسنِ غـيـر راقـبـة ... من الليــالى مـصــارع الدول
إن تسعدى الشاعرَ القؤول فقد ... أسـعـدت طبًا بأمرك الخضل[1]
أو تخـذليـه فـانت عـادية ... تسـدّ عنه منافـذَ الحـيل[2]
يا باخـلاً بالنعـيم لا عـجب ... إن أنت عـانيتَ شقـوةَ البخل[3]
أمـا ترى لذةَ الحـبيبِ إذا ... قـبّله عـاشقٌ على وجل !

الحاجات الممتزجة

كم حـاجـةٍ للنفسِ ممزوجـةٍ ... بحاجـة الجسم كـخمـرٍ وماءْ[4]
كـذلك الحبُّ به شـهـوة الـ ... ـجـسمِ ورىٌ للنفـوسِ الظمـاءْ
ونفـحـةُ الزهرِ بهـا شـهـوة الـ ... أنف إذا سـيـقت بريح رخـاءْ
ولذةٌ للنفـس فى طيّـهـا ... تفـعل فـيـهـا مثلَ فعلِ الدواءْ
يا عـجـباً للنفسِ يهتـاجـهـا ... بشـجـوهِ الصـوتُ سليل الهـواءْ
كم من صـلاتٍ بين نفس الفـتى ... وبين مـوجـوداتِ هـذا الفـضـاءْ
وربَّ لونٍ هاج شـجـو الفـتى ... وفـتَّح الذهنَ بمرأى الضـيـاءْ
إنَّ غـذاءَ الذهن فـيـمـا احـتوى ... من سـمع أذن المرءِ أو رأى راءْ

---

(١) أمرك الخضل أى الذى مثل الجديد من الزهر .   (٢) العادية : هى المصيبة .
(٣) الخطاب للحبيب : أى أنت بخيل بوصلك فحياتك مثل حياة البخلاء ليس فيها لذة .
(٤) يظن بعض الناس أن لذة الروح مستقلة عن لذة الجسم ، وهذا خطأ ؛ لأن كل لذة نفسية فيها لذة مادية ؛ وكل لذة مادية فيها لذة روحية .

والحسُّ بابُ النفسِ كم والجٍ … منه إليها بالحجى والغباء[1]

إنَّ عناءَ الجسم في فعلهِ … يغري بنفس المرءِ برح العناء

وربَّ داءٍ والج جسمه … يصاب عقلُ المرءِ منه بداء

لا راحةً للنفس في حيث ما … للجسم فيه مطلب للرخاء

أنفاس السحر

نسيمُ الرياضِ وريحُ السحرْ … أهابا بشجوى حتى ظهرْ[2]

يمرُّ علينا النسيمُ العطرْ … ببرد الدجى وبطيب الزهرْ[3]

فما استبرد القلب ريح السحر … حتى استثير لهُ ما استتر

وكم في الدجى من بديع الغرر … مناظرُ تصبى الفتى ما نظر

وميض النجومِ بوجه الغُدُر … ولونُ الدجى حول ظلِّ الشجر

نظرتُ إلى النجم لما سفر … ثقيل النعاس بعيد النظر

سويعة للقلب فيها عبر … يهيج الخيالُ بها والفكر

فيا ليلة من ليالى السمر … تريق علينا ضياءَ القمر

تطيب الأماني بها والذِكَر … وتنشقنا من نسيمِ السحر[4]

جنينا من الحبِّ خيرَ الثمر … ونلنا من اللهوِ أقصى وطر

---

(١) الحجى : العقل ، والغباء : الغباوة .

(٢) أهاب بالشئ : دعاه .

(٣) أى النسيم يحمل إلينا برد الدجا وطيب الزهر .

(٤) الذكر : جمع ذكرى .

فيا نَفَس الصبحِ لما ظهر ... ويا حِندسَ الليلِ لما انحسر[١]

لقد صرت ذكرى تشبُّ الذِكَر ... بطيب الزهورِ وبرد السحر[٢]

امرأة تكلّم بعلها

ليس الجمالُ عقاراً أنت مالكه ... إنّ الجمالَ جمالُ الله والناسِ[٣]

تعتدّني سلعة في ملكها أربٌ ... تموت داءً ولا يدنو لها الآسي[٤]

في كلِّ لحظٍ عطيلٌ ثارَ ثائره ... وكلِّ خطرةٍ فكرٌ رجع وسواس[٥]

وتحسب البعلَ مولى زوجه سفهاً ... فهل يُشايعُ رأيي رأيك القاسي

وحاجةُ النفس في ندٍّ أخي كرمٍ ... جمٍ ورفقٍ وإعزاز وإيناس

هل كلُّ قولك حقٌّ لا ارتياب به ... أم كل طبعِكَ حلوُ الطعم للحاسي

أم أنت عندي كما تهواه من خطلٍ ... أعزّ عندي من العينين والراس

لا يطعم البعل منكم حبّ زوجته ... فليس يعرف فيه غير أرجاس[٦]

لا يصحب البعل منكم روح زوجتهِ ... دعم الودادِ بأطنابٍ وآساس[٧]

فصار رأيكم في العيش ذا عِوَجٍ ... جمٍّ وأمالُكم من الحبِّ كالياس !

---

(١) نفس الصبح : أي نسيم الصبح . لما ظهر : أي الصبح . (٢) شب النار : أشعلها ، وللذكرى حرقة مثل حرقة النار . (٣) العقار : ما يملكه المرء من البيوت وأمثالها .

(٤) السلعة : الشئ الذي يباع ويشترى ، والآسي : الطبيب .

(٥) عطيل هو القائد المغربي بطل رواية شكسبير . أي أنها ترميه بسوء الظن .

(٦) أرجاس جمع رجس : الشئ الذي يدنس .

(٧) دعم الشئ أن تجعل له دعامة يعتمد عليها .

الحسناء الغادرة

ياسى إليك أحبُّ من تأميلى	فدعى النفاقَ عزيزة التنويلِ
أدنيتنى حتى ملكتِ مسالكى	ومنازعى فهجرت هجر مَلولِ
وجعلتِ حسنًا فيك نحو نفوسنا	لك رائداً والحسنُ خيرُ دليلِ[1]
فأضاءَ بين ضلوعِنا لك ضوءهُ	سر الهوى ولواعجِ المخذولِ
ولبست أهل الحب حلية ساعة	أو خلعة أبدلتها ببديل
فإذا نأى لك عاشقٌ أُنْسيته	إنّ المقيمَ لديك خيرُ خليل !
وحسبتِ غدرَك كافلاً بشفائه	من دائه والغدرُ غيرُ كفيل !

النعمان ويوم بؤسه

« قصة »

« كان للنعمان نديمان فماتا . فحزن عليهما حزناً شديداً ، ودفنهما فى قبر واحد . وجعل يوم موتهما يوم نحس سماه يوم البؤس . فكان يخرج فيه إلى البادية فيأخذ أول من يمر به من الناس فيذبحه على قبرهما ضحية لهما ! فحدثت القصة الآتية فى يوم من أيام بؤسه : »

لقد خرج النعمانُ فى يوم بؤسهِ	يرفّه عنه من جوى غال غائله[2]
وقد كان آلى أنَّ أولَ قادمٍ	على قبر ندمانيه تدمى مقاتله[3]

(١) الرائد : الدليل . (٢) رفه المرء عن نفسه : أى أراحها .

(٣) آلى : أى أقسم . والمقتل هو المكان الذى إذا طعن فيه المرء قتل .

رأى شاعراً ينحوه فى بعضِ سيرِه ... وكان رحيبًا للعفاة فناؤه[1]

يرجي لديه الخير والخير عازب ... فيا ليته قد غاب عنه رجاؤه[2]

فجاءت به الحراسُ وهو مقيدٌ ... عزيزُ المحيا ثابتُ الجاشِ مطرقُ

فقال له النعمانُ قولةَ عازمٍ ... على الشرِّ لا يلويه عنه الترفقُ :

طلعتَ علينا طلعةً لك شرّها ... وقد يدرك الإنسانُ ما فيه ضرُّه

طلعتَ علينا والردى لك راصدٌ ... عبوسٌ ويومُ البؤْسِ قد طار شرُّه !

فقال له العافى وقد حنَّ قلبُه ... إلى أهله شوقًا وهاجَ وجيبه :[3]

هو الجدُّ بالإنسان غادٍ ورائح ... ورُبَّ طلوبٍ يتقيه طَليبُه[4]

تركتُ ورائى صبيةً وحليلةً ... وجئتُك أبغى حاجة من تفضلِ[5]

فإن لم يكنْ إلاَّ الممات فخلّنى ... أودّعُ أهلى قبل ساعةِ مقتلى

فقال له النعمان : هل لك ضامنٌ ... حلالٌ لنا إن لم تعد أن نقيدَه[6]

أقم أنت نائى الدارِ لا غر بيننا ... ضمين غريب خشية أن يكيدَه

فقام غريبُ الدار ينشد ضامناً ... له بين قوادِ الأميرِ وصحبِه[7]

إلى أن رأى شيخاً كأنَّ بوجهه ... دليلاً على ما فيه من طيبِ قلبِه

فقال له : هل فيك للخيرِ منزلٌ ... دعوتُك للجلىِّ فهل أنت سامعُ[8] ؟

فقال له : اذهب إننى لك ضامنٌ ... وأنت وفىٌّ لا محالةَ راجعُ

---

(١) ينحوه : أى يقصده . والعفاة : طالبو الجود .
(٢) عزب الشئ : بعد .
(٣) العافى : هو المستجدى ، ووجيب القلب : خفقانه .
(٤) الطليب : هو الشئ المطلوب .
(٥) الحليلة : الزوجة .
(٦) أقاده : أى جعله بدل المجرم .
(٧) ينشد : يطلب .
(٨) الجلى : الأمر الجليل العظيم .

مضى ما مضى حتى إذا آن عودهُ وقد قرب الميعادُ أو كادَ يذهب

وجاءوا بذاك الشيخ والسيفُ مصلتٌ عليه وحبُّ العيش للنفس أغلبُ[1]

وقالَ له النعمان : هذى جناية عليك جنتها فيك شيمةُ أخرقِ[2]

ضمنت غريبَ الدارِ لم تبل صدقَه فأوقعك المقدارُ فى شرٍّ مزلقِ !

رأوا فارسًا يعدو كان وراءَه مماتٌ يرجى إنه غير سابقه

فلما أتاهم قال أين ضمينكم لقد كنتُ أخشى أننى غير لاحقه[3]

فإنّ أتِىَّ السيلِ عاق مطيّتى ولولا أتِىُّ السيلِ ما عاق عائقُ[4]

فقال له النعمان : لا تخشَ بأسَنا فأنت أمينٌ أبيضُ الودِّ صادقُ

وما كنتُ أدرى أنَّ فى الناسِ من له على نفسه منها رقيبٌ يعينه !

ووالله ما أدرى أوافٍ بعهد أحقّ بإجلالِ الفتى أم ضمينه[5] ؟

ألا علّلانى يا خليليَّ أنتما على العيش بالإحسان والصدقِ والندى

فقدْ صرتُ لا أخشى من البؤسِ عودةً إلى أن يتيح الدهرُ لى عادى الردى[6] !

اليأس داءٌ والأمل داء

« يدفع العيشُ الإنسان إلى الأمل فلا ينفعه الأمل . ويدفعه إلى

---

(١) السيف مصلت عليه : أى مرفوع . (٢) هذى : أى ضمانتك الغريب ، والأخرق : الأحمق .

(٣) الضمين : الضامن . (٤)السيل الأتى : هوالعظيم المتدفق .

(٥) أى لست أدرى من أعظم منكما ، من يضمن المحكوم عليه بالقتل فيعرض نفسه للهلاك أو المحكوم عليه الذى يفى لضمينه وهو يمكنه أن ينجى نفسه .

(٦) أتاحه له : أى أصابه به ، العادى : هو من عدا يعدو إذا سطا .

اليأسِ فييأس فلا ينفعه اليأس . ويرى فى اليأس أملاً وفى الأمل يأسًا . ويرى الأملَ يزجى إلى اليأس ؛ واليأس يزجى إلى الأمل ؛ فيعلم أن اليأس داء والأمل داء » .

كلما أضمرتُ حبًا لحبيب	كذبت أخلاقه ذاك الهوى
فى ضياء الحسنِ وعدٌ كاذبٌ	مثلما أومضَ برقٌ وخبا
قال داعى الهمِّ قولاً صادقًا	إنما نحن عبيدٌ للمنى
عجبًا للدهر فى أحكامه	يجلب النعمةَ فى داعى الأسى
عجبًا ليس يُروّى غلةً	وقلى والعيشُ لا يخشى القلى[1]
خُلِقَ الإنسان كى يشقى بما	يبتغى فى نيله برءَ الشقا
ولو ان اليأسَ بُرْءٌ للجوى	لم تكن فيه دواعٍ للجوى
ما أتيح اليأسُ إلا شقوة	إنما اليأسُ سبيلٌ للمنى
صاحِ إن العيشَ خلق كاذب	خلق اللخناء ممرور الجنى[2]
نحن نهواه ونقلى حكمَه	فكأن الحبَّ صنوٌ للقلى[3] !

ضوء القمر على القبور

« إذا رأى الإنسان ضوء القمر على الزهور ، خشع من جلالة ذلك المنظر . ولكنه إذا رأى ضوء القمر على القبور ، امتلكه الفزع من قساوة

---

(١) الغلة : حرقة الظمأ ، والقلى : المقت .

(٢) اللخناء : الأمة اللئيمة ، وممرور الجنى : أى ذو ثمر مر .

(٣) الصنو : القريب .

ذلك المنظر الذى يحكى له فناءَ الجمال فى الموت ، وفناءَ الموت فى الجمال » .

إنى رأيتُ بياضَ ضوئك موهنًا ... فوق القبور كعارضٍ يتهلل[1]

ففزعتُ من ذاك البياضِ كأنه ... لون المشيبِ على الذوائبِ يثقلُ[2]

ولربما كره الفتى صورَ الردى ... وهو الجرىء على الحمامِ المقبل[3]

ولَقدْ رأيتك والقبور كأنَّها ... أشباح ساكنة النواظر مُثَّل[4]

نظر البرئ إلى القتيل مجندلاً ... والروعُ فى أنفاسه يتعجل[5]

ولقد رأيت على الهلالِ سآمةً ... سأم يعالج مثلَه المتأملُ

فكأنَّه الحسناء يطرقها الردَى ... فتبيت تذوى فى الفراشِ وتذبل

طوراً يريك الموت فى لحظاته ... حتى كأنَّ الحسنَ داء معضل

ويبيت طوراً فى الرياض يعلّها ... مما يريق على الفضاءِ وينهل[6]

الندامة

« الندامة إذا لم تطرق المرء على سئ فعله ، أغشاه الغى موارد الآثام ، وأرهقه مرادها[7] . وإذا طرقته ، طرقته إما بالعزم والنشاط ، وإما بالهمِّ الذى يخلس العزم والنشاط » .

---

(١) العارض : هو السحاب . إنه يخيل للإنسان أن ضوء القمر على القبور به شئ من الظلام والتجهم . وسبب ذلك أن الإنسان إذا نظر إلى القبور تملكته ذكرى الموت والفناء .

(٢) ذوائب الشعر : المسترسل منه . (٣) المقبل : صفة للجرئ . (٤) مثل : جمع ماثل .

(٥) أى أنفاس البرئ ، لأن أنفاس المروع تأتى مستعجلة من الروع .

(٦) يعلها وينهلها : أى يسقيها أولا وثانياً . والقمر يسقى الرياض من ضوئه . (٧) المراد الغشيان .

ندمنا وقد تمحو الندامةُ ما مضى ... ولكنها قد توئس المرءَ فى الباقى
وتودى بعزمٍ صادقٍ ذى عرامةٍ ... وتنحى على بال السليم بإقلاقِ[1]
وتغرى همومًا جمَّةً بفؤادهِ ... ومن لك من رقّ الهموم بمعتاق
وقد يخلس الهمُّ الشجاعة والحجى ... وينبذ لب المرء ليس له واقى
إذا لم تناصرنا عدا الغىُّ عدوةً ... فترهقنا الآثام أعظم إرهاقِ[2]
وإن هى آتتنا خشينا صيالها ... بخطبٍ رهيف الناب ليس له راقى[3]
فطوراً تردُّ المرءَ عن نهج عزمهِ ... وتدفعه طوراً إليه بإعناقِ[4]

ثغر

رُبَّ ثغرٍ قد كان مرتادَ ثغرى ... ومجيرى من الزمان المغيرِ
كان يحنو ثغرى عليه كما يحـ ... ـنو شفيقٌ على الوليدِ الصغيرِ
نائماً فوقه كما نام فوق الـ ... ـزهرِ شادٍ أذوته نارُ الهجيرِ[5]
ولقد أرشف الرضابَ بشدوٍ ... مثل مصٍّ الظمآن ماء الغدير
قبل كالدلالِ من رقةٍ تفـ ... ـعل فينا فعلَ الدلال الغرير
أخرس الهجرُ صوتها لا رعى اللـ ... ـهُ الذى أحدثت بنات الدهور
كم جنينا من صوتها النغمَ العذ ... بَ وخمرَ الهوى وخمرَ السرور
ورشفنا فيها الحياةَ كما يُر ... شف محضُ اللبانِ من ثدى ظيرِ[6]

---

(١) تودى : تذهب ، والعرامة : الشدة ، وتنحى : تسطو . (٢) عدا عدوة : أى سطا سطوة .
(٣) المؤاتاة : الزيارة والمواصلة . والراقى : الذى يشفى بالرقى. (٤) أعنق فى السير : أسرع .
(٥) أذوته : حرقته وأذبلته . والهجير : شدة الحر بالظهر . (٦) اللبان : اللبن . والظئر وتخفيفها الظير : المرضع .

ابتسامات

وميضُ ابتسامات يضئ جوانحى ... ويجلو ظلامَ الهمّ واليأسَ من صدرى

إذا ابتسمت ضاءَ بعينى ابتسامُها ... كما ضاءَ وجهُ البدرِ فى صفحةِ البحرِ

يكادُ يضئ الغيب فى مستقرّه ... وميض ابتسام فعله صادق السحر

وأسمعُ فى نفسى أغاريدَ جمّةً ... يهيج صداها فى الجوانحِ والصدر[(١)]

كأنّ بها من صادح الطيرِ شاديًا ... يغرّد فى روضٍ من الحب والشعر[(٢)]

وإنىَ لكالبذر الدفين ولحظها ... غذاء كلحظ الشمس للزهرِ والبذر[(٣)]

ويوقظ آمالى ضياءُ ابتسامِها ... كذاك شعاع الشمس يزخر بالذرٌ[(٤)]

شعاعُ ابتسامٍ كالغدير خواطرى ... نوازل فيه كالكواعبِ فى النهر ![(٥)]

عتاب ام دلال

لامَ إنّى ناديتُه يا حياتى ! ... قلتُ : أنّى يكون وجه شكاة[(٦)] ؟

قال : لو كنتَ صادقَ الحبِّ لم تد ... عُ على من تحبه بالممات

---

(١) أى أن ضياء ابتسامها يضئ النفس فأسمع فيها تغريد الأشجان ، كما أن ضياء الفجر يطلق على تغريد العصافير .

(٢) صادح الطير : المغرد من الطير ، أى كأن فى نفسى طائراً يغرد فى روض من الحب والشعر .

(٣) كما أن البذر والزهر يتغذى بضياء الشمس ، كذلك أنا أتغذى بضياء لحظات هذه الحبيبة .

(٤) كما أن شعاع الشمس ترى فيه ذرات الهباء ، كذلك ضياء ابتسامها يجلو آمالى ويوقظها .

(٥) أى أن خواطرى فى ضياء ابتسام الحبيبة مثل الفتيات الحسان وهى تستحم بالنهر ، فضياء ابتسامها نهر تنزل فيه خواطرى .

(٦) حيث إن الحياة فانية والنفس خالدة ؛ فادعنى يا نفسى ولا تدعنى ياحياتى .

من ينادى حـبـيـبَـه بحـيـاةٍ والمنايا رواصـدٌ للحـيـاة ؟

نـادنى لـو أردتَ يا نـفـس ! إنَّ الـ ـنفسَ أبقى على تعيق النعـاة[١]

قلت : إنى أخـاف أدعـوكَ بالنفـ ـسِ فنفسى كـثـيـرةُ العـثـرات

لك نفس بيضاءُ خالصةُ الوجـ ـهِ ونفسى مُسودَّةُ الصفحات !

قـال : بينى وبين نفسك فى الحـ ـبِّ اقـتـسـام لزلةٍ أو هناة[٢]

فـاقـتـسـام يكون فى سيئـات واقتـسـام يكون فى الحسنات !

الحسن والآمال النبيلة

ياليتنى لو تكون مـجـديةً هذى الأمـانى صنَّاع أصنامِ[٣]

أعطى لآمـالىَ التى طرقت فى يقظة الحبِّ بابَ أحلامى

جسم رخام يصونها أبداً وربَّ حسنٍ رهين أجسامِ

آمال تُنسى الفتى شقاوتَه وتعدم الشرَّ أىَ إعدامِ

تعلو بنفس المحبِّ عن دنسٍ فيها ولؤم جمٍّ وأوغامِ[٤]

وصحةُ النفسِ صحة أبداً للحسن والحسن نهلةُ الظامى[٥]

إلى جلال للعيش يظهره حسنُ نفوسٍ وحسن أفهام

أصور الحبَّ دميةً تذر الـ ـخالى شجياً ضمينَ آلامِ[٦]

---

(١) المعنى : حيث إن الحياة فانية والنفس خالدة فنادنى بـ «يا بنفسى» ولا تدعنى : «ياحياتى» .

(٢) هى الزلة أو الهفوة .

(٣) صناع أصنام : أى ناحت التماثيل ، لكى أودع فى تماثيل الرخام آمالى وخيالاتى وأفكارى .

(٤) الأوغام : الادناس .

(٥) النهلة : الشربة .

(٦) الدمية : التمثال .

حسناء تغرى الوقور بالمرح الـ ـجمّ وترضى فؤادىَ الدامى[1]

ومن سَمَت نفسُه لغايتها الـ ـقصوى بعزمٍ ثَبْتٍ وإقدامِ[2]

يُكَرِّم الحبَّ كلَّ تكرمةٍ ويُعظم الحسنَ أى إعظام

فالحسنُ أنواعه سواسيةٌ حسنُ طباعٍ ، أو حسنُ أجسامِ[3]

أو حسنُ رأىٍ ، أو حسنُ مأثرةٍ ، أو حسن فعلٍ خلا من الذامِ[4]

شرب الخمر والحبيب

يا ليت أنك تستحم بخمرةٍ مشمولة فى الدنّ ذات ضياءِ[5]

فتريق فوقَ محاسنٍ لك كأسَها فتزيدها من رقةٍ وصفاءِ

وتعيدها فى دنّها وتصبها لى شربةً بلباقةٍ وحياءِ

فتلذُّ لى فيها محاسنُ جمةٌ وتبلّ حرَّ لواعجى وظمائى

فلشد ما ظمئت إليك جوانحى ظمأ الجريحِ إلى شراب الماء ![6]

أمل فريضة

هل ينفعنّى ذلك الـ أملُ المخضّبُ بالدم ؟

---

(١) الدامى : المجروح السائلة دماؤه . (٢) الثبت : الثابت .

(٣) سواسية : أى متساوية فى الفضل . (٤) الذام : هو الذم .

(٥) الدن : وعاء الخمر .

(٦) أى أنه مشتاق إليه مثل اشتياق الجريح إلى الماء ؛ لأن الجراح تسبب ظمأ الجريح .

يدحو شقاءَ الأبريا ء ويثنني لم يكلم[1]

أمل يرى ظُلم الحيا ة بوجهها المتجهم[2]

فيعيده طلقاً كوجه الأغيد المتبسّم[3]

أملٌ يطلُّ على السنين بحسرةٍ وتندم[4]

ويرى الحياةَ فريضةً من آجل ومقدم[5]

صوت الموتى

ألا إن للأمواتِ صوتًا كأنّه خرير المياهِ الجارياتِ على الصلد ![6]

ويحكى خفيفَ الغصن فى لينِ وقعهِ وطوراً كأصداءِ الطبولِ على بُعدِ

ويُعولُ أحيانا كإعوال ثاكلٍ رمتها صروفُ الدهرِ فى الولد الفرد[7]

يئن أنين الريحِ عند خفوتها ويعوى عواءَ الذئبِ فى المهمه القفرِ[8]

ويصرخ أحيانا فيحكى صراخُه صراخَ العباب الغمرِ فى لجج البحرِ

يئن أنين الليل إن هدأ الورى وطوراً له صوت كحشرجةِ الصدرِ[9]

---

(١) يدحو : أى يبسط . ويكلم : أى يجرح ؛ لأن الكلم هو الجرح . (٢) ظُلم : جمع ظلمة : أى الظلام ، والمتجهم : العابس . (٣) المعنى : ماذا يفيدنى أملى فى صلاح الحياة إذا كنت أرى شقاء الأبرياء فلا أحزن من ذلك ولا يقلل ذلك من أملى ، ثم أرى وجه الحياة مظلماً فأحسبه مضيئاً ؛ فمثل هذا الأمل يعمى صاحبه عن شقاء الناس والشر الذى فى الوجود . (٤) يطل : أى يشرف .

(٥) أى لا يرغب فى الحياة لما يجده فيها من اللذة ، بل لأن الحياة واجب يؤديه .

(٦) الصلد : الصخر الجامد إذا وقف المرء بين القبور وكان له خيال حسب أن للأموات صوتاً يقع على سمعه مثل وقع الخرير أو خفيف الغصن أو أصداء الطبول . (٧) الإعوال : هو العويل والصراخ .

(٨) خفوت الصوت : عدم ظهوره .

(٩) حشرجة الصدر : صوته عند موت الإنسان .

الحجــاب

أطلقـوا عن عِـرسِـه حـتى يراها ... ويـرى أيـن هـواهُ مـن هـواهـا

واحـسـبـوها لو أردتم سلعـةً ... يترجى عـرضـهـا قبل شراها ![1]

كـيف يهـوى غـادةً لم يرها ... يافع أبدت له الدنيـا صباها ؟[2]

إنَّمَـا الأرواح شـتى فـاسلكوا ... كل روحٍ حيث لا تذوى مناها[3]

رُبَّ حسناء إذا كـشَّـفْـتـهـا ... عن أمورٍ كان ينميها خفاها[4]

لنَبتْ عـينُك عـمَّـا أبصـرت ... ودهى نفْسك ما أصمى عماها[5]

رُبَّ ريان الصبـا غضٍّ الهـوى ... مضـمـر فى نفسه ملءَ دهاها[6]

فـدعـوا الحسناءَ تبـدى لكُم ... منه طبعاً غابَ عن عينٍ سواها !

* * *

(١) السلعة : الشئ الذى يباع ويشترى .

(٢) اليافع : الشاب .

(٣) الأرواح مختلفة الآمال والرغائب ، فضعوا كل نفس حيث تستوفى نصيبها من الحياة وآمالها .

(٤) أى كان خفاء الحجاب يجعلها تنمو .

(٥) نبا ينبو : أى لم يقع على ، أو لم يصب . وأصمى : أى أصاب . وعماها : أى جهلها .

(٦) ملء دهاها : أى ملء دهائها شراً .

الموت والتخيّل
أو
أحلام الأحياء بالموت

تسائلنى عن الموتى ، وإنى — ربيبُ الموتِ فى هذا الأنامِ ![1]

ولو بطلَ التساؤلُ ما رضينا — بعيشٍ مثل أحلامِ النيام

وأحوال كآراءِ السكارى — إذا دبّت بهم خُدع المدام

ولو بطلَ التخيُّلُ ما رضينا — بما يلقى المغيَّب فى الرجام[2]

خيال يطّبى الأهواءَ منا — كبرقٍ لاح فى وجه الظلام[3]

وكم فى الشعر من حلمٍ لذيذٍ — يعين على حياةٍ أو حمام[4]

فزهرُ الروضِ أو زهر النجومِ — ووجهُ البدر فى سجفِ الغمام[5]

نزين به المماتَ وقد خلونا — به فى العيش أيامَ الغرام

وكان العدلُ أن نرضى بموتٍ — فلا طيفٌ يساعدُ باللمام[6]

أليس الكونُ أكبرَ منك شأناً — وأولى بالمقادرِ والنظام ؟ !

---

(١) الخطاب موجه إلى الشاعر الفحل الجليل عباس أفندى محمود العقاد ، الذى أرسل إلى صاحب الديوان قصيدة عنوانها : « أحلام الموتى » يقول فيها :

فهل يسرى إلى قبرى خيال — من الدنيا وأنباء الأنام ؟

ألا ليت النيام هناك تحظى — بأحلام كأحلام النيام !

(٢) الرجام : أحجار القبر . (٣) يطبى : أى يستميل .

(٤) أى أن الشعر يعين على احتمال الحياة كما يعين على انتظار الموت ، وإنما تأثير الشعر بما يعرضه على المرء من جمال الخيال .

(٥) سجف : أستار . (٦) اللمام : الزيارة ، أى بعد الموت .

خــــذ الموتَ المحلى بالأمــــانى | وبالأحـــــلام تطرق فى الظلام
ودع لى مـيـتـةً لا حلم فـيـهـا | فـمـا أخـشى وقـد هدأت عظامى
ولكنَّ التـــخـــيلَ مـــاءُ رىٍّ | حـــــلالٌ أن أبلَّ بـه أوامى ![1]

شاعرٌ فى الغربة

كنتُ مــثل الفــريد جئ به من | روضِــه والزمـــانُ غـيــرُ ذمــيمِ
حـيث وجـهُ النهـارِ جـذلان بسّـا | مُ ، ووجـهُ الظلامِ غـيـرُ بهـيمِ[2]
ودواعٍ إلى الغـنـاءِ كِـــثـــارٍ | من حـبـيـبٍ ومـوطنٍ وحـمـيمِ
أنـزلوه فـى منزلٍ مـــثل بطن الـ | أرضِ جـهمِ السـمـاءِ جـهم الأديمِ[3]
عـاش يبكى أيامـه حيث صفـو الـ | ـعيشِ سـهل الجنابِ سـهلُ النسيمِ
فـقـضى عـيـشَـه غـريباً عن الأهـ | ـلِ قليلَ العـزاءِ جمَّ الهـمـــومِ
إن أكن عـائشًـا فـعـيش عليل الـ | نفسِ يذوى مثل الرجاء العـقـيمِ[4]
الهـوى والحـيـاة واليـأسُ والحـز | نُ وريـبٌ من الزمـانِ خـصـومى

---

(١) الأوام : حرارة وغلة العطش . (٢) بهيم : أى أسود .

(٣) أى أن هذه البلدة التى نزلها من بلاد الإنجليز كلها دخان ، والأمطار تحجب ضياء الشمس فى سمائها فهى مثل القبر مظلمة .

« قضى الشاعر – صاحب الديوان – ثلاث سنوات بإنجلترا فى بعثة دراسية بجامعة شفيلد ، فيما بين خريف ١٩٠٩ وشتاء ١٩١٢ ، ونظم هناك عدداً من القصائد ، منها هذه القصيدة ، والقصيدة التى بعدها ، كما أوحت إليه بقصيدة « الشتاء فى إنجلترا » المنشورة فى الجزء الثامن » .

(٤) العقيم : الذى لا يجدى نفعاً .

حنين غريب

أبغ فى مـــصـــرَ آمـــراً بالتـــاسى ... وتمهل وانظر امـــــاكنَ أُنسى[1]

خـذلتنى فـقـمتُ أنشـدُ حظّى ... فى سواها فكانَ موردَ نحسى[2]

أنشـــقـــونى نســائمَ النيلِ إنى ... لعليلٌ والنيلُ حــاجــةُ نفـسى !

من مـعـينى على خـــواطر إمــا ... طرقـتـنى أغـرت هواى بأمسى[3]

حيث وجهُ النهارِ يضحك بالبشـ ... ـرِ فــيــروى ظمــاءَ زهرٍ وغــرس

أنا فى بلدةٍ يمرُّ بهــــا الدهــ ... ـرُ حزينًا لا يستضىءُ بشمس[4]

فهى مثلُ السجنِ العبوسِ نهاراً ... قد رمتنى فيها الخطوبُ بيأس !

لبست فوقنا السـمـاءُ حـداداً ... فكأنَّ السـمـاءَ قـبـةُ رمس ![5]

كأس خمر

أسقنيهـا فـإنّنى غـيـرُ صـاحى ... ليس شأنُ السليمِ كالملتاح ![6]

ما على من دهاه من حادثِ الدهـ ... ـرِ عظيم إذا انتشى من جناح[7]

---

(١) التأسى : التسلى . (٢) خذلتنى : أى أماكن أنسى .

(٣) أغرت هواى بأمسى : أى بالزمن الذى قضيته فى مصر .

(٤) سبب ذلك كثرة دخانها وأمطارها . (٥) حداداً من سواد الدخان والأمطار .

(٦) الملتاح : العليل . (٧) انتشى : سكر . والجناح : اللوم . راش السهم إذا وضع فيه ريشه ليرمى به .

عـذل راشَـه العـذول سـفـاهًا هل يلوم العليل غيـر الصحـاح ؟

أنا ظمـآنُ ليس يُعـوِزُنى المـا ءُ ولكن رقـيـقـة الأقـداح

فـاسـقنيـهـا على وجـوه مـلاح لهف نفسى على الوجوهِ الملاح !

الزوجة المهجورة تعالج السّحر

هرمَ اليـومُ فـقـومى أشـعلى فى دجـا الليلِ ضِرامَ السـاحـرِ[1]

قـد نبـشت اليـومَ قـبـراً غـائراً جـادنى منه بعظمٍ ناخـر[2]

فـضـعـيـه فى اللظى واسـعى إلى بيت هامـان بقـول مـا كـر ![3]

أخـبـريه أننى هيـمـانة لم يدع لى الحبُّ حزمَ الصـابر[4]

وخـذى منه الرقى فى خـفـيـةٍ خـفـيـة تطفىءُ لحظَ الناظر

وأعـينـيـه بما يطلبـه وسليه عن حبيبى الهـاجـر !

* * *

أيُّهـا الليلُ أفض من ظلمـةٍ تـشـعل النارَ بجفنٍ سـاهرِ

لا يرى فـيك رقـيـبٌ أدمـعى وزفـيـرى غـيـرُ نجمٍ زاهر

أيُّهـا النجمُ استمع شكوى التى علقت وجـهَ خليعٍ سـادر[5]

---

(١) هرم اليوم : أى دنا الليل . الزوجة تأمر فتاة من خوادمها أن تشعل النار للسحر .

(٢) ناخر : بالى . (٣) هامان : هو الساحر .

(٤) هيمانة : أى ولهانة . (٥) السادر : المتهتك فى الخلاعة .

بليت منه بوجــــه عـــابسٍ بعـد أن قـيـدت بجـفـنٍ مـاطر[1]

بليـت منه بقلـبٍ فـــارك بعـد أن قـيـدت بلحظٍ فـاتر[2]

لو يكون الجـــوُ نـاراً والكـرى حُـرَقـاً تلفحُ وجـهَ الجـائر

أشعلت من شوقه ما قد خبـا وجـرت منه بقلبٍ نافـر[3]

يا ولاة الشــرِّ هبـوا هَبَّـة وأعـينونى بحلف ناصـر[4]

أنا والسـحـر وأنتم والأذى نبـتليـه بالمذل الفـاقـر[5]

أنشبـوا فيـهـا نيـاباً خضبت بدمٍ ينبع منه مـائر[6]

فعسى أن ينثنى مستشفعـاً بجوى بادٍ وجسمٍ ضامر[7]

أنا أهواه وأقــلاه مــعـاً شـدّ مـا هاج بقلبى الحائر

إنَّمَـا البغضُ أخو الحبِّ إذا ظفـر الحبُّ بجـدّ عـاثر[8]

حسب نفسى منه وصلاً مانحاً ظمئى رياً كرىّ الطائر !

الشاعر والزمن الخرب

أرمى بشعرى فى حلق الزمان ولا أبيتُ منه على همّ وبلبـال[9]

لا أبتغى الجاه أسعى نحوه ضرعاً جزاءَ شعرىَ إنّ الجاهَ يسعى لى[10]

---

(١) أى بعد أن كان يبكى من حبها صار يعبس من كرهها . (٢) فارك : أى كاره . ولحظ فاتر : أى نظر المحب إلى حبيبته . (٣) خبا : أى خمد وانطفأ .

(٤) ولاة الشر : أى الشياطين والأبالسة المحالفة .

(٥) الفاقر : الخطب الفادح . (٦) مائر : سائل .

(٧) أى عسى أن يرجع إلىّ . (٨) الجد : الحظ .

(٩) أى أرمى بشعرى فى فم الدهر إن شاء ساغه ، وإن شاء لفظه ولا أبالى .

(١٠) الجاه : الشهرة . والضرع : الذل .

قد ناهضتنى خطوبٌ كلما عصفت ... عفَّت على أملٍ كالمنزلِ الخالى[1]

حتى كان فؤادى منزلٌ خربٌ ... مهدمٌ بين آثارٍ وأطلال

ماذا أفادت بناتُ الشعر قائلها ... إلاّ عداوة حسادٍ وعُذّال ؟[2]

إنَّ الذكاءَ وإنَّ الشعرَ مهلكة ... فاربأ بنفسك واعقلها بأعمال ![3]

لولا لذاذة قولِ الشعرِ ما خدعت ... خديعة المصحرِ الظمآنِ بالآل[4]

فارفق بنفسك أن تدعى الأديب وأن ... يجرى بك النحسُ من ذلٍّ وإقلال !

إنَّا لفى زمنٍ عيشُ الأديب به ... عيش الجناةِ سقيم الوجه والحال !!

الحب والحجاب

بينى وبينك ستر لا انكشافَ له ... ككلة السحبِ بين النجمِ والبصرِ[5]

لا فرَّقَ اللهُ قلبين اتصالهما ... مثل اتصال فتاءِ السنِ والوطر[6]

لا فرّق اللهُ جسمين انتعاشهما ... بالحبِّ مثل انتعاشِ الزهر بالمطر

لا فرّق الله روحين ائتلافهما ... مثل ائتلاف صروفِ الدهرِ والقدر

---

(١) ناهضتنى : أى كافحتنى : وعفت أى هدمت ، وأمل كالمنزل الخالى : أى مهجور .

(٢) بنات الشعر : خيالاته ومعانيه . (٣) اربأ بنفسك : أى ترفع عنه واعقلها : أى قيدها بالجد والعمل كى يشغلها ذلك عن الشعر والأدب . (٤) المصحر : الذى نزل الصحراء ، والآل : أى السراب واللذاذة : اللذة . (٥) كلة : سترة الفتاة .

(٦) الفتاء : الصبا والشباب .

في مقلتيك معاني الخلدِ بادية فخلدينا بلحظٍ ربة الخمرِ[1]
وأيقظينا ففي العادات مُخملة وكيف يسعد من يحيى على غرر ؟[2]
وهذبينا بلحظٍ كلّه جذلٌ واسعدينا بحسنٍ ساطع الغُرَرِ[3]
فالحسنُ أعظمُ من يلحي على دنس والحبُّ أشرفُ من يلحي على نُكُر
الله يعلمُ أنَّ الحبَّ مكرمةٌ وإنَّما الوزر غدر غير مغتفر
وسنة الله لا تجرى بذى ضررٍ وحاجب الحبِّ عنا واسع الضرر !

قبلة الزوجة الخائنة

قد قبلتني قبلةً مُرَّةً كأنها من حمةِ العقربِ[4]
تحسب أني راتع غافل ألذ ما تدينه من مأرب
ماءٌ من الحسنِ روينا به عاد كوعدِ البارقِ الخُلَّبِ[5]
تنهش جاهاً لم يكن نهزةً لشاحذ الأنيابِ والمخلب
ولو درت أن على رأسها سيفاً من الغدرة لم تلعب
لولا وميضُ الرأيِ يقتادني يعيذني من سفهِ المغضبِ

---

(١) الخمر : جمع خمار وهو ما تضعه المرأة على رأسها ووجهها .
(٢) الغرر : الغفلة .
(٣) نكر : بضمتين المنكر .
(٤) حمة العقرب : سمها .
(٥) البارق الخلب : أي الذى يعقبه مطر .

جللتهــا بالسـيفِ أمـحـو به الــ ـــذنبَ بذنـب رائعٍ مــعــجـب[1]

بِينى فــقــد بانت بما قــد جَنَت غــوادر مـــا كنَّ من مطلبى ! [2]

خطأ الحُرّ وإصابة العبد

إذا ما أصابَ العبدُ فى بعضِ فعلهِ فــمـــا الفــضـل إلاَّ للذى هو آمــره

وإنْ أخطأ الحـــــرُّ الأبىّ فــــإنه لأفـضل من عـبـدٍ تهـون مصادره

فـلا تحسـد العبـدان مـجداً مؤثلاً بـناه لـهـم ربّ طـغـــاة أوامـــــره

وهل يـرفع الإنسـانَ فـضلٌ أصــابه إذا كـان يـزجـيـه إلى الفـضلِ زاجـره

فـيا رُبَّ مـجـدٍ فى الإباء مـشـيـدٍ وإن لـم تبنْ للصاغـرين مـآثره ! [3]

الحبُ والكِبرُ

هى والكـبـرُ والوقــارُ رقـيـبــا ها تـدانى مــحــبــهــا وهى تـنأى

نـسـبٌ باذخٌ ومــــجـــدٌ قــديمٌ وثـــراءٌ جــم وجُــبن وتـقـــوى

أبعــدتـهـا عــمن تحبّ فـاخـفـت فى صـميم الفؤَادِ ما ليس يخـفى

فـلهــــا نظرةٌ من الحبّ سـكـرى ولـهـــا نظرةٌ من الكـبــرِ سـكـرى

---

(١) جللتها : أى رفعت عليها السيف .

(٢) بيـنى : أى اذهبى مطلقة .

(٣) الصاغرين : المستذلين .

يا ابنة الفاخرين بالجاه والما ... ل وقبر فانٍ ومجدٍ تقضّى
إنَّ مجدى فى الحبِّ والصدقِ لا يفـ ... ـنى ومجدُ النفوسِ بالفخر أحرى
أنت تخشين أن يقالَ أَحبَّتْ ... غير سامى الأحسابِ منشا ومعزى[1]
هل يفيد الإباءُ والشمم الجمُّ ... نفوسًا صرعى من الحبِّ نضوى
أبعد الكبر دانيات الأمانى ... لهف نفسى على أمانىَّ شتى
ضرب الدهرُ بيننا من طباع الـ ... ـسوءِ سترًا فنحن بالحبِّ نشقى
بين كبر وبين جبن ضياع ... لنفوس بالحبِّ تُمنى فتحيا[2]

مَلَلٌ من الحياة

بينا ألذ نعيمَ العيشِ فى دعةٍ ... رمى بىَ الشكُّ بين السهدِ والمللِ
كفى بنفسى داء أننى رجلٌ ... أخشى الحياةَ وأقلى سطوةَ الأجل
أُجَنُّ بالعيشِ طوراً ثم أبغضه ... ما أضيعَ المرءَ بين اليأسِ والأمل
إنِّى ولعتُ بعيشٍ كله خدع ... كما برمتُ بعيشٍ غيرِ مقتبل
ما من مجير على هذا الملالِ سوى ... موت يبعِّد بين النفسِ والعلل
لو كان لى حيلة أفنى بها مللى ... من الحياةِ لما قصَّرت فى الحيل

(١) المنشا : أى المنشأ أى الأصل ، والمعزى : النسب .
(٢) تمنى : أى تصاب .

ذكــــرْ

ذِكـــر كـــأنفـــاسِ المحبِّ ... إذا تحـــــــرق أو تـلـدد

وكـــأنَّهـــا نشــرُ النســيمِ ... إذا تصـــوب أو تصـــعـــد

وكـــأنَّهـــا ورقُ الخـــريفِ ... إذا تنـاثـرَ أو تـبـــــــدد

وكـــأنَّهـــا قـــبــرُ الهـــوى ... وخـــمـيلةُ الأملِ المجـدد[1]

ولربَّ آمــــال مـــــضت ... عـاودتهـا والعـودُ يحـمـد

فكأننى قـــبلت مـــيـتـــاً ... أو نظرتُ إليــــه يلحـــد

بعض الأمـــانى كـالحـيـــاةِ ... إذا انقـضت ليـست تجـدد

رثـــاء عصفــور

لـيت أن الـربيـعَ إذ متُّ مـــــاتـا ... حُلت مـيـتـــاً بين الربيعِ وبينى

كنـت حليـاً للروضِ والروضُ غضٌّ ... بالتـــدلى فى أيكـه والتـــغنى

فـــرزئناكَ شـــاديًا علـم الشـــا ... عــر أن يخلب القلوبَ بلحنِ[2]

نغـــمـــاتٌ مـــثلُ الربيع حـســـانٌ ... وغناءٌ يحـــيى الهـــوى والتـــمنى

كــــفنوه بالغضِّ من ورقِ الور ... دِ ولا تضـرحـوا الضـريح لدفنِ[3]

وحـــفـــيفُ الغـــصـــونِ أروعُ نـاعٍ ... للذى كـان حليـةً فـوق غـصنِ[4]

---

(١) الخميلة هى الحديقة .

(٢) اللحن : النغمة .

(٣) ضرح الضريح أى حفر القبر وهيأه .

(٤) الحلية : الزينة .

فـالأزاهيرُ كـالطيـورِ على الغصـ ـنِ سكـوت والطيـر زهـرٌ يغنى

فى دفـة قـديمـة

ملقاة على شاطئ البحر

لقـد جـار الزمـانُ عليك حـتى حكيت عـزيمةَ الرجلِ الضـعـيفِ

تـصـرِّفك الأكفُّ وكلُّ عـزمٍ يؤثر فـيـه تصـريفُ الصـروف

ولـلأهـواءِ فـى الآراءِ فـعـلٌ كـفـعلٍ فـيك لليمٍّ المخـوف

ومـا هجـروك من عـبثٍ ولكـ ـنَّ غـايات الوسـائلِ فى الحتـوف

كـذاك النـاسُ مـثلك والليـالى وسـائلُ للقـضـاءِ وللصـروف

كـذاك العـيشُ عـيش النـاس طرًّا وسيلتهم إلى الأملِ الصدوف[1]

ذكرى على جفاء

نسانى طيبُ العيشِ إن كنت أنساكا وما عشتُ حتى الآن إلا بذكراكا

رأيتك مـعـبـودَ الجـمـالِ مُنعَّـمـاً فما حيلتى إن كان قلبىَ يهـواكا

تـدلُّ عـلينا بـالجـمـالِ وليـتنا نـدلُّ بشـوقٍ فـى القلوبِ لرؤياكـا

وإنَّا لنستـعدى الوصـالَ على الجفا ونخلس حسنَ العيش من حسن مرآكا[2]

متى يجمعُ النأىُ المشتتُ شملنَا فتلثـمنى خـداً وتُلثـمنى فـاكـا

لعلك يومـاً أن ترى فى وصـالنا مآرب تدنينا إذا التيـه أقـصـاكـا

---

(١) الصدوف : أى المعرض المتجافى .

(٢) نستعدى الوصال على الجفا : أى نستعين به ونطلب منه أن ينصفنا من الجفاء ، ونخلس : أى نسرق .

إلى صديق

إبراهيم قد طالَ اغترابى — فهلا كان عندك بعضُ ما بى ؟

عليلُ النفسِ فى بلدٍ غريبٍ — يؤرقه التذكُّر والتصابى

عهدتكَ مرةً تبغى إخائى — وأنت اليومَ توغلُ فى اجتنابى ! [١]

أراك على اغترابى ذا ابتعادٍ — وكنتَ على اقترابى ذا اقترابِ

فلولا منزلٌ لك فى فؤادى — لأنسانيك هجرك وارتيابى

سلام الله لا أبغى جذابًا — وهل يدنو المنابذ بالجذاب ؟

سلام ليس يغنى عن ودادٍ — ولا يعدى على غدرِ الصحاب

إذا كان الحبيبُ على سلو — فلا يغنى التوددُ بالعتاب !

شكوى شاعر

قد طال نظمىَ للأشعارِ مقتدراً — والقومُ فى غفلة عنّى وعن شانى !

قد أولعوا بكبير السنٍّ أو رجلٍ — بنى له الجاهُ ما يغلو به البانى [٢]

ولو سفلت إلى حيث القريض لقًى — بين الأثافى وربع المنزلِ الفانى [٣]

---

(١) أوغل : أى زاد وجد . والخطاب موجه إلى الأديب الأجل : إبراهيم أفندى عبد القادر المازنى .

(٢) يغلو به : أى يغالى به .

(٣) لَقًى : بفتحتين أى ملقى ، والأثافى : أحجار النار التى توضع القدر عليها .

ولو سفلتُ فقلتُ الشعرَ فى خبرٍ ... من السياسةِ فى زورٍ وبهتانِ

ولو سفلت فقلتُ الشعرَ مبتذلاً ... فى وصف مخترعٍ أو ذمِّ أزمانِ

لقيل : نِعْمَ لعمرى أنت من رجلٍ ... جمّ المحاسنِ من صدقٍ وتبيانِ !

وإنَّما الشعرُ تصويرٌ وتذكرة ... ومتعةٌ وخيالٌ غير خوانِ

وإنَّما الشعرُ مرآة لغانيةٍ ... هى الحياةُ فمن سوءٍ وإحسانِ[1]

وإنَّما الشعر إحساسٌ بما خفقت ... له القلوبُ كأقدارٍ وحدثانِ

قالوا : أتيت بشعرٍ كلّه بدعٌ ... فقلت : نِعْمَ لعمرى قولة الشانى ![2]

من كل معنى يروع الفهمَ طائله ... معنى من الجانِ فى لفظٍ من الجانِ[3]

من كل معنى كموج اليمِّ مطّرد ... جمّ الجلالِ فلولا الله أعيانى

هذى المعانى تناجيهم فما لهم ... لا ينصتون بأفهامٍ وأذهانِ[4]

متى يتاح لهم شادٍ بما رقصت ... له القلوب وتحنان كتحنانى ؟[5]

هل فى أكابرهم برءٌ لذى أدب ... من كفِّ كلِّ جديبِ الكفِّ منانِ؟[6]

عاطفة شوق

أنا فوق الفراش لا أطعم الغمـ ... ـضَ وقلبى إليك بالأشواقِ

أشتكى ما جنى الفراقُ ويا ليـ ... ـت حنين الغريبِ برءُ الفراقِ

---

(١) أى أن الحياة حسناء والشعر مرآتها . (٢) الشانئ : المبغض . (٣) يروع الفهم طائله : أى أن معناه يخيف الذهن والفهم بجلاله . مطرد : أى سائر . (٤) أنصت : أصغى .
(٥) شاد : مغنى ، أى متى يجدون شاعراً مثلى . (٦) المنان : الذى يفخر فيؤذى بجوده المكذوب .

يا حليفَ النوى عليك سـلامٌ وحنينٌ يريق مـاءَ المآقى
أين أيامىَ التى حسنت حيـ ـنًا وكأس الشقاءِ غير دهاق ؟
لم تكن كلّها نعيمـاً ولكنْ كان ينفى الأسى وجوهُ رفاقى
كنتُ فى مصرَ أندبُ العيشَ والعيـ ـشُ وريق الغصونِ حلوُ المذاق
فرمتنى النوى بأوجع ما ير مى به واعظ بغيض الخلاق[1]
ونأت بى عن الأنيس صروفٌ وكلت بى لواعج المشتاق
لا صديق لدىَّ أشكو إليه غير غر بسّام وجه النفاق
عالج الغدرَ والفسولةَ حتى أنكرته مكارمُ الأخلاق[2]
فاذكر البائس الغريبَ بخير رُبَّ ذكرى تُعيد عهدَ التلاقى
وأعنى بالدمع إنَّ بلاغَ الـ ـودِّ أنْ لا تضنّ بالإشفاق
وهنيئـاً لك الليالى المواضى وهنيئـاً لك الليالى البواقى
أنت منى بمنزل الحبِّ فى القلـ ـب ومجرى الضياءِ فى الأحداق

الحريّة

حسبوكِ صافيةَ الجبينِ خريدة تسبى القلوبَ بأكحل وسنانِ
بيضاء ناعمة كأنَّ قوامها فى لينه غصن من الأغصانِ
هلا رأوكِ وأنت بين معاشرٍ وضعوا السيوفَ مواضعَ التيجان
ظمأى إلى الدم قد أبحتِ حرامَه كالذئب يعوى بادىَ الأسنان

---

(١) أى وعظتنى النوى بقوارع وجيعة .
(٢) الفسولة : لؤم الخلق .

أو كلمــا أدمى الـذليلَ قـيـودُه زأرت لديك زئيـرةُ الأضـغـانِ[1]

لا يبلغ المقـهـورُ منك نصيبَـه حـتى يضـرّجَ بالنجـيع القـانى

عجبًا لقاسيةِ الفعالِ حبيبةً وقليلة الغـفـران والنسـيـانِ

سكرى من الدمِ قد أنام ضميرها ومعالج الأضغـان كالنشـوان

نظرت بعين الصلِّ حين وثوبها نظرًا يسمّ مجامعَ الأشجان[2]

تقسو كما يقسو القضاءُ وإنَّما مـوتُ الذليلِ وعيشُه سيّان

ولربَّ جرمٍ محوه بجريمةٍ ظلم الظلومِ وقتله جرمان

نبوءة شاعر

لئن خانني الذكرُ الجليلُ وملّني مسامعُ قومى أو غلبتُ على أمرى

سيروى عظامى شاعرٌ بدموعه وينثر أزهارَ الربيعِ على قبرى

إذا جنني الليل البهيمُ أطاف بى خيالاً له يزرى على صفحة البدرِ

يجئ مجيءَ النومِ من حيث لا أرى ويسمعنى ما قد قرضت له شعرى

فيا ساكنًا فى الغيب هذى نبوتى فذكر بها القوم الألى جهلوا قدرى !

أتيح لهم صادٍ إلى النهلةِ التى شربتُ بها ريًّا يبلُّ جوى صدرى[3]

فساموه أن يسعى على منهجٍ عفا قديمًا كما يسعى المقيّد فى الأسر !

---

(١) زئيرة الأضغان : صوتها ، وهنا تشبيه للأضغان بالحيوان المفترس .

(٢) الصل : الحية ، ومجامع الأشجان : أى القلب .   (٣) الصادى : الظمآن .

أنا والغيب

ليت لي نظرة إلى الزمن الآ ... تي البعيد الخطا الغريب الحال[1]

فتريح الفؤادَ مما يعاني الـ ... ـطرفُ من لؤمِ هذه الأحوال[2]

أو تميت النفوسَ بالنبأ الأعـ ... ـظم إن الوجودَ نحسُ المآل[3]

فهي بشرى محمودة أو نعيٌّ ... لمساعٍ مآلها للفوات

كيف تعنو الأقدارُ للمرءِ والمر ... ءُ ستبلى أعماله كالرفات ؟[4]

ويح شملِ الصحابِ لو كان صدق الـ ... ـقولِ أن لا حياةَ بعد الحياة ![5]

أيُّها الغيبُ كم رميتكَ بالظـ ... ـنِّ فأبديتَ لي كوجه السحاب

أنا والغيب كالغلامِ إذا حا ... ولَ فتحاً لمغلقِ الأبواب[6]

ليس يغني وجيبه وبكاه ... ليس تجدى ذريعةُ المرتاب !

---

(١) أى أنى أريد أن أنظر إلى أحوال الدنيا فى الأزمان الآتية لأعرف هل فنى الشر والشقاء الذى بها .

(٢) لأن تلك النظرة تجعل المرء مطمئن البال يتسلى بسعادة الناس الآتية عن الشقاء الموجود الآن .

(٣) أو أن هذه النظرة تدفع الإنسان إلى الانتحار إذا أيقن أن الوجود ماله النحس والشقاء .

(٤) الرفات : عظام المرء النخرة فى قبره .

(٥) أى أنه صعب أن يفارق الصديق صديقه إذا كان لا يوجد بعد هذه الحياة حياة أخرى يجتمعان فيها .

(٦) أى أحاول معرفة الغيب المجهول ، كما يحاول الغلام فتح الباب المغلق فيبكى ؛ لأنه لا يقدر أن يفتحه ، كما أبكى لأنى لا أفهم سر المجهول !

ثـورة النفـس

وللنفس فى بعضِ الأحـايينِ ثورةٌ ... يكاد لهـا جسـمُ الفتى يتمـزق

فيا نفسُ كم تبغين ما ليس حادثاً ... وحـتَّـام آمـالى لديكِ تحـرق

هيـاج كـمـا هاجت قطاةٌ تعلقت ... بأحبولة الصياد إذ ليس مهرب[1]

أما فى سكون الليل يا نفس واعظ ... أما فى هدوءِ الروضِ ملهى ومطلب ؟

فـهل تحـسبين نائمـاً كلَّ سـاكنٍ ... وهل تحـسبين مـيتـاً كل هاجع

نعم إنَّ للشـلال روعـاً وهيـبـةً ... وربّ جـلالٍ للعـواصف رائع

نـعم للرياح الهـوجِ هولٌ وقـوةٌ ... وللبحـر أمـواجٌ تهـيج فـتحـرب

أغـرّكِ من هذه الطبـيـعـة أنهـا ... تثـورُ فـلا يقـوى عليـهـا المغلب

ومـا أحـسب اليمَّ الخضمَّ بثـائرٍ ... إذا كـان هذا اليمُّ يشـقى ويألم

وما القلبُ إلاَّ لوعـة تأكل الحـشـا ... ومـا الجـسم إلا ذلك اللحمُ والدم

نعم أنت فيـمـا تبغـضين مـصيبةٌ ... ويا حسن ما تبغين من خيرِ مطلب

ويا حـسن مـا تملى الخيـالات إنهـا ... حُلىٌ على جيـدٍ من الدهر أجـرب

تريـدين أن الجـسـمَ يغـدو كـأنمـا ... يضىءُ به منك الضـيـاءُ المحـجّب

إذاً لأراقـت كلُّ نفـسٍ ضـيـاءها ... على ظلمةٍ للعيش والعيشُ غيهب

سأبـذل جـهـدى فى تعلم رقـصـة ... لأرقـصـهـا إن الحـوادثَ تطرب !

---

(١) القطا : نوع من الحمام ، والأحبولة : الحبائل التى يصيد بها الصائد الطير . فهياج النفس مثل هياج الطائر القنيص .

فيا نفس قومى فارقصى فى جوانحى ... كما رقص المجنونُ يهذى ويلعبُ
فلا تعذلونى إنَّ لليأس رقصةً ... تعلمها المحزونُ من نشوة الأسى
وللنفس آهات من اليأسِ والجوى ... تحقر آهات الأناشيدِ والهوى
فيا ليت أنى فى فم البرقِ كامنٌ ... فيودعه الأشجان قلب معذبُ
ويا ليت أنى مثل زوس مسيطرٌ ... على الرعد إن أغضب كذا الرعدُ يغضب[1]
ولكننى إما صرخت كصارخٍ ... غريقٍ له صوتٌ من الماءِ خافتُ[2]
وربَّ بليغٍ راجح الرأى والحجى ... ولكنّه بين الحوادثِ صامتُ[3]
نعم ، نحن أبناء الزمانِ وصرفه ... وحالاته حتى يتاحَ لنا الردى
فإنْ تكن الحالات تأتى بترحةٍ ... فنحن بنوها للتجلدِ والأسى[4]
رضعنا من اليأس الصريحِ لبانَه ... وكان وكنّا فى بطون الحواملِ[5]
فما آمل فينا سوى صنو يائسٍ ... وما يائس فينا سوى صنو آملٍ[6]
وفى اليأس يأسٌ يبعث المرءَ بعثةً ... إلى الغاية القصوى من السعيِ والجد ![7]
فلا تعذلونا دهركم غير دهرِنا ... فإنّا علقنا بالبعيدِ من المجد
أفى كل يومٍ يائسٌ بعد يائس ؟ ... لقد جال ذاك الداءُ كلَّ مجالِ
وليس الملام وحده بدوائه ... فلا تطلبوا فى العذلِ غيرَ محالِ

---

(١) زوس : هو رئيس الآلهة وإله الرعد فى خرافات الإغريق ؛ يقولون إنه إذا غضب سمعوا صوت الرعد . والمعنى : إنى أتمنى أن أكون مثله إذا غضبت سمع الناس صوت الرعد . (٢) خفوت الصوت : عدم ظهوره . الحجا : العقل . (٤) الترحة : ما يسبب الألم ، والأسى : الحزن ؛ أى نحزن ولكننا على حزننا نتجلد .

(٥) اللبان : اللبن . والحوامل : أى النساء الحوامل . (٦) الصنو : ذو قرابة ونسب .

(٧) من الغريب أن اليأس قد يورث النشاط والعزم والشجاعة فى النفوس العظيمة .

فجر الشباب

إنى لأَذكُر أياماً لنا سلفت ... كما تذكر صوتَ اللجةِ الصدفُ

فكان للفجر قلبٌ خافقٌ أبداً ... من الحياة ووجهٌ كله لطفُ

والضوءُ يرقص فى الأنهار موقعه ... فقدُّه مائسٌ فيها ومنقصفُ

وناظر ونجوم الفجرِ مائلة ... نحو الغروبِ كما يرنو لها الدنف

وكلمتنى الرياح الهوجُ فى فمِها ... سرُّ الطبيعةِ مخبوءٌ ومنكشف !

الإيمان بالحياة

لى فى الحياةِ اعتقادٌ لا فناءَ له ... الكونُ يعلنُه والفكرُ يوضح لى

وإنّما الكون قلبٌ لا سكونَ له ... حياتُه نبضاتُ الحادثِ الجللِ

فالعينُ ظامئةٌ ، والنفس ظامئةٌ ... إلى محاسن من قولٍ ومن عمل

لا ترجمونا بيأسٍ فى مقالِكُم ... فاليأسُ أقبح ما ينعى على الرجل(١)

أعاظمُ الناسِ فى اللأْواءِ كم صبروا ... إنَّ العظيم عظيمُ السعى والأملِ(٢)

---

(١) ينعى : أى يعاب . (٢) اللأواء : الخطب العظيم .

محبٌّ يرد لحاظه

أرد لحـاظى عنك وهى مـشـوقـة إليك ولى دون الضلوعِ وجـيبُ

ولو كـان لى عـيشٌ رغـيـدٌ وحـالة تعيدُ كساءَ العمرِ وهو قشيبُ

لأقـدمت إقـدامَ الشجاع وكـان لى إليك طمـوحٌ طائرٌ وهبـوب

ولكن لى حـالاً أخـافُ صـيـالهـا عليك إذا صـالت وأنت قـريـب

أحـبك حـبًّـا لا يحـبك مـثله أبٌ لك ، ذو رفقٍ عليك نجـيـب

فيا بؤس نفسى تضرم الحبّ بالمنى وقد علمت مالى لديك نصيب !

العظيم فى قومه

رأيتُ حـيـاةَ الحرِّ فى نفع قـومِـه ولا خيرَ فى كنزٍ إذا كـان خـافـيـا

يغـالبُ مـا يبليـه فى جمعِ أمرِهم وإن كان فيهم شاحب اللونِ طاويا [1]

ومـا نصب المصـبـاحُ إلاَّ لضـوئه وإنْ كـان فى أحشائه الدهنُ فانيا

وليس الذى يحـيـا حـيـاةً ذليلةً خليقاً بأن يدعى على العيش باقيا

يفـيض بيـانـاً يقطر الحـزمَ مـاؤه فتـصـغى إليـه فى العـروق دمـائيـا

ويبـرى سـهـامـاً من مـقـالٍ قـويمة مـهـذبة يرمى بهـنَّ المرامـيـا

يهـدده الجـبـارُ بالضـيـم ضلةً وهل يستقاد الحر ما دام آبيا ؟

فـلا تحـسبنْ إن الرجـاءَ مـضـلةٌ وهل خابَ ذو عزمٍ إذا كـان راجيا ؟

---

(١) الطاوى : الجائع .

نحـــن إخـــوة

إنَّمـــا نحن إخـــوة جـعلتنا — نزعاتُ القلوبِ كالأضداد

إنَّمـــا نحن إخـــوة تركـتنا — وقعات الأحقاد كالأحقاد

إنَّمـــا نحن إخـــوة جـعلتنا — حمة البغضِ طعمةً للأعادي(١)

نتمادى على القطيعةِ والهجـ — ـرِ فماذا جنى علينا التمادي ؟

قد أقمنا على التخاذلِ دهراً — فـدهانا بسيلهِ كلُّ وادي

وإذا كانت النفوسُ لئاماً — فلماذا تقر في الأجساد ؟ !

لـذة المحبوبِ والمحبِ

أتمنعـــون القلـبَ من وجيـبـه — وتزجـرون الصبَّ عن نحيـبـه ؟

وتأمـــرون الرشـأَ الأغيـدَ أن — يقسـو على ولهـان مستطيبه

وزاجـر الأغيـدِ عن عاشقـه — كزاجـر المسعـود عن نصيبـه

ولذة المحبـوبِ في محـبِّـه — ولذةُ المحبِّ في محبـوبه

وغفلـةُ الفاتـنِ عن لذاته — تزيد قلبَ الصبِّ من لهيبـه

مـا أنصف الأغيد من يهواه إن — لـم يعطه من حسنهِ وطيبـه

مـاذا يرجى المرءُ من حياته — لو منع العاشقُ من حبيبه ؟

قـد خلقَ اللهُ الحسانَ سلوةً — تشغل قلبَ المرءِ عن كروبه !

---

(١) الحمة : السم .

الشاعر وجمال الحياة

أيُّهذا العذول فى شهواتِ الـ ... ـعيشِ يدعو إلى حياةٍ عليلَة

نحن كالنحل لا نحب من الزهرِ ... سوى كلِّ غضةٍ مطلولة[1]

لا تلم شاعرًا رأى العيشَ حلوًا ... فأتيحت له الحياة جميلة

هو مهما آتاه فيها نعيمٌ ... لا يرى فى الحياةِ كلَّ فضيلة

فى قبيح اسمه حسَنٌ

إذا وصفوا بالحسنِ مثلك ضلةً ... فمن ذا يسمى قاتل الوجهِ أخرقا

فما الحسن فى خلقٍ ولا فى خليقة ... لديك وليس الحسنُ فيك تخلقا

لقد كانت الداياتُ يسخرن حينما ... وصفن بحسنٍ أظلم الوجه أحمقا ![2]

فكنَّ كمن نادى من الزنجِ أسودا ... فقال له يا أبيضَ الوجهِ مشرقا

وما صاغك الرحمنُ إلا فكاهةً ... وماذا عليه أن يشاءَ وتُخلقا !!

الكاذب

لا تلمه فى كذبةٍ بعد أخرى ... هو أهلٌ لأن يكونَ كذوبا

لو سمعنا له مقالةَ صدقٍ ... لم يكن صدقُه إلينا حبيبا !

---

(١) مطلولة : أى نزل عليها الطل وهو القليل من المطر .

(٢) أى لما رأت الداية المولدة قبح وجهك سمتك حسناً سخراً بك !

قم فبين للناس فلسفةَ الكذ ... بِ وناجز عدوه والرقيبا

وأحق اللئامِ بالسخرِ غرٌّ ... لا يرى حوله بصيراً لبيبا !

خدعته خوادعٌ تصدق النَّا ... سَ وقِدْماً كان اللئيمُ مريبا !

كلمة مدح

شيمٌ كأخلاق المسيحِ كريمةٌ ... ومحاسنٌ لك غيرُ ذات نضوبِ

لطفت كما لطف النسيمُ وأحكمت ... أسباب ذاك الفضلِ والتهذيبِ

وكأنَّها من رقةٍ وعذوبةٍ ... جرعات ماءِ المنهلِ المشروب

تجلو عن النفس القطوبِ قطوبها ... وتزيح يأسَ اليائسِ المكروب[1]

وكأنَّها قِطعُ الرياضِ يعلها ... مطرٌ رقيقُ السجم غيرُ صبيب[2]

العهد والخدر

كم تحت مئزر ذات الخدرِ من دنسٍ ... وفى ابتذالِ ذوات العهرِ من خفرِ !

إنَّ الفضيلةَ لا يودى بها خلق ... قضى به العيشُ فى حالٍ من الغير

حسب الكريم إذا ما غاب عن دنسٍ ... أن لا يسبَّ ذوات العهر بالنظر

فقد تخون ذوات البعل آمنها ... وقد تخون الأُولى ظلوا على حذر

---

(١) القطوب : العبوس ، وتزيح : أى تزيل .

(٢) يعلها : يرويها أو يسقيها ، السجم : الهطل ، والصبيب : المتدفق .

العـــادات

الا إنَّما العاداتُ كالبحرِ ، والفتى   كراكبِ ذاك البحرِ يخشى زماجره

إذا لم يكن ذا دربةٍ بأمورهِ   ليوشك أن تطوى عليه زواخره

كذاك ذوو العاداتِ غرٌّ وباحث   جرئ له رأى على الشرِّ ناصره

فمن لم يميز غثَّها من ثمينها   سعى كرحاءِ الشرِّ دارت دوائره

يعيشُ كما عاش الكثيرُ من الورى   يجوبُ ظلامَ الجهلِ والجهلُ آسره

أم إسبرطية

قتلت ابنها[1]

فرَّ يبغى من الحمامِ مجيراً   فأعانَ الردى عليه المجير

بادرته بحتفه أمُّهُ وهو   على عارهِ إليها حبيب[2]

ولو أن النذيرَ أوحى إليها   وهو فى المهدِ أنه سيخور[3]

لرمته بجانب الجبل الشا   مخ لم تُنْتَزح عليه الغروب[4]

---

(١) لأنه هرب فى الحرب . (٢) حتفه : أجله . (٣) يخور : يضعف ويجبن .

(٤) كان أهل إسبرطة يرمون الأطفال الضعاف على جانب جبل ، ويتركونهم يموتون . والغروب : هى الدموع .

إن إســبــرطة التى قــمع الطا ... معَ فيـهـا خـمـيسُـهـا المنصـور[١]

جــعـلـت ذلك الفــرارَ حــرامــاً ... والذى يـركـبُ الحــرامَ مــريـبُ

أيُّهـا الخـائن الجبـان خـشـيت الـ ... ـمـوتَ والموتُ حـادثٌ مـقـدورُ

إن أُمــاً تُعــزَى لـهــا قــتـلت فى ... قـتلك العـار لم يصـبـهـا مـعـيبُ

شــرفت ثم أجـرمت فلك العــا ... ر ولكـن لهــا الجــوى الزفـيـرُ[٢]

مناجاة الحبيب

اللّهَ فى نزعـــاتِ الوالهِ العــانى ... وفى شــفـيـعٍ من العـينين هـتـانِ

وفى الوجيب الذى تشقى الضلوعُ به ... وفى الفؤادِ الذى يحنو على الجانى

وفى اللحاظِ التى ناجَت ضميرَك من ... وراءِ مـسـتـرسلِ الهـدبين وسنانِ

يا نظرةً خلسـت منى على غـرر ... عزم الحسـامِ صـقـيلاً غـيـر خـوَّانِ

لو كنتُ أملكُ أن ترتدَّ خـاسـئـة ... قـبل اجتـلاء أغنِّ الطرفِ جـذلانِ

لما احتسبتُ فؤادى وهو منصدعٌ ... ولا الشبـاب الذى أذوتـه أشجـانى

كانت شفاءً فعادت ملؤُها شجنٌ ... فكيف أبرئُ أشجـانًا بأشــجــان

ورُبَّ ذكرى تهيج الشجوَ عن عرضٍ ... وتتــرك الدمعَ فى آثارِها قــانى[٣]

---

(١) قمع : أذل وأخضع . والخميس هو : الجيش .

(٢) لها الجوى والزفير : لأنه على عاره حبيب إليها .

(٣) قانى : أحمر .

إنَّ الجمالَ لماءٌ طاب موردهُ ... فما لحسنك لما طاب أظمانى ؟

فمن لذى شجنٍ بالكبرِ يكتمه ... يحنو على ضاحكِ اللألاءِ ريانِ

صُنْ بالفضيلةِ حسنًا أنت زائنه ... ما كلّ حسنٍ بعف الذيلِ فتان

إنْ كان حبُّك أقصى عنك لى أملاً ... رحب المرامى فإنَّ الذكرَ أدنانى

أنت النعيمُ وأنت السعدُ منعطفًا ... وظل عيش من الإحسان فينان

وأنت كالدهرِ لا يرثى لذى ضرعٍ ... وأنت كالحظُّ فى منحٍ وحرمان

يا مرخى اللحظِ من دلٌ ومن خَفَرٍ ... ماذا تركت للحظ الآثمِ الجانى ؟

أسائل النفسَ فى أمرٍ يراد بها ... ماذا تعالج من شوقى وتحنانى

ينأى ويدنو كما شاءَ الدلالُ له ... لعب النسيمِ بأزهارٍ وأغصان

فيأسر القلبَ فى جدٌ وفى لعبٍ ... ويشعل الوجدَ فى وصلٍ وهجران

أهواه والحبّ يدلى لى بمعذرةٍ ... من حسنه وجفاء الهجرِ يَلحانى

فإنْ تناءى فما فى هجرهِ سرفٌ ... وإن تدانى فسمح غير منَّان

يتلو على القلبِ فى دلٌ وفى خفرٍ ... آى الجديدين من حسنٍ وإحسان

فلا يشاركنى فى لوعتى دنفٌ ... ولا يشاركه فى حسنهِ ثانى

جاء الخيالُ مضيئًا فى الدجى مرحًا ... فكيف يصدق ما غالى به مانى[1]

إنَّ الظلامَ على العشّاقِ مؤتمنٌ ... طب بأدواءِ آمال وأحزان

أريق فى الدمعِ ما يعيى الفؤاد به ... إنَّ الدموعَ على الأحزان أعوانى

والدمعُ أخون من ترجى معونته ... فى أغيد بحياءِ الوجهِ غصان !

---

(١) مانى : هو رجل يزعم أن لليل إلها هو إله الشر .

الكبر والمجد

أهاب بباغي المجدِ كبر مضلل ... وما الكبرُ إلاّ داءُ من يتوقلُ(1)

وما الكبرُ إلاّ ثغرة يلج الأذى ... إلى المرءِ منها فهو نصلٌ ومقتلُ

إذا ما رمى الرامى به جنةَ العدا ... تغلغل فى أحشائه منه منصلُ

وما الكبرُ إلاّ صنوُ كلِّ جريمةٍ ... وداءٌ نبا عنه المداوون معضل

فلما دعاه الكبرُ طاح به الهوى ... إلى حيث هابَ العاقلُ المتأملُ

يرود مراد الغىّ حتى إذا عنَا ... له آخر الأهواءِ جدّد أول

وما والغ هاب الرجالُ نيوبَه ... يعلّ من الأهواءِ دهراً وينهل

بأرغدَ عيشًا من كريمٍ موادع ... له من رجيح الرأىِ درع ومعقل !

إلى صديق(2)

ليس الذى الهجران من هفواته ... بمعاتبى يومًا على الهجرانِ

ألفيت عتبك يا مراد كأنّه ... سيفٌ له حدّان مسنونانِ

فإذا ضربت به أصابك نصله ... فمصيبتى كمصيبةِ المطعان

أصرفت عنا أم عرتك ملالة ... أم أسكتتك طوارق الحدثان ؟

---

(1) التوقل : العلو والارتفاع .

(2) هو الصديق الجليل محمود مراد « كان أستاذا بالمدرسة الخديوية الثانوية بالقاهرة ، كما كان أديباً فنانا ، ومؤلفا للمسرح ، وتوفى فى الشباب » .

اعـذر أخــاك إذا تقــاربَ خطوه ... فى الشـعـر أو أعـيى علىَّ بيـانى

ولأنـت تـعـلـم أننـى ذو مـنـطقٍ ... يأتى السـمـيعَ بأحـسنِ التـبيـان

بينى وبينك يا مـراد مـسـافـةٌ ... تنسى الملول أواصـرَ الإخــوان

إنىَّ يذكـرنيك خـفـق أضـالعى ... إنَّ الفـــؤادَ لدائمُ التـــحنان

فأخوك مثل أبى عبادة لم يجد ... (قلبًا يشايعه على الهجران) !

الزوجة الغادرة

« قصة »

أىُّ شىءٍ يهـفـو بلبِّك عن وصـ ... ـلِ الغوانى وعيش أهل الجدودِ ؟

قـائمـاً فى النعـيم مـثل مـقـام ... طالب الرى فى جوارِ الغـديرِ ؟[1]

لا تُعـدِ لى ذكـرَ الغـوانى فـإنى ... لم أكن عند ذكـرِها بجليـدِ[2]

كلُّ حــسناء فى لحــاظى عظامٌ ... عــاريات من البـهــاءِ المنيـرِ

أىُّ شئ أصـمى صبـاك بسـهمٍ ... فـأراك الجديدَ غـيـرَ جـديد ؟

اسـتـبق نهـزةَ المجـدِّ إلى صـفـ ... ـو زمـانٍ فـينان رغـد نضـيـر

كل خلوٍ من الخطوبِ مُـبـرًّا ... ليس يدرى مـضـاضـةَ المكدود

عش بخـيـرٍ ولا يضـرك يَأسى ... إنَّ يأسى على الحيـاة نصـيرى

إنَّ قلبى من ذلك اليـأسِ دامى ... ودموعى أودى بهـا مجـهـودى

---

(١) هذا كلام رجل يعاتب صديقه على عبوسه ويأسه ؛ أى أنت قائم فى النعيم ولكن لا تروى ظمأك منه .

(٢) هذا كلام الصديق يرد على من لامه .

أنت منى بمنزلِ الحبِّ والو ... دِّ ومأوى سرى ونجوى ضميرى

* * *

كنتُ فى صحة من العيش دهرًا ... أتمنى زيادةَ المستزيد

لا عبًا بالنعيمِ لعبَ نسيمِ الـ ... ـروضِ يشدو فى الروضِ شدوَ الخرير

فألاحت لِيَ الخطوبُ لحينى ... بفتاةٍ كبغيةِ المستجيد[1]

ولجت فى الصميمِ منى ونالت ... ما يشاءُ الهوى بدلٍّ غريرِ

فرأيتُ الحياةَ بغيةَ من يهـ ... ـوى ، وإنَّ الهوى قرينُ الخلودِ

وتمادى بىَ الغرور فيا لهـ ... ـفى على نشوةِ الهوى والغرورِ

عيَّنت موعدًا فبتُّ أُناجيـ ... ـه إلى أن دعا نذيرُ الوفودِ

فأزحتُ الرتاجَ أنظر ضيفى ... وسرورى من اللقاءِ سرورى[2]

فإذا طارقى أخى صنو نفسى ... ونصيرى على المنى وعقيدى

جاءَ يسعى سعىَ اللهيفِ ويهتزُّ ... اهتزازَ المحمومِ والمقرور[3]

قالَ والدمعُ ملءُ عينيه واللحـ ... ـظُ شريدٌ فى إثر دمعٍ شريد

إنَّ « أسماءَ » لا تحبك فاستقـ ... ـبل بحزم فواقرَ المقدور[4]

هى روحى التى أعيشُ بها وهـ ... ـى سقائى الذى به زهو عودى

وهى مأواى من مناهضة الدهـ ... ـرِ ومنجاى من رجامِ القبور

قلت والدمعُ كاشفٌ ما أُداريه ... وصموتى صوتُ القوى الجليد

ووجيبُ الضلوعِ يدعو إلى الظـ ... ـنِّ بما تحتوى ضلوعُ الصدورِ

يا ابنَ أُمّى ومن أُرجِّى له عيـ ... ـشةَ مستجمع الهوى مجدود

---

(١) ألاح بالشئ : أشار به .

(٢) الرتاج : ما يغلق به الباب .

(٣) المقرور : الذى أصابه البرد .

(٤) الفواقر : المصائب الكاسرة الظهر .

تلك « أسماء » أقبلت تتهادى ... في خمارٍ من حسنِها المستنير

إنَّ حبى لكالرياحِ إذا ها ... جت زماناً فطيشها لركود

فاستبيني « أسماء » رأيًا رجيحًا ... واعيني أخى بحب طهور

واعلمى أننى خلصت خلوص الـ ... ـحرٌ من سر حسنك المعبود

نافضاً عنىَ الغرورَ كما ينـ ... ـفض ليثٌ عنه هباءَ الضفور

فرمتنى بلحظةٍ هى كالسهـ ... ـم إذا ما استوى بقلبِ المصيد

ثم قالت والدَّمعُ يطرده الد ... معُ على خدِّها طرادَ المغير :

تحسبان العروسَ مثل إماء الـ ... ـسوقِ تشرى بصرةٍ من نقود !

ایُّ شيءٍ يجنى أخوك إذا ز ... وّج من لا تقريه غير النفور[1] ؟

فدعانى أخى وقال : أقلنى ... إنَّ ذنبى ذنبُ اللئيمِ الحسود

أين كانت رجولتى وإبائى ... وامتناعى على بنات الدهور ؟

سفهاً أن أرومَ غيرَ رغيبٍ ... وشجى أن أحبَّ غير ودود[2]

قدك إنى راجعت حلمى ونادا ... نىَ عزم طب بداءِ الأمور

ثم أهوى إلى الرتاج فأجرا ... ه قليلًا بهزة الإقليد[3]

ومضى يمتطى الطريقَ بعزمٍ ... مستراب الإقدام والتشمير

فبقينا نجرى العتابَ ونستد ... فعُ صولاته برأيٍ سديد

وعقدنا عقدَ الزواجِ وثيقًا ... ونعمنا بيومه المشكورِ

ثُمَّ جاءت من بعد ذلك أيا ... مٌ كرامٌ كحلفنا المعقود

---

(١) تقريه : تعطيه وهى من قرى الضيف : أطعمه . (٢) الرغيب : المحب الودود .

(٣) الإقليد : ما يفتح به الباب .

فخلسنا نعيمَها كاغتفال الـ ـطفلِ عينَ المولى لقطفِ الزهورِ
بينما نحن فى رواءٍ من العيش نغطى بظله الممدود
جاءَنا زائرًا أخى مستنيرَ الـ وجهِ طلقَ الجمالِ جمٌّ النورِ
ضاحكاً كالصباحِ ممتلئاً بشـ ـرًا كريم المرأى نضيرَ العود
فلقيناه بالبشاشة ، والتر حيبُ فى طيبه كنفحِ العبير
وأفضنا عليه من كرم العيشِ نعيمًا ما إن له من مزيد
ورعيناه آمناً مأمونا مستفزَّ الضحكات جمّ السرور
كنتُ يومًا أرقى من السلم الأعـ ـلى بقايا إلى مكانىَ تودى
فإذا خادمٌ صغيرٌ أتى يهـ ـتزُّ من خوفه اهتزازَ الوكورِ[1]
ثم قال : استمع حديثىَ وانظر سيدى ما ترى بخطبٍ جديد
قد تسمعتُ خلفَ بابٍ من الأبـ ـواب يا هول ما جرى فى الخدور !
ربة البيت فى يديها سقاء الـ ـسمِّ والضيفُ خلفها كالعقيد[2]
قالت : اهدأ دعنى أدوف له السـ ـمَّ وأبغى غفرانَ ربٍّ غفور[3]
قد أتانى هواك فى غفلة عنـ ـك فلم ينعقد له مجلودى
أنت روحى التى أعيش بها فاسـ ـتبق روحى معى و كن لى أميرى !
أىُّ شىء هدَّ الأضالع منى ودهانى بهزة الرعديد
كلما رمت أن أقول مقالاً ضلَّ فى منطق الغلام الصغير
فولجت الأبوابَ ممتلىءَ السمـ ـع طنيناً من رعدةِ المزؤود
نحن حول الخوان ننتظر الطعـ ـمة مما قد هيات فى القدور

---

(١) أى اهتزاز عش العصفور إذا هزته الرياح . (٢) العقيد : الحليف .
(٣) أدوف : أمزج .

وهى قد أفرغت لىَ السمَّ فى كو بى وقامت تمر غيرَ بعيد

ثم غافلتُها وأفرغتُ كوبى فوق ماءٍ بكوبها منزور[1]

ثم نلنا من الطعام بلاغاً وشربنا بسرءاً من التصريد

ثم جاءَ اليومُ الجديدُ فنامت زوجىَ الرود نومةَ المقبور

فَعلَ السمُّ فعلَه فى حشاها ودهاها من الردى بقيود

كلما جننى الظلامُ أتت تطـ ـرقُ فى شملةِ الظلامِ سريرى !![2]

كلمات النفس

وطوراً أكونُ كبعض الهبا ءٍ لجَّ به العاصفُ الثائرُ

وطوراً أكونُ كذاتِ القلو عِ همَّ بها الهائجُ المائر

وطوراً أكونُ كأرجوحةٍ يرجرجها طفلُها الجامح

وطوراً أكونُ كغصنِ الجنى يميلُ به الثمرُ الصالح

وإنَّ الجسومَ غذاءُ النفو سِ وإنَّ النفوسَ حياةٌ لها

ورُبَّ نفوسٍ تُعَنَّى الجسومَ وربَّ جسومٍ تُعَنَّى بها

وللكونِ روحٌ وهذى النفو سُ أجزاء من بعض أجزائها

يحللها الموتُ تحليله وتحيا النفوسُ بأزيائها

(١) منزور : قليل . (٢) أى كلما جننى الظلام رأيت خيالها آتياً إلى فراشى .

فيا عجبًا كيف نرجو الحياةَ ولا يعرفُ المرءُ معنى الحياةِ

ولو عرف المرءُ معنى الحياةِ لما جهلَ المرءُ سرَّ الممات

وما ساءَه مثلُ وخزِ الضميرِ ولا ضرَّه مثلُ موتِ الضمير

وقد يخز الشرُّ روحَ الغبيِّ كما يخز الدودُ أهلَ القبور

وجهلُ النفوسِ بكُنهِ النفوسِ مبين لها عن وجودِ الإله

فهل يعرف الغيبَ حيٌّ سواه وهل يفقه الكونَ حيٌّ سواه ؟

عتاب

سهوتم كسهو الموتِ عنَّا وفيكم حبيبٌ إلينا مثله ونصير

أأحبابنا لم ينقض الدهر مرتي فإنّي على ريب الزمان صبور[1]

ولكن آمالاً إليكم نوازعا دهتها أمور منكم وأُمور

هنيئاً لكم ذاك التقاطع والجفا فكلُّ حبيبٍ بالجفاءِ خبير

لقد كنت أرجو أن يثوب ضميركم إلينا وكلّا لا يثوب ضمير

(١) المرة : الشدة .

المقــاطيــع

النفوس الضئيلة

أدور بعـــينى لا أرى غـــيــر أنـفـسٍ   ضئال المنى والسعى فى ضعة القملِ
فهم يمدحون الخيرَ من خوفِ سامعٍ   وهم يهجرون الشرَّ خوفًا من العذلِ

مصـــر مهـــد العـلــوم

كنتِ مـــهـدَ العلومِ والذهنُ طفلٌ   كنتِ أمَّ النعــــيمِ وهو وليــــدُ
هل يعـودُ الزمـانُ بالعـزِّ والمـلكِ   ومــاضى الحــيـــاة أنَّى يعـــودُ ؟
نحن نرجــو من الحظوظِ مـعــينًا   كيف تحنو على الضعيفِ الجدودُ ؟
هل فعـال تجلو عن الهـممِ العجـ   ـزَ ورأى جم السـدادِ حــمــيـدُ
كم يعـيدُ النصيحُ نصحًـا وما يو   دى بضعفٍ فى أنفسٍ مـا يعيـدُ !

عظم الشـر وعظم الوجـود

كـلُّ مـــا فى الوجـــودِ مما يريق الـ   ـدمعَ أو يستميح شجوَ الرحيمِ
كلُّ غــدر وقـــســوة واحــتــيــالٍ   واجــتــــرام ولوعـــةٍ وهمـــوم
كلّ شـرّ مـهـمـا تعـاظم ، لو قيـ   ـسَ بشـأن الوجـودِ غـيـر عظيم
عظم للهــمـــومِ غطى عليــه   عظمٌ للحــيــاةِ غــيــرُ ذمــيم

الطـبيعـــة

تعـالوا بنا نعطِ الطبيـعـةَ حقَّـهـا   من البثِّ والإجـلالِ والصلواتِ

فقد زعموا أنَّ الحياةَ رزيئةٌ ... إذا لم تنل ساعاتها الحسناتِ

وقد حركت تلك العصافيرُ شجونَنا ... بوقعِ غناءٍ ليِّن النغماتِ

نصير الظالم

غلوا يدَ الجبارِ في غلوائه ... فبكم يصولُ إذا أراد ويظلم

إنَّ الذي اتخذ الظلومَ وليه ... أطغى إذا عدَّ الطغاة وأظلم !

المتعصبون في الدين

يتهارشون على العقيدةِ ضلّة ... فعلَ الكلابِ على خبيثِ المطعمِ

إنَّ العقيدةَ في الضميرِ مكانُها ... ليست بتحريك اللسانِ ولا الفمِ !

أسف على الأسف

كم قد أسفت على الدنيا وباطلها ... فما أسفت على شيءٍ سوى الأسف !

وكم سخرت من الأقدار في صلفٍ ... فما ندمت على شيءٍ سوى الصلف !

سوار ومعصم

معصمٌ ناعمُ المجسِّ لطيفُ الـ ... ـصنعِ يحكي لطفَ النسيمِ أصيلا

وكأنَّ السوارَ وُكِّل بالمعـ ... ـصمِ خوفًا عليه من أن يسيلا !

للكاذب

قد عالجَ الكذبَ حتى إنه رجلٌ ... لو عالجَ الصدقَ يرجو قولَه خابا !

لو واقع الصدقَ يومًا عده خطأً ... منه فكان على حاليه كذابا !

ضحكة الفاتن

يشكو إليك القلبُ من لوعةٍ ... لو ذقتها كنت الغفور الرحيمْ

وكلما أفصح عن شجوهِ ... ضحكت سخرًا ودلالاً قديم

يا ضحكة الفاتنِ كونى جوى   في الكبد الحرَّى وشجواً أليمْ !

المال والحجى

لعمرك إنَّ المالَ حملٌ على الحجا   ولكنه حملُ الظعينِ المزودِ

إذا هو لم يحمله آلمه الطوى   وفى حملِهِ جهدُ الجدِّ المسهدِ !

أنين كأنين الريح

رحم اللهُ محبًا والهًا   لم يجد عن حبِّكم وجه المآبِ

إنَّ مما نابه من هجركم   كأنين الريحِ فى الربعِ الخراب

أنا أهواك فهل ترحمنى   إنَّما يرحم مذكوٌّ التصابى !

الحياء الكاذب

بعضُ الحياءِ هو الرياءُ وربما   لبسَ الحياءَ مخادعٌ ومنافقُ

ينأى بمكذوب الحياءِ سفاهةً   عما يحث به الحياءُ الصادقُ !

سوء الظن

لا تعد الظن رأيًا صادقاً   يفتح الظن مغاليق الحمام

هو كالأخفشِ فى ألحاظهِ   لا يرى الأشياءَ إلاَّ فى الظلام !

القدرة والرجاء

ومن شقوةِ الإنسانِ أنَّ اقتدارَه   ضئيلٌ وما يرجو من العيشِ واسعُ

فلو كان ما يرجوه دون اقتدارِه   لهان عليه سؤله والمطامع

هائب الموت

متعلق بالعيشِ يرجو صفوَه   كتعلقِ الطفلِ الرضيع بأمهِ

يخشى مجالدةَ الحوادثِ عزمه   والخوفُ ينقض عقدةً من عزمهِ !

ربح وخسران

إذا بلغَ المرءُ الغنَى كـان خـاسـراً ... بنَيل الغنى قـدر الذى هو كـاسـبُـه

فـيـربح حـالاً لدنـة الوجـه غـضـة ... ويخسـر شيئًا خافيًا عزَّ حاسبُه !

دافع الشر بالظن

ومـتقٍ بـالظنونِ الشـر يـكلـؤه ... دهـاهُ بـالـشـرِّ ذاك الظـن من أمِ

ومنزل الظنِ فى صدق وفى كـذبٍ ... كـمطرح العينِ بين الفجرِ والظلمِ !

السعادة

إنَّ السـعـادةَ لـم تـسلس لطالبـهـا ... كـربَّـةِ الديرِ لا تحنو على رجلِ

كلتـاهمـا عـفـةُ الأذيالِ طاهرةٌ ... لكنَّ فى المنعِ مـزجـاة إلى الأمل !

مالك كفاقد

أيا بـاكيًـا يخشى زوالَ مـحـببٍ ... من التلد لا تـدنى إليـه مـسـالكهْ

كـأنك لا تـبكى لخوفِ افـتـقـاده ... ولـكنَّمـا تـبكى لأنك مـالكه

الإحسان

كم يضئ الإحـسـانُ فى عـالـم الشرِّ ... ضـيـاءَ المصـبـاحِ تحت الظلامِ

فـيـه برءٌ لـكل داءٍ ولـو كـا ... ن عقـامـاً جـمَّ الأذى والعـرامِ

الود الصحيح

حـبـبـتك حـبى للضـمـيـر إذا دعـا ... فـؤادى إلى حبِّ الفضـيلةِ والخيرِ

وإنِّى لأرجـو فى إخـائك لـذةً ... كلذة أهل الرأىِ فى حسن الفكر

هائب الحياة

لا يـهـابُ الحـيـاةَ إلاَّ جـبـانٌ ... لـم تعنه على الحـيـاةِ الجـدودُ

إن من لا يخشى الحياةَ خليقٌ أن يردَّ الخطوبَ وهو جليدُ

رغبة فى العيش

ولولا رجائى أن أقولَ مقالةً تعودُ بخيرٍ أو تُعين على شرٍّ

لما كان لى فى بسطةِ العمرِ رغبةٌ ولم أحمد الأيامَ أن زيد فى عمرى

غناء يصم

سمعنا غناءً ما سمعناه رغبةً ولكن لأمرٍ فى الحوادثِ مقدورِ !

تغنيتَ حتى مادت الارضُ تحتنا كأنَّكَ إسرافيلُ ينفخُ فى الصور !

إراقة العمر

لو كان عمرى كاسَ خمرٍ فى يدى ورنَت إلىَّ بطرفِها الفتّانِ !

لأرقتُه طرباً ومن لى أن أرى لحظاً يروح بفضلةِ النشوان

اسم ممزق

إذا ذكرَ اسمى حسودٌ لئيم ومزقه بين أسنانه

أبىَ لى احتجازى وكبر حميد هجو امرئٍ عبد أضغانه !

عتاب

ألا بعض هذا الذم إن كنت حازماً فما الذمُّ مما قد كرهت بمانعى

لعلك يومًا أن تثوبَ إلى الرضا فتعلم أنى بالرضا غير قانعِ !

سلوة فى جمال الطبيعة

أليسَ يسليك عمن صدّه ملل هذى الأزاهير أو تلك العصافير ؟

يروح كلُّ جليدٍ فى تجلده وأنت فى كفنِ الأحزانِ مقبور !

* * *

شـفـة

شـــفـــةٌ تحلت باللمى ... فـتـبـيت تحلم بالقـبل !
غـالى بهـا رغـد النعـيم ... وفـوقـهـا هبط الأمل !

إلـه الرعـد

فى خرافات الوثنية

رب البـوارق تزجيـهـا مـشـفـعـة ... بالرعدِ يضحك ضحك المرءِ من ألمِ
أنزل على الزرع مـا نرجـوه من ديمٍ ... واحبس عن الناس ما يخشى من النقمِ
إنّى لمحـــتك والأنـواء داجـيـــةٌ ... يُضىءُ لى فـيك سـرٌّ غـير مكتـتم
فأنت كالناس فى حلم وفى غضبٍ ... وأنت كـالناسِ فى بخلٍ وفى كـرم

لـذة الحـب

حـرم الناس لذة الحب جـهـلا ... وأقـامـوا العـذال للعـاشـقـينا
جـهلوا أنه المعين على العـيشِ ... المزيح الأسى عن الفـاقــدينا
مـتـعـة للفـؤاد والجـسم فـيـه ... مـتـعـةُ العـاشـقين والفـاتنينا

حجـة المستجدى

شقيتم بإقبالِ النعيمِ وشقوتى ... بإدباره إنّ الشـقـــاءَ فنونُ
شرقتم بصفوِ العيشِ لو قد تبللت ... لهـاتى به كـان الشـقـاءُ يهـون

عتـاب

نعمنا بكم حينًا فلمـا صدفتم ... ثكلناكم ثكل الفتـاةِ رضيـعـهـا
كـمـا أفلتت من قـانص الدرِّ درةٌ ... وقـد أمنت أطماعه ان يضيـعـهـا

الـكسل وصـاحبه

يحـجمُ حتى كـأنّمـا خشيت ... أعــضـاؤه أن يموتَ فى غــدهِ !

فـيـدرك الشئَ غـيـرُ طالبِـهِ ... ولا ينال المكسـوب فى يدهِ

وراعَـه أن ينـالَ مـا ضـمن الـ ... ـمسعى فيشقى بقول حاسدهِ

يودُّ أن الأقـدار تسـعـده ... فـيـغـتـدى شـاكـرًا لمسـعـدهِ

يحـسب أنَّ الأقـدارَ مـا خلقت ... إلا لتـجـرى بنسج سـؤددهِ

المجد والفخر

يطلب المجد كى يصح به العيـ ... ـش وقد يبتغيه للفخر باغى

فـإذا مـا رآه خلواً من الفـخـ ... ـر طواه عنه القلى والتنائى !

الوسائل والغايات

إنَّ الوسائلَ والغاياتِ ما اشتبهت ... على امرئٍ فدواعى الطيشِ فى العملِ

فـإنّ من جـعلَ الغـايات واسطةً ... أو الوسـائل غـايات من الأملِ :

لم يستقم سعيه من حيث يممه ... وعـاقـه جـهله عن دقـةِ الحـيل

العزيمة المضللة

لعـزم ذوى العـزم المضلل بالغ ... من الحـزمِ مـا لا يبلغ المتـرددُ

ففى العزم إصماءٌ وفى السعى قدوة ... ولو كان سعيًا شاردًا ليس يحمد

فقد يخطئ الإنسان ما هو طالب ... ويصمى من الأشياءِ ما ليس يقصد

سبر غور الرأى

من شـاءَ أن يسـبـرَ آراءَه ... فليـجـعل الفـعلَ لبـاسـاً لهـا

فـالـرأىُ مَيْتٌ والمعـانى لـقًى ... إذا المسـاعى عـيف إصـدارها

الخرافات

أولـع النـاسُ بالخـرافـات حـتى ... أسكنوها العقولَ حصناً حصينا

كلما قيلَ قد مضت أوشكت فى   خيرِ آراءِ خيرهم أن تبينا

الرحمة تهدى إلى صحة الرأى

ومـا الرحمـةُ الغـراءُ إلاَّ وسيلةٌ   بهـا يستقـادُ الرأىُ والرأى ثاقبُ

ومـا غلظ الأكبادِ إلاَّ نقيصةٌ   تُضِلُّ ذكـاءَ المرءِ والحقُّ عـازبُ

يرى غررَ الأشياءِ لا يستبينها   إذا بان منها جانبٌ غاب جانب

حجة الأشقياء

يا مَنْ يعيب علينا أننا نفرٌ   سود الخلائقِ لعَّانون للقدرِ

هلا شربتَ من الكاسِ التى أخذت   منا مآخذ من سمع ومن بصر ؟

كأس من البؤْس لم ترؤف بشاربها   دافت لنا السم فى حالٍ من الغِيَرِ !

عزم فى الشر

وأصدقُ الناسِ عزمًا وهو ذو أملٍ   فى الشرِّ يبلغ منه كلَّ ما بعدا

أحقُّ بالمدحِ من مستضعفٍ تعسٍ   مقلقل العزمِ لا يصمى الذى قصدا

يرجو الفضيلةَ لكنْ لا يعالجها   ويطلبُ الخيرَ لم يمدد له مددا

العقل والخلد

إنَّما العقلُ خالقٌ جعل الخلدَ   له فى القضاءِ أمر الحكيم

أبدًا يبرز الذى حاجة النا   س إليه من حادثٍ وقديم

وظيفة الإنسان فى الحياة

خلق الإنسانُ كى يمهدَ ما   عاقَ عن مسعاه من هذا الوجود

فهو حرٌّ ما سعى فى نهجه   يدرأُ العائق بالفعلِ الحميد

وهو عبدٌ ما ازدهته حالة   فنبا عن خطةِ الرأىِ السديد

حياة الإنسان

كأنَّ حياةَ المرءِ حسناءُ أرمل ... إذا قيل ساءت حالُها طاب حالُها

لها شافع يدعو إلى الحزنِ حكمه ... وآخر يخشى أن يزولَ جمالُها !

عدو الفضيلة

إذا أنت لم تُعْطِ الفضيلةَ حقها ... أصابك من رجس الرذيلةِ عائبُ

وما كنتَ إلاَّ قاذف الريحِ بالثرى ... لوته عليه الريح والترب تاربُ

ألم ترَ أنَّ الشرَ مغرى بربه ... يغالبه عن نفسه وهو غالب ؟

الأديب والشقاء

ألا إنّ آلامَ الأديبِ لنفسه ... صقالٌ وإنَّ النارَ صاقلةُ العضبِ

ألم ترَ أن القرطَ ليس بحليةٍ ... على الأذنِ حتى تألم الأذنُ بالثقب ؟

الحسن والغرور

عابوا عليها غرورَها سفهاً ... كلُّ جميل بالعيشِ مغرورُ

الحسنُ فضلٌ ، وكلُّ منفردٍ ... بالفضل جمّ الدلالِ مسرور

حب القدير للعيش

حبَّبَ العيشَ للقديرِ مساعٍ ... ساميات ومطمحٌ واختبارُ

فلديه الحياةُ نهزةُ نجحٍ ... وابتغاءُ الحمامِ خذلٌ وعارُ

إنَّ حبَّ القديرِ للعيش جودٌ ... واصطبارٌ وهمةٌ واقتدارُ

كاذبان

ونبئت أني مادح غير مادحي ... رقيبًا على الزلات يوسعني لوما

لعلَّ كلينا كاذبٌ في مقاله ... أقرظه ظلمًا ويشتمني ظلما !

رباعيـة

من رباعيّات عمر الخيام

الشاعر الفارسى

إرمٌ قـد عَـفَت وصـوّح قِـدْمـاً ... فـى ربـاهـا الـربـيـعُ والـزهـرُ

كأسُ جمشيد قد مضت حيث لا حيـ ... ـث لدينا من أمـرها خـبـرُ

لـكنْ الـكرمُ لا يـزال جـوادًا ... بـرحـيـقٍ حـبـابه دُرَرُ

ولـنا منزلٌ مـن الروضِ فـيـنـا ... نُ تـروّى أزهـاره الـغُـدُرُ

رباعيـة أخـرى

هاج للقلبِ جدة الحول أشجـا ... نًا لـديـه قـديمةُ العـهـدِ

تأنسُ النفسُ بالتـفـردِ والخلـ ... ـوةِ فى ظلِ حـالـهِ الرغـدِ

حيث تحكى الأزهار راحة موسى ... فـى بيـاض النـوارِ والـوردِ

ولهـا نفـحـةٌ كـأنفـاس عـيسى ... باعـثـات للمـيت من لحـدِ

رباعيـة أخـرى

هات لى الكأسَ يا حبيبى دهـاقًا ... لا تطع عـائبًـا كـؤوس العـقـارِ

إنّ ثوبَ الوقـارِ ثوبُ شـتـاءٍ ... ليس يغنى فى الصيفِ ثوبُ الوقارِ

انض عنك الوقـارَ وارمِ بـه فى ... جـمـراتٍ للقـيظ مـثـل النار

إنّمـا العـيشُ طائرٌ بين غـصـ ... ـنين فـخـذه مـآخـذَ المستطار

شـكـوى

أمـا ترى البـدرَ يا حـبـيـبى ... كـأنّه فى الهـوى رقـيـبى ؟

والنجمَ حـيـران مـسـتـفـزاً ... يضـارع القلبَ فى الوجيبِ

والسحب ترخى عليه ستراً ... كـأنّهـا هيـئـة المريب

والليل بالأفقِ مستقراً ... كأنّه عيشةُ الأديبِ
ما أشبَهَ اليأس بالرجاءِ ... لو دام ما كان يا حبيبي
وأشبَهَ السعد بالشقاءِ ... إنْ لم أجد في الهوى نصيبي
وأشبه الحب بالعداءِ ... إن كنت في الحب كالرقيب
مصيبةُ العينِ بالبكاءِ ... مصيبة القلب بالوجيب !

الحب والجمال

عندي من الحبِّ يا حبيبي ... قدر الذي فيك من جمالِ
فالقلبُ أسوان في وجيبِ ... وأنت جذلان في دلالِ
وربّ ظمآن من لغوبِ ... يغصّ بالبارد الزلال
وربّ ولهان مستثيب ... أصلحه غائضُ النوال !

الأديب المتكلف

يبيت طوالَ الليل يقدح رأيه ... كما قدح المقرورُ صخرَ زنادِ
يعالج في نسجِ القريضِ قصيدةً ... كأنَّ له فيها أشدَّ جلاد
فيأتي بها كالبكر قد طال حبسُها ... تحدث فينا عن ثمود وعاد
يقلب فوق الفرش جنباً كأنما ... يحكّ به في الفرش شوك قتاد
ويزحر كالحبلى إذا آن وضعها ... ولكنّه زحر بغير ولاد !

الثأر

هل الثأرُ يحيي الميت بعد هلاكه ... أم الثأرُ يشفي غلةَ الميتِ في القبر ؟
الا إنه يحيي العداءَ ويعمر الـ ... ـقلوبَ بأضغانٍ عقاربها تسري
فلا تحسبنَّ الذنبَ يمحو أخاً لهُ ... ولا تحسبن الشرَّ يدفعُ بالشر

شكوى الزمان

أعيذكَ من شكوى الزمانِ فإنها ... تمر حياةَ المرءِ وهو طلوبها
فأحسنُ من شكوى الزمانِ احتقارُه ... إذا عدوات الدهرِ غالت خطوبها !

خلوة

يا خلوة لى بالحسناءِ أذكرها ... بالليل ، والليلُ والحسناءُ من أملى
وكلما لمست كفاى راحتها ... وقمت ظمآن أبغى رشفةَ القبل
تقول إيّاك إنَّ البدرَ ثالثنا ... يرنو لنا بلحاظ الشكِ والعذل !

العذر فى الهجر

لم يكن عن زهادةٍ ذلك الهجرُ ... ولكن هى الحوادث تُنسى
تتخطى إلىَّ من حيث لم أذ ... نب فاغدو ما بين طرسى ورمسى !

نظرات مسالك

إذا شئتِ أن أنساكِ مما رميتنى ... به ، كيف أنسى أننى لك عاشق ؟
وما نظرات العين إلا مسالكٌ ... إليك وإن عاقتك عنى العوائق !

كاذب أبداً

لام قومٌ أنى وصفتك بالكذْ ... بِ مراراً ومرَّةً فيك تكفى
ويك لو أننى وصفتك بالكذ ... ب علي سبحةٍ لقصر وصفى !

الحب والهجر

يا وصولاً فى التدانى ... وملولاً فى التنائى
وحبيباً ليس يجزى ... عن إخاءٍ بإخاء
وحليف النأىِ والغد ... رِ ودلٌ وجفاءِ

ومطولاً للتراضي وعدواً للرجاءِ
لك في القلبِ مكانٌ ليس يطوى من عفاءِ
غير أن الغدرَ داءٌ لا يداوى بدواءِ !

ذم الشتاء

جاء الشتاءُ وجاءَتنا غياهبُه كأنَّها نكدٌ في قلبِ متعوس !
ترى المدينةَ لا يمشى الضياءُ بها كأنَّها قطعة من وجه إبليس !

عتاب

نعمتم بهجرٍ قد شقينا بطوله فلا تحسبونا في الودادِ سواءَ
هنيئًا لكم هجرانكم ونزاعنا إليكم وإن كان الملامُ هباءَ

لكل دهر إمام

لكلِ دهرٍ إمامٌ قائمٌ أبداً يبين للناس معنى الصدقِ والكذبِ
وليس ينسخ ما جاءَ الأخير به معنى تمادى على الأيام والحقب !

صبر في الأمل وصبر في اليأس

طموحٌ ويأسٌ لا يرى المرءُ فيهما سوى الصبرِ خلقًا كابحًا من جموحهِ
فصبرٌ يُعين المرءَ في حين يأسهِ وصبرٌ يُعين المرءَ عند طموحهِ

إذا أكرمتَ اللئيم أهنتَهُ

إذا أنتَ أكرمتَ اللئيم أهنته بفعل حميدٍ ناقدٍ لفعاله !
يرى الحمدَ عبئًا لا يقومُ بحمله فكيف يردُّ الحمدَ غدرُ نباله ؟

صاحب الغيبة

واكثرُ الناسِ عَيباً للرجالِ فتى جمّ العيوبِ إذا بَيَّنْتَ باطنَه

يظن أن عيوبَ الناسِ ماحيةٌ محوَ البراءةِ ما قد بات ضامنه !

الوليد

لكأنَّ الوليدَ عريان عند الـ ـوضعِ تخفى الأقدارُ عنه بضيرِ

تاجر عارضت مساعيه ريحٌ ورمته الأمواجُ فوقَ الصخورِ

فهما خاسران قد ربحا العيـ ـشَ بجاهٍ جدبٍ وجدٌ عثور !

الدهر بحر

وإنَّما الدهرُ بحرٌ لا انتهاءَ له والناسُ غرقاه والبؤْسى دواهيه

وما أخالُ حياةَ المرءِ فيه سوى سفينةٍ غفلت عنها عواديه

حتى إذا الحدث المقدور ناهضها بارت بوارَ المساعى فى طواميه !

الحسناء ومرآتها

لا تحسبى أنْ قد رأيت الذى فى صفحةِ المرآةِ مطبوع

فالعجبُ قاضٍ والهوى جائرٌ وإنَّ طرفَ العين مخدوع

حلم

رأيتُ كأنَّا وسْط روضٍ وفوقنا سماءُ هجير نال منه لهيبها

خلعنا ثيابًا قد شقينا بلبسها إذا جمرات الصيفِ غالت كروبها

وفى ساعدى راوٍ من الحسن ناعم له حركات آسر لى خَلوبها

أضمُّ إلى نحرى محاسنَ جسمه وفى النفسِ حاجات بعيد قريبها

فنمنا على الأزهار جنباً لجانبٍ وقد غاب عن عين المشوقِ رقيبها

الجنة الخراب

أو

الشام فى عهد الاستبداد

« من الشعر المرسل »

إن الشــآم حــديقــةٌ فــينانـةٌ ... تهـفــو بلبٍ الشـاعـرِ الولهــانِ

وكـــأنما نسجَ الإلـهُ جنانهـــا ... شــرك النهى وحــبــالة الأهواءِ

من لى بيـومٍ فى جنانكِ صــالح ... يفـديه عـمـرٌ فى النعـيم غـبينُ

مـدَّ الظلومُ عليكِ فـضـلَ عـرامـه ... والظلمُ مـــوتٌ للنفـــوس ذليلُ

كـالميتـةِ الحسناءِ أدركـهـا الردى ... قـبل اسـتلابِ الدهرِ من آياتهـا

فتكاد تحسب فى المماتِ حياتها ... لولا افـتــقــاد تنفسِ الاحـيــاءِ

فــإذا رأيتَ رأيتَ ثَمَّ مــحــاسنًا ... نسجَ المـاتُ لهـا غطاءَ وقـار !

اللئيم المستنبت

مـهـمــا تطاولَ بالنبـاتِ فـروعُـه ... فـــاصــولُه فى الارض ذات طرائقِ

وكـــذا اللئـــيمُ إذا ترافع قـــدرُه ... غــالى برأيٍ فى الفـحـولةِ صـادق

ولئن أصــيـب العــالمون بجـاهـه ... فــمـصــابه بالجـاه أعظمُ بائقِ !

اليوم وغد

يســوءُك اليــومُ فــتـرجــو غــداً ... إنَّ غـــداً ليس بيـــومٍ جـــديد

فـانظر إلى أمسٍ مـضى واسـتعن ... منه على اليـــومِ برأيٍ ســـديد

منظـــر

منظرٌ رائعُ البــــهـــاءِ جليلٌ   يَطِّبِى الناظرين منه بلحنِ
يحمد السمع ما جنته لحاظى   فكأنى رأيت ذاك بأذنى !

كاذب لئيم

حيـاتُك كلُّها كـذبٌ   وعــمــرُك كلُّه ريبُ
لقـــد برَّزت فى اللؤمِ   إذا مـــا برز النُّجُبُ
وودُّك مـلـؤهُ حـنـق   وجــدّك ملؤه لعبُ
وفـيك عن العـلا جنف   وفـيك إلى الأذى طربُ
وفــى إدبـارِك الأربُ   وفى إقـبــالك النوب
وكلٌ رذيلةٍ فلهـا   إليك من الخنى نصب
وفيك الشرُّ معهود   فلا خـيـر ولا أدب !!

عتاب الملك حجر

لابنه امرىء القيس

« من الشعر المرسل »

تريق دماءَ الخمرِ جبنًا وخسةً   ولو قد أرقت الماءَ كنت ظلوما !
فإنَّ دمـاءَ الثائرين كثيرةٌ   وهذى السيوف الباترات صوادى
فهل تترك المصقولَ يشكو من الصدى   وتهنأُ بالدنِّ الرويِّ شرابا ؟

وإنَّ كـريمَ الطبعِ مـاضٍ بِظِمْـئِـهِ ومنحٍ أخـــاه من أوارِ صــــداه

وكم من كريمٍ بات يعوى من الطوى وفى داره الضـــيفُ الذليلُ عـزيز

ومـا حـبّك الغـادات إلا نقـيـصـة أصبت بها جاهى وكان صحيحا

إذا واقـع المرء المســــود رذيلة أتاها ولم يشـهـد بذاك رقـيـب

فـإمـا أتاهـا سـيـد القـوم ناله من اللومِ لفـــاح بكل حـــرورِ

كَذلك شهب الطيرِ إنْ مسَّ ريشها مـدادٌ رمـتـهـا بالسـهـامِ لحـاظ

وإنَّ سـوادًا فى المـداد مـبـغَّـضًـا لصنو سـوادٍ فى الغـراب مـعـيب

ألم ترَ أن الليلَ أسـتـرُ للهـوى وليس على وجـهِ النهـارِ نقـابُ ؟

ومـا يدرك الشنعـاءَ عـارٌ إذا زنت كـمـا يدرك الحسناءَ وهى كـعـاب

وما يحفلُ الرائى إذا غاب كوكبٌ كـمـا يحـفلُ الرائى لفـقـد هلالِ

ومـا الناسُ إلا كـالملوكِ فـلا تعبْ على القـومِ أمـرًا أنت فـيـه ملومُ

أتتـــركنى بين الملوكِ كــأنَّنى جنيتُ الذى تغـــدو له وتروح ؟

ومجدُك من مجدى فكيف أذلته ألست ترانى بالعـلاءِ خليـقـا ؟

وكم والدٍ أهدى إلى الذل وُلْده وكم ولد أهدى إلى الذلِّ والدا ؟

وقد يحمدُ الإنسانُ عقبى ذنوبه ويشـقى بما لم يجنه ويصـابُ

أليس قنيص العـر يعـدى قـرينه ومن يقرب النيران يصلى لهيبها ؟

ومن سكن الوادى شكى من أَتيِّـه ومن يصحبُ الولهانَ يشقى بدائه !

واقعة أبى قير[1]

« من الشعر المرسل »

ملكُ البحارِ أتى يحثُّ سفينَه كالطيرِ تسبحُ فى الفضاءِ الواسعِ
لججٌ على لججٍ يدبر أمرها ثبْت وأجبالٌ على أجبالِ
حتى إذا بلغت أبو قيرَ اعتلى علمٌ على أعوادها خفّاق
وسفائنُ الإفرنس تنكر أمرَها حتى أفاق أميرُها المكدودُ
أنَّى رمى بلحاظه وجدَ العدا كالاسد حول فريسةِ المغوارِ
حيل يدبرها المُغَلَّبُ (نلسن) وكذا العداءُ خديعةٌ ودهاءُ

* * *

ياموقظَ النيرانِ من غفلاتها ومحرِّك الأقدارِ من سكناتها
إنِّى سمعتُك داعيًا فى صولةٍ فأجابت الأحداثُ فى وثباتها
كم من غريقٍ فى المياهِ ضريحه ومقطعِ الأوصالِ والأحشاءِ
قذفت به الأمواجُ من أمعائها قذفَ المريضِ طعامَه المردودا
كم من جريحٍ زاد فى آلامِه ذكرى الزمانِ الناعم الفينان
حيث الحياةُ حديقةٌ ، أحداثها نفحاتها ، ورياضها الساعات
فيجود بالنفس العزيزةِ جوده بالاهلِ والآمالِ والاهواءِ
يالهف للرجل المفارقِ أهلَه فى غمرةٍ من دونها الغمرات
ما حلَّ بالأحياءِ بعد مماته قد حلَّ بالمقتولِ قبل مماته

(١) « هى الموقعة التى حطم فيها أسطول نلسن مراكب نابليون الراسية فى خليج أبى قير عام ١٧٩٨ » .

وكـذا الحـيـاةُ إذا بلوتَ أمـورَها ... خـدع السـراب الراقصِ الخـدّاعِ

يارُبَّ عـيشٍ فى الممـات منعمٍ ... ولرب مـوتٍ فى الحـيـاةِ ذليل !

* * *

مـاذا أعـدّوا للشـقـاءِ وحـزبهِ ... لما أعـدوا للعـداءِ عـديدَهم ؟

الفـقـرُ بين ربوعـهـم ذو عـدوةٍ ... والجـهلُ فى أرواحـهِم فـعـال

تبنى السـفين بما يزيل خـصاصة ... ويبـيـد فـعلَ الجـهلِ بالأرواح

والمـالُ روح الكونِ حين تصـونه ... إلاّ عن الوجـهِ السـديدِ الأقـوم

انظر إلى الأسطولِ بعـد بهـائه ... قـد صـارَ أشـلاء على أشـلاءِ

قـابيل فى أرواحنا مـسـتنكر ... مـتحكم مـتـاسـد مـتـمادى

مـاذا دهى الإنسـان حـتى إنه ... يتطلبُ الإصـلاحَ بالإفـسـاد ؟

هل بعـد ذاك على فـسـادِ نفوسنا ... نبـغى الدليل لمنكر وممارى ؟

لو يعلم المغـرورُ يومَ فـخـارهِ ... إنَّ الفـخـارَ خـديعـةٌ لإسـار

لـطغى وثـارَ ونالَ مـن قـوادهِ ... نيلَ الحـديدِ من الأسيرِ المصفدِ

ويل القوى من الضـعيف إذا طـغى ... ويل الضعيف من القوى العادى !

او لم يخـبِّـرك الزمـانُ وصـرفـه ... أنَّ الذليلَ قنيـصـةُ الجـبـار ؟ !

نابليون والسّاحرِ المصرى

« قصـــة »

« من الشعر المرسل »

سدكت بنابليون سالبة الكرى ... والنومُ لا يعنو لكلّ عظيمِ

فى ليلةٍ قلبُ اللئيم كقلبِها ... زنجيةٍ قد عُرِّيَتْ من حليها

فإذا أراد الطيفُ أن يسرى بها ... منعت مهابتُه الظلامَ من السرى

عبست فخال الأُفق طلعةَ قاتلٍ ... جهمِ المحيا رائعِ اللحظات

وتنفست نفس المحبِّ إذا قضى ... وحبيبه بحنينه لم يعلم

هل أطفأتكِ يا كواكب ريحها ... أم لم تضئك ملائك الرحمن !

خرج العظيمُ يخطُّ فى ترب العرا ... خطَّ المدلسِ فى تراب الطالعِ

ولو أن وجهَ الأرض دهرٌ واسعٌ ... كانت خطوطُ حذائه أحوالا

يمشى وحيداً فى الخلاءِ وحوله ... جيشٌ من الآراءِ والعزمات

يرمى بعين النسرِ أرجاءَ العرا ... كالقانصِ الرامى بسهمٍ صائبِ

فرأى على بعض التلالِ بقربه ... شبحاً كما نظر المريضُ الهالكُ

متعمماً بعمامةٍ مهدولةٍ ... متلفعاً بعباءةٍ سوداءِ

فكأنَّما اتخذ الهلالَ عمامةً ... ثم ارتدى قطعاً من الظلماءِ

تجرى الرياحُ خلال لحيته التى ... صبغت بلون غدائر الشمطاءِ

وتهزها حتى لتلطم وجهه ... لطم الرضيعِ عوارضَ الآباءِ

النارُ من ألحاظه مقدوحةٌ ... حتى تكاد تشبّ فيما ينظر
في كفّه عودٌ ضئيلٌ ، صوته ... شكوى المريضِ إلى الصديقِ العائدِ
يستخرج الألحانَ من أضلاعه ... والعودُ في تحنانه يتألمُ
يبكي فيهتاج الرياحَ بكاؤه ... فكأنما ضمنت قلوبًا ترحم
لمَّا رأى الجبارَ يمشي قربه ... والليلُ يسجدُ في غلالةِ راهب :
رفعَ الغناءَ ومرَّ في إنشاده ... مرَّ النسيم على الربوعِ الخالية
يا أيُّها البطلُ العظيمُ الغالبُ ... أرح الخطى واسمع نبوءةَ ساحرِ !
درسَ النجومَ فلم يغادر غامضًا ... حتى أُتيح له الجليل الغامض !
وله من الجنِّ الكرامِ معاشرٌ ... يأتونه بنفائسِ الأخبار !
كم قد سقيت من الدماءِ طماعة ... لك خيرها وعلى سواك خراجها
في كل جرحٍ مِقْوَل ذو سطوةٍ ... يدلي عليك بحجةٍ بيضاء
ولسوفَ تبلغُ بالسيوفِ مبالغًا ... تدعُ الممالكَ في يديك بيادقا
لكنْ سيعقبكَ الزمانُ وصرفهُ ... زمنًا يكونُ به الطليقُ أسيرا
في صخرةٍ صماء فوق جزيرةٍ ... في البحر يضربها العبابُ الأعظمُ
يسعى بكَ الجبار سعيَ موكلٍ ... فيظلُّ يأكلُ من حياتك كيدهُ
فاستلَّ نابليونُ سيفًا ماضيًا ... لما رأى العَوَّادَ ساءَ مقالُه
لكنهُ ضربَ الهواءَ بسيفه ... حيث اختفى المتنبيءُ السحارُ !
فأعاد في الغمدِ الحسامَ تخوُّفاً ... ومضى إلى أصحابه يتعجبُ !

« تم »

الجزء الثالث

أناشيد الصبا

وما الشعرُ إلا القلب هاجَ وجيبُه	وما الشعرُ إلا أن يثيرَ مثيرُ
وللريحِ هباتٌ وللنفس مثلُها	تغنى رُخاءٌ فيهما ودَبورُ

(من قصيدة « الشعر والطبيعة » لصاحب الديوان)

عن الطبعة الأولى عام ١٩١٥

إهـداء الديـوان

صديقى الأعز:

الأستاذ الأديب والشاعر الجليل:

إبراهيم عبد القادر المازنى

أهديك هذا الديوان هدية ود ، أنشدك فيه قولَ أبى تمام :

وقلتُ أخ قـــالوا أخ من قـــرابةٍ فـــقلتُ لهم إن الشكولَ أقـــاربُ
نسيبىَ فى عزمى ورأيى ومذهبى وإن باعدتنا فى الأصولِ المناسبُ

كلمة لصاحب الديوان

في :

العاطفة في الشعر

إن روح الشاعر مثل آلة الغناء ، لابد أن تتهيأ تهيؤا خاصاً لكل نغمة من النغمات فيقصر بعض الأوتار ، ويطال بعضها ، ويشد وتر ، ويرخى آخر ، والشاعر لايمكنه أن يهيئ روحه كذلك متى شاء . بل لابد من أسباب يتوخاها زمناً ، حتى يساعده الطبع فتتهيأ نفسه ، ثم يوقع عليها ما يشاء وجدانه من الألحان . والشاعر الكبير لا يكتفي بإفهام الناس ، بل هو الذى يحاول أن يسكرهم ويجنهم بالرغم منهم . فيخلط شعوره بشعورهم ، وعواطفه بعواطفهم . ولشعر العواطف رنة ونغمة لا تجدها فى غيره من أصناف الشعر . وسيأتى يوم من الأيام يفيق الناس فيه إلى أنه هو الشعر ولا شعر غيره . فالشعر مهما اختلفت أبوابه لابد أن يكون ذا عاطفة . وإنما تختلف العواطف التى يعرضها الشاعر . ولا أعنى بشعر العواطف رصف كلمات ميتة تدل على التوجع أو ذرف الدموع . فإن شعر العواطف يحتاج إلى ذهن خصب ، وذكاء ، وخيال واسع ، لدرس العواطف ومعرفة أسرارها وتحليلها ، ودرس اختلافها وتشابهها ، وائتلافها وتناكرها ، وامتزاجها ومظاهرها وأنغامها ، وكل ما توقع عليه أنغام العواطف من أمور الحياة وأعمال الناس . فينبغى للشاعر أن يتعرض لما يهيج فيه العواطف والمعانى الشعرية . وأن يعيش عيشة شعرية موسيقية بقدر استطاعته . وينبغى له أن يعود نفسه على البحث فى كل عاطفة من عواطف قلبه ، وكل دافع من دوافع نفسه . لأن قلب الشاعر مرآة الكون فيه يبصر كل عاطفة جليلة ، شريفة ، فاضلة ، أو قبيحة مرذولة وضيعة .

والحياة فى نظر الشاعر الذى يعيش لفنه الجليل ، قصيدة رائعة تختلف أنغامها باختلاف حالاتها . ففيها نغمة البؤس والشقاء ، وفيها نغمة النعيم والجذل ، وفيها أنغام الحقد واللؤم ، والشر والندم ، واليأس والكره ، والغيرة والحسد ، والمكر والقسوة ؛ وأنغام الرحمة والجود ، والأمل والرضا والحب . فالشاعر الكبير هو الذى يتعرف كيف يقتبس من

هذه الحالات أنغامها ، ويصوغها شعراً . وهو الذى عواطفه مثل عواطف الوجود ؛ مثل الأمواج أو الرياح أو الضياء أو النار أو الكهرباء . وهو الذى يحكى قلبه الأركستر الكثير الآلات ، الكثير الأنغام . أليس الوجود أيضاً أركستر آلاته الناس ، وعواطفهم وأعمالهم ، والرياح والأمواج ، والطيور والحيوانات ؟ كذلك قلب الشاعر أركستر آلاته العواطف . ومن أجل ذلك لا ينظم الشاعر الكبير إلا فى نوبات انفعال عصبى ، فى أثنائها تغلى أساليب الشعر فى ذهنه ، وتتضارب العواطف فى قلبه . ولكن تضارباً لا يزعج نبضه طيور الأنغام الشعرية التى تغرد فى ذهنه . ثم تتدفق الأساليب الشعرية كالسيل ، من غير تعمد منه لبعضها دون بعضها . أما فى غير هذه النوبات ، فالشعر الذى يصنعه يأتى فاتر العاطفة ، قليل الطلاوة والتأثير . وإدمان الاطلاع أساس فى الشعر ؛ لأنه هو الذى يهئ الطبع . أما انتقاء الأساليب عند النظم ، فدليل على أن الشاعر غير مُهيء الطبع ناضبه ؛ ليس فى أعصابه نغمة ، ولا فى قلبه عاطفة .

وإذا نظرت فى الشعر العربى ، وجدت أن شعراء الجاهلية وصدر الإسلام ، كانوا أصدق عاطفة ممن أتى بعدهم . والسبب فى ذلك أن النفوس كانت كبيرة ، والعواطف قوية ، لم يتلفها بعد الترف والضعف ، وغير ذلك من الصفات التى تطرقت إلى الأمة فى عهد الدولة العباسية ، وما بعدها من العصور ، التى أولع فيها الشعراء بالعبث والمغالطة ، والمغالاة الكاذبة ، والتلاعب بالألفاظ ، والخيالات الفاسدة . وشعر الأمة مرآة حياتها . فإذا كانت نفوس أفرادها كبيرة ، كان شعرها شديد التأثير ، صادق العاطفة . وإذا كانت نفوس أفرادها حقيرة ، كان شعرها ألفاظاً مرصوفة ميتة ، ليس فيها عاطفة . والعواطف هى القوة المحركة فى الحياة ، وهى للشعر بمكانة النور والنار .

الحب والموت

حنينى إلى وجه الحبيبِ جنونُ ... جنون يهيج القلبَ وهو شجونُ

أحبك لا حبى عليك بسُبَّةٍ ... ولا أنَّ وجدى فى هواك يشينُ

وحسنك يجلو النفسَ من كلِّ ريبةٍ ... ويطهر قلبًا فى هواك طعين

فجد لى بذخرٍ من ودادك خالدٍ ... فكلُّ قليلٍ من هواك ثمين

وإنّ ظنونى فى الحياة كثيرةٌ ... ولكنّ ظنى فى هواك يقين

فواحسرتا لا لى إليك وسيلة ... ولا أنّ قربًا فى الحياةِ يحين

وقربك إشفاقٌ وبرٌّ ورحمةٌ ... على مهجةٍ إن لم تبن ستبين

وكيف أُرجّى منك عطفًا ورحمةً ... ولم يفش سر فى الضلوع كمين

ولم تدر أنى منك ضامرُ لوعة ... ولا أن قلبى فى هواك رهين[1]

عسى مخبرٌ عما أعانيه فى الهوى ... فيؤمل خفض من رضاك ولين[2]

نهارى حنينٌ واشتياق ولوعةٌ ... وليلى حنين فى الهوى وأنين

وما الدهرُ إلا البحر والموت عاصفٌ ... عليه وأعمار الأنام سفين

فلا تعصفوا بالهجر والبعدِ والقلى ... فما لى على هذا الشقاءِ معين

تبشرنى الآمالُ بالقرب منكمُ ... فياليت آمالَ النفوس يقين

ويا ليت لى نهجًا إليك وحيلةً ... وياليت عطفاً من رضاك يكون

وياليت أنى مُقعد فى دياركم ... مقيم على صرف الزمانِ ركين

وياليتنى شىء إليك محبب ... وأنت به طول الحياة ضنين

---

(١) ضامر أى مضمر .

(٢) الخفض : رخاء العيش ضد الشدة .

ويا ليت أن القربَ ينصف والنوى … فيحمد عز في هواك وهونُ

ويا ليت بي نوعًا من النحسِ واحداً … فإن شقائي في هواك فنونُ

يغير صرف الدهر ما شاء في الورى … وحبك في القلب اللجوج مكين

فلا تنخدع بالناس عني فإنهم … كلاب ترى أن العواءَ يزين

أعزُّ صديق في الخفاءِ يكيدني … وأصدقُ صحبي في الودادِ يمين[1]

وكلُّ فؤادٍ في المحبة كاذب … ولكن قلبي في هواك أمين

ومن يصحب الأيامَ من بعد خبرةٍ … يقلّ لديه تافه وثمين

وكيف أضل الحقَّ في العيشِ طرفةً … ولحظك فيه الحقُّ وهو مبين ؟

غدا يكثر السالون منا ومنكمُ … ويرقأ دمعٌ بيننا وشؤون[2]

ونصبح لا قلب يحن إليكمُ … وتغمض عنكم أعين وجفون

وكم قبلنا خلّى حبيبٌ حبيبَه … وكم من قرينٍ بان عنه قرين

ويفجع ريب الدهرِ بالكف أختها … تبين شمال أو تبين يمين

ونبكي على حسن طوته يد البلى … ومن بُزَّ عنه الحسن فهو غبين[3]

وما كنتُ أدرى أن حسنك زائل … وأن عزاءً عن هواك يكون

فلا يخدعنك الحسن فالحسنُ طرفةٌ … تمر كحلم العينِ وهو ظنون

غداً يكثر الباكون حولي وحولكم … وما الناسُ إلا هالك وحزين

غداً يستذل الموت منا ومنكم … وكلُّ نفيسٍ في الممات يهون

فنصبح موتى لا نحسُّ افتقادكم … وأي دفينٍ يستبيه دفين[4]

(١) مان يمين أي كذب يكذب . (٢) الدمع يرقأ أي يغيض ويجف . والشؤون : مياه الدموع .
(٣) بز عنه أي خلع . (٤) يستبيه أي يسبيه .

ويسعى على قبرى وقبرك بعدنا | من الناسِ خب ما كرٌّ وخؤون
وتمضى الليالى والشهورُ وتنقضى | قرونٌ على أعقابهن قرون
كأن الفتى لم يَحْىَ يومًا لحاجةٍ | إذا ما دهته بالعفاءِ منون !

بين الحياة والموت

وقفتُ على البحر الخضمّ عشيةً | وللريحِ فيه والعبابِ بوادرُ
وقد بسط الليلُ البهيمُ جلالَه | وللسحب نوءٌ هاطل اللجِّ هامرُ
وللرعد ضحكٌ رائعُ الصوتِ هائل | كأنَّ ضجيجَ الرعد بالناسِ ساخر
أقطِّع قلبى بالبكاءِ وبالأسى | وحبُّ الردى داءٌ دخيل مخامر
بكيتُ بكاءَ اليأسِ لا يأس مثله | وقلت وبى من سانح الموتِ خاطر :
أجرنىَ من ظلم الحياةِ ولؤمها | فإن شقائى مثلُ لجِّك زاخر
أرى كفنًا من نسجِ موجكَ أبيضا | تمزقه الأرواح وهى ثوائر[1]
وأنت مهاد لين الطىِّ ناعمٌ | ونعشٌ لمن يرجو الردى ومقابر
فاغرقَ ضحك الرعدِ شكواى ساخرًا | وأبتُ بهذا العيش والقلبُ صاغر[2]
أعالجُ صرف الدهر فى غيرِ مطمعٍ | وأفعل ما تُملى علىَّ المقادر
ولكننى أرجو من الموتِ راحةً | ويفزعنى وقع له وخواطر
وما العيش إلا الذئب تدمى نيوبه | وللعيش نابٌ قاتل وأظافر
ولكنه كالخمر تحلو لشاربٍ | وإن سلبت منه النهى والسرائر
فها أنا بين العيش والموتِ واقف | فهل مخبر يدرى متى أنا سائر ؟

---

(١) الأرواح : هى الرياح . (٢) صاغر : أى ذليل .

لعل الذى أرجـــو من الدهرِ واقع ... فقد كان ما قد كنت دهراً أحاذر
عسى أن يعودَ العيشُ جما جماله ... ففى الروض فينان وفى الأفق زاهر[1]
ويكشف صرف الدهر عنى غشاوةً ... من اليأس لا تجدى لديها البصائر
فلا تعذلانى بارك الله فيكما ... فإنى بهذا العيش راضٍ وصابر !

حكمة التجارب

انضِ عنك الحذار من حدثِ الدهـ ... ـرِ فليس الحذارُ يغنى فتيلا[2]
ليس تجدى تجاربُ المرءِ لو شـ ... ـبَّت لها فى الفؤادِ داء دخيلا[3]
فارق فوق نار قلبك ما اسطعـ ... ـت عزاء جمًّا وصبراً جميلا
ودع الناسَ يهذرون بما شـا ... ءوا فلسنا نخافُ قالاً وقيلا
إنما العيشُ أنْ تكون جريئاً ... ليس تُرضى الحياة غمراً ذليلا
وتلين الحياة للثابت الوا ... دعِ لا من يخافها أن تهولا
كن كثيرَ العزاء عن كل ما فا ... ت ولو كان فى الحياةِ جزيلا
خذ بنصحى فقد حييتُ كثيراً ... ولو أنى لم أمض عمراً طويلا
عشتُ فى كل ساعةٍ أبد الدهـ ... ـرِ وعالجتُ نضرةً وذبولا
ورمتنى الحياةُ بالحلو والمـ ... ـرِّ فطوراً رغداً وطوراً وبيلا
ورفعت الستارَ عن خدعة العيـ ... ـشِ وقهقتُ وانتحبت عويلا
وصحبتُ الحياةَ فى حالتيها ... وخبرت القنوطَ والتأميلا

(١) فينان : أى كثير الورق والأزهار . (٢) لا يغنى فتيلا : أى ليس له فائدة ، ليس له حتى النفع القليل .
(٣) يجدى : أى ينفع ، والماضى أجدى .

وأعــاد الأنامُ قــصــة من مــا | ت فكانوا قــابيلَ أو هابيــلا
فــتــرى الخلقَ فى المطامع إمّــا | قــاتلاً ظالمًا وإمــا قــتـيــلا
ما ترى الناسَ فى الحياةِ حيارى | ضلَّ من كــان عــالمــا أو جــهــولا
لا تُعنّى بأمــرها النفس يومــاً | فـتـصـيـر الحيـاةُ فيك كـبـولا
ثم لِنْ للزمــانِ مــا اشــتـد واجعلـ | ـه إذا لان نجــعــة ومــقــيــلا
إن يكن ينفع البكاءُ فــإنا | قــد بكينا على الحــيــاة طويلا
ورأينا الحــيــاةَ من كل وجــهٍ | وعـشـقنا كـمـالهَـا المستـحيـلا
ورجــعنا إلى الحــقــائق حــتـى | لم نعد نحـسب الخيالَ جـمـيـلا
مــا لهــذا الليل البــهــيم حــزينٌ | مطرقٌ يبــحث الحــيــاةَ طويلا
سل عــيــونَ الظلام أنجــمــه الغـ | ـر أمَــا آن حـــزنُــه أن يزولا
أحــداداً على الورى يلبس الحــا | لك من جنحــه يئل أليــلا ؟[1]
أم لامــرٍ مــخــبــأ فى حــشــاه | لم يُدانِ ألبــابنا والعــقــولا ؟
أم ســديل يخــفى المقــادير عنــا | وستار فقد مللنا السديلا ؟ ![2]

الدفــين الحــى

أخــلاى لا والله مــا بىَ جــفــوةٌ | ولا أنا أخــشى أنهــا ســتكونُ
وأذكــركم ذكــر النعــيمِ ومــاله | من القلب إلا زفـــرةٌ وحنين
ولــكــن همًّــا فى الفــؤاد مقــرّه | وفى الدم والأحــشــاءِ ليس يهــون

(١) أليل الليل : ما يتخيله المرء من الأنين فى سكونه التام . وهذا خلاف صفة الليل بأنه أليل بسكون اللام فلا يلتبس على القارئ .   (٢) السديل : الستار المسدول .

تضيق عليَّ الأرضُ من جنباتها   كأني على قيد الحياةِ دفينُ
دفينٌ طواه الأقربون بلحده   وظنوه ميتاً إنها لظنون
رأوا غفوةً منه تغر كأنما   دهته من الدهرِ الخؤون منون
فدلَّوْهُ في قبرٍ سحيقٍ وأطبقوا   عليه رجام القبر وهو ركين[1]
أفاقَ وما يدرى أفي الحلم ما يرى   وهيهات منه إنه لدفين
فهاج هياج النسرِ في الأسر طرفُهُ   وأدركهُ حتى الممات جنون !

الحسن مرآة الطبيعة

قم بنا نعشقُ النجومَ حبيبى   أوشك الليل جنحه أن يزولا
قم بنا نخلس الزهورَ من الحـ   ـبِّ ونسقى الرحيقَ والسلسبيلا[2]
وأرى البدرَ فوق وجهك يا بد   ر نعيماً جمًّا وحسنًا صقيلا
قم بنا نعشق الحياةَ حبيبى   لا تدعنى متيمًا مخذولا
أنت مرآة ما يجيء به الكو   نُ من الحسنِ بكرةً وأصيلا
فأرى في الصباحِ منك ضياءً   وأرى في المساءِ منك ذبولا
وأرى فيك للظهيرة حرا   وفتوراً لذًّا وظلاً ظليلا[3]
وأرى فيك نسمة كليالى الـ   ـصيف حيث النسيمُ يسعى عليلا
وأرى منك في الخريف شبيهًا   ثمرًا يانعًا وزهرًا جميلا
كم جميلٍ يزهى بحسن عميمٍ   حجب الموتُ لحظه أن يصولا

---

(١) رجام القبر : أحجاره . والركين : الثابت .   (٢) خلس : أى سرق .
(٣) لذا : أى لذيذًا .

ذو بهاءٍ ونضرةٍ وضياء — منع الموت أمره أن يطولا

أكلته الديدان ميتًا وقد كا — ن يعافُ العناقَ والتقبيلا

هكذا سنةُ الردى وقديمًا — أهلك الناس نشأهم والكهولا !

سحر الربيع

أتعرف أنفاسَ النسيم المعطرِ — وبهجةَ أزهار الربيعِ المبكرِ ؟

وهل قمتَ في أظلاله بين نسمةٍ — تفوح وغصنٍ ناعم متاطر[1] ؟

وهل ذقت من غدرانه الماءَ صافيًا — فذقت به من نشوةٍ كأسَ مسكر ؟

وهل غرَّد الغرِّيدُ في فلق الضحى — ومن تتطاير شجوه الطيرُ يعذر[2]

كأنك منها بين عودٍ وقينة — ودفٍّ ومزمار وصنجٍ ومزهر

وهل ألقت الأغصانُ أوراقَ زهرها — عليك سقوط اللؤلؤ المتحدر ؟

وهل واجهتك الشمسُ من كل وجهةٍ — بضوءٍ كألهوب اللظى المستعر ؟

ونلتَ من الأزهار ما بين لؤلؤ — ودرٍّ وياقوت يروق وجوهر ؟

وهل حركت فيك الأزاهير صبوةً — يُشبُّ لظاها بالمنى والتذكّر ؟

وظل فؤادٌ بين جنبيك خافقًا — خفوقَ الرياح بالرداءِ المنشَّر

وإن يك حالُ القلبِ عما عهدته — فهل دام ذو عهدٍ فلم يتغير[3] ؟

وهل مدّت الأشجارُ نحوك شرَّعًا — غصون جنى من مثمرٍ أو منور[4] ؟

وهل ذقتَ طعمَ الحبِّ تحت ظلالها — وفزتَ بيومٍ طيب الذكرِ أزهر ؟

---

(١) متاطر : أي متثني .

(٢) الغريد : الطير المغرد .

(٣) حال : أي تغير .

(٤) الغصن المنور : أي الذي به نور وهو الزهر الأبيض .

وشاب بياضَ النور للشمس صفرةٌ فظل كليلٍ ساطعِ البدرِ مقمر
هناك يلذّ النفس أن تُحدث المنى وتبصر حلمَ المطلبَ المتوعر[1]
إذا أنتَ لم تدر الربيعَ وسحره ومن يلق مالاقيت يا قلب يُسحر
ولم تعترف بالحبِّ والوجد والصبا ولم تر أثناءَ القضاءِ المقدر
ولم تسرِ ليل الصيفِ في أخرياته ولم تر صبحًا كالغدير المفجَّر[2]
وإن أنت لم تَهوَ النجوم وومضها ولم تدر منها مَخبرًا أيَّ مخبر[3]
ولم تلتمس في كلِّ شئٍ جماله ولم تهوَ وجهَ الحسن في كل منظر
فكن حجرًا لا حس فيه للامسٍ عديم الحجى ملقى بأكتافِ محجر!

جنة الحب وجحيمه

ما أحسنَ الحبّ يا حبيبي وأحسن الحسن لو يدومْ!
لست أريد الخلودَ دارًا إلا إذا كنتَ لي نديمْ
ما أهون البؤس حين تبدو وأهون الوجد والهمومْ
متى أراكم فأى عيشٍ أخشاه أو حادثٍ أليم
ونظرة منك يا حبيبي أشهى من الخلد والنعيم
من جنة الخلد فيك حسن وفيك من زهرها نسيم
فأنت زهري وأنت خمري وأنت برقي الذى أشيم
وأنت لي بالنهار شمسٌ وأنت بالليل لي نجوم

---

(١) أى أن جمال الرياض يبعث على التمنى . (٢) أى انبعاث الضوء فى الصباح مثل انبعاث الماء المتدفق . (٣) مخبراً : أى الشئ المختبر المعهود لكثرة ترديد البصر فيه .

إن غـــيتَ عنى فـــأى نورٍ ... أراه أم مـــطـــلـــب أرومْ ؟
إن غبت عن مسمعى وطرفى ... فالعيش من بعدكم جحيم
وإن تعـد لى يعـد نعـيـمى ... وينجلى الشكُّ والغـيـوم
وإن تعـد لى يعـد سرورى ... وينقض الحـزن والوجـوم
أحب عـيـشـى إذا دنوتم ... والعيش من بعدكم عقيم
فـلا رجـاء ولا فـعـال ... ولا مـسـاعٍ ولا مَـرُوم
والعيشُ من حسنكم صحيحٌ ... وهو إذا غـبـتم سـقـيم
والعيش من لحظكم مضىءٌ ... وهو إذا غـبـتم بهـيم[1]
أنـتـم دواءٌ لـكـل داءٍ ... فـأبرئوا قلبى الكليم
فالقلبُ فى حبكم كتوم ... لكنَّ دمـعـى بـه نموم
غـداً ينال الممـات منا ... فـمن دفين ومن رمـيم[2]
فـخففـوا هجركم قليلاً ... فالموتُ من خلفنا غريم[3]
وكلنا بالحـيـاةِ صبٌّ ... لكننا للردى خـصـوم !

حسرة العيد

أعـيـدٌ وقلبى من رضـاك بعـيـدُ ... فيا عجبًا للدهر كيف يكيـدُ ؟
وهل لك فى ذا العيد يا قلب فرحة ... أم العيـدُ نحسٌ ليس فيه سعود ؟
وكيف يسر العيدُ قلبى ، وودكم ... وإن قـربت منا الديار بعـيـد ؟
وكيـف أرى للعيد طعمًا ولـذةً ... ودون فـؤادى من هواك وَقـود ؟

(١) بهيم : أى مظلم . (٢) الرميم : الذى صار رمة بالية . (٣) الغريم : المطالب بالدين .

أرى العيدَ يدنى من حبيبٍ حبيبه   وقلبى شقى من هواك وحيدُ

يهنئُ بعضُ الناسِ بالعيد بعضهم   وتترى وفود بينهم ووفود

وينسون ماضى البؤْس أو حاضر الردى   وتخفى ترات بينهم وحُقود[1]

وكلُ امرئٍ فى العيد بالعيدِ ناعمٌ   وكلُ محبٌ ضاحكٌ وسعيد

ولكنَّ لى فى العيدِ شجواً وحسرةً   وإنى لمن يلتذه لحسود

حنانيك يا شبه الربيع ويا أخا الـ   ـصباحِ فأيامى لبعدك سود

وما مرَّ بى يومٌ أودُّ ولم أقل   الا ليت أيامَ النعيمِ تعود

أظلُّ ولم ينعم بمرآك ناظرى   كأنى يتيمٌ فى الديارِ وحيد

فيا ليتنى طفلٌ يعيش بغفلةٍ   يلذ صباحَ العمرِ وهو جديد

ويا ربَّ طفلٍ فى الشقاءِ معذبٍ   أناخَ عليه الهمُّ وهو جدود

فياليتنى صخرٌ على الأرض هادئٌ   صبورٌ على مرِّ الزمانِ جليد

أتؤنسُ فى العيدِ الرياضَ وزهرَها   وتوحش قلبى وهو منك عميد[2] ؟

وما القلبُ إلا روضة الوجدِ والهوى   يرفَّ بها زهرُ الهوى ويميد

فللحبِّ أزهار ولكنّ تحتها   من الحبِّ حياتٍ هناك تَرُود

فمن غرّه زهرُ الغرامِ وحسنُه   أحسَّ دبيبَ السمِّ وهو شديد

إذا كنتُ لا أخشى ملامةَ لائمٍ   فكيف أسرُّ الحبَّ وهو جديد ؟

أخافُ عليه ظنةَ الناسِ إنهم   كلابٌ إذا كشّفتهم وقرود[3] !

---

(١) الترات : الأحقاد التى سببها الاعتداء بالقتل والتى يلزم من أجلها الثأر .

(٢) العميد : السقيم .   (٣) كشفتهم بتشديد الشين : بحثت عن أمرهم .

الخــوف والفــزع

حذرت الذى يمنى لى الدهرُ من أذى ... فيا ويح نفسى من عناءِ التفزعِ[1]

ويا ويح نفــسى كلّمــا لاح بارقٌ ... تطاير آمــالى ويهــتــاج مطمــعى

ويا ويح نفسى كلّما جاءَ كارثٌ ... ظللت وقلبى كالبناءِ المضعضع[2]

وحتّامَ هذا الخوف فى كلِّ لحظةٍ ... يدبُّ إلى قلبى وطرفى ومسمعى ؟

أفى كلِّ يومٍ حادث يستذلنى ... وفى كلِّ يومٍ لى طماح مودعى ؟

وفى كلِّ يومٍ خيبةٌ إثر خيبةٍ ... ولوعةُ قلبٍ ذى كلومٍ مُفزعِ ؟

وفى كلِّ يومٍ لى خليلٌ يخوننى ... وفى كلِّ يومٍ لى حبيبٌ مُفجعى ؟

وحتّامَ أرجو الموتَ لا أستطيعه ... وأفرق منه أن يلمَّ بمضجعى ؟

أعالجُ فى الأحشاء يأسًا ومطمعًا ... فيا بؤس أضدادٍ وبؤس المجمع

عسى أن يتيحَ اللّهُ صبرًا يحوطنى ... فتهدأ أضلاعى وترقأ أدمعى

وينقذنى من مهلك أى مهلك ... ويخرجنى من مجزع أى مجزع

أما فى ضياءِ الشمسِ مسلى لبائسٍ ... أناخ عليه الهمُّ من كلِّ موضع ؟

فمن لى بعيش لا أبالى صروفَه ... أقول لدهرى : طر بصرفك أو قعِ !

نعيشُ بغشٍّ منك يحلو لغافلٍ ... فأسدل علينا غفلةً ثم فاخدع !

نشــوة الحــب

نجواك فى العيش إسرارى وإعلانى ... وأنت بثى وتهيامى وأشجانى

---

(١) ما يمنى الدهر : أى ما يصيبك به ويقدره لك .

(٢) الكارث : الحادث المحزن .

بغَّضْتَ لي العيشَ حتى ما أُسر به ... إلا بقـايا رجـاءٍ ليس بالداني

الموتُ أروحُ لي والقـبـرُ أرفقُ بي ... من عـيـشـةٍ بين تحنانٍ وهجـران

ونظرة منك أهواها وآملها ... تودي بيأسي ولوعاتي وأحزاني[1]

جَربتُ فيك شجونَ الحبِّ قاطبةً ... وأوجه الحبِّ من قاصٍ ومن داني

فلم أدعْ شجنًا في الحبِّ أجهله ... ولا رميت بزقّ منه ملآن[2]

من حبِّكم صرت لا ألوى إلى أحدٍ ... حتى كأني غريبٌ بين أوطاني[3]

أمشي أحدث نفسي عن محاسنِكم ... حتى يخال حديثي لغو نشوان

نشـوان ليس له عـقلٌ فيسكته ... الحب خمري وليس الخمرُ من شاني

وأسأل النجمَ عنكم أين موقعكم ... من البلادِ وما للنجم عينان

يمر بي الناسُ لا أدري مرورهم ... فيستوي فيهم جهلي وعرفاني

أنكرت من حبِّكم ما كنتُ أعرفه ... فطالَ في الحبِّ إنكاري ونسياني

كأنما كلُّ مخلوق أمُرُّ به ... يصيح باسمكمُ في طي آذاني

فأحسب البدرَ صدّاحًا بذكركم ... والطير من ذكركم والزهر خلاني

والريحُ تشدو بكم والشمسُ تعرفكم ... والوردُ بالحبِّ ناداني وحياني

أنتم حياتي وأنتم مشتكى حزني ... وأنتم في مرائي الحلم نُدماني

يا بؤس للحب ، إن الحب ذو خُدع ... مثل السرابِ تراءى ثم أظماني

من لي بمن قلبه قلبي فأخبرهُ ... سرّي وأودعه شجوي وتحناني

فما اتخذت خليلاً غير مضطغنٍ ... ولا مررتُ بخلقٍ غير خوان[4]

---

(١) تودي بيأسي : أي تذهب به وتمحوه .

(٢) الزق : هو الإناء توضع فيه الخمر .

(٣) لا ألوى إلى أحد : أي لا آنس بأحد .

(٤) مضطغن : أي ذو ضغن وحقد .

والناس في العيش إن كشَّفت أمرهمُ ألفيتهم بين أضغانٍ وبهتان
إن الحمير – حمير الناس – نهقتها أودت برشد رجيح الرأى غضبان !
جهلٌ ولؤْم ، وأحقاد ومفسدةٌ والشر يجرع منه كل إنسان !

غاية الحب

أجِلْ في نجوم الليلِ لحظَك طرفةً فإني إليها في دجى الليلِ ناظرُ
عسى يلتقي لحظي ولحظك عندها فتعرف ما تُطوى عليه النواظرُ
عسى يلتقي روحي وروحُك عندها على لحظةٍ إن اللحاظَ بصائر
عسى يشعر الولهانُ بالقرب منكمُ ويجرى بكم منه على البعدِ خاطر
يحدثني عنك الهلال إذا بدا وتخبرني عنك النجوم الزواهر
وإني أحبُّ البدرَ من أجل حبِّكم وتسعدني حتى أراك الأزاهر
عسى تجمع الأحلامُ بيني وبينكم ومن لي بها والطرفُ باكٍ وساهر
وتذكرني في الحلمِ ، والحلمُ باطلٌ فماليَ في غير الكرى منك سامر
وهيهات لا في يقظة أنت ذاكرى وما لي في حلم الكرى منك ذاكر
وأهتف طولَ الليلِ باسمك جاهداً وهاجسُ هذا الذكر داءٌ مخامر
فتبدو لعيني صورةٌ منك غضةٌ ألذُّ بها حتى كأنك حاضر
فما لي سوى الأوهامِ منك عُلالة وما لي سواه منك عونٌ وناصر
سيبقى لكم في القلبِ وجد ولوعةٌ وذخرُ هيامٍ يومَ تبلى السرائر
ويبدو لكم ما كنتُ أخفيه جاهداً وفي البعث يبدو ما تكن الضمائر
فيا كعبة الحسنِ التي أنا عابدٌ مناسكُ تهيامي بها والمشاعر

وبا جنةَ الحـــسن التى أنا آمل ... غـــديرُك مـــلآن وزهرُك نـاضـــرُ

أمـا من سـبـيلٍ لى إليك ومنهج ... أم امـتنعت منى إليك المصـادر ؟

أظل إذا مـا لحت لى عن فُـجـاءةٍ ... فـؤادى مـخـمـورٌ ولبى طائر[1]

فليـــتك تحلو والحـــوادثُ مُـرةٌ ... وليـــتك وافٍ والأنامُ غـــوادر

إذا كنت لى خـدنًا ألوذ بحـبـِّـه ... فلستُ أبالى مـا تُعـِـد المقــادر

وإن نلت منك الودَّ والعطفَ والرضا ... فـلسـتُ أبـالـى أن تـدورَ الـدوائـر

وإن ترض عنى فـالحـيـاةُ جـمـيلةٌ ... وإن تُبـدِ صـدًّا فـالنهـارُ دياجـر

وإن حـيـاتى ليلة مـدلهـمـة ... فـهل تاتينِّى عن رضـاك البشـائر ؟

وإن تبدِ لى عطفًا فمـا الكونُ باطلٌ ... ولا العـيشُ خـوان ولا الدهرُ جـائر

لقد صـدقت متى الظواهرُ فى الهوى ... إذا كـذبت فـيـمـا تقـول الظواهر

أناجيك بالسحرِ الحلالِ من الهوى ... وبالسحرِ من شعرى فهل أنت شاعر ؟

أتذكـر ملقى بالحـديقـةِ طيـبًـا ... فـإنى له فى الدهر ما عـشتُ ذاكـر

أشـرت بتسـليـم ، فـسلمت مثله ... فرحت وقلبى من جوى الحبِّ حائر

فإن تهـجروا فـالقلبُ أسـوان بائسٌ ... وإن تعطفوا فالقلبُ راضٍ وصابر[2]

ورن تبـعـدوا فـالأرضُ جرداءُ جدبةٌ ... وإن تقـربوا فـالدهرُ فـينان زاهر[3]

وإن تغـربوا فـالعـيش أسـودُ داجنٌ ... وإن تشـرقـوا فـالعـيش ابلجُ ظاهر

حـيـاتى إذا مـا غـبْت عنى زواخـر ... تموج وإظلام الدجى والاعـاصـر[4]

---

(١) مخمور : أى أصابته نشوة الخمر . (٢) الأسوان : نو الأسى أى الحزين .

(٣) فينان : مورق . (٤) الزواخر : الأمواج العظيمة ، والأعاصر : الرياح الشديدة . أى حياتى مثل عاصفة فى البحر بالليل ، كثيرة الرياح شديدة الأمواج .

فــأى بقــاءٍ بعــدَ بُعــدك نافعٌ   وأى رجــاءٍ بعــد بعــدك باهرُ ؟
وإن كنتَ عندى جئت بالعقلِ والحجى   وإن لم تجئ فــالقلبُ مـجنونُ ثائر
وإنّ حـيـاتـى إنْ قـربتَ خـصـيبـةٌ   وإن حــيـاتـى إن بعـدت لعـاقــر
وآمنتُ أن الســحــرَ حقٌ فــإنما   فؤادىَ مـسـحورٌ وحسنُك سـاحـر
وآمنتُ أن الحــسنَ مُلْك ودولةٌ   فـقلبى مــاسـور وحـسنُك آمـر
وآمنت أن الحبَّ والوجـدَ ميـسـرٌ   فـقلبى مـقـمورٌ وحـسنُك قـامـر
إذا متُّ فــاذكــرنى وزرنىَ زورةً   وهل عــجبٌ فى أن تزار المقــابر ؟
وقِفْ وتأملْ مــا بدا لك طرفــةً   ألا كلُّ حىٍّ مـثل مـا سـرتُ سـائر
عسى دمـعة حَرَّى علىَّ تريقـهـا   وقد يعظ الموتُ الفتى وهو سادر[1]
فــلا تنذعــر فــالموتُ غــادٍ ورائحٌ   وكلُّ جــمـيـلٍ فــهـولابد غــابر
سينفـذ فـيك الموتُ أمرًا مقـدرًا   وتلقى الذى قد كنتَ قدمًا تحاذر
ويأكلُ منك الدودُ ما شاءَ حقبـة   ووجـهك مقبـوحٌ وعظمُك ناخـر
وريحك ريح النتْن لا نتن مــثله   تُســد إذا مــا شُم منه المناخــر
فلا تحسبنْ أنى من الموت ضـاحكٌ   ولا تحسبنْ أنى بحسنِك سـاخـر !
ولكن وجــدى منك جنَّ جنونه   فها أنا من حبى لحسنك هاتر ![2]
أمــا رحـمـة ترجى لديكم لبـائس   حـزين عليلٍ ، حبـه لك طاهر ؟
وفى القـرب لو تدنو دواءٌ لهـمِّـه   وإنك إمــا غـبت فـالهمُّ حـاضـر
فيا بؤس نفسى منك يابؤس عيشتى   أمـا آن أن تغـشى المنايا البـواكـر ؟
أمــا آن أن ألقى حِـمـامًـا يريحنى   فـتهـدأ أضـلاعى وتهـدا المحاجـر ؟

---

(١) السادر : المنغمس في لذات الحياة الخليع بها .

(٢) الهاتر : الهاذر الهاذى .

أمـا آن أن ألقى قـضـاءً يميـتـنى ... فيرتاح حسادى وتسلو العواذرُ ؟
وينســانىَ الخلُّ الوفىُّ لميـتـتى ... كـأنْ لم تكن والحىُّ للحىِ ذا كـر
وينسانىَ الوغدُ اللئيم لميتتى ... ويرتد عنى نابُه والأظافـر !
أما آن أن أنسى الحياةَ ولؤمـها ... فلا طمعٌ يردى ولا اليأس ذاعـر
أمـا آن أن يبكى لى الأهلُ طرفـة ... وأُصبح ممن غيبتْه المقابر
وأصبح لا قلبى يجن بذكـركم ... ولا أنا مهجورٌ ولا أنت هاجـر
إذا مـا الردى بالمرءِ حلّ قضـاؤه ... رويدك لا تغنى لديه المغافـر[1]
وإنى أحس الموتَ يسرى دبيبـه ... بروحىَ حتى فيـه منه بوادر
نعيت لكم نفسى فلا لومَ بيننا ... فوقع المنايا بيننا متـواتر !
فـإمـا غـداً أو بعـد ذاك وإنما ... تغادى المنايا شملنا وتباكـر
سلامٌ عليكم حيث كنتم فإننا ... سيهلك منا أولٌ ثم آخـر !

الشعر والطبيعة

إذا غنّت الأطيار فى الأيك صدَّحًا ... تغنت لأشجان الفؤادِ طيـورُ
وللريح هبـاتٌ وللنفسِ مثلها ... تغنى رُخاء فيـهما ودبـور[2]
وما الشعرُ إلا القلب هاج وجيبُه ... ومـا الشعـرُ إلا أن يثيرَ مثيـر
نرى فى سماءِ النفس ما فى سمائنا ... ونبصر فيـها البدرَ وهو منيـر
وما النفس إلا كالطبيعة وجهها ... رياضٌ وأضـواءٌ بهـا وبحـور

(١) المغافر : جمع مغفر وهو ما يتقى به فى الحرب . (٢) الرخاء : ريح لينة ، والدبور : ريح شديدة .

وَفيها صراخُ اليمِّ إن ماج موجهُ — وفيها خريرٌ خافت وغديرُ[1]

وليلٌ وإصباحٌ لها وكواكب — تسير بآفاق بها وتدور

إذا كنت في روضٍ فقلبيَ طائرٌ — يغنِّي عَلى أغصانه ويطير

وإن كنت فوق البحرِ فالقلب موجةٌ — تَسرَّبُ في أمواجه وتسير[2]

وإن كنت فوق الشُّم فالقلبُ نسرُها — وللنسرِ في شمِّ الجبالِ وكور[3]

وَتنثر أغصانُ الخريفِ زهورَها — كما جاد بالشعرِ الجليل شعور

فيا قومُ ما للجهل ملء عيونكم — ألستم ترونَ الدائرات تدور ؟

لبستم على الأيام ثوبَ مذلةٍ — فكيف بنضو الثوبِ وهو نضير ؟

إذا صاح ذاك العَيرُ فيكم صياحه — طربتم وقلتم شاعرٌ وكبير[4]

ويزعجكم أن الطيورَ صوادح — ويطربكم أن الغناءَ نعير

أصاب ذكائي منكم بردُ طبعكم — وأطفأ مني القلبَ وهو قدير

ويصدأ طبعي في خبيثِ هوائكم — وجوكم بالداهيات يمور[5]

فلا تحسبوا أني أقولُ لتسمعوا — ولا أن مثلي بالقنوط جدير[6]

وماذا يفيد الشعرُ والقلب ميتٌ — وهل للنفوس الهامدات نشور ؟

إذا كان يحيي الشعرُ نفساً مريضةً — فهيهات تحيا النفسُ وهي قبور !

الأزاهير السود[7]

قد جنينا من أزاهير الردى — زهرة اليأس وأزهار الأسى

---

(١) خافت : أي صوته ضئيل . (٢) تسرب : أي تتسرب . (٣) الشم : أي الجبال الشم وهي المرتفعة .
(٤) العير بفتح العين : أي الحمار . (٥) يمور : يزخر ويموج كالبحر . (٦) القنوط : شدة اليأس .
(٧) المقصود بالأزاهير السود : لذات الحياة التي تعود بالألم ، وتكون عاقبتها الندم واليأس والشقاء .

زهرةٌ سوداءُ لا تَعدلهُا زهرةٌ حمراءُ من زهر الهوى
كيف نهوى زهرةً ، أوراقها من دموع الصبِّ تندى والدما ؟
تشعل الوجدَ ولوعات الغليلِ وهى مثل الجرح فى صدر القتيلِ
ودماءُ القلبِ تجرى بمسيل دمه رى جذور وأصول
كلما زادَ احمراراً لونها راح جسمى بشحوبٍ ونحول
قد جَنينا من أزاهير الشقاء زهرةً سوداء من زهرِ القضاءْ
تُبدلُ النفسَ سواداً من ضياءْ ليس تنمو فى رجاءٍ أو رخاء
تنفح السم أريجاً والبلاءْ وهى تغذى من زفير وبكاء
كم جنينا من أفانين الألم زهرةً سوداء من زهر الندم
لونها المأخوذُ من لونِ الظلم عابسٌ فوق شفاه المبتسم
زهرةٌ سوداءُ من زهر النقم فهى طيف من ممات قد ألم
كم جنينا من أزاهير القدر وأفانين صروف وغير[1]
زهرةٌ سوداء من زهر الضجر وهى من نبت هموم وكدر
فهى بالليل سهادٌ وسهر وهى فى الصبحِ الشقاءُ المنتظر
هذه الأزهارُ سودٌ كالقضاءْ فى رياضٍ من شقاءٍ وعناء
ليس لى منها مفرٌّ أو نجاء فهى حولى فى صباحٍ ومساء
إن هذا العيش داءٌ أى دواء ليس يمحى بشكاة أو بكاء !

طبع الإنسان

إنما المرءُ خيالٌ زائل سعةُ الآمال فيه كالقِدمْ

(١) الغير تقلبات الدهر .

مـــثل قـــدر الخلدِ أطمـــاع لـه ... وبـه عــجــزٌ وضـيق فى الهـمـمْ

ويـودُّ المرءُ لـو نـال الســـــهى ... وهو فـــوق الأرضِ لما يحــتكم

فـــهـــو مـــثلُ الطفلِ فى آمـــاله ... يبـتـغى النجمَ منالاً من أَمـم[1]

سـفـهـاً أنظم فى وصف الهـوى ... ولقـــد أنظر مــــا تاتى الأمـم

من ذنوبٍ مـــا لـهـــا من رادعٍ ... تتــــرك الناسَ على بؤس وهـم

غـاب رشـدُ الناسِ عن أنفســهم ... ضـــاع منهم تحت أشـلاء الرمـم

يُقـــتلُ المرءُ على الجـــرم ولا ... يُســأل الجـبارُ عـمـا يجـتـرم[2]

اســعـــد النـاسِ قــتـيلٌ هالكٌ ... ربَّ عـــيشٍ هو شـــرٌّ من عـــدم

إن بـالمرءِ جنونًـا جــــاعـــلاً ... نوبةً للشـــر فـــيــه تحـــتــدم

لا ينــال الـبُـرْءَ مـــن نوبتـــه ... أو يـذيـع الـشـــرَّ منه والألـم[3]

هل لنا من كــوكبٍ ذى مـــرَّة ... يصـدع الأرضَ إذا مـا يصطدم[4]

فـيـريح النــاسَ من آلامــهـم ... ويـزيـل الـشـــــرَّ منا والـتـهـم

حـدَّث الدهرُ حـديثـاً صـادقـاً ... إنمـا الـنــاس قـطـيـعٌ مـن غـنـم

وصــفــاتُ الذئبِ طبعٌ فـيـهـم ... وصــفـاتُ القـردِ والكلبِ النهم

أين فــخـــرُ الناسِ بالعلم ومـــا ... يردع الأهواء من خـيـرِ الحكم ؟

يبـــسط العلمُ عليـهـم جلدةً ... بضـةَ الملمس تخـفى من نقـم[5]

جلدة الـسخل بهـا الذئبُ ارتدى ... فـــإذا مـــا غـــفل الراعى هجـم

---

(١) أمم : أى قريب . (٢) أى أن الرجل يُقتل إذا قَتل ، وأما الجبابرة من الملوك والحكومات فلا يحاسبون على ذنوبهم . (٣) أى أن الشر نوبة عصبية تاتى للإنسان فلا تزول عنه حتى يفعل الشر . (٤) المرة : الشدة . (٥) بضة : أى ناعمة .

وإذا مـــا اقـــتـــدر المرءُ سطا وإذا مـــا ضـــعـف المــرءُ حـلـم
لا تُرجى منهمُ مـــرحـــمـــة رحمةُ الخب بكى حتى احتكم[1]
لـو يكـون المرءُ فـــينا آمناً سطوات الشـــرّ منا مـــا رحم
نحن نبكى رحـمـةً من خـشـيـةٍ أن نعانى الضيمَ من خطبٍ يُلم ![2]

الحب واليأس

حـــجـــبت عـــيناك عنى نورَها وابتـسـامـاً فـيـهـمـا كـان يجـول
فـــحـــيـــاتى كظلامٍ حـــالكٍ ونجـومى قـد تقـاضـاها الأفـول
كنت أسـتـهـدى بمصباحِ الهوى فى طريق العـيشِ والعـيشُ وعـر
كنت أســـتـــهـــدى بنورٍ منكمُ فـحـجـبـتم نورَ قلبى والبـصـر
صـرت أسـتـهـدى بنارٍ للشـقـاءْ فى ظلامِ اليـأسِ تخـبـو وتنيـر
تقـصـر الأشـجـان فـيـهـا وتطول كـلمـا هبَّت بهـا ريحُ الزفـيـر
فـهى كـالأشـبـاحِ فى جنحِ الظلام راقـــصـــاتٍ بين نارٍ ورياح[3]
راقـصـات كـشـيـاطين الدجـى مُحييات للدجى حتى الصباح[4]
فاهجـرونى إن سـمـعتم من نصيحٍ مـا عليكـم من مـلامٍ فى جـفـاء
إنَّ حـــبّى مـــثلُ داءٍ قـــاتل فـاسـتـجـيـروا بمفـرٍ أو نجـاء

---

(١) الخب : المخادع . (٢) أى أننا نرحم التعيس خوفاً من أن يحل بنا ما حل به فالرحمة منشؤها الخوف . (٣) أى أن أشجان المرء التى تخرج بها من صدره أنفاسه وتظهر فى نار شقائه تحت جنح رأسه مثل خيالات الأشياء الواقعة قرب نار تهب بها الرياح العاصفة فتطول وتقصر فيحسب الرائى أن هذه الخيالات شياطين . (٤) أحيا الليل أى سهره .

أنتم كالزهرِ تمحو زهوه ... ريحُ سوءٍ حملت جرثومَ داءْ

إن حبى ريح سوءٍ قتلت ... زهو قلبى من حياةٍ ورجاء[1]

فاحذروه واتقونى جهدكم ... إن فى قربى لكم عدوى الشقاء !

الحبيبان

مناجاة الحبيب الأول

يحكى فؤادى فى هواك الجحيم ... وأنت إبليس لذاك الجحيمْ

بالشرِّ ألحاظك مبثوثة ... وبالرزايا والبلاءِ المقيم

وخدُّك المشبوبُ فى حمرةٍ ... كالجمرِ يذكو للعذابِ الأليم[2]

والريقُ كالمهل شرابُ الردى ... يُظمى ولا يشفى أوام الكليم[3]

وحرّ أنفاسكَ فى مرِّها ... يلفح لفحًا مثل لفح السمُوم[4]

ياتائهاً يختال فى مشيه ... كالصلِّ إذ يعوج أو يستقيم[5]

عيناك يغرى لحظها بالبغاءْ ... أحب عشاقك فينا الأثيم[6]

أنت إله الشرِّ فى حسنه ... وقبحه ، ويح لحسنٍ ذميم !

مناجاة الحبيب الثانى

يا جنةَ الحبِّ وروضَ النعيم ... لأنتَ برءٌ للأسى والهمومْ

(١) كما أن الرياح الحاملة للجراثيم تهب على الأزهار فتمحو نضارتها ، كذلك أخشى أن يصيبكم من حبى ما يمحو جمالكم وسعادتكم من قربى لكم ، لأن قربى لكم يعدى بالشقاء .

(٢) يذكو : أى يشتعل . (٣) المهل : شراب الجحيم . والأوام : العطش . والكليم : المجروح .

(٤) السموم : ريح حارة خانقة قاتلة . (٥) الصل : الثعبان . (٦) البغاء : الفسق والمنكر .

يا جنةً تتحــــرك قلبى لهــــا كــالروضــةِ الغناءِ ذات الكروم[1]

يا جنة مـــا إنْ بهـــا حــيـــةً ينفث سُمًّــا فمـهـا أو سـمـوم

يســعى إليك الكونُ من بدئه كما سعى نحو الطبيبِ السقيم[2]

فلفظك العـذبُ رحيقُ الهـوى ووجــهُك الزاهر زهر عــمــيم

تُبــرئ أنفــاسك فى مُــرِّها من الجوى والوجـد مثل النسيم

وطىّ ألحـــاظك نورُ الهـــدى ودون أضـــلاعك قلبٌ رحــيم

وأنت كــالدمـيـةِ فى شكلهــا وحسنِها الخالد خلد النجوم[3]

للخيــر فى الحسنِ خلودٌ فــلا يصيبه الدهرُ مصاب الجسوم[4]

صداقة الأموات والأحياء

لأى أمــرٍ خــذلتــمــونى يــا أهلَ ودّى وإخــــوتـى ؟

كــأنكم مــا صحــبتــمـونى إلا لنحــسى وشــقــوتـى !

أمـــا كـــفى وقع نائبـــات يقـــرعن عــودى ومــروتى ؟[5]

حــسبى ســقـامى وطول همى وذلُّ عـــدمى ولــوعــــتى

كلكم كــــاذبٌ حــقــــود يشـــعلُ يأسى وحــســرتى

أين الأُولى قـــربهم شــفــاءٌ يكشف غــمـى وكـــربتى ؟

مـــرآهم نـشـــوةٌ وسـكـرٌ ونطقـــهم برءُ غـلـتى[6]

---

(١) الكروم : أشجار العنب . (٢) أى : أنت مثال الكمال الذى ينشده العالم ويسعى إليه الكون .

(٣) الدمية : التمثال الجميل . (٤) أى : أن الجسم يفنى ولكن الحسن والخير يبقى .

(٥) يكنى بقرع العود والمروة عن وقوع المصائب بالإنسان . (٦) الغلة : الظمأ الشديد .

أواه من وقعة المنايا	يقعن في خير نخبتي
ما العيش عيش إذا تناءوا	وصرت أبكي لوحشتي
كيف أرجي بكم شفائي	وأنتم أصل علتي ؟
كأنني بينكم غريبٌ	أندب حظيّ وغربتي
أنتم سهام تهيض عظمي	وهم وقائي وجُنتي[1]
لا يرتجي منكم معينٌ	يغني إذا النعل زلت[2]
غداً ينال الحِمام منا	بكل شمل مشتت
حتى كأن لم نكن نرائي	على دهاء وخدعة[3]
نعيشُ بالغشِ ما حيينا	غش عدى أو أحبة
حتى إذا لاحت المنايا	وربّ حي كميت
طهرنا الموت من خطايا	بَيِّنة في الأسرة
ننسى عداء الذين ماتوا	والحيُّ يقلى بزلة
فنحسب الميت ذا وفاءٍ	نبكي عليه بحرقة
ولو يعود الدفينُ حيًّا	من بعد نشرٍ ورجعة
لصار في وده كذوبًا	وعاد يُمنى بظنة[4]

(١) الجنة : بضم الجيم ما يحفظ الإنسان به ، أي ما يلبسه وقاية لنفسه .

(٢) إذا النعل زلت : إذا حل بالإنسان ما يوجب المعاونة وشد الأزر .

(٣) أي نموت وننسى فكأننا لم يخادع بعضنا بعضاً .

(٤) أي إذا مات صديق نسينا هفواته ، أما الحي فإن زلاته حاضرة ، ولذلك نظن الصديق الميت كان خيراً من الصديق الحي ، ولكن لو رجع الميت إلى الحياة لعددناه كذوباً في وده وصرنا نصيبه بالظنون والتهم .

شاعر يحتضر

أألقى الموتَ لم أنبه بشعرى ... ولم يعلم سوادُ الناس أمرى ؟[1]

وفى نفسى من الأبد اتساقٌ ... تدور الكائنات بها وتجرى

فمن للقلب يطربه بلحنٍ ... يحن إليه من نظمٍ ونثر ؟[2]

ومن للكون يرمقه بفكرٍ ... شبيه الكونِ فى سعةٍ وقدر ؟

ومعنى الخلد يصغر عند نفسى ... يضلّ الخلدَ فى أنحاء فكرى

إذا ظمئ الفؤادُ إلى كمالٍ ... رأى طولَ الخلودِ كقيد شبر

رأيتُ الناسَ مثل البحر لجّا ... وكم فى البحر من صدفٍ ودر

هى الأقوام كالأمواج تعلو ... كذاك الموج يسفل حين يجرى

صحوتُ من المعيشة بعد سكرٍ ... فيا لهفى على نشوات سكرى

شربت الحلوَ من كاسات دهرى ... كذاك المرّ من كاسات دهرى

وحالات البقاءِ لها خمارٌ ... على طعميه من حلوٍ ومر

فحالاتُ السرورِ لها عقارٌ ... وللأرزاءِ فينا كأس خمر

وكان الجهلُ لى عيداً فولّى ... فيا شوقى إلى جهلات عمرى ![3]

وأعقبت التساؤلَ والتقصى ... وما فى ذاك من غبنٍ وخسر

فمن لى بالسكينة فى حياةٍ ... أعالجها كأنى رهن أسر ؟

ظمئت إلى الكمالِ فلم أنله ... وذقتُ اليأسَ فى صلةٍ وهجر

---

(١) لم أنبه : أى لم أشتهر . وسواد الناس : جمهورهم .

(٢) أى إذا مت فأى شاعر يطرب القلوب بألحان شعره .

(٣) كان الجهل عيداً لأنى لم أفكر فى الحياة والغرض منها ، وشقاء الناس فيها .

وعـالجتُ العـواطفَ هائجـات ... هيـاج النارِ من لهبٍ وجـمـر
وحملتُ الحيـاةَ بنظم شعـرٍ ... شبيـه الضوءِ في الأفقِ الأغـر
قـصـائد نيـرات خـالدات ... خلود النجم من شـهبٍ وزهر

أمــل قــديم

ذكراك كالغيثِ تحيي جدبَ آمالي ... وتنقل العيشَ من حـالٍ إلى حـال
من بعدما طُويت نفسي على مضض ... وراح بي اليأسُ بين الصحب والآل
وطالعتني خطوبٌ كلما عصفت ... عـفَّت على أملٍ كالمنزلِ الخـالي
حتى كأن فؤادي منزلٌ خـربٌ ... مـهـدَّمٌ بين آثـار وأطلال
من بعدما يئست نفسي وما بلغت ... من الحيـاةِ لباناتي وآمـالي[1]
وظَنتُ نفسيَ أن أحيا إلى أمدٍ ... من الحياةِ سقيمَ الوجهِ والحال
حتى رأيتُ بروقاً منك صادقةً ... تستنزل البرَّ في دفقٍ وتهطال
فصرت أثني على عيشي ولذّته ... وكنتُ أثني على موتٍ وآجـال
متى أراني ولي من رعيكم سببٌ ... جمُّ الأماني رخيُّ العيشِ والبال ؟
أضحى رجائيَ مثل الشمسِ منتشراً ... يجلو همومِيَ في حلٍّ وترحـال
علَّ الزمان يرى ما لستُ أكتمهُ ... من الرجاءِ فيدني بعضَ آمالي !

مـرآة الضمـائر

ضـمـائرُ هذا الخلق مثلُ طباعِه ... وكم من ضميرٍ لا ينهنه بالزجر[2]
وكم من ضمير فاسدٍ تستشيره ... فتلقاه عند الخير والشرِ لا يبرى[3]

(١) اللبانات : الأوطار . (٢) لا ينهنه بالزجر : أي لا يردع عن الشر .
(٣) لا يبرى : المقصود بها أنه لا يميز الشر من الخير أو لا يفيد . والبرى : هو القطع .

وبعضُ المرائى خادعٌ غيرُ ناصحٍ يواجه وجهاً منك بالحسن والبشر[1]

ولكن منها صادقًا غيرَ كاذبٍ يريكَ الذى قد بتَّ تخفيه فى الصدر

فإن ترَ يومًا مثلَها من وذيلةٍ فليس لها خيرٌ لديك من الكسر[2]

إذا لاحَ يومًا شكلُ وجهك فوقَها تبيت على ذعرٍ وتصحو على ذعر

ترى فوقها ما بتَّ تخفيه جاهداً من السوءِ والأحقادِ واللؤمِ والشر

يرى الناس فيها أوجهًا كلها خنا يلوحُ كما تبدو الجماجمُ فى القبر

وفى كلِّ وجهٍ لو فطنت إشارةٌ تدلُّ على ما فى الضميرِ من السر

وفى كل وجهٍ من جنونٍ ومن أذى ملامحُ لا تخفى تناديك بالجهر

وكلُّ ضميرٍ لو فطنت مخادعٌ وكلُّ ضميرٍ لو بدا لك فى خسر

بنى آدمَ لا تذكروا العدلَ ذكرةً فما العدلُ إلا ما ترون من الأمر

إذا ما بدت من مطمح المرءِ حاجةٌ فلا عدلَ يرضاه ولا رحمة تسرى

وكلُّ ضميرٍ بالمعاذير مولعٌ إذا ما أتى ذنباً أحال على العذر

وقد يحسبُ الشر الوجيعَ فضيلةً إذا خال فيه ما يلذ من الخير

وقد يحسبُ الشئَ الحرامَ محللاً إذا ظن فيه ما يصاب من التجر

وقد يحسبُ العدل المبينَ ظلامةً إذا خاف منه ما يعاف من الضرّ

إذا ما بدا لى البشرُ فى وجهِ صاحبى أظلُّ مَرُوعًا خوفَ عاقبةِ البشر

يحييك من ألحاظه بطلاقةٍ ويأكلُ عِرْضًا منك بالنابِ والظُّفر

وكلُّ صديقٍ إن رأى بك حسرةً وكان بخير قال حظُّك فى الصبر

---

(١) المرائى : جمع مرآة ومرأى . (٢) الوذيلة : المرآة .

هو الصبرُ حلوٌ للذى لا يذوقُه فإن ذاقه فالصبرُ شرٌ من المرّ !

ولو كان للآثامِ ريحٌ خبيثةٌ تطيَّب كلُّ الناسِ بالندِ والعطر

ولو كان سوءُ النفسِ داءً بجلدهم لأصبح كلُّ الناسِ يوسم بالعر[1]

فعالهمُ حتى الطلاقةُ متجرٌ وربح فإنَّ البرَّ يبذل للبر

همُ ساوموا الخلاقَ فى كلِّ فعلةٍ يبيعون خيرًا بالجزاءِ وبالأجر

هم يحسبون الدينَ رزقًا ومتجراً فيا عجبًا للدين يخلط بالنكر

فعدلهم ظلْم وخيرُهم أذى وودُّهمُ ود ينغص بالغدر

وصدقهمُ كذب وكلُّ فعالهِم رياءٌ كان الغشَ فى دمهم يجرى !!

عناء الطيف

أرحنى يا طيفَ الحبيبِ بهجرة فإنك تورى حسرتى وتزيدها [2]

ويا طيفَه أنت السرابُ تكيدنى وحولىَ صحراءُ الغرامِ وبيدُها

تروّعنى بالشوق فى كلِّ طرفةٍ إذا ما انقضت لوعاتُ شوقٍ تعيدها

ويا طيفُ قد قطّعت قلبى صبابةً وعذب عينى دمعُها وسهودها

ويا طيف لا فى يقظةٍ أنت تاركى ولا فى هجود العينِ يحلو هجودها

وتشعل من شوقى الذى أنا مطفئ وتحدث منه لوعة لا أريدها

وتبتعث النفس اللجوج إلى الهوى وقد شفّها أن لا حبيبَ يعودها

كفاها من الوجدِ الأليمِ قديمها فيا بؤسها إن لم يمتها جديدها

حنانيك لا حبى قليلٌ ولا الهوى لذيذٌ ولا الآمال يدنو بعيدها

---

(١) العر : الجرب . (٢) تورى : أى تشعل .

وإن لنفسي كل يومٍ شقاوةً … حبيبٌ ينائيها وخبٌّ يكيدها

أما آن أن تلقى مماتاً يريحها … فيُصدع عنها كبلها وقيودها

حياتى على الهجران شر من الردى … فواحسرتا أن لا حمام يبيدها !

ويا طيف أنت البوُّ فيك مضاضة … وسخر وأم البوِّ أودى وليدها[1]

أبيتُ طوال الليلِ أبكى بحرقةٍ … كأنىَ ثكلى قد أصيب وحيدها

فيا ليت أن العمرَ أنغامُ منشدٍ … إذا ما مضت لى لذة أستعيدها

ولذات نفسى فى الحياةِ قليلةٌ … فيا ويحها إن لم أجد من يعيدها

لقد قسمت في الحبِّ بينى وبينكم … جدود الهوى والنفس شتى جدودها[2]

فإن جدودَ الحبِّ عندى نحوسها … وإن جدودَ الحبِّ فيكم سعودها

وللريحِ هباتٌ وللشوقِ مثلُها … وهباتُ شوقى لا يصاب ركودها

يسومون نفسى الصبرَ والصبرُ قاتلٌ … لقد صبرتْ لو أن ذاك يفيدها !

سلوان الجنون

عسى ينعم الولهانُ منك بنظرةٍ … وهل بعدكم فى العيشِ حسن فينظرُ

عسى بالضلوع الخافقاتِ من الجوى … تقرُّ وبالقلبِ الجريحِ فيجبر

عسى تُسعد الأقدارُ يومًا بودكم … فيا طيبها لو أن قرباً يقدر

عسى أن يعودَ النومُ عيناً كليلةً … فلا الدمعُ يقذيها ولا النومُ ينفر

عسى أن يعودَ العيشُ جمًّا ضياؤه … وأحمد من مرآه ما كنتُ أبصر

---

(١) البو : جلدة ابن البقرة التى تحشى تبناً وتوضع أمام البقرة كى تحن إليها وتدر لبنها .

(٢) الجدود : الحظوظ والأقسام .

عسى هجرة تدعو المحبَّ فيرعوى ... إلى سلوةٍ تنهى الفؤاد فيزجرُ
فلا تحْزنَنْ إن أدركتنىَ سلوةٌ ... فأنت الذى علمتنى كيف أصبر
عسى أن تجنَّ النفسُ فيكم جنونها ... فلا ذكرة تصبى ولا فكر يخطر
فإن جنونَ النفسِ سعدٌ وراحةٌ ... وإن عناءَ الحبِّ ذاك التذكر
فأنساك حتى لستُ أدرى : أعائش ... على الأرضِ تسعى أم دفين معُفَّر !
وأنساك حتى لو عرضت مسلمًا ... لما سرنى منكم سلامٌ ومحضر
وأنساك حتى لا أريد وصالَكم ... ولا الهجر يُجرى دمعتى حين تهجر
كأنك ما كنتَ الضياءَ لمقلتى ... ولا مسمعٌ فيكم لذيذ ومنظر
كأنك لم تضحكْ فتضحك عيشتى ... ولم تكُ غضبانًا فتدجو وتكدر
ولم تك لى الماءَ الزلالَ على الصدى ... إذا ذاقه الظمآنُ يروى ويسكر[1]
كأنىَ لم أقضِ النهارَ بحسرةٍ ... ولم أك حتى مطلع الفجرِ أسهر
ولم يجر دمعى حرقةً وصبابة ... ولم يك قلبى والهاً يتسعر
ولم يك لى فى كلِّ قولٍ تقوله ... غناءٌ وألحانٌ تروق وتسحر
كأنىَ لم أعشقك فى كل نبضةٍ ... لقلبى ولم أعشقك من حيث أشعر
كأنى لم أعشقك فى كلِّ طرفةٍ ... لعينى ولا فى خطرةٍ حين تخطر
ولم أكُ من خوفى عليكم مروَّعاً ... أبيت حذار السوءِ أبكى وأذعر
ولم أكُ من شوقى أمرُّ ببيتكم ... وأنتم نيامٌ ، خائفاً أتستر
فإن يبلغ الحبُّ الجنونَ فلا تلم ... أما كل مجنونٍ على الهجر يُعذر ؟

---

(١) الصدى : الظمأ .

ليس لى شغل سواك

ليس لى شـغلٌ سـواكْ ... فـاجِـز عنى جـفـاكْ [1]
شـقـيتْ بالناس عينٌ ... لا تـرى حـتـى تـراكْ
أنت خـيـرُ الناسِ روحـاً ... كلُّ مـخلوقٍ فـداك
لا يـطيـبُ الـعـيشُ إلا ... بالذى فـيـه رضـاك
أنت لا تعـرف مـا قـد ... بتُّ أخـفى من هواك
أنت مـعنى كلٍّ حسنٍ ... فلـه الله اصطـفـاك
أنت مـعنى وهو لفظٌ ... من عناءٍ قـد عناك
يـا نبىَ الحـسنِ إنى ... مـؤْمن يرجـو هداك
إن طـرفـى فـى عـنـاءٍ ... لـيت طرفى مـا رآك
إن قـلـبى فى عـذابٍ ... ليت قلبى قـد قـلاك
فَـخَـرَ الـكونُ وأبدى ... بهـجـةً حيث احتـواك
أظلمَ العـيشُ فـجُـدْ لى ... بضـيـاءٍ من سناك
بسـلامٍ أو كـلامٍ ... أجـتـنيـه فى لقـاك
إن نفـسى لك غـرسٌ ... كـيف لا ترجـو جداك [2]
إن نفـسى لك أرضٌ ... وقـعـت تحت عـلاك
أنت مـعنى كلِّ مـخلو ... قٍ فـلا حىّ سـواك !
فـتـعطفْ يا حـبـيبى ... لا تخـيِّب من دعـاك !

---

(١) أجز عنى : أى أزح عنى . (٢) الجدى : الكرم والنوال .

وابتسمْ يبتسم الدهـ ... ـرُ ويدجو من جفاكْ

وقعت نفسى من حـ ... ـبِّك فى شرِّ الشَّباك

ليس لى فيه معينٌ ... لا ولا منه فكاك

لمَ لا تدنى محبا ... كلما حنَّ بكاك ؟

ما درى للعيشِ معنى ... قلبُه حتى هواك

ما رأى للعيش حسنًا ... لحظُه حتى رآك

كيف تسلو عن محبٍّ ... بك صبٍّ ما سلاك ؟

لا هناك النومُ يا سا ... لب نومى لا هناك ![1]

ما هنانى النومُ مذ لا ... حت لعينىَّ حُلاك[2]

أيُّها القلبُ اسل عنه ... فهو لا يدرى لظاك

ناعمُ البالِ قريرٌ ... ليته عانى جواك

أيُّها النشوان من خمـ ... ـرِ الهوى من ذا سقاك ؟

أيُّها الواله من وجـ ... ـدِ الهوى ماذا دهاك ؟

ما نهاك الصدُّ والإعـ ... ـراضُ عمن قد جفاك ؟

ما أظن الحبَّ يحدو ... بك إلا للهلاك ![3]

حلم بالبعث

رأيتُ فى النوم أنى رهنُ مظلمةٍ ... من المقابر ميتاً حوله رِممُ

ناءٍ عن الناسِ لا صوتٌ فيزعجنى ... ولا طموحٌ ولا حلم ولا كلم

---

(١) لا هناك النوم : دعاء عليه بأن لا يتهنى بالنوم أى لا يجده هنيئاً . (٢) حلاك : أى محاسنك .

(٣) يحدو : أى يسوق . والحداء : هو الغناء للإبل كى تتحمل السير .

مطهر من عيوبِ العيشِ قاطبة … فليس يطرقني هم ولا ألم

ولست أشقى لأمرٍ لست أعرفهُ … ولست أسعى لعيشٍ شأنه العدم

فلا بكاءٌ ولا ضحك ولا أملٌ … ولا ضميرٌ ولا يأس ولا ندم

والموتُ أطهر من خبثِ الحياة وإن … راعت مظاهرُه الأحداث والظلم

مازلتُ في اللحدِ ميتًا ليس يلحقني … نبحُ العدوّ وبي عن نبحِه صمم

مرَّت عليَّ قرونٌ لست أحفظها … عدًّا كأنْ مرّ بي الآبادُ والقدم

حتى بعثت على نفخِ الملائكِ في … أبواقهم وتنادت تلكمُ الرمم

وقام حولي من الأموات زعنفةٌ … هوجاءُ كالسَّيلِ جمّ لجه عرم

فذاك يبحثُ عن عينٍ له فُقدتْ … وتلك تعوزها الأصداغ واللمم

وذاك يمشي على رجلٍ بلا قدمٍ … وذاك غضبان لا ساقٌ ولا قدم

وربَّ غاصبِ رأسٍ ليس صاحبَه … وصاحبُ الرأسِ يبكيه ويختصم

ويبحثون عن المرآةِ تخبرهم … عن قبحِ ما تترك الأجداثُ والعدم

جاءت ملائكةٌ باللحم تعرضه … ليلبس اللحم من أضلاعنا الوضم

رقدتُ مستشعرًا نومًا لأوهمهم … أني عن البعثِ بي نومٌ وبي صمم

فأعجلوني وقالوا : قم فلا كسل … ينجي من البعث ، إن الله محتكم

قد مُتَّ ما مُت في خيرٍ وفي دعةٍ … وقد بعثتَ فماذا ينفع الندم ؟

أستغفر الله من لغوٍ ومن عبثٍ … ومن جنايةِ ما يأتي به الكلم !!

---

(١) المقصود بهذه القصيدة السخر بالناس ورذائلهم التي لا تكاد تفارقهم حتى عند البعث .

صنم الملاحة

صنمَ الملاحــةِ والرشــا ... قــةِ واللـذاذةِ والألـمْ !
ناجــيتُ قلبَك كى يرِ ... قَّ فــمــا أحسَّ ولا رحـمْ
يقــسـو فـؤادُك يا صنم ... أو ليس من حــجـرٍ اصم ؟
وخـدعـتنى بغـدير حسـ ... ـنَك كــالســرابِ إذا ألم
وتركـتنى كـالمصـحـر الـ ... ـظمــآنِ يهلكه السـقم
صنمَ المــلاحــةِ زفــرتى ... تحــيــيك من سنة ونوم
وتبـثُّ فــيك الحبَّ يا ... صنم الملاحـــةِ يا صنم !
فـتـحس فـيك شجـونه ... وتـصــيــر من لحم ودم
فــدع الجــمــودَ لأهله ... إنَّ الجــمــودَ هو العـدم
صنم الملاحــة إن حــســ ... ـتَك مـثلُ ألحــانِ النغم
فـإذا لقــيـتكَ أو سـمـعـ ... ـتكَ أو رأيتـكَ فى الحلم
تـدع الفــــؤادَ كـطائـرٍ ... إنْ هـمَّ بـالطيـــرانِ لـم
وتنام ليلك ناعـــمــاً ... وأبـيـت لـيـلـى لـم أنم
صنـم الملاحــــة إننـى ... وهـواك فـى نـحسٍ وهـم
بلـغ الغــــرامُ إلى الجنو ... ن فــلا عــتــاب ولا ندم
وملكـتنى فظلمـــتنى ... والحـسنُ أظلمُ من حكم
وحــيـيت بين الناسِ مـعـ ... ـروفًـا بحـبِّك مـتـهـم
والحــبُّ حـلــوٌ ذائــبٌ ... والحبُّ من صــابٍ وسم

ومن العجائبِ أننى ... بسرابِ حسنك معتصم
فكأن حسنَك ما جنى ... شرًا علىَّ ولا اجترم
يا ليت حبَّك يا صنم ... حُلْمٌ تجئ به الظلم
فأفيقُ منه مسلّما ... مثل الظلام إذا انصرم
فكأنّ حسنَك لم يكن ... وكأنَّ حُبَّك لم يُلم !

بين الحقيقة والخيال

أما علمت عيناك أنى قتيلها ... وكلُّ حبيبٍ بالمحبِّ خبيرُ ؟
فليس عيونُ النرجس الغضِّ مثلَها ... ولا القطرُ فوق الوردِ وهونضيرُ
وليس عيونُ النَّجمِ أبهى إذا بدت ... وللنَّجم لحظٌ فى الظلام منير
لعينيك سحرٌ ليس للسحر فعله ... فليس لها فى الفاتنات نظير
أما علمت عيناك أنىَ عاشق ... وأنى غريبٌ فى الحياة أسير ؟
أما علمت عيناك أن لحاظَها ... تثير غرامًا واللحاظُ تثير ؟
إذا ما كررتُ اللحظ نحوك طرفةً ... رجعتُ ولحظى من سناك حسير
لقد كثُرَ الناعون للودِّ بيننا ... فهل يأتيَنّى عن رضاك بشير ؟
حبيبى دع الدنيا تجئ بما تشا ... فكلُّ فضاءٍ طائر سيطير
وجُدْ لى بذخرٍ من ودادك وافرٍ ... وكلُّ قليل من رضاك كثير
وإن تلق ودًا مثل ودى فلا تكن ... له عائفًا ، أمُّ الودادِ نَزور[1]
ولا تحسبنَّ الناسَ ناساً فإنهم ... قرودٌ إذا كشّفتهم وحمير !

---

(١) نزور : أى مقلة من النسل .

وأكــثر ما خالــوه صدقًا وحكمةً نعـــيقٌ إذا بينتـــه ونعـــيـــرُ !

وآذانهم مـــثلُ الحــمــيــرِ طويلةٌ وذيلهم لا كـــالقــرودِ قــصــيــر !

بنى آدم من قــبل آدم قــد مــضت عــصــورٌ على أعــقــابهن عــصــور

فــإن يكُ فــيكم فطنةٌ وضــمــائر فللقــرد عــقلٌ وافــرٌ وضــمــيــر !

ضــمــائركم لو تعلمــون حــبــائل لهــا من أباطيل النفــاقِ سـيــور

حبيبى لا يحدثْ لك الحسن غرّةً فكلُّ حــيـــاةٍ لو علمتَ غـــرور

أما أنتَ نسلُ القردِ كالناسِ كلهم وذلك رأى لو غـضـبـت خطيـر !

مــشـابه لا تخــفى لديك كــثـيـرةٌ تحـــدثنا أن النظيـــرَ نظيـــر !

فإن قلتُ أنت البدرُ فالقولُ كاذب وإن قلتُ أنت الشمسُ فهو فجور !

ومـــا ذاك إلا خـــدعـــةٌ وتعللٌ وبعض الخداعِ للحـيـاة نصـيـر

وهل يستقيمُ العيشُ إلا بخدعةٍ وأىُّ ســرورٍ فى اليـقـينِ ســرور ؟

بلى أنت نسل البدرِ والشمس زوّجا وأنت جـــمـــالٌ للحـيـــاة منيـر !

الحســـود

أخ لى ، وإخـوان الصـفـاء قليـــل خليلٌ وهل فى الحاسدين خليلُ ؟

إذا ما بدت لى خصلةٌ يستجيدها طواها عنيف عند ذاك عـــجـــول

وأدركــــه مسُّ الجنونِ وأظلمت عليـه السـمـاءُ ، والنهـارُ جـمـيل

تنفس أنفــاســاً ســراعــاً ، وأبرقت لــه لحـظـات كــلـهــن غــلـيــل

فــرائصــه مــرجــوفــةٌ ، ودمــوعــه تحــيّــر فى آمـــاقِـــه وتجـــول

وإن تبدُ مـــنى ريبــة قــال باسمًا ألا إنهـــا طبع لديه دخـــيــل

ويشدو بمدحي حاضراً ، ومديحُه … إذا غبتُ عنه كالهجاءِ ثقيل
ويبسم للزارى عليَّ كأنَّما … يقول له أحسنت حين يقول
ويوهم صحبى أننى ذو عداوةٍ … أجولُ بعيبٍ فيهم وأصول
وأنى مغتابٌ وأنى حاسدٌ … أعيب عليهم فضلهم وأُذيل
إذا استخبروا عن شيمتى ومحاسنى … يجمجم قولاً مشكلاً ويميل
وإن مدحونى جاهدين وأكثروا … تململ حقداً والحقودُ عليل
يعين على شتمى وإن هو لم يقل … مقالاً وبعضُ الصامتين يقول
ويبغضنى سراً كأنى وترته … بفضلى وما تبغى لدىّ ذحول
ويعتد غنماً أن تنيخَ مصيبةٌ … علىَّ وأنى فى الشقاءِ أقيل
كأن جحيماً موقداً فى ضلوعه … تؤججه ريحٌ عليه تجول
وفيه شياطين من الحقدِ وجهها … يروعُ إذا أبصرته ويهول
فلا زال مسموماً من الحقدِ عانياً … ولا زال عنى من هواهِ نكول

بالله ما تفعل لو بلغوك

بالله ما تفعل لو بلغوكْ … أنى عرتنى جِنة من هواكْ [1] ؟
أأنتَ باكٍ للمحبٍّ الذى … لم يعرف الذلةَ حتى رآك ؟
أم ضاحكٌ لاهٍ به ساخر … والسخر أن تضحك ممن بكاك ؟
بكاكَ للصدٌ ولوعاته … إذ أظلمت عيشته من جفاك
وكيف لا يُذهب لبى الهوى … إذ مضت لى أشهر لا أراك ؟

---

(١) الجنة بالكسر : الجنون .

أظلُّ كـالأعـمى إذا غـبـتمُ فـالعينُ لا تبـصـر حتى تراكْ
يا نور عيني ، غال عيني العمى أغدقْ عليها رحمةً من سناك
والعقلُ لا يعقل إن غبتمُ والنفسُ لا تأملُ إلا رضاك
أبيتُ لا أذكر إلا اسمكم فليس لى فى العيشِ شغلٌ سواك
حتى متى لا ودّ لى منكمُ حتى متى لاحظّ لى من لقاك
مرآك مرآك الذى أبتغى طوبى لعبدٍ قاطنٍ فى ذراك[1]
بالله ماتفعل لو بلغوك أن الهوى أورد نفسى الهلاك
وأننى قد صرتُ فى حفرةٍ قنيصةَ الدودِ ويا بؤس ذاك
والدودُ لا يُفلت منه الرميم والموتُ ما للمرءِ منه فكاك
أأنت تبكى للرميمِ الدفينِ أم ضاحك مما جنته يداك ؟
بالله ما تفعل لو بلغوك أنىَ أسعى عامداً للهلاك !
لما مللتُ العيشَ من بعدكم سقانىَ السمَّ الذى لا سقاك
جرعتُ منه جرعةً كأسها يروى صدى القلب الذى قد هواك[2]
يا عجباً لو كنتَ لى راحمًا أحرقة الرحمة تكوى حشاك ؟
اضحك ولا تحزن لما نابنى ، الجسمُ والروحُ جميعًا فداك !

الحب والحياة

إنى أحبُّك يا صديق والحبُّ أهونه شديدْ
حبًّا يزيد على الملا مِ كأنه الطفل العنيد
إنى أحبّك ما حييت فإن قضيت فلا يبيد[3]

---

(١) الذرى : الكنف والجناب . (٢) الصدى : الظمأ . (٣) قضى : أى مات .

وإذا بعثت فأنت شغـ ... ـلى لا الجزاءُ ولا الوعيدْ
والحبُّ فيه لذى الصبا ... إما الهلاك أو الخلود
والحبُّ مثل الخمر تشـ ... ـربها فيغريك المزيد
والحبّ مثل الحرب إن ... شَبَّتْ يشيبُ لها الوليد
لا يسلمنَّ من اللوا ... حظِ لا الجبان ولا الجليد
إن السعادةَ والشقا ... وةَ والحمام لها جنود
فتكاتُ طرفِك كالمقا ... درِ فى المصادر والورود
لحظٌ يطل به الضيا ... ءُ على المباسمِ والخدود
لحظٌ هو الصدقُ المبينُ ... وغيرُه الكذبُ الرديد(١)
لحظ به سرُّ الحيا ... ةِ وسرُّها أبداً جديد
لا تخجلن إذا وصفـ ... ـتَ بحسنِ طرف أو بجيد
فالحسنُ أعظم ميزةٍ ... والحسنُ كالذخرِ التليد
حدثتُ نفسى أن حـ ... ـبَّك لا الرشيد ولا الحميد
فإذا عفوتَ فإننى ... وحياة حبِّك لا أعود
لو كان حسنُ العيشِ فى الـ ... ـصبوات كالنغمِ السديد
فإذا انقضى عاودته ... فأعيده للمستجيد
لقضيتُ منه ماربى ... ونعمتُ بالأملِ المديد
ليس السعادةُ للمحـ ... ـبِّ بل الجميلُ هو السعيد
والحبُّ قد يجنى على الـ ... ـمعشوقِ من شرٍ وكيد

---

(١) الرديد : المردود الذى لا يصدق .

أوَ مـا ترى حـسنَ الطيـو ... ر يصـاد للريشِ النضـيـد ؟

تجنى المناقبُ والصـفـا ... تُ على الذكىِّ أو البليـد

فـالعـيـرُ ذللّه الغـبـا ... وجنى الذكـاءُ على القـرود

تـتـكـسب الرزقَ القـليـ ... ـلَ لتضحك القومَ الجمود

حـسـبـوا الأديبَ وقـولَه ... كـالقـردِ يضـحك لا يفـيـد

أواه من عنتِ الجـهـو ... لِ وما يقـولُ ومـا يكـيـد

لو كـان قلبى كـالرمـا ... د لما ألمت من الخـمـود

ولئن ضـحـكت فـإنه ... ضـحك البـوارقِ والرعـود

والحبُّ فـيـه تعلّةٌ ... تلهى الشّـقىَّ عن الجـدود

تلهى المحبَّ عن الحـيـا ... ةِ أو النحـوسِ أو السـعـود

وتـلـيح بـالحلم اللـذيـ ... ـذِ وتحـتـه الأمل الصّـدود

فاضرب بسهمك فى الحيا ... ةِ فـما البكاءُ على فـقـيد ؟

وانـدس فى و سـط الزحـا ... مِ فما الخمول وما القعود ؟

وارقص على نغم الحـيـا ... ةِ فـمـا لهـا أبداً مـعـيـد

واضحكْ وكُلْ واعملْ ونَمْ ... واداب على السعى المجيـد

واحـمل حـيـاتك فى يديـ ... ـك فإن أصبتَ فـما تميد

واسـتـقـبل الأيامَ فى ... دعـةٍ فـمن بيضٍ وسـود

فـإذادعـتـك منيـةٌ ... والمرءُ كـالزرعِ الحـصـيـد

فـادلف لهـا دلفَ المجـ ... ـرب لا يخور ولا يحـيد !

سراب الود

الوى إلى الناس وجهًا غيرَ منبسطٍ ... وأتقيهم بقلبٍ غيرِ مسرورِ

أنَّى تلفتُّ لم أبصر سوى رجلٍ ... بادى العداوةِ مخضوبِ الأظافيرِ

هم يحسدونى على عيشى فوا أسفى ... عيشى عليلٌ وصنعى غيرُ مشكور

تكشّف الناسُ عن عادٍ له إحن ... وعن ذليلٍ شديدِ الغلِّ مقهور

للناسِ فى العيشِ من بدوٍ وحاضرةٍ ... طبعُ العقورِ وإما طبع معقور

ما كنتُ أختار هذى الناسَ منزلةً ... لو أننى كنتُ حرًا غير مجبور

الشرُّ والكذبُ والأحقادُ طبعهمُ ... والحقدُ فى الطبع بادٍ غيرُ مستور

أسقى التصافى خليلاً لا يعاشرنى ... إلا على رَنَقٍ منه وتكدير

إذا اتخذتُ خليلاً لى أصادقُه ... دار الزمانُ علينا بالمقادير

فينجلى صرفه عن واترٍ حنِقٍ ... وعن مروعٍ كثيرِ الهمِّ موتور

عللت بالودِّ قلبى وهو ذو أملٍ ... لا الود يصفو ولا قلبى بمغرور

فما طلابى سرابًا عزَّ مطلبُه ... وقد ظفرتُ بحظٍّ منه مقمور

أما حبيبٌ رغيبٌ ذو مصادقةٍ ... أقضى به العيش محمود المصادير ؟

إنى لأرحم نفسى أننى أبداً ... بين البغال وأحلام العصافير !

يا ويح نفسى ، أما ألقى أخا ثقةٍ ... كأنما روحه صيغت من النور ؟

عبث الحياة

« أرسل إلى صديقى الشاعر العبقرى الجليل عباس أفندى محمود العقاد هذه الأبيات الآتية وهو مقيم بأسوان » :

« يا جار بحر الروم مالك صامتاً   هلّا اقتديت بموجه المتجدد ؟[1]

غضبان من لؤم الحياة وإنها   أمةٌ ولكن ما لها من سيد

إما غضبت ففى جوارك خضرم   غضبان يقذف باللغام المزبد

إنى ألب بموطن لو أنه   قفر لأطربنى صفير الفدفد

تمضى الشهور وفى الجوانح لوعة   تمشى على كبدى كحز المبرد

أشكو الزمان إلى القريض وتارة   أشكو القريض إلى الزمان المعتدى

فاكتب على هذا الزمان ذنوبه   إنا نؤجله الحساب إلى الغد

واضحك فإن قالوا تضاحك قانط   فاضرب لهم مثل الغمام المرعد

تالله لو علموا لكان مكاننا   فيهم أعز ، وكيف علم المقتدى »

فأجبته بهذه الأبيات الآتية بالعنوان السابق :

ماذا يفيدُ تصوبى وتصعدى   فى مسلكٍ للعيشِ غير ممهدِ ؟

كالبحر فى أحواله متغيراً   عبثًا يضجّ بموجه المتجددِ

عبثاً تعيثُ الريحُ فى هباتها   كالحادثاتِ إذا تروح وتغتدى

عبثًا يسير النجمُ فى أبراجه   متنقلاً فى سيره عن موعد

عبثًا تضيء الشمسُ وجهَ مسالكٍ   للعيش تزخرُ بالشقاءِ المزبد

لو كان يدرى المرءُ قدر شقائه   فى العيشِ ودَّ لو أنه لم يولد

والناسُ غرقى فى الشقاءِ ولؤمِه   من ناقمٍ يشكو ومن متبلد

ومن البليةِ أننى بشقائهم   وشقاوتى أمحو لذيذ تجلدى

إن التبلدَ والبلادةَ والغبا   مثلُ الخمورِ لذيذة والمرقد !

ولربَّ صحو للخمار مبغّضٍ   يأتى بهمٍّ للحياة مجدَّد !

---

(١) كان الشاعر يومذاك مقيماً بالإسكندرية حيث قضى سنوات عدة .

من لى بعيشٍ لا أحس صروفَه كالماءِ أو كالنار أو كالجلمد !

ماذا يفيد تضاحك من قانط نار الجحيم بقلبه المتوقد ؟

ضحك يهدّ القلبَ وقعُ رعوده ولربَّ ضحكٍ فى النعيم مغرد !

ماذا على الإنسان لولا نسله إن باع دنياه بموتٍ سرمد !

الحياة والفنون

جمَّلكِ اللهُ يا حياةُ كما جمَّل وجهَ السماءِ بالشُّهبِ

حديقةٌ للنفوسِ زاهيةٌ ببدائع فى الفنون والأدبِ

تجلو لك العيش من غياهبه مستخلصاً من شوائبِ الريبِ

تنوّر النفس نَورها أبداً فى مشرق من ضيائها الذهبى[1]

والحسنُ ضوءُ النفوسِ يظهرها غراءَ فى حلةٍ من اللهب

والحسنُ ثوبُ النفوسِ تلبسه والنفسُ تُزهى بثوبها القشب

وكلُّ فنٍ إلى الجمال له من محكم الصنع أقرب النسب

من علّم المرءَ فى بدايته صنعَ مفيدِ الآلات والقضب ؟

من علّم المرءَ أن يقيم على الـ أرض بيوتًا مرفوعةَ الطُّنُب ؟[2]

من علم المرءَ أن ينال من الـ ـمزمار والصنجِ لذةَ الطرب ؟

يحكى بها ضربه مغازلةَ الـ ـعاشقِ لينًا وسورةَ الغضب

واللحنُ خمرُ النفوس تشربه واللحنُ سكر مثل ابنة العنب

---

(١) أى : كما أن ضياء الشمس غذاء للأزهار كذلك الفنون غذاء للنفس .

(٢) الطنب بالضم : العمد .

يحكي به موقعَ الحوادث والـ ... أقدارِ من مغنمٍ ومن سلبِ

يحكي به الجِدَّ إذ يجد به الـ ... ـدهرُ وطوراً كرقصة اللعب

يحكي به السعدَ والشقاءَ وما ... نصيب من نعمةٍ ومن كرب

يحكي به خفقةَ الفؤاد على ... حاليه من راحةٍ ومن تعب

من علَّم المرءَ أن يخط على الـ ... ـقرطاسِ لوناً من أعجب العجب ؟

يحكي به الضوءَ والدياجير والـ ... أجسام من ناضرٍ ومن شحب

يحكي به الجلدَ في نعومته ... وما يليه من الدمِ السرِب[1]

يحكي به أوجهَ الحياةِ وما ... نراه في بدئها وفي العقب

كأنما يقبس الضياءَ من الـ ... ـشمسِ ويأتي بظلمةِ السحب

من علَّم المرءَ أن يقدَّ من الـ ... ـصخرِ دمى في وضاءةِ الشهب ؟[2]

تلك مثالِ الكمالِ صوره ... يظل عريان غير محتجب

أو في ثيابٍ كأنما يبرز الـ ... ـريحُ بها الجسمَ ليس في حجب

تحسبها في الحياةِ ماثلةً ... تَفكر فيما تريد من أرب[3]

تحسب فيها القلوبَ نابضةً ... خافقةً بالشعور والنصب

من علَّم المرءَ أن يقولَ من الـ ... ـشعرِ مقالاً كاللحنِ في الطرب ؟

يعلم الناسَ في سرورهم ... حكمةَ هذي الصروف والنوب

وأن هذي الفنون قاطبةً ... جماعها في القريضِ والأدب

والفنُّ جمٌّ والعيشُ آخره ... دانٍ دلوف بالحادث الأشبِ[4]

---

(١) السرب : السائل المتسرب .

(٢) أي : تماثيل جميلة مثل النجوم .

(٣) أي : تحسب هذه التماثيل ذات حياة تفكر .

(٤) الحادث الأشب أي : الموت .

وفى صروفِ القضاءِ عرقلةٌ تقتل روحَ الذكاءِ بالريب

وتبعثُ اليأسَ والملالةَ والـ ـشكَّ وتودى بهمةِ الطلب !

مناجاة الأرواح

بحقِّ من خلقَ الأرواحَ ذاكيةً وأودع الروحَ طولَ العمرِ فى الجسدِ

وخالق الحبِّ والأرواح تألفه فيمنع المرءَ من صبرٍ ومن جلدِ

وجاعل رسلاً فى القلبِ يرسلها للقلب عن كثبٍ تسعى وعن بعدِ[1]

وباعث من ضمير الصبِّ خاطرةً مثل الفراشةِ حامت حولَ ذى غيد

تلك المناجاة تدنى الروحَ عن شحط وتستقيدك فى دلٍّ وفى ميد

بحق من أنتَ من آيات صنعته صنعًا يلوح بحسنِ الواحد الصمد

لو شاء بزك ثوب الحسنِ أجمعه فصرت عريان من أثوابه الجدد

ألا بعثتَ خيالاً منك فى صلةٍ يزورُ بالليل فى نومٍ وفى سهد ؟

وما انتفاعى بطيفٍ كله خدعٌ يا ليته كان ذا روحٍ وذا جسد !

أو زرتنى زورةً فى الدهر واحدة تجيء عفواً فلم تخلف ولم تعد

كم قد دعوتك فى الظلماءِ منفرداً وكم صدحتُ كصدحِ الطائرِ الفرد

أبيتُ سهرانَ مشغوفًا بذكركمُ وليس يدنيك لا شوقى ولا سهدى

هيهات هيهات ما للقلب من رسلٍ إن الدعاءَ شفيعٌ غير ذى سدد

لو أن للقلبِ ما خالوه من رسلٍ لكنت تعرف ما وجدى؟ وما كمدى؟

بل أنت لاهٍ قريرُ العينِ ذو سنةٍ فى حين وجدى شديدٌ غير متئد !

---

(1) عن كثب أى عن قرب .

أنا مجنون بحبك

أنا مجنونٌ بحبُك فأزل غُلةَ صبكْ

ليتنى بالسحرِ معرو فٌ فأبغى خلس لبك

ليتكم كأس عقارٍ وأنا مغرى بشربك

أيها الظالمُ رفقاً ليس قلبى مثلَ قلبك

إن يكن فى البعدِ موتٌ فادننى أحىَ بقربك

أنت كالدهر مريبٌ نجّنى من سوءِ ريبك

ليتنى طولَ حياتى أحمد العيشَ بجنبك

ليتنى فى الموتِ طولَ الـ ـدهرِ مدفونٌ بتربك

سلمك المأمول فردو س فأخمد نار حربك

ودكم كالسحب وعد ووعيد طى سحبك

عتبكم عتب الليالى لم أجد عتبًا كعتبك

أنا أهواك ومالى منك إلا سوء غيبك

ألهدى ضوء عينك أم لرجمٍ لحظ شُهْبك

أنت بستانٌ أنيقٌ نضجت أثمار رطبك

أتعدّ الذنبَ ذنبى ليت لى قلباً كقلبك

ذنبىَ الحبُّ لديكم ليت ذنبى مثلُ ذنبك

يا طبيبَ الحبِّ ليس الـ ـهجرُ من ناجعِ طبك

إن قلبى طولَ دهرى ناظرٌ يرنو لصوبك(١)

---

(١) الصوب : الناحية والجهة .

كلٌّ خيرٍ دون شرِّك — كلُّ صدقٍ دون كذبك
كلٌّ عذبٍ دون مرِّك — كلُّ جدٍ دون لعبك
كلٌّ صعبٍ دون سهلك — كل فضلٍ دون عيبك !

ظالمي ما أعدلك

ظالمى ما أعدلك — فاقض إنَّ الحكم لكْ
ليت روحى طرفةٌ — وجده عنك ملك
متُّ من داءِ الهوى — ليت حبًا قتلك
لا يغرنّك أن الـ — ـقلبَ عبدٌ ذلّ لك
كم جميلٍ ما بدا — فاتناً حتى هلك
أىُّ ذنبٍ جئته — عن ودادى نقلك ؟
أى أمرٍ طارقٍ — عن دعائى شغلك ؟
قد بدا لى يا حبيبى — منك أن لا قلب لك
إن يكن فيك جمالٌ — إن شعرى جملك
كل حسنٍ شمته — فيك روحى حاك لك[1]
ليت لى يا قلب قلباً — طائعًا لى بدلك
قد دعا داعى الهوى — فاتئد ما أعجلك
لتموتنَّ ولا تبـ — ـلغ منه أملك

---

(١) شمته أى رأيته . أى أن خيال الشاعر يكسو حبيبه جمالا ثم يعبد الشاعر هذا الجمال الذى حاكه خياله .

مــــــــا أظـن الحـبَّ إلا بـالـغـــــاً بى أجلـك !

ليـتنى وليتـك

ألا يا ليــتنى نســمــه ويـا لـيـــــتك لـى زهـرهْ
فــــأهـواك وتـهـــوانـى فـــلا عـــتب ولا هـجــره
وكـنــتُ الــروضَ ممــطـوراً وكـنـتَ الغــيث لى مطره
ألا يا ليـــــتنى مـــــاءٌ ويا ليــتك لى خــمــــره
فـــأحـــويك وتحـــوينى ولا وجـــــد ولا غـــــدره
ألا يا لـيـــــــتنى لـيـلٌ وكـنـتَ الـدهـرَ لـى بـدره
ألسـت الليـل أحـــويك وأنـت البــدر لى غــره ؟
ألا يا لـيـــــتنى طرفٌ وكـنـتَ الـدهـرَ لـى نـظـره
فــألقـــاك وتلقــانى فـــلا بعــــد ولا ذكـــــره
ألا يـالـيـــــتنى بحـــرٌ ويـا لـيـــــتك لى قـطـره
ألا يـا لـيـــــــتنى أفقٌ وكـنـتَ النجـــمـــةَ الزهـره
ألا يا ليـــتنى مـــعنى وكـنـت الـدهـرَ لـى ســـرّه
ألا يا ليـــتنى مـــيت ويا ليــتك لى حــفـــره
فـــلا شـــوق ولا يـــأس ولا نـهـى ولا زجـــــره !

لـــولاك

لولاك ما ذقتُ طعمَ العيشِ لولاكا فـالحلوُ والمرُّ مـعـقـودٌ بجـدواكـا
لولاك مـا بتُّ طولَ الليلِ مكتئبًا ولا حـننـت لبــرقٍ من ثـنايـاكــا

تصيحُ بى الطيرُ إنى عاشقٌ لكمُ ... من علَّم الطيرَ أنَّ القلبَ يهواكا ؟

والزهرُ يعذرنى فيكم ويبسم لى ... هل يعلمُ الزهرُ ما تجنيه عيناكا

يهبُّ شوقى لريحِ الوردِ أنشقه ... كأنما نفحاتُ الوردِ ذكراكا

أهوى النسيمَ الذى من نحو بيتكمُ ... يا طيبه حينَ يأتينا برياكا

أحببتُ من حبِّكم من كان يعرفكم ... كأنما قربه من طيبِ رؤياكا

فإن فى عينه عن حسنكم خبراً ... ونظرة سُرقت من حسنِ مرآكا

حبيبُ يا زهرةَ الدنيا وبهجتها ... هل من ودادٍ فتلقانى وألقاكا ؟

أمشى أحدثُ نفسى عنكمُ أبداً ... لعل قلبىَ يسعى بى لمثواكا

اختارنى الحبُّ دون الناس كلهمُ ... فهبَّ قلبى ولباه ولباكا

كم يخلقُ القلبُ من نجواكُم رسلاً ... هل جاءكم هاتفٌ منه فحياكا ؟

يطيفُ بى هاتف من طيفكم أبداً ... يا ما أميلحه لو كان إياكا !

من حبِّكم صرتُ أبغى عنكُم بدلاً ... أقول ياليت أن القلبَ يقلاكا

أشكو إلى الريحِ ما ألقى بحبكُم ... ياقلبُ صبراً فما تجديك شكواكا [1] ؟ !

الربيع والصبا

يا قلبُ مالك كالشتاءِ وبؤسه ... أيعودُ شجوك فى الربيعِ الآتى ؟

قد كانت الآمال فيك صوادحًا ... تهفو بسمع أحبتى ولداتى [2]

وتليح لى بمطامعٍ مرجوةٍ ... إذ أنت تدعو والحبيبُ يؤاتى

يا قلبُ نابذك الهوى ونبذته ... أفهل نسيتَ محاسنَ اللذات ؟

---

(١) ما تجديك أى ما تنفعك .

(٢) اللدات : القرناء .

ذهب الهوى بزهوره وطيوره | أفلا يصيخُ لدعوتى وشكاتى ؟
من لى بأيامٍ له محمودةٍ | ذهبيةِ الأشواقِ والصبواتِ ؟
نستقبل الأقدارَ وهى كوالحٌ | فنعيدها مبيضةَ الصفحات
ذهب الربيع أخو الصبا بذهابه | فالطيرُ خرسٌ ميتةُ النغمات
أين السبيل إلى معاودةِ الصبا ؟ | أيعودُ شجوُ القلبِ بعد فوات ؟
والقلبُ مثلُ الزهرِ يحييه الهوى | يوماً ويدركه الأسى بممات
والمرءُ يحيا بعد فقدِ شجونه | ليست حياةً بعدها بحياة
فالصدرُ قبرٌ والشجونُ رفاتُه | ذكرى تليحُ بحفرتى ورفاتى !

ليلة القدر

أماناً ليلة الدهرِ | أماناً ليلةَ العمرِ
فقد أبصرتُ من أهوى | شبيهَ الوجه بالبدر
فبتُّ الليلَ سهرانا | أنادى الله بالجهر
عسى يدنى مُنى قلب | شقى فيك بالهجر
وأستدنيك بالنجوى | وأستدنيك بالسحر
فلم أظفر بمأمولٍ | وولَّتْ ليلةُ القدر
عناءٌ كلها كانت | من الإمساء للفجر

الرحمة

« منقولة عن شكسبير »

وما الرحمةُ الغراءُ بالقهرِ تُجتدى | ولا يستقيد القسرُ أفضالَ راحمٍ

تجود كما جادت سماءٌ بغيثها فتجدى كما يجدى سخيُّ الغمائمِ

أليستْ كقطرِ الغيثِ ريًا ونعمة تعيد وجوهَ الروضِ غرَّ المباسم ؟

وتبدرُ من قلبِ العظيمِ عظيمةً وأعظم نفعًا فى فعال الأعاظم ؟

فطوبى لذى هم ينالُ شفاءها وطوبى لذى فضلٍ كثيرِ المكارم

تطهرُ قلبَ المرءِ لو يستطيعها وتكسرُ من شرِّ الخطوبِ الهواجم

هو الرفق تاجٌ للملوك يزينهم بأحسن من تيجانهم والصوارم[1]

وفى صولجان الملك روعٌ لناظر يدل على بطشِ الملوكِ القماقم[2]

ويملأ قلبَ المرءِ خوفاً وهيبةً فيفرق من سطوِ الطغاة الغواشم

ولكن مُلكَ الرفقِ أعلى مكانةً وأعظم من ملك الظُّبى واللهاذم[3]

تبوَّأ فى قلبِ الملوكِ مكانةً تبوُّأهم ملكاً رفيعَ الدعائم

فإنى رأيتُ الرفقَ كالخلد ملكه ولكن ملك السيف ليس بدائم

وما نعت الرحمنُ إلا بنعته فطوبى لجمِّ الرفق جَمِّ المراحم

إذا ما مزجت العدلَ بالرفق جاهداً وإنى رأيت الرفقَ خيرَ المطاعم

بلغتَ رضاءَ الله فى خير نعته وسرتَ على نهج النفوسِ الكرائم

غروب الشباب

يموتُ شبابُ المرءِ والمرءُ غافلٌ ويعقبه بعد الشبابِ مشيب

ويمضى شبابُ العاشقين وما انقضى لهم أربٌ من عيشهم ونصيب

شباب أضىء لى العيشَ كالشمس كلما حداها إلى باب السماءِ غروب

طلعتَ طلوعَ الشمسِ والعمرُ واضحٌ شهىّ ، وأثمار الحياة تطيب

(١) الصوارم : جمع صارم وهو السيف .   (٢) القماقم : السادة ذوو البذل والعطاء .

(٣) الظبا جمع ظبة ، واللهاذم جمع لهذم : وهى السيوف القواطع .

وتغرب عنا مغربَ الشمسِ رائعًا وأنتَ على ما كان فيك حبيب

تضيء بحارَ العمرِ كالشمسِ حقبة وتطفئك الأحداثُ وهى خطوب

لك الشفق المشبوبُ كالنار كلما تأجج فى صمِّ الضلوع لهيب[1]

وتندبك الأشجانُ وهى سحائب لها منظرٌ عند الغروبِ مهيب

فقمْ يا مشيبى واملأ العيشَ وحشةً لها من دياجيرِ الظلامِ ضروب[2]

وما الشَّعَرُ المشبوبُ فى الرأس حليةٌ ولكن رمادٌ للحياة يريب[3]

وما الشعَراتُ البيض فيك مضيئةٌ وليس لها فى الزاهرات ضريب[4]

الحب القديم والجديد

ذهب الحبُّ فلا تحزن له ومضى الوصلُ فلا يغنى الندم

كنت تسقينىَ من كأسِ الهوى جرعات هى من خير النعم

فإذا الحبُّ نعيمٌ ينقضى وإذا حُسْنك طيفٌ فى الحلم

لا يحلُّ البغضُ فينا منزلاً حلَّه فينا الغرامُ المنصرم

كلُّ شىءٍ لبلاغ ومدى ومدى الحبِّ ملالٌ وسأم

فابتدره وهو فى إبانه واسلُ عنه وهو نضو منثلم

أولُ الحبِّ عبابٌ زاخرٌ وبقاياه كموجٍ منهزم

لا أريدُ الحبَّ إلا رائعاً مالئاً للنفس كالسيل العَرِم

(١) المشبوب : المشتعل . (٢) الضروب : النظائر . (٣) المشبوب : المشتعل ، يقصد به الشعر الأبيض كأن بياض المشيب رماد الحياة . (٤) الزاهرات : النجوم ، أى أن شعرات المشيب فى سواد الرأس ليست مثل النجوم المضيئة فى سواد الليل .

ليس للعتبى مجالٌ بيننا … فبنا عن رجعة العتبى صمم

إن نحاولْ رجعَ وصلٍ دارسٍ … لا يعود الذكرُ إلا بالألم

لذة الذكرى إذا ما لم يكن … كلف يجلبُ للقلبِ السقم

لك في الناس أليف عاشقٌ … ولنا في الناس عشقٌ مكتتم

قد بلوناك حميداً في الهوى … وبلوناه حميداً لا يذم

لك من ودى نصيب وافرٌ … حافظٌ عهدَ الزمانِ المنصرم

ليس للحبِّ قيودٌ أو إسارٌ … إنما الودُّ كفيلٌ بالذمم

أنت عندى مثلُ حلمٍ رائقٍ … أو خيالٍ يطرق النومَ ملم

أو كنور البدر فضيًّا له … وترٌ في القلب فضيُّ النغم(1)

غير أن الشمسَ يورى نورها … في نواحي القلبِ حبًّا كالضرم

يبعث الرغبةَ فينا حرّها … إنما الرغبةُ نار تضطرم

ولنا في الناس إلفٌ حسنُه … مثلُ حسن الشمسِ جالٍ للظلم

أنا منه كلَّ يومٍ في جوى … يستبيح القلبَ من لحمٍ ودم

ومن العشق جنونٌ خابل … يزدرى المرء له وقع التُّهم

ما على العاشقِ من لوعاته … ما يرى في الحبِّ من عذلٍ وذم

وحبيبٌ باسمٌ مثلُ الضحى … وإذا فاتحته الحبَّ وجم

جاهلٌ بالعيشِ لا يعرف ما … تخبأ الأيامُ من صرفِ القسم

يحسب الحبَّ كَحلْيٍ زائنٍ … لابساً من درِّه ما ينتظم

(1) ما رأيت ضوء القمر إلا أحسست كأن نواقيس فضية تطن في أذني ، وإن ألذ الأنغام رنة الفضة المجوفة .

إنما الحبُّ جنونٌ وجوى ورجاء واجترامٌ وندم
وبه للنفس مَحْيا أو ممات وبه للقلب غنمٌ أو نقم
يرفع الحبُّ ذليلاً خاملا ويذل الحبُّ شهماً لم يضم
كم محب هالكٍ من لوعةٍ وحبيبٍ بات كالصخر الأصم
ولقد يجنى على الحسن الهوى مثلما يجنى على العيش العدم !

مواطن الحب

الحبُّ طلاَّعُ الثنايا له في كل وادٍ جيئةٌ أو ذهوبْ
وفى الجبال الشمِّ وكرٌ له كأنه النسرُ إليها يؤوب
وفى الكوخ نزَّال وفى الروضة الـ ـغناءِ نزال بها لا يريب
تراه فى الصحراءِ فى ظعنه وفى القصور البيضِ إلف ربيب
لا فى المكان الجدبِ مستوحشًا وليس يزهوه المكانُ الخصيب
له على الأمواج مسعى وفى الـ ـرياحِ مسعى رائعٌ لا يخيب
فراشه الأرضُ على رحبها وسقفه وجهُ السماءِ الرحيب
بين القبور ضاحكٌ تارة ونائحٌ طوراً وطوراً قطوب
أما ترى العشاقَ فى خلوةٍ وطاؤهم قبر وروضٌ قشيب ؟
فلمْ يبالى الميتُ فى قبره ما دام يخلو بالحبيبِ الحبيب ؟
إن لهم فى عيشهم فسحةً للفكر يحدوه الأسى والمشيب[1]

(١) فسحة من الزمن : أى متسع منه والضمير يعود على العشاق . أى : دعهم فى شبابهم وغرورهم فإن هذا أحسن العيش ، وسيأتيهم المشيب بالحزن والفكر .

فـــدعـــــهم الآن على غِـــرَّة فـــإنما الغِـــرةُ عـــيشٌ خَلوب[1]

يـلعبُ بـالأرواح هذا الـهـــــوى كـالطفلِ يلهيه الذبابُ الصخوب

ليس فـــقـــيـــرٌ جـــاهلاً أمـــره ولا غنى خـــــالـيـــاً لا يـريب

كـــلاهـمـــا طبٌّ بأمـــر الهـــوى فـــإنما دارُ الغـــرامِ القلوب[2]

فـــى كـــلِّ أرضٍ مـــنـــه إثْـــر لـــه وكـلُّ ريحٍ من شـــــذاه تـطيب

فى كـلِّ دارٍ من جـــواه مـــريض وكلُّ قلبٍ فـيـــه جـــرحٌ رغـيب

جنـون الحيـاة

لا تُرعْ فـــالدهرُ مـــجنون كلُّ حي فـيــه مـغـبـونُ

جنٌّ من حـــولٍ ومـقـــدرةٍ وكـــذا ذو الحـولِ مـجنون

كلُّ ثبت الجـاشِ فى دعـةٍ وقليلُ الصـبـرِ مـحـزون

إنما الـدنيـــا لـذى خلـدٍ رأيُه بـالعـــزم مـــقـــرون

هـذه الأقـــدار مـحـــدقـــة غـــرّ منهـــا الضـيقُ واللين

نحن فى أقـــدامـــهـــا كـــرةٌ مـــا لنا فى العـــيشِ تامين

لا تـفـكر فى مـــصـــادرها كـلُّ هـذا الـفـكـرِ مظـنـون

لا تفكر فى مـصـائبـهـا أىُّ مـــا أملت مـسـيـقـون

فـعـلامَ الخوف من غِـيـرٍ للعـــوادى شــــرها الحين

احسُ كـاسَ العيشِ فى دعةٍ لا يـرعْك العـــزّ والـهـــون

كسرابِ البيدِ عيشتنا مـــا لنا فى الدهرِ تمكين

---

(١) خلب : أى سرق . وعيش خلوب : أى سارق للقلوب مستهو لها . (٢) طب : خبير .

صورٌ للدهرِ يعرضها ... ثم تخفى وهو مدجونُ[1]
كم تُرى في العيش ذا وجلٍ ... أي شئٍ فيه مأمون
لو يفيد الخوفُ صاحبَه ... صحّ أن السعدَ مضمون
وتناجي ما مضى أبداً ... أيجيب الحيَ مدفون ؟
إن أتاكَ الهمُّ مشتملاً ... سيفه والسيفُ مسنون
ورأيت القلبَ منك جرى ... دمه والقلبُ مطعون
دار عنه الناسَ كلُّهمُ ... إن برَّ الناسِ مظنون
ثم قَهقه في وجوهم ... وإذا ما لام محزون
فتضاحك ، ثم قل أبداً ... إن هذا الدهر مجنون !
دهرنا دار المجانين ... كل حي فيه مسجون !!

فراشة الحب

شربت بلحظك كأساً تلذ ... فأسكرتني يا مليحَ الهشاشِ ![2]
فأنت نعيمي وأنت شقائي ... وأنت هلاكي وأنت معاشي !
وبعدُك عنيَ موتٌ كريهٌ ... وقربُك بعثٌ يجد انتعاشي
فحتّامَ ادعوك لا تستجيب ... وطرفي إلى نور وجهك عاشي[3]
أحوم عليه وفيه الهلاك ... كما حامَ بالضوءِ طيرُ الفَراشِ
أظلُ إذا لحتَ ذا لوعة ... كذى القرِّ في هزةٍ وارتعاشِ
أموتُ من الحبِّ يوماً فيوماً ... وحبُّك في القلبِ نامٍ وناشي
وهيهات أسلو وحسنك ريٌ ... أيسلو عن الري سربُ العطاشِ[4]

---

(١) أي معتم كأن به غيوما .
(٢) الهشاش : الخفة والنشاط والمرح .
(٣) العشا : سوء البصر .
(٤) السرب من الحيوانات : الجماعة .

وفى الحسنِ حاجةُ نفسِ الأديب ... هى الطيرُ وهو لها كعشاشٍ[1]
فلا تأخذنَّ بقولِ العدوِ ... فالكذبُ فى الناس بادٍ وفاشى
فخيرهم فيه طبع الجحاشِ ... وشرهم فيه طبعُ الخشاش[2] !!

عصفور الجنة

ألا يا طائرِ الفردو ... سِ قلبى لك بستانُ
ففيه الزهر والماءُ ... وفيه الغصن فينانُ
فغرّدْ فيه ما شئتَ ... فإن الحبَّ مرنان[3]
وفيه منكَ أنغامٌ ... وفيه منك ألحان
وللأشجان أوتارٌ ... ونايات وعيدان
ألا يا طائرَ الفردو ... س إن الشعر وجدان
وفى شدوكَ شعر النفـ ... ـس لا زورٌ وبهتان
فلا تعتدَّ بالناسِ ... فما فى الخلق إنسان
وجدْ لى منك بالشعرِ ... فإنا فيه إخوان
ألا يا طائرَ الفردو ... س قلبى منك ولهان
فهل تأنفُ من روضى ... وما فى الروضِ ثعبان ؟
وهل تفرق من جوٍّى ... وما فى الجو عقبان[4] ؟
وهل تنفر من قلبى ... كان القلبَ خوّان ؟

---

(١) أى أن نفس الشاعر تأنس بالجمال كما يأنس الطير بوكره .

(٢) الجحاش : صغار الحمير . والخشاش : بكسر الخاء الحشرات : أى أن خيار الناس مثل الحمير : وشرارهم مثل الحشرات .

(٣) مرنان : أى به لين فى صلابة كالأوتار .

(٤) تفرق : أى تخاف . والعقبان : طيور كاسرة .

فـمـا لى منكَ إسـعـاد ولا لى منك لقـيـانُ

ألا يـا طـائـرَ الـفـردو س إن الـدهـر ألـوانُ

ولـلأقـدارِ أحـكـامٌ وللمـخلوق إذعـان

أرى الأحـداثَ إسـرارًا ستـمـسى وهى إعـلان

ويـهـفـو بكَ ريبُ الدهـ ـرِ إن الدهرَ طعَّـان

فـلا حـسنٌ ولا شـدوٌ ولا زهـرٌ وأغـصـان

سـيـبـقـى لك فى قلبى مـودّاتٌ وتحـنـان

فـإن ملَّك أحـبـابٌ وإن عـقَّك إخـوان

وإن رابك من عـيـشـ ـك لوعـات وأحـزان

وإن بـاعـدك الحـسن وثوبُ الحسنِ خلقـان[1]

فـجـرِّب عندها قلبى فـقلبى منك مـلآن

إذًا تـعـرف أن القلـ ـبَ من حـبِّك نشـوان

فـعـشش فـيـه فى أمنٍ فـقلبى بك جـذلان

وأسـمـعنى من الشـعـر فـإنا فـيـه خـلان

وهل تفـهـمُ مـا أعنى وهل للطيـرِ أذهان ؟ !

إلى الروح التى أهوى

إلـى الـروح الـتـى أهـوى أعـزَّ اللهُ مـأواها

حـيـاءٌ صـدها عنا وسـوءُ الظنِّ أقـصـاها

(١) الخلقان : الثياب البالية .

فــهل من عطفــةٍ تُرجى | فــــإنّا نتــــمناها
وروحى نحــوها تهــفــو | فـليـت الحــبَّ أدنــاهــا
لـعـل الموتَ يـدنـيـنــا | ويــؤيــنـــا وإيـــاهـــا
أجـوبُ العـــالمَ المجـــهـ | ــولَ جــذلانًا بلقــيـاها
إلى الـروح الـتـى أهـوى | أطابَ اللهُ مـــثــــواها
لقــد أفـــســدت العـيشَ | فليت القلبَ يقـــلاها
ونعـم العــيش لو تـدنو | وبئس العــيش لولاهـا
وكــان العـيشُ محـمـوداً | بملـقـــــاهـا ورؤيـاهـا
فليت الحبَّ أصــمـــاها | وليت الحبَّ أعـــداها [1]
فـتـدرى لوعــةَ الأشــوا | قِ واليــأسِ وحــاشـــاها
لـعـلَّ اللهَ يـرعـــــــاها | فـــإن القلبَ يهــواها
فــهل من مـبلغٍ قــولى | إلى الروح التى أهـوى ؟

بعد الحسن

عـتـبتُ فلم ينفع لديك عـتـابُ | وقلتُ ومـالى فى هواك جــوابُ
وكنت أعـد الحسنَ فيك فطانةً | وإن جنونى فى هواك صــوابُ
سأصبر حتى يتلف الدهرُ حسنَكم | وكلُّ بـناء لـو علـمتَ خـــراب
وكيف يتيه المرءُ من حسن وجهه | وعـقـبى جمـال الفـاتنين ذهاب ؟
سأصـبـر حـتى تنقـضى منه دولةٌ | وتصـــبح تُقلى تارةً وتعـــاب

---

(١) أصمى السهم الرمية : أصابها .

فجرب ودادى تلقنى لك حافظاً وإنىَ أرضى والأنام غضابُ
تجدنى أخاك الصادق الودّ لم أخن إذا خان من فوت الجمال صحاب
وتعلم ما ودّى وما كان حسنُكم وتعرف أى الباقيين سراب
وأبصر فيك الحسن من بعدِ عهده وأى وداد بعد ذاك يصاب
وليست حياةُ المرءِ إلا سحابةً تمر وما غرّ اللبيبَ سحاب
وتبكى على العهد القديمِ الذى مضى وليس لحسنٍ فات عنك إياب
وما ينفع المرءَ الحزينَ بكاؤه إذا صال ظفرٌ للزمان وناب
ستصبح يوماً فى التراب مجندلا بفيك وفى العينين منك تراب
وتمسى رفاتاً فى الترابِ ذليلةً يقئ الفتى من مسّها ويصاب
فخفف قليلاً من جفائك واتعظ فما ينفع الوجه الأغر شباب
أخىَّ أما من عطفةٍ أستفيدها لديك فإن البعدَ عنك عقاب ؟
ولا تحسبنْ أنّى سكتُّ ملالةً فإن سكوتى فى هواك خطاب !

الحب والخلود
أو
وحى الشعر

قد سقانى هواك كأسَ الخلود وحدا بى للعزة القعساءِ
وسما بى فوق السموات حتى صرتُ مثل السماءِ فوق السماءِ
وجرى بى شوطاً بعيداً فخلفـ ـتُ ورائى نوابغَ الشعراء
صرت كالبدر فى السماء منيراً فى دجى من جهالةِ الجهلاء

حـدثتنى عنك النجـومُ حـديثـاً | وحـديثُ النجـومِ ومضُ الضـيـاءِ
أنت وحـيى ومنطقى وخـيـالى | وبيـانى وهمـتى وذكـائى
شـاعـرَ الحسنِ إن حـسنَك والخلـ | ـد وشـعـرى رىٌّ النفـوس الظمـاء
ظـمـأ دائمٌ ورىٌ سـراب | أم زلال ذو نـشـوة وصـفـاء ؟
ربَّ شـعـرٍ كـالداءِ مـرٍّ وشـعـرٍ | صـادق الفـعلِ ناجعٍ كـالدواء
منه مـا يجلب الزمـانةَ والسـقـ | ـمَ ومنه مـسـتـجلبٌ للشـفـاء
إن تكن وحىَ شـاعـرٍ يبلغ الشـمـ | ـسَ ويربو على مـدى الجـوزاء
أنت كـالشمسِ فى نهارى مضيء | ومنيـرٌ فى الليلةِ القـمـراء
ومـلأتَ الفـؤادَ نـوراً ونـاراً | فـامحت منه آيةُ الظلمـاء
وجـعلتَ الفـؤاد بحـراً خـضـمًّـا | وشـعـوراً يجيش كـالهـيـجـاء
كنـتَ لى نـاظراً يرى بلحـاظ الـ | ـظنِ مـا لا يلوح للبـصـراء
وجلوت الحـيـاةَ غـرّاء تزهو | فـألاحت بالحجةِ البـيـضـاء
وجـعلت الفـؤادَ كـالطيـر يشـدو | أو فـصـيح مـجـوّد الغنـاء
وجـعلت الفـؤادَ زهـراً زكـيًّـا | وجناناً فـسـيـحـةَ الأرجـاء
أنت أفـهـمـتنى الملالةَ واليـأ | سَ وعلمـتنى صنوف الرجـاء
أنت أنبـتَّ لى جناحـاً وأرهفـ | ـت سهـامـاً كـثيـرة الإصـمـاء(١)
لك فى النفـس منزلٌ ومـسـيـرٌ | كـمـسـيـر الدمـاءِ فى الأعـضـاء
وخلقت الحـيـاةَ خلقـاً جـديداً | ثم أبديتَ لى كنوزَ البـقـاء
وجـعلت الفـؤاد ينبض نبـضـاً | ذا وئيـد كـالضربةِ الهـوجـاء(٢)

(١) الإصماء : الإصابة .
(٢) الوئيد : الصوت .

آه مـــا أتعس المعـــايش والأ ... يام لولا عـــواطف الشـــعـــراء

كـجنون النعـيم والبؤس فـيهم ... وهى تبـدو لغـيرهم كـذُكـاء[1]

كنتَ لى نجـمـة تلوح لهـديى ... ورشـادى فى العـيشـة الكدراء

كنتَ نحـسى وشـقوتى ورخـائى ... وعـنـائـى ولـذتـى وثـرائـى

كنتُ آتى بالشـعـر مما أراه ... من ضـيـاءٍ وروضـة وهواء

صرتَ لى فى اللحاظ ضوءاً وفى السمـ ... ـع غناءً يطـيـر بالأهـواء

ونسـيـمـاً فى الأنف رطباً ذكـيـاً ... وعُـقـارى ومـوردى وغـذائى

وجـعلتُ الكمـالَ فـيك مـثـالاً ... ووصـفـت الكمـالَ للأحـيـاء

وقبست الأشعارَ من حسنك الغـ ... ـضِّ وحكت القـريضَ للفطناء

فلئن كنتُ قـد أصـبتُ وأبدعـ ... ـتُ فـأنت الخليقُ بالإطراء

ولئن كنتُ قـد عـجـزت وقـصـر ... ت فـحكمٌ مـقـدرٌ فى القـضـاء

عـبـث نسـبـة الغـناءِ إلى الرو ... ضِ فليس الغـرابُ كـالورقـاء[2] !

الحـب والـوَدّ

الا إن أشـقى الناس من لا تقـاربه ... وإن سعيد الناس من أنت صاحبه !

وكيف أرجى للملمات صاحبـاً ... أفـاتحـه ودى فـيـزورّ جـانبـه ؟

وليس لقلبى جـراة فـأؤمـه ... وليس لقلبى سلوة فـأجـانبـه

---

(١) ذكاء بضم الذال الشمس : أى عواطف الشعراء تهدى غيرهم ولكن من أجلها يحس الشعراء جنون اللذة وجنون الألم .

(٢) أى لا يصح نسبة الفضل فى شعر الشاعر إلى الجمال الذى يراه ، كما لا يصح نسبة غناء الطائر إلى الروض لأن ليس كل طائر يغنى ، وليس كل من يرى الجمال شاعراً .

وأقـــسم لو أنى علـيـــه مملكٌ … لما كنتُ أفشى ذنبَه أو أعاقبُه
فكيف ومــالى قــدرة فــأقـيــده … ولا لىَ منه عطفــة فــأعــاتبــه
فيا آفةَ القلب الطموحِ إلى الهوى … غلبت فرفقاً بالذى أنت غالبه
أتهجر خلاً وافياً أنت همه … وتترك قلباً والهاً أنت شاعبه ؟
أرانى إذا ما غبت عنى كأننى … خميص قد استعصت عليه مكاسبه[1]
طرقت بيوتَ الناسِ أبغى مودةً … وكلُّ خليلٍ ماذق الودِّ كاذبه
فلما بدا لى منكما ما أعزه … هويتكما والحبُّ شتى معاطبه
وهل عجبٌ أن يعشقَ الفضلَ والحجى … أديبٌ يرى فى الفضل قرناً يقاربه ؟[2]
وهل من جناح أن أكون أخاكما … فتزهر من ليل الحياة كواكبه ؟[3]
ومالىَ فى حسن الحسانِ مآربٌ … إذا أردَت المرءَ اللئيم مآربه
وما الحسنُ إلا زينة الفضلِ والنهى … وكلُّ لئيمٍ أسود الروحِ شاحبه
وما كلُّ حبٌّ لاعجٍ بمحرّمٍ … ولا كل من يهوى هوى هو شائبه
أما أنتما حبٌّ قديمٌ كتمته … سنين وحُبٌّ لا ازال أحاربه
فيا أخوىّ استيقنا وتبصرا … رويدكما فالدهرُ شتى عجائبه
وإن خليلَ الفضلِ رى ونعمةٌ … وإن خليلَ السوءِ تسرى عقاربه
فمن لى بمن ألقى إليه سريرتى … وأفضى إليه بالأسى وأصاحبه ؟
فما أنا ممن يعشق الغيدَ قلبُه … وتسكب من هجر الحسان سواكبه[4]
ولكنَّ قلبى يعشق الحسنَ والحجى … إذا اقترنا والخلق شتى مطالبه
منحتكما قلبى فهل ذاك نافعى ؟ … أيرتجع الموهوب من هو واهبه ؟

---

(١) الخميص : الطاوى الجائع .
(٢) القرن : المشابه .
(٣) الجناح : الإثم .
(٤) السواكب : العيون .

أحبكما للحسن والحسنُ باهرٌ ... وأهواكما للفضلِ شتى غرائبه
وأحسن فضل فى الورى فضلُ باسمٍ ... جميل المحيا لا تصاب معايبه
بربكما لا تتركانى كغارقٍ ... يغالب لجَّ اليأسِ واليأسُ غالبه
ولاتتركانى فارغَ العيشِ خائباً ... وكلُّ حزينٍ فارغ العيش خائبه
ولا تتركانى فى الحياةِ كذى ضنى ... تعدته عُوّاد وملّت أقاربه
ولا تحسبا أن السكوتَ جلادة ... فما كل صمتٍ يحمد العيشَ صاحبه
وإن غبتما فالعيشُ كالليل مظلمٌ ... تعبُّ طواميه وتدجو غياهبه[1]
وإن تهجرانى فالسلامُ عليكما ... سيصدع قلبى منكما ما أغالبه
ولن تجدا وداً كودى فجربا ... هل العيشُ إلا طعمه وتجاربه
خليليَّ إن الدهرَ ما تعلمانه ... وإن مريرَ الموتِ ما الخلق شاربه !

وعظ القدر

على الدهرِ والدنيا ، على العيش والردى ... فرائض لا تبلى ولا تتحولُ
وتهلك هاتيك الشعوبُ وتنطوى ... كما يهلك المرءُ الضعيفُ المقتّلُ

* * *

فقم واستمع خطوَ الحوادثِ بيننا ... فكلُّ ضعيفٍ عاجزٍ ليس يسمعُ
ترى سيرها سيرَ الجيوشِ مهيبةً ... منظمةَ الأقدامِ تعدو وتسرع

* * *

لعل لها صوتاً ينبه غافلاً ... فينشط مكسالٌ ويفهم أخرقُ

(١) تشبيه غياهب الليل بطوامى البحر : أى أمواجه .

فإن تكن الأقدارُ كالسحبِ إنها ... يضجُّ ضجيجُ الرعدِ فيها وتبرق

* * *

أما في رعودِ الحادثات مواعظٌ ... أما في بروق للمقادير زاجرُ ؟

نصحتكم لو تسمعون نصيحةً ... نعم تسمع المرء الضعيف الأوامر

* * *

سلاسلُ للأحداث فيكم قيودها ... فليس بكم قيدُ الحوادث منبتًّا

وفيكم بقايا للحياةِ قليلة ... فلا تحسبوا يا قومُ أنكم موتى

* * *

إذا رضيتْ نفسى بحالٍ رغيدةٍ ... فقد خنتُ آمالى وخنت عقيدتى

وما هذه الحالات إلا كسلّم ... فلا تقنعوا منها بحال حميدة

* * *

فما أفسدَ الحالات كالدهرمفسدٌ ... ولا جددً الحالات كالفكرِ مصلحُ

وكلٌّ قديمٍ للبلى غير أنه ... سيعقبه أمرٌ به النفس تفلح

* * *

فقم عاون الأحداثَ فى وصف سيرها ... وألهب بسوط الجدِّ خليلَ المقادرِ

وعش مع هذا الكون كونًا معظماً ... وكن فى قواه بين ناهٍ وآمرِ

* * *

فإنى رأيتُ النفسَ كالأفق بهوُها ... تسير بها الآمالُ سيرَ الكواكب

هى النفسُ دنيا لا يقام نظامها ... إذا اختل فى الآفاق سير الرغائبِ

مشـــترى الأحـلام

يا مشترى الأحلامِ يرغبُ فى الكرى ... كيـمـا ينالُ من الكرى مـا يطلبُ

عندى من الأحـلام كلُّ بضـاعـةٍ ... ومـتـاجـر غـبـانة لا تُكسب

حلمٌ يروع ولا يـسـرُّ وغـيـره ... حلم يسـر إذا يجئ ويعـجب

حلم يزيل عن الفـقـير خصاصةً ... حتى يبيتَ على الدسوت يعصِّب[1]

حلم ترى فـيـه العـزيزَ مرجّـمـاً ... مستجدياً خلفاً يذلّ ويضرب[2]

خـذ منىَ الآمـالَ حلمـاً رائعـاً ... شـرِق النواحى بالضـيـاءِ يذهّب

صداَّع قـيـد المستـحـيل سـرابهُ ... ووميـضُـه البرقُ الكذوبُ الخلّب

وفـضـائل ممدوحـة ورذائل ... مـقـبـوحـة أحلامـهـا لا تنضب

والنورُ حـلـمٌ والظلام وكلـمـا ... يبـدو لعـينك ظاهراً أو يحـجب

إن الحـيـاةَ إذا اختـبرت أمـورها ... وبلوت من لذاتهـا مـا يطرب

حلمٌ على حلمٍ يغـرّ وقـد ترى ... حلمـاً على حلم يغـرّ ويعـجب

وأزاهرُ الأحـلام مثل نعـيـمـهـا ... وشـقـاؤها حلـمٌ يروعُ ويرهـب

لا تحـسـب الأعـمـالَ تنفى أنهـا ... حلمٌ يجئ به الخـيـالُ فـيكذب

فـالمرءُ يطمع فى المنام مطامـعـاً ... ويبـيت يعـمل جاهداً أو يلعب

يا مـشـترى الأحـلام لا تُزهى بهـا ... فـتـعـود تبكى للصروف وتندب

يا غـبـنتـا للمـرءِ فى أحـلامـه ... إن أيقظتـه الحـادثات الغلّب

لو يستحيل المستحيلُ على الورى ... وأنال من أحـلامِـه مـا أطلب

---

(١) يعصب : يتوج . والدسوت : كراسى الإمارة . والخصاصة : الفقر .

(٢) يذال : أى يسترخص ويحتقر .

لجننت جنّةَ قــادرٍ مــتــحكمٍ يرضى على هذا الأنام ويغــضبُ

وأخذتُ من هذى الحيـاة لبابَهـا وشـربتُ من أكـوابهـا مـا يشـرب

والكونُ فكرُ الله ينظر فى الذى يرضيه من خلق الوجودِ ويعجب

إن راقــه خلق الوجــودِ مـثـاله كيمـا يجئ على الكمالِ فيغرب

أو لم يرقــه فــهــو ليس بصـانعٍ دنيـا تهـون على هواه وتجـدب

فــالكون لم يخلق ونحن نظنه خلقــاً يجئُ به الزمــانُ ويذهـب

جنـة الحسـن

أيا جنةَ العـشـاقِ هل لىَ وقـفـة أرقّــه قلبى سـاعــةً فى ظلالكِ

وأبصـــر منك الزهرَ والزهرُ باسمٌ وأسـمعُ منك الطيرَ تشدو هنالكِ

وأعبد فيك الحسنَ شتى صفاته وكلُّ جـمـالٍ خـالد فى خـلالكِ

ففيك معانى الخلدِ والخلدُ فاتنٌ هل الخلد إلا حليـة من جـلالك ؟

أما أنت دنيا الحسن والحسنُ باهرٌ ومـالىَ منها غيـر مكذوب آلك[1]

ويا جنةَ الفـردوسِ مـاؤُك خـمـرةٌ فهل أنا أسقى جرعة من زلالك ؟

ويا جنة الفـــردوس هل أنا آثمٌ فـيـحـرم قلبى حظه من نوالك ؟

ويا فـتنةَ العـشـاقِ هل من وذيلةٍ فتشقيك فيها فتنةٌ من جمالك ؟[2]

ويا بهجةَ الطاووس حسنُك زائلٌ رويدك فـينا واسـالى من مـآلك

ويا زينةَ الدنيــا التى أنا عــاشقٌ حنانا لعيش من جفائكِ حالك[3]

---

(١) الآل : السراب .

(٢) الوذيلة : المرآة . أى انظرى فى المرآة ، واعشقى جمالك كى تعرفى لوعات الحب .

(٣) الحالك : الأسود .

فهل زورة تشفى الفؤادَ من الجوى فليس دوائى زورةً من خيـالكِ

وإن تبتغى بالذلِّ موتى فأبشرى هنيئًا مريئًا قد ظفرت بذلكِ

فيا ليتنى فكرٌ يكون ببالكِ وهل نافعى أنى أكونُ ببالكِ ؟

صوت النذير[1]

هذه قصيدة فى وصف أخلاق المصريين ، وإظهار أماكن النقص فيها ، وحضهم على مزاولة الأعمال الاقتصادية النافعة ونشر العلوم . والعلم والمال أصل القوة ، والقوة أساس الحياة .

خلِّ الهوينى فهذا أمرنا جللُ لا اليأسُ فينا بمحمودٍ ولا الأملُ[2]

ولاح لى بيننا فى عيشنا ظُلَم فانظر بعينيك أى الأمر مقتبَلُ

بوادر يعرفُ التاريخ فعلتها تدعو إلى الموت لا شك ولا جدل[3]

كم أمّةٍ هلكت من قبل ما عرفت أن الهلاك إليها عامد عجِل

تعلل النفس بالأحلام تنظرها والهلك حتم ويخفى سيره المهل[4]

تظن أن طريقَ العزِّ مسلكُها والموتُ من حولها كالنقعِ ينسدل

لا الدهرُ غرٌّ ولا الأيام ظالمة وإنما العيش فينا والردى علل

كل له أجلٌ يسعى ليبلغه وليس يُفلت إمّا جاءه الأجل

لولا التنافس فى الدنيا لما صلحت ولا الحضارة والأيام والدول[5]

---

(١) أرسل الشاعر هذه الصيحة عام ١٩١٥ فى وقت ساد البلاد الجمود والاحتلال .

(٢) لأن يأسنا ضعف وأملنا طيش أما الأقوياء فإن أملهم قوة ويأسهم قوة .

(٣) أى أن صفاتنا صفات الأمم البائدة وهى فى دور الفناء . **(٤) لأن هذه الأحلام مخدر يخدر أعصاب الأمم .** **(٥) لأن التنافس يدعو إلى إظهار القوى الكامنة فى النفوس ، فيرتقى الوجود بانتصار الأصلح للحياة من الأفراد والأمم .**

واحسرتاه لقومٍ ليس ينفعهم ... نصحُ النصيحِ ولا الوعاظُ والرسلُ !
مستنبتين بأرض العجزِ ليس لهم ... عنه ولا عن فناءِ الجهلِ مرتحلُ
تسعى بهم غيرُ الأيامِ واعظةً ... والقومُ صمٌّ كما لا تشتهى همل
زاوين إلا عن الفحشاء أنفسهم ... وفوقهم من بوادى خزيهم حلل
يا بارك الله مقدوراً يعاجلهم ... فتطهر الأرض لا رجسٌ ولا خطل
بأى حقٍ يعيش الغافلون ولا ... نفعٌ يجئ به قوم إذا غفلوا ؟
ما باشروا الصدق فى قول ولا عملٍ ... فكُذّب الأصدقان : القول والعمل
إذا أصيبوا بشرٍ هينٍ خنعوا ... وإن أصابوا منالاً هيناً جذلوا (١)
ويغضبون على من رامَ نفعَهمُ ... فما يشجعه فى السعيِ محتفل
ويحسنون إلى من رامَ ضرهم ... فما يثبطه ردعٌ ولا عذل
فلا حكيمٌ ولا ندب ولا فطنٌ ... ولا عظيم ولا ثبْت ولا بطل
إذا هممتم بأمرٍ نفعه عمم ... ألهاكم العجزُ والزلاتُ والملل(٢)
وإن بُدهتم بخطبٍ ضرّه أمم ... ضاقت لديكم به الغايات والسبُل
وصاحبُ الجهلِ فيكم آمن فرحٌ ... وصاحبُ العقلِ فيكم حاذرٌ وجل
إذا نطقتم بحقٍ فيكمُ حصر ... والبطلُ مبتدرٌ منكم ومرتجل(٣)
فإن رقدتم فإن النومَ عادتكم ... وليس تصحو لكم روحٌ ولا مقل
والعجزُ مهلكةٌ والضعفُ مضيعةٌ ... وما لكم إن غفلتم عنهما نُقل
هل خدعة أوهمتكم أن جمعَكُم ... جمعٌ كثيرٌ فخير منكمُ رجل

---

(١) شأن النفوس الحقيرة .

(٢) ومن أجل ذلك أكثر المشاريع الحيوية التى يقومون بها نصيبها الفشل .

(٣) أى يجرءون على الباطل ويجبنون عن الحق .

تهـافـتـون على الأدناس مـا نتنت مـثل الذبابِ على الأدناس ينتـقلُ

أفـهـامكم مـثلُ أفـهـام الفـراش إذا حام الفراشُ على المصباحِ يشتعلُ

فـإن دعـيـتـم إلى خـيـرٍ ومكرمـةٍ حكيتم البُهم لا عقلٌ ولا حيل[1]

فـمـا طبـيـبٌ يداوى داءكم أبداً إلا الهـلاك وهذا ريثُـه عـجل[2]

ومـن دلائـلِ هـذا الـهـلـكِ أن لـنـا فخراً فنحسب أنَّ الفضلَ متصل

إذا خُـشـيـتم فـأنتم مـعـشـر جبن وإن رُجيـتم فـأنتم مـعـشـرٌ خُذُل

كم من نصيحٍ لكم بالرشد ينصحكم كأنما حظه من نصحه الصحَل[3]

كلوا ونـامــوا ونالوا حظكم أبداً من التـثـاؤبِ لا لومٌ ولا عـذل

وعـاقـروا الخمـرَ والأفـيـون فى دعـةٍ فعـيـشكم مـثل ظل سوف يرتحل

واستخبروا عن هوى اللذات قاطبةً أمّـا عن العـزِّ والعليـا فـلا تسلوا

وملءُ أشداقِكم ضحكٌ أأسكركم من حسنِ حالكم خمرٌ هى الجذل ؟

أم ضحكةُ الرجلِ المجنونِ من حزَنٍ لَشدَّ ما نالَ منك البؤسُ يا رجل ؟

أم ضحكةُ الخنثِ الموهون أضحكه أمرٌ معيب فلا تقوى ولا خجل ؟

أنـا النـذيرُ إليكم والنصـيحُ لكـم وليس يؤثرُ نصحاً عاجزٌ مَذِل[4]

يمضى الزمـانَ فلا عزمٌ فـيـسـعـدكم وليس يزدادُ إلا العـجـزُ والخبـل

وفيكم من صفـات السوءِ أخبثُها حتى لقد صار فيكم يضربُ المثل

أشـعـلتُم نـارَ يأسى وهى خـابيـة وقـد قـتلتم ذكائى وهو مـشـتـعل

هيـهـاتَ هيـهـاتَ إنى مِـقْـول أبداً حلق الزمـانِ به فى الناس يرتجل[5]

---

(١) البهم : البهائم . (٢) أى أحسن دواء لدائكم الموت والفناء . (٣) الصحل : بحة الحلق .

(٤) عاجز مذل : ضعيف حقير . (٥) المقول على وزن المبرد : اللسان ؛ أى أنا لسان الدهر .

أنتم بفىَّ كطعم المرِّ أمضغُهُ ... حتى تساوى لدىَّ الصابُ والعسلُ(١)

فإن فهمتم فما لى فيكمُ أربٌ ... وإن جهلتم فشرٌّ العادة الجَهلُ

إذا هجوت فما أهجوكُم أبداً ... إلا ودمع على الخدين ينهملُ

أنتم أحقُّ بتأبينٍ ومرثيةٍ ... والرزءُ بالحىِّ جرحٌ ليس يندملُ(٢)

أنتم علىَّ وإن طالت مهانتكم ... أعزُّ ذى قدمٍ يسعى وينتعل

فنحن فى أمرنا طراً سواسيةٌ ... وإن تفاوتت الأخلاقُ والنحل(٣)

وليس لى فيكمُ حظٌّ ولا أملٌ ... وليس لى فى الورى من دونكم بدل

إنى رأيتُ حياةَ الناس أولها ... يدعو لآخرِ ما ياتى ويقتبل(٤)

لقد ورثنا قروناً كلها كمدٌ ... مورٍ على القلبِ مثل النارِ يشتعل(٥)

فنحصد الشوكَ مما ذرَّ أولُنا ... إنَّا ورثنا عن الأسلاف ما فعلوا

فمن خمولٍ ومن جهلٍ ومن كسلٍ ... وأعظم الخطبِ ما ياتى به الكسل

ثقلٌ على النفسِ نمضيه ونصرفه ... حتى يصحَّ وحتى يصدقَ العمل

ونجتنى العمر غضاً كلُّه ثمرٌ ... ونشربُ العيش ريّاً كله جذل

إن الأمانىَّ دون القلبِ ما برحت ... فى القلبِ منزلُها مستمراً خضل

نستخبر القوم أنَّى وجهة سلكوا ... فبلغتهم إلى عليائها القلل(٦)

هم زاولوا الجدَّ قد دانت تجاربُه ... لهم فعزوا بها والدهرُ مقتبل(٧)

---

(١) أى مرارة مذاقهم جعل كل شئ فى فمى مراً فلا أميز طيب الحياة من بؤسها.

(٢) يندمل : يضمد ويلتئم . (٣) سواسية : أشباه وأمثال . (٤) أى أن حياة الأمم سلسلة أسباب ونتائج متصلة فنجد عوامل ماضية تأثيرها واقع الآن . (٥) مور : أى مشعل والفعل أورى .

(٦) أى ندرس حياة الأوربيين حتى نعرف أسباب عظمتهم ونحتذيهم فيها . .

(٧) أى نشر العلوم العملية هو من أهم أسباب قوتهم .

قوموا اجعلوا السعيَ فى الأطماع رائدكم ... ما أضيع المرء لولا السعيُ والأملُ

بعضُ العلومِ إلى الأعمالِ منتسبٌ ... وأحسن العلمِ ما يجدى به العمل

هذا السلاحُ الذى يدحو لهم سبلاً ... فى مجدهم لا القنا الخطية الذبُل[1]

يا قومُ هذا سبيلٌ لا خفاءَ به ... فيه الحياةُ لأقوامٍ إذا عقلوا

إنا بمنزلةٍ الفصل يتبعها ... إما الحياةُ وإما الموتُ والأجل[2]

حتَّامَ ننكر حقاً غير مشتبهٍ ... لا يكره الحقَّ إلا من به دخل

لا يصلح العلمُ مضنوناً به أبداً ... فأين شؤبوبه لا ينفع البلل

هذا الذى يدع الأقوامَ قادرةً ... فكلُّ فردٍ كعضوٍ ما به شلل[3]

أذلك المال مضنون به أبداً ... إن العزيز لدى الأوطان مبتذل

والعلمُ مثل عصا السحّار يبسطها ... فيصبح المالُ قد ضاقت به السبل

والعلمُ والمال مقرونان فى قرَنٍ ... لا نجتنى المالَ حتى يصدق العمل

وإنما لغةُ الأقوام ميزتهم ... فإن تولت فمجدُ القوم مرتحل[4]

قد أصبح العلمُ والآداب ضائعةً ... وأصبحَ الشعرُ فوضى كلُّه زلل

يرقى الوجودُ بعيش الصالحين له ... من ليس يدركهم عجزٌ ولا كلل

وما الحياةُ بمستشفى لمن سدكت ... به الزماناتُ والأمراضُ والعلل[5]

---

(١) أى أن جميع مظاهر قوتهم مهما اختلفت سببها العلوم العملية .

(٢) إما الحياة إذا أخذنا بأسباب الحياة والتقدم ، وإما الفناء والانعدام فى العناصر الأخرى إذا بقينا على تكاسلنا وغفلتنا عما يفيدنا .

(٣) إذا نظرت إلى جسم الحضارة الأوربية تجد أن العملى هو دمها وأعصابها .

(٤) إذا ضاعت لغة عنصر انعدم فى العناصر الأخرى فيضيع مجده وشخصيته .

(٥) سدكت به : أى لزمته ، والزمانة : مرض .

بل الحـيـاةُ جـهـادٌ لا خـفـاءَ به فـليس يُفلح إلا الأغلبُ البطلُ(١)

إن الحـيـاةَ كـتـنور ومـعـركـةٍ يصلى الشجاعُ ويصلى العاجزُ الوكِل(٢)

وكلكلُ الدهرِ لا يُبقى على ضرِعٍ وليس يخدعه جودٌ ولا بخَل(٣)

نلهو عن العيشِ ، والأقدارُ نافذةٌ كـأنهن مطايا تحـتـنا ذُلل

إن المقـاديرَ أجنادٌ مـجندةٌ تصـولُ بالحقِّ لا ظلمٌ ولا خطل

لا رحـمـة عندها ترجى ولا مـقـة ولا الشفاعة تقصيها ولا الخَوَل(٤)

كم أعـصـر قـبلَنا بادت وكم دولٍ حـتى كأنْ لم يكن عصرٌ ولا دول

كم معشرٍ مثلكم ليموا فما انتفعوا وأُشعروا النقص فيهم ثم ما حفلوا

فـبـادرتهم يدُ الأقدارِ حـاصـدةً فمـا وقى جمعَهم سهلٌ ولا جبل

إذا ابتلى اللهُ قـومـاً بالهـلاك فـلا سمع لديهم ولا عزم ولا حيل !

ليس التـوكُّلُ فى نومٍ وفى كـسلٍ فهو المعينُ لمن يسعى ويختتل !(٥)

بين الحب والبغض

رمى اللهُ فى عينيكَ بالسهدِ والعمى ولقَّاك من دنياك صاباً وعلقـمـا !

وعلمكَ السهدَ الطويلَ على الأسى إذا حلَّ هم فى الفـؤادِ وخـيـمـا !

وعلمكَ الأحـزانَ والبثَّ والجـوى ومـا نُكب المغـرورُ إلا ليـعلمـا !

وأودعك الليلُ البـهـيـمُ همـومَـه وأصبحت حرَّانَ الفؤادِ متيما

---

(١) الحياة جهاد لأنها تنافس شديد فى كل مظاهر الحياة والقوة .

(٢) التنور : الفرن ، والوكل : المتواكل المتخاذل .

(٣) ضرع بكسر الراء : أى ذليل . (٤) الخول : الأعوان والأتباع . (٥) أن يتحيل للحياة .

وأتلفَ طول الهمِّ عينيك بالبكا إذا ما مضى دمعٌ بكيت له دما

وخلَّف فيك اليأسُ كالسمِّ فى الحشا تعالج داءً من جواه مكتَّما

أأنسى بكائى والعيونُ هواجعٌ أراقب ليلاً غائرَ النجمِ مظلما ؟

أأنسى انفرادى والتياحى ولوعةً كأن لها بين الأضالع أرقما ؟

أأنسى عذابَ القلبِ هاجَ وجيبُهُ كأنَّ جحيماً دونه وجهنما ؟

لقد كنتَ فى عينى ألذَّ من الكرى وأطيبَ من طيبِ الحياةِ وأكرما

وجوَّدتُ فيك الشعرَ والشعرُ ساحرٌ وهل تسحر الأشعارُ غرًا وأعجما ؟

فما ازددتَ إلا قسوةً وتباعدًا وما ازددت إلا غلظةً وتجهما

فعلَّمتَ قلبى كيف يقسو وإنه ليحزن أن تلقى هوانًا وتألما

جنيتُ على نفسى فليس بنافعى إذا صالَ خطبٌ أن تصابَ وأندما

ولو كان فى نفسى وقاءٌ يصونكم لأُنزلتَ من نفسى المكانَ المكرَّما

وخطَّت عليك النفسُ خوفًا من الردى فكانت مجناً صادقَ الصنعِ محكما

وليت لسانى شُلَّ منى ولم أقل رمى الله فى عينيك بالسهد والعمى !

سلمتَ ، وما حيٌّ على الدهرِ سالماً وعشت سعيداً بالحياة منعما !

لقد سمتُ نفسى عنك صبراً وسلوةً وجشَّمتُ قلبى صبره فتجشما

ووالله مالى عنك صبرٌ أطيقُهُ فقد ودع الصبر القديم وسلما

وإنى لتسعرونى إذا لحت هزةٌ كما ارتعش المصروع حيناً وجمجما

وإن بقلبى من جفائك جِنةً فإن رامَ يوماً قتلكم ما تأثما !

فاسقى جنونى من دمائك جرعةً وهيهات يجدى القتلُ قلباً مكلما !

وأنقعُ منها غلَّتى وصبابتى لعمرك إن الجرم لا ينقع الظما !

أأنت زهاك الحسن والحسنُ فتنةٌ لصاحبِهِ حتى يرى الظلمَ مغنما

فأصبحتَ مغروراً تتيه وتنثنى رويدك هل تبغى إلى الشمس سُلَّما ! ؟

كأنى بصرفِ الدهرِ حلَّ وعيدُه فلم يُبقِ لى فى حسنكم متوسَّما

ولم يُبقِ إلا منظراً لك شائنًا ووجهاً صفيقاً فى الترابِ مهدَّما

وهل تترك الأقدار يوماً إذا سطت على حسنٍ إلا رفاتاً وأعظما ؟ !

« تمَّ »

الجـزء الرابـع

زهـر الربيـع

إنما الشعرُ نغمةٌ ... كحنينِ المزامرِ
يرفع النفسَ سحرُهُ ... عن وهادِ الحقائرِ
يُبلغ النفس أفقها ... كجناحٍ لطائرِ
يفتح النفسَ ضوءُه ... مثل ضوءِ التباشرِ
مثلما يفتحُ الصبا ... حُ زهيَّ الأزاهرِ

(من قصيدة « أغاريد شاعر » لصاحب الديوان)

عن الطبعة الأولى

عام ١٩١٦

مقدمة

فى الشعر

لصاحب الديوان

إن وظيفة الشعر فى الإبانة عن الصلات التى تربط أعضاء الوجود ومظاهره . والشعر يرجع إلى طبيعة التأليف بين الحقائق . ومن أجل ذلك ينبغى أن يكون الشاعر بعيد النظرة، غير آخذ رواء المظاهر ، مأخذه نور الحق . فيميز بين معانى الحياة التى تعرفها العامة وأهل الغفلة ، وبين معانى الحياة التي يوحي إليه بها الأبد . وكل شاعر عبقرى ، خليق بأن يدعى متنبئاً . أليس هو الذى يرمى مجاهل الأبد بعين الصقر ، فيكشف عنها غطاء الظلام ، ويرينا من الأسرار الجليلة ما يهابها الناس ، فتغرى به أهل القسوة والجهل ؟

كل شيء فى الوجود قصيدة من قصائد الله . والشاعر أبلغ قصائده .

الشاعر هو الذى لا يعيش مثل أكثر الناس ، مقبوراً فى الأحوال التى تحوطه . هو الذى إذا عاش ، كان له من شاعريته وقاء من عداء قتلى المظاهر . فإذا مات كانت الشهرة زهرة على قبره . فإذا لم تسعده الشهرة ، هبطت روح الطبيعة على قبره ، تظلله بجناحها ، وتفرخ فوقه أبناءها الشعراء . تلك الأرواح التى تستمد الوحى من عظامه ، وتسقيه من دموع الرحمة والحب والحنان .

وليس الشاعر الكبير من يعني بصغيرات الأمور . ولكنه الذى يحلق ، فوق ذلك اليوم الذى يعيش فيه ، ثم ينظر فى أعماق الزمن آخذاً بأطراف ما مضى وما يستقبل . فيجئ شعره أبدياً مثل نظرته . وهو الذى يلج إلى صميم النفس فينزع عنها غطاءها . وهو الذى إذا قذف بأشعاره فى حلق الأبد ساغها . فعيب شعرائنا جهلهم جلالة وظيفة الشاعر . لقد كان بالأمس نديم الملوك ، وحلية فى بيوت الأمراء . ولكنه اليوم رسول الطبيعة ترسله مزوداً بالنغمات العذاب ، كى يصقل بها النفوس ويحركها ، ويزيدها نوراً وناراً . فعظم الشاعر فى عظم إحساسه بالحياة ، وفى صدق السريرة الذى هو سبب إحساسه

بالحياة . وإذا رأيت شاعراً يأخذ الحقير مأخذ الجليل من الأمور ، ويحسب الحوادث الصغيرة من الحوادث الكبيرة ، فاعلم أنه ضئيل الشعر . فإن ضئيل الشعر يغتر بضجة الحوادث ، ولا يعلم أن حوادث النفس على صمتها أجل الحوادث .

سُئل وردزورث الشاعر الإنكليزى عن شعر شاعر ، فقال : إنه ليس من الحتم فى شىء . فكأنه يقول : إن أجل الشعر ما يخاله المرء قطعة من القضاء ، لابد من حدوثها . فإذا أردت أن تميز بين جلالة الشعر وحقارته ، فخذ ديواناً واقرأه . فإذا رأيت أن شعره جزء من الطبيعة ، مثل النجم أو السماء أو البحر ، فاعلم أنه خير الشعر . وأما إذا رأيته وأكثره صنعة كاذبة . فاعلم أنه شر الشعر ، فالشعر هو ما اتفق على نسجه الخيال والفكر إيضاحاً لكلمات النفس وتفسيراً لها .

فالشعر هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم . فأصوله ثلاثة متزاوجة فمن كان ضئيل الخيال ، أتى شعره ضئيل الشأن . ومن كان ضعيف العواطف ، أتى شعره ميتاً لا حياة له . فإن حياة الشعر فى الإبانة عن حركات تلك العواطف . وقوته مستخرجة من قوتها ، وجلاله من جلالها . ومن كان سقيم الذوق ، أتى شعره كالجنين ناقص الخلقة . غير أن بعض الناس يحسب أن سلامة الذوق فى رصف الكلمات كأنما الشعر عنده جلبة وقعقعة بلا طائل معنى . أو كأنما هو طنين الذباب . ولايكون الشعر سائراً إلا إذا كان عند الشاعر مقدرة على التأليف بين اللفظ والمعنى . ولست أعجب من أحد ، عجبى من الأدباء الذين ينظمون الشعر فى مواضيع تطلب منهم الكتابة فيها . فينظمون من أجل إرضاء من سألهم ذلك . كأنما الشاعر آلة وزن . ولكن الشاعر هو الذى لا ينظم حتى تنويه تلك النوبة التى تدفعه إلى قول الشعر ، بالرغم منه ، فى الأمر الذى تتهيأ له نفسه .

قد أصبح الشعر عندنا كلمات ميتة ، ليس تحتها طائل معنى . يحسب الناس أنه إذا أخذ من النحو والصرف والعروض كفاية ، وأصاب من طرف الشعر غاية ؛ فقد أجاده . وإنما الشعر كلمات تخرج من النفس بيضاء مشبوبة . وكما أن العاطفة تنطق الشاعر ، كذلك قد تخرسه شدتها . ومن أجل ذلك كانت ذكرى العاطفة والتفكير فيها ، شعراً . وإنما

نعنى الذكرى التى تعيد العاطفة ، والتفكير الذى يحييها . وليس شعر العاطفة باباً جديداً من أبواب الشعر ، كما ظن بعض الناس ، فإنه يشمل كل أبواب الشعر . وبعض الناس يقسم الشعر إلى أبواب منفردة . فيقول : باب الحكم ، وباب الغزل ، وباب الوصف ، الخ . ولكن النفس إذا فاضت بالشعر ، أخرجت ما تكنه من الصفات والعواطف المختلفة فى القصيدة الواحدة . فإن منزلة أقسام الشعر فى النفس كمنزلة المعانى من العقل . فليس لكل معنى منها حجرة من العقل منفردة ، بل تتزاوج وتتوالد فيه . فلا رأى لمن يريد أن يجعل كل عاطفة من عواطف النفس فى قفص وحدها .

ومن القراء فئة كأنها تريد أن تشم من شعر الشاعر رائحة الدسم ، وأن يملأ شعره بطون أفرادها لا عقولهم . كأن النفوس تقاس بالدرهم والدينار . وكأن الشعر لا يوزن إلا بالرطل والأقة ! وبعض القراء يهذى بذكر الشعر الاجتماعى ، ويعنى شعر الحوادث اليومية ، مثل افتتاح خزان ، أو بناء مدرسة ، أو حملة جراد ، أو حريق ، أو زيارة ملك ، أو حفلة فى نادى الألعاب ، أو مجئ طيار ؛ فإذا ترفع الشاعر عن هذه الحوادث اليومية ، قالوا : ما له ؟ هل نضب ذهنه ، أم خبت عاطفته ، أم دجا خياله ؟ ويجعلون منزلة الشاعر على قدر عدد قصائده فى تلك الحوادث ! فإذا نظم أحدهم قصيدتين فى الجراد ، كان عندهم أعلى منزلة ممن نظم قصيدة واحدة ، وليس أدل على فوضى الأدب وفساد ذوق الجمهور من هذا الهراء . كأنما الشعر جريدة منظومة ، أو كأنما الشاعر مصنع لصنع الأوزان . وإنما الشاعر هو الذى يحاول أن يبلغ إلى أعماق النفس ، وأن يضرب على كل وتر من أوتارها ، والذى تسمو معه النفس عن تلك الحوادث إلى سماء الشعر فينشقها نسيمه وينعشها بنفحاته ، ويسمعها من ألحانه ، ويريق عليها من ضيائه ما يرفعها عن منزلة البهم إلى منزلة الآلهة .

وهناك فئة تريد من الشاعر أن يكون أكثر شعره تكلفاً للحكمة . فيأتى بأمثال من بطون الكتب ، وأفواه العامة ، نصفها حق ونصفها باطل . ثم يصوغها شعراً من غير أن

يكون قد أحس لذعها فى ذهنه ، ولا شعر بقيمتها . وشر الحكمة التى يتكلفها الوزانون . وإنما حكمة الشاعر تبدو فى كل قسم من أقسام شعره سواء الغزل والوصف والرثاء ... إلخ فإن شعر الشاعر مهما اختلفت أبوابه ينبئ عن نصيبه من التفكير . وحكمة الشاعر تجاربه وخواطره فى الحياة . تلك الخواطر التى ينضجها الشعور والتفكير . والشاعر لا يسير على رأى واحد لايتعداه . فإن المذاهب الفلسفية أزياء تأتى وتروح مثل أزياء باريس . والنفس أعظم من أزيائها . ولكل حالة زى والشاعر لايعبر عن عاطفة واحدة ، أو نفس واحدة بل يعبر عن عواطف متغايرة ، ونفوس متباينة . فلا رأى لمن يريد أن يقيده بمذهب من مذاهب الفلاسفة يذود عنه ويتعصب له . فإن الشاعر يرى جانب الصواب من كل مذهب ، ويعبر عن كل نفس .

ولقد رأيت بعض القراء لا يفهم منزلة الغزل فى الشعر . إن مزية الغزل ، سببها أن حب الجمال حب الحياة . وكلما كان نصيب المرء من حب الجمال أوفر ، كان نصيبه من حب الحياة أعظم . وحب الحياة والجمال من العوامل الاجتماعية القوية التى تزجى الأمم إلى التفوق والاستعلاء . ولا أعنى بالغزل غزل الشهوان ، بل الغزل الروحانى الذى ترفع عن أوصاف الجسم . إلا ما بدا للروح أثر فيه . والحب أعلق العواطف بالنفس . ومنه تنشأ عواطف كثيرة ، مثل البغض أو الود أو الرجاء أو اليأس ، أو الحسد أو الندم ، أو الشجاعة أو حب العلاء ، أو الجود أو البخل . ومن أجل ذلك كان للغزل منزلة كبيرة فى الشعر ، من حيث هو جماع العواطف ، ومظهر دروسها . فالغزل يعبر عن جميع العواطف النفسية . ومن حيث إن حب الجمال حب للحياة ، ترى فيه آراء الشاعر ، وكل ما يعتوره فى الحياة من الخواطر ، ويصيبه من التجارب . وكل ما يسمو إليه فكره أو يحن إليه قلبه ، وكل ما يعالجه من أساليب الحياة ، وهذا الغزل الذى هو واسطة القلادة ، وسلك العقد ، وروح الشعر ، ليس من شروطه تعليق العاطفة بفرد من أفراد الناس ، وقصرها عليه . وإن كان ذلك أدعى إلى ظهورها . فإن الغزل الذى نعنيه سببه العاطفة التى تجعل المرء يحس الجمال إحساساً شديداً فى جميع مظاهره ، سواء جمال الوجوه والأجسام ، أو جمال

الأزهار والأنهار ، أو جمال البرق في السحاب ، أو جمال الليل ونجومه ، أو الصباح ونسيمه ، أو جمال النفوس والأخلاق ، أو جمال الصفات ، أو الحوادث والوقائع ، أو جمال الخيالات التي يخلقها الذهن . وليست محبة الفرد للفرد إلا مظهراً من مظاهر هذه العاطفة الواسعة التي تحنو على كل جمال يستجلي في الحياة . وهذه العاطفة الشعرية تفيض ضياءها على كل شيء ، حتى على جوانب الحياة المظلمة الكريهة . فتحبوها جمالا فنياً ؛ مثل جمال الصورة البديعة التي يعجب المرء جمالها الفني ، حتى ولو كانت صورة مذبحة ، أو جمال الأنغام الحزينة التي تذيب القلب . والشاعر الناسب مثل المصور . إنما يستملي من صور الملاحة التي في ذهنه ، ولقد سئل جيدو ربني المصور الإيطالي : من أين لك هذه الخلق المليحة التي تودعها صورك ؟ فقال لسائله : انظر ! ثم أتى بشيخ قبيح وأجلسه أمامه نموذجاً ، ورسم صورة فتاة مليحة ، كأنما قد جمعت بين جمال الملائكة وجمال الحور . ثم قال : «أترى في هذا الشيخ الدميم مثل هذا الجمال ؟ نحن أصحاب الفنون نحمل في نفوسنا دنيا أجمل من هذه الدنيا» . وما يدرينا لعل قيساً بن الملوح كان يشبب بليلى التي في الدنيا التي في نفسه ، لا بليلى العامرية .

كان جيتي الشاعر يقدر الأشياء والناس ، بقدر ما يستفيد من رؤيتهم ولقائهم من صفات الشعر ومواضيعه ، وعواطفه وقصصه وبواعثه . فإذا رأى عجوزاً تسعى ، أو شيخاً هرما أو فتاة أو طفلا أو فقيراً أو غنياً الخ . عدهم كلهم بواعث من بواعث الشعر ، مهما اختلفت صفاتهم . وكان يخزن من رؤيتهم ما اكتسبه لساعة الشعر والإلهام . فإن رؤيتهم تبعث على التفكير وتوقظ الملكة الفنية ؛ أو كأنما رؤيتهم ريح تهيج أمواج نفس الشاعر فيعلوها درها وأصدافها ، وكذلك يهيج الشاعر إلى الشعر لذاته وآلامه . فيصوغ الشعر من لذاته وآلامه وآماله ، كما يصوغه من لذات الناس وآلامهم وآمالهم .

الباحث الأزلـــى [1]

مقدمة : قد صور كثير من المفكرين والشعراء حياة الإنسان عصراً بعد عصر ، كأنها حياة إنسان واحد ، أو كأنها بحث متصل دهراً بعد دهر . وهذا البحث هو ما يزكون به حياة الإنسان ، وما يعذرون به شقاءها وآلامها ، ويأملون آمالاً كباراً من وراء تقلب الإنسانية فى بحث الحياة . ومن هذه الآمال رجاؤهم أن يعم الشعور بوحدة الإنسانية على اختلاف الأجناس والشعوب ، والمطامع والضرورات والمطالب والنزعات النفسية ، ويأملون إذا عم هذا الشعور بوحدة الإنسانية أن يقلل الإحساس العام بوحدتها ، من البغضاء والشرور والحروب ، والآلام والجشع ، وأن يؤدى إلى التعاون على الحياة ، بدل التقاتل عليها . وهذا البحث الإنسانى المستفيض دهراً بعد دهر للحياة ، وما يدعو إليه من الإحساس بكل شعور وكل حالة من الحالات ، كى يعم مبدأ وحدة الإنسانية ، هو الذى دعا إلى تخيل إنسان يعيش دهرا بعد دهر فى كل حال وفى كل مكان ، حتى يملأ العطف قلبه ويرى أن نشدان الحق غاية الحياة . وعلى فرض أن هذا الأمل الكبير فى أن يعم ، فإن بقاءه كمثل أعلى مما يخالط مرارة الحياة بحلاوة منه .

وعلى فرض أن المثل الأعلى لا يكون فى تحقيق وحدة الإنسانية ، ففى القصيدة مثل آخر وهو أن نشدان الحق هو الشعلة المقدسة التى ينبغى أن يرعاها الفرد ، وأن ترعاها الإنسانية عامة .

* * *

---

(١) «أعاد الشاعر نشر هذه القصيدة بمجلة الرسالة فى ١٨ أبريل ١٩٣٨ بعنوان (الباحث) . وأضاف إليها المقدمة – انظر (ملاحظات) فى آخر الديوان» .

بينما كنتُ سائراً لاح شيخٌ ذو سكونٍ ونظرةٍ هوجاءِ [1]

ويكاد الضياءُ ينفذ منْهُ فهو بين الانام صِنوُ الهواء [2]

باحثٌ فى السماء يطلب شيئاً غاب عن عين غيره فى السماء

وهو فينا جزء من الزمن الأو ل ذكرى لسالف الآباء

وجهه رائعٌ كوجه أبى الهو ل رأى ما مضى على الغبراء

قلتُ : يا شيخ ما دهاك وما شأ نُك بين الأموات والأحياء ؟

قال : مَنْ يدرس الحياةَ طويلاً لخليقٌ بضحْكة الجهلاء

كنت والكونُ فى الطفولة أغدو وشَبابُ الأيامِ فى الغُلواء

وصرعتُ المنونَ حتى لأنسا نِىَ طول الحياة حُكم الفناء

دُوَلٌ قد أتتْ وأخرى تقَضّتْ وبقائى بين الأنام بقائى

وشهدتُ الصروفَ مِن قبل عادٍ والمنايا تَجُرُّ ذيل العَفَاء

أنْشُدُ الحقَّ لست ألْوِى إلى البا طل فالحق يُطَّبى بالرجاء [3]

عشتُ دهرى بالبحث والأمل الحُلْـو ولولاه لم أفز بالنجاء

من سهامِ المنون إن سهام الـ ـموت فينا كثيرة الإصماء[4]

همْتُ يوماً من قريتى أنشد الـ ـحَقّ لعلى أراه فى الدهماء

عِفْتُ بيتى وبلدتى وهجرت الـ أهل أبغى ريَّ النفوس الظماءِ

ظمأُ النفس مثلُه ظمأ الجسم وداءُ النفوس كالادواء

---

(١) هوجاء : لأنها لاتستقر لتطلعه إلى ما ينشده من الحق فى كل ناحية . (٢) صنو : قريب .

(٣) يطبى : يستمال . (٤) الإصماء : إصابة المقتل ضد الأشواء .

زعمَ الناس بى الجنونَ وخالوا طالبَ الحق أخرقَ الأحياء

كلما لاح شامخ قلت إن الـ ـحقَّ يغدو مِنْ خَلْفِه بإزائى

وَرَعَيْتُ الظماء عَلىّ أراه خارجاً من سرائر الظلماء[1]

وجزعتُ الصحراءَ أرجو لقاءً منه يُرجى فى وحدة الصحراء[2]

ولكم غُصْتُ فى العُبَابِ عليه إنما الدّر منه فى الأحشاء

وأثرتُ الأصداء أبغى جوابا لسؤالى فى منطق الأصداء

وسألتُ الرياح فصُمّت عن دعائى فلا تُجِيبُ دعائى

وسألتُ السماء تبرز وجهًا منه يَبْهَى فى الأفق جَمَّ الضياء[3]

وأعارتْنىَ الطيورُ جناحاً أرتجى منه لُقيةً فى الفضاء

طالما خاب ناشد الحق لكـ ـنّ رجائى كما عهدتُ رجائى

قد يجئُ الصباح منه بوجه طالما كان مُضْمراً فى الخفاء

أو تُبينُ الأحلام منه ضياءً فى سماءِ الأحلام مثل ذُكاء[4]

قد صحبت الأنام طرًّا كأنّى بينهم فى تلوُّن الحرباء

كان لى نوح فى السفينة خِدْناً فنجونا من مُهلِكِ الأنْواء

وحبانى أشورُ فى نَيْنَوى العُظْمَى بِسَيْبٍ من جوده وثناء[5]

ورآنى فرعون أُقدم فى الجيش مُشيحاً ورافعاً للواء[6]

---

(١) على : أى لعلى . (٢) جزعت : قطعت . (٣) يبهى : يحسن .

(٤) ذكاء : هى الشمس . (٥) نينوى : مقر ملك الأشوريين ، والسيب : العطاء .

(٦) مشيحاً : المشيح : المانع لما وراءه من إقدامه وإقباله .

وتجلّى آمون فى معبد الأقصر يقضى فى شعبه بالقضاء

ولكم جُلْتُ فى أثينا وأفلا طون يتلو فصاحةَ الحكماء

ورأيتُ الرومان فى رومة العُظْمَى عظام الأعمالِ والأهواء

وصحبتُ المسيح فى القُدْس دهراً وحبانى من روُحهِ بالصفاء

وعبدت النيران قِدْماً ولكن قد سما بى الإيمان للسمحاء[1]

وَحمدت النعيم والترف الوا فر قدماً فى صحبة الخلفاء

وَحسوتُ النعيم والبؤس حتى لم أَدَعْ كاسَ لذةٍ أو شقاء

وصحبتُ العبيد فى ظُلُمات الـ ـعيش حتى جُنِنْتُ بالضَّرَّاء

والِمْتُ الآلام طرًّا ولُقِّـ ـتُ عذاباً أُتيح للتعساء

وصحبتُ الوحوشَ فى البيدِ حتى أنِسَتْ بى الوحوش فى البيداء

وأرقت الدماء فى الحرب حتى جُنَّ قلبى من نشوة الهيجاء

لم أدع خطرةً أتيحتْ ولا مـ ـعنى ولا فكرة من الآراء

أو شعوراً أو هاجساً أو طموحا لا ولا مشهداً تركت لرائى

أنشد الحق بالتقلّب فى العيش وأبغى سريرة الأشياء

أنت أيضا شهدت هذا جميعا غير أن لا تعدّ فى الفطناء

قال ما قال ثم غاب عن العين كما يخفت الصدى فى الهواء !

---

(١) يراد بالسمحاء : الديانة الإسلامية .

سمو النفس

أهبتُ بحزمى فلم تسمعى … وعفتُ الطماحَ فلم تردعى (1)

فيا نفس حتّامَ هذا الطموح … وخيرُ المكاسب أن تقنعى

فإن عزاءً يريح النفو … سَ خيرٌ من الأملِ المطمع

يعفُّ الأبىُّ وليست تعفّ … ذواتُ المخالبِ والأربع

ولو قد زهدت طلاب الحطام … لأشقاك حبُّ العلا الأرفع (2)

هممتِ بكسبٍ فلم تبلغى … ورمتِ الكمالَ فلم ينفع (3)

وخفتِ المقادير فى ظلمها … وأشقاكِ يا نفسُ أن تخضعى

وأشقاك أن قيودَ المقا … بح غُلت عليك فلم تُصدع (4)

فأصبحتِ فيها كطير الحبا … ئل رمت الخلاصَ فلم تُرفعى

وحرّ أوام لورد الفضا … لِ باقٍ على الدهرِ لم ينقع

ردى العيشَ يا نفسُ لا تأنفى … وجوبى المقاديرَ لا تخشعى

فكلُّ حياةٍ إلى منتهى … وكلُّ شقاءٍ إلى منزع

حديقة الصيف

هى برءٌ من العشى … وشفاء من الكبرْ (6)

---

(1) أهبت بحزمى : أى ناديته . وعفت : كرهت . (2) الحطام : التافه الفانى .

(3) لم ينفع ؛ لأن النفس لاتبلغه .

(4) أى تريدين أن تكونى مطهرة من العيوب فلا يستقيم ذلك ولا يتفق فتحزنين .

(5) الأوام : العطش ، وحره : شدته . والورد : مكان الماء الذى يرده المستقى .

(6) العشى : مرض فى العين ، أى أن الرياض تجلو البصر وترجع الشيخ شاباً .

وهى للشيخ مبعثٌ   للأمانىَ والذكرْ
وهى للطفل ملعبٌ   فيه ملهى على غَرَرَ[1]
وهى للبائس الحزيـ   ـنِ ملاذٌ من الفكر
وهى للعاشقين ظـ   ـلٌ ظليلٌ ومُستتر
فى رياضٍ من المنى   وأمانٍ من الزَهر[2]
حيثُ تلهو العيونُ فى   نزهة النفس والبصر
قم بنا ننشر الزهو   ر على صفحة الغُدُر
هذه الغيد فى الغديـ   ـر جلت صفحة القمر
غرَّد الطيرُ قائلاً :   فازَ بالحسنِ من نظر
وثمارٌ قطوفُها   تتدلى من الشجر
والغوانى حديقةٌ   ملؤُها الزهر والثمر
وهجيرٌ كأنه   لهبُ النارِ يستعر
يدعُ المرءَ ناعساً   فاترَ النطق والنظر
يدعُ المرءَ ناعماً   نائم الهمّ والفكر
إنما الصيف زينةٌ   غضّةُ الحسنِ والأثر
تلبس الأرض حسنها   بعد ما غاب واستتر
وتراءى لعاشقٍ   عبد الحسن ما ظهر
ينتشى المرءُ كلما   نال من نشرها العطر[3]

---

(١) أى على غفلة .   (٢) أى رياض فى الحسن كالأمانى ، وأمانى فى الحسن كالرياض .

(٣) ينتشى : أى يسكر .

مصارع النجباء

لو كنتَ ذا روح عظيمٍ همُّهُ ... لعذرتني في لوعتي وبكائي[1]

تغدو وهمك في الحياةِ حطامها ... إن النفوسَ قرارةُ الأدواءِ[2]

ليس السعادةُ كنزَ كل فضيلة ... فاذهب لشأنك لا يصبك شقائي

للمالِ والجاه العريضِ عصابةٌ ... وعصابة لمصارع النجباءِ

ففتى وحيد لا أنيس لنفسه ... فرد من الخلصان والقرناءِ

وفتى له عيشُ الغريبِ وحاله ... وأخو الذكاءِ يعدُّ في الغرباء

وفتى يجود بماله وبنفسه ... وفتى تذوب حشاه في الظلماء[3]

شوقًا إلى المجد العزيز منالُه ... مجد النفوسِ أحق بالبرحاء[4]

يقضي الغبي حياته في غفلةٍ ... عن نفسه ويعدّ في الأحياء

إن الحياةَ جمالُها وبهاؤها ... هبةٌ من النجباء والشهداء

لولا طماحُ الحالمين وهمهم ... بقي الورى كالتربةِ الغبراء[5]

الحالمون بكل مجد خالدٍ ... سامي المنالِ كمنزل الجوزاء

الغاضبون الناقمون على الورى ... هبُّوا هبوبَ الصَرصر الهوجاء[6]

الشائدون الهادمون ذوو النُّهى ... والعقلُ أعظمُ هادم بنّاء

الخالقون المهلكون الشارعو ... ن المرسلون بآية غراء

---

(١) همه : أى ما يعنيه ويهم به .

(٢) الأدواء : الأمراض .

(٣) أى ساهراً فى تدبير ما يحاول من العظيمات .

(٤) أى مجد النفوس أخلق بأن يعشق .

(٥) الحالمون : المفكرون الذين يحلمون بتحقيق الآراء السامية .

(٦) الصرصر : الريح الشديدة ، والهوجاء : المجنونة .

آى الجلالةِ والذكاءِ جميعها ... فيهم على السرّاء والضراءِ
فلئن أصابهم الزمان بمهلكٍ ... قبل ابتناء منازل العلياء
فحياتهم وفعالهم ودماؤهم ... مثل الهدى وكواكب الإسراء[1]

المجاهد الجريح

هو العيش حربٌ والحياةُ جهاد ... وإنَّ حياةَ العالمين سهادُ
ولا أشتكى أنّى جرعتُ مريرها ... فيا ليتَ عُمراً فى الحياة يعادُ
فأجرع منه الحلو والمرَّ إنما ... مشارب من يهوى الحياة بِراد[2]
وليست نفوسُ الناسِ إلا أسنّة ... لها كل يومٍ مطعن وجلاد
وليست نفوسُ الناسِ إلا سيوفهم ... سيوف ولكن ما لهن غماد[3]
ويصدأ وجهُ السيفِ والسيفُ قاطع ... إذا كان سيفاً ليس فيه مذاد[4]
وليست حياةُ المرءِ إلا كشعلةٍ ... وآخر ذيالك الضرام رماد
وفى العيشِ مسعى للبيب ومطلبٌ ... هل العيشُ إلا مطمح ومراد
وهب أن ما يأتى الفتى غير مقنعٍ ... أليست لذاذات الطرادِ تراد ؟[5]
ويحصدُ سعى المرءِ ما شاء عزمه ... وللمرءِ يوْم ليس فيه حَصَادُ
وما ينفع المرءُ الحزين بكاؤه ... إذا ظلَّ ورد المرءِ وهو ثماد[6]

(١) أى أن سيرهم قدوة لمن بعدهم .
(٢) براد بكسر الباء : عذبه .
(٣) الغماد والإغماد بمعنى واحد .
(٤) أى لا يستخدم فى ذود المكروه .
(٥) أى أن الحياة مثل القنص الذى ليست لذته فيما يصطاده المرء بل فى تتبع القنيص ومطاردته .
(٦) الثماد : الماء القليل .

ولولا خضوعُ النفسِ للجسم ما بكى ... جريحٌ ولم يعزز عليه تلاد

فلا تعذلوني إن ألمت فإنني ... جريحٌ من الأحداث وهي صعاد[1]

ولا تعذلوني إن حزنت فطالما ... أُصبْتُ ولي بين الكماةِ فؤاد

ويا طالما خضتُ الخطوبَ وصهوتي ... رجاء ألا إن الرجاءَ جواد

فإن متُّ فاسعوا فوق قبري وباشروا ... جلادَ كم إن الحياةَ جلاد

ولا تحسبوا أني جبنت لميتتي ... ولي عزمات كلهن صلاد[2]

وقلتُ لنفسي إنما الموتُ سنةٌ ... هم الناس ركبٌ والمطامع زاد

وقدماً مضت تلك العصور وأهلُها ... وبادت بلادٌ بعدها وبلاد

جهلنا فما ندرى على العيشِ ما الذى ... يراد بعيشٍ نحن فيه نقاد

سوى أنَّ عيش المرءِ بالشك فاسدٌ ... وأنَّ يقينًا في الحياة رشاد

يقينًا بأن العيش نشوة صائل ... له عزمات في الحياةِ حداد![3]

عبث الشكوى

يا صاحبَ العقل يقضي العيشَ في حزَن ... يشقى بك الناس أم تشقى من الناس؟[4]

وتحسب الناسَ بُهْماً لا عقولَ لها ... وأنت فيهم كمصباحٍ ونبراس

وأنت في الناس قطر ضاع قاطره ... في لُجّةِ اليمِّ لا راوٍ ولا حاسي

---

(١) الصعاد : الرماح . (٢) صلاد : شديدة .

(٣) أى نحن لا نعلم لأى أمر خلقنا وإلى أين نذهب ، وكل ما نعرفه أن الشك في فروض الحياة يؤدى إلى اليأس والفشل والندم ، والحداد : الحادة .

(٤) أى هل الناس تشقى بما يحاوله صاحب العقل أم هو يشقى بجمود الناس ؟

وما أحَسُّوا بهم من حاجةٍ لهمُ — إليك ، كلا ، ولا جاءوا بمقياسِ

ملائكُ اللهِ إن أرضوك بينهم — وإن غضبت فهم من نسل نسناسِ!

للنفس أفقٌ مضئٌ نوره عَمَمٌ — وأرضها النتن من رجسٍ وأدناس

وراعك اليأسُ حتى خلت من جزعٍ — أنَّ الفضائلَ من أحلام وسواس

وكدت تنسى حياةً أنت صاحبها — بين الأنام فأنت الذاكر الناسى

حتى إذا بلغت شكواك غايتها — علمت كيف تداوى اليأسَ باليأس

وما ضرارك نفساً بعد ما علمت — أن الرخاءَ قنوعُ الطاعمِ الكاسى

وكم تريد حياةً كلها جذلٌ — غيرَ الحياة وناساً غير ذا الناس

الناسُ والبُهْم تدرى أن ذا عنتٍ — يُعَطِّل العيشَ من بشرٍ وإيناس!

الطائر الحبيس

« وهى قصة جرت للشاعر ، وهو غلام صغير ، مع عصفور فى قفص اتخذه لعبة له »

أذكر فيما مضى من العمُرِ — وكنتُ ألهو فى غفلةِ الصغرِ

وكنتُ ألهو بطائرٍ غَرِدِ — مرتجل للغناءِ مبتدر

فى حيثُ لا روضة له أُنُف — والشدوُ شعرٌ لعاشق الزهر(١)

بل كان يشدو الحبيسُ فى قفصٍ — شدوَ حزينِ الفؤادِ منفطر

وكنت غفلان عن لواعجه — وكيف يرثى الجذلانُ للكدر؟

قد كنت كالطائر الطليق فلا — شجو يروع الفؤادَ بالفكر

---

(١) الروضة الأنف : الرائقة الجميلة

قَدْ كانَ قلبي لقلبه حجراً — وكيف يجدي الغناءُ للحجرِ؟
قَدْ كانَ لي لعبة أعابثها — ما كان سرُّ الغناءِ من وطري
قَدْ قمتُ ألهو بجانب القفصِ — في صخبٍ رائع بلا حذر[1]
وأقرع الأرض صارخاً جذلا — وضجة الصوتِ شيمةُ الصغر
والطيرُ من رعب قلبه حَذِر — يهتز مثل المقرورِ من خصر[2]
حتى إذا ما سكت من كللٍ — قعدت ألهو عنه على غرر[3]
إذا به صادحاً ينوح من الـ — ـرعبِ بلحنٍ يقد في المرر[4]
قد جمعَ اللحنَ من لواعجه — لم يُبق من نغمةٍ ولم يذر
لا ما لشدو من بعده أثر — في القلب باقٍ كذلك الأثر
ناح على نفسه وما فقدت — بين ثمارِ الرياضِ من وطر
لم أك أدرى ما هاجَ لوعتَه — والقلبُ من شدوه على كدر
حتى رأيتُ العصفورَ منجدلاً — قد مات من لوعةٍ ومن حذر
نسيته والسنونُ مُنسية — وكل ما فات ميتُ الخبر
حتى عرتني الخطوبُ في عمري — وروَّعتني الحياةُ بالغير[5]
ذكرته والخطوبُ مذكرةٌ — وصاحبُ الهمِّ حاضرُ الذكَر
نفسيَ كالطائر الحبيسِ فلا — مفر من جور سطوةِ القدر
قد شقَّ صدري نابُ الحياة فأمـ — ـسيتُ بقلب خفَّاق منذعر[6]

---

(١) أى بضجة أخافت الطائر . (٢) المقرور : من أصابه البرد ، والخصر : البرد .

(٣) الكلل : التعب ، وعلى غرر : أى على غفلة .

(٤) المرر : جمع مرة وهى الشدة ، ويقد : يقطع أى يستنفد الجلد . (٥) الغير : الصروف .

(٦) ناب الحياة : شبه الحياة بوحش مفترس له ناب .

يا طيرُ لو كنتَ حاضرى ألفت　　نفسك نفسى من رحمة الخور[1]

وأى خَلقٍ يلام فى خورٍ　　والمرءُ فينا فريسةُ الخطر

لا يعرفُ الحزنَ غيرُ ذائقه　　فليس حزنُ العيان كالخبر

اقتصَّ منى لك الزمانُ وقد　　أصبحت منى فى السمع والبصر !

الإنسان والكون

سلامٌ على عهد الشبابِ سلامُ　　سلامٌ وهل يدنى البعيدَ سلامُ؟

تعاودنى ذكرى الربيعِ الذى مضى　　كأنَّ حبيباً قد طواه حمام

وأحسبُ أنَّ الزهر يزهو لكى أرى　　محاسنَ منه فى الرياضِ ترام

وأحسبُ أنَّ الماءَ كالخمر سلسلاً　　لأجرعَ منه والنميرِ جمام[2]

وأحسبُ أنَّ الشمسَ ترنو بلحظها　　إلىَّ وأنَّ الليل منه خيام

وأحسبُ أنَّ النجمَ حلىٌّ لناظرى　　وبرق الغوادى للضياءِ يشام[3]

وأحسبُ أنَّ الكونَ بيتى وأننى　　أميرٌ على عليائه وإمام

وأعلم أنى هالك غيرُ خالدٍ　　وأنى رفاتٌ للثرى وعظام

وأنىَ لا طيرٌ ينوح لميتتى　　ولا الزهر شجواً إن هلكت يسام

ولا النور يدجو لا ولا الماء غائض　　وليس على وجه الهلالِ سقام[4]

كذلك لا يبكى على الحبِّ طائرٌ　　وليس على نقض العهودِ يلام

---

(١) أى أن الاشتراك فى الضعف يعلم التفاهم والتعاطف .

(٢) الجمام بكسر الجيم : الترفيه والإراحة .

(٣) أى أن الإنسان فى شبابه يحسب أن الكون خلق لأجله .

(٤) أى أن المرء إذا مات كان كأن لم يكن ، فلا يحزن عليه الكون ، كما يزعم الشعراء فى المراثى .

ولا الزهرُ يأسى للفؤاد وشَجْوِهِ ... وليس بكاء ما يريق غمام[1]

لقد جفَّ قلبى والزهور نضيرةٌ ... وقد شاب قلبى والزمانُ غلام!

وعظ الموت

تذكر شجىٌّ القلب أنّا جميعنا ... نؤول إلى وِرد الردى ونصيرُ

هل العيشُ إلا ساعة ثم تنقضى ... هل الدهرُ إلا أشهر وعصور ؟

ترى حولنا الهلاَّك فى كل منزلٍ ... كأنَّ بيوتَ العالمين قبور[2]

ونعلمُ علماً ليس بالظنِّ أننا ... سنمضى على آثارهم فنحور[3]

وهوَّن عندى الموتُ ما الدهرُ صانعٌ ... فلست من الخطب العظيمِ أخور[4]

وليست مساعى المرءِ إلا جنازةٌ ... تخبّ به نحو الردى وتسير

وما عرف الأيامَ إلا مجربٌ ... لبيبٌ بأحداث الزمانِ خبير

ونبكى لموتانا لأن حياتهم ... منافع تغنى فى الخطوبِ وخير[5]

يخلفنا الأحباب كالدوح هزه ... شتاءٌ يعرّى غصنه ودبور[6]

أنشقى بفقدِ الميتِ والميتُ ناعمٌ ... سعيدٌ بما جرّ الحمام قرير؟

وما الموتُ إلا الأمنُ والخلدُ صنوهُ ... ألا إن فقدانَ الحياةِ حبور[7]

خليقٌ بنا أن نغبطَ الميتَ حاله ... فإن حياة العالمين غرور

---

(١) يأسى : يحزن . (٢) الهلاك : الهالكون . (٣) نحور : نتحول ونتغير .

(٤) أى علمى أن الموت آت يهون مصائب الحياة .

(٥) أى أننا إذا بكينا الميت لم نبكه لأن موته مصيبة حلت به بل مصيبة حلت بالأحياء ، لأن حياته كانت نفعاً لهم .

(٦) الدوح : الشجر ، والدبور : ريح شديدة . أى يتناثر عنا الأحباب ، كما يسلب الشتاء والرياح أوراق الشجر .

(٧) الحبور : السعادة .

أبناء الشمال

(الآريون)

إنَّ أبناءَ الشمالِ ... عمّروا الأرض وصالوا

ورثوا الملكَ جميعاً ... كلُّ من يسعى ينالُ

إنَّ للملك اعتزازاً ... ليس يدنيه اتكالُ

فلهم فيه فلاحٌ ... ولهم فيه مجالُ

عمّروا الأرضَ ونمنا ... داؤنا الداءُ العضالُ

ولهم في الكونِ عرش ... قيمةُ العرشِ الرجال

كلُّ شيءٍ لهمُ في الـ ... ـعيشِ مبذولٌ حلال

حرّم الأمرُ على العا ... جزِ لا يخدعْك آل[1]

إنما القدرة إيما ... نٌ وآمال ومال

إن أبناءَ الشمال ... عمّروا الأرض وصالوا

ورثوا العزمَ جميعاً ... ما عرا القوم ملال

هم لداعي السعي والآ ... مال عمالٌ عجال

تعرفُ البيداءُ مسعا ... هم وتنبيك الجبال

وببطن الأرض مسعى ... ولدى الجو منال

سل أقاصي الأرض تخبر ... عظمت تلك الفعال

هي تنبي عن جلال الـ ... ـنفس للنفس جلال

---

(١) الآل : السراب ؛ أي أن القوي لا يتقيد بالقيود التي يتقيد بها العاجز .

بيـديهم لـجُمُ الأقـ ـدارِ يُجْريها بها الصيالُ

يركضُ الدهرُ لديهم مثلما شاءَ الرجالُ

من ثمار القدرةِ العلم وفى العجزِ الضلال[1]

عيشهم كالنهرِ يجرى فهو حالٌ ثم حال[2]

كلُّ يومٍ فى جديدٍ كشفت عنه الفعال

وجديدُ المرءِ يُبليـ ـه ويفنيه ابتذال

ويكادُ الغيبُ يبدو لهمُ منه المآل

عرفوا العيشَ ففازوا إنما العيشُ قتال

إنما العيشُ طموحٌ واعتزام واحتيال

بين عجزٍ واقتدارٍ ضاقَ بالعجزِ المجال

إنما العجزُ هو الذ لُّ إذا اشتد النضال

قيمة المرءِ مساعيـ ـه إذا عزّ المنال

إنّ أبناءَ الشمال عمّروا الأرض وصالوا

لم يرعهم فشلٌ إن ثبط الغرّ المطال

بذلوا النفسَ ليحظوا إنما البذلُ نوال

قد بروا أهل الجمودِ مثلما تُبرى النعالُ

ويل أبناء الجنوب اعـ ـتز بالملكِ الشمال

---

(١) إذا راجعت التاريخ وجدت أن العناصر تصول صولتها وتظهر قدرتها ، فينشأ من ذلك الحضارات المختلفة مثل حضارة الفرس والإغريق والرومان والعرب والتيوتون .

(٢) أى عيشهم متجدد دائما وهذا سر نجاحهم فى الحياة .

تــوأم النفــس

« الفكرة الأساسية التي بنيت عليها هذه القصيدة ، هي أنك قد ترى أحد الناس أول رؤية ، فيخيل لك كأنك رأيته وصحبته في حياة قبل هذه الحياة . فتكاد تصدق قول من يقول : إن الروح لا تخلق منفردة ولكن يخلق معها توأم لها ! »

أُخيَّ وكلُّ الناسِ صحب وإخوة ... وكل امرئ تلقاه فهو قريبُ
أتذكرني بل لا أخالك ذاكراً ... أيُذكرُ مجهولٌ لديك غريبُ؟
جلستُ على قربٍ ولم يك بيننا ... إخاء ولا عهدٌ إليه نؤوب
تحدثني نفسي بأنك خدنها ... وللنفس من ودِّ النفوس نصيب[1]
وأحسبُ أني قد صحبتك حقبةً ... من الدهر ذكراها لدى تطيب
حياةٌ لنا قبلَ الحياةِ رغيدة ... إذ العيشُ صفوٌ والزمان أريب
فنفسُ الفتى في مسلك العيشِ توأم ... لها في الأداني توأم وحبيب
وكل امرئ في العيش يبغي قرينَه ... وكلُّ ضريبٍ ينتحيه ضريب[2]
فويحٌ لنفس لم تجد من يحبُّها ... وللقلبِ لم تعطف عليه قلوب
جلسنا ومنا مرسلٌ لحظَ عينه ... وآخر محمود اللحاظِ هيوب
نظرتُ وكم من نظرةٍ لك سرُّها ... جليٌّ وفي لحظِ العيون خطيب
جلوتَ ليَ النفسَ التي أنت ربها ... فإني بأسرار اللحاظِ لبيب
ولحظُ الفتى من نفسه وخصاله ... إذا طاب نفساً فاللحاظ تطيب

---

(١) الخدن : الإلف والصديق . (٢) ضريب : الشبيه والند .

وفى لحظِ أهلِ اللؤم لؤمٌ وقسوةٌ ... وفى لحظ أهلِ المكرمات طبيب
وفى لحظ أهلِ الودِّ أنسٌ ورقةٌ ... وعطفٌ وفى لحظ العدوِّ قطوب[1]
فقلتُ لعلّ القربَ يُدنى نفوسنا ... وكلُّ جليس للجليس طروب
وما هى إلا لفتةٌ وبشاشةٌ ... تروح رسولاً بيننا وتؤوب
فينشأ عطفٌ بيننا وتعارف ... ويورق غصنٌ للوداد رطيب
وكلُّ وداد لو فطنت تجاربٌ ... فمنها مضيءٌ مغدق وخلوب[2]
وما هى إلا لُقْيةٌ بعد لقيةٍ ... يظل لها القلبُ الطروبُ يذوب
فنحيا ودوح الودِّ سامٍ وظلُّه ... ظليل وروضُ المكرمات قشيب[3]
يقرُّ بعينى أن أرى الضوءَ والدجى ... إذا نظرت عينى وأنت قريب
وهيهات حالت دون ذلك وحشةٌ ... فقمنا وكل عن أخيه غريب
فوا حسرتا من نُهْزة ما انتهزتها ... ورحتُ وعيشى من هواك جديب[4]
أسائلُ عنك الدهرَ فى كل ذكرةٍ ... يكادُ لها عهدُ اللقاء يثوب[5]
أعلل نفسى أنَّ قلبَك ذاكرى ... فيكذب ظنى والرجاءُ كذوب
وأنت بعيدٌ لست تعرف ذُكرتى ... ولا أن قلبى من نواك كئيب
وأعجب من هذا اللقاءِ وأمره ... وكلُّ لقاءٍ فى الحياةِ عجيب
فيا ويحَ هذا الخلق من كل وحشةٍ ... ومن فرصات فى الحياة تخيب
يعيشون كالأشباح فى العيشِ حقبةً ... لهم كلَّ يوم إحنةٌ وحروب[6]

---

(١) القطوب : العبوس .

(٢) تشبيه تجارب الوداد بالسحب إما نافعة شافية ، وإما برقها خلوب خادع .

(٣) الدوح : الشجر . (٤) النهزة : الفرصة . (٥) يثوب : يرجع .

(٦) إحنة : حقد ، والحقبة : المدة من الزمن .

وكلٌّ لكلٍّ لو يفيقون جُنة		وكلٌّ لكلٍّ منهلٌ وقليب[1]

فيا توأمَ النفس الذى أنا ناشد		دعوتُ فهل من سامعٍ فيجيب؟

يقنتُ خلودَ النفسِ من بعد ميتةٍ		لعل لقاءً يا حبيب يؤوب

فيرجى لنا فى عيشة بعد هذه		من الحبِّ والودِّ المكينِ نصيب !

حلم النفس

ألا يا طللَ القلبِ		وقبرَ الودِّ والحبِّ

لججتُ بحب خوان		وفى الوافين من يصبى

ذكىِّ الحسنِ فتَّانٌ		فتون الوجهِ واللُّب

هو الحلمُ الذى تبغى		فما بالعيشِ من عتب

فدع حلماً مضى أبداً		أيُروى القلبُ بالكذب؟

سرابٌ كان فانقشعت		خلابة نبسته الجدب[2]

فهذا الطير صداحٌ		شدا فى الغُصُنِ الرطب

ألا يا طائراً يهوى		نضير الروض والعشب :

لقلبى فيك تحنان		يُنير القلبَ أو يُخبى

فجدد دارسَ العهدِ		وجُدْ لى منكَ بالقرب

وأطربنى بألحانٍ		كفَيض الطاهر العذب

وداوِ غُلَّةَ النفسِ		بما فى الحُسن من طب

---

(١) قليب : بئر .		(٢) حينما يزول السراب تختفى الأشجار الخادعة التى جلاها للنظر .

لكى يصبحُ قلبى منك روضَ الودّ والحبّ
فما بالقلب من كلمٍ ولا فى القلبِ من ندب[1]
وأغدو بك جذلاناً خصيبَ الروض والترب
وأنسى حُلم الجدب بما فى حلم الخصبِ
فإن الحب أحلام وخيرُ الحلم ما يُصبى
وبعضُ الحلم جلاّبٌ مريرُ الهمّ والكرب
ألا يا حلُم النفسِ أتروى غلةَ الصبٍ؟
فما فى الحبِّ من عيبٍ ولا بالقلب من ريب
ألا يا طائرَ الحسن أليفَ الروض والعشب
فؤادى لك فردوس فطرْ فى جوهِ الرطب
وصنْ لى حسنك الباهر من شين ومن عيب
وكن لى خير مصحوبٍ أكن من خيرة الصحب !

زهر الهوى ونبت الفيافى

بين زهر الهوى ونبتِ الفيافى وزهور من النجوم روانى[2]
جاء نجوى بمن أعز وأهوى ملكٌ من ملائك الرحمن
واقفًا بين من أحب وبينى بيدينا يداه معقودتان

بين زهر الهوى ونبت الفيافى

ثم خلى بينى وبين حبيبى فاقتربنا اقتراب غير مريب

---

(١) الكلم والندب : الجرح .
(٢) روانى أى ناظرة من رنا يرنو : نظر .

وعـــقـــدنـا من العـناق نطاقـــاً ... مـــا دُهـينا باللومِ والتـــثـــريـب

وروينــا بـالـدمـع غُــلَّـةَ نــفـسٍ ... كيف يُروى الجوى بدمعٍ صبيب

بين زهـر الهـوى ونبت الفيافـى

قـــال لى الناصحُ الكريمُ مــقــالاً ... فى خـــفـــوت ورقـــةٍ وسكـون[1]

كن أمـــينـاً عَلى الفـــؤاد الأمين ... إنما الحـــسنُ نهـــزةٌ للخـــئـــون

هل جـــزاءُ الحـــبـــيب إلا وفـــاءٌ ... خـــالص من شـــوائب أو ظـنـون

بين زهـر الهـوى ونبت الفيافـى

ثـم ألقى إلى الحـــبـــيب مـــقـــالاً ... إن خـــيـــر المقـــال نـصحُ القلوبِ

كن رؤوفـــاً ووافـــيـــاً ومنيـــلاً ... وطـروبـاً إلـى المحـب الـطـروب

إنما المرءُ ســــاعـــــة ثـم يمضى ... فـاجـعلَنْهـا فى خلوةٍ بحـبـيب!

بين زهـر الهـوى ونبت الفيافـى

جنـون الأمانـى

أيا روضـةَ الريحـانِ من لى بنفـحـةٍ ... تخفف من همّى وتشفى فؤاديا ؟

ويا نفـحـةَ الريحـان هبى مع الصبا ... فـإن بقلبى لوعـةً هى مـا هيـا

وإن بقلبى لوعـةً أنت هجـتـهـا ... فقد كنت دائى فى الهوى ودوائيا

ومـا ظمـئى للـمـاءِ والقـيظ لافحٌ ... بأوجع من شوقى وحرُّ غـرامـيـا

فـيـا ظَمـأ القلب الجـريح وريه ... أمـا جـرعـة تطفى لهـيبَ أواميـا

ويا منهلَ الحـسن الذى أنا حـائمٌ ... عليـه ولم أرو الغليل الذى بيـا

---

(١) صوت خافت : غير مجهور به .

ويا واحةَ العيشِ الجديبِ أحبّه | على جدبه لو أن فيك مقاميا
لقد جبتُ هذا العيشَ والعيشُ بلقعٌ | وأُبتُ وما أعقبتُ إلا كلاليا
وأبصرتُ فيك الماءَ كالخمرِ سلسَلاً | وأبصرتُ فيك الغصنَ فينان زاهيا
وأبصرتُ أثماراً هناك ومورداً | لذيذاً فلم أملك عليه طماحيا
فقلتُ لقلبى : إنما العيشُ فى الهوى | ولا عيشَ إلاّ أن تنالَ الأمانيا
وقلتُ لقلبى : إنما العيشُ خلسةٌ | من الموت لا تبلغْه يا قلبُ صاديا
لئن خاننى العيشُ الذى كنتُ أرتجى | فيا بؤس آمالى وطول بلائيا
وما أحسبُ النفسَ اللجوجَ شفاؤها | من العيش ما يدنو وإن كان شافيا
فمن لى بماءِ الخلدِ أروى به الصدى | فما الخلدُ إلا نجعتى وشفائيا
وما العيشُ إلا مطلبٌ بعد مطلبٍ | فكيف أُرى فى العيش جذلانَ راضيا
وما العيشُ إلا عزةٌ واستطالة | ترى الموتَ أن تحيا ذليلاً مداجيا
ولو كنتُ ربًّا نافذَ الأمرِ قادراً | لأعطيتُ نفسى سُؤْلَها وعِباديا
وأفسحتُ فى الآبادِ للنفس منزلاً | وأثملت بالآلاءِ منها الأمانيا
فمن لى بها أمنيةً ما أجلّها | تجئُ بأحلامى وترضى خياليا !
حبيبىَ ، لا والله ما الكفر شائقى | ولكنَّ قولَ النفسِ يا ليت ذا ليا
ولو أننى ربٌّ لما نالك الردى | ولا قلتُ يوماً أين منى جماليا
جمالُك مكلوءٌ بعين رعايتى | فلست عليه الدهرَ والموتَ خاشيا
أزيدكَ من زهرِ الصبا وثمارِهِ | فتزهى بحسنٍ فيك كالخلد ناميا
جنون الأمانى فيك أحلى من الحِجى | ألذُ الأمانى ما يجن فؤاديا !

هذا الحبيب

هذا الحبيبُ الذى قد لمتنى فيه ... يردد اللحظَ بين الدلِّ والتيه

فانظر محاسنَه واحذر لواحظَه ... واحبس فؤادك لا تجرى أمانيه

وارفق بلبِّك لا تودى اللحاظُ به ... واستبق دمعَك لا تهمى هواميه

هذا الذى يدرك الأعمى محاسنَه ... ويلمس الهالك المودى فيحييه

هذا الذى إن رآه الشيخُ عاوده ... شرخُ الشبابِ الذى قد راق ماضيه

هذا الذى ضحكات فى مباسمه ... أحلا لدى القلبِ من دهرى وما فيه

تكاد طلعتُه من نورِ بهجتِه ... إذا رآها مشوقُ الطرف تُعشيه

ونعمةُ الحسنِ تهفو فى معاطفه ... وقسوةُ الحسنِ تبدو فى مآقيه

وطلعةُ الحسن فيها قسوةٌ جللٌ ... تلوح للعاشق العانى فترديه

هذا الذى جمَّل اللهُ الحياةَ به ... وعلَّم الروحَ ما تحوى مراقيه

هذا الذى نبضاتُ القلب تتبعه ... ومهجةُ المرءِ تسعى فى مساعيه

هذا الذى خطرات القلبِ صادحة ... مثل الطيور إذا غنَّت تناجيه

فانظرْ لعلَّك أن تحظى بنظرته ... فربما نظرةٌ للمرءِ تشفيه

وربما نظرة للمرءِ تسعدهُ ... وربما نظرة للمرءِ تشقيه

هل الحياةُ سوى مسعى تعانيه ... ومطمحُ النفسِ تبغيه وتدنيه

أحلام الصيف

إذا ما دعتنى النفسُ يوماً لريبةٍ ... تراودنى حتى تلجَّ وتستشرى

ذكرتُك كيما تحدث النفس عفَّةً ... فذكرُك يثنى النفسَ منى عن الشرِّ
وذكــــرك يثنى ناظرىَّ عن الخنا ... ويسعد نفسى بالفضيلة والطهرِ
فأنت سميرى فى صحابى وخلوتى ... وأنت هدى نفسى على السرِّ والجهرِ
فلا تبتعد عنى فبعدك فتنةٌ ... وقربك قربٌ للمكارم والخـــير
فأنت جميلٌ كالنهار وضاءةً ... وأنت جميلٌ كالكواكب والبدر
وأنت جـــميل كالزهور نضارةً ... وفيك جمالُ الأفقِ فى وضح الفجر
فيا أيةَ الكونِ الذى أنت عطرهُ ... كذاك جمالُ الروضِ يحمد فى العطر
أظن نجــومَ الليل تزهو لكى ترى ... محاسنَ من مرآك فى الأنجم الزهر
وعذبتَ قلبى فى يديك ضلالةً ... كما يلعبُ الطفلُ المدلَّل بالطير
فجدْ لى بيومٍ من لقائك صالح ... فقد ضاعَ عمرى فى القطيعةِ والهجر
تعال أعلمك الهوى ما فعاله ... لكيما ترى السرَّ الجليلَ من الأمر
ولكننى أخشى عليك من الهوى ... إذا ما ثوى بين الجوانح كالجمر
فإن الهوى مثلُ المدامة مُسْكِرٌ ... وإن الهوى كأسٌ أمرُّ من الصبر
وأخشى عليك العيشَ فالعيشُ فتنةٌ ... وأخشى عليك الشرَّ يطرق بالضرِ
فما أنت معصوماً من الشرِّ والأذى ... ولا أنت معصوماً من السوءِ والمكر
وكل امرىءٍ فى العيش لابد فاعلٌ ... من الشرِّ أمراً كان منه على قدر
لقد خلتُ أنَّ الحبَّ طيرٌ مغرِّدٌ ... فإنى سمعتُ الحبَّ يخفق فى صدرى
إذا زال عنك الحسنُ والحسنُ دولةٌ ... تزول ويبقى منه حسنُك فى شعرى
ندمت على الهجران فى غير علةٍ ... وما كنت تبديه من الصدِّ والغدر
وهيهات أن تسرى لحاظك بالهوى ... إذا صرتَ منسياً كأمسك فى العمر

كـأنّ على الآفـاق بعدك وحـشـةً ... أراها على وجه الخليقة كالستر
أبيتُ أنادى الجنَّ فى مستقرها ... لتجمعَ ما بينى وبينك فى السرِّ
دعاءُ الفتى سحرٌ وأبلغُ دعوةٍ ... دعاءُ لهيفٍ ذى لواعج مضطر
دعاءُ الذى ما من نزوع لقلبه ... فينساك إلا أن يغيّب فى القبر
فلا تنسَ ذكرى مثلما أنا ذاكر ... عسى تلتقى روحى وروحك بالذكر
أحبُّ من الأشياءِ ما كان مشبهاً ... لوجهك إن الزهرَ يعرف بالزهر
فأرسل إلىَّ الزهرَ منك علامةً ... فوجهك مثلُ الزهرِ يضحك من بشر
ولا تفخرنَّ إنّى جننت محبةً ... فكل ضئيل النفس يفخر بالشر
ودعنى أُمنِّ النفسَ عطفًا ورحمةً ... وأُخْفِ جنونى فيك بالصبر والكبر
فليتك حلم الصيف يحلو لحالم ... ولكنما الذكرى أمرّ من الصبر
أعلِّلُ نفسى أن شوقىَ نافعى ... لديك فإنَّ الشوقَ ضربٌ من السحر
وهيهات لاتجدى لديك شفاعة ... فإنك مقدود الفؤادِ من الصخر
حسوتُ كُؤوسَ الحبِّ طراً وإننى ... أرقت كؤوسَ العمر من طرب السكر
فلا تعذلا قلبى لإسراف نشوة ... سواسية ما يأكل الدود فى القبر
سيذكر هذا الدهر أمرى وأمركم ... فقد خطَّ شِعرى فى الصميم من الدهر
لقد كان قبلى عاطلاً فحبوته ... عقود معانٍ لا تُطوَّقُ بالنثر
وقد كان قبلى أخرس الفم أبكما ... فأصبح يشدو بالجليل من الشعر
فمن لى بأسماع تعى ما يقوله ... فحولى أناس كالجماد من الوقر !
ألا إن هذا الدهرَ أوتارُ شاعرٍ ... وشعرىَ أحلى للنفوس من الخمر
ألا إن قلبى روضة الشعر والهوى ... ومنك نسيم الحبِّ يعبث فى صدرى
يحرّك أغصان الخميلة مَرّةً ... فيوقظ أنغامى ويحمل من نشرى !

فتنة الطهر

يا غلةَ القلب المشوق الصادى ... كم ذا البعاد فقد أطلت بعادى [1]

سل عنىَ الليل البهيمَ وطوله ... وسل الوسادَ فما قربت وسادى

أتخال أنك قد كشفتَ سرائرى ... وتظن أنك قد سبرتَ فؤادى

أو ما علمت بأن طهرك باعثٌ ... شوقى ومورٍ من هواك زنادى [2]

يومٌ يخال الظنُ فيك نقيصةً ... يوم يجىء براحتى ورقادى

لا بل يجىءُ بحسرةٍ وندامةٍ ... ويزيد من غصص الزمانِ العادى

لستَ الخليق بأن تنال محبتى ... إن لم تنل من عفةٍ ورشاد

النفس أعظم أن تحبّ ذوى الخنا ... أو أن تحلّ مظنة لفساد

إنى أريدك كعبةً لا حانةً ... إن الدنايا جمَّةُ الورّاد

طهرُ الحبيبِ يزيلُ همَّ محبِّه ... فكأنه القمر المنير الهادى

السعد أطهر أن ينال بخسةٍ ... شوهاء رهن حوائج الأجساد

خيرُ الهوى حبُّ الفضائل والنهى ... ومودة الأمثالِ والأنداد

ظنُّ الفتى كفعاله ومقاله ... وخصاله من مضمر أو بادى

لا ترمينّى بالدنيّة باطلاً ... فتكون أنت مظنةَ الحسّاد

حبُّ النقيصة إثرةٌ مذمومةٌ ... يغدو لها الخلانُ كالأضداد

وهوى المحاسن ألفةٌ ومودةٌ ... وتناصرٌ كتناصر الأجناد

---

(١) الغلة : العطش (٢) أورى أشعل .

انظر لنفسى فى خصالك صادقاً فإذا وجدت مغامزاً لأعادى :

فاذهب كما ذهب الوباءُ مُبغّضاً نكب الأنامَ وفتّ فى الأعضاد

وإذا وجدت محامداً ومحاسناً خلصت من الأدناس والأحقاد

أقبل كإقبال الربيع محبباً تثنى عليه ألسنُ الحصّاد

الطيرُ تشدو فى الرياض محبةً تدعوك بالتغريد والإنشاد

والغصنُ كالنشوان من ولهٍ بكم هزّ الزهورَ بقدّه الميّاد

والريحُ تبكى شجوها بأنينها حتى الرياح عليك من حسادى

والنجمُ يومض عاشقاً لجمالكم نظر المحبّ إلى الحبيب البادى

وكواكبُ الفلك المدار رواقصٌ طرباً فحبّك زادُها والحادى

والشمسُ صفراءُ الجبين مريضة والبدر شيب بياضه بسواد

أنت الذى فتن الوجودَ جمالُه يا غلّة القلب المشوق الصادى!

فى الفردوس

شريد اللبِّ هامى الدمع عانى نبت عيناه عن زهرِ الجنانِ

ترتل حوله الأملاك آيّا وطيرُ الأيك تصدح بالأغانى

ونورُ الخلدِ وضّاءٌ عليه ينير الزهر من حدق الحسان

تظلُّ النفسُ منه فى ربيعٍ مذاع العطر محمود الزمان

تظلّ النفسُ تمرحُ فى رباه وتبصرُ حولها حلمَ الأمانى

تجلله ثمارٌ فى غصونٍ قطوف بين قاصيه ودانى

بأية شقوةٍ قد رعت حتى فؤادك ليس ينعمُ بالأمان

يظلّ الناسُ حـولك فى نعـيم ... وقلبُك كـالكليم من الطعـان[1]

نفـوسُ الناس فى دعـة وأمنٍ ... ونفسُك بين حلقك واللسـان

فيـا بؤسـاً ويا تعسـاً لصبٍّ ... شـقىّ فى الفـرادس والجِنان[2]

دمـاؤك فى العـروق لهـا لهيبٌ ... كـأنّ دمـاك ريقـة أفعـوان !

وأنفـاسٌ تصـعـدها طوال ... ووجهُك شاحبٌ والدمع قانى[3]

تمدُّ إلى وجـوه القـومِ لحظاً ... وتنشـد صنوَ نفسك والجَنان[4]

ولـيس الحبُّ إلا حـب صـبٍّ ... يحنّ على القطيعـةِ والليـان[5]

وليس الخلدُ إلا قـرب خلٍّ ... جميل النفسِ محمود العيان

ستبصر منه فى الفردوس وجهاً ... عـمـيـمـاً حسنه جمّ المعانى

يسلّ الضغن لا واشٍ فيخشى ... ولا صبّ يروّع بالشنان[6]

فطرفٌ منك معـقـود بلحظٍ ... وطرف منه معـهـود البيـان

يدٌ بيـد وقلبٌ قـرب قلبٍ ... وسـرُّ النفس مـا توحى اليـدان

تحـيـيك الملائكُ بابتـسـام ... وتطربك المثـالث والمثـانى

فـقلْ للطيـر تصـدح فى رباها ... فطيبُ اللحن فى طيب الزمـان !

حلم الفردوس

أيحـرم حـتى نظرتى وسـلامى ... وحتى حنينى نحوكم وهيامى !

أقيموا كما شئتم على الصدِّ والجفا ... فـإنكمُ لاتصـرفـون غـرامى

---

(١) الكليم : الجريح (٢) الجنان : جمع جنة الفردوس (٣) قانى : أحمر (٤) الصنو : الند والمثيل والأخ . والجنان : الفؤاد (٥) الليان : الملاينة والمحاسنة (٦) الشنان : والشنآن البغض .

أعللّ نفسي باقتراب ولُقية ... وليس اقترابي منكمو بحرامِ

فإن طرقتك الريحُ يوماً بأنّةٍ ... فقد سار في ذاك النسيم سلامي

ولو أنني في القبر ميتٌ وزرتني ... لحيّتك من تحت الرجامِ عظامي[1]

وإني إذا ما اعتادني الهمُّ والأسى ... وأبغضتُ في هذي الحياة مقامي

وأشعرت ذلَّ العيشِ حتى قليته ... وقد بان حتى راحتي ومنامي

وأصبحتُ أرجو للموت من سورة الأسى ... ولم تُشف من داءِ الهمومِ مدامي

أبين لنفسي صورةً منك غضةً ... فأنقع من ذاك الخيال أوامي

ويفرحُ قلبي بعد يأسٍ وحسرة ... فقربُك فيه راحتي وجمامي[2]

وفي ذكركم روح الحياةِ وطيبها ... ومرآك فيه نهلتي وطعامي[3]

قنعت بذكراكم وبالطيف منكم ... إذا جاد طيفٌ منكم بلمام[4]

لقد كنتُ أشكو الحبَّ حي رأيتُه ... دواءَ همومي كلّها وسقامي

فيا حُلُمَ الفردوس حبّك ذكرة ... لأيام عيشٍ في الجنان وِسام[5]

ورثنا ولوعاً بالنعيم وطيبه ... وعيش قديم قد مضى بسلام

ورثنا بني حواء شوقاً وحسرة ... فأنفسنا مما تروم دوامي[6]

وكلُّ مرامٍ نرتجيه تذكرٌ ... لعهد جنانٍ قد مضى ومرام[7]

أكاد أرى الفردوسَ خضراً غصونه ... فليت مقاماً في الجنان مقامي

وأبصر فيه الضوءَ لا ضوء مثله ... له بهجةٌ في زهرها المتسامي

---

(١) الرجام : أحجار القبور (٢) الجمام : الترفيه والإراحة (٣) النهلة : الشراب (٤) اللمام والإلمام : الزيارة (٥) وسام : أي جميلة (٦) دوامي : أي دامية (٧) أي أن كل ما تحلم به في الحياة من الفضل والكمال والأطماع ، تقرب وتذكر لعيشة الفردوس .

وأسمع فيها الطيرَ تشدو فانثنى   وقلبىَ من ذكرى الفرادس دامى

فآوى إلى عهدٍ مضى ثم أنثنى   إلى مقبلٍ من دهرنا المترامى

وكلُّ جمالٍ يسحر القلبَ طيبُه   فيا ليت أوراق النعيم خيامى

سراب طماح المرء فى غير كنهه   وما هو إلا مثل حلم نيامِ

فيا ليتنى فى الريف لا شىء شاغلى   من العيش إلا غلتى وسوامى

ولو أننى فى الريف ما فاتنى الأسى   ولا برئت نفسى وطاب منامى

حبيبىَ إن خُبرتَ أنى بحسرة   وأنىَ فى أيدى الخطوبِ زمامى

فأرسلْ خيالاً منك يأسو لواعجى   كما لاح صبحٌ من وراءِ ظلام[1]

معينى على الأحزان لامسّك الأسى   ولا نالك الدهرُ الخئون بذام[2]

أريد على الأيام عوناً من الهوى   فأى مرامٍ يا حبيب مرامى

أجلُّ مرامٍ فى هواك أرومهُ   وأعظمُ سكر العاشقين هيامى

وإنَّ هيامَ المرءِ فضل وفطنةٌ   إذا كانت الأخلاقُ غيرَ لئام

فيا حُلُم الأحلام هل لك عطفة   فتروى لحاظ من جفاك ظوامى ؟[3]

وأحيا حياةً من هواك سعيدةً   وأقضى وهل حبٌ يردّ حمامى؟[4]

ولو ردّ هذا الموت شىء لرده   تصرمُ عامٍ فى هواك وعام[5]

فحسبّك حلمٌ بالخلودِ لعاشقٍ   فلولا الردى بشّرته بدوام

(١) يأسو : يصلح ويطب   (٢) الذام : العيب الذى يذم المرء من أجله   (٣) حلم الأحلام : أى خلاصة ما تحلم به النفس وأجل أحلامها   (٤) قضى يقضى : مات   (٥) تصرم : مضى وذهب .

الجمال المنشود

رأيتُ فى الحلم وجهاً منك أعبدهُ — وفوقه من نجوم الليلِ تيجانُ

توجت نفسك بالأفلاك مكرمةً — كما يتوّج بالأزهار جذلانُ

فإن وجهك بدرٌ يستضاء به — إذا بدوت ووجه الأفق غيمان

فقمت أملأ عينى من محاسنكم — وأنهل القلب منكم وهو صديان

إن راقب الناس فى الأفلاك طالعهم — فإن عينيك لى سحرٌ وتبيان

وإن طرفك نجم الحظ أرقبه — سعدٌ ونحس وإحسانٌ وحرمان

وقمتُ فى الحلم أسعى نحو حالية — من الخمائل فيها الغصنُ فينان[1]

لنور وجهك فيها بهجة أبداً — فالنجمُ من حسنكم والزهرُ يزدان

يا جنةَ الحلم كم لى فيك من أربٍ — يا طيبه لو دنا والدهرُ نيسان

أصفيت قلبى فلا والله ما سكنَت — بين الأضالع أحقادٌ وأضغان

ويا هلالاً أرى فى النفسِ طلعتَه — أضيءْ حياتى فوجه العيش طخيان[2]

وكيف يقبح عيشٌ أنت بهجتُه — وكيف يدجو ولم يدركك نقصان

يا بدر إنَّ أخاك البدر يؤنسنى — فالصبُّ والبدر والظلماء خلان

البدرُ فى أفقه أدنى لناظره — منكم فما لكُمُ عطف ولُقْيان[3]

يُلقى إلىَّ بنور من أشعته — حتى أبيت وضوء البدر ندمان

وأنت فى العيش حلمٌ لست أدركه — لم يدننى منه تطلاب ونشدان

---

(١) الخمائل : الحدائق . والحالية : لابسة الحلى . والقصد هنا حلى الأزهار . والفينان : المورق .

(٢) طخيان : مظلم (٣) الندمان : النديم .

وأنتَ للحسن جنّىٌّ فَتِهْ مرحاً ... ما نال شأوك لا إنس ولا جانُ

يا غايةَ العيشِ والآمالِ قاطبةً ... ومطلباً ليس لى من بعده شأنُ

ما كنتُ أحسبُ حسناً أنت لابسه ... يناله بين هذا الخلقِ إنسان

فذاك حسنٌ عزيزٌ معجز أبداً ... صنع المخيلة لا يحويه جثمان[1]

هل أنت طيفُ خيالٍ زار فى سِنةٍ ... فإنما المرءُ فى دنياه وسنان[2] ؟

أم كنت من جنة الفردوس فى وطنٍ ... لك الملائك إخوانٌ وخلصان ؟

أى الكواكب قدْمًا كنت ساكنه ... قد نابه منك هجران وفقدان ؟

أم كنت فى الأفق نجماً لاأفول له ... إن السماءَ لزهر النجم بستان ؟

وكيف أجحد هذا الكون خالقه ... وفيك لله آياتٌ وبرهان ؟

اذكر حبيبىَ أن الموتَ غايتُنا ... وآفةُ الحسن أكفانٌ وديدان

لا لقية بعده تُرجى ولا صلةٌ ... ولا دلال ولا لطفٌ وتحنان

ألم يعلمك وقعُ الخطبِ مرحمة ... أم كلُّ عيشك أزهارٌ وأغصان؟

هيهات لا يرحم المسكينَ ذو ترف ... منعم البالِ لا يؤذيه حدْثان

يا ناعمَ البالِ مالى راحة أبداً ... وفارغ القلب قلبى منك ملآن

وراقد الليلِ ليلى لست أرقده ... فالقلبُ من حبكم والطرفُ سهران

استجدِ لى رحمةً وانظر إلىَّ بها ... أليس فى الناس حسّان وحنّان؟

لا تحسبن قلوبَ الناس قاطبةً ... أشباهَ قلبك أحجارٌ وصوان !

لا عيبَ فى الطير لم يأنس بعاشقه ... وأنت كالطير جذلان وغفلان

---

(١) المخيلة بفتح الميم وكسر الخاء : الخيال والوهم ، من خال أى توهم ، وتأتى أيضاً بمعنى الكبر من الاختيال والتكبر (٢) سنة بكسر السين : النوم .

لا عيبَ في الزهر إن أردى بنكهته ... وأنت زهرٌ وبعض الحبِّ ذيفانُ

لا عيب في الماءِ لم يبلغه طالبه ... فأنت ريٌّ وقد أخطاك ظمآنُ

لا عيب في الضوءِ أعمى مقلة نظرت ... فأنت نورٌ وطرفي منك عشوان

لا عيب في النار أنّ النارَ محرقةٌ ... الحسن نارٌ وقلبي منه حرّان

إني أعلّمك الأعذار من سفهٍ ... يا بؤس نفسيَ إن أقصاك هجران

بالله لا تتخذ حُبِّيك معذرةً ... في الهجر مالي على الهجران أعوان

النار ليس لها قلبٌ فنعذلها ... لكنْ نصيبك وجدان وأشجان

لو تشعر النارُ لم تعنف بلامسها ... أو تألم النارُ لم تحرقك نيران

لولا المصائب والآلام قاطبة ... ما كان في الناس إشفاق وإحسان

وليس نظميَ للأشعار من عبثٍ ... فإن شعريَ قلبٌ منك ولهان

وإن شعريَ نفسٌ فيك هالكة ... وإن شعريَ أشواقٌ وتحنان

فارحم شجونَ فؤادٍ طالما صدحت ... فالقلبُ طيرٌ له في الحسن أوكان(1)

يا نائي الروحِ روحي منك دانيةٌ ... وصاحيَ القلب قلبي منك نشوان

أرسل حضرة الأستاذ الجليل حسني أفندي فهمي المحامي (2)

هذه الأبيات الرائقة إلى صاحب الديوان:

أتظلم أيامي ووجهك شمسها ... وتجدب آمالي وأنت تليها ؟

هجرت فقلبي قلب ثكلى حزينة ... أصاب الردى يوماً جميع بنيها

وأظمأت زهراً للمودة ناضراً ... سأروي بدمعي زهرها وأقيها

---

(1) الأوكان : الأوكار والعشاش .

(2) « كان من أصدقاءالشاعر ، وكان أديباً شاعراً » .

وحـــدثنى عنك الفـــؤاد بسلوة ... فأضحى فؤادى للفؤاد كـريهـا [1]
فما سـمعت أذنى لشكرى بسابق ... ولا أبصــرت عـيناى قط شبـيـهـا
إذا قـــال شـــعـــراً خلتـــه قـــال آية ... هى السـحر فى الباب مستمعيها
إذا أنزل الأشـعـار فالدهر سـاجـد ... لمنزلهـا جـاث لمتـبـعـيـهـا
ليـاليك أشهى للنفـوس من المنى ... ألذ الليـالى مـا رأيتك فـيـهـا

فبعثت صاحب الديوان إلى عمل هذه القصيدة

منى النفس

مُنى النفس أن تحيـا وأنت هواها ... فـــإنّ جنونى فى هواك هـداهـا
وإنّ مماتى فى هواكَ حـيــاتهـا ... وإنَّ سـلـوّى عـن هـواك رداهـا
فـيـا مطمحَ القلبِ الطلوب مـودة ... ســلاها فلمـا أنْ رآك بغـاها
كـأنى إذا مـا غبتَ أضللتُ هاديا ... رشـيداً وعـينى مـا يزول عمـاها
فأطلبُ نهج الرشدِ فى كل وجهةٍ ... وأنكت فى أرض العـراءِ ثراها [2]
وإن لحتَ لاح الرشدُ حتى كأننى ... بصـيـرٌ درى الأشـيـاء حين رآها
لقد علّقت نفسى بكم قبل قربكم ... فـإنك من قـبـل اللقـاءِ مناها
فكنتُ كـراءٍ فى الكرى زهرجنةٍ ... فلمـا تمشى فى الصـبـاح أتاها
فكان على وعدٍ من الحلم مـا أتى ... فيا حلم نفسى هل تزيل صداها ؟
ويا جنة الأحلامِ طالت فروعهـا ... حـبـيب لقلبى مـاؤها وشـذاها
فـأنت حـبـيبى مـا حـييت وإنما ... مُنى كل نفسٍ حيث كـان هواها

---

(١) كريها : أى مكروها عند نفسه
(٢) أى أضرب فى التراب بعصا متهديا .

فواهًا على العهدِ القديم الذى مضى ... وواهاً على عهد الأحبةِ واها

وخيرُ ليالىَّ التى أنت حلمها ... وما زان طيف من لدُنْكَ كراها

وخيرُ ليالىَّ التى أنا ذاكر ... وشر الليالى ما أبيت أراها

وخير ليالىَّ التى أنت بدرها ... وقد شُق عن وجه السماءِ دجاها

وخير ليالى القصار بقربكم ... أرى بدأها يهدى الىَّ ضحاها

فيا بدر انّ الليلَ بعدك مظلمٌ ... فهل ليلة لى من سناك حُلاها

فربّ ليالٍ هن ذات قرابة ... لقلب شجىّ إن عدته بكاها

بكاها فلما لم يرَ الدمع نافعاً ... تأسى وفى النفس اللجوج شجاها[1]

أريد من الأيام ما لست مدركاً ... هوى كل نفسٍ أن تنال مداها

فقل لطموح النفس حتّام نحسها ... كفاها من العيش القليلُ كفاها

أحبّك يا دنيا على البعد مثلما ... أحبّ هلوكاً قاربت فقلاها[2]

ألا فاسقنى الأيام إن كؤوسَها ... تقرّب من نفس التعيسِ رداها

لعمرك ان العقلَ يُفضى إلى الأسى ... فمن لى بنفس ما يبين حجاها ؟

وكيف ترجّى العدلَ فى قول حالمٍ ... تطلب دنيا حلمه فشكاها ؟

عسى أن يصيبَ النفسَ صبرٌ يحوطها ... وتهدأ من نحس الحياةِ عساها

أأخشى طروقَ الحادثات ولبثها ... كأن الليالى لا تدور رحاها ؟

شقيتُ بنفسى شقوةً لا أطيقها ... فمن لى بنفس فى الحياة سواها ؟

سلاها علام الخوف من كل حادثٍ ... وحتّام يضنيها الرجاءُ سلاها

* * *

(١) تأسى : تعزى (٢) الهلوك : البغى .

ولولا نميـــــرٌ من ودادك طاهرٌ مزجت بنفسي ماءه فشفاها

لمتُّ ولم أظفر بخلٍّ مصادقٍ يعلل نفساً قد أطيل صداها

أبا الفهم ان السحرَ ما أنت قائلٌ فهيّئ لنفسي من لدنك رقاها

إذا قيلت النكباءُ كنتَ جلاءها وان قيلت الجلّى فأنت فتاها[1]

فيا مِدرها لا مِدره اليوم مثله أتحتَ لقلبي نهلةً فحساها[2]

خصيميَ دهر ليس يرضى خصيمه وكم حادثات لا تسوغ قضاها

ولي عند هذا الدهر حق أضاعه وكم من ديونٍ لي عليه لواها

وكم موقفٍ تفرى به كل بُطلة كأنَّ خميساً من لدنك غزاها[3]

فقم هاتِ لي حقي من الدهر انما حقوقي أمانيٌّ لديه حماها

فإنك يوم الحشر لو قمت دافعاً جنايةَ جانٍ مايخال جناها

فإن بياناً منك يقصي جهنما عن المرءِ حتى ما يخاف لظاها

تقارضنا الدنيا حياة بشقوةٍ وأفحش ما تقلي النفوس رباها

أدنْ هذه الدنيا بما أنت ربه فأنت خليق أن تزيح خناها

أما انها لو أُلحقت بمسامع لادركها مما تقول هداها !

قريب بعيد

لقد عاود الطيرُ المغردُ روضَه فهل هو مخضرّ النباتِ قشيبُ؟

وهل عاده زهوُ الحياة وطيبها وكلُّ حياةٍ بالحبيب تطيب ؟

اذا الطير لم يأنس ولم يبدِ عطفةً فما بين أغصان الرياضِ رطيب

---

(١) الجلى : الأمر العظيم (٢) المدره : الخطيب (٣) الخميس : الجيش .

ولا خيرَ في نيل الوداد بشافعٍ ... إذا أنت لم يطرب إليك حبيبُ

لقد كنتُ أبغي منك أنسًا وألفةً ... وكل أديبٍ للأديب طروب

وجئتَ فلم تظهر إخاءً وعطفةً ... فإن بشاشات الوجوه تصوب

ولحظُ العيون الفاتنات بشاشةٌ ... ولحظ العيونِ العاشقات نسيب

وزرتَ فلم تأنس كأنك لم تزر ... وربَّ بعيد وهو منك قريب

ولم أرَ في عينيك إغراءَ عاطفٍ ... ويا ربّ لحظٍ للمحبِّ طبيب

لقد كان في عينيك شكٌّ ووحشة ... ألا إنَّ ألحاظ العيونِ خطيب

ولم تتبسط بالمزاح توددًا ... وما كل مزحٍ في الوداد يريب

فكلُّ مزاحٍ منك أنس أحبّه ... وماءٌ طهور لا يعاف شروب[1]

فلا أنت مشتاقٌ ولا أنا شائق ... وكيف يشوق القلب وهو كئيب

فأين ابتسام كنت أهوى وميضه ... وأين ضياء في اللحاظ خلوب[2]

تحدثني عيناك أنك مبغضي ... فكلُّ ودادٍ بعد ذاك كذوب

أحبّك حبًا لست أهلاً لمثله ... وما كلّ حبٍ للجمال يطيب

فإنك لا برٌّ لديك لآملٍ ... رضاك ولا ودًّا لديك أصيب

فنفسُك مثلُ القبر قبحٌ وظلمة ... وحسنُك غصنٌ في القبور جديب

فلا تتركنّي بين يأس ومطمعٍ ... إذا لم يكن لي من هواك نصيب

ودعني أمت أو أحي دهرًا كميتٍ ... تعدته عُوّاد وملّ طبيب

وإني خليق أن أبوءَ بسلوةٍ ... إذا أنا لم يعطف عليَّ ضريب[3]

* * *

(١) شروب : صالح للشرب (٢) خلوب : أي خالس للقلب والبصر (٣) أبوء : أرجع .
والضريب : الند والمقصود الصاحب .

وأهوى رفيقاً ذاكى الروحِ والنهى ... وما لى سواكم فى الحياةِ طليب

فيا خالقَ الألحانِ جدْ لى بمنطقٍ ... وجدْ لى بلحنٍ من لدنك يذيبُ

لأطرب قلباً لا يلين لمطربٍ ... ألا كل شادٍ للجماد يخيب

أظلّ اذا ما غبت عنى كأننى ... يتيمٌ غريب فى الحياة سليب

شفيعى إليكم فى المحبة أننا ... كلانا يتيمٌ فى الحياة غريب

ولو كنت تدرى كنهَ حسنك كله ، ... عذرت ولم يعنف عليك رقيب

وعربدت من سكر الجمالِ وإنه ... لسكر إذا فكرت فيه يطيب

ولو جُنّ إنسانٌ من الحسن كنته ... فأنت فريدٌ فى الجمال عجيب

ولو كنت تدرى سرَّ حبىَ كلَّه ... لما خلت أنى فى هواك مريب

وما فى الورى مثلى عليمٌ بحسنكم ... فإنى بأسرار الجمالِ لبيب

أبيتُ أناجيكم على بعد داركم ... وأدعو خيالاً منكمُ فيجيب

وأطعمه زادى وأسقيه خمرتى ... وأبغيه فى الظلماءِ وهو قريب

وأجلسه جنباً لجنبى وإننى ... إليه وإن طال البعادُ أؤوب

وأسأله عن حاله كيف حاله ... ولى منه إلفٌ شائقٌ وجنيب

نظمتُ معانى الحبِّ فيكم جميعها ... فلم يبقَ منها شاردٌ وغريب

ولم يبق الا أن أُجنَّ بحبكم ... وتُهلك قلبى زفرةٌ ونحيب

كأنكمُ طيفٌ لطيفٍ يزورنى ... فيا طيفَ طيفٍ هل أراك تؤوب ؟!

عشيق القمر

وهى أنشودة من أناشيد الصيف والليل والقمر

نشر البدرُ على داركمو ... خلعاً والدارُ تزهو بالضياء

فى ليالى الصيفِ حيث القلب من ... شجوه بين التمنى والرجاء

ان بيتاً أنتمُ سكانه ... لخليق ببهاءٍ وسناء

لخليق أن يبيت البدر فيه ... ساطعاً بين عراص وفناء

أحسن الضوء على داركمُ ... ما ديار الحى عندى بسواء

يخشع الطاووس من حسنكمُ ... ويبيت البدر مسلوب العزاء

فكأنَّ البدرَ من حسبكم ... حائرٌ يقطع أرجاءَ السماء

فهو مثلى هالكٌ من حبِّكم ... وهو مثلى بين يأسٍ ورجاء

ويطلُّ البدرُ من طاقاتكم ... ويحييكم بألحاظ بطاء

بسط البدرُ على فرشكم ... حُلَّةً فضيةً شتى الرُّواء

وعلا وجهكم منه ضياءٌ ... كضياءِ الطهر محمود الوضاء

وهو فى أحلامكم آفاقه ... وجهه فى حلمكم جمّ السناء[1]

وهو فى أحضانكم ذو سِنةٍ ... ليس يشقى فيكُم بالرقباء[2]

---

(١) يتخيل الشاعر غرفة بها سرير قرب نافذتها يسطع عليه ضوء القمر ، وكأنه يرى شخصاً جميلاً نائماً ، وعلى وجهه ضياء القمر. ويتخيل كأن ذلك النائم يحلم بليلة قمراء.

(٢) السنة : النوم .

ليتني يا بدر ضوءٌ ساطعٌ منك في دارٍ ضنين باللقاء

فأراه وهو عنّى غافلٌ ليس يلقاني بعذلٍ أو عداء

أأقضّى العمرَ في هجركمُ خائباً بين صباحٍ ومساء ؟

يا دواء القلبِ من أسقامه كيف ترمى القلبَ بالدّاءِ العياء !

يا ليالى الصيفِ عودى بالهوى كم عدتنا عنك أيام الشتاء

ياليالى السعدِ عودى بالمنى قد تمادى حكم أيام الشقاء !

الحب والرحمة

لما رأيتم حياتى فى اقترابكمُ وأن بعدكمو والموت سيان :

بنتم فلا رحمة فيكم أؤمّلها ولا تحسّون ما بثى وتحنانى

فادعُوا لىَ الله أن أنساكمُ أبداً وأن أبيتَ على صبرٍ وسلوان!

حسبى الذى قد عنانى من جفائكمُ وقسوة كَمنتْ فى صخر صوان

والله لو متُّ من شوقٍ ومن كمدٍ لما بللتم بماءِ الدمعِ أكفانى

ولا عناكم مماتى فى محبتكم بل كان حظى من سخرٍ ونسيان

ولو جننتُ لما اهتاجت لواعجكم ورُحتم بين مزهو وجذلان

أبعد ما قد بدا لى من عداوتكم تبدون للناس من صحبى وإخوانى ؟

ياطارقَ الموتِ فيك الأمن أنشدُهُ فأنت أرحمُ من صحبى وخلانى !

أملح الناس

ألا يــا أمــلــحَ الــنــاسِ — وطـــاق الــوردِ والآسِ
لقــد حللت إيحــاشى — وقــد حــرمت إيناسى
ألا يــا أمــلــحَ الــنــاسِ — أمــا لى فــيك من آسى ؟
وهل تزهد فى حــبّى — ومـــا بالحبِّ من باس !
أمــا يقــدر أن يرحــ — ـمَ قلبى قلبُك القــاسى
أبيتُ الليلَ ســهــرانا — على همٍّ ووســواس
وأقــضى اليــوم فى همٍّ — أريق الهــمَّ فى الكــاس
وقــد حــبَّــبْتَ لى الموتَ — فــهــل يهنيكمُ ياسى
ســينعــانى لك الموتُ — وأحــســوه مع الحــاسى
فــهــل يهنيكم مــوتى — وأن تركــد أنفــاسى ؟
وأن أدرج فى قــبــرى — قــتــيل الحب واليــاس ؟
فــمن يصــدح بالشــعــر — ومن يســخــر بالناس ؟
ولو أنى دعــوت البــد — رَجــهــرًا غــيــر إبلاس
لحــيّــانى ولبّــانى — على العــيــنين والراس !
وأدعــوك فــلا تدنو — وأنت الغــافل الناسى
ألا يــا أمــلــح الــنــاسِ — وطــاق الــورد والآس
لقــد خلقنى الحبُّ — صــمــوتاً بين جــلاسى
وقــد مــزقنى الحبُّ — بأنيــابٍ وأضــراس !

ذكرى الحبيب الأول

ذكـــرى الحـــبـــيبِ الأولِ ... أم لحـنِ شــــــدو البـلـبـلِ ؟

أورى هيـــــامك يافـــؤا ... دُ وكنت عنه بمعـــــزل [١]

فـــدع الشـــجـــونَ لأهلهـا ... ليس الزمـــــانُ بمقـــبل

أصـــبـــحت ربعــاً دارســاً ... بين الصـــبـــا والشـــمـــائل

ولقـــد عـــهـــدتك آهلاً ... بالحبِّ غـــيــرَ مُـــعـــذَّل

وعــــهـــدتُ فــيك الحب بيـ ... ـــن مُـــنـــوّر ومــكـــلـــل [٢]

يا قـلبُ هل من مـــــرجعٍ ... ذاك الـزمـــــــان المنجلى

هيـــهـــات ليس بعـــائدٍ ... عـــهــد الهـوى المتـحـمل [٣]

أصـــبـــحت كـــالقـــبـــر الذليـ ... ـــلِ وكـــــالظلام الأليـل

من بعـــد مـــا قـــد كـــان حـ ... ـــبك كـــالرحـــيقِ السلسل

فـــشــملت من شــجـــوٍ ومن ... يعـــشق كـعـــشـــقك يثـمل

وتـــقـــــــــول إن أمـل بـدا ... يـا ليـت ذلك كـــــان لى

قـــد كـــان يعــجـــبك الدلا ... ل وعـــــزة المتـــــدلل

أصــــبـــحتَ لا امـــلاً ترا ... ه ولا رضــــا المتــجـمل [٤]

كـــأسُ الحـــيـــاةِ تمجّـــهـــا ... كـــالشـــهـــد شـيب بحنظل

فـــى كـل يـومٍ لـوعـــــــةٌ ... بين الضـلوع كـــمِـــرجل [٥]

---

(١) أورى : أشعل . (٢) الشجر المنور : ذو النور وهو زهر أبيض . (٣) المتحمل : الذاهب .

(٤) أى ليست عندك نشوة الأمل وفرحه ، ولا قناعة المتجمل بالرضا والقناعة .

(٥) المرجل بكسر الميم : القِدْر .

حـتـّـام أنتَ مـعـذَّبٌ ... تـرضـى بعـيـش مـذلـلِ

ولقـد ظمـئتَ إلى السـرا ... ب فـعش كـقـفـر ممحلِ[1]

هـذا جـزاءُ مـعـانـدٍ ... يـرضـى بـحـبٍّ مـضـلـل

ويـذوب إثْـر الـغـادريـ ... ن بلهـفـةِ المتـعـجل

ويـحـبُّ سـحـارَ الـلـوا ... حظ قلبـه كـالجندل[2]

فـاكـتم حنينَك يافـؤا ... د فـمـا السـرابُ بمنهل

ودع النسـيبَ فـسـحـره ... أعـيـاك من مـتـغـزل

إن الذى أحـبـبـتَـه ... ينأى بقلب مـعـضـل

يا قـلـبُ مـالك خـافـقـاً ... أشـجـاك شـدوُ البلبل ؟»

« أرسل الأستاذ الجليل عبد الحميد العبادى هذه الأبيات البديعة إلى صاحب الديوان» [3]

ياشاعر القلب رفقًا إننى وصب ... دامى الفؤاد أحانٍ أنت أم جان[4] ؟

رفقًا فلى مهجة إن لم تكن فنيت ... فقد غدت أشبه الأشياءِ بالفانى

قرأتُ شعرك كى آسو به حزنى ... والشعر خير دواءِ المدنف العانى[5]

فهاج شعرك ما بى اليوم من كبد ... مصدوعة وفؤاد جدٍّ حران

لله أنت أقوال بالـمنـنا ... تبدى خفى مشوق القلب ولهان

إلاّ تكن عارفاً نجوى ضمائرنا ... فما لنا قد حننا كل تحنان ! [6]

---

(١) ممحل : مجدب . (٢) الجندل : الصخر . (٣) هو الأستاذ المؤرخ عبد الحميد العبادى ، عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية منذ عام ١٩٤٢ وتوفى سنة ١٩٥٥ (٤) أى إثارتك النفس بالشعر حنو عليها أم جناية لما يؤلمها من اهتياج عواطفها عند قراءته (٥) آسو: أى أداوى .

(٦) أى قدرة الشاعر على إثارة عواطف القراء ، دليل على عرفانه نجوى الضمائر وأسرارها .

كم ذا أريد لأنساه فيخذلني ... هوى دخيل وقلب غير معوانِ

سأقرأ الشعر يا « شكريّ » تبعثه ... وإن أثار عليَّ الشعر أشجاني

قد يعشق المرءُ ما يبلى حشاشته ... كأنما موتها محيا لها ثان !

فبعثت صاحب الديوان إلى عمل هذه القصيدة :

الشعر

طرب الفؤادُ فهاتها ... فالخمر فى أبياتها !

« عبد الحميد » جلوتها ... كالكأسِ فى لمعاتها

إن النفوسَ صحائفٌ ، ... الشعرُ من آياتها

والنفسُ طيرٌ صادحٌ ... والسحرُ فى نغماتها

لو راعَ كرّ الدهر شيء ... ريع من نبراتها[1]

فترى الحياةَ قنيصة ... فى الشعر من عقداتها

والعيشُ نهزةُ شاعرٍ ... يقتصُّ من فلتاتها

والشعرُ تاريخُ النفو ... س ومعقلٌ لحياتها

والشعرُ كأسٌ للنفو ... س حذار من نشواتها

والشعرُ وردٌ يانعٌ ... غرسته فى جناتها

والنفسُ ريحٌ قد هفت ... بالشعرِ من نفحاتها

(١) ذلك لأن الشعر يذهب عن كر الدهر ، ويعيد الحياة الماضية وحوادث النفس التى تقضت ، وهو للنفس بمنزلة الربيع للسنة ، والشباب للعمر .

والنفسُ طوراً كالسمو م تروع فى لفحاتها

والنفس بحر زاخرٌ والشعرُ من موجاتها

والنفس طيرٌ فى الحيا ة يطير فى روضاتها

فى أرضها وسمائها غَرد وفى جنباتها

إن القلوبَ خوافقٌ والشعرُ من نبضاتها

فترى الحياةَ جميعَها منشورةً بصفاتها

والشعرُ مرآة الحيا ة تطل فى مرآتها

تجلو أساليبَ الحيا ة تلوح فى صفحاتها

فتراه فى آلامها وتراه فى لذاتها

والشعرُ فى عبراتها والشعرُ فى ضحكاتها

وهو المعينُ على الحيا ة يغضُّ من نكباتها

والشعرُ نورٌ ساطعٌ عادٍ على ظلماتها

ويصيغُ من ألم النفو سِ اللحن فى أناتها

ويضىء كلَّ جريمةٍ فيبين عن غاياتها (١)

فهو الخبيرُ بما يحـ ـثُّ النفسَ فى فعلاتها

للنفسِ نشوةُ راقصٍ والشعرُ من رقصاتها

للنفس همةُ ساحرٍ والشعرُ من نفثاتها

---

(١) ذلك لأنه يشرح الانفعالات النفسية التى دعت إلى إتيان تلك الجرائم ، ويفيض عليها نور الصياغة الفنية .

فـــى كُـــل نـــفـــسٍ مـــنـــزلٌ ... للشـــعـــرِ من حـــركـــاتهـــا[1]

فـى الطـفـل والـرجـل الـكـبـــيـ ... ـرِ يجـــول فـى حـــالاتهـــا

وتـراه فـى فـــتـــيـــانهـــا ... وتـراه فـى فـــتـــيـــاتهـــا

فى حـــزنهـــا وســـرورها ... وطمـــوحـــهـــا وشـكاتهـــا

والـشـــعـــرُ نغـــمـــةُ صـــادح ... والـنـفـسُ من آلاتـهـــا

أشـــجـــانُهـــا أوتـارُها ... والـشـــعـــرُ من رناتـهـــا

ولـكـلِّ شـيءٍ مـــبـــعـــثٌ ... لـلنفـس من رقـــداتهـــا

والـشـــعـــرُ كـــالإلـهـــام يا ... تـى الـنـفـس فـى يـقـظـاتهـــا

والـكـون آيـةُ شـــاعـــرٍ ... يـأتـى بمـبـــتـكـراتهـــا !

بين العذر واللوم

ألا عـلـلـونـى بـالـظـنـونِ الـكـواذبِ ... ولا تـتـركـوا قلبى لنهب النواهبِ

ولا تـســالـونـى كـيـف أنت فـإننى ... أرى الموتَ فى هجر الحبيبِ المجانبِ

بـخلتُ به بـخلَ الشـحـيـحِ بماله ... وكـان جـواداً بـى على كـل عـاتبِ

فـلا تحـسـبـوا حـبى غـروراً وزهوةً ... كـأنـى خليقٌ باقـتراب الحبائب[2]

وإنـى لأدرى أننى لسـتُ لـلهـــوى ... وأنـىَ مـشـنـوءٌ كـثـيـرُ المعـايب[3]

لذاك أذود القـلـبَ عنكم فـيـنثنى ... إليكم فقلبى عندكم غير آيب[4]

فـلا تعـجـبـوا أنى لجـجت بحـبكم ... فـإن عـزاء النفـسِ شـرُّ العـجـائب

---

(١) إن كل إنسان موضوع من مواضيع الشعر وكل إنسان شاعر صغير .

(٢) أى لا تحسبوا أن سبب حبى اغترارى بنفسى ، وزعمى أنى أهل للحب .

(٣) مشنوء : مكروه (٤) أذود : أبعد وأطرد . والآيب : الراجع .

وكنتُ أظنُّ الحبَّ أمنًا ولذةً ... فجار عليَّ الحبُّ بين النوائبِ

وكنتُ أظن الحبَّ في العيشِ بلسمًا ... فكان كريشٍ في سهام المصائبِ[1]

ومن لي بنزع السهمِ والسهمُ قاتلٌ ... إذا ولغت أطرافه كالمخالبِ[2]

أأحبابنا رفقاً بقلبٍ مولهٍ ... كثير الجوى عفٍّ الهوى والرغائبِ

جعلتُ لكم عذراً على الصدِّ واسعًا ... فإن فؤادي عاذرٌ غيرُ عائبِ

وما كان لي في حبِّكم وجهُ حيلةٍ ... وكيف وقد سُدَّت وجوهُ المذاهبِ

وخلّفتموني أحسدُ الناسَ حبَّهم ... وأوحشتموني من حبيبٍ وصاحبِ

وخلفتموني إن مررتُ برفقةٍ ... بكيتُ على فقد اللدات الأصاحبِ[3]

وما ليَ حق عندكم فألومكم ... على الهجر إن أدلى محب بواجبِ[4]

قبلتم غرامي رحمةً وتطولاً ... فإن ارتضاءَ الحبِّ جهدُ المناقبِ

وحسبيَ في حُبِّيكمو أن علمتمُ ... بأنكمُ في النفس خير الحبائبِ

فيا نشوة الحبِّ الذي أنا شاربٌ ... هوالحبُّ مثلُ الخمر مرُّ العواقبِ

ومن لو رآني هالكًا من صبابةٍ ... لخال فؤادي نهزةً للّواعبِ

أضيءْ لي وجوهَ العيش منك بعطفةٍ ... فقد ضلّ قلبي في سواد الغياهبِ

وأنت جميلٌ كالحياةِ محببٌ ... وإن كنتَ مثلَ العيش مرَّ التجاربِ

أبيت وطرفي بالنجوم مقيدٌ ... أردد لحظي في عيونِ الكواكبِ

فيا نجميَ النحسِ الذي أنا ناشد ... أراك ضئيلاً آفلاً غيرَ ثاقبِ

---

(١) البلسم : الدواء يستطب به . (٢) ولغ الكلب في الإناء إذا أدخل فيه لسانه . وهنا تشبيه لسهم وتلوثه بالدماء بلسان الوحش أو مخالبه . (٣) اللدات : القرناء . (٤) أدلى به : متّ وشفع .

فليت حياتى غالها الموتُ غولةً | وأصبحت فى قبرٍ ذليل الترائبِ
أُدلىَّ بمهواة سحيق قرارها | ويُحْثى علىَّ الترب من كل جانبِ[1]
فإن متُّ لا تبكوا علىَّ بلهفة | ولا تُسمعوا روحى نواح النوادب
فإن نفاقاً ما يكون بكاؤكم | وخشيةَ لومٍ ما نواح الأقارب
ويا قلبُ كم تبغى مصادقا | وتبصر فى الأحلام صفوَ المشارب
فتغفى قليلاً بين وافٍ وصادقٍ | وتصحو طويلاً بين خبٍّ وكاذب
وإن غروراً بغية قد بغيتها | فلا تأس إن أمسيت فى عيش خائب[2]
أما أنت مثل الناس خباً وكاذباً | صميم ا لخنى جمّ الأذى والمثالب[3]
وكلٌّ امرئٍ فى العيش للعيش خادمٌ | يقادُ الفتى فيالعيش قودَ الجنائب

نجـــوى

أسارقه الألحاظَ والناسُ بيننا | فترجعنى عنه العيونُ النواظر
وينفر من قلبى وقلبىَ روضه | ويزهد فى حبّى وحبىَ طاهرُ
وهل أنت إلا كعبةٌ أنا عابد | وهل أنت إلا منسك ومشاعر !
وإن كنتَ فى الصحراء فهى خميلةٌ | وإن كنت بين الزهر فالروض باكر
وكيف يكون الروضُ بعدك ناضراً | إذا لم يكن فى أيكه منك طائر !
ألا إنَّ روضِى صوّحت شجراته | فلا النبتُ مخضرٌّ ولا الزهرُ زاهر

(١) بمهواة : أى حفرة عميقة . ويحثى: أى يهال . (٢) لاتأس : أى لا تحزن .
(٣) المثالب : المعايب التى يذم لها المرء .

وغاضت عيونُ الماء فيه وأدرجت عليه أكاثيبَ الترابِ الأعاصرُ[1]

وأصبحَ مهجوراً خرابا ترودُه وحوشُ الفيافى والطيورُ الكواسرُ

وقد كان كالفردوسِ حسناً وبهجةً فأهلكه صرفٌ من الدهر غادرُ

وأهلكه أن لا حبيبَ يزوره فلا الطير تهواه ولا الغيث ماطر

وكيف يعيشُ النبتُ والغيثُ باخلٌ وكيف يسرّ القلب والحسنُ هاجر ؟

ومالحسنُ إلا روضة النفس ، والهوى علالة نحس الجدّ ، والجدُّ عاثر

وما الحسنُ إلا حاجة النفس إن أُصب فلست أبالى الدهرَ ، والدهرُ غادر

وحبىَ فضلٌ للذى أنا عاشق وما كلُ حبٍ فخر من هو فاخر

وأحببتُ من قد كان مثلك بهجة فشطّت به عنى المنايا البواكر

يذكّرنيه كلُّ قولٍ تقوله وهيهات لا تجدى الحزينَ الخواطرُ

وكنتُ وإياه كعينٍ وأختها وكنّا كسرٍّ غيبته الضمائر

وكنا نجوب الليلَ ،والليلُ فاتنٌ وكنا نؤم الفجرَ ، والفجرُ حاسر[2]

وكان على رغم الحسودِ ودادنا هيامًا وتحنانًا تجن السرائر

سلامٌ على البدر الذى غيّب الردى وليس على البدرِ الذى هو هاجر

فيا بدر إنّ العيشَ بعدك مظلمٌ ويا بدر إن الطرفَ بعدك ساهر

ويا بدر طهّر بؤسَ عيشى ونحسَه بضوئك إن الضوءَ كالماء مائر[3]

ففيك معانى الحسنِ والشعرِ والهوى وأنت كما تهوى النهى والبصائر

فيا بؤس للحىِّ الذى ليس فائتًا ينوح على من غيبته المقابر ![4]

(١) أكاثيب : أكوام . والأعاصر : العواصف . (٢) حاسر : سافر .

(٣) مائر : نافذ وشفاف وجار . (٤) فاتيء: باق ودائم .

عقوق الغدر

محضتُك النصحَ فى سرِّى وإعلانى ... كـأنما النصحُ من دينى وإيمانى !

قد كـان لى حلمٌ فى الناس أنشده ... يجلو همومى ويأسو كُلَّ أحزانى

حلم من الصدق والإخلاص تنسجه ... أواصرُ الشعرِ من سحرٍ وتبيانِ

وشمتُ فيك خصال النفس زاهيةً ... والنفس تُجلى بأوصافٍ وعنوان

حسبت نفسك نوراً ما به ظلم ... فما اعتذارى إذا ما طاش حسبانى ؟

قوارص عنك تأتينى وأكتمها ... بأى وجهك بين الناسِ تلقانى؟

تذيع أن ودادى فىَّ منقصةٌ ... حسيبك الله من عادٍ ومن جانى

حسيبك الله ليس السوءُ من شيمى ... ولا الخيانة والإسفاف من شانى

فى أى شرع يجوز الغدرُ عندكمُ ... حتى تقابل تحناناً بعدوان ؟

تقول بالظن قولاً لست صادقه ... يا بعد ما بين ذى صدقٍ وظنان

أحسنتُ ظنى وحسنُ الظن تجهله ... فسوءُ ظنِّك فيه شك حيران

أستودع الله ما قد خلته زمناً ... فيكم وأبرأ من ودٍّ وتحنان

ما أنت أول من خانت أواصره ... وراح ينقض بين الناس بنيانى

أعيا على الناس أمرُ الناسِ كلهم ... فالخلقُ للخلق شيطانٌ لشيطان

ليت الزمان عدانى عن لقائكمُ ... كى لا أُلام على سخرٍ وأحزان

لولا خيانتكم ما خلتُ من شجنٍ ... إن الفضائل من أحلامِ غفلان

تغتابنى ، ثم تلقانى وتضحك لى ؛ ... والقلب ملآن من سوءٍ وأضغان

كم ضاحكٍ هو مثلُ الزهرِ مبسمه ... وفيه حتفك من سمٍّ وذيفان

يا رُبَّ شـاكٍ شكـاه الناسُ قـاطبـة / فـراحَ يقـدح فى صحـبٍ وخـلانِ
بيـنـا أُنـوِّهُ فى أمـن بـذكــــركـم / إذ أنت تنقص من قدرى ومن شانى
هذا جـزاءُ امـرئٍ بالناس منخـدعٍ / فـالغـافل الغـرُّ فـينا فـرصـةُ الجانى
أقــول علَّ الذى بُلغـتــه كـذبٌ / هيـهـات مـا هـو من إفكٍ وبـهْـتـان
فـقـد أتى بدليل لست تدفـعـه / وهل يـكذِّب من يسـعى ببـرهان؟
يا ربّ لا يُرتجى فى الأرض ذو ثقـةٍ / عفّ اللسان على صحـبٍ وخلصان
لأى أمـرٍ يعـيش الغــادرون بهــا / أمــا تضــيق على خبٍّ وخـــوان
من صح نـفسًـا فـلا يزرى به صـغـر / إن الكبـيـرَ كـبـيـرُ النفسِ والشـان
بعضُ القـلوب قـلوبٌ قـال بارئـهـا / كونى عن الصدقِ والإخلاص فى شان
بعضُ النـفـوس نفـوسٌ كلهـا جـيفٌ / فــاربأ بنفــسك عـن نتنٍ وديـدان
وكن كما خلت فيك الفضل أجمعه / وحـسـب نفـسك من لـبٍّ وأذهان
اعتدت من أهل دهرى كلَّ منقصةٍ / فــلا ألومك فى مـكـرٍ وعـــدوان
ومــا عـتـابيك فى طبع بليت به / الطبع أغلبُ من نصحٍ وعـرفـان !

بعد الـود

ســلامٌ عليـكم يـا أخــلاى أنتمُ / لقـد طالَ هجـرٌ منكم فنسـيـتمُ
فـاصبحتمُ فى العين كـالناس كلهم / وقـد كـان قدْماً مطمح العين فيكمُ
وقد كنت قدماً أبصر الزهر منكمُ / وأسـمع شـدوَ الطيـرِ إمـا نطقـتمُ
فـخلتم ودادى خلةَ العـبـد ضـلةً / فـــراح بنا عنكم عــزاء ورحـــتمُ
فما كـان من فضلٍ لديكم وددتكم / ولـم تـر نـفـــسى الودَّ برًّا لـديكمُ

خلعت عليكم نورَ حبى وخلتكم ... كما يخلع القلبُ المحبُّ عليكمُ

فكنتم لدى نفسى كما النفسُ تشتهى ... يلوحُ لعينى مطمحُ النفس منكمُ

فأصبحتمُ ذكرى كأس الذى مضى ... وغُضّت لحاظُ العينِ والقلبُ عنكمُ

فكونوا كما شئتم جفاةً فإننى ... عرفتُ عزاءَ الصبرِ حين غدرتم

وهونتُ من وجدى وكفكفتُ عبرتى ... ونامَ على السلوان طرفى ونمتم

فإن غبتمُ ما حنَّ قلبى لذكركم ... ولا أنتمُ منا ولا نحن منكم

لقد هنتمُ إذ هان حبى لديكمُ ... ولو صنتمُ ودى لكنا وكنتم

وكنتم مكان النجمِ عندىَ عزةً ... فأطغاكم ذاك المكانُ فهنتم

دعوتكمُ للودِّ حين وددتكم ... فكان بكم وقرٌ إذا ما دُعيتم

ورتلتُ آيات الإخاء عليكم ... فهل كان ذنبى أنكم ما فهمتم

وأنتم وجدتم قسوةَ الغدرِ لذةً ... فلما بلونا راحةَ الصبر لمتمُ

قسوتم علينا إذ حننا إليكم ... فلما أردنا هجركم ما رحمتم

نزعنا نزوع اليأسِ عنكم فلمتمُ ... فإن شئتمُ عدنا إليكم وعدتمُ

الحب والطبيعة

رحمَ الله مستحباً والهاً ... لم يجد من حبكم وجه المآب

أنَّ مما نابه من هجرِكم ... كأنين الريحِ فى الربع الخرابِ

وهو كالعصفورِ غريداً على ... غصنه والغصنُ يزهو كالشباب

وترى العاشقَ فى لوعاته ... أبداً بين سكونٍ واصطخابِ

وهو كالبحرِ وللحب جلالٌ ... كجلال البحرِ مخشيّ العباب

وقطوبٌ كـقطوب الليلِ إن | أقبلَ الليلُ كإقبال السحابِ
وله بشر كبشر الفجر إن | سرَّه وعدُ حبيبٍ باقترابِ
وهجير كهجير القيظِ إذ | غلواء الصيف ريعان التصابي
وهو آنًا عزةٌ مثل السهى | وهو آنا ذلةٌ مثل التراب
وهو مثلُ النارِ من أشجانه | أبداً بين اضطرامٍ والتهاب
يحسب الكونَ إطاراً دونه | رسم من يهوى مضيئاً كالشهاب
أو كتاباً فُصّلت آياته | وحبيب النفس معنى للكتاب
الهوى والمال والجاه سواء | نشوة العيش وغايات الطلاب
فهى تلهى المرءَ فى دنياه عن | عبثٍ للعيش خدّاع السراب
لا تَرُح بالصحو من كاساتها | فترى العيشَ بألحاظ غضاب
اسقنى خمرَ المساعى والهوى | فجمالُ العيشِ فى ذاك الشراب

نرجس

نرجس أنتِ الحسن يا نرجسُ | تشتاقكِ الأبصارُ والأنفسُ
ترضعك الشمسُ بأضوائها | واليوم صحو أفقه مشمس
تحنو على الغدران مستأنساً | يا زهرة فى روضها تغرس
تبصر وجهَ الحسن فى مائها | بحسنه كلُّ امرئٍ يأنس
حتى إذا البدر بدا ضوءُه | يزينه فى ثوبه الحندس
أفقت فى جسم كجسم الدمى | يُلتذ منه الشم والملمس
كالدرِّ من أصدافه خارجاً | والدرّ فى أصدافه يُحرس

عند غــــديرٍ شَــــبِم مــــاؤه ... خلعت من ثوبك مـــا يلبس[1]
لكى ترى حـــسنَك فى مـــائه ... تخلص منه العينُ مـــا تخلص
تدلّ بالحــــسن على بدره ... والبـــدرُ دانٍ فـــوقـــه يلمس
فـــأنت والبـــدر على مـــائه ... بدران قـــد حـــفّـــهـــمـــا الحندس
وتســـتـــحـــمـــان على مـــائه ... وأنت من بدريكمـــا الأنـفس
تقـــوم قـــرب البـــدر فى مـــائه ... لـكى ترى أيـكمـــا الأملس
تعـــوم كـــالنشـــوان من حـــسنه ... تُسكر من خـــمـــرته الأكـــؤس
نرجس أنت الحـــسن يا نرجس ... يقـــبس منك الطرفُ مـــا يقـــبس
أشـــهى من الروضـــة إذ تنثنى ... قـــدك من أغـــصـــانهـــا أميس
وطـــرفـــك الأدعـــج يـــا نـــرجـــس ... يشـــوق فـــيـــه الحسن إذ ينعس !

الحطاب والحشرة

أو

دين الكون

خـــرجت من حـــجـــرات الـ ... أرض والـــعـــينُ تـــراهـــا
ذات ذل وخـــشـــوع ... تحـــسب الخـــيـــر نماها[2]
داســـهـــا العـــابرُ قـــدمـــاً ... فـــهى لا يُخـــشى أذاها
فـــرآها حـــاطبٌ يســـ ... ـعى لحـــاجٍ قـــد بغـــاها
قـــال بالظن وقـــدمـــاً ... كـــان مـــا ظن ســـفـــاها

(١) الشبم : البارد . (٢) أى تحسب أنها تنسب إلى الخير .

قال لا يسعى إلى الشـ ... ـرِّ ضعيف قد تناهى [1]

بلغ الإشفاق منه ... مبلغاً حتى حماها

قالت الحيةُ قولاً ... حجة فيما عراها

إنما الحمدُ قيودُ الـ ... ـنُّبلِ مفكوك عراها

بُنِيَ الكون على الخد ... عة لا دين سواها

كل نفس ذات مكرٍ ... حين تستدني مُناها

كم مُداجٍ وجد الشـ ... ـرَّ مطايا فامتطاها

بلغ القصدَ ولما ... يعبد التقوى إلهـا

بلغ النجح ولما ... يبلغ الحسنى رضاها

لذعته لذعة الخـ ... ـبِّ فأخطاه أذاها [2]

فرماها تحت رجليـ ... ـه هواناً وقلاها

ليت وطأً ما عداها ... ليت طرفاً ما رآها

ربّ خبٌّ دفنوه ... تحت أرض قد حشاها [3]

لا تُصب بالخير نفساً ... ليس للخير هواها

قد يُضل السوء حتى ... تبلغ النفسُ عماها

فترجّى كل خير ... في الذي فيه رداها

إنما الرحمة ضعفٌ ... إن تُصب من لا يراها !

(١) أى بلغ الغاية فى الضعف . (٢) الخب : الماكر المخادع . (٣) حشاها : هالها .

الوتر المفقود

أحسست أن نفسي ... من شجوها كعود

أوتارها مليةٌ ... بالنغم السديد

تخلق من ألحانها ... روحاً لذى الجمود

ألحانها معانٍ ... من محكمِ القصيد

لكل معنى وترٌ ... في عودها المشدود

فللشقاءِ وترٌ ... ووتر المسعود

ووتر يشدو لها ... بالمطلبِ البعيد

كأن ريحاً إن شدت ... تطلق من ركود

ووترُ الحزينِ ... ووترُ السعيد

ووترٌ مقتبسٌ ... من جنة الخلود

قد وقعت عليه الـ ... ألحانُ بالترديد

كأنها من لحنه ... في فرحٍ وعيد

تسمع في ألحانه ... بلابل التغريد

يا نفس ما دهاكِ ... من شقوة الجدود ؟

فوقعي عليه ... وغردى وعودى

واحسى الغناءَ وانتشى ... من طربِ النشيد

هيهات أين منى ... ذو الوتر المنشود

قد كان فى فؤادى ... كجنةِ الخلود

لشد ما أعانى   للوتر المفقود !

أغاريد شاعر

نغماتُ البلابلِ   أم أغاريد شاعرِ

لعبت بالسرائر   واستبدت بخاطرى

نقعت غلةَ الفؤا   دِ بريً الهوامرِ

وغيوث مواطر   من غيوث البصائر

أخصب القلب بعدها   من صنوف الأزاهر

بعد ما كان مجدباً   من قشيبٍ وناضر

إنما الشعرُ نغمةٌ   كحنينِ المزامر

أو رعود الرواعد   أو أنين الأعاصر

ومعانٍ خوالد   كالنجوم الزواهر

إنما المرءُ ذرةٌ   فى رياحِ المقادر

إنما العيشُ نغمةٌ   فى زفير الزوافر

نغمةُ الخفضِ والنعيـ   ـم ونحس مخامر

إنما العيش قصة   أو أحاديثُ سامر

فاجز عنىَ الهمو   مَ بألحان شاعر

نغماتٌ شجيةٌ   هى خمرُ المشاعر

كل أمرٍ نحسه   فرصات لشاعر

إنما الشعر فى الحيا   ةِ كمنظارِ ناظر

يصف الناسَ كلهم … من تقىٍّ وفاجرِ

يُشعر المرءَ حالهم … من صروفِ المقادر

يرفع النفسَ سحره … عن وهادِ الحقائر

لسماءِ العظائم … عن حضيض الصغائر

فهو دينٌ لطامح … من مصيبٍ وعاثر

يصف العيشَ فى الكما … لِ عديم المحاذر

فيحنّ الورى إليـ … ـه حنينَ المسافر

فيه إغراءُ وارد … وبه حثّ صادر

يجعل اليأس والطمو … حَ دواء المغامر

يدفع النفس بالخيا … لِ لورود المآثر

يُبلغ النفس أفقها … كجناحٍ لطائر

لاتقاس النفوس بالـ … ـمالِ فى ذخر ذاخر

وهو دينُ الضمائر … لا مقال المنابر

يفتح النفسَ ضوؤه … مثل ضوءِ التباشر (١)

مثلما يفتح الصبا … حُ زهيَّ الأزاهر

يلقح النفس وقعه … ربَّ نفس كعاقر

---

(١) التباشر : أول الفجر ، قال الشريف الرضيّ :

ورب سنا أرقت له … يخادعني تباشره

صوت الله

نجوى المؤمن

أنصت ففى الإنصات نجوى النفوس فإن صوتَ الله دانٍ كليمْ
وكلنا موسى لدى ربّه وكل روحٍ حين يصفو عظيمْ
وإنما نفسُ الفتى معبدٌ يضيئها الله بنورٍ عميم
والنفس بيتُ الله إن طهرت والنفس إن لم تصف مثل الجحيم

* * *

أنصت أما تسمع ذاك الدعاء صداه فى الأنفس صوت الضمير ؟
من ذا الذى أودع فيك الرجاء ومطلبَ الخير وكره الشرورْ ؟
يا هاتفًا فى جنح ليلٍ بهيم لبيك فالقلبُ كعبدٍ أسير
أنت رجاءُ النفس فى أسرها تضيءُ فى العيش ظلامَ الأمور
وأنت صحو الروح فى بحثها من نشوة الفكر وسكر الغرور

* * *

إن كرث الخطب وعمَّ البلاء فقربه للنفس قرب الرجاءْ
ففى الأسى يبدو ضياءُ المنى وفى الأسى نبصرُ منه الضياءْ
والوقر عن نجواه وهن النفوس والوهن فى الأنفس داءٌ عياء
نجواك نجواك دواء الأنام من عنت العيشِ ووقع الشقاء

* * *

تسكب منك الضوء فى الأنفس فيرفلُ العيشُ ببردٍ قشيبْ

يعبدك الناسُ بأعمالهم ... وما يعانون لوقع الخطوبْ

وبالأسى في عيشهم والندم ... عبادة الندب الجليد المصيب

طوبى لمن روَّض من نفسه ... فإن صوتَ اللهِ منه قريب

وارحمة للناس

تعلمني الأقدارُ أن أرحمَ الورى ... فقلبي لكل العالمين رحيمُ

وأنظر في نفسي وأعرف عذرَهم ... على شرِّهم داءُ النفوس قديمُ

وإن جميعَ الناسِ أهلي وإخوتي ... وإن كان فيهم جارمٌ وذميم[1]

فيا ويح هذا الخلق مما يصيبهم ... مقادير يتلوها أذى وهموم

وليس خصيمي من يريد شقاوتي ... فإنّا جميعاً للقضاءِ خصوم

أليس أسيرُ الشرِّ أولى برحمةٍ ... وأي امرىءٍ مما يُذم سليم

أليس أسير السوءِ يغدو معذباً ... به من حزازات النفوسِ كلوم[2]

وأحسنُ ما فات امرأً حسن نفسه ... وإن خفيت عمن يودُّ وصوم[3]

وليس شقاءُ المرءِ رهناً بشره ... وليس على قدرِ العقولِ نعيم

فوارحمة للمرءِ حتى حياته ... تناهب قوت إنه للئيم

وإن أشدَّ اللؤم لؤمُ ابن طعمة ... يبيع بها من نفسه ويسوم

وليس يبالي الناسُ هلك نفوسهم ... إذا سلمت طول الحياة جسوم

فنونٌ وآداب وفقهٌ وصنعةٌ ... وفضلٌ وجاه واسعٌ وعلوم

---

(١) الجارم : المجرم . (٢) الكلوم : الجروح . (٣) الوصوم :جمع وصم والمقصود آثار عيوب النفس .

وسائلُ يستدنى بها رزقَ يومه — يريم به فى عيشه ويقيمُ[1]
فوارحمة للمرءِ من سقم نفسه — وكل الذى يبغي الشرورَ سقيم
ووارحمة للمرءِ من عجز نفسه — هو العزم إن حال القضاءُ عقيم[2]
ووارحمة للمرءِ إن بات عانيا — يحنُّ إلى ورد المنى ويحوم
ووارحمة للناس من سخرِ عيشهم — وسيّان فيهم واجدٌ وعديم[3]
حياةٌ كمستشفى السقام أليمة — فيسقم فيها أشيب وفطيم
خليق بنا أن يرحمَ المرءُ صنوَه — فكلٌّ لكلٍّ عاذرٌ ورحيم

جهاد المصلحين

أسائلُ عن هذا الورى ومآله — فيخرس داعٍ بيننا ومجيبُ
أفى كلِّ يومٍ معرك بعد معركٍ — حروب على آثارهن حروب
ولو كان يجدى أن تطيحَ ضحية — فإن شقاءَ العاملين حبيب[4]
خليليَّ هذا الكون من أوليائه — أأصلحه فى العاملين طبيب؟
وكم من نفوسٍ ساميات أذلها — فعادت بأدناسِ الحياةِ تطيب
ترى دنسَ الأشياءِ رؤيةَ آلف — يرى أن أحلامَ النفوس لغوب[5]
يظن جهاد المرءِ فى العيش ضلة — وأن مساعى المصلحين تخيب
يرى أن خيرَ الكونِ ما هو كائنٌ — ووحى النفوس الساميات مريب
ويحسب أن الشرَّ ضربةُ لازب — وأن أساليب الحياةِ ضروب

(١) يريم : يمكث . (٢) عقيم :عديم النتيجة . (٣) لواجد : تعنى الغنى . والعديم : المعدم الفقير .
(٤) تطيح : أى تهلك . (٥) اللغوب : أشد التعب .

ويصبح في مجرى الحوادثِ ريشةً تجــوب به الأيام حــيث تجــوبُ
ويطفئ نور النفس حــتى كــأنما دواعي النفوس الساميات عيوبُ
ويحسب نشدانَ الكمالِ حماقةً وأن دعـــاءَ المصلحين ذنوب
لئن فشلت للعاملين أولي النهى مـســاعٍ وذلت أنفسٌ وقلوب
فـإن شـرورَ العـالمين كـثيـرةٌ وإن الخطوبَ العـائقـات تنوب
وهمة باغي الخيرِ كالدهر صبرها وقلبُ الذي يبغي الكمالَ رحيب
وإن أمـانيَّ النفـوسِ كـثيـرةٌ تريك ضـيـاءَ النجحِ وهو قـريب
وكيف يرى ساري الحياة سبيلَه إذا حـان من نجم الرجـاءِ غـروب
ولولا ضـحـايا العـاملين لأرهقت شـرور على إثر الشـرورِ تصـيب
فـلا تعـجبنْ أن الشـرورَ كـثيـرةٌ ولكنَّ باسَ العـاملين عـجـيب!

الروح السوداء

يا ســـوأة مـــا مـــثلهـــا ســـوأة مـــا بك من حـــقـــدٍ وأوغـــامِ
يا ســوأة كـــالدهر في وســعـــه تنمـــو بمرِّ العـــامِ والعـــامِ
تنقص من خيـرٍ ومن عـفَّـةٍ وعـــيـــبك المســتنبت النامي
لو أطلقت روحك وسط الضحى لألبســـتـــه ثوب إظلام
كـــأنما ينســـابُ منهـــا الدجى يزخــرُ في ديجـــوره الطامي
مـــا خلقَ الرحـــمنُ من خـصلةٍ يطيـــر فـــيـــهـــا لوم لوَّام
إلا على وجـــهك مكتـــوبة كـــأنهـــا من خطِّ أقـــلام
خـــاتم إبليس على جلده بيِّنةٌ فـــيـــه لأفـــهـــام

روحُك كـــانـت قـــبل فى نـاهق ٍ ريض بـأســـــراج ٍ وألجــــام ِ[1]

فلسـفـة لا شك فى صـدقـهـا فلم تـكـن أضـغــاث أحــلام ِ !

فى كـلٍّ فــــضـل ٍ قـــادح واقـع تنهـــشـــه فى نـابـك الـدامى

وذاك بـرهـانٌ على صـــدقـــهـــا والـصـــدقُ ذو وقـع ٍ وإحـكـام ِ !

سنة العيش

التنافس أم التعاون

إنـى لأفـكـر ، والأيـام مــوعظة ، فى الـسـابقين وفى التـالـين من أمم ِ

من عـهـد ِ آدم من أنـفس ٍ شـقـيت وكم عيون ٍ بكت من شجوها بدم

فى النور قومٌ ، ضياءُ العيش خمرتهم وكم أناس ٍ شقوا بالعيش ِ فى الظلم

ظنّ السعيد شقاء النحس متهماً مرأى الشقاء ِ لدى المحدود كالتهم

فـإنما طـعـمـة المسعود ِ يمزجـهـا عـيش المناكـيـد ِ بالأسـقـام ِ والألم

ما نالَ طعمة قوت ساغها سغب إلا كـأن مُـزجت فى صنعـها بدم[2]

لا تسـمـعـنّ مـقـالاً قـال قـائله وما أصاب صواب الرأى فى الكلم :

اضـحك ولـذّ فـإن العيشَ منتـهبٌ وأضيعُ الأمـر ِ عـيشٌ حـيط بالعدم

فـذلك الـقـول حـربٌ للنهى أبداً قـد صـيَّـر الـناسَ للذات ِ كـالخدم

ظنوا الحـيـاةَ مـحـالاً أمـرها أبداً إلا على الحـقـد والبـغـضاء ِ والنقم

وإنما ملجـأ النفس ِ التى كـرهـت عـزو الأمـور إلى الأقـدار والقـسم

---

(١) أسرج : وضع السرج . وألجم : وضع اللجام . وفى البيت إشارة إلى الاعتقاد بتناسخ الأرواح

(٢) السغب الجوع .

إنَّ المحالَ لديها كل ما كرهت | ليس المحالُ محالَ السعى والهمم
هذى المقابح طراً فى تنافسهم | إنَّ التنافسَ داءُ الجائع النهِم
طبع قديمٌ سينضو المرء خلعته | مثل الأديم نضته صِمة الصمم[1]
لابد من فشلٍ من بعده فشل | حتى يفيقَ سوادُ الناسِ من صَمم[2]
انظر إلى الناس ما فى عيشهم أربٌ | داء الخماص وداء الهمِّ والتخَم[3]
ظنوا التقاتلَ فيه سنة أبداً ، | فعل الوحوش على الأدناس والرمم
انظر إلى الناسِ هل يبدى تنافسُهم | غيرَ التباغضِ والأوجالِ والسأم
وكلما قام فيهم ناصحٌ وَجِلٌ | قالوا هو الغرّ يرعى روضةَ الحلم[4]
العيشُ حربٌ ولكن فى عدوهم | حرب الطبيعة حرب الخير والحكم
حربُ الطبيعة حربٌ لا انتهاء لها | حسب العقولِ وحسب العزمِ والهمم
إن كان يُخشى على الأرزاق أن كثروا | فأحسن الداءِ داء العقم فى الرحم !
أتحمل الزوجُ كى يفنى الألى حملت | بين المصانعِ والأسيافِ والسقم ![5]
لا يسعد الناس سن الحرص سنتهم | حتى يُطهر داءُ الحرصِ بالندم !

الكونـــان

قلب اليائس :

ضـــــاق قلبى بما يجـ | ـنّ ونفـــسى بما تشـــا
فـــهى كـــالبـيتِ مـغلقٌ | نازح الأهل قـــد خـــوى

---

(١) الصمة : الحية (٢) الصمم بالفتح : ذهاب السمع . (٣) الخماص : الجياع .
(٤) أى كلما ظهر مرشد قالوا إنه يريد تحقيق الخيالات والأوهام . (٥) الزوج : كلمة تقال للمرأة والرجل ، أى الفرد المزاوج .

راكدُ الجوِّ قاتمٌ ... فاسدُ الماءِ والهوا

يُفزع المرء من صدا ... ه إذا ردَّد الصدى

يحسب الجنَّ قد ثوى ... جمعها فيه ما ثوى

أغبرُ اللون عابسٌ ... مظلم الأرض والسما

ضاق صدرى بما يجـ ... ـنَّ ونفسى بما تشا

فهى كالبيت مفزعٌ ... يُفزع الطرف بالدما

أهلك النفسَ جارمٌ ... فاتكُ النفسِ ما ارعوى

أصبحَ البيتُ خالياً ... مسكن البوم والدجى

يُسمع العابر المجـ ... ـدَّ صراخاً إذا دنا

أسكت القلب وقعه ... روع الأمن والكرى

ضاق صدرى بما يجـ ... ـنَّ وروحى بما يشا

فهو قبرٌ لعالمٍ ... قبل ذا الكون قد مضى

كلُّ روحٍ وذيلةٌ ... تهب العينَ ما يُرى[1]

فترى العينَ مايجىء ... ويبدو الذى انقضى

كان كالكون واسعاً ... لا يُرى بعده مدى

قُضى الأمرُ فانقضى ... بقى السعىُ والمنى

ضاق قلبى بما يجـ ... ـنَّ ونفسى بما تشا

قلب الآمل :

فمتى يصبحُ الخرا ... بُ جناناً كما مضى ؟

---

(١) الوذيلة : المرآة .

ومــــتى تبلغ النفــو س مــداها من الحجى ؟
ومــــتى ينزعُ الورى قسوةَ السوءِ والخنى ؟
ومــــتى ينجلى الظلا مُ عن الفجرِ والضحى ؟
ومــتى تطهر النفو سُ من الشرِّ والأذى ؟
ضــاق صــدرى بما يجـ ـنّ ونفسى بما تشـا
تبتغى عالماً جديـ ـداً من الكون قد نشا
خارجاً منه مثلما تُخرج الليلةُ الضحى
حدث الناس أنه حُلمُ النفسِ فى الكرى
قبر ذا الكون مهد كو ن جنين ما إنْ بدا[1]
حدث الناس أنه قول غرٌّ قد انتشى
ضــاق صــدرى بما يجـ ـنّ ونفسى بما تشـا
أيظل الورى كذا بئسَ ما يفعل الورى !
عبثاً يحلم الورى حلمَ الخيرِ والنهى
أم لأمرٍ مقدرٍ فهو للكونِ كالحدا[2]
حلمُ الخيرِ مُبلغ الـ ـكونِ ما ينقع الظما
فلئن كان خدعةً عبثاً ننقل الخطى
ضــاق صــدرى بما يجـ ـنّ ونفسى بما تشـا !!

---

(١) أى أن كل كون بمكانة البذرة يخرج منها كون آخر أرقى منه .

(٢) أى أن الأنبياء والشعراء والمصلحين يسمعون ألحان الخير والنهى والكمال ؛ فكأن تلك الألحان حداء بهم إلى منازل . والحداء للناقة الغناء لها كى تتجشم السير .

نظرتان فى النفس

إذا جعل الإنسانُ نصبَ لحاظه مآثمه هانت عليه مكارمُه

فييأس حتى يحسبَ الخيرَ خدعةً وينحل عنه صبرُه وعزائمه

ويصبح لا يرجو صلاحاً لنفسه كأن سرابَ الخيرِ ما هو شائمه

ويحسب كلَّ الناسِ خباً وماكراً يداريه عن آثامه ويكاتمه

ويحسب أن الخيرَ والشر كذبة وأنَّ خيالَ الحقِّ ما هو حالمه

فيلتذ ما قد كان بالأمسِ كارها فتعدو عواديه وتسرى أراقمه

وإن جعل الإنسانُ نصبَ لحاظه مكارمه هانت عليه مآثمه

فيصبح مغرورا يتيه بخيره يرى أنَّ كلَّ الخيرِ ما هو عالمه

وإن صفات السوءِ ما ليس ربها وإن فتكت أسيافه ولهاذمه[1]

كأنَّ محالاً أن يجيءَ بريبةٍ وإن لامه فى الخلق من هو لائمه

وإنَّ هوان الفضلِ ينأى بلبِّه عن الفضل حتى يغرم الفضل غارمه

وإنَّ هوانَ الإثم يسعى بعزمه إلى الإثم حتى يأتىَ الجرمَ جارمه

وكم مغرمٍ للمرءِ فى بعض غنمه وكم مغنمٍ ترجى إليه مغارمه[2]

تم

---

(١) لهاذم : سيوف قاطعة . (٢) أى بعض ما يصيب الإنسان ويعده غنماً يعود عليه بالخسر ، وبعض ما يعده غرماً يعود عليه بالكسب والفائدة .

الجزء الخامس

الخطرات

إن القلوبَ خوافقٌ والشعر من نبضاتها
والشعرُ مرآة الحيا ةِ تطلُّ فى مرآتها
فتراه فى آلامها وتراه فى لذاتها
والشعرُ فى عبراتها والشعرُ فى ضحكاتها
والشعر كالإلهام يأ تى النفس فى يقظاتها
والكون آيةُ شاعرٍ يأتى بمبتكراتها

« من قصيدة (الشعر) فى الجزء الرابع لصاحب الديوان »

عن الطبعة الأولى للجزء الخامس

عام ١٩١٦

مقدمة

لصاحب الديوان

(فى الشعر ومذاهبه)

يقولون إن الشعر ليس من لوازم الحياة . ولو جاز لنا أن نعد الإحساس غير لازم للنفس ، أو التفكير غير لازم للعقل ، لجاز لنا أن نعد الشعر غير لازم للحياة . أليس مجال الشعر الإحساس بخوالج النفس وشرح ما يعتورها ؟ ويقولون إن الشاعر ينبغي أن لايجعل الشعر مالئاً لحياته . كأن الشعر ليس ضرورة الشاعر ودينه . فإن الشاعر الصميم يرى أن الشعر أجل عمل يعمله في حياته ، وأنه خلق للشعر ، فليس الشعر متمما لحياته بل هو أساسها . هل العطر كمالي متمم للزهر ، أم العذوبة كمالية للماء ؟! كلا . فإن الزهر يراد لعطره ، والماء لعذوبته ، والنحل لشهده ، والشاعر لشعره .

ولو جئت بنفس ليست من النفوس المنغومة الموسيقية ، وأردت أن توقع عليها ألحان الشعر ، ما أفلحت . ولكن الشاعر إذا لم يتعهد بالتهذيب ، بقي كالحديقة التي طغى عليها كلؤها ومات زهرها . وينبغى للشاعر أن يتذكر كى يجيء شعره عظيما ، أنه لا يكتب للعامة ، ولا لقرية ، ولا لأمة ، وإنما يكتب للعقل البشرى ، ونفس الإنسان ، أين كان. وهو لا يكتب لليوم الذى يعيش فيه ، وإنما يكتب لكل يوم وكل دهر . وهذا ليس معناه أنه لا يكتب أولا لأمته ، المتأثر بحالتها ، والمتهيء ببيئتها . ولا نقول إن كل شاعر قادر على أن يرقى إلى هذه المنزلة ، ولكنه باعث من البواعث التى تجعل شعره أشبه بالمحيط - إن لم يكن محيطاً - منه بالبركة العطنة فى المستنقع الوبيء .

ويمتاز الشاعر العبقرى بذلك الشره العقلي الذى يجعله راغباً فى أن يفكر كل فكر ، وأن يحس كل إحساس . وهذا هو الدافع الذى يدفعه ، بالرغم منه ، إلى أداء ما قد خلق له من التعبير عن حقائق هيأته لها الطبيعة. فهو يقدر أن يتحمل جهل الناس ، لأن الشاعر الكبير يخلق الجيل الذى يفهمه ويهيئه لفهم شعره . ويعين الشاعر العبقرى فى أداء فرضته عليه الطبيعة ثقته من شعره بالرغم من كثرة إساءة ظنه به . فإن إساءة ظنه بشعره ، إنما سببها رغبته فى الكمال . وهى سائقة به إلى منازله . والشاعر العبقرى يعلم أن حياة

الشاعر حرب أدبية ينجلى بعدها النقع ، فيعرف الظافر والمنهزم .

ولقد فسد ذوق المتأخرين فى الحكم على الشعر . حتى صار الشعر كله عبثاً لا طائل تحته . فإذا تغزلوا جعلوا حبيبهم مصنوعاً من قمر ، وغصن ، وتل ، وعين من عيون البقر ، ولؤلؤ ، وبرد ، وعنب ، ونرجس ، إلخ .. ومثل ذلك قول الوأواء الدمشقى ، وهو البيت الذى ينسب ظلماً إلى يزيد بن معاوية :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت   ورداً وعضت على العناب بالبرد

وذوق الأمويين برىء من أمثال هذا القول . ولا أريد أن أجمع على يزيد جرمين : قتل الحسين ، وقول هذا الشعر الذى لا بأس به ، إذا أريد للفكاهة والعبث ، لا للغزل الذى يشرح عواطف النفس ويشعرك إياها . وإذا أراد المتأخرون وصف الحب ، أكثروا من ذكر الدموع ، وقالوا إن دموعهم تغنى عن المطر ، وإن البحر قطرة إذا قيس بها، وإنهم سلخوا عاماً لم يذوقوا فيه النوم ، وإن جسمهم صار أقل من القليل ، حتى إنهم يخشون أن يطيروا مع الهواء لنحولهم . وإنهم لايريدون أن يروا حبيبهم بالليل ؛ لأن طلعته تجعل الليل نهاراً فيفتضحون ولكنهم يريدون أن يروه نهاراً ؛ لأن طلعته من نورها تجعل ضوء النهار ظلاماً ، فيخفون عن العذال . إلى آخر ماذكروا من هرائهم . وإذا رثوا قالوا إن السماء كادت أن تسقط لموت المرثى . وإن الليالى لابسة حداداً عليه . وإنه قد شاعت تعازى الشهب باللمح بينها حزنا على النير الهاوى إلى الفلوات . وإن القمر به كلف حزناً عليه . وإن الرياح تنوح أسفاً على موته . وإن الملائكة لبست السواد حداداً عليه . وإن القبر لايسعه لأنه بحر . وإذا صلب أحد الأمراء ، قالوا إن قاتليه أجلوه فلم يرضوا له القبر . وينشدون أبيات الأنبارى التى يقول فيها :

ولما ضاق بطن الأرض عن أن   يضم علاك من بعد الممات

أصاروا الجو قبرك .. إلخ ..

ويقولون : انظر إلى مهارة الشاعر فى قلب الحقائق ، وإظهار الذميم مظهر الحسن . وإذا مدحوا قالوا لممدوحهم إن وجهك قمر ، ولحيتك ذهب يطرز هذا القمر . وأنت بحر ، وأسد ، وغمام ، وإن الدنيا لو دخلت فى صدرك لوسعها لأنه رحيب ، وأنشدوه قول المتنبى :

وقلبك فى الدنيا ولو دخلت بنا   وبالجن فيه ما درت كيف ترجع

وقالوا له : إنك لوغضبت على النجوم ، لانطفأت من غضبك . وإنك لولا انقطاع الوحى لنزلت فيك الآيات والسور . وإذا مات للممدوح قريب ، لم يكن فى بيته حينما أدركته المنية ، قالوا إن المنية لم تجرؤ عليه إلا لأنه كان غائباً عنك .

وقد فسد ذوق القراء حتى إنهم إذا رأوا خيالا يفسر حقيقة ، لم تتملكهم هزة الطرب التى تنويهم عند قراءة الخيال الفاسد ، إنما يعجبهم من الخيال استحالته وبعده عن المألوف عقلا . وإذا وضحت لهم فساده قالوا : إذاً كل خيال فاسد . وزعموا أن حلاوة الشعر فى قلب الحقائق ! وإخراجنا من هذا العالم إلى عالم ليس للعقل فيه سبيل . عالم يرخص المرء لعقله أن يتنزه فيه أينما شاء من غير خشية رقيب . كما يفعل الموظف كل سنة حين يترك فروض الحياة . ومن أجل ذلك شاع عندهم أن الشعر نوع من الكذب ، وليس أدل على جهلهم وظيفة الشعر من قرنهم الشعر إلى الكذب . فليس الشعر كذباً ، بل هو منظار الحقائق المقلوبة ، ووضع كل واحدة منها فى مكانها . ولئن كان بعض الشعر نزهة ، فإن بعض النزهة فرض . ولئن كان بعض الشعر رحلة ، فهى رحلة إلى عالم أجمل وأكمل وأصدق من هذا العالم . رحلة إلى عالم يحس المرء فيه لذات التفكير ، أكثر مما يحسها فى هذا العالم الأرضى .

وإذا تدبرت ما ذكرته ، عرفت فساد ذوق الجمهور فى حكمه على الشعر . وكيف أنه يقبل على الشعر المرذول ويعده جيداً . ويعاف الشعر الجليل ، الصادق الخيال ، الكثير الحقائق . وبعض القراء يرى أن الشعر مقصور على التشبيه ، مهما كان الشبه الذى فيه متوهماً . ومثل الشاعر الذى يرمى بالتشبيهات على صحيفته من غير حساب مثل الرسام الذى تغره مظاهر الألوان ، فيملأ بها رسمه من غير حساب . وليس الخيال مقصوراً على التشبيه ، فإنه يشمل روح القصيدة وموضوعها وخواطرها ، وقد تكون القصيدة ملأى بالتشبيهات ، وهى بالرغم من ذلك تدل على ضآلة خيال الشاعر . وقد تكون خالية من التشبيهات ، وهى تدل على عظم خياله . وقيمة التشبيهات فى إثارة الذكرى أو الأمل ، أو عاطفة أخرى من عواطف النفس ، أو إظهار حقيقة . ولا يراد التشبيه لنفسه ، كما أن الوصف الذى استخدم التشبيه من أجله لايطلب لذاته ، وإنما يطلب لعلاقة الشىء الموصوف بالنفس البشرية وعقل الإنسان . وكلما كان الشىء الموصوف ألصق بالنفس ،

وأقرب إلى العقل ، كان حقيقاً بالوصف . وهذا يوضح فساد مذهب من يريد وصف الأشياء المادية لأنها مما يرى ، لا لسبب آخر . وهذا الوصف خليق بأن يسمى الوصف الميكانيكي . فوصف الأشياء ليس بشعر إذا لم يكن مقروناً بعواطف الإنسان وخواطره ، وذكره وأمانيه وصلات نفسه .

فالخيال ليس مقصوراً على التشبيهات . والشاعر الكبير ، ليس هو ذا التشبيهات الكثيرة ، الذي يكثر من مثل وكأن . ولو كان ليس بعدها إلا المعنى المتضائل ، والصورة المضطربة ، غير المتجانسة الأجزاء . فإن الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة . وشرح عواطف النفس وحالاتها ، والفكر وتقلباته ، والموضوعات الشعرية وتباينها ، والبواعث الشعرية . وهذا يحتاج فيه إلى خيال واسع . والتشبيه لا يراد لذاته كما يفعل الشاعر الصغير . وإنما يراد لشرح عاطفة أو توضيح حالة ، أو بيان حقيقة . وإن أجلَّ الشعر هو ماخلا من التشبيهات البعيدة والمغالطات المنطقية . انظر مثلا إلى قول مويلك يرثي امرأته وقد خلفت له بنتاً صغيرة ، فقال يصف حالها بعد موت أمها :

فلقد تركت صغيرة مرحومة　　لم تدر ما جزع عليك فتجزع

فقدت شمائل من لزامك حلوة　　فتبيت تسهر أهلها وتفجع

وإذا سمعتُ أنينها في ليلها　　طفقت عليك شئون عيني تدمع

فهو لم يعلمك شيئاً جديداً لم تكن تعرفه . ولم يبهر خيالك بالتشبيهات الفاسدة ، والمغالطات المعنوية . ولكنه ذكر حقيقة . ومهارته في تخيل هذه الحالة ووصفها بدقة . وهذا أجلّ التخيل . وأجل المعاني الشعرية ما قيل في تحليل عواطف النفس ، ووصف حركاتها كما يشرح الطبيب الجسم . ومن أمثال هذا الغزل قول ابن الدمينة في وصف حياء الحبيب :

بنفسي وأهلي من إذا عرضوا له　　ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب

ولم يعتذر عذر البريء ولم تزل　　به سكتة حتى يقال مريب

مثل هذا الشعر يصل إلى أعماق النفس ويهزها هزّاً . والشعر ما أشعرك وجعلك

تحس عواطف النفس إحساساً شديداً ، لا ما كان لغزاً منطقياً ، أو خيالاً من خيالات معاقرى الحشيش . فالمعانى الشعرية هى خواطر المرء وآراؤه ، وتجاربه وأحوال نفسه ، وعبارات عواطفه . وليست المعانى الشعرية – كما يتوهم بعض الناس – التشبيهات والخيالات الفاسدة والمغالطات السقيمة ، مما يتطلبه أصحاب الذوق القبيح . فإذا لم يجد هؤلاء فى الشعر مغالاة سخيفة ، أو مغالطة معنوية ، أو ألعوبة منطقية ، أو تشبيهًا بينه وبين الخيال مثل ما بين لعب الأطفال بالألوان . وبين رسم تسشيانو ومهارته فى استخدام الألوان . أقول : إذا لم يجدوا ذلك فى الشعر قالوا إنه ليس فيه معنى ، فإذا سمعت هؤلاء يصفون قصيدة بأنها ملأى ، حسبت أن قائلها ذو ذهن خصب ، وعقل راجح كبير ، ونفس عظيمة . وأنه جعلها ذخيرة الحقائق ، والآراء السامية الشريفة . ولكن الأمر ليس كذلك ، إذ إنهم يعنون أنها مملوءة بالخيالات والمغالطات المضطربة ، وأن خيال صاحبها بهلوان شعرى ، أو مشعوذ يغرك بحركاته . فينبغى أن نميز ، فى معانى الشعر وصوره ، بين نوعين : نسمى أحدهما التخيل والآخر التوهم . فالتخيل هو أن يظهر الشاعر الصلات التى بين الأشياء والحقائق . ويشترط فى هذا النوع أن يعبر عن حق . والتوهم أن يتوهم الشاعر بين شيئين صلة ليس لها وجود ، وهذا النوع الثانى يغرى به الشعراء الصغار ، ولم يسلم منه الشعراء الكبار ، ومثله قول أبى العلاء المعرى :

واهجم على جنح الدجى ولو انه   أسد يصول من الهلال بمخلب

فالصلة ، التى بين المشبه والمشبه به ، صلة توهم ، ليس لها وجود . وكذلك قول أبى العلاء فى سهيل النجوم :

ضرجته دمًا سيوف الأعادى   فبكت رحمة له الشعريان

أىّ أعادٍ ، وأىُّ سيوف ؟ فى مثل هذا البيت ترى الفرق واضحاً بين التخيل والتوهم . أما أمثلة الخيال الصحيح فهو أن يقول قائل إن ضياء الأمل يظهر فى ظلمة الشقاء ، كما يقول البحترى :

كالكوكب الدرى أخلص ضوءه   حلك الدجى حتى تألق وانجلى

فهذا تفسير لحقيقة وإيضاح لها . وكذلك قول الشريف :

ما للزمان رمى قومى فزعزعهم تطاير القعب لما صكه الحجر[1]

فهو يشبه تفرق قومه بتطاير أجزاء الإناء المكسور . وهذا أيضاً توضيح لصورة حقيقة من الحقائق ، وهى تفرق قومه .

فتكلف الخيال أن تجىء به كأنه السراب الخادع ، فهو صادق إذا نظرت إليه من بعيد ، وهو كاذب إذا نظرت إليه من قريب . وبينه وبين الخيال الصحيح ، مثل ما بين الماس الصناعى وماس كمبرلى . وقد يكون سبب هذا الخيال الكاذب ، التأليف بين شيئين لايصح التأليف بينهما . ثم إن بعد وجه التأليف وخفاء الصلة ليس بمعيب إذا كان وجه الشبه بين الشيئين صحيحاً صادقاً ، وكانت الصلة التى بينهما متينة . فليس ظهور الصلة لكل قارىء دليلا على متانتها . فقد تكون ظاهرة ضعيفة ، وقد تكون خفية سليمة صادقة . فليس كل ما يخطر على أذهان العامة من الخيالات صادقاً صحيحاً . وهذا سبب من أسباب اشتباه العظيم من الشعراء بالضئيل . وعجز الناس عن التمييز بينهما . فإن العبقرى قد يغرى باستخراج الصلات المتينة الصادقة بين الأشياء ، فتقصر أذهان العامة عن إدراكها . وهذا ليس مذهب الناظم الوزان الذى يولع بأن يوجد صلات سقيمة بين حقائق ليس بينهما صلة . ولكن الشاعر الضئيل يشبه الشاعر الكبير من حيث إن الشاعر الضئيل يعرف أنه ضئيل بحسناته ، كما يعرف أنه ضئيل بسيئاته . وكذلك الشاعر العبقرى يعرف أنه عبقرى بحسناته ، كما يعرف أنه عبقرى بسيئاته ؛ لأن سيئاته سببها أنه واسع النفس ، حر الذهن ، غير مقيد بقيود المحاكاة فى فن الشعر .

إن القراء من الجمهور إذا قرأوا قصيدة جعلوا يلتقطون منها ما يناسب أذواقهم ، ثم ينبذون ما بقى من غير أن يبحثوا عن السبب الذى جعل الشاعر ينظم فى قصيدته هذه المعانى ، فهم كالمريض الذى فقد شهوة الطعام ، يأخذه متكرها . فهم لايغتفرون للشاعر أن يكون أوسع منهم روحاً ، وأسلم ذوقاً ، وأكبر عقلا . ويريدون منه أن ينزل إلى مستوى عقولهم ونفوسهم وأذواقهم . ويحكمون على قصيدته بأبيات منها تستهوى أنفسهم إما بحق

---

(١) القعب : القدح والإناء .

وإما بباطل ، لأنهم يعدون كل بيت وحدة تامة . وهذا خطأ ؛ فإن قيمة البيت فى الصلة التى بين معناه وبين موضوع القصيدة ؛ لأن البيت جزء مكمل ، ولايصح أن يكون البيت شاذاً خارجاً عن مكانه من القصيدة ، بعيداً عن موضوعها . وقد يكون الإحساس بطلاوة البيت وحسن معناه رهيناً بتفهم الصلة التى بينه وبين موضوع القصيدة . ومن أجل ذلك لا يصح أن تحكم على البيت بالنظرة الأولى العجلى الطائشة ، بل بالنظرة المتأملة الفنية . فينبغى أن ننظر إلى القصيدة من حيث هى شىء فرد كامل ، لا من حيث هى أبيات مستقلة ؛ فإننا إذا فعلنا ذلك وجدنا أن البيت قد لا يكون مما يستفز القارىء لغرابته ، وهو بالرغم من ذلك جليل لازم لتمام معنى القصيدة . ومثل الشاعر الذى لا يعنى بإعطاء وحدة القصيدة حقها ، مثل النقاش الذى يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التى ينقشها من الضوء نصيباً واحداً .

وكما أنه ينبغى للنقاش أن يميز بين مقادير امتزاج النور والظلام فى نقشه ، كذلك ينبغى للشاعر أن يميز بين جوانب موضوع القصيدة ، وما يستلزمه كل جانب من الخيال والتفكير . وكذلك ينبغى أن يميز بين ما يتطلبه كل موضوع . فإن بعض القراء يقسم الشعر إلى شعر عاطفة وشعر عقل . وهى مغالطة غريبة ؛ إذ أن كل موضوع من موضوعات الشعر يستلزم نوعاً ومقداراً خاصاً من العاطفة والتفكير . فبعض شعر الشاعر تكون العاطفة فيه أوضح وألزم ؛ وفى بعضه تكون أقل وضوحاً . ولاريب فى ذلك ؛ إذ أن الغزل مثلا يستلزم نوعاً خاصاً من العاطفة غير العاطفة التى تبعث على خواطر الحكم والوعظ .

والأدباء فى مصر يخلطون فى الكلام عن الأساليب خلطاً كثيراً ؛ فهم يتناسون أن أجلَّ الشعر العربى وأفخمه ، وأجزله وأسيره ، وأكثره نفعاً وتوكيداً لبقاء اللغة ، هو الشعر الذى لم تتكلف فيه الغرابة . فإن المعلقات أسلس وأجزل شعر الجاهليين (ماعدا الغزل) وأقله غرابة وتعقيداً . وشعر الشريف أجله وأفخمه مالم يتكلف فيه الغرابة . إن فى شعر الشريف صفتين : حسن الديباجة والفخامة والسلامة فى أكثر شعره ، وتكلف الغريب فى بعضه . فصار الأدباء يخلطون بين الصفتين ، ويزعمون أن الغريب من لوازم حسن الديباجة ، ولوقرأت شعر الشريف لعلمت كذب ذلك .

وإذا نظرت فى شعر الحريرى ، وجدت أنه مترع بالغريب ، ولكنه بالرغم من ذلك ، ليس من حسن الشعر . وهذه قصيدة ابن زريق ، ليس فيها شىء من الغريب ، ولكنها من أجل الشعر وأفخمه . وإذا شئت فقل وأضخمه ؛ لأن الضخامة صفة فى الأسلوب الملتهب الذى يشبه الصخور الذائبة ، التى تسيل من فم البركان . ذلك الأسلوب الذى تؤججه العواطف القوية . وهذا الأبيوردى مغرى بالأساليب الغريبة ، ولكن شعره ليس عليه طلاوة ، وليس فيه مجتنى . فللشاعر أن يستخدم كل أسلوب صحيح سواء كان غريباً أو معهوداً أليفاً . وليس له أن يتكلف بعض الأساليب . ولا أنكر أن الشعر من قواميس اللغة ، ولكن له وظيفة كبيرة غير وظيفة القواميس . وعاطفة الغريب ، الذائعة بين فئة خاصة منا ، هى رد فعل سببه ولوع شعراء القرنين الماضيين بالركيك من العبارات والأساليب . وقد وجدت بعض الأدباء يقسم الكلمات إلى شريفة ووضيعة . ويحسب أن كل كلمة كثر استعمالها صارت وضيعة . وكل كلمة قل استعمالها صارت شريفة ! وهذا يؤدى إلى ضيق الذوق ، وفوضى الآراء فى الأدب . قرأ أحد الأدباء قول الشريف :

إن غدا مجدوعة أشرافه　　　فالبنى وافية والمجد عالى

فقال : المجد عالى ، عبارة وضيعة من عبارات الفقهاء كثير استعمالها . ولو أردنا أن نحذف من شعر الشاعر ، سواء كان الشريف الرضى أو امرأ القيس ، العبارات الكثيرة الاستعمال ، لحذفنا أكثر شعره !

إذاً فامتهان الكلمة أو العبارة لكثرة استعمالها رأى غير رجيح . فإنا نجد أجل الشعر كانت عباراته كثيراً استعمالها. أفتريد أن نحذف ونمتهن كل ما كان من نوع قول المتنبى :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه　　　تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

أو قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت　　　له عن عدو فى ثياب صديق

أو قول أبى العلاء :

خفف الوطء ما أظن أديم الـ   أرض إلا من هذه الأجساد

أو قول ابن زريق :

لا تعذليه فإن العذل يولعه .. إلى آخر القصيدة .

أو غزل جميل ، وكُثَير ، وابن الدمينة ، وغيرهم ..

هل يرى القارىء فى أسلوب ما ذكرنا شيئاً غريباً ؟ كلا ، ولكنه بالرغم من ذلك أجل وأفخم وأروع الأساليب . فإذاً قولهم الروعة فى الغريب هراء المتكلفين الوزانين ، الذين يسرقون معانيهم . وجعلهم حسن الديباجة فى الغريب مغالطة تكذبها كل دواوين أشعار العرب . فإن الشاعر الكبير يأتى بالأسلوب رائعاً جليلاً من غير تكلف للغريب . أما المبتدىء فهو الذى يتكلف الغريب ، كى يخفى به ركاكة عبارته . وكذلك الوزان يتكلف الغريب ، كى يخفى به جمود طبعة وقلة معانيه . وقد سمع أحد الأدباء قول مصطفى المنفلوطى فى وصف العامل : «كأنه الآلة فى المعمل» : وهذا وصف بديع لبؤس الصانع . فقال : الآلة من الكلمات الوضيعة ؛ لأنها تبعث الذكر الوضيعة ! ولو أخذنا برأى أمثال هذا لقضينا العمر فى مجادلات لفظية ليس تحتها طائل ، فإن الغرابة لا تستعصى على أحد . وإنما الصعوبة فى الجمع بين المتانة والسهولة . وليس لشاعر بد من استعمال الكلمات المستعملة ؛ إذ أن ثلاثة أرباع اللغة من هذا القبيل .

وقد تكون العبارة الملأى بالكلمات الغريبة أخس أسلوباً وديباجة ، وأقل متانة من العبارة السهلة ، التى ليس بها غير المألوف من الكلمات . فينبغى للشاعر المبتدىء أن يتطلب المتانة ، وأن لايخلط بينها وبين الغرابة ؛ كى لاتضله الغرابة عن المتانة فيقنع بها . انظر مثلا إلى قول المتنبى :

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا   فلما دهتنى لم تزدنى بها علما

هذا أسلوب فخم جزل ، رائع متين . ولكن ليس به غريب . ومن عجيب أدبائنا أن بعضهم إذا قرأت شعره لا تجد فيه شيئا غريباً ، ولكنه يأتى أحيانا فى بعض شعره بكلمات قليلة غريبة بعض الغرابة كى تجيز له ادعاء الغرابة . كأن الغرابة تستعصى على أقل الناس ذهناً واطلاعاً ! فإن الجزالة والمتانة تتطلب من الاطلاع أكثر مما يتطلبه

استعمال الغريب ؛ لأن المتانة تستلزم درس آداب كل العصور التى مرت على اللغة العربية حتى يكون ذوق الشاعر واسعاً صحيحاً . ولو فرضنا أن فى الكلمات ، الوضيعة والشريفة ، لكان للكلمة الوضيعة منزلتها من الشعر مثل الكلمة الشريفة . وإنما العيب فى استعمال الكلمات في غير مواضعها . فينبغى للشاعر أن يتعرف أية كلماته تعبر عن المعنى أو العاطفة التى يريد وصفها أتم تعبير . فالكلمة قد تكون شريفة أو وضيعة حسب الاستعمال . فشرف الكلمة فى دلالتها على المعنى ، وفي وقوعها موقعها الخاص بها من الشعر ، لا فى غرابتها . فلو كانت الكلمات وضيعة تلوكها الألسن فيزرى بها ذلك ، لأزرى باللغة العربية أن لاكتها الألسن هذه العصور الطويلة . فضعة الكلمة إذا هى غطت على المعنى والعاطفة وزادتهما غموضاً ، وأفسدت نغمة الشعر وروحه وخفة طبعه ، وموهت غثاثة المعنى والعاطفة ، وأخفت ضعف الشاعر وعجزه .

والذى يجنى على بعض شعرائنا تعصبهم لشاعر دون شاعر أو لعصر دون عصر . فى حين ينبغى تطلب صحة الذوق التى أساسها سعة الاطلاع . فإن الشاعر ينبغى أن يتمزز الأساليب كما يتمزز الخمر المعتقة ، ويترشفها كما يترشف الكؤوس ، ولكنه يلتذ منها جمالها لا غريتها . فإن الأساليب الصحيحة مهما تبينت فى غرابتها وسهولتها ، من قماش واحد وذات لون واحد ، هذه حقيقة يعرفها الطبع ، وإن كان ينكرها التصنع .

والاطلاع شراب روح الشاعر . وفيه ما يوقظ ملكاته ويحركها ، ويلقح ذهنه . ونفس الشاعر ينبوع ، والاطلاع هو الآلة التى يرفع بها ماء ذلك الينبوع إلى الأماكن العالية . والشاعر فى حاجة إلى محركات وبواعث . والاطلاع فيه كثير من هذه المحركات والبواعث . والأديب الذى لايغرم بالاطلاع كالماء الأجن العطن ، الذى لا يحركه محرك . وإنما عمل الشاعر فيما يطلع به عمل النحل فى قول أبى العلاء المعرى:

والنحل يجنى المر من نَوْر الربى فيصير شهداً فى طريق رضابه

فالعالم الماهر يخرج من الجيد جيداً ، ولكن العبقرى يخرج أيضاً من الردىء جيداً . ولكن بعض القراء يقىء على صحيفته ما قد قرأه بدل أن يخرج من أزهار ما قرأ شهداً . وهذا هو الفرق بين العبقرى وغيره من الناس . نعم إن المطلع بآداب لغة من اللغات ، لابد

أن يجتني بعض ما يقرأ من المعاني والخيالات من غير أن يشعر . وإنك إذا أدمنت قراءة المتنبي مثلا علقت بذهنك بعض معانيه . وأما المعيب فهو أن يأخذ الشاعر المعنى عمداً . أما إثبات العمد فليس من الصعوبة بمكان ؛ فمن مظاهر تعمد السرقة دقة النقل والأخذ لا المشابهة والتوليد . فإن المشابهة والتوليد لاتعد سرقة . ومنها تسلسل المعاني كما فى الأصل . وكثرة المتشابه وعجز الشاعر عن الابتداع والتوليد .

وشعراء العرب لم يكونوا جهالا بآداب غيرهم وعلومهم وحضارتهم . فليس كل التربية مدرسية . انظر إلى زهير بن أبى سلمى وحكمه ، وانظر إلى امرىء القيس وعلاقته بالحضارة البيزنطية ، وعدى بن زيد وتفكيره وعلاقته بالحضارة الفارسية . وانظر إلى رواج العلوم فى أيام الدولة العباسية ، وتأثُّر أبى العتاهية وابن الرومى والمتنبى والشريف الرضى وأبى العلاء المعرى بهذه العلوم . فإن هذا التأثُّر واضح فى أشعارهم كل الوضوح ، وإنما فسدت آداب العربية حين ساد الجهل فى الممالك العربية فى العصور الأخيرة . فإن سنة التقدم تقتضى الاطلاع بما يستحدث فى الآداب والعلوم . وكلما كان الشاعر أبعد مرمى وأسمى روحاً ، كان أغزر اطلاعاً ؛ فلايقصر همته على درس شىء قليل من شعر أمة من الأمم . فإن الشاعر يحاول أن يعبر عن العقل البشرى والنفس البشرية ، وأن يكون خلاصة زمنه . وأن يكون شعره تاريخاً للنفوس ، ومظهر ما بلغته النفوس فى عصره . وما عجبت من شىء عجبي من القوم الذين يريدون أن يجعلوا حداً فاصلا بين آداب الغرب وآداب العرب ؛ زاعمين أن هناك خيالا غربيًا وخيالا عربياً .

نعم ، إن كل لغة لها خصائص وذوق . ولكن بالرغم من ذلك نجد الخيال الجليل والمعنى الرائع المصيب محموداً حيث كان . إذ أنه ليس رهناً بخصائص اللغات ؛ وإنما مرجعه العقل البشرى والنفس الإنسانية . إنما المغالطات المنطقية والتشبيهات المتوهمة رهينة بخصائص اللغات . وتختلف في كلٍّ حسب ذوق الجماهير فيها . وإذا قرأ الشاعر العربى آداب الأمم الأخرى أكسبته قراءتها جدة في معانيه ، وفتحت له أبواب التوليد . فإن الشاعر الكبير ، كي يعبر عما فى نفسه من العبقرية تمام التعبير حتى لايبقى بعضها مكتوماً مجهولا ، لابد أن يجدد ذهنه دائماً بالاطلاع . وأن يحرك به نفسه ، وأن ينوع من ذلك الاطلاع . فإن شره الإحساس والتفكير هو ميزة العبقرى . فإن مذاهب القول التى

تستلزمها حياتنا تقتضى درس آداب العناصر الأخرى التى عمرت العالم ، وأنشأت لها حضارة وعلوماً وفنوناً . فإن درسها يوسع عقولنا ، ويجدد آمالنا وقوانا ، ويهيىء وحى ذكائنا ويعلى خيالنا ، ولكن ينبغى أن لا نكون ناقلين ، بل ينبغى أن نكون مفكرين باحثين فيها . ومن دلائل هلاك الأمم نظرها دائما إلى حياة أجدادها واحتذاؤهم فيها احتذاء روح لا قوة فيه ، ولا ذكاء ولافطنة . ولقد بدأ الناس يتهمون ذوى الاطلاع بالنقل والأخذ والسرقة . وهذا الاتهام شىء لاغرابة فيه ؛ فإن دخول الآراء الجديدة والمذاهب والأغراض والمسالك الشعرية الحديثة ، واتخاذ الآداب شكلا غير شكلها المعهود ، يدعو إلى الظنة والاتهام .

ولكن مما زاد الطين بلة ، أن بعض الأدباء لا يرعى حرمة ، ولا يردعه ضميره عن السرقة الفظيعة . وأمثال هذه الأفعال قد بثت فى أذهان كثير من القراء أن كل شىء جليل معناه ، غريب موضوعه ، مسروق لا محالة . وروج هذا الرأى طلاب فوضى الآداب الذين يمرحون فى ظلامها مرح الخفافيش فى الظلام . وهؤلاء هم الغلمان المغرورون والجهلاء ، وأهل الحسد والحقد والكذب ، ومغلقو الأذهان ، ممن يكره كل جديد ، ويتهمه ، وشعراء المسلك القديم الذين ظهر عجزهم ونقص تعليمهم ، وفسدت معانيهم ، وجهال القراء الذين يزعمون أنهم من الخاصة . ولكنى أعتقدأن الشاعر العبقرى الكبير يخرس هؤلاء حتى ولو بعد موته ، بكثرة مايجيد ، ويزيحهم من طريقه كما يزيح الخنفساد بنعله عن قارعة الطريق وهو يعلم أن عداءهم له سنة طبيعية لا مناص منها ، كانت لها مظاهر فى كل عصر من عصور الآداب فى الأمم كلها . ولكن ، بالرغم من ذلك ، ينبغى للقراء أن يميزوا ما يقال . فإنه ليس السبيل لمعرفة السارق أن يتهم كل المطلعين من غير حق . فإن هذه الزحمة فرصة السارق . فيزاول مهنته فى خفاء وأمان . فالاتهام الذى أساسه سوء الظن والجهل والحسد والسفالة وقلة التبصر والكسل ، والذى ينأى بالمتهم عن البحث والتدقيق ، يؤدى إلى الفوضى التى هى فرصة ينتهزها اللص . ولو فرضنا أن أحد المتهمين (بالكسر) نظم قصيدة بديعة فاتُّهم أنه سارقها ، بأى شىء كان يحارب المتهم ؟ أبادعاء الجهل وقلة الاطلاع ؟ إنه قد يكون جاهلا ، ولكن الجهل لا يمنع من السرقة ، كما أن الاطلاع لا يمنع من الأمانة .

وقد لفتنى أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «الشاعر المحتضر» اليائية التى نشرت فى عكاظ ، واتضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة أدونى للشاعر شلى الإنكليزى . كما لفتنى أديب آخر إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «قبر الشعر» ، وهى منقولة عن هينى الشاعر الألمانى . ولفتنى آخر إلى قصيدة المازنى «فتى فى سياق الموت» ، وهى للشاعر هود الإنكليزى . ولفتنى أيضاً أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «الراعى المعبود» ، وهى منقولة عن الشاعر لويل الأمريكى . وقصيدة المازنى التى عنوانها «الوردة الرسول» ، وهى للشاعر ولر الإنكليزى ، وأشياء أخرى ليس هذا مكان إظهارها . وقرأت له فى مجلة البيان مقالة «تناسخ الأرواح» وهى من أولها إلى آخرها من مجلة السبكتاتور لأدسون الكاتب الإنكليزى . ومن مقالاته فى ابن الرومى التى نشرت فى البيان ، قطع طويلة عن العظماء ، وهى مأخوذة من كتاب شكسبير والعظماء تأليف فكتور هيجو . ومن مقالات كارليل الأدبية ، وقد ذاعت هذه الأشياء . ولو كنت أعرف أن المازنى تعمد أخذها ، لقلت إنه خان أصحابه بهذه الأعمال ، ولكنى لا أصدق تعمد أخذها . ولو أنى رأيت عفريتًا لما عرانى من الحيرة والدهشة قدر ما عرانى لرؤية هذه الأشياء ! ولا أظن أنى أبرأ من دهشتى طول عمرى . وفى أقل من ذلك مبرر لمروجى الإشاعات والتهم . ولا أظن أن أحداً يجهل مدحى المازنى ، وإيثارى إياه ، وإهدائى الجزء الثانى من ديوانى إليه ، وصداقتى له . ولكن كل هذا لايمنع من إظهار ما أظهرت ، ومعاتبته فى عمله ؛ لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع فى ماضيه . حتى يداوى ما فعل ويرد كل شىء إلى أصله وليس الاطلاع قاصراً على رجل دون رجل حتى يأمل المرء ظهور هذه الأشياء . ولسنا فى قرية من قرى النمل حتى تخفى !

الصنع والكسب

قد حدثوا عن صانعٍ حاذق ... قد فاق كلَّ الناس في صنعهِ
يرى من الحسنِ الذي لا يرى ... سواه مما جلّ من بدعِه
كأنما ينظر في عالمٍ ... يحسر طرف الناسِ عن علمه
والحسنُ في الصنعة طيرٌ بدا ... إن يرمه عن عزمه يُصمه[1]
يا راقيَ الصنع إلى منزلٍ ... يرتدُّ لحظ الناسِ عن سمته
يحارُ لبُّ المرءِ في أمرهِ ... ويعجز الناعتُ عن نعته
الناسُ في السهل يرون الذرى ... كما يرون الأفقَ في بعده
ويحمدون العقلَ في جزرِه ... ويكرهون العقلَ في مدِّه
كلُّ امرىءٍ يبغي هوى نفسهِ ... وإن أصابَ القبحَ من نفسه
فاصنع له إن شئتَ ما يبتغي ... تستهو لبَّ المرءِ في حسه
إن كان هذا الصُنع قد صغته ... كيما تنالَ الخيرَ من بيعه :
فالصنع وادٍ أنت آجرته ... للناسِ ما يخرجُ من ريعه
ولا تشكُّ الدَّهر في فعلِهِ ... قد حارَ كلُّ الناسِ في فعله
ما حيرةُ المرءِ دليلاً على ... فسادِ هذا الكونِ في عقله
يا شاكياً من قومه جهلهم ... اعذر سوادَ الناسِ في جهله[2]
واستنزل الأرزاقَ من أفقها ... كالغيث يحيي الأرضَ من وبله
فقد يحبُّ الصنعَ من حسنه ... وقد يحبّ الصنعَ من كسبه

---

(1) أصمى السهم : أصاب الرمي (2) سواد الناس : جمهورهم .

وقـــد يُرادُ الحقّ من نفـــعـــه ... وقـد يُرادُ الحقّ من حـــبـــه[1]

قـد عنَفـتـه نفـسُـه مـرةً ... لما رأى الـفـــقــــرَ علـى بـابه

وعنكبـــوت من خـــمـــول به ... قـد تعـبـت في نسج جلبــابه

فـــمـــوَّه الصنعَ وجـــارى الورى ... وراحَ يبـــغى الصـيتَ في فنه[2]

فـــــازدحـم الناسُ عـلى بابه ... وقـــيل هذا الصنع في حـــسنه

باللوْ والليتِ رمـــوا صنعـــه ... قـدمـاً فلجُوا الآن في مـدحـه

لكـنـه بـاتَ عـلى لـوعـــــةٍ ... يعـافُ ذاك المدح من قـدحـه[3]

أثرى فـلم يـنفـــعـــه إثراؤه ... وأُخلف المأمـــول من عـــمـــره

وعـــادَ يبكى صنعَـه خـائبـاً ... يبكى علـى مـا فـاتَ من سرِّه

وكـــــــان ذاك الصنع ربًّا لـه ... هواه دين كـــهـــوى عـــرسـه

فنال مــا قـــد نالَ من رزقِـه ... وباع مــا قـــد باعَ من نفـســـه

وصـار عـبـد الوفرِ في خـفـضـه ... وكـان عبـد الصنعِ في سحـره[4]

وخـــفَّـضـت من قـدرِه نفـسُـه ... ورفَّع الجـــهـــال من قـــدره !

نجي النجوم

رأيتُ عــقـــوداً أم رأيتُ الدراريا ... أم الزهر منشـوراً على الأفق زاهيـا

كـأنِّىَ في بحـرٍ من اللَّيلِ غـارقٌ ... طفَت فـوقـه زُهرُ النجـومِ لآليـا

---

(١) بعض المفكرين لا يريد منك أن تثبت أن الحق حق حتى تثبت أولا أنه نافع .

(٢) التموية : إظهار الشيء مطلياً بطلاء غير حقيقة . (٣) لأن مدح الجاهل ذم للممدوح .

(٤) الوفر : الإثراء . والخفض : النعيم والترف .

وإنى إذا مــاطار بالنَّفسِ طيــرُها … وحلّق فى أفقِ السـمـاء خـيـاليـا

أبيـتُ فــــلا أدرى أتلـك أزاهـر … مـفـتَّـحـة أم قـد رأيتُ الدراريا

ويبعـثن نحـوى باللحـاظ كـأنما … يردن ليـعـرفن الذى فى فـؤاديا

فـغضى عيون اللَّيل لحظاً بعثـتـه … فـإنَّ بريقَ اللحظِ أصـمى جنانيـا

أذاك بـريقُ اللحـظِ لحظ رأى الأذى … وعوَّد حتى صارَ كالصَّخرِ قاسيا

ولا عـجب أن صـار لحظُك قـاسيًا … فقدمًا رأيت الشرَّ فى الناس فاشيا

أم اقتـدحـت فيك الحوادثُ رحـمةً … فـعـاطى حنانًا قـد أصبت حنانيـا

وقد كنتِ ندمـان الحزين وراحـة الـ … وحيـد فـسلِّى خائب القلب عـانيا

وكم كنتِ هـديًا للرجـاء وللمنى … إذا صـار عيشُ المرءِ كالليلِ داجيـا

وكم عشقت نفسى النجومَ لأنها … إذا أبصـرتهـا العين تحيى الأمـانيـا

وكم كنت نجوى عـاشقٍ وسـميره … إذا غـابَ صب عن حبيب ليـاليا

وكم لحت لى والدمع فى العين حـائرٌ … أُودّعُ آمــــالى وأنـدبُ حـــاليـــا

وقـبَّـةُ رمسٍ فى السَّمـاءِ نجـومـهـا … نثـرن على قبرى الزهور الزواهيا[1]

أزاهر آمــالٍ مـضت لا يعـيـدها … بكائى وهل يُغنى لديهـا بكائيـا

فـيـا من لميت بالحـيـاةِ مـعـذَّبٍ … ومن لى بميت طامع فى حـيـاتيـا

وياتاج ملك الليلِ تهنيك نـعـمـة … وإن كان قلبى عاطل العرش خاليا[2]

كـأنك فـردوس تقـضى نعـيـمـه … وخلَّف أطلالاً لديك بواليـــا[3]

تضىءُ هموماً فى الضلوع مقيمةً … حنانكِ خل الهمّ أسـود خـافـيـا

---

(١) الرمس : القبر ؛ أى خيل له أن السماء رمس والنجوم حليتها من الأزهار .

(٢) تشبيه النجوم بتاج الليل . (٣) أى كأن النجوم أطلال فردوس .

فــإنى أدارى النفسَ عــمــا تكنّه وأخــشـى بريقًــا يتــرك الهمَّ باديا
أبيتُ كــأنَّ النفسَ ليلٌ وظلمــةٌ وضوؤك يفشى سرَّها فى الدجى ليا
أفيك أناس للشـقـاءِ حـيـاتهم فإن شقاءَ العيش أصمى حياتيا[1]
لعلَّ حزينًا فيك يرثى لشقوتى وليس شقاءُ النّحسِ للنحس شافيا
أبيتُ فــلا أدرى لعـيـشىَ علّةً فــيا بؤسَ أيامى وطول ملاليـا[2]
أُسائلُ هذا النجمَ والنجمُ لا يعى وماذا يقول النَّجمُ لو كان واعيا ؟
فـيــا عين مـا لحظ النجــومِ بنافعٍ فيا ربَّ ذكرى هنَّ قد هجنها ليا
ومــا فى مــريرِ الذكــرِ أنسٌ ولذةٌ إذا كــان مَن أهواه أصــبحَ نائيــا
أتلك نجــوم كن أبصــرنه مــعى وأبصرن مغبوطاً من العيش حاليا
أم استحدثت بعدى السماءُ دراريَا ســوى أنجمٍ زنَّ السنين الخــواليــا
أم العينُ غــيــر العينِ أم أنا حــالمٌ وهيهاتَ ليس النحسُ حلمًا بدا ليا
فما لحظها مثل اللحاظِ التى مضت إذ القلبُ لا يلقى على الحبِّ عاديا
وتلحظنى لحظَ الغريبِ جليســه كــأنِّىَ ما كنت السميرَ المدانيا
كــــأنِّى لم أرعَ النجــــومَ بمقلةٍ بها كنت أرعى الحسنَ فينان زاهيا
وقد كان يصبينى الهلالُ إذا بدا ويرتاحُ قلبى أنْ ســهـيل رنا ليــا
وكم لىَ من نجــوى لديهــا أسرُّها وأنَّات قلبٍ تتــرك الليلَ شــاديا
ولم أعرفِ الأحبابَ حتى فقدتهم وأصبحتُ منبوذاً عن الناسِ ساليا
وما كنتُ أدرى الحبَّ حتى بدت له ليــالٍ وأيامٌ تخــال ليــاليــا

(١) التساؤل عما إذا كان فى النجوم سكان أشقياء تعساء كما فى الأرض .

(٢) علة : أى سبب .

ووَدَّعت آمـــالي ووَدَّعت عـــزمـــتي ولذَّات عيشي والحبيبَ المصافيا

فهل تنضر الأفلاكُ كالزَّهرِ حقبة وتذبلُ حتى يصبحَ الكونُ ذاويا ؟

وهيهات ! إنَّ القلبَ أصبح ذاوياً وأصبحَ نورُ الحسنِ فى العينِ داجيا

سحر اللحاظ

أســرْتنا منك بســحــرٍ حــلال أم ذاك لحظ نافــذ كــالنبــال ؟

أم تلك خمرٌ من عصير النُّهى أم ذلك النجمُ البعيد المنال[1] ؟

يا هل لطرفى منك من نظرةٍ فــربَّ لحظٍ فيه رجعُ السؤال

يقولُ قلبٌ قد رماه الهوى ياعينُ ما أقتل هذا النضال

ياعينَ رفــقًا بفــؤادٍ عليل تكسَّرت فيه صدور النصال

قد عشق الحسنَ فلم يُجْدهِ غيرُ علالات حكاها الخيال[2]

قد لجَّ هذا القلب فى خفقه ياليته يجهل سحرَ الجمال

فالحسنُ فى العينِ طريرٌ غرير والحبُّ فى الأحشاء داءٌ عضال

آه على خيبةِ قلبٍ طروب شقاؤه فى الحبِّ حال فحال

أتعبتنى يا قلب ، يا طائراً يحسب أن الحسنَ ماءٌ زلال[3]

يا طائراً بين ضلوعى ثوى يحلم بالغصن وبردِ الظلال

هذا جناحٌ منك أدميته على ضلوعٍ نصبت كالحجال[4]

---

(١) النهى : أى العقول . أى هل الذى يسحر فى اللحاظ ويسكر منها أنها مظهر من مظاهر العقل .

(٢) أجدى أى نفع

(٣) تشبيه القلب بطائر يحاول أن يفلت من قفصه .

(٤) الحجال : الحجب .

هيـهـات أن تُفلتَ من أسـرها ... يا قلبُ كم تبـغى سـرابَ المحـال

وأنت ياعينُ عـــداك الكرى ... شـوقًا إلى طلعـة ذاك الجمـال[1]

يا حسـرةً مـا مـثلها حسـرة ... نهـوى عيـونًا لحظهـا كالنِّصـال

ياعين من أهوى رعـاك الكرى ... فـليلتـي منـك ليـالٍ طـوال

يا نجـمـة الآمـال قـد أشـرقت ... أبصـرها في الحلمِ مـثل الذُّبال

عـودي بلحظٍ صـادق ضـوؤه ... يجلو دجى العيش وليل الخَبَـال

يا طاقـة أُبصـرُ منهـا النعـيم ... في جنَّةِ الخلدِ وريفَ الظلال[2]

كـأنَّهـا بابُ إلى جنَّةٍ ... ليس بهـا من شـقـوةٍ أو مـلال

عـودي بلحظٍ أحـتسـي خمـرَه ... فـالكوثرُ العـذبُ شـهيُّ المنال

ولا يكـن بـرقُك لي خلبًـا ... أهـكذا حظِّيَ آل فـآل ![3]

مـهـمـا تناءَت بك عنّا الديار ... وطال من ذاكَ العشيرِ احتمال[4]

فـأنتِ أدنى مـن نجيِّ الرجـاء ... وأنت أحلى من كـئـوس الشـمـال

فـإنَّ في ذكـراك برءُ العليل ... وربَّ ذكـرى مـثل شـوكِ الصـلال

في لحظِ عـينيك عـقـالُ الهـوى ... نفـوسنا في أسـر ذاك العـقـال

تطلّ في العين مـعـاني النفـوسْ ... والنفسُ أسـمى مـا يحبُّ الرجـال

قوة الفكر

أسـرى من العـقـل إلى القلوبِ ... أكـاد أن أُعـرفَ في الوجـيـب[5]

(١) عداك أي جازك وتعداك .

(٢) تشبيه العين الجميلة بطاقة أو باب نبصر منه حسن النفوس الذي يشبه بالجنة .

(٣) البرق الخلب : الكاذب الذي لا يعقبه غيث . (٤) احتمال : أي ارتحال .

(٥) الفكر يحس به المرء إحساساً شديداً فيصير عملاً .

أبثّ فيها الهممَ الصليبة | وأنزع العزيمة المغلوبةْ
كالكهرباءِ فعلها يبين | يخبر أين سرها المصون
لكنّها عن العيونِ خافيةْ | ساكنة طوراً وطوراً عادية
ألوى برب الفكر عن ذويه | وأذهل العازم عن أخيه[1]
طوراً وطوراً راحة وسلما | أجبر عظمًا وأهيض عظما
وأرخص العزيزَ والكبيرا | حتى يصير هينًا حقيرا
أليحُ بالمطامعِ البعيدهْ | وأُهلكُ الجحافل العديده[2]
وربَّ غرٌّ كان عبدَ عمره | زوّدته من خيرهِ وشره
كان صغيراً فغدا عظيما | كان يرى عيشَ النهى أليما
رفعته عن لذةٍ وألم | فصار ناراً أضرمت في علم[3]
مشهّراً بين الأنامِ معلمًا | مبغَّضًا طوراً وطوراً مكرما
حملته مؤونة العظائمْ | حتى استبان صابر ونادم[4]
الكونُ بردي والزمانُ داري | أكتب فيها سيرَ الدراري
والكونُ كالنّشوانِ من كئوسي | ألا ترى تطرُّبَ النفوسِ ؟
آمالها من طربِ الخمار | فلذةُ الحياةِ من عقاري
كم حقبةٍ قد اختمرت فيها | وكان كأسي قبلها كريها
أقوى على الأيامِ والدّهور | كما صفت عتيقة الخمور

(١) نعم فكم فرقت المذاهب والآراء بين الأقارب (٢) ألاح بالشيء : أظهره ، ولاح الشيء : ظهر .
(٣) العلم أي الجبل ، أي صار يهتدى به (٤) استبان الشيء : ظهر ووضح ، واستبان أيضاً بمعنى عرف .

والناسُ قد غرَّهم خمودى | وهم على غِرتهم وَقودى
نبهتهم للحادث العظيم | كما تشبُّ النارُ فى الهشيم
فأُشعل النيرانَ واللهيبا | وأُشعلُ الأحمقَ واللبيبا
طويتُ جيلاً ونشرتُ جيلا | وكم بعثت فيهمُ رسولا
وكم رمانى الجورُ فى الأخدودِ | وقيدونى فوهت قيودى[1]
واستبشروا بمقتلى وهُلْكى | وبينهم لو يفطنون مُلكى
وأوسعوا من نالنى عذاباً | وقطعوا من لحمه عقابا
فصار لى فى قتله انتشار | يقام لى من قبرِه منار
وصار لى من دَمِه مداد | يخط فى الدهر به السداد
الفكرُ عَدوى ما لها من راقى | وليس منها حافظٌ وواقى
يذر ذرَّ البذرِ فى الرياح | فيسعد النفسَ باللقاح
سأغمرُ الأنامَ من مياهى | فلا ترع أن صلت بالدواهى
إن الخطوبَ سُنَةُ التجدد | فلا ترع من سهمها المسدد
وأولُ الفكر الكبيرِ خطب | ثم يظلُّ خيره يرب
وهو كطفلٍ قد بدا ضعيفًا | ثم اغتدى مجالداً عنيفًا
يوسعُ من جالده عناداً | مضرَّماً من عزمِه جهادا
يا برما بالفكر يبغى خنقَه | أأنت تدرى سره وخلقه؟[2]
الفكرُ نورُ اللّهِ فى الوجود | فعمرهُ كخلده المديد
يلبسُ برداً ثم ينضو بردا | إن لكل زىٍّ منه حدا

(١) الأخدود : الحفرة (٢) البرم : المتأنف من الشىء الضجر منه .

فـهـو كـثـيـرُ اللونِ كـالحرباءِ — وهو كـثـيـرُ اللونِ كـالضـيـاء

إن حـقـقـوا بالفـعلِ منه جـانبًا — أجـدً من أعـمـاقـه مطالبـا

فكن كـسـيفٍ في يديه مـاضٍ — فـهـو علينا حـاكمٌ وقـاضٍ !

الذكـر

قـد يفـعلُ الذكـرُ بالنفـوس — مـا تفـعل الخـمـرُ بالرؤوس

يعـيـد لي الذكـرُ مـا تقـضَّى — من الهـوى مُـتـرَع الكئـوس

فـيـقـدح الشـوقَ في فـؤادي — كـالنَّار في عـودِها اليـبـيـس

فـإنَّ ذكـراك في فـؤادي — كـالنَّار في مـعـبـدِ المجـوس

راحـةُ عـيـشي ونومُ عـيني — خُـصًـا لقـربانهـا النفـيس[1]

والحـسنُ كـالنَّار في ضـيـاء — والحبُّ من جـمـره القـبـيـس[2]

فـالذكـرُ رمـزٌ إلى حـبـيـب — والنـارُ رمـزٌ إلى الشـمـوس

أصـغي إلى الذكـر في فـؤادي — وأحـسبُ الذكـرَ كـالهـسيس[3]

كـأنما شـدوه خـريـر — أو نعـمـة المطرب الأنـيس

كـأنما شـدوه أتيٌ — قـد غـمـر اليـأسَ بالطمـوس[4]

كـأنه الريحُ حين هـبَّت — بالروضـة الغـضـةِ الميُـوس

والذكـرُ كـالريح في شـذاها — وعـطرُه نـشـوةُ النفـوس

كم قـرَّب الصبَّ من حـبـيـب — حـتى يُرى دانيَ الحـسـيـس

---

(١) القربان : ما يتقرب به إلى المعبود في المعبد من الهدايا .
(٢) القبيس : المقتبس .
(٣) الهسيس : من الأصوات الخافتة .
(٤) الأتي : السيل الشديد .

فـينشق العطرَ من حـبـيـب ... يـكاد ينـقـاد للُمـوس

حـتى كـأنْ لم يكن بعـيـداً ... ولـم يكـن طعـمـةَ الرمـوس

كـأنه سـاحـرٌ قـديـر ... يدوف من نعـمـة وبوس

يُلـيحُ للعين مـا تقـضّى ... كـأنه خُطٌّ فى الطروس[1]

يمزِّق الستـرَ عن خـفىٍّ ... ويصـدعُ القـيـدَ عن حـبـيس

ويُرجعُ الدهرَ عن فـريس ... والناسُ للدهر كـالفـريس !

المجرم

يرى الناسُ أنَّ النومَ أمٌّ رحـيـمـةٌ ... ولكنَّ نومَ الجـارمين عـقـابُ[2]

يسلُّ علىَّ الحُلم أسـيـاف نقـمـة ... فـأحلامُ نومى كـالجحـيـمِ عـذابُ

وكم هدَّ من عزمٍ صليبٍ عذابها ... وشـيَّب ورَّاد الذنوب فشـابوا[3]

فيا بلسمَ الأحزانِ أصبحت عونها ... علىَّ فَـبُطلٌ مـا وعـدت كِـذابُ

أمـا يهربُ المسكينُ فيك من الأذى ... فـيـسكره مما تدوف شـراب

شـرابٌ من النسـيـان يحلو لذائق ... له من وميض النيِّرات حبـاب[4]

يبـيتُ فـلا وقع الصروف بِكارثٍ ... ولا تزدهيـه عـزمـةٌ وطلاب

ومـا العيشُ إلا نومـة راع حُلمـهـا ... ووقع سـؤالٍ مـا عليـه جـواب

وغـيَّرنى عـمـا عـهـدت جـرائرى ... فـليس إلى الحـالِ القـديم إياب

---

(١) ألاح الشىء : جعله لائحاً واضحا .   (٢) الجارمون : أى المجرمون .

(٣) أى أن النوم دواء الأحزان ، ولكنه يعينها بأحلامه على المجرم .

(٤) أى ينسيه كل شىء إلا النجوم التى يراها عند نومه ويقظته .

فلا تحسبن الشرَّ يُمحى بتوبةٍ وإن غفرَ الجرم العظيم متابُ

كذلك فعلُ الطِّبِّ يشفى دواؤه فيحمد من مرأى السقام ذهابُ

ولكنَّ بعضَ الضعف فى المرءِ كامنٌ وإن حسنت حالٌ وراقَ إهاب[1]

وروّع عنى الوزرُ كل محبَّبٍ فقد بان أحبابٌ وفاتَ شبابُ

وقد غاب بشرُ الناس عنى وأنسهم كأنّى على ضوءِ النهارِ سحاب

ألوح فيبدو الخوفُ فى وجه مبصرى كأنّى سيفٌ والرقابُ قراب

أو أن دماءَ الهالكين جعلتها على راحتى مما سفكتُ خضاب

ويسكت عنى الناسُ سكتةَ مبغض فما لى لديهم إن دعوتُ جواب

ولا أنس إلا أن يكونَ مخافةً على أنهم مما يخافُ غضاب

فبينى وبين الخوفِ ودٌّ وألفة وبينى وبين العالمين حجاب

ويلحظنى المغرورُ لحظةَ جاهل يُسرُّ بما أُرمَى به وأُعاب

رجوتُ من الإجرام نفعًا وإنما هواه من الفعل الحميد ثواب

ولو لم يجد فى الخيرِ نفعًا لعافه وأصبحَ يُخشى شره ويُهاب

وإنَّ رواءَ الطُّهرِ حيلةُ ماكرٍ يُصيب بها من عيشه ويُثاب

وإن يلق مالاقيتُ أصبحَ خيرُه ضئيلاً وقال القائلون وعابوا

يُواقع كلُّ الناسِ بالفكر شرهم وقد عابنى أنى جرؤت وهابوا

وكم حدَّثت بالشرِّ ذا الخير نفسه وذاك حديثٌ ما عليه عقاب

ولكنّه فى النفس إثر يشوبها وكلُّ ضميرٍ بالمعيب يشاب

ظمئنا فخلنا الشرَّ فى العيش منهلاً ولكنَّ وردَ الجارمين سراب !

(١) الإهاب : الأديم .

ليلة الحسن[1]

أحيـا اللواعجَ مـاضٍ من أمـانينا ... فعاود القلب عهداً كان مدفونا

وكان عهدُ الهوى يا حُسن يُضحكنا ... فصار عهدُ الهوى يا حُسن يُبكينا

ما لى وللحُسنِ لا أمرى بمقتَبَلٍ ... ولستُ بالعيشِ واللّذات مفتونا

ما العيشُ إلا ليالٍ فى الهوى سلفت ... واها لهـا حسـنات لا تؤاتينا

فى ذكرها نفحاتُ الحبِّ عاطرة ... تهفو علينا فتصبينا وتحيينا

إن تنس لا أنس ليلات لنا سلفت ... إذ أنت حُلمٌ لذيذ فى ليالينا

يا مَن رأى حلمًا بالحسن مرتدياً ... نسعى إليه ويسعى فى مساعينا

يرنو إلينا فلا وهمٌ ولا خُدَع ... وإن يمسَ فلا تخطيه أيدينا

حسن تانق فيه خالقٌ لَبِق ... راضَ الفنونَ فلبَّته أفانينا

كأنه صاغكم كيما يحببكمُ ... يافتنةَ الحسنِ قد جار الهوى فينا

كأنه صاغكم من عسجدٍ بهج ... ومرمرٍ ناصعٍ باللّون يسبينا

فجاء حسنُك رىَّ النفسِ ماظمئت ... فالعيشُ يظمئنا والحسنُ يروينا

هل صاغَ من ورق الأزهار حسنكمُ ... فكنتَ فى جنةٍ ورداً ونسرينا

أم من قطوف جنى الفردوس صاغكمُ ... إن القطوف إلى الفردوس تشهينا

نرى الثمارَ كأنَّ الشهدَ فى فمنا ... وأنَّ رؤيتكم كالشَّهدِ تشفينا

وفيك فاكهةُ الأبصارِ يانعةٌ ... يكاد يأكلها لحظُ المحبينا

هل أنتَ من فلتات الخلق معجزةٌ ... تعيى ذوى الفنِ خير الحسنِ يعيينا

---

(١) يتخيل الشاعر فى هذه القصيدة أن صفة الحسن مجسمة كالأفراد .

ياصورة صاغها ذو الصنع متئداً ... ودمية بثَّ فيها الحسنَ واللينا

وبثَّ فيها معانى الخلدِ أجمعها ... فصار حسنُك بالأرواح مقرونا

تسمو إليك نفوس الناسِ كلهمُ ... حتى يبيت تقىُّ النفسِ مفتونا

ففيك من كلِّ نفسٍ خيرُ ماضمنت ... أنت الحبيبُ إلى كلِّ المحبينا

تدعو النفوسَ فتأتى غيرَ كارهةٍ ... فأنت كعبةُ أرواحِ الملبينا

يا حُسنُ كيف سرت بى نشوةٌ لعبت ... بالقلب منى قد داويتها حينا

فى بعض سكرِ الهوى عن بعضِه عوضٌ ... كالخمرِ تصرعنا حيناً وتحيينا

يا حُسنُ من لى بسحر مثلِ سحركُم ... سحر العيونِ الذى قد باتَ يبلينا

يا حُسن من لى بسحر أتقيك به ... فالحسنُ يسحرنا والسحرُ يرقينا

يا حسن هل أنت ناسٍ ليلةً سلفت ... طافَ الغرامُ بها يا حسن يسقينا

خمرُ الغرامِ وخمرُ الحسنِ تُسكرنا ... وخمرةُ الكرمِ تروينا وتصبينا

كأننا نغمةٌ فى الليلِ سارية ... تهفو ولليل أذنٌ فيه تبغينا

كأننا نغمةٌ بالنفس آخذة ... فإنما الحبُّ ضربٌ من تغنينا

ورقَّ فيه أديمُ البدرِ مؤتلقاً ... حتى كأنَّ سناهُ من تصافينا

قد باتَ يلحظنا ريباً ونلحظه ... حتى كأنَّ ضياءَ البدرِ واشينا

وبتُّ ألحظكم طوراً وألحظه ... وفوق وجهك ضوءُ الحسنِ يشجينا

أبديت أحسن منه صفحةً وسنا ... فغارَ حتى لكاد البدرُ يأتينا

وصار يصقلُ وجهًا منه ذا كلفٍ ... وفتَّر اللحظ ، لحظ الحسن يسبينا

وصار يغمرنا باللحظ فى مَهلٍ ... فعل الحسان بسهم الحظِّ تصمينا(١)

---

(١) أى أن البدر غار منك فصار يتحبب إلينا كى يشغلنا عنك . وأصمى : أصاب المقتل .

هيهات يا بدرُ إنَّ الحسنَ أجمعه	يسعى لدينا فنبغيه ويبغينا

يا حُسنُ لا تحسبنَّ البدرَ يشغلنا	يا حُسن لولاكَ ما ابيضَّت ليالينا

لم أنس قولي له يوماً أمازحُهُ	كيما أضاحك ثغراً منه يلهينا

مذ ألف جيلٍ مضت قد كنت أعرفكم	ولم أدِن غيرَ حبِّي حُسنكم دينا

لا تُخفِ عنَّا الذى ندرى فإنَّ لكم	سيما تعزَّ وأوصافاً أفانينا

فانت أنت إلهُ الحسن كم سجدتْ	لك النفوسُ ولبَّاك المحبونا

جاذبتُه كفَّه كى لا يفارقنى	فمنهلُ العيشِ حلوٌ فى تدانينا

وقوله لىَ فى دلّ ومعتبةٍ	أظمأتنا من قريضٍ منك يروينا

فصف لنا ليلَنا شعراً تقل عجبًا	فإنما الشعرُ إلهامٌ يناجينا

هذا قليلُ مقالٍ أنتَ باعثه	إن شئت زدتك منه لو تؤاتينا !

البطل المنتظر

عليمٌ بأسرارِ القلوبِ خبيرُ	تناجيه منَّا أنفسٌ وضميرُ

فيحكمها حكم المطرِّب عوده	أمينٌ على وحى النفوسِ أميرُ

وقد كان سراً فى الطبيعة كامنًا	فقد حانَ من ذاك الكمينِ ظهورُ

وهل مخبر عن نابغٍ كيف خلقه	فذلك سرٌ فى الوجود ستير

تمر دهورٌ والحياةُ كآجن	أمرَ وقدماً كان وهو طَهور

إلى أن يحلَّ الغيث حبوة مائه	فيترع منه جدولٌ وغدير(١)

---

(١) حبوة : أى عطاء من حبا يحبو أى أعطى . ويترع : يملأ .

كـذلك حـالُ الناسِ فـالناسُ آجنٌ ... مـريرٌ ، ومــاءُ النابغين نميــر

وبارقـــة تجلو الظلامَ وصـــاعق ... يشبُّ لهـيـبًـا ، والأنام قــشـور

فيضطرمُ القلبُ الذى كان خامداً ... ويصـبحُ روضُ النفسِ وهو نضـيـر

لذاك يُرجَّى بينهم كلّ حـقـبـةٍ ... بشـيـرٌ لمن يبـغى العُلى ونـذير(١)

ليـصبح عـزمُ الناسِ وهنـاً بعـزمـهِ ... فـيحـمـد منهم آسـرٌ وأسـيـر(٢)

وقد كان مزجُ النفسِ بالنفس باعثًا ... يجـدُّ بهـا نحـو العُلى ويسـيـر

كـأنَّ نفـوسَ الناس طيـرٌ تشـردت ... وللطيـرِ من نفس العظيمِ وكـور

فيا ساكناً فى الغيب هل أنت مسعد ... أما آن من خلف الغيوبِ سفور ؟

فـإن نفوسَ الناس قد مـات جدُّها ... ولـيس لهــا إلا لـديكَ نـشـــور !

وصارت حياةُ القومِ مزحةَ عابثٍ ... وقـــولك طبٌّ للنفــوسِ قــدير !

خميلة الحب

تمـهل رعـاكَ اللّهُ أقض لبـانتى ... وأتلُ على تلك الرياض تحـيـتى

فـإنى تعلمتُ الهوى فى ظلالهـا ... وفـيـهـا رأيتُ الحـسنَ أول رؤيةِ

تمهل خليلى فى رباها فـعندها ... نظرتُ فلم أملك على الحبِّ نظرتى

نظرتُ إلى زهرين ، زهرِ نبـاتهـا ... وزهرةِ حـسنٍ ناضـرٍ أىّ زهرة

هنا قد عرفتُ العيشَ جمًّا ضياؤه ... وقـد كـان قـدمـاً فى سـوادِ الدجنة

هنا نالنى سحرُ الهوى فى نسيمها ... هناك كان بدءُ الحبِّ قدمًا ونشوتى

---

(١) الناس عندما يشعرون بحاجة إلى مصلح كانوا من قديم الزمان ينتظرون ظهور نبى أو مهـدى أو شاعر أو حكيم .

(٢) الذى عزمه غالب يكون بمنزله الآسر ... إلخ .

هنا مهدُ آمالى ، هنا حُلم يقظتى ، هنا سكرت نفسى غراماً وجنت

هنا قد جرعت الحبُّ حتى كأننى جرعتُ به من خمرةٍ أىّ خمرةِ

هنا زادَ هذا القلبُ خفقاً كأنه جناحُ قطاةٍ فى الضلوع أجنتِ

وكم لىَ فيها من أمانٍ لذيذة وكم لىَ فيها من لقاءٍ ونظرةِ

وناجيتُ فيها كلَّ غصنٍ لعله رأى خطرة من شبهة أىّ خطرةِ

وساءلتُ فيها الطيرَ هل مرَّ صنوه فغنَّى مغنى الطير فى كلِّ أيكةِ

وناجيتُ فيها كلَّ شادٍ وأعجمٍ وأنت بعيدٌ لستَ تحنو للقيتى

وهل تنفعُ النَّجوى وقلبُك صخرةٌ ألا خابت النَّجوى لدى كلِّ صخرة

نعم يسمع النجوى الذى طاب روحُه فتُعدى على بعدٍ بروع وغيبة

وتدنى أليفاً من أليفٍ موافقٍ كأنْ لم يرعْ قلبيهما شحطُ غربة

فيا دعوةً بالروضِ لم تلق سامعًا ويادعوة بالليل ، يا طول دعوتى!

إلامَ يُحبُّ القلبُ من لا يحبه وحتى متى يحنو على غير منصت ؟

لعلك يومًا بعد شحطٍ من الصبا وبعد مضىٍّ من جمالٍ ونضرة

ترى فى قريضى ما مضى من نضارةٍ لوجهك إنَّ الحسنَ يجلى بذكرة

فإنَّ قريضى جنةُ الخلدِ حسنه وحسنُك فيه خالدٌ غير مفلت

فلا تنسَ حبِّى عندها ولواعجى وهل نافعى حبى هناك ولوعتى؟

أيرضيك شعرى فيك أنَّك وحيه وأنَّك سحرى يا حبيبُ ورقيتى ؟

فَمُرنىَ أن أهواك أزدد محبة وإن كنتُ قد أحببتُ كلَّ محبة

فإن نعيماً أنْ أبثُّك لوعتى فتضحك جذلانًا ببثِّى وعبرتى

وإن نعيماً أن تراني باكياً فتمسح أجفانى وتوقف دمعتى

فيا ليت شعري هل بروقك أنني ... أحبُّك أم تقرى الهوى كلّ بغضةِ

فإنْ تكن الأخرى فإني مُهلك ... من اجلكَ حبّي يا حبيبُ ومهجتي

فإنَّ هلاكَ الحبِّ حبٌّ لكارهٍ ... فإن تمقت النفس المشوقة أمقت

فيا ليت لي من صخرِ قلبك آلةً ... فأتلو عليها نغمةً أيّ نغمة

يئنُّ أنينَ العودِ من شجو ضاربٍ ... فيسعد قلبي في حنينٍ وأنّة

فياصبوة القلب العفيفِ وهمه ... أُعيذك من صدٍّ يروع وجفوة

بك العيشُ حلوٌ والحياةُ شهيةٌ ... فأقطفُ من أثمار عيش جنية

وأنهلُ فيه من رحيقٍ وسلسلٍ ... وأبصر فيه جنةً أيّ جنة

وأنت جنانٌ أنبتَ الحسنُ زهرَها ... وأنهلها من كوثرٍ فتروّت

وأنت ربيعٌ ليس يخشى انقضاؤه ... فاين ربيعُ القلبِ ، ياطول حسرتي ؟!

علالة العيش

أيا طالباً من عيشه ما يودّه ... أحقٌ وملك يُبتغى ويُرامُ

سفاه سؤال المرءِ لو قدِّرت له ... خطوب فما يجدي لديه ملامُ

ولو شاءَت الأقدارُ لم يَشكُ خطبها ... ولكنَّ أطماع النفوسِ قوامُ

وهل يحمد الأقدار من كلٍّ عيشه ... أمانيُّ تدعو للكمالِ عظام ؟

فلا تحزننْ من ضجةِ العيش ، إنها ... سيخرسها مما يُتاحُ حِمام

لعلّك بعد الموت تبغي ضجيجَها ... وهيهاتَ لا يصبي الرميمَ مرام

ستسكن بعد الموتِ حتى تملّه ... وليس بمن تطوى المنونُ سآم

وإنَّ ضياءَ العيشِ يزهو رواؤه ... لأنْ حاطه بين الأنام ظلام

ظلامٌ من الأحداث والخطبِ والردى ... يبيت ضياءُ العيش فيه يشامُ[1]

وما العيشُ إلا خمرة أنا شاربٌ ... فهل رائعى أن الخطوبَ أمامُ

وهل يفرق النشوانُ من صرف دهره ... ويشقيه من وقع الخطوبِ لمامُ[2]

ومالىَ لا أرضى وفى الخوفِ لذةٌ ... وليس لأدواءِ الكُلومِ دوامُ

مغالبةُ الأخطار سكرٌ ولذةٌ ... وإن شُبَّ منها فى الضلوعِ ضرام

وقد لا يزيل الهمَّ إلا تعتب ... فلاتنكِ من ذاقوا الصروف فلاموا

وإن صروفَ الدَّهرِ تأسو جراحَها ... وتُظمى فيروى بالأوام أوام[3]

ومن رحمة الأقدارِ كرُّ خطوبها ... ومن عادة ضيمٌ فليس يضام[4]

فسر فى غمار العيشِ تعتد خطوبَه ... ويسهلْ بميدان الحياةِ مقام

ولا تحسبنَّ الحزنَ تبقى قروحه ... فليسَ لحزنٍ ما بقيت دوام

كأنَّ وجيعَ الحزنِ حلم إذا مضى ... وذكرى دموعِ البائسين غمام

وإنْ شقيتْ بالعيش نفسٌ كليلةٌ ... فللرُّمد من لون المنونِ جمام[5]

ولولا الأذى ماذقتَ فى العيش لذةً ... فكلُّ نقيضٍ بالنقيضِ يُشام

ولا شرَّ إلا فيه للخيرِ مألفٌ ... كما تألف الماءَ الطهورَ مدام

لقد وسعتنا الحادثات إراحة ... لأنْ قادنا مما تريد زمام

فمن ضلَّ فى خرقٍ من العيشِ لبَّه ... هداه زمامٌ جاذبٌ وخطام[6]

---

(١) يشام أى يرى . (٢) يفرق : يخاف . أى أن السكران لايخاف ما يقع حوله ، وكذلك من سكر من خمر الحياة لا يخشى مصائبها . (٣) يروى بالأوام أوام أى أن طول الصبر على الظمأ يعلم الإنسان تحمله حتى كأن قد زال. (٤) أى أن الإحساس بالقيم هو الضيم . وذلك الإحساس يزيله ترادف ضيم الحوادث . (٥) جمام : راحة . (٦) الخرق : المهمه والقفر . أى أن فى انتفاء التخيير راحة .

وهوِّن وقعَ الخطبِ أنّا ذرائع الـ ـقضاءِ فلا صون لديه يرام

لص أم أديب

أتسرقُ من شعرى وتقدحُ فى شعرى كذاك لصوص الشِّعر فى مسلكٍ وعرِ ؟
كمن يسرق الدهماءَ من تحت راكبٍ وراكبُها من خفة اللصِّ لايدرى[1]
وإنَّك كالمزمارِ أخرس أبكم إذا لم تهيئه النوافخُ للزمر
وإنَّك كالمزمار ما لك منطقٌ إذا لم تهيئك الأصابع بالنقر
فلا تحسبنَّ الصبرَ فىَّ استكانة فربٌ وعيدٍ فى التواضعِ والصبرِ
خلقتك من لا شيء لو شئتُ لم تكن ولو شئتُ لم تُحمد على السِّر والجهر
ورمتَ غروراً كنتُ فيك نفثته فمن منصفى ياقوم من وَرِمٍ غرٍّ؟
وهل يُصلح الإنسانَ لومٌ يصيبه إذا كان مطبوعًا على اللؤم والغدرِ
يظن غبىٌّ جهله فىَّ سُبَّة إذا ما غباءٌ فيهِ قصَّر عن شعرى!

تزاوج النفوس

إن النفوسَ لأسرارٌ مخبَّأةٌ فكلُّ روحٍ عن الأدنين مستترُ
وكلُّ روحٍ على الأيام منفرد إنَّ النفوسَ لدى أسرارها جُزُرُ
إن كان روحك لغزاً أنت باحثه فكيف تعرف نفسًا دأبها الحذرُ[2]
مجاهلَ النفسِ هل من كاشف فَطِنٍ لقد بعدتِ فلا ركب ولاسفر[3]

---

(١) سرقة الفرس من تحت راكبه من غير شعوره : يراد به أن مهارة اللص الموصوف معجزة .

(٢) أى إذا كنت لا تعرف نفسك فكيف تعرف نفوس الناس ودأبهم الحذر منك وإخفاء صفاتهم عنك .

(٣) المجاهل : الأراضى المجهولة .

مُجاهلَ النفسِ هل من باحثٍ يَقِظٍ ... طال التساؤل لا راوٍ ولا خبرُ

والحبُّ تكشفُ بعضَ النفسِ هبته ... وأكثر النفسِ كنزٌ صانه المدرُ

كأنما النفسُ تبدو خلفَ كلتِه ... سحابةُ الصيف فيها البدرُ يستتر[1]

للنفس بالنفس تلقيح يطيبها ... كما يلقّحُ في بستانه الشجر

وفي النفوسِ دروعٌ للنفوس فلا ... ترقى إلى كيدها الأقدارُ والغيَر

أهوت إلى النفس نفسٌ تبتغي سكنًا ... حتى تطايرَ من حُبَّيهما الشرر[2]

يولّد الحبُّ نفسًا غير ماضمنا ... فالوامقون بما قد عالجوا كثروا

وكلُّ قلبٍ يعيش الدهر منفرداً ... كالبيدِ والبيدُ لا ماءٌ ولاشجر

والحبُّ كالنّارِ زانَ النفسَ صيقله ... والحبُّ كالنّارِ لا يُبقى ولا يذر[3]

كم خائفٍ جاءه من حيث يدفعه ... خوفًا وكم حاذرٍ لم يجده الحذر

الخلد في وحشة كالموت نجنبه ... فكلُّ روحٍ إلى الأرواح مفتقر

لا يُبتغى الخلد إلا والهوى سكنٌ ... فالخلدُ لولا الهوى الزقُّوم والصَّبِر

ويبتغى المرءُ وردًا في الهوى أبدًا ... وقلبه جاهلٌ لم يدر ما الصَدَر

والنفسُ للنفسِ زوجٌ طاب عرسهما ... ومهرُها الحب لايغلو لها المهر

من لى بنفسٍ أرى نفسي بها مزجت ... كما تمازج في وديانها الغُدُر

والنفسُ في عيشها شتّى منافذها ... منها القلوبُ ومنها السمعُ والبصر

والحبُّ في الناس ذنبٌ لا اغتفار له ... لكنه في صميم النفسِ مغتفر

يثير في النفسِ ما قد كان ذا سِنَة ... تبدو اللآلي ويبدو ماؤها العكرُ[4]

---

(١) الكلة : ستار خفيف تحمل فيه النساء . (٢) السكن : الأليف الذى تسكن النفس إليه أى ترتاح.

(٣) الصيقل : الذى يصقل الشيء . (٤) السِّنَة : النوم الخفيف .

والحبُّ كالنهرِ يغرى الروحَ رونقُه — روح المحبُّ به عـريان منحـسرُ

والنفسُ كالركبِ فى الصحراءِ سيرتها — تمضى الشجونُ ويبقى بعدَها الأثرُ

هذى العظامُ على الصحراءِ قد نخرت — والحبُّ آثاره الآمـالُ والذكَـر

ورُبَّ نفـسين مـثل اللُّجَّـتين إذا — تهـاوتا نحـو شطِّ اليمِّ يُبتـدر

أو مثل قطر الحيا قد ضمَّ شملَهما — ودُّ كـمـا ضمّ قَطْرَ المزنةِ الزهر[1]

تصرَّبت أنفسٌ فى أنفسٍ فمضت — آمـالهـا أمل أوطارها وطر[2]

ورب نفـسين حال الدهر بينهـما — كمـا يدين لصدع اللُّجة الحجر

كصخرةٍ هدَّ منها اليمُّ فانشطرت — شطرين والنفسُ دون النفس تنشطر

وإنَّ أوجعَ مـا تمنى النفـوسُ به — صدعُ الزمانِ وسوءُ الظن والضجر

وللنفـوسِ مطافٌ بالنفـوسِ كمـا — تدورُ حـول النُّجـوم الأنجُم الزهُرُ

والدَّهرُ للنفسِ بحـرٌ زاخـرٌ أبداً — بحرُ النفوسِ ومنها العُشب والدّرر

فـمـا تآلف منهـا فـهـو منتظمٌ — ومـا تناكـر منهـا فـهـو منتـشـر

عيش الأدباء

أخـشى عليك مـصـارعَ الأدباءِ — فـالنحسُ رهنُ مـعـيشـةِ الأدباءِ

لا بل وقيتَ من الصروفِ وغدرها — ونعـمتَ فى حـرزٍ من الأرزاءِ

فـالشعرُ ينفثُ فى ذويه سـمومَـه — ويسـعّـر النِّيـرانَ فى الأحـشـاءِ

لاتـنحتنَّ من الفـؤادِ قـصـيـده — فـالشـعـرُ يأكلُ جدةَ الأحـيـاءِ

واجعل لنفسك ساعةً من لهوه — وارفق بنفـسك إنَّه كـالداء

---

(١) الحيا : المطر . (٢) التاء فى مضت تعود على النفوس لا على الآمال .

والصيتُ وهمٌ فى الحياة مخادعٌ ... مثل التماع الآلِ فى الصَّحراء[1]

هيهاتَ ما هجرَ القريضَ مطاوعًا ... إلا امروٌ ما كان فى الشعراءِ

يتهافتون على المحاسن كلِّها ... والنَّحلُ لصُّ الروضة الغناءِ

ذهبَ الخيالُ بحزمهم وحلومهم ... فحلومُهم رهنٌ لدى العلياء[2]

يستخلص الألمُ الوجيعُ نضارهم ... كالنَّارِ تذكى العودَ بالإصلاءِ

فإذا خبرتهم وجدتَ لديهم ... شيمَ الملوكِ وحالة الفقراءِ

لفتت درارىٌّ النجومِ عيونَهم ... فتعثروا بمعاولِ الغبراء

فُتنوا بلذات الحياة فعيشهم ... مهدُ الردى وقرارةُ الأدواء

ياويحَ من حسب الحياةَ ذخيرةً ... تنمو على الإسرافِ والإمضاء

فمخيِّب محت العقارُ ذكاءَه ... من ذا يعين ذكاءه بذكاء

وأخو هوى فتك الغرامُ بلبِّه ... ورماهُ حيثُ تنازعُ الأهواء

لا عزمَ يهدى فى المسالك خطوه ... كالذرِّ دان لعصفة الهوجاء[3]

متواضعون فإن ألمَّ ذلَّة ... ألفيتَهُم فى منزلِ الجوزاء

ويرونَ وحيَ الشِّعرِ فرضًا واجبًا ... فرض يؤود وليَّه بأداء[4]

وكأن فيه غذاءَهم وشرابَهم ... ياليتَهم لم يخلقوا لغذاءِ

بل ليت فى نشق الهواءِ غذاءهم ... وشرابهم من خمرةِ الأضواء

إنَّ الذى حلَّى الحياةَ بشعره ... أحرى بحلى محاسنِ النَّعماء

عرفوا الحياةَ نعيمَها وشقاءها ... فمضوا بكلٍّ لذاذةٍ وشقاءِ

(١) الآل : السراب .

(٢) الحلوم : العقول .

(٣) الريح الهوجاء : المجنونة .

(٤) يؤود : يثقل .

جرعوا الحياةَ وليس يسأر جارع منهم فإن ماتوا فموتُ ظماءِ[1]

كم ماتَ منهم خاملٌ ذو شقوة عيش الأديب وموتُه كالداء

فاحذر مصارعهم ولا يكُ عيشهم عدوى تجيء بشقوةٍ وعناء

وإذا استطعتَ فداوِ نفسَك وانتبذ خلق الأديب وخلّة الأُدباء

(١) يسأر : يبقى : والسؤر : بقية الشراب فى الكأس .

إلى المجهول[1]

مقدمة :

الولوع بالمجهول من أمور الحياة والطبيعة والنفس والكون . والشغف باستطلاعه وكشفه ، هو الذى أخرج الإنسان من المعيشة فى الكهوف ، ومن حضارة العصر الحجرى من عصور الحضارة ، وأزال عنه خوفه من مظاهر الطبيعة ؛ فأخذ يبحث تلك المظاهر .. وهو الذى أدى إلى كشف القارات والبحار ، وزاد علمه بالسماء ، وعلّمه ركوب الهواء فى الطائرات ، حتى طمع في الوصول إلى الأفلاك . وذلك الولوع بالمجهول هو الذى جعله يخترع مخترعات الحضارة التى زادت حياته بهاء ومتعة وراحة ولذة ، وجعله يجد لذة حتى فى ركوب الأخطار من أجل كشف مغاليق الكون والحياة والطبيعة ، ويستشعر اللذة حتى فيما قد يصيبه من الألم أو الهلاك ، في أثناء بحثه المجهول من أمور الحياة والكون . والولوع بالمجهول هو الذى أدى إلى سيطرة الأمم القوية التى تمكنت من كشف المخترعات التى زادتها قوة واستعلاء . وإذا بحثت عما يميز أبناء الدول القوية التى تمتعت بالثروة والسطوة والعلم والحضارة ، عن أبناء الأمم المتأخرة التى لا تزال تعيش في الكهوف أو الغابات ، أو فى المدن ، أو الأحياء المتهدمة القديمة الفقيرة ، المربوءة بالأسقام والأقذار ، المغلوبة على أمرها ، لرأيت أن صفة النفس التى ميزت أبناء الشعوب القوية السعيدة المسيطرة على الحياة والناس ، هى الصفة التى تجعلهم يجدون لذتهم في كشف مغاليق المجهول من أمور الحياة . والأمة التى تريد أن تعلو وأن تأخذ مكانتها تحت الشمس ، ينبغى أن تهيىء لأبنائها نوعاً

---

(١) أعاد الشاعر نشر هذه القصيدة بمجلة «الرسالة» فى عدد ٢ مايو سنة ١٩٣٨ وأضاف إليها المقدمة .

من التربية والتعليم يبث فى نفوسهم حب استطلاع المجهول وكشف مغاليقه . أما التعليم الذى لايبث هذه الصفة فى النفوس ، فهو تعليم لا يليق إلا بالذين يجدون لذتهم فى حياة الخمول من المألوف الذى أصبح كالمخدرات . وكلما كان فقدان صفة حب استطلاع المجهول من النفوس أوضح وأظهر من أجل المؤثرات التاريخية المذلة المؤخرة ، كان ذلك أدعى إلى إصلاح نظم التعليم ، وإلى اتخاذ التربية التى تزيل هذه المؤثرات . والمراد بهذه القصيدة الدعوة إلى بث صفة حب استطلاع المجهول فى نفوس النشء ؛ لأن نفوس النشء تحب الاستطلاع الغريب والمجهول بطبيعتها . وترى لذتها فى ذلك قبل أن تعلمها التقاليد والأوضاع الخمول والقنوع بالمألوف . ومن الخطأ أن يظن أحد أن عاطفة الشغف بالمجهول لا تنمى بالتربية ، وأنها قوة طبيعية فى الأمم القوية فحسب .. لا .. بل إن أسلوب التربية والتعليم قد يقوى هذه العاطفة التى هى أساس الرقى العلمى والاجتماعى الصحيح ، وهذا الأسلوب من التربية ألزم فى الأمم الضعيفة لشدة احتياجها إليه .

(الخطاب موجه إلى المجهول)

يحوطنى منكَ بحرٌ لستُ أعرفه ... ومَهْمَهٌ لست أدرى ما أقاصيه[1]

---

(١) المهمه : القفر .

أقضى حياتى بنفسٍ لستُ أعرفها وحَوْلِيَ الكون لم تُدْرِكْ مجاليه[1]

ياليتَ لى نظرةً فى الغيب تسعدنى لعلَّ فيه ضياءَ الحقِّ يبْديه

أخالُ أنِّى غريبٌ وهو لى وطن خابَ الغريبُ الذى يرجو مُقَاصيه[2]

أوليتَ لى خطوة تدحو مجاهله وتكشفُ السِّترَ عن خافى مساعيه[3]

كأنَّ رُوحيَ عُودٌ أنتَ تحكمُهُ فابسطْ يديكَ وأطلقْ من أغانيه[4]

والروحُ كَالكونِ لاتبدو أسافله عند اللَّبيبِ ولا تبدو أعاليه[5]

وأكبرُ الظَّن أنِّى هالكٌ أبداً شوقاً إليك وقلبى فيه ما فيه[6]

من حسرةٍ وإباءٍ لستُ أملكه يأبى لِيَ العيش لم تُدْرَك معانيه

وأنت فى الكون من قاصٍ ومقترب قد استوى فيك قاصيه ودانيه[7]

كأنَّنى منك فى ناب لمفْتَرس المرءُ يسعى ولغزُ العيش يُدْميه[8]

كم تجعل العقل طفلاً حار حائرهُ وربَّ مُطَّلَبٍ قد خاب باغيه

لو النَّبالُ نبالُ القوسِ مُضْمِيَةٌ كنتُ ادَّرَيْتُ بسهمِ القوسِ أرميه

أو كان للسحر سهمٌ نافذٌ أبداً لكانَ لى منه سهمٌ صالَ راميه

يا مُصْلِتَ السَّيفِ قد فُلَّتْ مضاربه ورامِي السَّهمِ قد خابتْ مراميه

---

(١) المجالى : مباديه . (٢) قاصاه : باعده ، والمراد بالغيب هنا المجهول لاغير .

(٣) تدحو : تبسط .

(٤) يخيل للمفكر أحيانا أن خواطر النفس وأفكارها ريح تهب عليها ، أو يد تحركها كما تحرك يد الموسيقى أوتار عوده . (٥) لأن اللبيب أدرى من غيره بعظم الروح .

(٦) أى شوقا إلى ما يجهله العقل وتتوق النفس إلى معرفته .

(٧) أنت : الخطاب كله موجه إلى المجهول .

(٨) ذلك لأن جهل الإنسان أسرار الحياة وعجزه عن حل مسائلها قد يوقعه فى الهلاك .

قلبي يحـــدثني أن لا يليق به ... رضًا بجهل ذليل اللُّبُّ يُرضيه

قد ثارَ ثائرُ نفسٍ عزٌّ مَطْلَبُها ... وطار طائرُ لُبٌّ في مراقيه

كالنَّسر لا حاجبٌ للشمسِ يحرقه ... ولا الصواعق والأرواح تَثْنيه[1]

وأنتَ كالليلِ والأفهام حائرة ... مثل العيون علاها منك داجيه

ليل مهيب كليلِ البحرِ حندسه ... تكاد تسمع منه صوتَ طاميه[2]

فليتَ لي فكرة كالكونِ واسعة ... أدحو بها الكون تبدو لي خوافيه

ليس الطموحُ إلى المجهولِ من سفهٍ ... ولا السموّ إلى حقّ بمكروه

إن لم أنلْ منه ما أروى الغليل به ... قد يحمد المرء ماءً ليس يرويه

والقانعون بما قد دان عيْشُهُمُ ... موت فإنَّ خضوعَ اللُّبِّ يُرْديه[3]

يا قلبُ يهنيك نبضٌ كلُّه حُرَق ... إلى الغرائب مما عزَّ ساميه

فالعيش حب لما استعصت مسالكه ... تجارب المرء تُدْميه وتُعْليه

كم ليلة بتُّها ولهان ذا أملٍ ... لم يُسلِ قلْبِيَ أن غابت أمانيه

لعلّ خاطر فكر طارقي عرضًا ... يدنو بما أنا طول العمر أبغيه

يوضح الغامض المستور عن فطَنٍ ... وأفهم العيشَ تستهوي بواديه

---

(1) الأرواح : الرياح .

(2) أشد ما يكون الليل روعة الليل في وحشة البحر ، ولذلك يشبه به المجهول .

(3) دان : خضع وذل .

إلى ماضٍ من العمر

شكا قلبى إلى يومى ما ألقاه من دهرى
وقال : لقد تركت هواى فى ماضٍ من العمرِ
فدعنى أقتفيه عسى أُقاد إليه بالإثْرِ
وإنَّ سبيلَ ما يمضى سبيلُ المسلكِ الوعرِ
فراحَ القلبُ ولهانًا وظلَّ بخفقه يجرى

إلى ماضٍ من العمر !

فقال اليوم يا قلبُ على مَ تروغ من أسرى ؟
وما لك غير ساعتك ا لتى تلقاك فى الدَهرِ
لأمسك قلبك الماضى وما للأمس من كرًّ
لقد جشَّمتَ نفسَك ما عييت به من الضرِّ[1]
غدوت تقاد بالذِكر وفى التذكارِ ما يغرى

بما قد فات من عمر !

فيا ماضىً دع قلبى فمالى عنه من صبرِ
وإنَّك قبرُ آمالى فهل لى فيك من قبر ؟
فآه لو يجول المرءُ فيما شاءَ من دهر
لطار القلبُ كالعصفورِ عافَ تريُّث السَّير

---

(١) جشمت : حملت .

وحنٌ لروضه النضرِ   وما آواه من وكرِ

لدى ماضٍ من العمر !

إلى الريح

يا ريحُ هيَّجتِ قلبًا شجوه واري   كما تهيجين عودَ الغابِ بالنارِ[1]

يا ريحُ رفقًا بقلبٍ هجت لوعته   يا ريح أفشيت أشجاني وأسراري

كم قد نسيت شجونًا نارها خمدت   فهجت قلبي بإغراءٍ وإذكارِ

يا ريح أي زئيرٍ فيك يفزعني   كما يروع زئيرُ الفاتكِ الضاري

يا ريح أي أنين حنٌ سامعه   فهل بليت بفقد الصحبِ والجارِ ؟

يا ريح ما لك بين الخلقِ موحشة   مثل الغريب غريب الأهل والدار !

أم أنت ثكلى أصاب الموتُ واحدها   تظلّ تبغي يدَ الأقدار بالثار ؟

يا ريح ما لك من إلفٍ فُجعت به   مثلي ولا لك آمالي وأوطاري

يا ريح كم لك من نفع يجيءُ به   حدو السحاب بصوبٍ منه مدرار

وهبة منك تحيي النفس من عُرُض   بنفحةٍ من شذى الأزهارِ معطار

يا ريح فيك جنونُ النفسِ يفزعني   إذا سطوت بعصف منك إعصار

يا ليت نفسيَ ريحٌ لفح لافحها   يطهّر الكونَ من شرٍّ وأشرار

وتنشر الخيرَ نشرَ البذر يحمله   نسمُ الرياحِ على زهرٍ وأثمار

أو ليت لي فيك نفسًا حرة أبداً   الكونُ بيتي وما أهفو به داري

هيهات ما لك فيما شئت مُنطلَق   تجري الرياحُ بأحكامٍ ومقدار

أو ليت أنَّ جناحًا منكِ يسعدني   كيما أطير إلى أفنان أشجار[2]

---

(١) الواري : المشتعل .   (٢) الأفنان : الأغصان .

فأنشد الشّعر كالغرّيد فى فننٍ وتحملين أغاريدى وأشعارى

ياريحُ هل أنتِ طيرٌ طائرٌ أبداً أما تقرين فى روض وأوكار ؟

يا ريحُ يا صنو نفسٍ طالما شقيت قد خان نفسيَ أحبابى وأنصارى

فليتها مَلِكٌ فى الجوّ دولتُه فى جحفلٍ من جنود الريح جرَّار

أشكو إليك همومَ العيش قاطبة شكوى الضعيف لبادى البطش مغوار

يا ريح ما لك من عطفٍ ولا مقةٍ فما حنوّى لقاسى القلب جبار

لا تسألين عن الحادى وحكمته ولا تنوحين من صولات أقدار[1]

وليس يعنيك لا سُؤلٌ ولا سببٌ فليتَ مثلك إيرادى وإصدارى[2]

طيف الجنون

أُقلِّبُ طرفى فى وجوهٍ كثيرة وأُكثر من تلحاظها وأطيلُ

وأبغى بديلاً من هواكِ يتاح لى وهيهاتَ مالى من هواكِ بديلُ

وكيف وعندى من خيالك حارسٌ تجسَّم حتى ما يكادُ يزولُ

فيهمسُ فى أذنى ويسرى بخاطرى ويسمعُ ما أشدو بهِ ويقول

ويشغلنى عمَّا سواه فإن أرد سلوًا تصدَّى دونه فيحول

كأنّى أسيرٌ وهو فى السجن حارس فمالى إلى وجه الخلاصِ سبيل

وأفزعُ حتى تشعرَ النفسُ جِنَّة وأرجو مُجيراً فى الممات يغول

وأعجبُ من أمرى وكيفَ عشقتكم وقد كنتُ لا يقوى علىَّ غليل

---

(١) الحادى : السائق الذى يحدو الإبل ؛ والمراد هنا االله سبحانه وتعالى ؛ لأن الريح تنساق بأمره .

(٢) أى : ليتنى أورد وأصدر أمور الحياة من غير تشك للأقدار ، والسؤال عن حكمة الله فى خلقه .

وأرخصني حبيك من طول هجرةٍ ... فـإنَّ عـزيزَ العـاشـقين ذليلُ
فـأبكي على نفسي وليس بنافعي ... إذا تلفت نفـسي لديك عـويلُ
وأبكي على العزمِ الذي أنا ناشدٌ ... فـعزمي شريد في هواك ضئيل
أُناديه هل من سلوةٍ فـتـريحني ... وقـد صُمَّ عزم من هواك قتيل ؟
فـيـا جَنَّةَ العُشـاقِ ظلّك وارفٌ ... وإنِّي في حَـرِّ الغـرام أقـيـل
لئن لم يرُحني الطيفُ منه بهجرة ... جننتُ فـهل يبكي عليَّ خليل ؟
فإنَّ اقترابَ الطيفِ سحرٌ وشقوة ... وخـبل أليمٌ في الفـؤادِ دخيل
تملّك أرضي رحبـهـا وفضاءها ... وأصـبحَ في أفق السَّماءِ يجول
ويسخر بي طوراً وطوراً يهشُّ لي ... فـأنت قَطوع والخـيـالُ وَصُول
وأحسب شيطانًا من الجنِّ آثمـاً ... يُليح بحسنٍ منكمُ ويصـول
وكيف يفرُّ المرءُ من ظلِّ جسمه ... فطيفُك لي ظلٌ لديَّ ظليل
وأستعطفُ النِّسيانَ في الحبِّ إنّه ... طبيبٌ وقلبي من هواكِ عليل
فمن لي بكأسٍ منه تمحو لواعجي ... فـحبّك داءٌ للضلوع أكـول ؟

المموه

شـهـادة للكريم يبـغـضـه الـ ... وغـدُ صـيـال اللئـامِ بالتُّـهمِ
ولستُ أخـشى زورَ المقـالِ إذا ... أودت بما يخلقـونه شـيـمي
يحـزنني المرءُ ذو الفطانة والـ ... ـلب بنفسٍ شنعـاء كـالظلم
قد تسفلُ النفسُ والحجى صعد ... في راجح العـقلِ ساقط الهمم
وأنـت لا فـطـنـة ولا أدب ... يكبح شين الخـصـالِ باللُّجُم

إن أخـا اللؤمِ ينتشى بأذى الـ ... شتم ويبغى الخليلَ بالألم[1]

يغالط الناسَ عن مقابحه ... وهو كنابٍ مخضَّبٍ بدمِ

يحسبُ خفضى لشانه عِظَماً ... هيهات ما كان ذاك من عِظَم

لستُ ملوماً إذا علوتُ وأخـ ... ـطاك علاء فالذنبُ للقِسم

يحسبُ قدرى رهناً بسبته ... هيهات ليس الحضيضُ كالعلم

هيهات ما سبة الحقيرِ أذى ... كلّ امرىءٍ قادرٌ على التهم

وليس قولُ السبابِ معجزةً ... حتى تباهى بالهُجْر فى الكَلِم[3]

وغادرٌ قد غفرتُ زلته ... فما رعى لى فضيلةَ الكرم

وعاد يبغى بشتمه ألمى ... يا خبُّ، ماذا تلذُّ فى ألمى ؟

ويوهم الناسَ أنه مَلَكٌ ... وأننى لست راعىَ الذم

يحسبُ رأىَ الأنام نهبة خـ ... ـدّاع وأنَّ الصوابَ كالحُلُم

يزعمُ ما سطَّر الورى كذباً ... والفضل والنقص ليس فى الشيم

بل فى ادعاءِ اللبيبِ إن خدع الـ ... ـناسَ جميعًا بباطلِ الكَلِم

يحوكُ من نسجِ كذبه كفناً ... للنفس ، والنفسُ منه كالرِم

أو عنكبوت ذميمة سكنت ... بيتًا من الكذب حيكَ فى الظُلَم

الكذب أحبولةٌ يصاد بها الـ ... ـقانص فيها عدلٌ من النقم[3]

لتقضمنَّ البنانَ من ندمٍ ... لو كنت تدرى فضيلةَ الندم

والشرّ قد تجتويه من ندم ... يدعو نفوسًا لأحسن الشّيم[4]

---

(١) ينتشى : يسكر .

(٢) الهجر بضم الهاء وسكون الجيم : السب فى الكلام .

(٣) الأحبولة : حبائل الصياد .

(٤) تجتويه : تكرهه .

لا يندم المرءُ نفسه خبثت … فأنكرت خُبْثَها من السَّقمِ
تحمل الناس وزرَها أبداً … وذاك يغرى بزلة القدم[1]

شقوة العيش

حياتى ! أما للنحس حدٌّ ولا مدى … فإنى كرهت العيشَ فى أول الصبا!
حياتىَ ! إن الجسم يبلى ودونه … فؤادٌ شجىٌّ ليس يدركه البلى
إلى مَ حياتى أذرف الدمعَ حسرةً … ولا ينفع المحزون أنْ ردَّد البكا
وبين ضلوعى للتصبرِ لوعةٌ … تحملنى ما لا أطيق من الأسى
وحتى متى أبلو نفوساً ضئيلةً … أبين لها ودِّى فتبدى لىَ القلى ؟
وحتى متى يُبغون ضرِّى وشقوتى … ومالى لوُ خيِّرت فى الناسِ من عِدَى ؟
يهيجون أقذارَ النفوسِ بشرِّهم … فما يقنعون الدهرَ منىَ بالصفا
فيكدرُ ماءُ العيشِ والعيشُ منهلٌ … إذا ماطفا من كدرةِ الشرِّ ما طفا
وليس لهم نفعٌ يرجّون نيلهَ … إذا ما كوى قلبى من الهمِّ ما كوى
كأنَّ عذابَ المرءِ للمرءِ ضحكةٌ … فقد أُغرم الإنسان بالشرِّ والأذى
ينالون من قلبى بنابٍ ومخلبٍ … وماراعهم أن خضَّبوا القلبَ بالدما
كأنى ربيبُ النحسِ ليس يجوزنى … فياشرَّ ما راعٍ يجور إذا رعَى[2]
إذا كان فى نحسِ الفتى شرفٌ له … فمالىَ لم أشبع من المجد والعلا؟
يقولون بؤس العيشِ نبل لصابرٍ … فلا مجد إلا فى ذوى النحس والشقا

---

(١) أى ذاك يغرى بالاثام .

(٢) يجوزنى أى يتعدانى .

فإن كان فى هذا العذاب مهذِّبٌ ... فاغدق على راجيه يا عيشُ مارجا[1]

حياتى ! أعفواً جئتِ أم عمد عامد ... قضى من صروفِ الدهر فى الخلقِ ما قضى

ولو أننى كالناس لؤماً وغلظةً ... جريتُ على شرع الزمانِ كما جرى

فيا موتُ أقبلْ لا كإقبال رائع ... مرير كطعم العيش يؤلم من حسا[2]

ولكن كسترنيق النُّعاس بمقلةٍ ... طواها الكرى أو مثلما تفعل الطلا[3]

وكن لى على الأحزان عوناً ورحمةً ... فما نافعى فى العيش لومٌ ولا رضا

وما طلبى للموت تطلاب كاذب ... رأى الموتَ ينحوه فأبكاه ما رأى[4]

فإنَّ حياتى غلةٌ ريها الردى ... وخيرُ شراب المرءِ ما نقع الظُّما

فتخمد نارٌ كان جمًّا ضرامها ... إذا ما خبا من لوعةِ العيشِ ما خبا[5]

فيا قلبُ كن فى الصدر كالميت واسترح ... كفى من مرير العيشِ يا قلبُ مامضى

لعلك إن نهنهت يا قلب رغبةً ... وعفتَ طماحَ العيشِ يدركك الردى[6]

فيا ليت أن المرءَ إمَّا دعا الردى ... أتاه فلا نحسٌ يروع ولا أسى

أما يصطفينى الدهرُ إلا لحسرةٍ ... فهلا اصطفى لى عيشةً غير ما اصطفى

ويشعل فى قلبى جحيماً ، وناسه ... شياطين ، فيه تضرم الهمَّ والجوى

أداريهمُ جهدى وما ذاك نافعى ... وأمنح منهم مُدعى الفهم ما ادَّعى

فاصبحت أخشى الناس فى كل خطرةٍ ... وأفرق من داعى المودة إن دعا

ومن شقوة الإنسان أن حار لبه ... وأصبح خفاق الأضالع والحشى

---

(١) على راجيه أى على راجى هذا التهذيب الذى فى المصائب . (٢) حسا يحسو : شرب .

(٣) الطلا مقصور الطلاء الخمر . أى أحب الموت الذى يحس به المرء كما يحس بلذة النعاس وراحته أو لذة الخمر ونشوتها . (٤) ينحو : يقصد . (٥) خبا : خمد . (٦) نهنه : زجر .

كـأنىَ بين الناسِ من أهل عالمٍ جديدٍ غريب أخطأ الأهل والحمى

فما لىَ من عطفٍ لديهم ورحمة ولا لىَ فيهم من إخاءٍ ولاهوى

يعيبون نفسى ضلّةً وجهالة ويرمونني بالسوءِ والمكرِ والخنى

إذا ما أراد المرءُ إخفاءَ عيبه رمى غيره بالعيب لم يعْدُ من رمى[1]

وما قومىَ القوم الذين أراهمُ ألا إن قومى فى البعيد من الدنى[2]

كأنَّ حياةَ الناسِ ضجةُ أخرق وعيشىَ فيهم نغمة البؤس والأسى

وأوجع ما لاقيت جاه مصدق كأن ثيابَ الجاه خيطت من الحجى

يخال ذووها فى كمالٍ وعفةٍ وتحت ثيابِ الجاه ما شئت من خنى

يصدق رأى الجمعِ والجمعُ ظالم ويحقر رأى الفرد ريان من نهى

بذا قضت الأخلاق ما بين أهلها وما تنفع الشكوى ألا خاب من شكا !

وكم من جموعٍ ليس تعدل واحداً فإن ظلام الجهلِ فى الناس كالعمى[3]

فيا شقوة الأيام هل منك مهربٌ فأعدو وهل ينجو من النحس من عدا ؟

كأنَّ همومَ المرءِ ذنبٌ مراوغ فيابؤس مقتولٍ ويابؤس من نجا[4]

وبعض دواعى العقل حربٌ لبعضها فلا يعرف الإنسان فى العيش من دعا

أليس الحجى والحقُ لغزاً ومجهلاً فهل سعد الإنسان بالعقل واهتدى؟[5]

أمل ميت

لحبّك من عمرى أخيرٌ وأول وإنك فى قلبى حبيب مبجّلُ

(١) لم يعد : لم يتعد (٢) الدنى : جمع دنيا (٣) أى لا توازى واحداً
(٤) لأنه لا ينجو إلا مقروحاً ممزقاً (٥) المجهل : الأرض المجهولة .

قصرت عليك الأنفسين محبة ... فحظك من حبّى فؤاد ومقْوَلُ[1]

وإن كنتُ قد قطعتُ قلبى صبابةً ... وعرضت نفسى للذى ليس يجملُ

وذكرتنى العهد القديمَ الذى مضى ... وشوقنى الودّ الأغرّ المحجل

فحتّى مَ أرجو منك ما ليس واقعًا ... وحتّى م أذوى فى ثراك وأذبل ؟

سفاهةُ أحلامٍ تغرّ وتنثنى ... وتترك قلبى والهاً يتململ

وبشرتُ نفسى منك بالسعد والمنى ... فأصبحتُ أبكى إن ذكرت وأعول

خذ اليأسَ منى مدحةً لك إنه ... جزاؤك عندى نعم ما أتبدل

لفظتُ الأمانى كالبُصاق ولم أكن ... لأغترّ بالآمال لولا التعلل

هو الرغبُ مثلُ الريق إن ساءَ طعمه ... فإخراجه بالمرء أحرى وأمثل

ولكن يأسَ الحبِّ حبٌ وذكرةٌ ... وفى اليأسِ ما يلقى الفتى حيثُ يأمل

وهل أنت إلا كالأنام وحالهم ... لهم عزمةٌ فى كل يوم تقلقل

يريدون أمراً طرفةً ثم غيره ... فلا العهدُ محفوظاً ولا القولُ يفعل

التفاهم فى الحب

إن خبَّروك بسلوةٍ كذباً ... فأخو الملامِ كثيرةٌ تُهمه

ولقد رأوك على جفائك تحـ ... ـنو نحو قلبٍ هانَ فيك دمهْ

فتحدثوا أنى استعضت هوى ... وهواكَ دون القلبِ مضطرمه

ساموكَ نسياناً لذى سقمٍ ... لا عيشه تدرى ولا عَدَمه

إن كنتَ أنتَ وأنتَ ذو فطنٍ ... ضاعت لديكَ من الهوى ذممه

---

(١) المقول على وزن مبرد بكسر الميم : اللسان .

أفـمنصـفى من ليس يفـهـمُ مـا | أعنى ولا مـحـمـودةٌ كَلِمُـه
أفـمنصـفى من ليس مـثلك فى | لبٌ ولا حَسُنت بكم شـيـمُـه
أقـسـمتُ بالأشـواقِ نحـوكُم | وجـوى المحبِّ مـشـفَّعٌ قَسَمُـه
فـانظرْ إلى روحى وروحكُمُ | تبـدُ لديكَ من الهـوى حِكَمُـه
فلقـد خُلقـتم كى يحـبكمُ | قلبى فـتـخـصب قلبَكم ديمُه
والحبُّ يخـصبُ قلبَ صاحـبِـه | حـتَّى يفـيضَ على الورى كـرمُـه
قلبى على الهُـجـرانِ ذو أملٍ | إنَّ الرجـاءَ مـحـبَّبٌ حُلمـه
بينى وبينك حـاجبٌ فـمـتى | تنجـابُ عنا فى الهـوى ظُلَمُـه
ومـتى أحـقِّق فـيكمُ حلمى | ويطيبُ من شجنِ الهـوى نَغَمُـه
ولقد عشقتُ فما عشقتُ سدًى | إنَّ الغـرامَ كـثـيـرةٌ نِعَمُـه

ملك القلوب

حجبوكَ عن طرفى وأنتِ سميرُهُ | ونَفَـوك عن قلبى وأنت أميـرُه
فـوحقِّ حسنِك وهو خيـرِ أليَّـةٍ | الحسنُ فـيك غريبه وغـريرُه[1]
ووحقِّ حسنِك ما انتفعت بعيشةٍ | لم يأنَ فـيـهـا من سناك سفـورُه[2]
كالليلِ، والبحر الخضمِّ، وصرصر ، | تغـدو عليـه تميره وتثـيـره[3]
ظُلمٌ على لججٍ تجىءُ وتنثنى | حـتى يروع من العُـبـاب زئيـره
يأيُّهـا المَلِك البـعـيـد بودِّه | لكَ من هواى جليُّـه وسـتـيـره

(١) أليَّة بتشديد الياء : أى قسم .   (٢) أنى يأنى : أى حان وآن .
(٣) هذه العيشة مثل اجتماع الليل والبحر والعاصفة .

القلبُ فوضى وهو مُلكٌ واسعٌ ... وُكلتْ إليك شئونه وأموره

فارفقْ بملكك فى فؤادى واحتكم ، ... فالملكُ ملكُك تاجُه وسريره

والحبُّ خرقٌ والوفاءُ سرابه ... هيهات ما نفعَ المحبَّ غديرُه[1]

والحبُّ كأسٌ قد شربتُ عقارَه ... لم يُغْن فيك صغيرهُ وكبيرُه

أوَ ما أوَيت لعاشقٍ مُتَعبدٍ ... لجليل حسنِك دينه وضميره

إن كنت أنت مع الزمان عدوَّه ... من ذا على جورِ الزمانِ يجيره ؟

والشعرُ مثلُ الروضِ باكره الحيا ... يُجنَى لذى الحسن الطريرِ نضيره

وبعثتُ قلبى قاطفاً من روضه ... والقلبُ يسعى فى هواك أسيره

فجنيتُ من ثمر القريض أطايبًا ... يُجْنَى لغيرك يا حبيب مريره

هذى قصائدىَ التى يُزهى بها ... وخيالُ شعرٍ للجلال خطيره[2]

ذهبَ الوفاءُ فلا حبيبٌ صفوه ... يرجى ولا أملٌ تدرُّ درُوره[3]

الحق المكتوم

الحقُ حملٌ يؤود النفسَ محمله ... إذا مضيت بشلوٍ منه مقبور[4]

إذا كتمت ، فداءٌ لا دواءَ له ... بل طبه حين يبدو غير مستورِ

كأنَّما النفسُ منه اليمُّ مصطخبًا ... يظلُّ يضربه وقعُ الأعاصير

والفكرُ كالنارِ فى الأحشاء كامنة ... حتى يذاع فيبدو ساطعَ النور

لا تكتم النفسُ حقاً أبصرت أبداً ... فللأجنة حد فى المقادير[5]

---

(١) الخرق : المهمه والقفر (٢) أى تستدعى العجب والزهو (٣) الدرور : الكثيرة اللبن (٤) الشلو جمعه أشلاء : وهى أعضاء الجسم بعد التفرق والبلى

(٥) الأجنة جمع جنين : أى أن الحق المكتوم مثل الجنين ، وكما أن الجنين إذا نما لابد أن يخرج كى لا يقضى على الحامل ، كذلك النفس لابد أن تخرج ما تحمل من الحق .

هو الوليدُ وليدُ النفسِ تحمله ... كأنه الطفلُ يُغَذَّى في المقاصيرِ

إن كتَّمته على رغمٍ لذلتها ... عاشت بحال بغيضِ العيشِ مصدورِ

والحرُّ إن لم يُطق إرسال فكرته ... راع الأنام بدامي الصدرِ منحورِ

قد حدثت نفسه عيسى بقلتها ... وكاد أحمد يقضي غير مذكور(١)

أشقاهما من لجاجِ الحقِ شدَّتهُ ... والحقُّ في الناسِ خافٍ غيرُ مشهور

والحقُّ يقتل نفسَ الحر إن كتمت ... نداءَه خوف إقدامٍ وتشميرِ

والحقُّ تذعر نفسَ الحرِّ روعته ... وغافلُ القلبِ ميتٌ غير مذعور

والحقُّ إن لم يُجَب كالوحش مفترسًا ... كأنما وقعُه وقعُ الأظافير

ويوسعُ النفس لسعًا حين تكتمه ... كأنما لسعُه لسعُ الزنابير

والحقُّ منكتماً كبل وجامعة ... غُلَّت على خاشعِ الآمال مأسور(٢)

وليس ينفيه نكران ولا فَرَق ... وليس مندفعاً بالزورِ والجور

بلاغ الحب

أيا نفس من نفسي إليه مشوقة ... ومن هو في نفسي أميرٌ وحاكمُ

أحبك حبًا ليس يدركه قِلًى ... قلى الحب ما أدت إليه المآثمُ

إلى مَ تحول الحجْب بيني وبينكم ... كأنك أحلامٌ وإنيَ نائم

ولو كنت تدري قدرَ حبيَ كله ... لأبديت لي النفس التي أنت كاتم

---

(١) إشارة إلى حادثتين في حياة محمد وعيسى عليهما السلام : إذ اشتد بهما لجاج الحق فكاد يدفعهما إلى الموت .

(٢) الجامعة : قيد يجمع أعضاء المرء بعضها إلى بعض .

فلا تُخْفِ عنى يا حبيب سريرةً | فلستُ بشارٍ للنفوسِ يساومُ[1]
وكن لىَ مثل الماءِ يبدى ضميرَه | ولاتكُ مثلَ الليلِ ، والليلُ قاتم
بذاك يصحُ الحبُّ بينى وبينكم | وتثبتُ منه فى الخطوبِ الدعائم
فلو كنتَ بين الناس ربًّا معززاً | ونادوك أنى فاتكُ النفسِ جارم :
لألفيتُ غفرانًا لديك ورحمةً | فما يغفر الزلأت إلا الأعاظم
وإنك لو أصبحت فيهم مرجّما | فإن فؤادى ناصرٌ لك راحم
ستعلم يوماً أننى لك عاذرٌ | وإن كان بين الناس عادٍ ولائم
فإنى قتلتُ العيش علمًا وخبرةً | فما راعنى فى الناس خِبٌّ مسالم
ولستُ كمن يرجو على الحبِّ رشوةً | وينفثُ فيها ما تكيد الأراقم
بسطتُ لكم عرضى مجَنًّا يقيكمُ | وأنف الذى يسعى لكيدك راغم[2]
نظرتُ إلى الأعمال كيف ابتعاثها | فما راعنى إلا النفوسُ الرواغم
وماقسموا الأفعال قسمةَ عادل | وهل حاكمٌ بين السرائر حاكم
فللمرءِ فينا خادمٌ من ضميره | وما لسواه منه عونٌ وخادم
يرى أنه فى فعله غيرُ آثمٍ | وأن سواه فاتك النفس آثم
وما العيشُ إلا خدعة بعد خدعةٍ | وما الناسُ إلا مستغيثٌ وظالم
وما دَنَس أن تمنح الحبَّ ما كراً | إذا أنت غرتك الثنايا البواسم
يعيبك أنْ محّضته الحبَّ جاهداً | أينقم أنْ محّضته الحبَّ ناقم
وما خيرُ حبٍ أحكم الكيدُ أمره | سيدهمه صرفٌ من الدهرِ هادم

---

(١) شرى : تستعمل فى الأضداد ، يقال شرى بمعنى اشترى ، وشرى بمعنى باع .
(٢) المجن : الترس .

وكلُّ لئيمٍ يجعل الحبَّ سُبَّةً فتعدو عواديه وتسرى المظالم

وهل سُبَّةٌ فى الزّهر أن فاحَ نشرُه وأن هدلتْ فى وكرهنَّ الحمائم

وألْوَمُ من عاداك من هو حقبةً شريكُك فى أفعاله ومقاسم

فلا تأسَ أنَّ الناسَ خبٌّ وكائدٌ نصيبُك من قلبى مجيرٌ وعاصم[1]

وإنّك لا تجديك خشيةُ كائدٍ وإنّك لا يُجديك أنك نادم[2]

فياليت لى عزم القضاءِ وحوله فتُحمد بين الناس منك العزائم

أعلمك الأمرَ الذى أنا عالم وأمنحك العزمَ الذى أنا عازم

فإن أنت لم يُكسبك حبىَ رفعةً ولم ترو نفسى من هواك المكارم

ولم أخلُ من شكٍّ تعالج مثله ولم يُزج نفساً نحو نفس تَفَاهم

ولم تمتزجْ نفسى بنفسٍ أحبها كما يمزج الصهباءَ بالماءِ ناعم[3]

ولم يبتعثْ حبى للبِّك فطنة ولم تطَّبينى من هواك العظائم[4]

فوا أسفاً لا حبَّ يجدى لديكمُ عُلا الحبَّ ماتبغى النفوسُ الكرائم

الآمال الذاوية

أيا فتنةَ الأحلام قد لاحَ كذبُها محال علينا أن نلذَّ بك النوما

لقد كنت فى عيشى مصابيح حلية فقد صارت الأيامُ أغربةً سُحما[5]

فيا حسن مرأى العيش لو عاد حلمُه وإنّ ألذَّ العيش ما خلته حلما

عزيزٌ علينا أن نقولَ بكذبه وأن لا يكون الحسنُ إلا كذا وهما

---

(١) لا تأسَ : أى لا تحزن (٢) لاتجديك : لا تنفعك (٣) ناعم : أى مترف متنعم .

(٤) اطبى : استمال (٥) سحما : أى سودا .

لقد كنت زادى فى الحياة ونهلتى		فلما استبان الحقُّ زودتنى الهمّا

أأرثيك أم أقلاك لو ينفع القلى		كلا ذين فى قلبى يجدد لى كَلْما[1]

كأنى غريقُ اليمِّ قد لاحَ حينه		ألوذُ بزهرٍ منك أعلو به اليمّا

فيا لائذاً بالزهر خابَ تشبث		بوهن فما وهن لدى مهلك عصما

يرجى غريقُ اليمِّ حتى عدوه		ويحسبُ زهراً طافياً أجبلاً شمّا

فيا حسنَ أحلامٍ تقضّت لذيذة		ويا طيبها خدناً ويا طيبها خلما[2]

وكانت حبيبًا مات أنكرت هلكه		أقلبه طوراً وأوسعه لثما

عسى أن تعودَ الروحُ جسماً أحبه		فآكلاً من وقعِ البلى ذلك الجسما

وهيهات يُعفى النتن جسماً نحبه		فكم ذلَّ جسمٌ لم ينل قبله وصما

كذا أنت آمالى التى غالها الردى		وكم غالَ آمالاً يلاذ بها قدما

على مَ تُرى الأقدار ما لا نناله		وتزجى نفوسًا كى تتوق وكى تظما

إذا لم يكن فى منهل العيشِ طبها		فيا ربَّ أطماعٍ تدوف لها السما[3]

أعيرى جناحًا كى أنالَ به المنى		ونبلاً لكى أرمى به مثلما أُرمى

فإنَّ سنا الآمالِ أعشىَ لواحظى		فيا طيبها رؤيا تهيج بىَ السقما

وما فتنةُ الآمال إلا كغادةٍ		تلين لنا كذباً وتوسعنا صرما[4]

وقد تسعدُ الآمالُ بعدَ فسادها		كذاك ثمارُ السوءِ أخبثها طعما

ولو كان قلبُ المرءِ بالعقل حكمه		لما زوَّد الأقدار مدحا ولا ذما !

---

(١) الكلم : الجرح		(٢) الخلم : الخليلة .

(٣) تدوف السم : أى تمزجه		(٤) الصرم : الهجر .

شكوى

حياةٌ كدمعِ العين أمّا مذاقها ... فمرٌّ ، وأمّا وقعُها فوجيع

وإنّ الأمانيَّ التى أنا ناشد ... فقاقيع ، طرفى نحوهن نَزُوعُ

تقدمنى فى الناسِ من لم يجارنى ... وأخّرنى أنّ الذكاءَ يروع[1]

وأخرنى أنَّ اللبيبَ محسّدٌ ... على فطنةٍ يعصى بها ويطيع[2]

كأنّى بجارى النهر صخرٌ تجوزه الـ ... ـمياه وما للجاريات رجوع

يمرٌّ لداتى واحداً بعد واحدٍ ... أمامى ، وعيشى فى الهوان يضيع[3]

وأوجع ذلّ النفسِ طاعة سائدٍ ... تعلّى ، وقدمًا كان وهو مطيع

أيخشون منّى خلةً عبقريةً ... فيغلو مقالٌ أو يسوءُ صنيع؟[4]

ويبغون أن لا يجتلى البرق فى الدُّجى ... بعينٍ ولا طيب النسيمِ يضوع؟

فيا نفس صبراً إنما العيشُ لوعةٌ ... وما للذى يشقى القضاءُ شفيع

وإنَّ حياةَ الطامحين عواصف الـ ... ـشتاءِ وعيشَ القانعين ربيع !

العلم وعزة النفس

رأيت بيوتاً كالوجارِ ذليلةً ... ألا إنَّ عيشَ الجاهلين عليلُ[5]

رضاءٌ بعيش البهم والخصبُ وافرٌ ... ومركب من يبغى العلاءَ ذلولُ

---

(١) أى أن الناس تسيء الظن بالذكى وتحار فيه وتخشاه ، فلا تسعى فى تقديمه ونفعه إلا إذا كان عنده من الدهاء ما يمكنه من مداجاتهم وخداعهم . (٢) إذ إنهم يريدون المرء للطاعة فقط لا للفطنة مهما جشمته الطاعة من الضعة والنذالة (٣) لداتى : قرنائى

(٤) الخلة : الخصلة والصفة (٥) الوجار : بيت الكلب .

يعيشون كالأنعام في نفع ربها ... ولكنَّ مرعى الجاهلين وبيلُ[1]

ويعلو الفتى بالعلم عن كلِّ ذلَّةٍ ... وكلُّ جهولٍ لو فطنت ذليلُ

وفي الجهل أسرٌ للنفوس ورهبةٌ ... هو الجهل داءٌ للنفوس قتولُ

ويرضى جهولٌ بالقليل مهابةً ... ولا يطَّبي المرءَ العليمَ قليلُ

وتعظم نفس المرءِ حتى كأنها ... عوالمُ فيها الكائناتُ تجول

على قدر علمِ المرءِ عزةُ نفسه ... فأهل النهى في الصاغرين قليل

وأكثر ذلِّ العاقلين خديعة ... وأكثر ذل الجاهلين خمول

وما العلمُ إلا قوة واستطالة ... يحكمه أهلُ النهى فيصول

فلا تحسبن الحربَ سهماً ومغفراً ... فإن سلاحَ الصائلين عقول[2]

وكم بلغت شأوَ العلا في منيةٍ ... نفوسٌ على حدِّ السيوفِ تسيل

وكم أخطأ العلياءَ غرٌّ ونالها ... سريعٌ إلى داعي المنون عجول

وفي ملك أهل الجهل جبن وذلةٌ ... تراه إذا ما لم يزل سيزول

وفي العلم حسنٌ للنفوس وبهجةٌ ... وعيشٌ نبيل لو فطنت جميل

ويفزع أهلُ الجهل من كل حادثٍ ... كما خاف طفلٌ في الظلام يجول

وكم خفض الأقوام أن زال علمهم ... فأصبحَ صرحُ العلمِ وهو طلول[3]

وكم ترفٍ للعلم والعزِّ قاتل ... يزل حَميَّات النهى فتزول

فلا علم إلا عابث كلَّ ذهنه ... ألا إنَّ ذهنَ المترفين كليل

كذلك حالُ الغابرين فلا ترى ... علاءً مضى إلا عليه دليل

فإن صروفَ الدهرِ في وثباتها ... سيولٌ على آثارهنَّ سيول

---

(١) الأنعام : البهائم الراعية . (٢) المغفر : زرد للرأس . (٣) الصرح : القصر المتين .

فيا مَنْ لغرقى أثقل الجهلُ ظهرَهم ... وللْجهلِ حملٌ فى الحياةِ ثقيلُ[1]

كـأنَّ ظلامَ الجـهلِ بين عـيونهم ... سـتارٌ على مـا يكرهون سـديلُ

لقد أرمدت شمسُ العلاء عيونَهم ... فطرفـهمُ دون العـلاءِ كليل

همُ يحسبون المجدَ نهبةَ باخلٍ ... يقـتّـر فى مـسـعـاته ويكيل

ومـا علمـوا أنَّ النفـوسَ وسـائلٌ ... يجـودُ بهـا باغى العـلا ويصـول

ومـا غبن الأقـدار باغى طليـبـة ... ضنين بما يدنى الطليب بخـيل[2]

على قدرِ ما يُعطِى الفتى هو آخذٌ ... فمجـدُ الذى يُعطى الجزيـلَ جزيل

ويبـذل من أعـمـالهِ وحـيـاتهِ ... عظيم بنيلِ السّاميـات كـفـيل

وقد يضجرُ اليقظان من سقم عيشهِ ... وليـس بجـمعِ الجـاهلين ملول

فـصبرُ الجهولِ الفدم نومةُ راقدٍ ... ولكنَّ صبرَ العـاقلين مـقـيل[3]

نجم الحياة

أنتم رجـاءُ حـيـاتى ... يا طيـبـه من رجـاء

وأنتـمُ نجـمُ سـعـدٍ ... يضىء وجـه سـمـائى

لولاه كـانت حـيـاتى ... كـاللّيلة الليـلاءِ

مـالى لديك شـفـيع ... إليك غـيـر وفـائى

لا تتـركنَّ حـيـاتى ... فـريسـةً للشـقـاءِ

فـإن نبـهت ذكـاءً ... فـأنت واقى ذكـائى

---

(١) الجهلاء لايحسون ثقل الجهل ، ولكنهم يحسون سقم العيش وسوء الحال الذى سببه الجهل .

(٢) الطليب : المطلوب .   (٣) الفدم : الغبى .

وإن بلغت علاءً فأنت أصلُ علائى

وأنتُمُ نجمُ حظى من شقوةٍ ورخاءِ

إن شئت وقَّيت عيشى مصارع الأدباء

فلا تكلنى لقومٍ لا يسمعون دعائى !

ذل المشيب

تمر بىَ الأيامُ حتّى تروعنى لذلِ مشيبى لا لوقعِ شَعُوب[1]

وأخشى مزيدَ العمرِ يسلب جِدتى فأشقى بوهنى واتصال عيوبى

ولم أُلْفِ خلاً فى الشباب مصادقاً فكيف أرجّى فى المشيبِ حبيبى ؟

فيا خيبة للمرءِ قاربه الردى يقول لأيام الشبيبة : أوبى

يجوبُ فيافى الشيبِ والموتُ راصدٌ كما يرصد الغربان هُلكَ غريب

يرى فيه أشباحَ السّنينَ التي مضت كما روّع السفاحَ روحُ سليب

وكم نهزةٍ فى العيشِ يبكى ضياعها ولم يرو من جماتها بذَنُوب[2]

تُجِدُّ له ياليت شجواً وحسرةً وهل قوله : ياليت ، غير لغوب؟[3]

ولم أحمد الأيام أيام شِرَّتى أأحسب سؤرَ العيشِ غير مريب ؟[4]

أظلُّ غريباً بين أهلى ومعشرى وكم أشيب فى قومه كغريب

وأصبح كلاًّ فى العشيرةِ مقعداً يقتِّر رزقى أو يملُّ قريبى

---

(١) شعوب : أى الموت . (٢) الذنوب : النصيب وأيضاً الدلو الملأى ماء ، والجمات : المقادير الكبيرة من الماء (٣) اللغوب : التعب والإعياء (٤) السؤر : ما يترك فى الإناء من فضلة الماء ، وشرة الشباب : نشاطه .

ويهزأ بى الأهلون من بعد هيبة ... وأخشى وقدماً كنتُ غيرَ هيوبِ
وأصبح منسياً وإن كنتُ شاهداً ... كأنى خفىُّ الجسم غيرُ قريبِ
وكم قائلٍ ما باله طالَ عمرُهُ ... سها الموت أم ما عمره لشَعُوب
ويخطىء سعى الرزق أيام مِرَّتى ... فكيف إذا أصبحت غير كسوب؟(١)
فزرنىَ فى ليلِ الشباب كسارقٍ ... ولا تنتظرْ ياموتُ ذلَّ مشيبى !

خطوة عن عالم الحسن

خطوة لا خطوتها أبدَ العمـ ... ـرِ خطت بى فى عالم الأرواحِ
أخرجتنى من عالم الحسّ حتى ... خلت أنى أقضى بحَيْنى المتاح(٢)
غاب عنى الوجودُ واستشعر الحـ ... ـسُّ اغتراباً عن صرفِ دهرى الوقاح(٣)
خلت أنى فى النوم أبصرُ حلماً ... كيف أُغْفِى والقلبُ يقظان صاحى
رحتُ أسعى كمصحرٍ بان عنه الـ ... ـصحب فرداً ذا وحشةٍ واطِّراح
أو كذى الجُرم حين طال به السَجْـ ... ـنُ يضلُّ الطريقَ عند السراح
عالَم غير عالم الحسّ أبغى ... فيهِ عوناً على الصروفِ الشحاح
حيث تبدو النفوسُ فيه جهاراً ... عاريات من جسمها والوشاح
فنفوس ملساءُ كالغادةِ الرو ... دِ وأخرى قد أدميَت من جراح
وأرى فيه كلَّ أمرٍ تقضَّى ... من سرورٍ وخيبةٍ ونجاح
وأرى ما دفنت من خطرات ... وأرى فيه ما مضى من طماح
وتكاد الأشباحُ يلمسها المر ... ءُ لها جَرْس فرحة أو نواح(٤)

---

(١) المرة : الشدة والقوة . (٢) الحين : الأجل . (٣) الوقاح : الشديد . (٤) الجرس : الصوت .

وأرى أوجـــهَ الدَّهور التى فـــا ... تت بسلم من أمـــرها وكـــفـــاحِ

وأرى أوجـــهَ اللّيـــالى التى مـ ... ـرَّت ســـراعـــاً بنا كـــمـــرِّ الرياحِ

وأرى عـيـشـىَ الذى قـد تقـضَّى ... فى صـلاحٍ أو غـيـةٍ وجـمـاح

وأرى وجــه من عــرفت ومن مــا ... تــوا وواراهـــمُ أديم الـبــطـــاح

فــعــرانى القنوطُ من صـولةِ المو ... تِ ومــا لاحَ فى رُباه الفــسَــاح

وابتــغــيت الطريقَ أرجع للحـ ... ـسِ فـاشـفى به أوار التـيـاحى[1]

غــيـر أنى أضللتـه ومـضى بى الـ ... خطو حـتى أنكرتُ وجـهَ رواحى

خطوةٌ إثْر خطوةٍ فــيـــهِ حـــتى ... قـد هدانى خطوى لنهجِ النجاح

خــذْ بقـــولى ولا تضلَّ عن الحـ ... ـسِ فـيـا ربَّ نعمـةٍ فى انتـصـاح

إنمـا الـفـكـرُ خـطـوةٌ تـنـقـلُ المـر ... ءَ فـحـــاذرْ إضــلالَ وجــهِ المراح

الحسن الكاذب

وددتكمُ جـهـدى فـمـا نَفَعَ الودُّ ... ولم يُدننى منكم وفـاءٌ ولا عـهـدُ

فـلا ترحـمـوا قلبـاً يحنّ إليـكمُ ... فـإنّ فـؤاداً ليس يـهـجـركم وغـدُ

لئن لم أبت خلواً من الشجو والجوى ... أقـرُّ وألهـو ليس يكرثنى البـعـد[2]

فـــإنّى خـليقٌ بالتنقص والجـــفـــا ... وإنى خـليقٌ أن يتـيـه بك الصــدُّ

★★★

وعنَّفتُ قلبى أنْ عــتـبـتُ عليـكُم ... فـبـعضُ عتـابِ المرءِ يبـعـثـه الحبُّ

أتعـذلُ من أبدى لك الغـدرَ والقلى ... وأنـتَ مـلومٌ فى حـنـينكَ يا قـلـبُ

---

(١) الأوار : حرارة العطش . (٢) يكرثني : أي يحزنني .

وقــد عــابنى أنى حننتُ إليكـمُ ... لديكمْ صدقتمْ أنَّ حُبّيكمُ عيبُ

ولو ودَّ قلبى غــيــرَكم لعــذرتمُ ... ولكنَّ حبًّا ليس يعدوكم ذنبُ

★★★

وقـد خلت أنَّ العـقلَ عندك وافـرٌ ... لقـد كـان ذاكَ الظنّ من سـفـه الحبِّ

فـلا تحسبنْ أنى عنيـتكَ بالهـوى ... فقـد كان خُلق غير خُلقك فى قلبى

وقد كنتُ أهوى فيك ما قد ظننته ... وقد كنت أهوى ما خلقت من اللبِّ

فـما أنا إن جـافيـتَ بالواله الجِوى ... ولا أنا إن باعدت بالهالك الصبِّ[1]

تمثال سوء

يا خِبَّ مـا لحظاتُ البـغضِ قـاتلةٌ ... فارجع بلحظكَ مقهوراً ومخذولا[2]

وقطِّع اللحظ دونى لا ترى رجـلاً ... تحنى له الرأى تعظيـمًا وتبـجيـلا

لقد نقـمتُ عليه الفضل أجمعه ... فـصارَ بغضك تضليـلاً وتغـفيـلا

سـلاحُك الجـهل لاتهنأ بمضـربه ... وسيفُك الحمقُ لا تتركه مسلولا

وفى غــبـائك لو تدريه مـعــذرةٌ ... عـذرُ البـهـائم مـحـقـوراً ومـرذولا

لو ضـمَّ شـملَ لئـامِ النـاسِ ملكـهمُ ... أعطيت فى ملكهـم تاجـاً وإكليـلا

فـأنـت تمثــالُ ســوءٍ صــاغــه لَبِق ... يمثّل الشـرَّ والأحـقـاد تمثيـلا![3]

★★★

(١) الجوِى : العاشق . (٢) الخب : الخداع . (٣) اللبق : الماهر .

يقظة فى الفجر

قم فــإنَّ الدّهرَ غــفــلانُ ... وقــضــاءُ النَّحسِ وسنانُ

رقَّ لـيـلٌ أنت راقـــده ... فـكأنَّ اللـيـلَ ولـهــانُ

إن جُــرْمــاً أن تـنامَ به ... مــا لهــذا الجُـرم غــفـرانُ

إنَّ حــسنَ اللَّيل مكرمــةٌ ... بـغــضُـهـا لله نـكران

قــد أراقَ البـدرُ بـهـجـتَـه ... وجـحـودُ الحسنِ كـفـران

خـذ نصـيـبـاً من أشعَّـتـه ... إنَّ روحى مـنـه مــلآن

وهمــومى منه فى سنةٍ ... وفــؤادى مـنـه يـقـظـان

وهو للأشــجــان أنغــامٌ ... وأنـاشــيــد وتحـنـان

قم فـــإنَّ البـــدرَ زائرُنا ... إنَّ عــمــرَ المرءِ عــجــلان

ربَّ حــسنٍ كنت أنـشـدُه ... فى ضـيــاءِ الـبـدرِ عــريان

اسـقنى من ضـوئه جُـرعًـا ... أنا منه الـدهرَ نـشــوان

لىَ منه خــمــرةٌ لطفت ... وعــلالاتٌ وسـلـوان

قد نـسيتُ العيش أجـمـعه ... إنَّ طِيب العـيشِ نـسـيـان

باعَ أهلُ الحُـسنِ حـسنَهمُ ... مـا لحـسنِ الليلِ أثمــان

لُـذْبما يـعـطـيـك من مُلَحٍ ... كلُّ مـا يـعطيك مـجــان

كـم رأى من قـــبلنا أُممًا ... وكــانَّ القــومَ مــا كــانوا

فـتــمــتع إنَّهـا فــرصٌ ... وطبــاعُ الدَّهر حــرمــان

قُمْ فـإنَّ النفسَ يؤنـسـهـا ... من نجــومِ الأفقِ جــيــران

وبجـومُ الأفقِ تنظمـــهـــا فــوق رأس الليلِ تيـجــانُ
وهــى جـنـاتٌ لــذى أمــلٍ وهـــى لـــلأرواحِ أوطـــانُ
وهى لـلمــفلوكِ عــقــيــان وهى للمهـجورِ سلوان[١]
وكـــــأنَّ الـنـفسَ طائرةٌ فلهـا فى النجمِ بســتــان
إن حــــسنَ الـليلِ آيتـــه فى ضـمـيـر الكونِ وجـدان
وقــصــيــدُ الكونِ يطربنا منـه أشــعـــارٌ وألحـــان
قم فــإنَّ الـفـجـرَ طارقنا إن وجــــهَ الأفق عـــريان
فى احـــمـرار الخــدِّ رونقــه فكأنَّ الأفقَ خـــجــلان
ونسـيمُ الـفـجـرِ يلثـمكم فـــفــؤادى منه غــيــران !

قبر فى القلب

وجـعلت أبحث فى الفـؤاد كـأننى فى الأرض أنكُتُ جاهداً لا أفْتُرُ[٢]
حـتى رأيتُ هناك قــبــراً غــائراً للحبِّ قدماً كـان غدرك يحـفـر
وعليـه مكتـوبٌ بحـرفٍ من دمٍ الحـسنُ خـــدَّاعٌ يغـــرُّ ويغـــدر
قـــبـــرٌ دفنت به الـصـــبــابةَ والمنَى ولذيذُ عــيــشى فى جـوارك يزهر
وجـزعتُ حـتى قـيل ليس بصـابر وصـبـرتُ حـتى قـيل لا يتـذكَـر
وخَـبَرْتُ حـالات التـسلى والهـوى فرأيتُ خيرَ الحسنِ ما لايُخْبَرُ[٣]

(١) المفلوك : الفقير المعدم ، والعقيان : قطع الذهب الصغيرة . (٢) نكت الأرض : نثر ترابها .
(٣) أى خير الحسن ما لا يجرب ويختبر .

فالحسنُ ثوبٌ باللجينِ مطرَّزٌ — والقبحُ في ثوبِ المحاسنِ يُستر[1]

يا قبرُ هذا الشّعرُ فوقك حليةٌ — والزهرُ في قبرِ الأحبةِ يُنْثر

يا قبرُ أنت قرارةٌ أرمي بها — ما لا أطيق من الهمومِ فتُغمر

والقلبُ مثلُ البحرِ يفزع قاعه — أهنا قلوبِ الخلقِ ما لا يُسْبَر[2]

كم فيه من أثر العواصفِ راسبٌ — أبدًا به لا يُستطاع فيُنْظر

فاطوِ الفؤادَ على الهمومِ كأنها — رمم على رممٍ به لا تُنْشَر

لو كُشّفتْ سِيَرُ النفوس لراعها — منها علامات تسوء وتَذْعَر !

صرصور الشعر

يا أيها الشانيء المغرور يشتمني — ارفق بنفسكَ ليس الشتمُ يؤذيني !

لذْ بالجبالِ وضعها فوق فضليَ واشـ — ـتمني كما شئتَ شتمُ الوغدِ يعليني

واجهد عليَّ إذا ما شمت محمدةً — منّي فكلٌ خفاءٍ ليس يخفيني

واذم مقاليَ وازعم أنني رجلٌ — مغرى بكل ضئيل الرأي مافون[3]

وانسب إليَّ عيوباً لست محصيَهَا — وصِلْ بكلّ رهيف الحدِّ مسنون

فإن فضليَ مثلُ الشمسِ مشتهراً — يبين نقصك من نتنٍ ومن دون

أبعد شدويَ بالآيات يا عجبًا — وبعد مسعاى في الغرِّ الميامين :

يتاح لي منك صرصورٌ يناوئني — بالرجس والنتنِ يا صرصور ترميني ؟

لو شئت صبَّت عليك النعل مسكتة — صوتًا يغرِّد في بيت المساكين

---

(١) اللجين : الفضة . (٢) أي أسعد الناس من لا يسبر قلبه ، والسبر : معرفة الغور ، أي من لا يعرف كل ما في أعماق قلبه . (٣) المافون : المكتوب الباطل .

بيتٌ من النظم لا شعرٌ فتحكمه ... ولا نثير متينٌ غير موزون !

لكنَّ نعليَ يا صرصور طاهرة ... عن لمس كل قبيحِ الشكل ملعون !

لوازم الحب

عبثاً أحاول قرب روحكم ... سفه بقلبي ظلّ يوهمه

أفمنصفي في الحبِّ من زمني ... من ليس يفهمني وأفهمه ؟

لا السنُّ دانيةٌ ولا فطن ... وتشابه في الحب يحكمه

وتغاير في السنِّ ينقضه ... وتفاوتٌ في العقل يهدمه

فاظفر بظئرٍ درُّها عمم ... إن الصغير ذكاؤه فمه[1] !

النقد القذر

نقدُك هذا وَضَرُ الزيتِ ... لوّثْ به ما شئتَ من بيتِ[2]

يغسله الدهرُ بأمواجه ... إذ أنت فيه طعمة الموت

شعريَ مثلُ الدهرِ في صوته ... وأنت غِرٌّ خافتُ الصوت

إن تعب الناقد في نقده ... بادره باللوِّ والليت !

إيكاروس

العبد الروماني

(حادثة في حياة الرومان)

مضى العبدُ إيكاروس في بيتِ سيدٍ ... يرى الظلمَ حقًّا ليس فيه ملامُ

فيا شقوة العبد الذليل ونحسه ... وفي الظلم لذات الظَّلُوم ترامُ

---

(١) الظئر : المرضع ، والدر : اللبن ، والعمم : الكثير التام .   (٢) وضر الزيت : قذارته .

فلمَّا طغى بالعبدِ نحسٌ وشقوةٌ وما كلٌّ نفسٍ في الحضيضِ تقام

تأبطَ سيفاً مرهفاً وسعى به إلى حيث مولاه الظَّلوم ينامُ

فأورده من سيفه موردَ الردى وذلك في حكم الأنام جُسَامُ[1]

وأشعلَ ناراً ليس تخبو ضرامُها فأصبحَ ذاك القصر وهو ضرام

وجندله بالسيف أنصار ربّه فقال وقد أهوى إليه حِمَام :

★★★

قول العبد :

حلالٌ أباحوا وِرده وحرام وليسَ على العبد الذليلِ حرامُ

قيودٌ بها يشقى الضعيفُ ذليلة لها في أنوف الخانعين خطام[2]

وكمْ خدرت نفسٌ بخشخاش مَيْنهم فصالوا وجاروا والنفوسُ نيام

أخالوا حلالاً أن أذلوا بحَولهم نفوساً ولا مثل المذلَّة ذام

فإن قدَّروا جوراً فقد قُدِّر الإبا وذلك في حكمِ القضاءِ نظام

وإن جميعَ الناس في الضعف إخوةٌ إذا لم يخف مرعى الحرام سوام[3]

ألا إنَّ دفعَ الشرِّ بالشر سنةٌ ومن جُنَّ من جورٍ فليس يُلام

هوَ العبدُ عبد النفسِ من عاش راضيًا ولا يُخضع القلبَ الأبيَّ زمام

وما ظَلمَ المظلوم إلا رضاؤه وفي كل ظلمٍ للنفوس مدام

وبعضُ التُّقى والحزمِ جبنٌ وذلةٌ وفي الشرِّ نبلٌ والحياةُ عرام[4]

وما الناسُ إلا مالكاً غير عادلٍ وآخر يرضى بالأذى ويُضام

---

(١) الجسام : العظيم الجسيم .

(٢) الخانعون : الخاضعون .

(٣) السوام : التي ترعى .

(٤) العرام : الشدة والقوة .

وما كلُّ ذى ذلٍّ على الشرِّ قادراً ... وهل كلُّ مَنْ سِيمَ الهوان سنام ؟

ولو خوّف الإنسان من شرِّ عَيْره ... لما قادَ ذاك العَير منهُ لجام[1]

رضينا «بنيرون» فكُنَّا بناره ... جديرين إنَّ الأتقياءَ حطام[2]

وهل نافعى لو عاش فى الناسِ ناعمًا ... وعشتُ وحظى فى الحياةِ أوام؟[3]

★★★

قول الواعظ:

قضى اللهُ أنَّ الجرمَ للجرم باعثٌ ... وربٌّ بريقٍ شُبَّ منهُ ضرامُ

فلا تحسبنَّ الشرَّ فرداً فإنه ... تُؤام إذا جدَّ الردى وتؤام

وللشرِّ عدوى كالوباء وعدوة ... هو الشرُّ فى هذى النفوس سقام

فلا تقصدنْ بالشَّر نفسًا بريئةً ... فقد ينتحيكَ الشر وهو سهام

وإنَّك لا تدرى بما الشر واقعٌ ... وفى أى دارٍ للمصابِ مقام

فأنتَ قسيمى فى اتِّقاء مصابه ... وإنَّا لأكفاء عليه كرام

ألا إنَّ درأ الشرِّ عنك رهينةٌ ... بدرئك عمَّن كانَ منك يضام

فلا تَعْدُ مظلوماً ولا تَعْدُ ظالمًا ... فكلُّ عرامٍ يقتفيهِ عرام

دعابة

(أى مواقع التقبيل أحسنها؟)

رأى دلّها أن لا تضنَّ بقبلةٍ ... لأنزل لثمى فى أعزِّ مكان !

أُقبِّل منها الحسنَ فى خير موقعٍ ... برغم حسودٍ راحَ بالشنآن !

(١) العير : الحمار ، أى لو خاف الحمّار من حماره لما أذله (٢) نيرون : الإمبراطور الرومانى المشهور ، وينسب إليه حرق روما . (٣) الأوام : العطش .

فيا ليتَ أنَّ الناسَ تُغفى عيونُهم ... فالثمها فى خفيةٍ وأمان !

فوالله ما أدرى أخَدّك أحسن ... أم العين أم ما تحجب الشفتان ؟

أم الشفةُ الحمراءُ أطيبَ موقعٍ ... به الشمُّ والتقبيل يستبقان ؟

أم العُنقُ المعقودُ بالنَّحرِ أطيبُ ... أم الصدرُ حلّى وجهه جبلان ؟

أألثمها فى الخدِّ والفم طيبٌ ... ولى فى لذيذات النُّحورِ أمانى !!

لقد حِرتُ حتَّى ما أرى لىَ حيلة ... وليس لمثلى بالسلوِّ يدان !

دعينى أقبّل كل ما لاح حسنه ... فكلُّ مكان فيكِ خيرُ مكان !

خليلىَّ فى التقبيل أطيب متعةٍ ... ولستُ أرى فى الحبِّ ما تريان !

العيش والرجاء

لو أدرك الإنسانُ آماله ... وصابه منها كقطرِ المطر[1]

ولم يعد يعرف ما يبتغى ... ولم يجد فى العيشِ ما ينتظر

لكانَ أشقى الناسِ فى عيشهِ ... حتَى تقولَ النفسُ أينَ المفرّ

لا عيش إلا بطلاب المنى ... لولا المُنى فى عيشهِ لانتحر!

بعد زينة

ابتعد عمَّن أحبك ... لا تُرح بالقرب صبّك

أنت فى البعد جميلٌ ... لستُ أبغى منك قربك

قد حمدنا منك بعدا ... إذ حمدنا منك غيبك

للفقاقيع بهاءٌ ... قد حكَت فى الحسن قلبك !

(١) صابه المطر : أنزل عليه صوبه .

فاعتصم بالصمتِ كى لا يعرف العاشق لبّكَ
وإذا لحتَ قريباً ما بعثتُ اللّحظ صوبك[1]
خشيةً أن يأخذَ اللّحظ إذا ما لحتَ عيبك !

الروضة المنتهبة

غرستُ روضًا زاهياً زهره وحطته من خشية بالبِنا
فجاءَه الغلمانُ فى طيشهم والطيشُ ضربٌ من غرور الصبا
وهدَّموا الأسوارَ من قفزهم وانتهبوا الزهرَ وطيبَ الجنى
كأنما نيلُ العلا لعبةٌ ما لهمُ لو عقلوا والعلا !
أكثر من طيشهمُ جهلهم يُعدون من عاشرهم بالغبا
حتى يرى فى عقله ظلمةً يضلُّ فيها الرأى إمَّا سرى
إن يسألوا عمَّا بأيديهمُ قالوا اشتريناه كما يُشترى
أو يُسألوا عن روضتى جمجموا أن ليس فى أغصانها مجتنى
ولوثوا الزهرَ بأيديهمُ فهانَ حتى صارَ لا يُجتدى[2]
ثم ادعوا كى يعذروا نهبهم أنىَ لم أغرس بها ما زها
فكلّهم يسرقُ من روضتى وكلّهم ينكرُ ما قد جنى
من يرجِ الشُّكرَ لدى أحمقٍ يُبدله عدوانًا بما قد رجا !

---

(١) الصوب هنا الناحية . (٢) يجتدى . ينفع ، يعطى .

حلم وردة

وردة فى الشتاء تحلم بالصيف

وردةٌ فى غـصنهـا طال كـراها ... عـبق فى نومـهـا طيبُ شـذاها
مـثلُ أنفـاسِ حـبـيبٍ راقـدٍ ... نشـرت نفس مـحبّ فى سـراها
مـا لهـا وسنانة ذابلـة ... هـل ترى فى النومِ أحـلامَ هواها !
حلمت بالصـيف فى ريعـانه ... وبضـوءِ البـدرِ يسـقيـهـا طِلاها
وحـبـيب من هواها صـادح ... بأغـانٍ ينتشى من قـد حـمـاها
لا أرى البلبلَ جـسـمـاً طائرًا ... هو نفس تشـتكى مـا قـد عناها
لـو بـدا للـنفـسِ صـوتٌ وفـمٌ ... كانَ شدوُ الطيرِ معنى فى لغاها[1]
باتَ يشكوها بشـعـرٍ سـاحـرٍ ... شـجو نفسٍ قـد نات عنهـا مـناها
يا عـروسَ الروضِ رفـقًـا بمحبٍّ ... نفـسـه فى شـدوه فـاض جـواها
وهىَ من أشـجـانهِ حـائرة ... خـجـلاً تحـمـرُّ منه وجنتـاها
تحـملُ الأنفـاسَ عنهـا نشـرهـا ... كُلَّمـا غنى لهـا فى الشـدو آها[2]
أىُّ شىءٍ قـد نفى عنهـا كـراها ... أترى البلبلَ قـد قـبَّل فـاها ؟
فـرأت أن شـتـاءً لم يزل ... حـولهـا يا ويحَ مـا منَّى كـراها
حُلُم مـا فـيـه من شين سـوى ... أنه غـادرها حـيث بـداها

---

(١) جمع لغة .   (٢) أى إذا تأوه من حبه تأوهت رحمة له فينشر تأوهها نشرها .

الهوى حلم العمى

كان عهدى بالأمانى فى الشباب	كالغوانى راقصات من هيام
صار عهدى بالأمانى كالسحابِ	فى دجى العيشِ ظلامٌ فى ظلام
كنتُ أرجو العيشَ حلو الثمراتِ	صرت أخشى إن دعا داعى الأمل
كنت أقلى الموتَ مرَّ الجرعات	فحلا لى بعدكم مرّ الأجل
إنَّ عيشى بعدكم مثل الظلامِ	أنتمُ كنتمْ ضياء البصر
احملى يا ريح عن قلبى سلامى	وارجعى عنهم بطيب الخبر
عاد فجر الحبِّ ليلاً داجياً	إن أضواءَ الهوى حُلْم العَمِى[1]
بعد ما كنتُ زماناً راضياً	أرتجى من حبكم ما أرتجى

تم

(١) أي يحلم المرء بالحب كما يحلم الأعمى بالضوء .

الجزء السادس

ديوان

الأفنان

عن الطبعة الأولى للديوان السادس

عام ١٩١٨

فصل في أن الشعراء كماليون

مقدمة لصاحب الديوان

يحكى أن دوناتلي الإيطالي صنع دمية فأجاد صنعها ؛ فلما رآها أستاذه قال له مازحا : ما ينقصها غير أمر واحد . ثم كتمه عنه حتى مرض دوناتلي من الأسف عليه ، والفكر فيه ، وحتى أشرف على الهلاك . فدعا أستاذه وقال له : قد رأيت ما بي من الداء ، وأني هامة اليوم أو غد . فأخبرني أي نقص رأيت في دميتي ؟ قال : ما ينقصها غير الكلام ! فقام المريض محموماً حتى أطل على دميته وقال : تكلمي ، تكلمي ، فما ينقصك غير الكلام . ثم وقع ميتا !

وكل ذي فن في فنه مثل دوناتلي في طموحه إلى مرتبة الكمال . وإنما يجيد حسب فضل الملكة المهذبة التي يسترشدها من نفسه ، لا لأنه يقصد إلى ما أولع به الناس ، مما يستفز إعجابهم ؛ فإن إعجاب الناس - وإن كان حبيباً - يتطلب بإرضاء ملكته المهذبة لا بإرضائهم ، ويأمل أن يقنعهم ما أقنعه من نفسه . وهذا سبيل أثره فيهم الذي يأمله في حياته أو بعد موته . وسواء أأكبر الناس شعره أم أصغروه ، فإنه يعيش بحسرة على ما يعجز عنه ، وبلهفة على ما لم يقل ، وإن جل ما يقول .

ومن هنا ولج التحاسد إلى أفئدة الشعراء ؛ فإن الشاعر يعالج حسرة على كل فوز لم يفزه ، وطائر أمل لم يقنصه . فإن نفس الشاعر طماحة أبدا . وخليق بمن يعرف أن فوق كل إجادة إجادة أن لا يدع للحسد سبيلاً إلى قلبه ، وأن يعد كل قصيدة جليلة فوزاً يزهى به عالم الحسن على عالم القبح ، ونصراً أصابته الحياة على الموت ، غير مفرق بين قائل وقائل في الإعجاب الذي لا يتقاضاه الشاعر ، بل يتقاضاه شعره .

ألا وإن أجل شعر شكسبير هو ما كان يحلم به شكسبير ، ويود لو قيده بقيود الكلام ، وليس أجل شعره ما يعجب به الناس ويعجب منه ، فإن كل حسن في الفنون عنوان لحسن ، وكل فوز وعد بفوز . فإن الشاعر ليرى في نفسه القصائد التي يحلم بها كما يرى العاقر أبناءه الذين لم يلدهم . أو كما كان ميشيل أنجلو يرى الدمى التى لم ينحتها كأنها محبوسة فى الصخر الأصم الذى لم يلمسه بعد . وقد ورد عن كثير من كبار ذوى الفنون ما يثبت هذا الظمأ الذى هو خير لشعر الشاعر شر لنفسه .

ولو كانت الحياة شجرة لكان الجمال زهرها والشعر طائرها . ولولا الشعر افتقد جمال الحياة ، وكل حى شاعر بمقدار ما يحس الجمال فى الأشياء والأخلاق والأعمال التى ينشدها . والعالم عالمان : عالم الجمال وعالم القبح ، وكل منهما ممتزج بأخيه ، منعدم فيه . والشاعر رسول الجمال يسعى فى تحقيق عالمه . وإنما الخير ضرب من الجمال ، والشر ضرب من القبح . والشاعر يعرف أن الشر محتوم ولكنه يعرف أن من الحتم أيضا الطموح إلى ما وراء الشر المحتوم من الخير المحتوم . ومن أجل ذلك كان كل شاعر كمالياً سواء أعرف أم لم يعرف . وهو إذا نبذ عقيدة اقتران الجمال والخير ، إنما ينبذها شوقاً إليها ، كما يهجر المحب عشيقته من هجرها إياه ، وإنما الحياة أو الحق كالميزان ، لا يعتدل أعلاه إلا إذا استوى جانباه . ومن أجل ذلك صار الشاعر يعدل بطموحه وخياله وجمال شعره جانب الذين لا يعرفون فروض الشعر ومنزلته من الحياة ، كما يعدل كل نقيض نقيضه ، وهذا أساس الحياة . ألا ترى كيف عدل عيسى ، عليه السلام ، روح الأثرة فى دولة الرومان ؟ وكيف أن رفض شوبنهور للحياة يعدل تقديس نيتشه إياها ، وتقديس كل ما تغرى به ؟ ومنزلة السعادة فى الحياة كمنزلة الشعر من النثر . والذين يسعون فى نصرة الخير واستخلاص السعادة التى فيما دون المحال ، يأخذون نثر الحوادث فيجعلونه أوزانا وأنغاما .

ومن أجل ذلك يتغنى الشاعر بالبطولة ورجالها الذين يشايعونه فى مداواة قبح الحياة ولو لم يكن من المكافحة كى يستخلص من الحياة جمالها إلا التغنى بما يلهى المكافحين ، ويليح لهم بمثال الجمال المنشود أو تحذيرهم باليأس والسخر إذا استناموا إلى الأمل ، أو اتخذوا منه مرقداً لكفى .

ولا ريب أن شعر الشاعر ابن طبعه ومزاجه ، وأن الشعر ضروب متغايرة . وذلك لا ينفى ما ذكرنا . هذا شكسبير ما ترك جانباً من جوانب النفس وهو من رحب النفس بحيث يسع الجرم والمجرم ، ولكنك لا تجد فيه تزييناً للباطل إلا على لسان أهله وصفاً لهم . كما أنك لا تجد فيه وعظ من لايرى إلا جانبه من الحق . وإنما نريد بذكر ما ذكرنا ، أن الرغبة في الشعر من أجل أنه شعر ، لا من أجل مقصد خلقى حق إذا عنى الراغب أن الشاعر ينبغى أن لا يتجاوز أصول فنه التى يهيىء بها لذات الفنون ، كى يبلغ من النفس مبلغه من التأثير فيها بتلك اللذات . وأما إذا قيل : إن الشعر لهو ساعة ؛ فهذا قول من اللغو !

الحياة والحق

هات اسقنى الذّكَرَ الخوالدَ هات ، ... إنَّ النفوسَ كثيرة اللفتاتِ
ياساقىَ الذكرى ، كئوسك أضرمت ... من ذا الرحيق النار فى لهواتى
أصحوت من خمرِ الحياةِ وإنما ... طيبُ الحياةِ يصاب فى الغفلاتِ
والعقل أليقُ بالفتى من غفلةٍ ... للسعد تحكى غفوةَ النشوات
لولا فروضُ العيشِ لم أعبأ له ... جيشاً من الآراءِ والعزمات
وتكاثرُ الحاجاتِ ينبىء أنما ... خلقُ النفوسِ لأعظم الغايات
وهى المنى صوت ، صداه صرخةٌ ... لليأسِ ، ثم الموت كالسكتات
واليأسُ ينبىء أن فوقَ جهودنا ... خيرَ المنالِ وأعظمَ الرغبات
لولاه لاستوت المطالبُ كلُّها ... حيثُ الحضيضُ ووهدةُ الوهدات
إنَّ الفضيلةَ والرذيلة لذةٌ ... خيرُ الجنى يجنى لخيرِ جناةِ
لا تسعد المجدود منك برحمةٍ ، ... أهلُ الجحيمِ أحقُّ بالرحمات !
وهى التجاربُ للعقول صياقل ... صفحاتها للغيبِ كالمرآةِ
إنَّ التجاربَ كالأزاهرِ جمّةٌ ... أو ما اغتفرت الشوكَ للزهرات ؟
يا قلبُ لا يغنيك ذعرك للأسى ... فالخوفُ أول مهبطِ المهواةِ
والموت ظلُّ الله أبشرْ إن دنا ... فى ظلّه أمنٌ من الحسرات
ثبتَ الزمانُ ونحن نعدو عمرنا ... ونخال أنَّ الدهرَ ذو نقلات
كالراكب العجلان ينظر حوله ... فيرى الشخوصَ سريعة العدوَات(١)
والعيشُ كالحرباءِ يخدع لونه ... والحِسُّ بعضُ حبائلِ الخدعات(٢)

(١) العدو : الجرى .

(٢) الحرباء : دويبة تتلون ألوانا مختلفة .

فـالمرءُ يسـرى وهو قـيـدُ مكانه ... سكن الوجـود لشـدة الحركـاتِ
والحقُّ مـثلُ الشَّـمسِ يهلك آلَه ... والشَّـمسُ أُمُّ الخـيـرِ والآفـات
أُم الهـدى لكنَّ بعضَ ضـيـائها ... رفع السـراب وغـرّ فى الفلوات
والحقُّ مثلُ الشَّمسِ يجعل ضوءه ... بعض النفـوسِ قـرارةَ الحشـرات
والمرءُ فى دنيـاه خـابطُ حِنْدِسٍ ... آراؤه ضـربٌ من الخطوات[1]
كم حكمـة فـيـهـا الدواءُ لعـاقلٍ ... لو يدرك المعلول عـزم أسـاة
والعـزمُ شىءٌ لا يبـاع فـيـشـترى ... من للشـقىّ ببـائعِ العـزمـات
والموت بحـرٌ والنفـوسُ لآلىءٌ ... والعـيشُ فـوق الموتِ كـالموجـات
لسـنا نصيبُ الحقَّ فيمـا نبـتغى ... لكنْ كظلِّ الحقِّ فى الصـفـحـات
نبـغى من الدنيـا نظام مـحـدَّد ... فى رحـبـهـا برءٌ من الغـايات
فنظامـهـا ألف النقـيض نقـيضـه ... ونقـائضُ الأيامِ كـالأخـوات
والعـيشُ غـيمٌ والعـقـولُ جـلاؤه ... كـالشـمسِ تنقش جـانبَ المُزْنات[2]
نظرُ الأنام إلى الحـقـائق فى الدنى ... كـتطلع الحـمـقـاء فى المرآةِ
كـالطفلِ ينظر فى الأضـاةِ فـينثنى ... مـتـسـائلاً عن روضـةٍ وأضـاة
والفـكـرُ دائـرةٌ يـظـل يـدورهـا ... فى دهره مـتـقـارب الدورات
فـلكـلِّ دهرٍ دورةٌ مـعـلومـةٌ ... ومطالبٌ مـوصـوفـةُ المسـعـاة
والفـكـرُ يعـظـم وهـو فى دوراتـه ... كـالماءِ حـول مـواقعِ الحصـبـات
والحقُّ فى الأضـداد يلقى سـره ... ولقـلّمـا نـدريه بين عـداة
كـالمرءِ ينكر فى الوجـوه غـريبـهـا ... ويحنُّ نحـو أحـبـةٍ ولِدَات
والحقُّ مـخـتلفُ المقـاطعِ والنُّهى ... مـتبـاينُ الأسبـابِ واللهـجـات

---

(١) الحندس : الليل الشديد الظلمة .

(٢) المزنة : القطعة من السحاب .

والعيشُ مثلُ الشمس يعمى ضوؤه عن أنجمٍ تزدانُ بالظُّلمات
ولعل فى ظلم الحمامِ زواهراً تجلو الظنونَ وتكشف الغمّات
احزن ولذّ وقلْ لكلٍّ مقدَّرٍ يامرحباً بالحزنِ والفرحات!
وخذ الأنامَ على عوائد كيدهِ واغنم صفاءَ العيشِ فى الفلتات!

أبو الهول [1]

أنختَ فوق الدهرِ بالكلْكلِ وكنتَ مثلَ الواعظ المرسلِ
عند فلاة قلّ قطّانُها هل باختيارٍ كنت فى معزلِ ؟
مضى الألى شادوك فى مجدهم كأنه منك لدى موئلِ
فهل مللت العيْشَ من بعدهم كأنما جُلّلتَ بالمُثقلِ [2]
ثقل من الدهر تحمّلته لو حلّ بالأطواد لم تحملِ [3]
فهل يَدرّ العيشُ من بعدهم أم ما ضروعُ الدّهرِ بالحفَّلِ؟ [4]
وأنت مثل الخان فى لُبْثه ونحن مثلُ الراكبِ المعُجَلِ [5]
غداً ترى عيناك من بعدنا غير حلول الحيِّ والمنزل

---

(١) أعيد نشر هذه القصيدة بمجلة الرسالة عدد ١٥٩ فى ٢٠ يوليه ١٩٣٦ ، مع تبديل ضئيل فى بعض الألفاظ المشار إليها فى هذا الهامش .

(٢) جلله وتجلله : علاه . والمثقل : أثقال الدهر .

(٣) الأطواد : الجبال .

(٤) الضروع : الثدى . والمراد بدر الدهر (بفتح الدال) خيره ؛ أى هل سيعود لمصر خيرها ومجدها الماضى ؟

(٥) الخان : المراد به المنزل أو الفندق .

كم أمّـــةٍ من بعـــدها أمّـــةٌ … قـــد رحلت عنك ولم ترحلِ

فـأنت سـفـرُ الدّهرِ خطّت به … يـداه آىَ المحكـمِ المنـزل

فـاتلُ لـنا من آيه آيةً … لعلّنا نجنبُ مـا يبـتلى [1]

كم وعظَ الدّهرُ فلم نزدجـرْ … وكم سمـا الناسُ ولم نعتل [2]

قـيدنا العجـزُ ونرجو عُـلاً … يسمـو الذى فى الطير لم يكبل

نعاف مـستطرف ما يُرتجى … كأننا فى العيشِ لم نُجبل

فـيا مـثالَ الدهرِ يا رمـزه … كم صنمٍ فى القلبِ لم يبطل [3]

كـأنّ روحَ الدهرِ فى جسمه … إن تـره من نحـوه تمثل

تحسبُـه من هيبـةٍ عـاقـلاً … من حسب المرهوبِ لم يعقل [4]

كـأنما فى طى ألحـاظه … ذكرى لعهدِ الزمنِ الأول

كـأنه فى صمته حارس … يحرسُ بابَ القدر المقْفل

يا عجبًا أبصرتَ ما قدْ مضى … ونظرات منك لم تقتل [5]

أبصرتَ أكلَ الدهرِ أبناءه … ألـم تُـرعْ من ذلك المأكل ؟

---

(١) أى أعطنا مما رأيت من تجارب الدهر كى نتجنب الزلل .

(٢) فى الطبعة الأولى – فلم نرعو ... ولم ننبل .

(٣) فى البيت إشارة إلى قول المعرى :

والقلب من أهوائه عابد … ما يعبد الكافر من بده

أى وثنه وصنمه . فعبادة الأوثان إذن لا تزال قائمة فى القلوب .

(٤) الخوف من إنسان يجعل الخائف يكبر عقله .

(٥) لم تقتل من هول ما شاهدت عينه .

بينكما نجوى على صمته ... وصمتة فى فيك كالمِقْوَلِ[١]

عشّش فيك الحادث المجتوى ... وكنت عرش الرمية الضئبل[٢]

مرت بك الأيامُ مخشيّة ... كأنّها مرّتْ على هيكلِ[٣]

فابعثْ لنا من عزمها عدّة ... فلو سالت الدهرَ لم يبْخل

ولو نهيتَ الدهرَ لم يعتدِ ... ولو زَجرتَ الدهرَ لم يُقبلِ

والدهر كم تسحرُ أحداثه ... لبّ غضيض اللبِّ والمفصلِ

أىّ حكيم قد رأى ما رأتْ ... عيناك فى الدهر ولم يذهل ؟

يا ناظراً ينظرُ هذا الورى ... نظرة طرف الناظر المعضل

انظر إلى الأقدار فى غيبها ... واذكرْ مآلَ العيشِ فى المقبل

أغابرُ الأيامِ فى صرفها ... كمضمرٍ فى الغيبِ مستقبل

أمالكٌ عُوجل عن ملكه ... كذى علاء بَعدُ لم ينزل

والناس حَلْىُ القاهر المعتلى ... يألم نار الحاذق الصيقل[٤]

يصوغهم كل غلُوبٍ على ... سنّةِ مُلك الرمحِ والمنصل

كم عبرة للناس أبصرتها ... وعبْرة للهاطل المسبل

فهل دموعُ النحسِ تحيى الورى ... مثل عقيب المطر المرسل ؟

أراك لا ترثى لما نابهم ... يا ليتنى مثلك لم أحفل !

(١) المقول : القوال ؛ اللسان .

(٢) هذا البيت لم يطبع فى القصيدة المنشورة بمجلة الرسالة .

(٣) أى تمر بك خاشعة ولو أنها مخشية من الناس .

(٤) فى الطبعة الأولى – القاهر المجتوى .

ومــقـلـة تُخـبــر الحــاظهــا   أنّ عـيـونَ الدهـر لم تُـسـمـلِ[1]

والدهرُ وهو الساهر المعتدى   يُغْـضى وعينٌ لك لم تغـفـل

وربّ لحظٍ منك قـد رِشـتَـهُ   فى قلبِ هذا الدهرِ كـالموغل[2]

فـابحثْ خـبـاياهُ وأحناءه   واكشف لنا عنْ ذلك الغيطل[3]

كـأنّ روحَ الدهرِ تبـغى به   وكْناً لهـا أُحْكمَ كـالمعـقل[4]

تحـسبُـه لو جئـتـه ناشـداً   مـعنى حـيـاة الناس لم يجـهل

يا من سؤال العيش فى صمته   اسـأل ومن لم يدره فـاقـتلِ[5]

كم امـتطى الأيام تجـرى به   كــأنّـه والخـلـد فى منزل

كم عبّ لجّ الدهرِ ثم انثنى   إلا بقـايا الماء فى الجندل[6]

كـأنّـه منتظر مـوعـداً   حُـيّـنَ كىْ ينطق بالمقْـوَلِ[7]

لو فـاهَ يومـاً ذاكـراً سـرَّه   لم يعـجبِ الرائى ولم يَعْـجَل

أو أنه المسحـورُ فى صمته   قـد كان يمشى مشـيةَ المشبل[8]

فخـاف صرف الدهر من فتكه   وعلمـه بـالحـادث المقـبل

فـذاده بالسحـر عن نطقه   حـتى تناسى عيشه المنجلى

---

(١) تسمل : تفقأ . (٢) راش السهم : هيأه - أى كأن ألحاظك سهام تتغلغل فى قلب الدهر .

(٣) الغيطل هنا كالغيطول : الظلمة المتراكمة . (٤) الوكن : الوكر .

(٥) فى البيت إشارة إلى أسطورة قديمة تقول : إن أبا الهول كان إذا مر به إنسان سأله فى معضلات الحياة ، فإذا لم يجب قتله . (٦) الجندل : الصخر ، أى كأن الدهر بحر ، وأبا الهول الصخر على شاطئه يصد أمواجه . (٧) أى كأن سكوته سكوت المتأهب للقول فى حينه .

(٨) المشبل : أبو الأشبال ، أى كأن أبا الهول كان حيا يسعى كالأسد أبى الأشبال ، فسحره الدهر خوفا منه .

هرم خوفو [1]

يا موجةً للدهر لم تهزمِ ... تعلو عُلوَّ الجبل الأعظمِ

وما رأينا قبلها موجةً ... تعلو فلا تحدر للمحطمِ

ما الناسُ والآثارُ مِن بعدهم ... إلا كموجٍ إنْ علا يُهزم

موج لبحرٍ ما له ساحل ... غير الردى في لحدِه المظلم

كم عند شط الموتِ شِلْو رَدى ... يقذفه الدهرُ إلى ضيغم[2]

هل أنت شِلوٌ لزمانٍ قضى ، ... رفاته الآثارُ لم تُردم

لم يبق من عمران من قد مضوا ... إلا بقايا الجلد والأعظم

كأنما يْدخرُ من مجدهم ... ما يدخرُ النملُ من المطعم

كيف نرجّى الدهر ذا عفةٍ ... إن ذاقَ طعمَ اللحم لم يقرم[3]

لا يسمع الدهر سوى منصت ... بالروح إن يُصغ له يبكم

همهمةٌ يطلقها عارمٌ ... إن يمضغ المودى به يبغم[4]

هل خاف هذا الدهر صرف الردى ... فشادَ صرحاً منك لم يثلم ؟

لا يجرؤ الموتُ على بيته ... في هرمٍ كالجبلِ الأدهم[5]

---

(١) أعاد الشاعر نشرها بمجلة الرسالة – عدد ١٥٧ في ٦ يولية ١٩٣٦

(٢) الشلو والجمع أشلاء : العضو من أعضاء اللحم ؛ وما أكل منه شيء وبقيت منه بقية والضيغم : الأسد .

(٣) قرم الحيوان إذا ضراه طعم اللحم . وفي هذا البيت وما بعده تشبيه للدهر بحيوان .

(٤) العارم : الشرس ، ويبغم : لم يفصح .

(٥) في الأصل : لا يدخل الموت ... والأدهم : الأسود .

أم شادك العقل لكيما يرى ... من فوقك الأقدار لم تهجم ؟
بعيدةٌ لم تبدُ أشخاصها ... تهفو لنا في يومها الأيوَمِ(١)
كيْ يؤذن الناسَ بإقبالها ... من قبل أن تُفْجأ بالمقدم
إن أرْزَمَ الرعدُ على شاهقٍ ... ففوقك الأيامُ كالمرزم(٢)
أو كللتْ هامتَه ديمةٌ ... وطفاءُ مثل المجْسدِ المسَهَّمِ(٣)
فوقك أرواح عُصور خلت ... كديمةٍ سوداء لم تحسم
هدت يدُ الدهرِ مشيد البنا ... وهو إذا أمّك كالأجذم
كم أنزلَ الدهرُ شآبيبَه ... على جبينٍ منك لم يهرم
كالمزْنِ فوق الزهرِ يحيا به ... زهرُ الربى من غيثه المرهم(٤)
كأنما الأيام ظئر به ... تغذوه منها بسليلِ الدم(٥)
كأنما ينمو على مرّها ... فيرتدى تاجاً من الأنجم
قد شمخَ الترب به عزةً ... كشامخٍ بالأنف لم يخطم(٦)
أم قلّصت وجه الثرى كبرة ... فأنت من تجعيدها الأقدم
أم كفنيقٍ ما له راكب ... يمنع ظهر المكرم المقرم(٧)

---

(١) الأيوم : الشديد .

٢) أرزم الرعد : اشتد صوته . والمرزم : ما يرزم ويشد به كالحبل .

(٣) ديمة : مطر يدوم في سكون . وطفاء : أي مسترضية الجوانب لكثرة مائها . والمجسد : القميص . والمسهم : الهزيل المغير اللون .

(٤) المزن : المطر أو السحابة .

(٥) ظئر : مرضع

(٦) يخطم : يقاد من خطمه أي أنفه كالبعير ، يقع على أنفه .

(٧) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب . والمقرم : ما لم يمسه حبل ، والفحل إذا ترك عن الركوب والعمل .

أم ثدى مصر إنها ناهد ... عشيقة للقدر الأزلم[1]

أم أنت ناب الأرض ذا شحذةٍ ... خُلّف فى شدق فم الأهتم ؟[2]

أخرج صخر الأرض طياته ... حتى بدت كالهرم المفعم

أم كيف شادَ القومُ أحجارَه ... حتى بدت فى عِظَمِ المخْرمِ ؟[3]

كأنما روحُ زمانٍ مضى ... معششٍ فوقك كالقشْعم[4]

يا معبداً يُعبدُ فيه الحجى ... إلى الحجى فى صنعه ينتمى

أجل ما تعبد فيه النُّهى ... سليلها فى صُنعه المحكم

قد حملتك الأرضُ فى بطنها ... كأنها المقلات لم تعقم[5]

تمخضت عن عَلَمٍ أروع ... مُقذّة فى الحمل لم تُتْئِم[6]

ثم تردّى بعلها بعده ... كيف نرجّى النسل من أيّم[7]

يا علمَ الدنيا الذى قد غدا ... عجيبة الغائر والمتهم

علت بك الأرض كمن قد علا ... برأسه الكبر فلْم يهضم

رفعت رأساً منك مَا طَالَهُ ... رأس البناءِ الشامخ الأقوم

---

(١) الأزلم : المقطوع طرف الأذن .

(٢) الأهتم : من تكسرت أسنانه .

(٣) المخرم : منقطع أنف الجبل

(٤) القشعم من النسور والرجال : المسن ، أوالضخم .

(٥) المقلات : المقلة من النسل . قال الشاعر : (وأم الصقر مقلات نزور) .

(٦) المقذة : التى تأتى بالفذ الوحيد فى النسل . والمتئمة : التى تأتى بالتوأم .

(٧) الأيم : التى مات بعلها .

كــــأنما كلّ البنا سُـــجَّـــد   من هيـــبـــةِ للملك الأعظم

يا ملكاً مــــا انحلّ سلطانه   قـــد هدم الماضى ولم يُهـــدم

كم دولةٍ قــد ضـــاع سلطانُهـــا   ودولـةُ الأهـرام لِم تـهـــــرم

كم شـابكت كـفّاك أيدى الردى   ثـم انـثـنـى عـنـك ولـم تُـكـلـم

يا غِـــيـــرَ الأيام فى كــرِّها   من أبيض نامنُ أو أســحم[1]

تباعدى إن شئت أو فاهجمى   على شـبـيـه البطل المُعْلَم[2]

هيـهـات لم يبـدُ له مـقـتـل   قد أخطأ الرامى فأشوى الرمِى[3]

كم خـالَ فـيك الناسُ سراً طَوا   هُ الدهرُ لم يُكشف ولم يُعلم

خلوا الألى شادوك قد أودعوا   فـيك رمـوز المطلب الأكـرمِ

مــا أودعـوا إلا كنوزاً غـدت   نهـبـة كفٍ الصـائل المجـرمِ

وكلُّ مــا لم يبـدُ كنه له   يُخــال كنزَ الحقِّ والمغْنم

والمرءُ يبـغى الحقَّ فى خـدره   وَلـوْ بـدا فـى أعين الأنجم

ورِمَّـــةٌ خـبـأها كــاهنٌ   لفــاتك الآراء والمخــذم[4]

رِمَّـــةُ ربّ رائع عــزمُـــهُ   قد أخرجتْ من بَعدُ للمرجم[5]

جـــلالُ روحٍ منه ذى همّـــةٍ   مُـــجــسّم فى صنعه المحكم

لا تحسبن الناسَ لم يُجدهم   غــيــر منالِ البُـرْد والمطعم[6]

---

(١) أسحم : أسود .   (٢) فى الطبعة الأولى – تليثى إن شئت .....

(٣) أشوى الرامى إذا أصاب الشوى ولم يصم أى لم يصب المقتل .

(٤) الرمة : العظام البالية . والمخزم : القاطع من السيوف . وأيضا المقر بالذل .

(٥) المرجم : المتكلم بالظن (٦) البرد : الثوب .

فـالنّفسُ تبـغي أن يرى كنهـهـا ... مـجـسـّمـاً فى صُنعـهـا الأعظم

لم يُصلح الـناسَ لذى أمـــرهم ... غـيـرُ شـفـيع السّيْف والـدرهم

أظلمــهم مَنْ ســاغ طعم الأذى ... لـيس الـذى يـظـلـم بـالأظـلـم

كلُّ ضــعـــيفٍ خـــيـــره علّةٌ ... من ذا الذى صَحّ فلم يعـرم ؟[1]

الليـــل

ياجـــوهراً نفـــسى له صـــورةٌ ... لأنتَ عنـدى بالمكانِ المصـــونْ

كـالنَّجمِ فى البـحـرِ يرى نفْسـه ... فى كـوكـب الأفقِ القـصىِّ الشطون[2]

قمْ حـدّث الليلَ حـديثَ الكرى ... فطيـره قـد عـشـشت فى الجـفـونْ

كـــأنه المرآة مــصـــقـــولة ... تصقله الأحـلامُ صقلَ القيون[3]

الـكـونُ وكـــــرٌ والـدجى واقـع ... كـالطير تؤوى فرخها فى الوكـون[4]

يصـــيخ قلبى تحت أســتـــاره ... كـالطفلِ يصغى لدعاءِ القرين[5]

كـــأنما أحـــسبُ أســتـــارَه ... مــســدولة فـــوق اليـقـين المبين

أكـــاد أن أســمعَ فى جنحـــه ... وجـيـبَ قلبٍ منه جمَّ الشـجـون

وناطق بالصـــمـت كـــانـت له ... هـذى الـدرارىُّ مكان العـــيـــون

أحـــســيـــه قـــد شـــاب مما رأى ... فـالشـهـبُ فـيـه شـعـرات السـنين

كـــلا هـو الخـــالد فى مـلكه ... مـتـوجـاً بالنجم فـوقَ الجـبين

---

(١) فى الطبعة الأولى – كل سقيم .. ويعرم : يشتد ويفسد .

(٢) الخطاب موجه إلى رفيق – الشطون – البعيد .

(٣) القين : الحدّاد والجمع قيون .   (٤) الوكن : عش الطائر ، والجمع : وكون

(٥) القرين : العشير والمصاحب .

تكاد تبدو النفسُ فى جُنحِهِ ... كالوضع يبدى من خفىٍّ الجنينْ
تشدو لك النفسُ بأنغامه ... كالريح تشدو فى حفيف الغصونْ
فى فحمة الليل وقودُ النهى ... وفى دُجى الليلِ ضياءُ الحزين
كأننى فى جُنحه مفرداً ... سحابة الحزن بقلبِ الركين
كأن روحَ الموتِ فى جنحه ... تخطرُ فى أثناءِ هذا السكون
الصمتُ سجنٌ والدُجى حارس ... والصوتُ مأسور عليل الأنين
أو كوليدٍ كَلَّ من ضحكه ... تحصنه أمٌّ رؤوم حضون
أو هو صبٌّ عاشقٌ للدُجى ... تناجيا باللَّحظِ بين الجفون
كأنما هذا الدجى معبد ... وفى خشوع الحيِّ صمتُ اليقين
أو كضريح النورِ يخفى به ... قد خُطَّ فيه للنهار الدفين
هل ذهلة الأصواتِ أن قد رأت ... ما أودع الليل غلاة الظنون ؟
تلفَّت الريح به خيفة ... هل عادها من ذعرها كالجنون ؟
كأنه ظلٌّ ظليلٌ بدا ... لدوحة الفردوسِ ذات الغصون
أما ترى أثمارها فى الدجى ... نجماً تناءى مثل ذخرِ الضنين ؟
أم هو ظلُّ الموتِ إمّا دنا ... سغبان يسعى لاقتضاء الديون؟[1]
أم هامة اليوم الذى قد مضى ... يهيج من روعِ الجبان الظنين؟[2]
فالكونُ منه خاشعٌ حائر ... مات به الصوتُ ومات السكون
وخلَّفا روحيهما فى الدُجى ... كما يروع الحيَّ روحُ الدفين
قلبى عودٌ خافق قلبه ... أوتاره تنبض نبضَ الوتين[3]

---

(١) سغبان : جائع . (٢) الهامة : روح الميت القتيل : والظنين : المتهم .

(٣) الوتين : عرق فى القلب يجرى منه الدم إلى العروق كلها .

تهـفـو بىَ الذُكـرةُ فى جنحـه كـأنهـا هامـةُ مـاضى السنين

أو دمـيـةٌ ينحـتـهـا ناحـتٌ يحكى بها من أمس هلكَى الشجون

أو كـهـدايا هالكٍ غـابرٍ تطيـر عنهـا خطراتُ المنون

الليلُ مـثلُ الماءِ فى ركـدةٍ والصبحُ يبدو مثل ماءٍ معين

سؤر العيش

يمر بى زمنى كـالصِلٍّ منفلتـاً من بعد ما كان كالأطيار وثّابا[١]

أمسى كنِهيٍ أرى فى قاعـه دُرراً تذكى اللواعِجَ أن قد غاب ما غابا[٢]

حتى لقد صار لى عُشّاً الوذ به والقلبُ إن ذيدَ عن أوكـاره آبا

كم طارت النفسُ فى رأدِ الصبا مرحاً كالطير يبغى بنهيِ الشمسِ تشرابا[٣]

مثل الندى وجناح الضوء يحفزه يسمو بخاراً فإنّ حطَّ الدجى آبا

قد تهبطُ النفسُ مثل الطيرِ عاجلها نسرُ الظلام فكان النسرُ غلأبا

أحارس كان هذا الموت من قدم أغفى فأفلت صِلُّ العيش وانسابا

وكان حيةَ حواء التى خدعت بلذة العيشِ أوابا ولعابا

ولذةُ العيش أثمارٌ مهدلة تبقى رماداً إذا ذيقت وتَوْرابا[٤]

إن الصبا معبدٌ للعيش نعبده على مضاضته بوركتَ محرابا

ظلُّ الجنانِ رفلنا فى غضارتها حتى تقلّص ظلُّ الخلدِ وانجابا

والموتُ كالأسد العدّاء تلقمه لذائذُ العيشِ تخشى منه أنيابا

لا بل هو الظئرُ والأرواح فى يده كالطفل فى المهدِ لا تألوه إطرابا(٥)

---

(١) الصل : الحية (٢) نهى على وزن فعل : غدير . اللاعج : الهوى المحرق

(٣) الرأد : الضحى . (٤) التوراب : هو التراب . (٥) الظئر : عاطفة المرأة على ولد غيرها ، أو المرضعة له

والعيشُ كالنردِ ترمى غير محتكم — فيطلع العيشُ حرماناً وإنهابا
أدلى لىَ الدهرُ خيطاً من حبائله — فعدتُ ما عاد هياباً ووثابا
كالحوت أفلتَ مكلوم اللهاة فإن — أدليت خيطكَ ألفى فيه آرابا(١)
كم عشىَ القلبُ فى ضوءِ الصبا فمضى — كخابط الليلِ أعمى بات جوّابا
والظلُّ والشمس لا يبغى افتراقهما — فما ابتغاؤك عيشاً لم يذق صابا(٢)
فاجعل همومَك بيتاً غالَ قاطنه — عادى الوباء فلا تطرق له بابا
كزائف الذخرِ قلب ليس ينفق فى — سوق الحياةِ وإن أثرى وإن طابا
وما انتفاعى بخيرٍ كلّه فشلٌ — ياسى الصفىّ ويمضى الحبّ خلابا
والمرءُ يغفل عن أمر الحياةِ وما — جبناً يطامن بل حزماً وإصحابا
ضمائرُ الناسِ كالرعديدِ يزعجها — صوتُ السكونِ فتبغى فيه صخابا
يندسُّ فى غمرات العيشِ جارمهم — وقد يبيت لوحى النفسِ هيابا
كذلك المرءُ يخشى أن يرى أبدا — مفكراً خاب تسآلا وتطلابا
قارضْ مُضيفك من بشرٍ ومن كرمٍ — إنَّ الزمان إذا ريّبتَه رابا
والصخرُ مرآة إبليس التى نصبت — إنْ تبُصرَ الحقَّ فيها عاد كذابا

ذكرى أمس

مدّت لك الذكرى وجيع القيود — مخبوءة فى خدعات الجدودْ
كأنها ذو إحنة ماكر — يهدى صِلالاً تحت زهرٍ نضيدْ(٣)
وقبر أمس شاحبٌ ماثل — كذى حياة راكع بالوصيد(٤)
والذكرُ دوحٌ فوقه باسق — أفنانه مثمرة بالوعود

(١) مكلوم اللهاة : أى جريح الحلق . وآراب : حاجات . (٢) صابا : مرا.

(٣) الإحنة : الحقد . والصلال : الحيات (٤) الوصيد : فناء الدار أو عتبتها .

والـذكـــــــــرُ صِـلٌّ لاذع نـابـه ... يـاليـتــــه يخلـع رثَّ الـعــهــودْ
كــالحـــيــة الـرقطاءِ تـنـضـــو ردا ... ءَ الأمس كي تـكـسى الرداءَ الجـديدْ
والذكـرُ كـالجـرذان فى خـفـيـة ... ينخـــر من قـلـب الأبىِّ الجـليـــد
مطيـــةُ الذكــرِ على نهـــجـهـــا ... مـعـكوسـةُ المسـعى لخلفٍ تحـيـد
كـــأنما إذ عـــقـت بـاب الردى ... تبـغى خـلاصـاً من سـبـيلِ الـولـيـد
كى تتـــخطى أزلاً مـــاضـــيــا ... تـرجـع مـنـه عـن طـريـق الخـلـود
كم تبـتــغى أمـسـك إن سـاءك الـ ... يوم وأمـس مـــعـــجــز من يـعـيــد
يا مـــخـــرج المـلحـــود من قـبـرِه ... لـم يـبـق مـنـه غـــيــــرُ عظمٍ ودود
أمس الـذى فـــات عـلى قـــربـه ... كـــالأبد الآبد قـــاصٍ بـعــيـــد
وإن يـســـؤك الـيـــوم ترجُ غـــدا ... إن غـــداً لـيس بـيـــومٍ جـــديـد
فـانـظر إلى أمس مـضى واسـتــعن ... منه عـلى الـيــوم بـرأىٍ ســـديـد
الـشـــيـخُ يـبــغـى ضلّة أمـــسَـــهُ ... وفى غـــدِ الـيـــافعِ حلمٌ ســعـيـد

نعسة الطرف

عـــيناك عـــيـناك منبت الـذكَـــرِ ... كـــالزهرِ فى قـــاعٍ رائق الغُـــدُرِ
فـنـعـــــســـــة الـطـرفِ أنـه أبـدا ... كـــذاهل قـــد أصـــاخ للفكرِ[1]
باللّه مـــا تـذكـــر الـعـــيـــون أألـ ... ـحـاظ مـشـوق بالصبـر مسـتـترِ ؟
أم تذكـر العـهـدَ حـيث لا عـذلٌ ... يلـوى بصـادٍ عن مـورد خـصـر ؟
أم طرفـك الـنـاعـس الـنـؤوم يـرى ... مـــامنٌ من فـــتنةٍ ومن سكـر ؟
لـواعج الـعـــاشـــقين ذخــرك والـ ... ـذكـرى وعــاءٌ لخـيـر مـدّكـر[2]

(١) أصاخ : استمع . (٢) اللاعج : الهوى المحرق .

تنظر في أنفسٍ وفي مُـــهج فـــعل غنّى يرنو إلى الذُخـــرِ

أم رحـــمـــة غـضت اللواحظ مـ ـمـا يشتكي العاشقـون بالنظرِ

أم لوعــــة رنقت لحــــاظك إذ عشـقت عشـقاً لحسنك العطرِ

أم غــــضّـــة في لواحظ حلم بعــالم الحسن طيب الخـبـر!

بعــــالم أنت من بشــــائره بشــــرى طيــور الربيع بالزهر

يخفي اقتدارَ العيونِ إن نعست كـصـولةٍ في الخفــاءِ للقـدر

كم صــائلٍ سيفـه تشفـعه وصـائل بالحـيـاءِ والخـفـر

قـد تقصفُ الريحُ كلّ عـاتيـة وتعجز الريحُ عن أذى الخور(١)

عـــينك من لمحــــةِ الزواهر أم مقبوسة الضوءِ من سنا القمر ؟

أم من غـدير الحـيــاةِ حفً به من هدب عينيك باسقُ الشجر!

كم جاءك العاشقون من نذُر الـ ـحبٍّ بخـيـر الزهورِ والثـمـر

فكيف تُرعى لحبّ محـتـضـر ينبت من قـبــره على مَـدَر ؟

ولست أرضى لمثل وجـهك قلـ ـبـاً بين جنبيَّ غـائضَ العُـذَر(٢)

نفــسيَ بحـرٌ ظللت أسبـرُه كـمـا يغوص الغواصُ للدرر

والذكرُ كالبحرِ كم رمَى جيفاً تبدو كغرقى السنين من عمري

فــانعمْ فـإنَّ الحـيـاةَ دانيـة قطوفـهـا ، وامضـهـا على غـرَر !

قبس الحسن

شـعـرى بحـرٌ وأنت سـاحلُه قـد صـدَّه عنك قلبُك الحـجـرُ

---

(١) الخور : الضعف والجبن .

(٢) جمع عذرة ، وهي أول الشيء وبكرته .

يـاليـت أن الخلـودَ لـى قـــبـس ... مـن حـسنـك الغضّ نـاله الـشـررُ
كـيـمـا أنيـر الحـيـاةَ قـاطبـةً ... أوضـاحـهـا مـن جـداك والغُـرَرُ
كـالبـدرِ يكسـو الأشـيـاءَ حلّتـه ... وَشى من السحرِ حاكه القمر(١)
فـاكسُ بـأنـوارك الـورى أبـدا ... كـى لا يبين الشـقـاءُ والعـسُـر
ياشـمسَ حـسن حـيـاتنا ثـمـر ... ينضجُ فى ضـوءِ حـسنك الثـمـر
ويخـصـب الـقـلـبُ إن رآك كـأ ... نَّ الحـسـنَ إمـا جـلـوتـه مطر
أشـعلْ بألحـاظك الحـيـاة فـإ ... نَّ الصـخـرَ إمـا رمـقـتـه درر
ياعـار حـسـن جلوتَ غـرّته ... إن لـم يـرق فـى قـريضـىَ الأثـر
وأنضـبُ النـاسِ فطنة وحـجى ... تنبع فـيـه من حـسنك الغـدُرُ
عطّرت برد الحـيـاة قـاطبـةً ... فـكلُّ شـىءٍ لمسـتـه زَهـر
أنت أعـرتَ الحـسانَ روقـتـهـا ... كـأنهـا منـك أنجم زُهـر
والحـسنُ روحُ الحـيـاةِ يسـتـره ... للقـبح سـتـر كـالقـشـر ينـدثر
أو مـثـل لمع البـريقِ آونـة ... لنـاظـر ، والظلامُ مـعـتـكر
يا بارق الحسن فى الحـيـاة أمـا ... تبـصـرُ من شـاقَ قلبَـه النظر؟
ود شـحـيح رأى جـمـالك لو ... تصـاغ منه الحلىُّ والبِـدر!(٢)

درع الحياة

البس على السـمـع درْعـا ... والبس عـلـى الـعين درْعـا
فـالنـاسُ شـاكٍ وعـادٍ ... يبـغـون فى الـدرع صَـدعـا(٣)

---

(١) وشى الثوب : زانه بالألوان ونقشه .

(٢) جمع بدرة ، وهى مقدار من النقود .

(٣) شاك : أى حامل السلاح مستعد للقتال .

والمرءُ جـــدُّ شـــقيٌّ إن ضـاقَ بـالـلـؤم ذَرْعـا
واقـهـر فلست بناجٍ إن رمـتَ بـالـلـين طـوعـا
تـقـلّـى مـن الصـحـب ممـا نرضى مـن النفس خـدعـا
إنْ نعـمـة بـك حلَّـت سـاءَت لدى الإلف وقـعـا
حـتـى كـأن لـهـا فـى حـشـاه نهـشـاً وقطعـا
تـكـاد تـخـطـم أنفـا منه وتـثـقـب سـمـعـا
فـلـيـس يـبـرأ صـدرا إلا إذا شـامَ نـفـعـا
تـخـال فـى الـعـين مـنـه أفـعى وفى الـشـغـر أفـعى
يرومُ خـفـضَك كـيـمـا ينـالَ بالخـفضِ رفـعـا
ولـيـس يـرحـم إلا من هـابَ لـلـشـرِّ وقـعـا
أو مـن يـسـرّ بـأن قـد عـداه مـا بـتَّ تـرعى
فـإن رجـوتَ رحـيـمـا فى الخَطب ألفـيتَ قَـذعـا[1]
عـدّوا الشـقـاءَ اجـتـرامـا والخـفـض فـضـلاً وصنعـا[2]
فـالـبـسْ علـى الصـدر درعـا والـبـسْ علـى الـقـلـبِ دِرعـا

طائر السعادة

لعـمـرك مـا اللّـذات إلا حـمـائم تنوحُ على أفنانهـا وتطيـرُ
نشـدتك ياطيـر اللذاذةِ والهـوى أمـا لك فى هذى الحيـاة وكـورُ؟
وإن الذى يرجـو السـعـادةَ واثب على ظلّـه لو أنَّ ذاك يجـيـر

---

(١) القـذع : نو الفـحش والشـتم

(٢) الخـفض : النعـيم والرخـاء .

وبعض مساعى المرءِ حمى وخيبة الـ ... ـمطامع برء للحجى ونشورُ

ومن لم يجدْ فى نفسه ذخرَ عيشه ... فليس له بين الأنامِ نصيرُ

وهل يستقيم السعدُ للمرءِ فى الدنى ... ومطلبُه بين الضلوع سعير

وليس شقاءُ المرءِ فيما يصيبه ... ولكنّه طبع له وضمير

هو العيش كالحسناءِ تبغض محجماً ... جباناً ، ويحظى بالوصال جسور

ومهما يتح فى العيش فالخوفُ خادمٌ ... وكلُّ جرىءٍ فى الحياةِ أمير

ومن صان عن رقٍّ المطالب عنقه ... رأى أن خطبَ الدهرِ ليس يضير

قلى العيش حبّ العيش قد شطّ رغده ... كما يبغض المهجور وهو أسير

كمن يبغض الحسناءَ يقلَى دلالها ... وفى الصدر منه لوعةٌ وزفير

إذا أخطأ المرءُ السعادَة خالها ... سراباً يغرّ العينَ منه غدير

وليس عجيباً أن يرى العيشَ مجهلاً ... فإن الحجى طرف لديه ضرير

وما السعدُ إلا حكمة وتجاوزٌ ... وإنك ربٌّ فى الأنام غفور

تكيد بصفو الصفحِ من يبتغى القذى ... لوردك ، إن الشائبين كثير(١)

ومن لم يجدْ فى عيشه فرض آمل ... رأى أن سعداً فى الحياة عسير

ومن ضمَّ قلباً أخطأ السعدَ ، خاله ... يتاح له بعد الممات حبور

أمانىّ خلف الموت ظل حياته ... يقيل بها والحادثات هجير

بدا لىَ أن لا سعد إلا تصبر ... تقرُّ به فى النائباتِ صدور

وعزمٌ ، وإيمان ، وطبعٌ ، وحكمة ، ... ورأىٌ بآلاءِ الحياةِ خبير

وإنَّ أجلَّ الخلق ما هو مقيل ... تُهيّئهُ بعد الدهورِ دهور

وإن الأذى سبرُ القلوبِ ، وصيرف الـ ... ـنفوسِ ، وقين للعقول ، وظير(٢)

---

(١) القذى : القذر

(٢) القين : الصقل . والظئر : المرضع .

وراجى حياةٍ ليس للشرِّ بينها ... مَشار تنال النفسَ منه حَرور

كمن يرتجى أسبابَ أمر يعافه ... وذاك محالٌ فى الدُّنى وغرور

وليس أعزّ الرغبِ سعداً فإنه ... يضنُّ بعيشٍ ليس فيه سرور

ولو أن خلداً كان أمراً مقدرا ... أهاب الفتى بالموت وهو قرير[1]

لا مرحبا بالأقدار

ألا ليت للأقدارِ قلباً وفطنةً ... أيرحمنا من لا يساء ويجذلُ ؟

وهل نافعى ذمُّ القضاءِ وجورُه ... كما ينقم الظلمَ الأسيرُ المكبّلُ ؟

وهلْ يملك المظلومُ إلا شكاته ... وإن كان حمل الحتم بالصبر يجمل؟

ولو كان هذا الحتمُ قرناً قتلته ... فإمرته حملٌ على النفس يثقل

ولو كان سعداً خلت أنّى ملكتُه ... ولكنه نوءٌ من الشرِّ مسبل

إذا فر نحو الدار طِرفٌ لراكبٍ ... توهمه طوعاً إلى الدار يرقل[2]

ولو أن صبراً كان روّع بالذى ... بليت به ما كان للصبرِ موئل

ولو أن خطباً نابه بعض شرّه ... لأصبح لا يصمى ولا يتغلغل

فمن لى بنفسٍ فى الشقاءِ نعيمهُا ... كأنىَ فى نار الشقاءِ سمندل![3]

مرحباً بالأقدار

إن الذى بثّ فىَّ الخوفَ علّمنى ... حملَ الهمومِ فكلُّ الأمر أقسامُ

إن كان بى جزعٌ فالصبرُ غايتهُ ... أو كان بى سَقَمٌ فالعيشُ أسقام

(١) أهاب به دعاه .

(٢) الطرف : الفرس

(٣) السمندل : دابة يقال إنها لا تحترق فى النار .

وإن دمعى حتمٌ لست أدفعه	إذا ابتلانى إثخانٌ وإيلامُ
فإن تربت فعيشُ المرءِ متربةٌ	وإن غرمت فبعضُ الغرمِ إنعامُ
وإن مدحت فأمر كان عن قدرٍ	يجرى القضاءُ فيسرى اللومُ والذام[1]
يا مرحباً بالذى يأتى القضاءُ به	حظّ المحكم ترحيبٌ وإعظام
حزمُ المزورِ إذا ما زاره ملكٌ	أن لا يلوح به حقدٌ وأوغام[2]
أدرْ علىَّ كؤوسَ العيشِ قاطبةً	سعدٌ ونحسٌ وإهوان وإكرام
إن كان عيشٌ فإن العيشَ محتملٌ	أو كان موتٌ فما لى عنه إحجام
الظمْءُ والجوعُ ، والأسقام قاطبةً	والذلُّ ، والفقر ، تقديرٌ وإرغام
وإن لجأت إلى موتٍ الوذُ به	فالموتُ عن قدرٍ والعيشُ أعوام
فإن فررت فمن حتمٍ إلى قدرٍ	قد استوى فيه إحجام وإقدام
والجسمُ فى العيش لايعيا بمؤلمه	وإن أتيح له نوحٌ وإرزام[3]
هذى مرارةُ كاسٍ لذّ شاربها	خمارها فهو عبّاس وبسّام
والنفسُ كالخيل والأقدار رائضها	فالبؤس ركضٌ ورغدُ العيش إجمام[4]
مادمت تعدو من الأقدار عدوك من	ضارى الفواتك فالأقدار آلام !

خلود التجارب

وكم ساعةٍ كالخلد فزتَ بخيرها	هو الروح حرٌّ لا يذلُّ لتحكيمِ
بلغت بها أقصى مُنى النفس كلّها	كأنَّ قضاءَ الدهرِ ليس بمحتومِ
نفوسٌ تودُّ العيشَ نهزة لاعب	فتحسب أنَّ العيشَ أضغاثُ محموم

---

(١) الذام : الأمر المعيب .	(٢) الوغم : الحقد الثابت فى الصدر ، والجمع أوغام .
(٣) إرزام : اشتداد الصوت .	(٤) أجم الفرس : ترك يمرح ويستريح .

ترجّى سنىً العمر كالنحل ضمّنا	لعيشٍ كأرْى النحل ليس بموهوم
ترجّى خلوداً والخلودُ عناؤها	وأى بقاءٍ خالد غير مسؤوم
وما الخلد إلا ساعة تقنع الحجى	وتُسعد نفساً لا تدين لتهويم
وقالوا بأن العيش فرضٌ مبغض	وذلك حرصٌ منهمُ غير مكتوم
وعذرٌ على حبِّ الحياة ولهفة	وأى امرىء فى العيش ليس بمكلوم
يعيش شقُّى الناسِ من خيرِ عيشه	وإن كان يسعى فى الورى جدّ مهموم
يظل فتى فى نفسه ذخر ذاخر	وإن كان محروماً كأنْ غير محروم
فما العيش إلا حكمةٌ وتهادنٌ	فيخلط مجهولاً لديه بمعلوم
ويخلط حلواً فى الحياة بحنظل	ويأخذ من عيشٍ حميدٍ ومذموم
وقد صحّ أنَّ الجدَّ يلهى عن الأسى	وإن كان جدّاً لا يجىء بمغنوم
وكم نُهزة بالحسِّ لم أحسُ خمرها	حسوت بنفس تستقاد بتكريم
هو الروح مثل الحسِّ فى كلِّ لذةٍ	وليس نعيم نال روحٌ بمحلوم
وطالعتُ فى سِفر الحياة كأننى	ظفرتُ بسفرٍفى التجارب مرقوم(١)
فما نفع هاتيك التجارب هديها	وليس أخو التجريب فينا بمعصوم
ولكنّها لذات نفس تمرّست	بوقعٍ مرجًّى أو مواقع منقوم(٢)
فمنها مصيفٌ للنفوس ومربع	ومنها كعام المحل ليس بمرهوم(٣)

(١) مرقوم : مكتوب . (٢) الواقع : المكان المرتفع من الجبل ، والسحاب المطمع ، والمنقوم : المكروه . (٣) المحل : الجدب . والمرهوم : المطير .

المثل الأعلى

يزعم الزاعمون أن أخس الـ ... خلق فى النفس لازب لن يزولا

كيف لا يخلد الخسيس من النفـ ... ـس إذا ما اعتقدت أن لن يحولا

مرحبا بالمحال فك عن النفـ ... ـس من العجز والقنوع كبولا

يشرق المرء بالزلال فهل كا ... ن زلال من أجله مرذولا

إنما التذت الحياة لأنْ كا ... ن ستير من أمرها مجهولا

كل معنى عرفته كان مملو ... لا ومعنى جهلته مأمولا

إنى ولعتُ بروقةِ الأحلامِ ... أآلام فى طربى وفى استغرامى ؟

دنيا يشطّ بها المنامُ إذا نأى ... صدُّ الحبيب يشطُّ بعد لمامِ

ومن استنام إلى الحقائق لم يجد ... عزماً سوى ناب لديه كهامِ

عجباً نعافُ الخيرَ وهو محبّب ... حتى كان الخيرَ فى الإحجامِ

جهل الورى فمضى الورى فى الشرإ ... نَّ الخيرَ كلَّ الخيرِ فى الأحلام !

مافى الوجود حقيقةٌ غير النهَى ... فاطمح بنفسك للذرى والهام

أتنال أوهامَ الحقائق قانعاً ... وتعاف خيرَ حقائق الأوهام ؟

والعيشُ إن لم تبغه لعظيمة ... فالعيش حلم طوارق الأعوام

لفررت عن دار المذلة والأذى ... لو فرَّ بعضُ الناسِ فى الأحلام

وبدا له بين الحقيقة والكرى ... بابٌ لولاّجِ العوالمِ سامى

فيفرُّ منه إلى الفضائل والنهى ... وينال ما يغلو على المستام

إن خلت أن الذام ضربةُ لازب ... فى النفس كيف تعاف ضرَّ الذام ؟

والنفس إما شئتَ كانت عالما ... يسع الدُنى فى طوله المترامى

فكأنما جزعَ الزمانَ جناحُها ... فرأته من خلفٍ له وأمامِ[1]

وكأنما حد الفضاءِ يحدها ... يا طيبه من منزل ومقام !

فإذا سكنتَ إلى مجالى عيشها ... ذللتها بخزامةٍ وزمام

ورأيتَ عالَمها الوسيعَ كعالم ... للنمل يصغر عن مدى الإعظام

لو كنتَ تعرف قدر مقبل علمها ... أو جهلها لكشفت كل قتام[2]

وعرفت ما العرفان لا يلوى به ... أقصرْ فليس مرامُه بمرام

والمرءُ يضمر للبعيد مهابة ... فإذا دنا ألفاه حظّ طغام

ويرى المحبّب بين ذين يرومه ... بالنصر آونةً وبالإكرام

ولربّ نفسٍ كالخشاشِ مطارها ... زحف الصلالِ تدب فى الآجام

أنى يكون معبّد لحياته ... بين الأباةِ الصيد والأعلام[3]

ولربّ مصفودٍ بلذة عيشه ... كالنحل يصفد فى الجنى بحمام[4]

ومن النفوس ذوات أجنحةٍ ترى ... كالطير ناهضة على الآطام[5]

ولذاذة الآثام فى ندم عليـ ... ـها قد أتيح لجدّة الآثام

إنّ السكينةَ قد يملُّ نزيلها ... حتى يلذ العيشَ فى الآلام

بئست حياة قد رضيت براكد ... من أمرها وقنعت بالإجمام[6]

فالنفس للمثل الأجلِّ طموحها ... كالنجم يهدى من وراء ظلام

طوراً كما رقص السرابُ وتارةً ... يشفى به من غلّةٍ وأُوَام[7]

كالبدرِ فى ليلِ العواصفِ ساطع ... فى أفق مخشى الزماجر طامى

---

(١) جزع المسافة : قطعها (٢) القتام : الغبار والسواد (٣) المعبد : المذلل

(٤) المصفود : المقيد (٥) الآطام : الحصون (٦) الإجمام : الإراحة (٧) الأوام : العطش .

يبغى به الملاّحُ هَدْى سفينه — فى زاخر باللجُ كالآكامِ

كم صان من جاشِ الحزين وكشَّفت — لمحاته من سُدفة الإظلامِ

من ذاد عنه النفس يخشى هلكها — كمعالج للظمءِ خوف جمام(١)

صنو الذى لم ترضه لمحاته — من يبتغى فى النجم فضل ضرام

لولا وقوع شعاعه فى نهجها — ضلّت عليه طليقة الأيام

والمرءُ إن نبذَ الكمال وهديه — شقَّ العصا وأحلّ كلَّ حرام

ورأى الأنامَ فريسةً مذخورة — لموفقٍ فى شرِّه عزام

ولقد يعود قذى يصيب به العمى — فينال من عزمٍ ومن إقدام

كالنار يهلك حرّها وضياؤها — يعشى وفيها من هدى وقوام

يحكى أضاميم السَقَام ولوعه — فكأنه سقمٌ من الأسقام

ولطالما خاض الفتى من أجله — كيما يكون زواخر الآثام

أقسى الأنام من استبد به الحجى — فسها عن العبرات والآلام !

الفصول (٢)

طيرى أمانىّ النفوس وغرِّدى — فلقد دعاك الروض خير دعائه(٣)

هذى عيون للطبيعة قد رنت — فى الزهر من أكمامه وخبائه

بسط الربيع على الحياة رِدَاءَه — ياليتها أبداً تُرَى بردائه

بل ليته بُرْدٌ نخيطُ على هوى — هذى النفوس لكى تُرى بروائه

---

(١) الجمام : مقادير المياه أى خوف الغرق يأبى أن ينقع غلة

(٢) أعيد نشرها بمجلة الرسالة عدد ٢٤٩ فى ١١ أبريل ١٩٣٨ بعنوان « الفصول » : وكانت فى الأصل بعنوان « الصيف » .

(٣) فى الأصل – دعاك الصيف

والشيء لولا أن يَرُوعَ بفقده ... ما شاق عند قدومه بلقائه

* * *

لا كالشتاء تزايلت أوراقه ... كتزايل المهجور عن قرنائه

تتناثر الأزهار عن أفنانه ... كتناثر اللّذات من أهوائه

وتخال إذْ دَلَفَ الشتاء كأنما ... ساق السَّنا بِدُبُورِه ورُخائه

هَرَبُ الضياءِ من السحاب وريحه ... هَرَب الكَعَاب من الهوى وقضائه[1]

فرّ الخريف من الشتاء وخلفه ... عادٍ يريد لحاقه بجرائه

مثل المريض يفرّ من عادى الردى ... هيهات ذا ، والدّهرُ من أعدائه

راع الشتاءُ بقُرِّه فكأنما ... أنفاس ثغر الموت قُرّ هوائه

والريح مثل فم الشتاءِ وصوتها ... شكوى العجوز يخاف من أبنائه

نقمَ العقوقُ فقام يشكو أمره ... للناس ينشد آسياً لبكائه

والأرضُ تنظر فى فروج أديمها ... نظر الفقير إلى ثقوب ردائه

من بعد ما نفدت نفائس كنزه ... سَرَفاً وشحَّ العيش بعد سخائه

وكأنما دجَنُ الشتاء مقطِّباً ... ذكرى العجوز لزهوه وفتائه

وكأنما دوح الخمائل فى الدجى ... نشوى شياطين انتشت بسقائه

شربت من الإظلام حتى أكثبتْ ... تبغي النهوض كَمكْتَبٍ من دائه

فى كل غصنٍ فى الظلام نواظر ... كنواظر للغيب خلف كِفَائه[2]

وكأنما دوحُ الظلام ثواكل ... لبست حدادَ الثكل فعل نسائه

تحنو عليك غصونُها فكأنما ... تبغى سرار السمعِ من إصغائه

والدوحُ يهفو كالمؤرّق فى الكرى ... يلوى على الأفنان فضل كسائه

(١) فى الأصل : هرب الضياء من الرياح إذا سطت .

(٢) الكفاء هنا : الغطاء .

تتـــــــردّدُ الأرواح فى أفنـانـه كـتنفّس الرعـديد فى لأوائه[1]

وكـان فى إطراقـهـا وسكونـهـا فكرُ المصـيخ لروحـه ونـدائه

ياليت بعض العـمـر تُقطَعُ بِيدهُ وَثبـاً ويُمْـهِل فى سنىً رخـائه

كـالسِّفْر تقـرأ بعـضـه مُـتريّثـاً جـذلاً وتطوى بعـضـه لهـرائه

أوليت حادى الأرض يعكس سيرها عن بعض دورتهـا بوقع حـدائه

أوْليت هذا الدهر عـقـربُ سـاعـة يَلْوِى به عن نحسـه وشـقـائه

آمـال أمس كـزهرة قـد صَـوّحَتْ عـود الربـيـع مـجـدّد لرجـائه

يانفس لا تأسىْ لعمر قـد مـضى بربيـعـه زمن أتى بشـتـائه

تَتَشـوّفين إلى قـديم عـهـوده نَظَرَ الغـريق إلى السُّهَى وسـمـائه

بُشـراكِ خلف الموت لو تردينه نبت الربيع يروق فى غلوائه[2]

كالطير بعد الصيف تترك عشهـا نحـو الجنوب ترود أرض ثوائه

* * *

عطف النسيم على الأزاهر هامسـاً أنَّ الربيـعَ سـعى إلى نـدمـائه

إنّ الربيع أخـا الصـبيـحـة مقـبلٌ إقـبـال وجـه الحبِّ فى لألائه

كـالظئـر بَشّـرت النؤوم بأن بدا فـجـرٌ لعـيـدٍ كـان قيـدَ رجـائه

والقلب مثل الطير فى وضح الضُّحَى يتلو على الإصـبـاح آى غنائه

وكـأنما أمّ الخـلائق دوْحـةٌ من قـبل آدم فـهى من قـربائه

تشـدو كَـشـدْو الأمّ ناح وليـدها تحنو عليـه لصـونه ووقـائه

والريح طيـرٌ شـاد فى أفنانهـا وكـراً كـأن الزهر من أبنائه

---

(١) اللأواء : الشدة . وفى الأصل : .. فى أفنانها (٢) فى الأصل - أرض الربيع ..

وكأنَّ أجنحة الملائك نسمها ... نَسَمٌ يطبُّ برفقه وصفائه

وكأنَّ ينبوع الحياة غديرها ... خُلْدُ الصّبا في جرعةٍ من مائه

والقلبُ مثل النهر باشَرَ ماءَهُ ... جسم الحبيب تراه في سُوْدائه(١)

أَهْوَاك ياروح الربيع فهيِّئي ... جسماً كجسم الغيد في لألائه

ثم ارقصي بين الخمائل في الضُّحى ... رقص المدلِّ بحسنه وبهائه

فلعلَّ في قبلات ثغرك برء ما ... أعيا الأنام بحكمه وقضائه

أرد الخلود بقبلةٍ وبضمةٍ ... تروى ظماءَ الخلد من لميائه(٢)

والزهر يبعث بالطيور إلى الضحى ... تُفْضي إلى الآفاق من أنبائه

الأرض أمٌّ للخلائق كلهم ... والشمس بَعْلٌ شاقها بفَتَائه(٣)

فالناسُ والأطيارُ في وَضَح الضحى ... والزهر في الأكمام من أبنائه

النارُ والأمواهُ من آبائنا ... والنار والأمواه من آبائه

يهنيك يادوح الخميلة بعده ... نسيان نيسان وطيب هوائه

تنسى الربيع كأنه ما زفّه ... نغم البلابل في مثير حُدائه

لا تمنع المشتاةُ عَوْدَ زهوره ... وأريج نسمته وحَلْي كسائه

يا ليت طيب العمر يُنسى وِرْدُهُ ... فأَبيتُ مثلك لا أحَنُّ لمائه

لكنَّ طيب العمر ليس بعائد ... لأخي صَدىً يُظْميه صَوْب بُكائه

وترى كحالات النفوس تغيّراً ... في روضه وسمائه ونِهائه(٤)

فكأنما للكون روح خُلْقُه ... يبدو لنا في غيمه وضيائه

تتغير الأشياءُ فوق وجوهه ... لتغير الأشجان في حَوْبَائه(٥)

من لي بأجنحةِ الزمانِ أهيضها ... كي لا يطير بصفوه ورخائه

(١) سوداء : قلب (٢) لمياء : شفة (٣) فتاء : سخاء وفتوة

(٤) النهاء جمع نهي : الغدير . (٥) الحوباء : النفس .

أوْليتـه الغَـرِد الحبيسُ أُقيمُـه كـيمـا أُراح لشـدوه وغنائه

كي يذكـر العهـد الأنيق وأوجهاً كـانت تطلُّ على وذيلةِ مـائه[١]

خلع الجمـالُ قناعَـه وسعى إلى عشّاقـه وعفـاته وظمـائه[٢]

والمرءُ لولا صَيْفـه وربيعـه مـاذاق حُلْمَ السّعد في لأوائه[٣]

والروضُ بابٌ للجنان وثغـرة منهـا ترى الفـردوس خلف فنائه

وكـأنما صبغ الأزاهرَ صابغٌ فتكاد تأخـذ منه إثرَ طلائه

والضوءُ غُدرانٌ ترقرق تبْرُها وأراق منهـا الأفق فضل إنائه

واللونُ شِعْرٌ للطبيعة وقعُهُ في العَيْن وقعُ اللحن في سودائه

شهِدَ الشتاءُ بأن أفق سمائه أدنى إلينا من قصيٍّ فضائه

والنفسُ تعظم في الربيعِ كأنها في زهره ونسيمه وصفائه

والضوءُ خمرٌ للنفوسِ ونشوةٌ ودم الحيـاة يشـام في أثنائه

والأرضُ كالحسناء قُدَّ قميصُها فبدت محاسنُ جسمها ووَضائه

فكأنما رفع الربيعُ حجابَها فانجاب ستر الحسنِ عن حسنائه

والضّوءُ كالحسناءِ بُزَّ رداؤها فأماطَ عنها العُرْيُ ستر غطائه

والقلبُ مثل الطير هِيض جناحُه في نَزْوِه وحنينه وغنائه

والطيرُ أفواه الرياض فشدوها أبداً يزجّي الدّهرَ وقْعُ حدائه

وكـأنما نغمُ الحفيفِ هواتف في القلب دوّت منه في أنحائه

والضوءٌ من خَلَلِ الغصون كأنه طيرُ الفراشِ تراه من شجْرائه

وكـأنه والقلب يذكو شجوه شـرر الغرام يطير من حَوْبائه

نثرتُ ذكاءُ على البسيطة عسْجداً فاذخر ليوم الدَجْن كنز ثرائه[٤]

ولكل شيء منطقٌ يشدو به والنفسُ تعرف كنه سحر غنائه

---

(١) وذيلة : مرآة (٢) عفاته : طلاب فضله (٣) لأواء : شدة (٤) الدجن : الغيم المظلم .

تتلو عليك الطيرُ طيبَ ثماره ... وأَريجَ روضته ورقة مائه

والحسنُ ظلٌّ للسعادة في الورى ... إنَّ السعادة لا تُرى بفنائه

ظلُّ الجنان على البسيطة واقعٌ ... فاستقبل اللَّذات من آلائه

يُنسي الحياة وبؤسها وشقاءها ... حتى يخال الحُلم أصل شقائه

فكأنه كون حلمت بحسنه ... حتى نقلت إلى ذُرَى خضرائه

هذي الطيور صوامت كنواطق ... ذخر النسيم نشيدها لهوائه

* * *

وكأنما زهر الخميلة إن بدا ... حُلُمُ الهوى في طيبه ووضائه(١)

والطيرُ أرواحُ الزهورِ وصَيْفُها ... عهد الشباب يروق في لالائه

ضحك الزمان فذاع من ضحكاته ... صيف يعيد الحبَّ في غلوائه

والقيظ يزفر بالهجير كأنما ... يتنفس الولهان من بُرَحَائه

فكأنما مرحُ الحياة وحسنُها ... لهب ترقرق في خفيٍّ دمائه

وكأنما نغمُ الطيورِ أريجُها ... يُسقاه زهر الروضِ في أَنْدائه

فيحيله نشراً يَضُوعُ ورونقا ... يشتار منه النحل أرْىَ عطائه

ودّت ذوات الحسن أنَّ حُلِيَّها ... كحُلِيِّه ورداءها كردائه

مرح الكعاب الرُّودِ في خطراتها ... كالنهر يرقصُ في ترقرق مائه(٢)

والريح تعبث بالغصون كأنها ... طفلٌ يعيث على رؤوس إمائه(٣)

وترى جذورَ الدَّوح مثل أصابع ... بسط الشحيح يصون كنز ثرائه

وكأنما نغمُ البلابل مَطْرَةٌ ... فوق اللُّجين شجا مُرِنٌّ إنائه

تندى على القلب الجديب فينثني ... روْضاً يرفّ بزهره وأضائه

---

(١) الأصل : في طيبه وسنائه (٢) في الأصل : عنواتها (٣) في الأصل : على شعور

والزهرُ في وَضَح الصبيحة قد صحا ... صحوَ المفيق من الكرى وقضائه
وجلت ذكاءُ ندى الزهور كأنها ... أمُّ الوليد تزيل فضل بكائه
حتي إذا اشتدّ الهجير حسبته ... نشوان أثمله اللظى بسقائه
وإذا الأصيل علا السماءَ حسبته ... ذا لوعة حانت نوى قربائه
وحمَى على قُبَلِ الظلامِ ثغوره ... كمعشّقٍ متستّرٍ بردائه
وتراه يرنو للنجوم كأنها ... حُلُمٌ يُطِلُّ عليه في حَوْبائه[1]
كالطفلِ يُبْصِرُ في الوذيلة وجهه ... فيخال ذاك الوجه من قرنائه
تحكي النجوم الزُّهْرُ في دوْراتها ... رَقصَ المدلّ بعيشه وروائه
والنجم من خَلَل الغصون كأنه ... ثمرٌ تَدَلَّى من عليّ سمائه
درس السماء صفاءها وضياءها ... حتى جرى بعروقه ودمائه
والحي يحيا كالذى هو ناظر ... كالأُفْقِ يُرْسَمُ في متون نهائه[2]
والزهرُ يحلم بالفرادس طرفه ... حلم الغريب بأهله وفنائه
حَسِبَ الطيور تحاملت عن قلبه ... وبدت تبوح بشجوه ورجائه
والقلب مرآة الزمان فصيفُه ... في صيفه وشتاؤُه كشتائه
والكونُ مرآةُ الفؤادِ فقبحُه ... وجمالُه في نحسه ورخائه
والضوء مثل دم الربيع فلا تَعفْ ... جُرَعًا تنيلُ الخلْد من ضَذائه
هذي الطيور لسانه وغناؤها ... مستأنف من شدوه وغنائه
والزهر في حرّ الهواجر نائم ... سحرته باللحظات عين ذُكائه[3]
والأرض تحلم بالجنَان فصيفها ... حُلُمٌ يزيح القلب من ضرّائه
بسطَ الجمالُ على الفضاءِ جناحَه ... فالصيف من لألائه ورُوائه
فكأنه مَلَكٌ يُحلّقُ فوقها ... فتصيب من آلائه وعطائه

---

(١) الحوباء : النفس (٢) النهاء على وزن فعال : الغدران (٣) ذكاء : هي الشمس .

ياليت أنَّ المرءَ في أرجائها متفرِّقٌ في أرضه وسمائه[1]
حتى يصيرَ من الجمال بمنزل في مائه ونسيمه وضيائه
وتظل تسمو النفسُ في آفاقه كالطيرِ حلّق في أديم فضائه

خواطر الأرق

ياليلُ أين أليفُ الهمِّ والذكرِ مسهَّد القلبِ عون لي على السهرِ ؟
وصاحب الهمِّ يبغي صنوه أبدا كساهرِ الليلِ يقضي الليلَ بالسمرِ
فقل لأحلامك اللاتي نراح لها قَوْلي لمن هو روح الضوءِ والبصرِ
خاض الزمانُ مياهَ الحبِّ فاعتكرت كخائض النهر أبدى كدرة العكر
مراسم لك دون القلب يدرسها كالريّح تمحو ظلالَ الزهر في النهَرِ[2]
وعنكبوت من النسيان ناسجة خيطاً على القلب يخفي أنفَسَ الذخر
جلت عن القلب ذكرى منك طارقة كمن يزيح القذى عن شرعة الغدر
فابعث بذكراك في قلبٍ نبت به كالجذر مستوثقاً في منبت الشجر
فإنَّ زهرة حسنٍ أنت لابسها تسقى دمي مثل ريِّ الماءِ للزهر
والذكرُ كالطرف إما نابه أرق ياعازبَ النومِ أسدل حاجب الذكَر !
خواطر كطيورِ الروضِ سانحة تستدرج القلبَ أخذ الطير بالنظر
إن غرَّبت فإلى ذكراك عائدة عَود الطيور إلى الأوكار في الشجرِ
قد قُلت للحبِّ لا تعتب على سكني لنبوةٍ منه في أيامك الأُخَر
كم لي وكم لك من يوم لنا بَهِجٍ بطلعةٍ منه تحكي طلعةَ القمر

---

(١) في الطبعة الأولى : في أرجائه متزايل في أرضه (٢) يدرسها : أي يمحوها .

إن يقس قلبك فالأقدار قاسية ... وأسعد الناس من يأتم بالقدرِ

أو يجف قلبك فالأثمار يانعة ... ودون ذلك يُبْسٌ من نوى الثمرِ

أو كان قولك مرَّ الطعم لاعجبا ... فإن ثغرك كأس العابس الأشِرِ[1]

فارجم بقلبك قلباً أنت مالكه ... فإن قلبَك مثلُ الماس في الحجر

ولست أول من أصمى فلا حرج ... للناس رجم كرجم القرد بالمدر[2]

لم يترك الناسُ من قلبى له رمقاً ... حتى أقول تحرجْ من دمٍ هدِرِ

يرمونني بقلوبٍ في مودتهم ... أقسى من الصخر فعل الراجم المكر

كأنها بعض أحجارِ الجحيم رَمت ... بها شياطينُ تبدى صورةَ البشر

والحبُّ كالبحر لا يخشى به غرقا ... من غاص فيه على الأصداف والدرر

وخالطٌ في الهوى لم يدر لذَّته ... كخالط الكأس أخطا لذة السُّكْرِ !

غل السرائر

لقد عابنى للناسِ أنْ عفتُ لؤمَهم ... ومن لم يسغه فهو أجنب بائنُ[3]

وإنّ رضاءَ النفسِ ما ينبغى لها ... وليس رضاءُ النفس ما هو كائنُ

فيا عائباً نفسى بقولة كاذب ... وما عاب نفساً جائر القول مائن[4]

أتبصق في المحراب وهو مطهر ... وتحسب أن البصقَ لله شائن ؟

يقولون : رزق المرءِ مفتاح قلبه ... ألا إنه قفلٌ على القلبِ صائن

فدع عنك هذا الناس إن كنتَ فاعلا ... يكاد المبادى والصديق المداهن

أقولك للأنعام عزى يعزها ... وإن قلت لليث اصطبر هو ساكن!

وكيف يطيبُ العيشُ للمرءِ وحده ... ومن حوله في الناس باكٍ وحائن[5]

---

(١) أشر : بطر (٢) المدر : الطين (٣) بائن : فاسد

(٤) مائن : كاذب (٥) حائن : مصاب : محروم

يضير شقاءُ الخلقِ من حيث لا يُرى ... كما تطرق العدوى وإن قيل آمن
يقارب في بغضى عدوّ عدوه ... كما اقتربت في الصدر منه الضغائنُ
ولحَّتْ صدور العجم تضمر بغضتي ... فقد شاكلتها في الأنام القرائنُ[1]
ومن نغص الحساد نعمى يسيغها ... رأى أن لحظَ الشمس في الأفقِ عائن[2]
سخائم لا يدرى سوى الموت سلها ... إذا بشمت منها النفوس البوائن[3]
لئن بلغ الإنسان أفق وهاده ... تعجب من غلٍّ طوته البواطن
وقد يعجب الإنسانُ من غلّ غيره ... وقد عمرت في الصدر منه المواطن
وكل امرىء فينا حسودٌ محسَّد ... ولكنْ على قدر النفوسِ التباين
لئن كان في نفسي عدوٌ أخافهُ ... فلا غروَ إنَّ الناسَ عادٍ ولاعن
حياتي حياةٌ إن يلح ليَ حسنُها ... يهشّ لها من سادرِ الموتِ ماجن
تضيء شموس المجد آثار من مضوا ... أتدفا منها في الضريح الدفائن ؟

آلة الضمير

ألا من لدهر وأيامه ... وخبَّ يكيد بإيهامه
يودّ عشير الورى صنوه ... لكيما يسرّ بإيلامه
وليس الضميرُ لخير سواه ... ولكنْ ليحظى بأحكامه
ليمنع إتيانه مأثما ... يرى مهلكاً دون إنعامه
فإن لم يجد فيه هلكا يعاف ... تناءَى الضمير بآلامه
فلا تبتغ النصف من خيِّر ... يرى الطهر في روث آثامه[4]

(١) لحَّ : التفت مضايقه ، اختلط عقله (٢) عائن: محتبس (٣) السخائم : الضغائن
بشمت : أتخمت . البوائن : المتباغضة . (٤) النصف : العدل .

هل التبر يحمر من سفكه ... دماء تصيح بإجرامه ؟
وما الناسُ إلا أخو خجلةٍ ... برئ شقىّ بأحلامه
وذو لوثةٍ ماله من حياءٍ ... يخفّض من حقٍّ إكرامه
فداو الحياءَ ببعض الشرور ... لتفلت من ظنٍّ لوّامه !
وما كلُّ باغٍ لخير الشرو ... رِ ينقع من غلٍّ تهيامه
بقدر تُقاكَ يضيرك شرٌّ ... كَ ضيرَ النقيض بإلمامه[1]
وبعضُ الضمائرِ داءٌ عياء ... يذلُّ البرئ بأسقامه
وآخرُ كالسيفِ حرب الخطوبِ ... ونور المغذٌ بإلهامه[2]
ومن لذة العيشِ جهلُ المغا ... ـر لؤم الضمير وأوهامه
وذلك من خير هذى النفو ... س ، والشرّ يثنى بإبرامه

دعوة المصلح

ألا يا صيحة أطلـ ... ـقها المحتثّ فى الوادى
لئن كنت طواك الدهـ ... ـر فينا طىّ أبْراد[3]
أما يزجى خفاء البذ ... ر زهر الفن البادى ؟
سقاك السامعُ الواعى ... بصوبِ الرائح الغادى
وغنّى هاتفُ النفسِ ... بغصنٍ منك ميّاد[4]
ففى النفسِ بلاغٌ منـ ... ـك مخبوءٌ لميعاد
وفى النفس اقتدارٌ منـ ... ـك مثل الضّيغم العادى[5]

---

(١) ضاره ضيراً : أضر به (٢) المغذ :المسرع فى سعيه (٣) البرد : ثوب مخطط ، والجمع أبراد . (٤) المياد : المتمايل (٥) الضيغم : الأسد ، والعادى : العدو .

غداً ينفجر الصخرُ ... برىّ الهالك الصادى[1]
وصمتٌ منك قد يحدو ... بإبراقٍ وإرعاد
وإنَّ الدهر بانيك ... بأطنابٍ وأعماد[2]
وخصّت لك فى الغيب ... مقادير بمرصاد
وكم من دعوةٍ قامت ... مقام الماءِ والزاد
وكم من خافت الأصوا ... تِ ذى وعد وإيعاد
سيسعى لك أفواج ... بإتهام وإنجاد
ويهفو منك فى الأقوا ... م من غىٍّ وإرشاد
ويحكي صادر عنك ... إذا ما سرَّ بورّاد
وكم من مختفٍ ينخـ ... ـر فى صرحٍ وأطواد
ألا يا صيحة خيلت ... أضلَّ طريقها الحادى
وظلّت وهى كامنة ... كمونَ الصلِّ فى النادى
كما تختمر الخمر ... ةُ فى الدَنِّ لميعاد[3]

الشهرة بعد الموت

ما أحسن الصيت لو أن الفتى ... يزاد عمر الصيتِ فى عمرهِ !
أما ولا نفع يرجّى به ... واغَبْنةَ الميت فى ذكره
يهدم من لذات أيامه ... كيما يُشادُ الذكر فى قبره!
وما رأينا بائعاً من غدٍ ... بما مضى بالذكر من دهره
بشهرة من أزلٍ غابرٍ ... ليومه المُعْنِق فى فرّه[4]

(١) صدى : عطش عطشاً شديداً فهو صاد (٢) أطناب : حبال تشد بها سرادق البيت ، عروق الشجر
(٣) الدن : الوعاء . (٤) المعنق : المسرع .

سيّان صيت قد مضى عهده | والمقبل المرجو من أمرهِ
والذكرُ ظلٌ لحياةٍ مضت | يخفيه جرمُ الدهرِ في مرِّه
ورب ظلٍ خلف ساعٍ سعى | والظلُ كالمُعنق في إثره
صيت يعيد الذهنَ كالمنتضى | والسيف راق العين من شَهْره[1]
والنفسُ تبغي الخلدَ في وهمها | والوهمُ مثل الحقِّ في خدره
فالبُطل في إيمانها نافع | إن لم يربها الوهمُ في غدره
تحتال بالأهرام طوراً وبالـ | ـقرطاس يحوى اللبَّ في سِفْره[2]
سفائن لابد من هلكها | إذا استفاض الدهرُ في بحرِه

دلال الربيع

أنت روحُ الربيع حين تلالا | يا ربيعاً زاد الربيع جمالا
غير أن الربيعَ وهو عزيزٌ | ليس يسلى عن الحياة رجالا
إنْ أتى كان قُرَّةً ووصالا | أو مضى كان ذكرةً ومقالا[3]
أيها المعرض المدلّ بطرف | وبثغر يحكى لنا الجريالا
زد مطالاً فلست أبكى وصالا | تهْ دلالاً فلست أخشى دلالا
أنا كالليل يفزَع الغرّ منه | ويزيد الحكيم فيه جلالا
ويرى الرأى فى الدُجنة ما لا | تبصر العينُ حكمةً ومقالا[4]
هو نعم الطبيب إن كرث الخط | ـبُ وأنحى على اليتيم وطالا
وابتدار الربيع عانقه كا | نون أرعى من أن يطيل زيالا[5]
وسريع كرّ الزمانِ فإن فا | ت شتاء حدا الربيع زوالا

(١) انتضى السيف : استله من غمده ؛ وشهر السيف : سله فرفعه .

(٢) السفر : الكتاب الكبير (٣) قرة العين : ما تسكن إليه وتسر .

(٤) الدجنة : الظلمة (٥) زايله : فارقه .

وطلوعُ الربيعِ وهو قرين لشتاءٍ أرجى وأجدى نوالا
ضمّ قلبى من الحوادث ذخرا تارةً مطرة وطوراً هلالا[1]
ياشبيهَ الربيع إنَّك حال وفؤادى قد شامَ حالاً وحالا
وفؤادى كالكون لا بل هو الكو نُ حوى منك نضرةً وجمالا
فابتعد إن قدرت هل يجد البـ ـدر عن البحر والسماءِ مجالا
وائتنى فى الشتاءِ أرتجع الصيـ ـفَ إذا شئت قيظه والظلالا
بزفيرٍ يحيى الغصونَ ويلقى فى رواءِ الزهور سحراً حلالا
فيفرّ الشتاء فى غابر الدهـ ـر ارتياعاً وحيرةً وضلالا
غير أنى أقلى من الصيف إن جا ءَ وقد آذن الربيعُ ارتحالا[2]
يا ربيعاً مضى وخلّف فى القلـ ـبِ غراماً كالصيف أوفى وغالى

ربيع القلوب

ربيعَ القلوبِ وعهدَ الزهور مطارك مثل مطار الطيور
تضمّ لنا الإلف بين الوكور معللنا بالرجاءِ القصير
وخادعنا عن صروف الدهور وخير الخمار خمار السرور
وخيرُ زمانٍ زمان الزهور وعهد الهوى ونجيّ الصدور
ويارُبَّ عهدٍ كوجه البشير كثير الأمانيّ جمّ الحبور
وهلى يصقلُ العيش غَير الغرور وهل يشبه الزهر غير الثغور؟
تمرُّ علينا بلفح الحَرُور وطيبِ الزهور ونفح العبير[3]
وتخلف ذكرى كشدوِ الخرير ربيع القلوب وعهد الزهور

---

(١) المطرة : الدفعة من المطر ، والهلال : أو ل المطر وقليله (٢) قلا : أبغض

(٣) الحرور : الريح الحارة .

فقم واستمعْ نصحَ هذى الطيور | تقول اغتنم صفوَ عيشٍ نضير
ولا تغبنن فى الشباب القصير | فعهدُ الشبابِ كعهد الزهور
فيا قمراً فى ليالى الحبور | طلعت علينا طلوعَ البدور
لتغرب فى ظلمات القبور | تمتع بضوئك قبل المسير
فمكثُك فينا كمكث الزهور | وملكك فى ضوءِ هذا السفور
وعادى الردى يده فى النحور | وفى كل جيدٍ ممرّ الجرير[1]
وكم ثمر عَطِن فى الثغور | ويعبث بالزهر عصفَ الدَبور[2]
ولا يندمُ المرءُ قبل القتير | وقبل انجلاء غشاء الأمور[3]
فإنّ الشبابَ كثيرُ الغرور | وفعل الرجاء كفعلِ الخمور
وهل ينفعُ المرءَ وعظُ النذير | إذا فات عهدُ الشبابِ النضير؟

حقيقة أم وهم

إن يكن ريع من خرائب نفسٍ | فى ضلوعٍ من الحوادث درسٍ
فبما قد أفاض من وَضَح الحسـ | ـن عليها كالبدر فوق الرَمْسِ[4]
أو أكن قد بكيت للنأى فالأر | ض تريق الندى لنأى الشمسِ[5]
ولو أنّ الأيامَ تدرك وداً | لبكى لى من حرقة النأى أمسى
أنت نفسى وليس من حقٍّ نفسى | أن يقولَ العذولُ أبغضت نفسى
أشقاء فى الحب قد صارَ سعدا | أم هو السعدُ حائلٌ للنحس
فكأنى أحببتُ منك خيالاً | خلت إياك غير جسمٍ وجَرْس[6]

---

(١) الممر : المحكم الفتل ، والجرير : الحبل (٢) الدبور : الموت (٣) القتير : الشيب .

(٤) الرمس : القبر والتراب (٥) النئى : البعد (٦) الجرس : الصوت .

وكـــانى لم أُلفِ بعـــد لقـــاءً أتقـــرى اليـــقين منك بلمسِ

فلعلّى إذا لمســـــتُك لم أُلـ ـفك فـينا إلا مـجاجـة شـمسِ

إن تكنْ قــد نفـيت عني آمـــا لى وجــرعـــتنى مـــرارةَ يأسى

فـــالأسى لا كـــانت إلفٌ ودود أنت خَلّفـتــه فــاكـثــر أنسى

فـهـو عندى وديعـةٌ فـاطَّرحـهـا فى ضلوعٍ على الصـبـابة حـبس

لو عـدانى نحس شـقـيت به منـ ـك لما خفّ من أسـاى ونحـسى

وشـقـىٌّ الهـوى ليـشـقى ولو أخـ ـطأ منه صُـبـابة المتـحـسى(١)

إنما السـعـدُ والشـقـاءُ من النفـ ـسِ فمالى أنحى على غير نفسى

سنَنٌ سنّهـا القـضـاءُ فـقـد أصـ ـبح حربى من كنت أعتدُّ تُرْسى(٢)

عالم الحسن

ذرانى أُبيحُ الحسنَ قـودَ عنانى فـهـذى عـيـونٌ للمنون ترانى

وأكـبـر مـا أقلى من الموت أننى إذا متُّ لم أبصر وجوه حسـان !

فـفى كلٌ مـعنى فـتنةٌ ولذاذة وفى كل وجـهٍ للجمـالِ معـانى

فـمن لى بخلد أبصرُ الغيدَ كلهـا ســواء أقـــاصٍ فى الدنى وأدانى

وأبصر حـسناً أطفـأ القـبـرُ نورَه وأبصـر مـا لم يبـصـر الملَوان(٣)

وترنو عـيونٌ سوف يملك سحرها عنـان قلوبٍ نحـــوهـن روانى

وتبدو وجوه فى الغيوب مهودها وأســمع مـــا لم تســـمع الأذنان

كأنى بتربى يعرف الغيد إن سعت عليـه فـتدوى الأرضُ بالخـفـقـان

فيا عاشقيها إنَّ فى القبرِ عاشقاً وأى قلوبٍ فى التـراب حـوانى

---

(١) الصبابة : بقية السائل فى الإناء ، والمتحسى : الشارب

(٢) الترس : صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية . (٣) الملوان : الليل والنهار .

وقلبيَ عـودٌ أحكم الحسنُ لحنَه | فحسب الهوى من نغمةٍ ومثاني
تقاطر مـاء في المناقع من علٍ | تقاطر حسن الكون دون جناني
أحسّ إذا ما أبصر الطرف حسنه | كأن بسمعي أنّة لحناني
كأن وجوهَ الكونِ نغمةُ منشدٍ | يرتّل آمالي بغير لسانِ
فيا مَنْ ضياء الشمس بين عروقه | دماء تضيء الوجهَ بالجريانِ
ويامَنْ رحيق الخلدِ من خمر ثغره | يداوي به من غائل الحدثان
فلو نالَ منه خائف الموتِ جرعةً | إذاً لأصابَ الخلدَ كلُّ جبان
جمعت صفات الحسنِ والخلد كلّها | فلم يبق منها في الحسان معاني!
سواء حسان بعد لم يبد حسنها | وأخرى حداها الموت بالوخدان[1]
فما عشقَ العشّاقُ من عهدِ آدم | سوى لمعات منك غير دواني !
رميت جميلاً والوليد بفتنةٍ | وها إنَّ سهماً من هواك رماني[2]
دعاني دعاءُ العيشِ والموتِ دونه | فلبّيتُ فيك الشوق حين دعاني
دعاني دعاءُ الليلِ رقّ نسيمُه | وربَّ صموتٍ ناطق ببيان
دعاني دعاء البحر يشجو خريرُه | ويحكي عبابَ الدهرِ بالنهضان
دعاني دعاءُ الذكر والذكرُ هاتف | ويا ربَّ ذكر هاتف بأماني[3]
دعاني دعاءُ العود في البحر ليلةً | رعى البحر فيها بدرها ورعاني
دعاني دعاءُ الزهر والطيرُ روحها | تشوق فؤادَ الصبِّ للطيران
دعاني دعاءُ الفجرِ والفجرُ شائقٌ | كأنَّ انفجارَ الفجر خلق كيان

---

(١) الوخدان : الإسراع بالجري

(٢) جميل بن معمر العذري ، والوليد هو البحتري ، وكلاهما حلو الغزل (٣) تخفيف الأماني .

فلا تدعونْ قلبى إلى الحبِّ دعوةً ... لكيما تثيب الحبَّ بالشنآن(١)
دعوتك بالحسنِ الذى أنت ربُّه ... لكى لا تخال القلب نهزة جانى
ولا تنقمن أنى نقمت خديعة ... من الناسِ غالت مهجتى وجنانى
ولا يكُ فوضى قلبك الغضّ أنّه ... فؤاد على رعْيِ الأمانة حانى
فإن كان لى فى بعض خلقى ومنطقى ... شفيع إلى لقياك ليس بوانى
فحسبك فاصدع حاجب الود بيننا ... بإمرة معبودِ الجمالِ مدانى
وإلا فنا كرنى على الحبّ يسترح ... فؤادٌ حبيسٌ فى حبالك عانى
سواك يهزّ القلبَ كالطئرِ طفلها ... وأنت تجنّ القلبَ بالخفقان

اختفاء الحق

لو عددنا متاجرَ الـ ... ـحقّ ألفيت مفلسا
تاجر الحقّ بالمعا ... نى فقد نال واكتسى
كان يشرى نسيئة ... فرأى التَّجْرَ أبخسا
فاختفى خشيةَ القضا ... ءِ فهل ناله الأسى ؟
كتم العيش منزل الـ ... ـحقِّ إذ كان أخرسا
هو طبٌّ بأمره ... فحماه ليُبْلسا (٢)
علّموه خط ابن مقـ ... ـلة إن كان ألبسا
وسلوه يخطّ فى الـ ... ـطرس أسرارَه عسى
أو فصبوا له الشرا ... بَ ليفشى إذا احتسى

---

(١) الشنآن : البغض (٢) أبلس : تحير ويئس .

لمت قـومى لجـعلهم صـفـقـة البطل منفـسـا

ذلـك الحـقّ بـيـنـكـم بعـد مـا كـان أشـوسـا[1]

صـاح فى القـوم قـائل : إنـه عـاش مُـفْلسـا

وهو إن عـاش مـفلسـا كـان بُطْلاً مـقـدّسـا !

زورة الملائكة

مـرحـبـاً بالملأ الأعلى الذى شـرفت دارىَ منـه والفـنـاء

حُلمـاً فى النوم أم حـقـاً أرى يا ولاةَ الحقِّ يا أهلَ السـمـاء

يـا ولاةَ الحـقِّ يـا أهـلَ الـنُـهَـىِ تبعثون البرءَ فى جرح القضاء[2]

أسـعـدونى أقـتـبس من نوركم بُلْغَـةَ النفس وريّا للظمـاء

ملكُ الفـضل حَـيىٌّ لحظه وعـميمُ الفـضل قـرنٌ للحـيـاء

ملك الطهـر صـبـيحٌ وجـهـه إنّ وجـهَ الطهـر مـعـبـودُ الرواء[3]

ملك الحق اخـتـفـى فى نوره مـاأضلّ الطرف فى ذاك الضـيـاء

مـلـك الـرفـق دواء لحـظـه إنَّ بعضَ اللحظ يشـفـى كـالدواء

ملك الجـود ضـحـوك بشـره مثل ضحك التبر فى وجه الشقـاء

ملك العـفـو رجـيح رأيه إنما النقـمـة ضـربٌ من غـبـاء

يرحم الجـانى عليـه كـذبا ويرى الأفـعـال فى غـيب القـضـاء

طهـرت نفـسى فى أضـوائكم مـثلمـا تطهـر أجـسـامٌ بماء

وشـمـمت الخلدَ من أنفـاسكم نفس يشـفى من الداء العـيـاء

أسـمـعـونى منطقـا أحـيـا به يطرب النفسَ بألحـان العـلاء

---

(١) الأشوس : القوى (٢) النهى : العقل .

(٣) الرواء : ماء الوجه ، وحسن المنظر.

منطقـاً كـاللحن حلوٌ رجـعـه | لو وعـتـه الريحُ فى سـمع الهـواء
زورة فكّت أخـيـذاً عـانيـا | بحبـال اليأسِ مـصفـود الرجاء
وأرى فى النفسِ رسـمـاً منهمُ | مثل رسمِ النجمِ فى مَتن النُهاء[1]
وعـبـيـراً كـشـذا الأزهار إن | خلفت فى الأنف ذكرى كالذماء[2]
خلفـونى وادعـاً من بعـدهم | أحمـد العيشَ وأستقـصى البقاء

الأم المسكينة

أمُّنا الأرض كـالعـجـوز التى تشـ | ـقى وتسـعى لرزق نسلٍ كـثـيـر
فـإذا مـا غَـدَت تدلل طفـلاً | ضجّ طفلٌ من خلفـهـا بالنعـيـر
كـلُّـنـا ودَّ لـو تمـدّ لـه الأر | ضُ فـراشـاً من النعـيمِ الوثيـر
وتـغـنِّـى لـه بمـا يـطـرد الـهـ | ـمَّ كـهـزِّ الرؤوم مـهـد الصـغـيـر
وهى عـمـيـاءُ لا مـلام عليـهـا | لا يصيب الصوابَ غير البصير
لا ترى أدمعَ الشـقـىِّ ولا تبـ | ـصـر وجـهَ المحـزونِ والمصـدور
وهى صمّاء ماوعت صرخات الـ | ـنحسِ فى الخلق من شقاءِ الأمور
فـهى أولى برحـمـةٍ وبإشـفـا | قٍ عليـهـا من مـشـفقٍ وعـذير

جد أم لعب

يبكى برئُ الورى لمذنبـه | فـقلْ لراجى القـضـاء ريع به
ذا صـولجـان القـضـاءِ منفلت | أمـا ترى الليل ظلّ مـضـربه

(١) النهاء : الارتفاع فى النهار أو الماء (٢) الذماء : بقية الروح .

هذى كسرات الدنى تدار به لعبة من جدّ فى تطربه

فلا تقل حقّه وحكمته أتبتغى الحقّ بين ملعبه ؟

يا حيّةَ الخلدِ كم لبست وكم نضوت جلداً يشقى الأنام به[1]

كأنّ هذى الحياة غانيةٌ تعافُ بُرداً من بعد مطلبه[2]

كأنما الناس بُردها أبدا تعافُ ملبوسه لمعجبه

ثوباً فثوبا تظلّ تخلعه إذا خصىٌّ الحِمامِ آب به[3]

كأنَّ مرآتها الكمال فما ترضى بما لم يرق بمُذْهَبه

يا ضيعةَ الخلدِ لهو غانيةٍ يقضى به الخلد فى تسرّبه

وهكذا المرءُ عيشُه طلبٌ حتى ليؤذى بنيلِ ماربه

هل لنفوسِ الورى الظماء وهل للعيش من ناقعٍ يبل به ؟

أم ظِمْؤها قاطعٌ بان لها خير منالٍ تظمى لمشربه

أم ظمؤها غلّةُ الجريحِ أخى الـ ـداء هلاك لابرء منه به

اصبر

اصبر لعلّ النحسَ فى لونه إذا دجا ظلٌّ لِجرمِ النعيم

لعل دمعاً منك لم تحتسب ينبت زهراً فى اليبابِ العقيم

لعل دمعَ النحسِ درٌّ له يسلك فى عِقد الرخاءِ النظيم

والصبرُ طِرفٌ مجهد أعرج لكنّه يبلغ شأو الظليم

---

(١) أى كأن الحياة ثعبان والأحياء جلده الذى يغيره (٢) البرد : الثوب .

(٣) أى كأن الحياة فتاة من أهل الثراء تتعشق ثوباً ثم تعافه وتلقيه إلى خادمها الموت .

ومبتغٍ محو الأسى بالأسى كمبتغٍ بالزفر طرد الغيوم

أو مبتغٍ إطفاء شمس الضحى بنفخةٍ يرسلها فى النسيم

أو ناصب للريح أشراكه يرجع عنها وهو عين الكظيم

وهل زفير الحزن هادٍ لفلـ ـك الرُعب فى بحر الأسى والغموم

أطماعنا كالجنِّ إن رامها الـ أهوجُ تدمى قلبَه بالكُلُوم(١)

كالكلبِ يدمى قلبَ كلاٍّ به آنًا ويعنو للبيبِ الحليم

إذا هدى الناسَ ضياءُ الرجا ءِ اهتاجت الأطماع نار الهموم

كم خيبة تعقد عزم الفتى للنهر لولا الصخر خطو السقيم(٢)

صلع الدهر

من شعر السخر

ناصِ صروف الدهر مستقبلاً قَذَاله لو جزَّهُ أصلع !(٣)

فجزَّ من لمَّته خصلةً لعلّها من خلفه ترقع!

فالدهرُ إن أقبلت ذو لمةٍ لكنّه من خلفها أقرع !

مطلعُه مثلُ طلوع المُنى وحسرة ما خلّف المطلع !

ولا ترم بالذمِّ صفعاً له فإنما يصلع إذ يصفع !

قراعُه مثلُ قراعِ الظُبى وإنما يَقرِعِ إذ يُقرع !

فاطل قفاه بمدادٍ لعـ ـلّ اللونَ من روقته يخدع !

---

(١) الكلوم : الجروح (٢) لولا اعتراض الصخر فى النهر كان النهر بطيئا ، ولولا اعتراض العوائق كان سعى النفوس بطيئا (٣) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس جز الشعر : قطعه .

وغضّ عنه نظراً واعـيـا ... فـإنما يعـديك مـا يطبع !

وإن جـرى فى الدمٌ كـره له ... فخير ما يجدى لك المبضَع ![1]

حِجامةٌ لا شك فى نفعـهـا ... وقـد يضـير المرء مـا ينفع ![2]

ولا تعف صـحـبـتَـه ، إنه ... بالرغم من صلعـتـه أروع !

واحن له الرأسَ لكى لا ترى ... فـإنهـا من خلفـه تلمع !

قرد النهى

او الفلسفة الحديثة

لئن كان خلقُ القرد والناس واحدا ... وصدق ما خالوه من ذلك القول :

فسائل بهذا الدهر إن جدَّ جدُّه ... أيا دهر ما للقردِ ويبكَ والعقل ![3]

مقيمٌ على الدقعاء يسمو برأيه ... إلى خير ما جاءت به حكمة الرسل[4]

وقل لبغيضٍ يحسبُ الحقَّ جرعةً ... مقالَ رشيد القولِ والخلق والفعل[5]

جهلتُ ، ولكنى بجهلىَ عالم ، ... وإنك لا تدرى بما فيك من جهل

ودعهم ولج بالرأى فى كل مغلق ... فإنك يا قرد النهى معوز المثل

ولو كان ذاك العقل نقلاً حمدته ... ليهنك يا قرد النهى مطعم النقل

ولكنه كالآلِ يظمى غديره ... وإن نلت من جدواه نيلاً على نيل[6]

قبلة الوداع

قبلةٌ ثم فرقة وتنائى ... أيعيد الزمان عهد اللقاءِ ؟

وعناقٌ كملتقى اللجِّ فى اليـ ... ـمِّ وضم الغريق وجه الماءِ

---

(١) المبضع : المشرط لشق الجلد (٢) الحجامة : المعالجة بالمشرط .

(٣) ويبك : كلمة تعجب كويلك (٤) الدقعاء : الأرض (٥) إشارة إلى سقراط

(٦) الآل : السراب .

وانثناء عن العناق كما ينـ هارُ عن بعضه مشيدُ البناء

قُبَلٌ كالطيور تصدح بالحـ ـبِّ فتصغى قلوبُنا للغناء

عابقات كأنَّها الزهَرُ الغـ ـضُّ تذيعُ العبيرَ فى الأرجاء

خالدات كأنها النجم فى الأفـ ـق تزين النفوسَ باللألاء

وهى فى ظلمة الحياة نجومٌ هن هَدْىُ الهوى وهدى الرجاء

قُبلٌ صوتها ككلحبة النيـ ـرانِ فى يابس الغضا والإضاء[1]

فهى روحُ العهدِ القديمِ وهل تؤ تى نفوسٌ من ميتة وعفاء ؟

يسمع العابرُ المجدُّ صداها فوق هذا الثرى وتحت السماء

فيخال الهواء قبل إلفا لفَّه من نسيمه فى رداء

وحماه عن العيون فما يخـ ـطرُ إلا فى طىِّ هذا الهواء

كذب الظنّ إنها ذكر الما ضى ونفس كثيرة الأصداء[2]

تبر النفوس

لو أن لى حكمةً مثل التمائم أو رُقًى سعدت بها لو ينفع الراقى[3]

فعل الفتى هو شطرٌ من تفكّرِه أجلّ شطريه من أفكاره الباقى

داوِ النفوسَ بلذات الجسوم ودا وِ الجسمَ بالنفسِ فعل الحافظ الواقى

نار الأسى شعلةٌ تهدى النفوسَ كما يهدى المغلِّس من لمحٍ وإبراق[4]

والبغض فى زهرات الحب ريقته كالصلِّ يجمع من سمٍّ وترياقِ

---

(١) الكلحبة : صوت النار المشتعلة فى الحطب (٢) أى كان للهواء نفسا تتذكر القبل التى أطلقها العشاق فيها فيسمع العابر صدى ذكراها فيحسب أن الهواء قبل حبيباً له .

(٣) الراقى : من يصنع الرقى والتمائم فى فنون السحر (٤) المغلس : السائر فى الغلس ، ظلمة آخر الليل .....

أنت النعيمُ وروحي في جحيم هوى ترى الفـرادسَ من دمعٍ وآمـاق

شوق إليكم يحيل النفسَ مثلكم شكلاً بشكلٍ وأخلاقاً بأخلاق

فاطرد مثال كمال في الضمير ، له لمع السـرابِ لعين الركبِ والناق

بطلعةٍ منك مثل الشمس رافعة ذاك المثـال على لألاءِ رقـراق

يطلُّ في النفس مزهوًّا بصورته كمنْ يطلُّ على الأحياء من طاق

الضـوءُ تبـرٌ ولكنْ مـا له لمع على خَصاصة إقتار وإملاق(١)

والتبر ضوءٌ يطيع اللمس رائقه يذلُّ بالحـرص من هامٍ وأعناق

فأنت تبرٌ وضوءُ الحسنِ وهجتُه وأنت شمسٌ تعلت بعد إشراق

فـلا تكن لك روحٌ في وضاءته مثل الدميم بقصـر جـدّ برّاق

الزهرُ زهرٌ وإن لم يلق ناشقـه وعاطلُ الحسن كالحالي بعشّاق

لئن مضى الزمنُ الماضي بروقته عدلاً تقضى بأحزان وأعلاق(٢)

وخلّف الذكرَ روحاً منه شائقةً كالبدرِ يهتك من إظلام آفاق !

ليت شعرى

ألا ليت شعرى فتنة من جمالكا ويا ليت شعرى خطرة من دلالكا

ويا ليته من سحر لحظك نشوة أداوى بها قلباً بحبِّك هالكا

ويا ليته عطفٌ كعطفك نافعٌ ويا ليته مستأنف من وصالكا

دع اللحظَ يسقِ القلبَ منك ، ولا تَخَفْ على منهل الألحاظ رشف نِهَالكا(٣)

أتنقص من رشف العيونِ كأنما تبقّى مثالا ناحلاً من خيالكا ؟

---

(١) أى كما انقضت نفائسه كذلك انقضت أحزانه (٢) الخصاصة : القليل الباقى . والإقتار : الضيق . والإملاق : الفقر (٣) المنهل : موضع الشرب . والنهال جمع ناهل : الشارب والعطشان .

وقد تصقل الوجه الصبيحَ لواحظٌ تبثُّ الهوى بثَّ الهوى من صقالكا
وما لضياءِ الحسن ظلٌّ على الثرى ولكنهـا روحى تُرى فى ظلالكا
إذا اسطعت فاجحدْ ما عشقناه نتخذْ على الحسن عوناً ناصراً من مقالكا
إذا كان ربُّ الحسن بالحسن كافراً فذلك سهمٌ قاتل من نبالكا
تبالَهَ بالنكران كيما يغرّنا دلالك ياويح الهوى من دلالكا !
أتنكر أنَّ الحبَّ أنت سننته وأوردتنا وِرد الهوى فى عقالكا ؟
جمالك ولاَّجٌ إلى القلب بالغٌ سريرة قلب برؤه فى جمالكا
فلا تجعل النكران كَلْما ولوعةً فحسبى كلومٌ جمَّةٌ فى نزالكا
ولا تجعلنىّ خاطر السوءِ فى الورَى تضنّ عليه أنْ يُلّم ببالكا
ولا تتركنْ قلبى كأطلالِ معبد يُرى الناظرَ العجلان عقبى زيالكا[1]
وإن خلتَ بى الكفران فاسأل محاسنا لديك أقلبى مفلت من حبالكا ؟
جمالك أشراك القضاء فما لنا فكاكٌ فقد أحمى علينا المسالكا[2]

أأنت والربيع

«أغنية»

أمـا كـفى الربيع يهيج إذ يضوع ؟[3]
وقلبىَ الصديع فى نشره يذيع

أأنت والربيع ؟

جلاكَ لى السطوع يا قمراً يروع
من حسنه شفيع جدّ بىَ الولوع

أأنت والربيع ؟

---

(١) زيال : فراق وبعاد (٢) أحمى عليه المكان أو الطريق بالهمز : منعه عنه .

(٣) يضوع : تنتشر رائحته .

روح لـه سَنيع — منك لـه طلوع[1]
اليأسُ والطموع — والحبُّ والربيع

أما كفى الربيع ؟

وعيشُنا شروع — يا لهف من يضيع
أطياره وقوع — زيالها سريع

أأنت والربيع ؟

ها شملنا جميع — وعيشنا وديع
وما له رجوع — وأنت لى قطوع

أأنت والربيع ؟

تعيا به الضلوع — من شجوٍ ما يذيع
قلبى له سميع — إذا دعا يطيع

أأنت والربيع ؟

نافسك الربيع — من غيرةٍ يضوع
فَغَرْ وصلْ تُليع — حسناً له يضيع

أأنت والربيع ؟

حلم بالأرواح الطليقة

تعوم فوق النور — كالغيد فى الغدير
مرسلة الشعور — كفاتنات الحور
فى فلك مسحور — تمرح كالطيور

(١) سنع : حسن وطال فهو سنيع .

عـلـى ذُرَى الأثـيـــــــــر   والخلد كـــــالوكـــور
وكـلّـة الخـــــــــدور   تـرقـص مـــــــثل الـنـور
فـى روضــــه الـنضــــيـــر   ومــــــائه الـطـهـــــور
كـــرقـــصـــة البــــدور   فى صــــفــــحـــة الغــــدير
تـنـفح بـالـعـــــبـــيـــر   كـنـفـــــحــــة الـزهـور
صـــافـيـــة الـضــمـيـر   كـلـمـــــعـــة البـلّـور
مـــــــثـل نـدى الـزهـور   فى عــــيـــشـــهـــا المنيـــر
لـم تَـعْـنَ بـالأمــــــور   وطـارق المــقــــــــــدور
وصــــــــولـة الـدهـور   كـــصـــولـة النســــور
لم تـدْر فى الحـــــبـــور   مـــا عـــيـــشـــة المأســـور

فى نطفة الفجور !

الوحـــــدة

عــذيرىَ من باغٍ أغــذَّ وأوضــعــا   وأسـمعَ بالقـولِ المضيض وأوقـعـا
ومــاسـرّنى أنْ نلتُ منه بسـبـةٍ   إذا صـار بين الناس شِلواً مـبـضـعـا
لسـهلت لى غـدرَ الحـيـاة بغـدرة   وهوّنـت عندى الحـادثَ المتـوقـعـا
وعلمتنى الصبرَ الجميلَ على الأسى   بصبرى على مـاقـد أمضّ وأوجـعا
وقــد صـرتُ لا ألقــاك إلاّ براحــةٍ   وقــد كـنت لا ألقــاك إلا مـروّعـا
وكم نعمة للناس فى جنب غدرهم   ويا ربَّ شـرٍ عـادَ بالخـيـر ممرعـا
سـاهـجـر هذا الخلق لا هجرَ عـائد   ولكنّ يـاسًـا حين لم يـبق مطمـعـا

وإنى رأيتُ العقل كالضوءِ حليةً | لروضٍ فإنْ يسطع على القبر روعا
وإن كنت بين الناس ظل مفرقا | فإن عفت هذا الخلق كان مجمعا
وما جامعات الضوء إلا كوحدةٍ | تجمّع من ضوءِ النُّهَى ما تذعذعا[١]
فيشعل نيران الذكاء اقترانه | وقد كان بين الناس نهباً مضيّعا
وكنتُ إذا ما خلتُ فيك مودةً | أُحبُّك حتى أحسب الحبَّ مصرعا
وحتى تصيرَ الأذنُ عيناً بصيرة | وحتى تصيرَ العينُ للقلب مسمعا
فكنت كمن يرمى إلى الطفل درةً | ويأمل منه أن يشاق ويهرعا !

من الحى إلى الميت

من لحىٍّ بميِّت يترجى | عنده الحق أبلجا لا يفوت
خبرينى نفائس اللحدِ هل قـ | ـبة تلك السماءِ والتابوت :[٢]
توأمان استمر فى الجدث الدو | د وفوق الأجْداث حىٌّ يموت[٣]
خبرينى نفائس اللحد أم كـ | ـلّ رميمٍ فى لحده صمّيت
هل لحىّ من ميتٍ هاتف يو | ضح أمر الحياة وهو مقيت[٤]
هل عدته الحياة أم ليس يدرى | تلك حُلم وما لحلمٍ ثبوت ؟
ربّ ميتٍ يسائل الحىّ عنها | وهو فى اللحدِ حائر مكبوت
خبرينى عن الحجى أين يمضى | أين تمضى عرامة وقنوت ؟[٥]
أين يمضى الذكاءُ والأملُ الحلـ | ـوُ وأين المعشوقُ والمنعوت ؟

---

(١) تذعذع : تبدد . (٢) يعنى تابوت النعش . (٣) الجدث : القبر .
(٤) مقيت : مقتدر . (٥) عرامة : اشتداد ومرح . قنوت : طاعة وخشوع .

أين نارُ الحيـاةِ كـالنّارِ في رهـ ... ـطِ مجوسٍ ما خيف فيها الخبوت[1] ؟

أين ذكرى في النفس تمضي وتَثنى ... ربَّ عهدٍ يمضي وذكرى تفوت ؟

أمحـاها الحِمـامُ كـالريحِ تمحـو ... نؤى دار والشمل شملٌ شتيت ؟

أم وعـاها الحِمـام كـالدرِّ في الظلـ ... ـمة يرنو لضوئه السبروت ؟[2]

أم تُرى هذه المشـاعـر أوهـا ... م فلسنا نحـيـا ولسنا تموت ؟

ليس إلاَّ كـمـا يقـولُ ركينٌ ... لا يفيت الصواب منه مفيت [3]

فـوقنا الأنُجم الصـوامتُ لا تد ... ري وتحت الرجامِ صمٌ سكوت[4]

سجن الفضيلة

إنَّ الفـضـيلةَ مـاسـةٌ ... صنْهـا عن الرائي الحسـود

صـونَ الشـحـيح لِفلسـه ... حـذر المداهن والحـقـود

صـونَ الجـبـان لنفـسـه ... حـذر البـوارق والرعـود

صـون المشـمّـر مـاله ... حـذر المؤمـر والجنود

صـون الشـفـيق فـتـاته ... حـذر الوعـيـد أو الوعـود

واجـعـل لهـا بين الضلو ... ع خـبـيـئـةَ الذخـر التليد

فـضـيـاؤها كـالحقِّ أفـ ... ـتَنُ وهوفي ظلم الجـحـود

وصـفـاؤُها كـالخـمـر تصـ ... ـقلُ في الدنـانِ على الخلـود

إن الفـضـيلةَ زهرةٌ ... تذوى بأنفـاس الحسـود

---

(١) خبتت النار مثل خبت ، قال المعرى :

وفارس قد شبت لنا النار وادعت * لنيرانها أن لا يحبن خبوتها (٢) السبروت : المحتاج ، والجمع سباريت

(٣) إشارة إلى جيتى الشاعر (٤) الرجام : القبور .

ونسيمُها كالعطر فاحـ ـذر أن يذيعَ فلا يعود !

بيت اليأس

بنيتُ بيتَ الحياةِ أبغى في ظلِّه مسكنًا فسيحا
جرَى غرابُ القضاءِ نحوى ولم يكن طائراً سنيحا[1]
فأُرعشت كفٌّ من بناه فلم يكن أسُّه صحيحا
يغبقنى طارقُ الرزايا من بعد ما علّنى صَبوحا[2]
اعتادنى الهمُّ غير غبٍّ فلم يمت قلبىَ القريحا
كشارب السمِّ كى يصادى من علّه سمّه صريحا
يا بيت سوءٍ على ذُراه ذو نعبةٍ هم كى يصيحا
يادهرُ لِمْ لمْ تبح جنانى إلى سبيل النُّهى جنوحا ؟
خصصتنا بالنُّهَى فهلاّ جعلتها عزمةً نصوحا ؟[3]
أودعت فى الناسِ كلَّ طبع يعنو له عيشهم ربيحا
من يشترى نُهْيةً بطبعٍ يمضى إلى نفعه نجيحا
ألحْتَ لى بالسراب حتى عشقتُ ضوءاً له لَموحا
كمن بنى بالتراب بيتا فانهار حتى غدا ضريحا
كذاك صَرحُ الحياةِ أمسى رسم فلاة بها طريحا
ودكَّ بيتَ الحياة فوقى وقمتُ من تحته جريحا!

---

(١) السنيح الذى يأتى من جانب اليمين . (٢) يغبق : يسقى بالعشى ، والصبوح : ما يشرب صباحًا
(٣) النهى جمع نهية : العقل .

لغز الحياة

الشكُّ أول منزل العرفان ... إنَّ اليقينَ هو المكانُ الثاني

مدٌّ وجزرٌ في النفوسِ كأنما ... يتنازعان سريرةَ الوجدان

والعقلُ فوقَ الخلدِ مدَّ جناحَه ... كالطيرِ هابطة على الأوكان

والعقلُ ريحٌ صرصر تهفو به ... والدهرُ بحرٌ فائض الأزمان

تبدو إذا ماهاجَ من أعماقه ... قنص الردى وجواهر الدهْقان(١)

والشكُّ مشعالُ الحكيم وربما ... أضحى حريقاً للجهول الواني(٢)

كونٌ ترقرق في منادحِ رحبِه ... سرٌّ جرَى كالماءِ في الأغصان(٣)

سرُّ الحياةِ لحسِّها ولعقلها ... يحكي دماءَ القلب في الأبدان

روحُ الحياة كذي البراثن رابض ... دامي المخالب شاحذ الأسنان

يلقي على الأحياءِ قولة سائل ... يا هول عيش فريسة الحَدَثان

إنَّ الحياة لغادةٌ معشوقة ... تصبو إلى المتماجن الفتَّان

وتصدُّ عن متسائلٍ متشوّق ... للحقِّ ينشده بكل مكان

يا عاشقَ الحسناءِ كيف أغرتها ... أو كنت تبغيها بقلب ثاني

روح الحياةِ على العقول مؤمر ... يعتزُّ بالأضغان والأشجان

مثل الوصيِّ على الوليد إذا نشا ... يلوي عليه جوامع السجان

كي يستبدَّ بماله وعقاره ... ويليح زخرف خدعة المنَّان

ثار الحبيسُ على الوصيِّ وظلمه ... فرماه بالعصيان والنكران

ورأى به لَممًا وليس كما رأى ... لو كان يغني العقل بالعصيان(٤)

---

(١) الدهقان : رئيس الإقليم (٢) الواني : الضعيف .

(٣) المنادح : الأراضي الواسعة . (٤) اللمم : طرف من الجنون .

مـاذا أرجّى فى العـقـول وصـوبهـا رشـح الطبـاع وغلـة الظمـآن ؟
ولربّ غـمـرٌ بالغ بـطبـاعـه مـا لـيس يبلـغـه ذوو الأذهـان

خواطر فى الحياة

أرسلت إلى الأستاذ الأديب الشيخ محمود محمود[1]

أنت على خلّتيك محـمـودُ فـعـدْ بيُـمنِ الحيـاة مـحـمـودُ
وإنما العـيشُ هكذا نُقَل والدهر خـرق سنيُّـه القـود
وخـيرُ مـا يطلب الرخـاء به الـ ـصبـر ، ومن قـد عـداه مكدود
والدهرُ مثل الشحيح فى عـدةٍ أصـدق آلائه المواعـيـد[2]
كلُّ رجـاءٍ نرمى الطليب به فـهـو قنا فى الضلوع مقـصـود[3]
وربَّ رامٍ أصـاب مـهـجَـتـه سـهـمُ رجـاء إليـه مـردود
والسخطُ غربال جاهد قصد الـ ـسـيل كـأنَّ الآتيَّ مـسـدود
آمـالنا هامـةٌ نراع بهـا للسعدِ وهو الطليب ملحـود[4]
وحـيـرة النفس كـالظلام وقـد يهـدى ويقلى الضياءَ مزؤود[5]
والرغب عجب النفوس تخدعها مـرآتـهـا والطمـاح مـعـبـود
وقـد تزين الحسناءَ دمـعـتـهـا والنفسُ تجدى سنيـهـا السـود
كم عـدة فى الحيـاةِ خـائنة كـمـا يخون الخميس رعـديد[6]
كـخـازن الحبُّ للمشيب ومـا يعطف من أجل ذخـره جـيـد
يبـخـر فى خـيـبـة لنا أمل بحـر الندى والظمىّ مجـهـود

(١) كان أستاذا بالمدارس الثانوية وزميلا وصديقا للشاعر (٢) آلاء : نعم
(٣) قنا : رمح . (٤) الهامة : روح الميت . قال الشاعر : « أضربك حتى تقول الهامة اسقونى » .
(٥) الزؤد : الفزع . (٦) الخميس : الجيش . رعديد : جبان .

مـــا لىَ أهدى إليك من حكم ... ياليـتـهـا الدرّ وهو منضـود

أحبوك من حكمة القريض كما ... يهـدى لروض الربيع أملود(1)

وأنت أحـجى بأن تزفّ لنا الـ ... ـحكمة فيها اليقين مشهود

وخير ما يبعث الفتى طُرف ... من عقله والمزيدُ تاويد(2)

الشجرة والغراب

رأيتُ الحوادثَ فى وكرها ... ونبتَ المقادرِ فى برّها

كأنَّ غراباً على فرعها ... يحطُّ فيأكل من خيرها

إذا ذدته آب يهوى بها ... على دوحها وعلى نهرها

فقلت له : أبق من خيرها ... تذوّق إذا جعت من شرّها

وإلا فأرسل عليها الطيورَ ... أبابيل تقضى على أمرها(3)

وهل أزجر الطَّير عن دوحة ... تذوقت ما مرَّ من تمرها

فقال : أتأكل من حلوها ... وتترك للدهر من مرِّها ؟

إذا أنت ما ذقتَ من ضرّها ... أتعرف ما الخير من شرّها ؟

خذ الحلوَ والمرَّ من رطبها ... أقاسمك السوءَ من ضرِّها

ومن صبر النفس فى ضيقها ... رأى الرغبَ أوجع من صبرها

وفى الصبر صبرٌ يريك الدنى ... كأنك رفّعت عن أمرها

تظلّ مطلاًّ على دهرها ... كأنك أعفيت من مرّها

يريك مساوئَ خود الحياة ... كأنك ما بتَّ فى خدرها

(1) أملود : لين . (2) تئويد : ميل واعوجاج . (3) الأبابيل : الفرق .

كـأنك مـا التـحت من ثغـرها ... ونـافـــــستَ رهطَك فـى برِّهـا
كـأنك مـا كنتَ من ناسـهـا ... ولا كـنـتَ تـســعى إلى نـكرها
ولا بـتَّ يومك فى دِرعـهـا ... ولا تُقْـتَ دهراً إلى سـرِّهـا[1]

يا شاعر الكون

تحية إلى صديقنا العقاد لظهور ديوانه الثانى

ياشـاعـرَ الـكونِ أطلق من سـرائره ... نورَ الحياة فشعرٌ منك يذكيه[2]
لك الخليـقـةُ والأيام مـاثلة ... فـمـا نات بمقـالٍ أنت باغـيـه
كـأنهـا لك بسـتـانٌ وفـاكـهـة ... تجنى وخير الجنى ما أنت جانيه
الفـضلُ أغلب من غـرٍّ يصـاقبـه ... والعقلُ أعدى على غمرٍ يدانيه[3]
فلم يضـرك جـوار من أخى جـهل ... الفكر عـدوى وجـار المرءِ يعـديه
قد يُنكر الفضلَ بين الناس صاحبُه ... ويمدح الفـضلَ بين الناس باغـيـه
كم أكبر النـاس أمراً أنت تصغره ... وغـاب عنهم جـلالٌ أنت تدريه
إن يعظموك فبالنفس التى صغرت ... أو ينظروا فـبطرفٍ أنت ثانيـه
كـالمرءِ وهو قـعيـد رهن عرصـتـه ... يخـال خـيـرَ مكانٍ بيـتـه فـيـه
لو أنصف الأرض قال الأرض واسعة ... والكون أكـبـر من زعـم أناجـيـه
يا ناطقـاً يذر الألبـابَ صـامـتـة ... كـأنما فـاه ذاك الخلد من فـيـه
تذكى الذكـاءَ بسحـرٍ أنت نافثه ... حتى لشدة مـا تذكـيـه تفنيه
تقـصـيـا لمعـانٍ لا انتـهـاء لهـا ... يفنى الذكـاءُ ولا تفنى مـعانيه
حـتى يظلّ ولا ذهن يراك به ... لولا بريقُ خـيـالٍ أنت موريه[4]

---

(١) تقت : اشـتـقت . (٢) يذكى : يوقـد . (٣) يصـاقب: يقـارب . (٤) يورى : يضـرم .

كمن يرى الشيءَ لا ينحو سواه فيخـ ... ـفى عنه حتى كأنْ قد زال باديه
إطارُ شعرك خلدٌ أنت زائنه ... كواحة الخرْق زين فى صحاريه
أصورة الكونِ أم ذا الكون صورته ... كالآل يحكى ضياءُ أنت مبديه
أو كالغديرِ يرى فى الماءِ مرتسماً ... رسم الدرارىَّ يحكيها وتحكيه

كعبة النفس

أيا كعبةَ الآمالِ ذات المحارمِ ... مكانك من قلبى كمحرابِ صائمِ
فلا تأخذونى بالرجاء فإنما ... رجائىَ إيمان النفوسِ الحوائمِ
وهل تسجد الأرواحُ إلاَّ لذى النُّهى ... وتعبد إلاَّ ساميات العظائمِ
وأكرم سؤل النفسِ ما كان وقعه ... على الفضل من أهل النهى والمكارمِ
ولولا احتذاء الفضلِ فى الشعر ما غدت ... صروحُ المعالى باديات المعالم
ومن كان ذا روحٍ برىء من الأذى ... كروحك لم يعرف وجوهَ المظالم
ولم يدر ما يلتذه الناسُ من أذى ... ولو كان ناراً فى لهاة الحلاقم[1]
يرى المرءُ أن النفسَ خيلٌ لراكضٍ ... وإن كان محذورَ الردى فى الشكائم[2]
أظل رقيب السوءِ حتى يمسنى ... وأجعل أنفى نهبة للخواطم[3]
وأى امرئ فى العيش يحمد خلقه ... إذا لم يعوَّد من حقود الرجائم
فكم راجمٍ بالغيب نفساً بريئةً ... وربَّ مقال مثل لذع الأراقم[4]
وهل يعدل الإنسان فى بعض فعله ... إذا كان فيه مدرج للنمائم ؟
وما النفسُ إلا تربة ليس ريّها ... من العيش إلا بالنفوس السواجم[5]

---

(١) الحلقوم : الحلق (٢) الشكائم : الطباع . (٣) خطام :ما يوضع فى أنف البعير ليقاد به
(٤) الأراقم : الحيات . (٥) السواجم : الباكية .

الصنم المكسور

عـــابدٌ يبكى عـلى صنمِـــــه ... عـافَ وردَ العـيشِ من سـقـمِـه

عـــابد من حـــسنه صنمـــاً ... خـالَ كَلَّ الفـضـلِ فى صنمِـــه

حطمـــتـــه قـــولة فــــهـــوى ... لك٥٣٨٥٣٨يم الجصُّ منهـشـمـه

كـنـتَ لـى حُـلـمـــــاً ألـوذ بـه ... خـابَ من يبكى على حُلمـــه

إن رضـــيـتُ الـعـــيشَ بـعـــد كـمُ ... فـــــحـــــيـــــاةُ المرءِ فـى ألمه

أو بـكى شـــعـــرى فــلا عــجبٌ ... بعضُ شـعـرِ المرءِ من لَمَـمِـه[1]

كـنـتـم لـلـعـين بـاصــــــرهـا ... وجـــلاءُ الـعــــيشِ من ظُلَـمـــه

كــم لأهـل الـفـكـر مـن ذِمَـمٍ ... كــيف لـم تُبـقـــوا على ذممه

كـــان قلبى مـــعـــبـــداً لـكمُ ... ويح قـلـب ريـع فـى صـنـمــــــه !

غلة النفس

رأيت مـــحـــمّـــقًـــا يجـــرى ... يـحـــــاذى المـاءَ فى الـنـهـــــرِ

يـكـلَـمـــــــه ويـســـــــأله ... ويـحـــــــســـبُ أنه يـدرى !

يـقــــــول لـه : أعـن ســـبـبٍ ... ومـــــن أرب إلـــــى أرَبِ[2]

ويحـــــسب فى الخــــرير لـه ... لـســــــان الـنـاطق الـلَّجـب

تـريـد الـنفسُ رؤيـتــــهـــــا ... مـخـــارجـهـــا، وغـــايتـــهـــا

ســـــؤالٌ لـيـس يـســــــأله ... مـــبـــيح النفس نشـــوتهـــا

---

(١) اللمم : الخَبَل .　　(٢) الأرب : الغاية .

رأيت مسحمّقًا يفدُ ... وراء الريح تطّردُ

وزَمرُ الريح يطربه ... يحدثه فلا يجدُ

كذاك المرءُ في الزمن ... يداوى غلّة الفطنِ

ولكن ليس ينفعه ... شرابُ الآل في الدمنِ

وما من غلّةٍ عرضت ... بغير دوائها خلقتْ

فأين الرىَ تطلبه ... نفوسٌ طالما ظمئتْ

أجِزْ للعيش معركه ... لعلّ الكونَ يدركهُ

ضميرٌ ما استبان له ... يروِّضه ويملكهُ

ولولا ظلمةُ الحَيْنِ ... وجبن المرءِ لـلـبين

لبغضت الحياة له ... وخصّ الموت بالزين !

الجزء السابع

ديوان

أزهار الخريف

عن الطبعة الأولى للجزء السابع

عام ١٩١٩

الإهداء

أهدى هذا الديوان إلى إخوانى القليلين فى أنحاء القطر المصرى ، الذين أيدونى بثقتهم ورسائلهم ، وأعانونى بها فى الحياة على بعد الشقة ، ومن غير سابق لقاء ، وبالرغم من عداوة السفهاء ، وسباب الأخساء ، الذين يقول فيهم المتنبى :

وإنَّهَ المشـــيـــر عليك فىَّ بِضلَّةٍ فـــالحـــرُّ ممتـــحنٌ بأولاد الزنى !

والذين يقول فيهم أيضاً :

أتنكر مـــوتهم وأنا ســـهـــيل طـــلـــعـــت بمـــوت أولاد الـــزنـــاء ؟

مقدمة

لقد ذكرنا في مقدمة الديوان الرابع أن الشاعر لا يهمه الناس إلاّ لأنَّهم باعث من بواعث الشعر ، ولم أعنِ بذلك – كما زعم بعضهم – أن القصيدة الواحدة يبعث إليها إنسان خاص ، يكون موضوعاً لها ويستثير في الشاعر جميع الخواطر التى دفعت إليها . فإن الشاعر ليس بالراسم . ولو كان راسماً لاستقاد أيضاً من أفراد كثيرين فى عمل رسم فنى خيالي كبير .

ولقد رأى القارئ فى بعض هذه الدواوين قصائد فى شرح أخلاق السوء كالحسد أو البغض ، فحسب بعض الناس أنه المعنيّ بها . ولعمرى لو كان غير ذكى لقلت إنه يريد أن يشرف بهذا الادعاء ؛ ولكنه أجلُّ من هذه المرتبة . فلم يبق إلا أن يكون ذلك منه وسيلة لإظهار كيده وشافعاً له ، وكما أنى لا أعنى أحداً بقصائد الهجاء، كذلك لا أعنى أحداً بقصائد النسيب . ولا أنكر أن الأفراد من الناس هم الذين يستثيرون خواطر الشعر ، ولكن هذا القول لا يستدعى أن تكون كل قصيدة فى فرد معين . نعم ، الأمر يستدعى ذلك عند المداحين والهجائين ومن جرى مجراهم ، ممن لم يضع لنفسه سنناً عامة فى فنه ، يجرى فى نهجها . أما القول فى أفراد ، فهذا أول مذهب وأول عصر من مذاهب الشعر وعصوره . وأما المذهب الحديث فهو أن تكون الطبيعة البشرية ماثلةً أمام الشاعر ، يأخذ منها لقصيدته ما يقتضيه الفن . ومثل ذلك أن قصيدة « صرصور الشعر » فى الجزء الخامس بعث إلى كتابتها صرصور من صراصير الحقيقة لا صراصير الخيال ولا صراصير البشر . وقصيدة « سم الخسة » مأخوذة من مسودات كنت قد ألفتها فى كتاب اسمه « مجالى الأخلاق » ، لم ينشر ؛ وكثيراً من قصائد الغزل فى هذا

الديوان خواطر كانت تخطر لى فأقيدها فى رسائل سميتها : « رسائل الحب » لم تنشر . ولذلك أرى من العبث والجهل بفروض الشعر ، قول قائل إنى أعنى أحداً بما أقول فى أى باب من أبواب الشعر .

ولى كلمة أريد ذكرها فى العقيدة ، ومن يذيع بين الناس أنى على غير هدى ! وأكثر أمثال هذا إما من الجهلاء الأغبياء وإما أهل الحقد والحسد . فليس التساؤل والامتعاض من مظاهر الشر ، قلة فى الإيمان . بل إن ذلك غاية الإيمان . وإن الذى يتهرب من الله إلى نفسه ، وينكر آياته فى الوجود ، يجد الله فى نفسه فى خير نزعاتها . وإن فى الله حاجة من حوائج النفس البشرية ، وكلما خفيت عنا أدلة وجود الله لعظم الشر والإثم ، كان ذلك الخفاء أدعى إلى تطلبه ونشدانه والإيمان به على الوجه الصحيح .

فالإيمان بالله والخير ضرورة وحاجة ، لعظم الشر والشقاء . إذ أن الزيغ وقلة الإيمان لا تعين على الشر والشقاء . بل تزيد الحياة اختلالا ؛ كما ذكرت فى قصيدة : « صوت الله أو نجوى المؤمن » فى الديوان الرابع . وقد أساء بعض الناس فهم قصيدة « ليتنى كنت إلهاً » فى الديوان الثانى ، ولا أعرف كيف فات من صفت نفسه من سوء النية من القراء، أن نسبتى سوء الفعل إلى ذلك المتطلب مرتبة إله ، خرافة من خرافات الوثنيين ، والذى يريد أن يصلح نظام الحياة والكون ، هى غاية الإيمان لبيان أن المرء ينتقد ويتسخط الشر والإثم ، حتى إذا حكم أتى الشر الذى نقمه . ولو أنى جعلت أفعاله فى القصيدة حميدة ، لكان ذلك اعترافاً منى بأنه مصيب فى نقده وأنه رشيد عادل !

هذه قصيدة « الملك الثائر » لقد حاول غبيٌّ أن يقرأها مرة ، فقرأ منها أبياتاً ، ورأى عصيان الملك ، فأخذ منه الغضب كل مأخذ ، ولم يتم قراءة القصيدة ، فلما قرأت له ما لاقاه الملك الثائر من العقاب لعصيانه ، انشرح صدره وقال : « إنَّه جدير بهذا العقاب » !

وهذه الحادثة تشرح السبب في سوء الفهم الذى يعتور بعض الناس فى قراءة القصائد التى تشرح أمثال هذه الخواطر والعواطف النفسية التى لها علاقة بالحياة والخلق . فإنه لا يحاول تفهم مغزى القصيدة الذى لا يستخلص من أبيات مفردة من القصيدة ، بل يستخلصه بأن يفهم وحدة القصيدة الفنية وما تقضيه المقابلة الفنية من اختلاف جوانب الرأى فيها واختلاف حالات النفس التى ضمنتها القصيدة .

آية الحسن

يا قلبُ قصرك لا تولَع بإنسانِ ... لقد كلفتَ بساجي الطرفِ وسنانِ

قد صار لي ألف عينٍ بعد رؤيتكم ... من بعد ما كان لي كالناسِ عينانِ

مذ صار حسنُك في الإمكان منشأة ... فكلُّ معجز أمرٍ رهن إمكانِ

ومعجز الحسن في خلق خصصت به ... كمعجز الحبِّ في شعري وتحناني

وصار لي ألف قلب أرتجيك بها ... ياليتني زدت في روحٍ وأشجانِ

كي لا يضيع جمالٌ منكَ أبصرُهُ ... ورقةُ اللفظِ في سحرٍ وتبيان

بل ليتني الكون طراً ليس يبصرُكم ... سواي في الخلق من وحشٍ وإنسان

هل نافعي أنني في الحبِّ منفرد ... فليس في الخلقِ تحنانٌ كتحناني

بل ذاك ضائرُ قلبٍ لست راحمه ... وكيف يرحمُ نضواً قلبُ غفلان

ماكان مثلك في الأكوان منشأة ... إلا بخبرة أزمانٍ وأزمان

استخلصتك دهارير كما خلص الـ ... ـعطرُ الزكيُّ فيا عطراً لأكوان[1]

مجاهلُ الزمن الماضي وحاضرُه ... لصنع حسنك في بدْع وإتقان

فجئت آيته الكبرى التي خشعت ... لها القلوب ولم تدحض بكفران

ليت الكواكبَ تعنو لي فأنظمها ... لآلئا لك تحكي عقد أشجاني

إخالها ما بدت إلا لتبصرها ... مرآة حسنك لا يمنى بنكران

والطيرُ ما نطقت إلا لحسنكمُ ... فأنت للكون طراً خيرُ عنوان

يا مالبَ الكونِ أشهى ما يراد له ... ماذا تركتَ لأحقابٍ وأزمان

---

(١) الدهارير : أول الدهر في الزمان الماضي .

عميتُ عن كلِّ حُسنٍ غير حسنكمُ   كأنني غير صاحى الطرفِ يقظانِ

أعشيت طرفى بشمسٍ منك طالعة   من بعد ما كان عيشى رهنَ إدجانِ(١)

لا أكثرنَّ من الألحاظ أرسلها   إن البلاءَ لطرفِ العاشق الرانى(٢)

وهل أخافُ وقد سقَّى الفؤادَ هوى   العيشَ والموتَ فى صرفٍ وحدثان ؟

أو القضاءَ وما يخشى الورى أبداً   من قسمة الدهرِ فى ربحٍ وخسران

كلا لعمرك إنَّ الحبَّ يرفعنى   عن الحياة وعن عيشٍ لها فانى

إنِّى أهابك من حسنٍ تجور به   حتى لأفلاك فى أثناء أحيان

ماذا يضيرك من حبٍّ تزان به ؟   فالحبُّ للحسن نشرٌ حول أفنان

هبه المقادر من يأبى المقادرَ لا   يرى الحياةَ بعين الناعمِ الهانى

فاضحكْ فضحكك أنغامٌ مرتلة   أوتارها قلب صبٍّ منك ولهان

لم يبق فى الكون من شدوٍ نسرُّ به   إلا جمعت بحسنٍ منك مرنان(٣)

فى كل نظرة عين ذكرةٌ لكمُ   وكل نبضة قلبٍ جدّ حرّان

حبيك لا شكَّ يعروه ولا جدل   كأنما هو من أرباب أديانِ

فى منزل الله مكلوءٌ بهيبته   سرُّ الإله وسرُّ الحبِّ سيَّان

ولن يضيعَ رجاءٌ فى الحياة إذا   ما ظلَّ حبى مكلوءاً بإيمانى

أخلفت وعدَ لحاظٍ أنت مرسلُها   تقول لى اعشق فإنّى جد فتان

لا تنكرنَّ مقالَ اللحظِ من خجلٍ   كم حجة لك فى تبيان وسنان

الحبُّ أقوى من الأغلال تُحكمها   عاد الحياة لقلب العاشق العانى

قد بعتُ راحة أيامى وصحتها   بنظرة بدَّلت سرّى وإعلانى

احمل جناية حسن لست خالقه   كما تحمَّل مقدورا له الجانى

---

(١) إدجان : ظلام . (٢) رنا : أدام النظر . (٣) مرنان : كثير الرنين .

ولا يكفُر عن لحظٍ تصول به ... إلا ترفق عطف منك يرعاني

لو فرَّق الدهرُ حبّى فى مجاهله ... لعاد منه بمثل الخلدِ ملآن

ولو خبرت بحبى العيش أجمعه ... إذاً لباءَ بسرّ منه ضحيان

ما مسَّ حُبّيك أمراً خسَّ معدنه ... إلا أضاءَ كماسٍ عند دهقان[1]

ما أضال العيش لولا ما يتاح بكم ... من الهوى وطماح ليس بالواني[2]

خير لنفسك إن لم تدرِ ما ضمنت ... من فتنة الخلقِ فى حسن وإحسان

إذاً لأفرطتَ من سكرٍ ومن خبل ... ورحتَ تنعم فى ظلمٍ وعدوان

وكيف ترحمنى إن لم تجد أرباً ... فى أن تكونَ حبيبًا جدّ فَتّان ؟

ياهل تراني إذا ما جاء يسعدني ... طيفٌ لحسنك ألقاه ويلقاني

حتى ليوشك أن تكسى مراسمه ... جسمًا فيامن رأى طيفاً بجثمان

أكاد أنشق أنفاسًا يردّدها ... وأحتسى منه من كاسات ندمان

ياليت أنى أناجيه ويسمعني ... على النوى ورجاءٍ ليس بالداني

حولى خيالات حسن أنت صورتها ... طوبى فإنك جيراني وأقراني

لا بل شقائيَ أوهام أغرُّ بها ... مثل السراب إذا أودى بظمآن

أنسى فناءَ جمالٍ أنت لابسه ... حتى كأنْ لم يكن حالٌ له ثاني

يروع حسنُك فى حبٍّ أعالجه ... كروعة الحسن فى نيران بركان

لو قسَّم الدهرُ بين الناس قاطبة ... لذائذاً ليَ فى قرب ولقيان

وفرحة ليَ إما لحتَ عن عرض ... تجلو همومي وتاسو كلم أحزاني

غاض الشقاءُ وغاض النحس أجمعه ... وعطَّل الدهرُ من منع وحرمان

لو صوّر الخلدَ كانت منك صورته ... شكلاً بشكلٍ وعنوانًا كعنوان

---

(١) الدهقان : رئيس الأقليم .   (٢) الواني : الضعيف .

قد قلت للحبِّ في قلبٍ أضرَّ به ... برح الهوى وطلاب المعوز الداني
لئن أضاعك وسنانٌ بغرته ... كم في الزواخر من درٍّ ومرجان
لم يحلَ بالغيد في بادى ترائبها ... ولم يحدْ بميزانٍ وأثمان
وأنت في لجةٍ للقلب منغمر ... ما أملك الرائح الغادى بنشدان
ما أنت أول حبٍّ عزَّ مطلبه ... ولا بأول قلبٍ غير جذلان
فأين أخبأ طرفى عن محاسنكم ... وأين أخبأ قلباً جدّ ظمآن ؟
وإنما الحبُّ كالمقدارِ مدخله ... رغم الأواخيّ من عزمٍ وإيقان
لو كانت البيدُ تنجى منك ما رضيت ... نفسى قيودك فى أهلى وأوطانى
بل ليت أنى حُلمٌ فى الكرى بهجٌ ... يأتى إليك بأزهارٍ وريحان
أقول للناصح المغرَى بتعزية ... انظر أفى الكون ما يُغرى بسلوان ؟
والكونُ كالميت لا ماءٌ ولا شجر ... ولا جمالٌ تراءى حولَ أفنان
إن لم يبلَّ ظمىٌّ الحبِّ غلَّته ... ولا تصافى بصفو الحبِّ روحان
ولا أتيح لقلبٍ قلبُ ذى مقةٍ ... ولا تدانى بنجوى الحبِّ صنوان
كأنما الكون لم يخلق له سبب ... أو أنه حُلم بادى الهمِّ أسوان !
فاهبط مع اليأس فى قلبى فإنَّ له ... فى القلبِ منزلَ صدقٍ غير بهتان
وما ألمت ليأسٍ مثلما حزنت ... نفسى على أملٍ كالآل حليان
استنفد الكذب آيات الكمال فما ... أرضى لحبىَ منها أى تبيان
فليت لى لغةً ما شابا كذب ... ترضى الملائكَ لم تخلق لإنسان
وما لحبىَ فى الأكوان من مثل ... ولا رموزٍ ولا شبهٍ ولا دانى
فكيف يشفع لى لفظٌ يغرّ به ... منَ الخليقةِ شيطان بشيطان ؟

ولستُ ألحاك إن لم تُلفَ ذا عوزٍ — إن الودادَ لقلب الناقص الفاني

كأنَّ حسنَك من إبداع ما ضمنت — منك الخوالجُ من صدقٍ وإحسانِ

يا من به قد نسيتُ الشرَّ أجمعه — لا يجتلي الحسن والأرزاء في آنِ

ما خلتُ أنَّ مكاناً ضمَّ حسنكمُ — يحوى من الشرِّ ما يودى بثهلان

دنياك دنيا رخاءٍ لاشقاء بها — كأنما الشرُّ لم ينزل بإنسان

أبعد معرفتي الأيام يا عجبا — وأوجه الدهر من طلقٍ وطخيان :[1]

أبغى الحياة وأبغى منكمُ مقةً — إنَّ الحياة حياة الناعم الهاني!

نزلتَ يا قلب عن غالي نفائسها — لما عرفتَ الليالي أيَّ عرفان

حتى فرحتُ بصبرٍ منك عن خُدَعٍ — من الحياةِ وعن إلفٍ وخلصان

وقلتَ لي الآن لا شجوٌ ولا جزعٌ — على الحياة ولا إعياءُ وجدان

فعدتَ لا صبر تبديه ولا جلداً — حتى كأنك لم تكن لسُلوان

يا دوحةَ الحبِّ لا شمس ولا مطر — من اللقاء ولا وافٍ ولاحاني[2]

فكيف أينعتِ في قلبٍ أضرَّ به — جدبُ الزمانِ وإلف غير معوان ؟

أتى الربيعُ فهبْ لي منك مكرمةً — يوماً نقضّيه بين السرو والبان

ونسمع الطيرَ تبدى سرَّ أنفسنا — حيث الهوى ورواء الزهر سيّان

ذخر لمقبل أيامي إذا بردت — نارُ الحياةِ ونارُ الحبِّ في آن

لا تنس حبّي إذا ما الموتُ عاجلني — لعلَّ ذكرك دون القبرِ سلواني

---

(١) طخيان : مظلم .

(٢) الوافي من الوفاء . والحاني : المتعطف .

وسائل الليلَ عن روحى فإنَّ لها ... فى الليل خطرةَ حيّ الهمّ أسوان[1]

لا بل دع الذكرَ لى إنى به قَمِن ... وانعم بحسنك فى غدرٍ ونسيان[2]

ولا تُعنّى بذكرى منك خاطرةً ... حسبى حبورى بقلبٍ منك جذلان

عذّب فؤادىَ بالآلام قاطبةً ... الحبُّ ذخر منى يشرى بأثمان

وارحمْ أواقسُ ولاتحرجك معتبةٌ ... ماذا تضيرك آلامى وأشجانى ؟

وليس فى الحبِّ خسران ولا فشل ... وإن منيتَ ببعدٍ أو بهجران

ألم أعشْ غير عيش الناس قاطبة ... وأقطع الدهرَ فى فرحات نشوان ؟

الشلال[3]

فلعلَّ الحياة كالماء تجرى ... بين هذا الثرى وبين السماء

(من القصيدة)

يا أخا الصَّمت فى الجلالة والروّ ... ع وصنو النكباءِ والهوجاءِ[4]

إنَّ فى القلب لوعةً ما تقضَّى ... أنت حاكيتَ همَّتى ورجائى

أحسبُ الخلد مثل مائك ينهما ... رُ ونفسى فى مائه كالهباء

أنت فجَّرت فى ضلوعَى ينبو ... عاً من الشجو مُسرعاً فى دمائى

ليت أنَّ الحياة مثلك تعدو ... لا تراخى مثل الجياد البطاءِ

---

(١) أسوان : حزين (٢) قمن : خليق وجدير .

(٣) أعيد نشرها بمجلة « الرسالة » - عدد ١٦٣ - فى ١٧ أغسطس ١٩٣٦ .

(٤) أى أن صوت الشلال فى روعته كالصمت التام فى روعته ، فإن لكل منهما روعه ، وهو شبيه بالرياح الأعاصير فى صوته .

إن للعيش كدرةٌ تذرُ النفـ ـس ركوداً كآسنٍ في نِهاءِ[1]

فأعنّي على الأواسن من نفـ ـسي بفَيضٍ ينهارُ مثل البناءِ

يا ابنَ ماء السماءِ هل تذكر الرعـ ـدَ تحاكي إرزامه في الغناء؟[2]

وهل البرق لا يزال خفيًّا في ثنايا صدرٍ كصدر الغماء

أنت ريح الأمواه أم أنت روح الـ ـماءِ يمضي في مائه كالهواء؟

قد هددتَ الصخور تنشد خِصباً أم لذخرٍ تبغيه في الدَّقعاء[3]

إنما أنت ناقمٌ ينصف السَّهـ ـلَ بفضل الشواهق الشّماء[4]

تجعل السهلَ والحزونَ سواءً ليس نجد ووهدة بسواء[5]

مَرِحٌ أنت أم كما يُسرع الفا رسُ في نجدةٍ إلى الهيجاء

لك بالشُّم مولدٌ وعلى صد رِ أبيك المحيط وقعُ الفناء[6]

غير أنَّ الميلاد في قمم الشُّـ ـم حِسامٌ لهاطلِ الأنواءِ

فلعلّ الحياةَ كالماءِ تجري بين هذا الثرى وبين السماء

لكَ في النفس نشوةٌ مثلما استشـ ـرف راءٍ من شاهقات العلاء[7]

ويفيض النفوسَ مرأى جلال لك حتى تطير كالأنداء[8]

---

(١) النهاء : الغدران . وأسن الماء : أجن وتغير . (٢) الشلال ابن ماء السماء : أي المطر . وإرزام الرعد : صوته . (٣) الدقعاء : الأرض . (٤) فضل الشواهق : أي فضلات الجبال من صخور وغيرها . (٥) الحزون : الأراضي غير المستوية . والنجد : الأرض المرتفعة . (وفي الأصل تجعل الوعر) . (٦) المحيط أبو النهر لأن النهر من سحاب، والسحاب من المحيط .

(٧) استشرف : أطل من مكان عالٍ، والمرء يشعر بذهول أو دوار وروعة وخوف إذا أطل من مكان عال كما يشعر وهو يرى تدفق الماء من علٍ في الشلال .

(٨) مناظر الجلال الهائلة تتضاءل أمامها النفس حتى كأنما تنعدم ، أو كما يتبخر الندى .

فكأنى فى مائك الغمر أمضى وكأنى فى كل دانٍ ونائى

أنت أيقظتنى وقد كنت وَسنا ن فخلتُ الأكوان طرًّا ردائى[1]

هاتفٌ فى خرير مائك قد أذ كرنى عزمتى وماضى مضائى

أنت أصفى من الوداد وأنقى من حبور النعيم والسَّراءِ

أنت أرجوحة لنفسى وصوت منك كالظئر هاتف بالغناء[2]

أنت مثل الشباب عزماً وبطشًا ووَضاءً أحبب به من وضاء

لك وقع الأقدار حتى لقد خِلـ ـتُك رمْزاً رُمِزْتَه للقضاء

أنت كالدهرِ تأخذ التّرب والعسجد حتى تعيده بالحباء[3]

لم تَهَبْ كرَّة الدهور ولم تجـ ـزع لذكر الشقاءِ والأرزاء

ياسليلَ السماء حدّثْ طويلا بحديث العُلى وصدق السناء

تبعث الصخر من صخورك يزهو فوق صدر العشيقة الحسناء[4]

سوف تغدو كالشيخ فى أخريات الـ ـنّهر تسعى بهمةٍ شمطاء

فاغتبط بالمضاءِ وامرح طويلا كل شىءٍ لطيَّةٍ وفناء[5]

---

(١) الإنسان فى غفلة من الأثرة والأنانية فتوقظه مناظر الروعة والجلال من غفلة أنانيته ، إذ يتضاءل أمام تلك المناظر فيحس وحدة الوجود .

(٢) كأنما حركة الماء فى الشلال تهز النفس كما يهتز الطفل فى الأرجوحة ، وصوت الشلال يجلب للنفس راحة كراحة الطفل فى غناء المرضع (فى الأصل وشدو منك كالظئر هاتف بالدعاء) .

(٣) الحباء : العطية .

(٤) إشارة إلى بطءالنهر عند المصب (فى الأصل - فوق نحر العشيقة) .

(٥) المضاء : المراد به نفوذ العزيمة وقوتها . لطية : لغاية يستقر عندها .

يا وضيءَ البسمات

يا وضيءَ البسمات وحبيبيَّ الوجنات
ليت لى منك ائتلافاً كائتلاف النغمات
أنت فى الدهر ابتسام كابتسام الزهرات
كل حسن أمل فيك وبشرى للعفاة(1)
فإذا الشمس تعلّت قلتُ حبّى سيؤاتى
صفْ لنا حسنَ الفراديس بحسن القسمات
عذروا صدّك من سموك بدراً فى السُّمات
أنت عنوانٌ لما أنشده فى الخطوات
كلُّ كونٍ كان أو لم يك من ماضٍ وآتى
فيك لى منه أمانىُّ النفوس الساميات
أنتشى منك بلفظٍ مثل طيبِ النفحات
هو موصولٌ بقلبى فى وجيب الخفقات
خلتُ أنْ قد كنت أحببتك من قبل الحياة
هات لى خلداً على خلد لأرضى صبواتى
إنّما الخلد كقيد للأمانى الرائعات
أنت كالضوءِ وهل يرضى الأكفَّ الناشدات؟
إن تخل دمعى نجوماً فى ليالى الجفوات :
فاسرِ فى ضوءِ نجومى وائتنى فى الفلتات

---

(1) العفاة : جمع العافى ، كل طالب فضل .

أو تَخلْ دمعىَ دراً ... فادخر من عبرات
أوجيب القلب ما قُـ ... ـدّر لى فى النبضات
لسوى عدّ الرزايا ... والهموم الطارقات
سالوا : فى أى حالٍ ... هو أحلى فى الصفات
قلتُ: أحلى ما تراه ... فىَ حديث اللحظات
فإذا أرخى لحاظاً ... كان أحلى فى السُبات
وهو أحلى منه إن فا ... هَ وأحلى فى الصمات
وهو أحلى ما تراه ... عاطياً باللفتات
وإذا صدَّ فما أحـ ... ـلاه جهم النظرات
فإذا لان فما أحـ ... ـلاه طلق اللمحات
كلُّ حالٍ منه أشهى ... حالة فى الحسنات
إنّ حبىّ درةٌ تجـ ... ـلو دياجى الجَفَوات[1]
إن حبىّ مثل حبٍّ الله ... غفراناً لعاتى[2]
كيف تلحانى على حـ ... ـبٍ به تبلو أناتى؟[3]
إنما الحبّ ضياء ... من صبيح الصفحات
تبعث الحبَّ إلينا ... كابتعاث اللحظات
يعذر الحسن وإن قـ ... ـطب نضوَ اللهفات
راحماً يقسو اتقاءً ... لهناة الرحمات
إن يكنْ حبىَ خلداً ... أعطنى خلدَ الممات
وأرحنى من خلود الـ ... ـشجو موفور الأذاة !

---

(١) الجفوة : الغلظ فى المعاشرة (٢) العاتى : المستكبر : المتجاوز الحد .

(٣) لحا : لام وعاب . والأناة : الحلم والصبر.

إنما الخلد تجاءُ الـ — ـنفس من وخز الشكاةِ
لا تُرد لى سلوةً تشـ — ـعل نارَ الحرقات
إنما السلوان هاما — ت الشجون الهالكات[1]
آه لو يرشقُ قلبا — لك سهمُ اللحظات
لحظات لك تمضى — بالسهامِ المصميات[2]
آه لو تألم أخذ الـ — ـدهر من زاهى الشيات[3]
وترى حسنك نهباً — للخطوب المقبلات
وترى آثارَ أقدا — مِ الصروف الدالفات[4]
وترى الأرضَ كأنّا — فى العصور الخاليات
وترى الأرض كأنّا — فى العصور القادمات
لا ترى للحسن إلا الـ — ـحبّ فرض الفرصات
فتؤاتينى بعطف — منك يجلو حسراتى
لا يرى القسوة دينا — غير قنٍّ الغفلات[5]
والذى يبصرُ كرَّ الـ — ـدهرِ جمّ العدوات :
لخليق أن رآه — باختلاج الرحمات
ولئن خاتَلَنا العيـ — ـشُ بآل الطيبات[6]
ولئن خاتلنا الحـ — ـبّ بغضٌ القسمات
فلعلَّ الموتَ مكذو — بٌ كتلك الخدعات
ولعلّ الحبّ يُجْزَى — صالحاً بعد الحياة !

(١) الهامة هنا : روح القتيل ؛ أى أن السلوان على ذكره روح الحب القتيل .

(٢) المصميات : السريعات الصائبات (٣) الشيات : الألوان .

(٤) دلف : مشى وتقدم (٥) القن : العبد . (٦) خاتل : خدع .

وسائل الحب

إنَّ الذين وددتهم وورضيتهم ... نالوا رضاك بآيةٍ لك تذخرُ

نالوا رضاك بمنحةٍ أم خدعة ... أم بالرُّقَى ترقى النفوسَ وتسحرُ[1]

أتقربوا بالبغضِ إنَّ محبةً ... أقصتَ فؤاداً وافياً لا يغدرُ

مرْنى لأفعلَ ما تشاء فإنَّما ... لك من هوى نفسي المكان الأكبر

إنْ شئت أنْ أردَ السماءَ وردتُها ... ليلاً ليقنص دبّها والأنسر

أو شئت أنْ أهذى بكلٍّ فكاهةٍ ... كالآل لا حقّ يصوب ويغمر

لقرأتُ واستظهرتُ كلَّ فكاهةٍ ... وذكرت من عبث النُهى مايذكر

وسمعتُ ما أعيا السميع سماعه ... من صامتٍ ، ورأيتُ ما لا يبصر

أو شئتَ مدحى للئام مدحتُهم ... وحسبتُ أنَّ الفضلَ غرّ يزمر

أو شئتَ أنْ أردَ الرياءَ فإنني ... لكما تشاء إلى رضاك مسيَّر

أو شئتَ أنْ أهوى الكلابَ عشقتها ... ولقلتُ كلب ترتضيه غضنفر ![2]

هيهات لو أنَّ المحالَ فعلته ... لوددتَ ما بعد المحال وتعذَر

فعلان يربح واحد ولربما ... يمضى أخوه على السواء فيخسر

ذاك القضاء فإنْ أصيب بجنةٍ ... كم ماقَ سلطانٌ وجنّ مؤمّر[3]

والعطفُ مقمورٌ بغير كفايةٍ ... ونبالة ، والحبُّ ذاك الميْسر ![4]

---

(١) الرقى : جمع رقية (٢) الغضنفر : الأسد (٣) ماق : حمق . (٣) الميسر : القمار

حجة النائى

إيه ياقلبُ هل أمنتَ من النا ... س حبيباً يُرعَى وحباً جديدا
قلْ لمنْ قد هويته أىّ حالِيـ ... ـك بعيد المشوقَ نضواً عميدا
ولو أنَّ الحياةَ خلدٌ مديد ... لأسغنا فى الحب نأياً مديدا
غير أنَّ الحياةَ كالحلم تمضى ... إنما العمر طائرٌ لن يعودا
أنت لو كنت فى الشغاف من القلـ ... ـب رجونا من اقترابٍ مزيدا
رحمة بى بعدتَ أم لحياءٍ ... خفت لى فى الجمال منك وعيدا
ياشفيقاً علىَّ بالبُعد كم إشـ ... ـفاق ناءٍ قد جرَّ خطباً شديدا
أم لإغراءِ ظامىءٍ رعت بالنأ ... ى وخلفتَ بعدك التصريدا[1]
خطوات النفوس فيك عباديد ... فسيّان دانياً وبعيدا[2]
ولأنت الحياة فى القرب تظمى ... وظماءُ المودى أحرُّ وقودا
إن تكنْ مشفقاً فلا تبد طرفاً ... منك يسجو لحظاً وثغراً برودا
وابتعد إنْ لقيتنى ، إنَّ مرأ ... منك يوحى فى القلب نبضاً وئيدا
أو تكنْ مغرياً بنايك فارحم ... ليت لى فى هواك قلباً جليداً
ليت قلبى تحنو عليه ضلوعٌ ... منك حتى تخشى عليه الزنودا[3]
خلتَ ناراً أججتها زينة فيـ ... ـه كضوءِ المصباحِ حَلياً وعيدا
ياشبيهَ الثمارِ والزهرِ والفجْـ ... ـر تملَّ العيش الرخىَّ الرغيدا
إنَّ مَنْ جمَّل الحياةَ محيَّا ... هُ خليق بأنْ يكون سعيدا

---

(١) االتصريد : العطش   (٢) عباديد : أى شتى متفرقة   (٣) الزنود : تأجج النار .

أنت أشهى من الخلود وهل تلـ ـفى لنفسٍ فوق الخلودِ مزيدا ؟
فادَّ كرِ فى الرخاءِ نضواً طليحا بات يدنيك ذكرة وسهودا
إنّ يمت تبكه اللواعج والهـ ـمّ فقد كان للشقاء عقيدا
وسل الليلَ والكواكب هل كا ن دعائى إلاَّ القريب البعيدا ؟

فطنة الحسن

يا ذكيَّ الفؤادِ هذا فؤادى انتجع فيه من هوى مكتومِ
وأشدُّ الهوى هوى كتم الصد ر فأضحى كالمرجلِ المختومِ
ماترى فرحتى إذا ما تراءى منك طرف يوحى لقلبى الكليم
ما ترى الدمعَ حائراً فى جفونى حيرتى فى سوادِ حظىّ البهيم
ما ترى لحظةً يرق لها الصخـ ـرُ كسهمٍ براه وقعُ الهموم
لحظاتٌ فى إثرها لحظاتٌ هائماتٌ يحكين لحظ السقيم
خان عهدى الخلانُ حتى لقد أصـ ـبحتُ لا أرتجى إخاءَ كريم
كم رجوتُ الإخاءَ دهراً وكم أحـ ـببتُ، آهٍ لقلبىَ المكلوم
فإذا الحبُّ والإخاءُ سواء خدعات يقتلن لبَّ الحكيم
ومن العدلِ أنْ يحب صبيح حسنه كى يكون جدّ رحيم
ولو أنّ القلوبَ تألمُ للأحـ ـياءِ طراً من أجنب وحميم[1]
لرأين الحياةَ جنات عدنٍ رافلاتٍ فى نضرةٍ ونعيم
يا ذكيَّ الفؤاد لبُّك طبٌّ بسوى لوعتى وحبى القديم
فلعلّى أبهمت منه كلغزا الـ ـعيشِ واستعجمتْ حصاةُ الفهيم

(١) أى لسعيهم فى إصلاح ما فسد من أمورها ولمساعدة بعضهم بعضاً .

أم شـــقـــائى لـذاذةٌ لك فـــانعم ... ببـكـائى ولـوعـــــتى يا ظـلـومى
وسل الشــعــر والأصــالـة عن صـ ... ـب مـصـيـخٍ لحـسنك المنغـومِ
مَتُّ من شــعــره إليك بأســبــا ... ب ومن قـلـبـــه بدامى الكـلـومِ
لك لحظٌ يأســـو ويكْلَمُ يا لهـ ... ـفى لآس يزيد سـقم السـقـيم !
كـم طوى الدهـرُ من غـــرامٍ ومن ... حــسن ومن مــغــرم وحِبٌّ نديم
ومن الخطـب أن يزولَ جـــمـــالٌ ... كــــــان ريا وغـلـةً لـلـحـلـوم
مـا عـذابى بخـالد فـيك حـتى ... أشـتـكى منه قـاتلى وغـريمى
فلئن متُّ كـــان منك فكاكى ... من حـــيــاة كـحـرقـة المظلوم
نعـمـةٌ موتِىَ الذى ليس يؤسـيك ... ومـا أنت كـالحـمـام حـمـيـمى
ولئن عــشتُ فـالحـيـاةُ همـوم ... لستُ فـيـهـا بزائدٍ من همـومى
مـا شـقـائى بخـالدٍ ياحـبـيـبى ... لا ولا حُـسن وجـهك الموســوم
ولئن غض من جــمـــالك دهرٌ ... لم يـبخ حـــــرّ غَلة المحـــروم
يا ذكى الفـؤادِ تفـديك نفـسى ... من طروق الردَى ووقع الغـمـوم !

الأمانى والذكر

الذكـرُ يشجـوه والآمـال تـخـدعـه ... قلب تلوَّى إلى مغناك أخدعه؟[١]
يسائل الذكـر عن عهـدٍ لناخضل ... لعلَّ مـقـبـل هذا الدهر يرجـعـه
فـقـال سـائل به الآمـــال إنّ لهـــا ... فى مقبل العيش حكماً لست أدفعه

---

(١) الأخدع عرق فى الرقبة . وفى البيت تشبيه حنين القلب بتلفت الإنسان إلى دار حبيبه .

وما انتفاعى بآمالى التى حرمت ... على فؤادىَ إذ لا عطف ينفعه

جعلتُ بعدك آمالى محرمةً ... إنّى لأبغض ورداً لست تُنبعه

نأيتَ من بعد عهدٍ جفَّ يانعُهُ ... كالعود فى الصمت لاشدوٌ فنسمعه

غير ادكار تراتيم إذا تُليَت ... من ذكر عطفك أعشى الطرف مدمعه

والحسن شدوٌ لمن أصغت جوانحه ... له صدى تتهاوى منه أضلعه

قد أصبح الذكرُ قبر الحبِّ وانتثرت ... عليه منّى المُنَى كالزهر تمرعه

وعزةُ الغابرِ المذكور مؤذنة ... بذلّة الحالِ إذ لا رىٌّ ينقعه

فهل تغضّن وجهُ المرءِ مبتسماً ... كى يجد الدمع مجرى منه يتبعه

فيا سمائىَ إنْ غامت فإن لها ... فى نهر عيشىَ غيم أنت تطبعه

قد نمَّق القلبُ حسناً أنت طلعته ... أغرتَ حتى بصدٌ منك تصدعه

القلب مرآةُ ما أبديت من مُلَحٍ ... فاصقله بالقرب علّ القلب يبدعه

تذوى الزهورُ فلا عهد يعود بها ... لكنّ للوصل روحاً منه يرجعه

أصبحتَ فى البعد مثل الروح محتجباً ... وأمره الأمر مغداه ومرجعه

أو كالقضاء إذا ما صالَ صائلهُ ... فى خفيةٍ ونفوسُ الخلق مرتعه

والحبُّ كالموت يأتى فى فجاءته ... من غير إذنٍ ولا ساعٍ يشفّعه

إنى أحبّك حُبًّا لست أفهمه ... أيُفهم الكون منشاه ومنزعه

يا راصدَ النجم مزهواً بخبرته ... ارصدْ هلالا بأفق السعد مطلعه

وارصدْ لحاظاً لمن أهواه ماضيةً ... بقسمة السعد تعطيه وتمنعه

الحبُّ روحٌ من الفردوس هبّته ... ليوقظ النفَس شدو لا يوقّعه

والحبّ كالخلدِ لا يلقاه ذو عدمٍ ... إلا فواقاً لعيش حان مصرعه

خمرُ الخلود فنادمني على مهَلٍ سيحبس الدّنُّ عنا من يشعشعه

لو قسّمت فرحتي إمّا أراك على هذا الأنام لغاض النحسُ أجمعه

فما حنين هزار للربيع بأو في من حنين فؤاد أنت مربعه

وأنت شمسي وقطري والنسيم معاً بل الحياة وما أبغي وأُمنعه!

الحب والشفاعة

لما رفعتك عن ذا الخلق قاطبة كأنما أنت لم تخلق من البشرِ :

نأيت عني كما ينأى المؤمر إذ يبغي المهابةَ في ستر وفي صغَر

أخفتَ في القرب ما يردي بتكرمةٍ تنفي العيان وليس الخُبر كالخَبرِ

لو كنتَ إبليس لم تَعْد الكمال ولم نسمعْ بذمّك في الأمثال والسورِ

إنْ أَستغثْ بخصال الحمدِ أعوزني منك الوفاءُ وفاءٌ غير مقتسر

لعلَّ بعض خصال السوءِ يسعدني بشافعٍ غير مردود ومنزجر

بما بخلقك من عيبٍ ومنقصةٍ من كل مكتتم منه ومشتهر

وما يعيش به الأحياءُ قاطبة من النفاق ومن كذبٍ ومن نكر

أدعوك دعوة ذي خُبْر وذي مقةٍ ما إنْ رأى لك ذنباً غير مغتفر

فإن غضبت فلا عتبٌ ولا عذَل أدعوك بالفضلِ والإحسان والغُرر

لا بالحميدِ ولا المرذول أنشدكم فهل شفيعيَ خلق الغادر المكر

أم هل شفيعيَ أن أسلوك منصرفاً عن حرقةِ الحبِّ كي تقفو على أثري

إن كان ذاك فما قلبي بمناطر إلى اللقاء ولا روحي بمدكر

فاغضب لحسنك وارم القلبَ عن كَثَبٍ واقرب وأشعل فواداً غير منصهر

فمـا يزينك قلبٌ غيـر مـدّكـر ... من العبـادِ وخـدٌّ غـيـر منعـفـرِ

فاحلف بحسنك أنْ تدنو لترجعني ... إلى اللواعجِ والأسـقـام والذكـرِ

ولا تقل رحـمـة تنأى فلى كـبـد ... لم تخش منك صيال اللفظ والبصر

أغر الجمـالَ بنا كـيـمـا نكفّر عن ... وزر الجحودِ جحودِ الحسنِ والغرر

فإن فشلتَ فبئست تلك منقصة ... تنفى الجمال وبئس العجز فى الغُرَر

وإنْ ظفـرتَ فـقـد دانيـتَ منعطفاً ... فاثأر لحسنك واعرفْ لذةَ الظفر !

لا تحسب الحبَّ أعـمـى ضلَّ رائده ... الحبُّ أبصـر بالأخـلاقِ والسّيـرِ!

نجوى المحتجب

حجبوكَ من حذرٍ عليك صيانة ... يا ليتهم فى مهجتى حجبوكا

ولئن حجبت ففى الرحيقِ مشابه ... فى الدنّ أو مـا يحتـويه فـوكـا

أو فى اللآلىء وهى أنفس ما يرى ... عيفت لها الأصداف واختصوكا

لولا ظنون السـوءِ وهى كـثـيـرة ... يغرى بهـا من خـشـيـةٍ أهلوكـا

لحججتُ معتمراً ببيتك طائفاً ... أبغى إليك من الطواف سلوكـا

ياويح أهل الدار لو علمـوا الذى ... تحوى إذا سجدت لديك ذووكا

هم يحـسـبـونك واحـداً فى أمـةٍ ... ولأنت دنيـا الحسن لو عـرفـوكـا

لو يعلمون مخاوفى ومحاذرى ... حرسوك فى عـينىَّ إذ حرسـوكـا

ولقـد وقـفـت على ديارك بعـدمـا ... هَجَعَ الخليـقـةُ سـوقـة وملوكـا

نجـوى وثقت بدينهـا وبربّهـا ... ربّ المحاسن خـاب من يدعـوكـا

إذا أمَّ قلبى شطر قلبك حـاسـبـاً ... نجوى المحبةِ منهجـاً مسلوكـا

كيما تجيء على الوفاق وما ناى ... ناء إذا سلك الدعاءُ سلوكا
يا قلبُ مالك لا تبوء بسلوةٍ ... علَّ الحبيبَ بهجره يبلوكا
يا ساحراً خابت وسائلُ سحرِه ... أو ما عرفت على اليقين شكوكا
لا تبلغ النجوى أغضّ مرفَّها ... غفلان يجهل دمعك المسفوكا
ياليت أن الوحيَ كنت ملكته ... حتى تناجي غافلاً يجفوكا
إني اتهمتُ محبتي لما نات ... بك عنِّي النجوى فلا تدعوكا
يا مَن به افتتن القضاءُ كأنما ... صرف القضاء بحسنه يرشوكا
ويلي من الآمال فيك فإنها ... زفتّ إليَّ حديثها المأفوكا
يا أين منك وداداة للقلب لا ... تالوه مصطفياً ولا يألوكا

الحب والحذر

كيف لا أغرى بك الحذرا ... إنْ تكن تغرى بيَ الحذرا
تبتُ من ودٍ ومن مقةٍ ... فأقل من تاب واعتذرا
صرت أخشى منك طارقةً ... مشمتاً بي كل من أمرا
رُبَّ مأمون بغرّته ... حيّر الألباب إذ غدرا
كم وسعت النفس معرفة ... أتقصى الفعل والسِّيرا
فأتت ما لست أعرفه ... وكأني لم أصبْ خبرا
ما عجيب أنْ صبرت فكم ... جازع من كارثٍ صبرا
إن قلباً لم يَدِن بهوى ... قط شرٌّمن جوٍ خسرا
إنَّ مخدوعاً على ثقة ... زين خبٌ لم يثق حذرا

إن من صحت طويّته   لم يكتّم حبّه ذعرا[1]

عجب أن لستَ تأمنني   قد أمنتَ البدوَ والحضرا

آمناً من ليس يأمنه   سابرٌ يدري الذي سبرا[2]

أنت ممن عاشَ في كلم الـ   ـناس يقفو فيهمُ أثرا

إنَّ حبَّ السوءِ مكتتما   بزَّ حبَّ الطهر مشتهرا

خلت أنّ الناسَ لو كشروا   شاحذين النابَ والظُّفُرا

كنتَ لي خدناً الوذ به   تدرّي الآلام والكدرا[3]

حببوا لي العيشَ إذ قذعوا   كي أنال الفضلَ مقتسرا[4]

كنت أرثي حسنَ رأيك لو   لم أعالج قبلك الغيرا

كم صديقٍ بتُّ أكلؤه   من عدى أغرى بيَ الحجرا

أول الرامين معتذراً   من صفاءٍ كان لي ذخراً

لم ألمْ خُلقاً نأيت به   بل ألومُ الدهر والقدرا

قد أمنتُ الدهرَ أرقبُه   فدجا بالسوءِ واعتكرا

وأمنتُ الصيتَ أنشده   فشآني الغرّ وابتدرا[5]

خلته شهداً لمقتطف   فسقاني الصاب والصبرا[6]

وأمنتُ الحقّ أعبده   فحماني الورد والصدَرا

ثم ألقاني إلى نفرٍ   يعبدون الكذبَ والنُّكُرا

فامضِ مثل الدهر لا وطرا   ماليءٌ قلبي ولا خطرا

وامضِ مثل الصيت إن به   في الورى عن هامنا قصرا

---

(١) الطوية السريرة وزناً ومعنى (٢) سابر : مجرب ومختبر (٣) الخدن : الصاحب

(٤) قذع : أفحش في القول (٥) شآني : عابثني (٦) الصاب والصبر : المر .

وامضِ مــثل الحقّ لاشَــجَناً	بعــــده الفى ولا ذُعــــرا
وامض مــثل العــيش إن لنا	بعــــده فى راحـــةٍ وطرا

موارد الحب

يا رائدَ القلبِ يحدو بى إلى حسنٍ	انزل بقلبى فى خصب من الدمَنِ[1]
الأرضُ تهــدى بأعــلام وأوديةٍ	والأفقُ يبعثُ بالأضواءِ للسُّفُنِ
وفى السماءِ رياحٌ جدّ معملة	تحدو الطيورَ إلى الأوكار فى الفَنَنِ[2]
فما الضلال بحسن لا دليل به	إلاّ مصارع قوم لسّنَ بالسَنَن
لا بالحنين ولا بالصدق أدركه	وكيف أدرك آلاً غير ذى مَنَنِ[3]
وأنت كالحقِّ مخبوءٌ ومطّلبٌ	والحقُّ ذو صلفٍ يجتن بالجنن
ولاموتُ يظمى إلى حسن وإن صبرت	عن شرعة الحق نفس الهالك الضمنِ[4]
لئن نأيتَ كناى الشمسِ عن دنفٍ	يرنو إليك رنو المرءِ للوطن
لم يخرس الطيرَ أنّ الشمس نائيةٌ	إذا بدا الصبحُ تتلو آية اللسن
لاتحسب الحسنَ مثل الشمسِ يسعدنا	فى البعد بالضوءِ إذ يؤذى على قرن[5]
فالحسنُ يحرق فى هجرٍ وفى بُعُدٍ	ويبهج القلبَ فى قربٍ من السكن
ياليت للشعر آلاماً فتبصرها	كيما ترقّ لما يحكيه من حَزنى
أو ليت لى مسلكاً كالفكر أسلكه	يخفى عن الناس فى حلّ وفى ظَعن[6]
أو ليت أنى قضاء لا مردّ له	آتى إليك بنعماءٍ من الزمن
أو ليت أنى شجون منك قد نزلت	فى صدرك الغض قلبا ضاق عن شَجَنى
وما صبرت على صدّ قسوت به	كلا لعمرك إن اليأسَ صبرنى

(١) الدمن : الموضع القريب من الدار .   (٢) الفنن : الغصن . ومعملة : عاملة .

(٣) المنن : العطاء والنعم   (٤) الضمن : ذو مرض يلازمه ويشتد عليه

(٥) قرن : اتصال   (٦) الظعن : الرحيل .

إنْ عذَّبَ السهدُ عيناً غير مغفية | إفكٌ مـقـالـيَ إنَّ الطيفَ يؤنسني
يا باخـلاً بلقـاء ليس يحـربه | ما كنت أحسبُ أنَّ الحبَّ يبعدني[1]
مـا كنتُ أشقى بآمالٍ أعالجها | لو أنني عـاكف أحنو على وثنِ
وإن نأيتَ فقد أرخيتَ لى طوَلا | لكنّ قلبيَ مشدودٌ على الرسن[2]
لو كنتُ أسطيع سلواناً عذرتكم | وكيف أسلو وأنت الروح فى البدن ؟
وكيف تمنعنى وجهاً تلوح به | للناس طراً بلا مَنٍّ ولا ثمن ؟
أنت المقادير كالعشواءِ خابطة | بالسعد والنحس من نعمى ومن محنِ
فأنت توحشنى من غير ما سبب | وأنت تؤنسهم بالمنظر الحسن
نام الخليون ممن قد رأوك وما | نامَ الشجيّ وقد باعدت ياسكنى !

الصبر والجزع

يا لابساً حللَ الربيع مخايلاً | فى خلعة الفردوس من لألائه
من لى بصبر عنك ليس بكائنٍ | صبراً يداوي القلبَ من بُرَحائه[3]
صبر القتيل عن الحياة وطيبها | وعن اقتسار الثأر من أعدائه
من لى بصبر الدهر من أزل الدُنى | صبراً على المقدور من عدوائه !
من لى بصبر الغصن أجج عوده | صبر النجوم على السُرَى وعنائه ![4]
صبرَ النيام عن الضياءِ وحسنهِ | وعن الرجاء ونجحه ورخائه
صبر السماءِ عن الطيور تصويت | صبر العيون عن الغماءِ ومائه[5]
أوّاه أعوزنى اصطبارٌ لاتنى | تفنيه نار الحسن فى إعيائه
مثل الذبالة نورها بفنائها | قمنٌ وصبر المرء عقب شقائه

---

(١) حربه : سلبه ماله وتركه بلا شيء (٢) الرسن : حبل الدابة (٣) البرحاء : الشدة والأذى .
(٤) السرى : السير ليلا (٥) الغماء : الغمام .

ولئن أصابك فى حياتك مثلما فزع الجريح إلى نقيع سقائه
لرثيتَ للصديان من حُرق الجوى ورحمتَ هيماناً لفرط بكائه
إنى لبعدك كاليتيم تباعدت أنصاره فبكى على آبائه
ولكم جزعت لجفوةٍ لك أفرطت جَزَعَ الجبان يفرّ من هيجائه
لعرفتَ ما جزعى لو أنك خابر جزع المريض من الرَّدَى وقضائه
جزع الثكالى غالَ أوحدها الرَّدَى فوددن طعن الموتِ فى أحشائه
جزع لباغى العدل روَّع جأشه طاغٍ يخال العدلَ من إجرائه
لا بل جزعت وليس يعرف جازع جزعى لبعد شبيهه وعنائه
غلاّن فى جيدى لحبّك واحدٌ ولصولةِ المقدور فى غلوائه
إنْ غبتَ عنى ظلْتُ ناشد حاجة مجهولةٍ لم يدرِ وجه دعائه
متلفتاً حولى كأنى مُشعرٌ روحاً يُحَسُّ وإنْ نأىَ بخفائه
وأرى الفضاءَ بلحظة هوجاء لا تبغيه بل تبغى ضمير هوائه
فكأنما أبغى عوالمَ خلفه سترت بغيب غطائه وكفائه
لحظات عين لا تراك كطائش من نبل أخرقَ حادَ فى إجرائه
إنْ لاحَ إنسان حسبتك طالعاً أو لم تكنْه فأنت من قربائه
حتى أحبّ الخلقَ إنك منهم وأقيل جرم الدهر فى عدوائه
فإذا استبان علمت أنى مبصر من لا أسُرّ بوده ولقائه
إنِ غبتَ عنى خلتُ أن عوالماً خسفت خسوفَ البدر فى ليلائه
كالسيف إن صدئَ الغرار وطالما راق العيونَ بطبعه وروائه
وأكاد أهتف فى الندىً بذكركم قهراً أذلّ لأمره وقضائه

لولا مـغـالبـة اللسـان وصـونه ... بانَ اختـبـالُ اللبَّ من بُرحـائه (١)

وأودُّ لـو تـدنـو إلـيَّ بـزلـةٍ ... أهلاً بجـرمٍ نلتـقى بعـدائه!

بل ليت لى منك ائتلافٌ مسعدٌ ... إلف القـصـيـد لعـوده وغنائه

إلف الأزاهر والمياه تصـافـيـا ... وجـرى الربيع عليـهـمـا بجلائه

فلطرفـةٌ تمضى ولست بشـاهـدٍ ... خلدُ الجحيم بنحسه وشقائه

زورة المباعد

يازائرى أعبقتَ منك محـاسنـاً ... كـالزهرِ يتـرك نفـحـةَ المرتادِ

أخـصـبت تربة أنفسٍ ظمـآنةٍ ... شـامت سناك فكان خيرَ عهـادِ

وأفضتَ شؤبوب المحاسن والنهى ... طيـبـاً على المهجات والأكـبـاد

يازورة كـالعـيـد إلا أنهـا ... جَلّتْ عن الفـرحـات والأعـيـاد

ياليت أنَّ الدهرَ أوقف سيـرَه ... حـتى تحين قـيـامـةٌ وتنادى

لهفى عليك أعائد بك ما مضى ... أم كلُّ عـهـدٍ فـات غـيـرُ مـعـاد

عجباً أما صابَت لحاظُك مهجتى ... صـوباً يبل به أوام الصـادى(٢)

كـتقاطر الرحمات عقب سوابق ... من نقـمـةٍ والحـادث المرعـاد

طرفٌ تألق منك حـتى خلتـه ... قَبَس المجوسِ يُضىء للعـبّـاد

لوددت أن أرعـاه رعـيـةَ عـابدٍ ... يبـغـى الخلودَ له على الآبـاد

ياليت أنَّ النفسَ دُرَّةُ غـائصٍ ... أهديك من نفـسى أعـزَّ عـتـاد

النفسُ مـرآة فـقـارب وجـهـهـا ... يخلص ضمـيـر النفس من أضداد

كـوذيلتين تحـاذتاً وتصـافـتـا ... ما إن ترى غير الشكول بوادى(٣)

---

(١) برحاء : شدة (٢) الصادى : العطشان (٣) الوذيلة : المرآة .

أترى ظلالَ الموتِ تسحب ذيلها ... وتظلّ رهن قطيعةٍ وبعاد ؟

سأسوم قلبى عنك سلوةَ صابرٍ ... القلبُ أحجى منك بالإسعاد

قد يلهم القلب الشجى عزاءه ... هجر أطلت لسلوةٍ ورشاد

هّلا رحمت القلب رحمةَ مبصر ... لمّا نأيتَ بريّه والزاد

أم لست تعرف أن حسنَك مهلكٌ ... بزَّ المهالك فى رَدًى وعوادى ؟

أم أنت متّهم هواى فلم تخف ... منه علىَّ لواعجى وصفادى ؟

وحسبتَ أنى عابث بدعابةٍ ... فلهوتَ بالتقريب والإبعاد

اجحد حياتك ما استطعت جحودها ... فلئن قدرت فلوعتى ووداى

لو كنت شاهد عبرتى وصبابتى ... لمّا برمت بصدك المتمادى

وصدعت أبواب السماءِ بدعوةٍ ... كادت تهدّ شواهقَ الأطواد

لعلمت أنك بالسلوّ وبالقِلَى ... أحجى ولكن لا يطيع فؤادى

لو قلت أنت قتلتنى لضحكت إذ ... كاراً وإن أهلكت بالإبعاد

ولربّ باغٍ سعد خلٌّ هالك ... منه بخلق غير ما إسعاد

فاعط الصبا فرضَ المراحِ ولاتصلْ ... حذراً علىَّ من الشقاءِ العادى

واهَنأ بأترابٍ حنوت عليهم ... وتركتنى خلواً من الأوداد

فغصونهم كغصونك الفيحاء مو ... رقة وغصنى عاد شوك قتاد

لو كنت لم أبلُ الحياة وصرفها ... لقصدتهم بالغلّ والأحقاد

أما وقبرى بالوصيدِ موطا ... ألفى لديه راحتى ووسادى

سفهٌ بمثلى أن يلومَ على الجفا ... إلف الهوى بقوامه المنآد

لو كنت تجهل ما أعانى من جوى ... إن غبتَ عنى آخذاً بفؤادى

لرجوت منك مودةً لم ألقها | وصبرت للبلوى كصبرِ إبادِ[1]
لكنْ علمت فلم تعد لى حيلةٌ | لولا سراب رجائى الميّادِ
أدنوتَ كى تنأى ولِنتَ مخادعاً | لأسام خفضاً بعد عزّ قيادى
رحماك ياغضَّ المحاسنِ لم تكن | عندى بأهل خديعةٍ وعناد
ماذا اجترمتُ فكدتنى بخديعة | تبغى عذابَ فؤادىَ المنقاد
إنْ المروءةَ والشهامةَ غير ما | يأتى المصادق من أذى الأوداد[2]
قد كنتُ أحسبُ كلَّ حسن فطنة | تودى بقسوة وحشة الأضداد
فمنيتُ منك بغير ما أمّلته | أسفاً لقلبٍ منك غير جَوَاد
يا ليت أنك صخرة مهجورة | ليست تغرّ بفطنةٍ وفؤاد
أدعوك بالآلام وهى مضيفة | مما خبرتَ لفرقةِ الأنداد
أدعوك بالعبرات إنْ رقرقتها | من مقلةِ حرَّى بغير رقاد
وبكل ما عانيتَ من حُرَق الجوى | وبروعة الأحلامِ والتسهاد
أدعوك بالزفرات إنْ صعّدتها | من غدر أحبابٍ وغلٍّ أعادى
وبوقعِ خفقةِ قلبك القاسى إذا | حذر الرَدَى ومراكب الأعواد
وبما ألمتَ من الشقاوة والأذى | والخوف يقدح فى الحشا بزناد
وبما يتاح من المهود إلى الردَى | من لوعةِ الإصدارِ والإيراد
أدعوك كى تدرى حنين جوانحى | بحنين قلبٍ منك غير جماد
وبكلِّ ماعالجتَ من صرف النوى | والمرءُ رهنُ روائحٍ وغوادى
كيما ترقّ للوعتى ولواعجى | وتزيل دولة صدِّك المتمادى
يا قلبُ بعض الحبِّ ليس بفطنةٍ | فاجنب هواك لفطنةٍ وسداد

(١) إباد : قوى ثابت أو الجبل (٢) أوداد : محبين .

لو أن شجوَ القلب يبعث مثله — فى صنوه لبلغت كلَّ مراد

أيقنت أنك مولعٌ بمباعدٍ — هانت عليه حرارة الأكباد

فاقرن يقينك بالعزاءِ ولا تقفْ — بالشكِّ موقفَ حيرةٍ وتمادى

وارجع إلى يأسٍ سكنت لجنحه — زمناً ، فكان أبرَّ بالأنداد !

ياضوء [1]

تضيء ما يستر الظلامُ من الـ — ـقُبْح وتكسوه حُلَّة البِدَر [2]

وأمّك النارُ وهى صائلةٌ — للخير والشرِّ صولةَ الغِيَر [3]

كسوتَ وجهى وخاطرى حُللاً — وكنت للعين علّة النظر

لولاك لم يرحم الذى حمد الـ — ـحسن أخاه ذا الآفة الكدرِ [4]

تلوح للهالك السقيم فيعـ — ـتدّك خير اللذّات والذُّخُر [5]

تلوح للجارم الحبيس كما — يلوح ماضى النعيم فى الصور [6]

تغذوه أمٌّ فى عينها أبداً — سحرُ حنانٍ يضىء فى البصر [7]

وهو وليد قد أولعت يدهُ — يخطفة الضوءِ حلية الحجر

وكلُّنا ذلك الوليد إذا — لاح سراب الرجاءِ والوطر!

---

(١) أعيد نشرها بمجلة « الرسالة » عدد ١٦٥ فى ٣١ أغسطس ١٩٣٦ بعنوان – « ياضوء » وكانت فى الديوان بعنوان « الضوء » . وحذف منها بعض أبيات أعيدت هنا كما كانت فى الأصل .

(٢) البدر : جمع بدرة مقادير من النقود (٣) غير الدهر : صروفه (٤) ذا الآفة : أى الكفيف . (٥) لأن الهالك يعد الضوء رمزاً للحياة التى سيفارقها .

(٦) يرى الحبيس الضوء فى سجنه فيذكره بعهد وهو طليق برىء .

(٧) المجرم الحبيس يتذكر ضوء سحر الحنان فى نظر أمه وهو طفل طاهر .

وأنت فى المعبد المشيد كضو — ء الله فى صالح من الخبر[1]

أو مثل ضوء الضمير محتبسٌ — فى النفس أو كالصفاء فى السير

تبعدك الطيرُ فى الصباح بما — تتلوه من آيةٍ ومن سور

تهبط فوق الغدير فى مرحٍ — مثل هبوط الطيور فى الشجر

أم أنت روح الحبور قد برزتْ — تنير وجهَ الحياة فى خَفَر

كأنَّ فى الأرض قلبَ والهةٍ — تسبى عشيقاً بحلة الزهر

سنابلُ النبتِ ، أنت صغت لها — من عَسجدٍ ، حلّةَ من الحَبَر[2]

ترقصُ رقصَ الحسناء إنَّ لها — رقصاً كرقص الضياء فى النّهر

ياعَلماً للحياة ينشره الـ — ـكون فيقصى القلوب عن خور[3]

وربّ فجر بشقْتَه بهج — كفجر حُبّ فى القلب منفجر

أو مثل فجر الآمال إنَّ لها — فجراً وليلاً يضاءبالذّكر

فطرّز السحب مثلما حسُن الـ — ـنحسُ بضوء الرجاءِ فى الكَدَر

كأنما أنت سلّم لعلا — ءِ النفسِ تَسْمُو لآية العُمُرُ

أو أنت حُسن الجنان نبصره — منبعثاً خارجاً من الثُّغر[4]

تُرمد طرفَ الحزين ، إن أخاك — الليل برٌ بالخاطر الكدر[5]

تُليح بالسعد والمُنَى أبدا — لذى طموح بالترب منعفر[6]

وأنت كاليمِّ، دُرهُ الفلَكُ الـ — ـدوّارُ أو فاقع من الزهر[7]

---

(١) سطوع الضوء فى معابد الصلاة له جلال وأثر فى النفس .

(٢) الحبر : الوشى والزينة (٣) الخور : الضعف والجبن . الأصل – فيقضى الكمى (٤) جمع ثغره : أى فتحة . (٥) فى الأصل : طرف اليتيم (٦) فى الأصل : تليح بالحب ... لذى هموم .

(٧) يغمر الضوء الفلك والأزهار فكأنه بحر وكأنهما دره .

ويا بشيراً بما نخال من الـ آلاءِ في مقبل من الغِيَرِ[1]

حكيت ذخرَ الآمالِ تبعثها للوهم يزهو كالتِّبْر في الذخرِ

تخال من رقّة المراسم معـ ـنَى لا يراه البصير بالبصر[2]

أشهىٰ ضياءٍ يكسو الحبيب خمًا رًا نعم ذاك الكساء في الخُمُر[3]

تستبق الطير في أشعّتك الـ ـغرّاء فعل الحسان في الغُدر[4]

وضاءةُ الماسِ منك قد قبست وأنت في الروض خمرة الزهر

والضوء في المنزل الخراب كقلـ ـب الندب يشقى بالجسم في الكبر[5]

خواطر الخير كالملائك أو كالضوءِ يزهو في قمة الشجر

كلٌّ جليلٍ مشبّه بك في الـ ـمدحِ ، وليس التّراب كالدرر[6]

فالحقُّ والحسن والمطامع أشـ ـباهك في قول ناعت الغُرر

أضيء إن اسطعت ما يخال من الـ ـغيوب والطارقات والقدر[7]

كم ذا رأيت الأنامَ في عنت الـ ـعيش نشاوى من غير ما سُكُر

فلم تُقطّب على الشقاء ولم تبد كوجه لليل معتكر

كالشيخ شام الخطوب قاطبةً يذخر غفراً لزلّة البشر[8]

خبّر وما ينفع الورى أبداً طلاب ذاك الطليب في الخبر

أثغرة ذا الحمام نبصر منـ ـها الضوءَ ، أم حفرة من الحفر ؟

---

(١) استقبال الضوء كاستقبال البشرى من بهجة وجذل . (٢) أى من لطافته يخيل للرائى أن أثره فى النفس لافى العين . (٣) الخمر : بضمتين جمع خمار (٤) الغدر : جمع غدير .

(٥) النّدْب : المرجو فى الأمور لنشاطه . (٦) كل جليل مشبه بالضوء فيقال نور الحق ونور الحسن ونور الأمل ونور الطهر الخ .. (٧) اسطعت : أى استطعت والخطاب للضوء . (٨) كما أن الشيخ قد يغريه علمه بالحياة أن يغتفر للناس أخطاءهم فلا يعبس ، كذلك أنت لا تعبس بالرغم من عنت الحياة وشقائها .

الصديق المنشود

إليك يا من قضيتَ العمر أنشده ... فى الناسِ ، لو أن فيهم من يصافينى

همو مثالُ سرابٍ لاح عن عرضٍ ... وأنت أنت سرابُ الحسنِ تظمينى

وأى شىءٍ إذا جدّ الطلاب به ... لم أُلفِ آلاً من الأهواءِ يردينى (١)

أو كالأجاج إذا أظمى بجرعته ... وطالما خلت كاساً منه ترويني (٢)

ياسى من الخَلق يحدو بى إلى أملٍ ... فى ذى جفاءٍ إذا دانيت يقصينى

عرفت أنى لن أهنا بلقيته ... فلم أصب برء أحلام تناجينى

يا بؤسَ نفسىَ لا صبرٌ ولا صلةٌ ... ولا عزاءٌ يؤاسينى ويأسونى

يا لائمى أننى لم أُلف ذا مقةٍ ... افضى إليه بامر منه يشجونى

احمد زمانك فى جدٍ حَبَاكَ به ... لقد حبانى بجدٍ منه مدجون

ما إن أبيت حباءَ الدهر لو صدقت ... الآؤه ، وحبانى بالميامينِ

يا مغرياً لى بخلقٍ لا أشاكله ... أبغيك فى كل نابى الطبعِ مافونِ

وكيف أنقم إفكاً منهم ، ولكم ... كذبتنى بحديثٍ منك يغرينى ؟

أقول علَّ بعيداً لست أعرفُهُ ... يوماً يجىءُ بخلق لا ينافينى

لم يغنِ قلبى فيكم ما يعالجه ... هل تعلمون بديلاً منه يغنينى ؟

لو كان للعيشِ عَودٌ كان لى أملٌ ... فى أن أصيبك فى عيشٍ يصافينى

لكنّه مرّة فى الدهر واحدة ... ثم العفاء على آمالِ محزون !

---

(١) الآل : السراب .

(٢) الأجاج : المالح الطعم .

الملك الثائر [1]

مقدمة :

هذه الأقصوصة تحتوى نزعتين : النزعة الأولى سخط النفس من شرور الحياة وآلامها ، والنزعة الثانية تهوين أمرها على النفس ؛ لأن رفض الألم رفض للسعادة ؛ إذ الإحساس الذى يحس السعادة لا بد أن يحس الألم . ورفض الشر فى الحياة رفض للخير ؛ إذ الخير فى محاربة الشر ؛ ولأن الرحمة نفسها التى تدعو إلى هذا السخط ما كانت تكون لولا الشر . والقصة هى قصة مَلَك عصى ربه وهبط إلى الأرض ، كى يدعو الناس إلى محو الشر فآذوه وألحقوا به كل شر ؛ وخسر رضوان الله كما خسر رحمة الناس وعدلهم ومحبتهم . والمراد العظة وتحبيب الحياة والثقة بالله .

* * *

نُبِّئتُ أن ملاكا ثار من حزَنٍ ... يسائل الله فى خلق الرزيئات

(قول الملك الثائر يناجى الله) :

تكلمَ الشر فابعث منك هاتفة ... من الجوامع تُرضى فى المناجاة[2]

الأرض منبره وهو الخطيب بها ... يدعو النفوس إلى هُوج المطيّات[3]

فارحم مسامع لم تسمع نجيَّكَ أو ... نفسًا لضوئك ترنو فى الخصاصات[4]

وارحم عيونًا إلى مرآك ظامئة ... آبت من النحس فى شكّ كليلات[5]

---

(١) أعيد نشرها بمجلة « الرسالة » عدد ٦٨٠ فى ١٥ يوليه ١٩٤٦ وأضيفت إليها المقدمة والهوامش .

(٢) تكلم الشر : أى أنه أغرى الناس بمغرياته وجوامع الكلم التى تجمع منه الحكمة الفاصلة المقنعة .

(٣) منبره : أى منبر الشر فيرجو الملك من الله أن يبطل حجة الشر الخطيب بكلمة منه تجمع الحكمة . الهوج : جمع أهوج ، أى أن الشر يحمل النفس على الحمق والجنون .

(٤) نجيك أى نجواك والخطاب لله عز وجل ، والخصاصات : الثقوب ، أى أن النفس تتطلع إلى ضوء الله من ثقوب باطل الدنيا الذى يحجب ضوءه .

(٥) آبت : أى عادت ورجعت ، وكليلات : أى متعبة .

إذاً أعـزها لحـاظًا منك صـادقـة ... تدحو لها العيش محمود الصحيفات

وابعث لنا حكمة مما خُصصْت به ... فحكمة لك تُطفى حرَّ غلاَّت

ندرى الوجودَ كما تدرى الوجود بها ... ونرتضيه بأرواحٍ أبيَّات

فما الخلود ولا الفردوس من أربى ... ولا كمالٌ لمعصوم السجيات[1]

حتى أرى الناس لا دمع ولا حزنٌ ... ولا شقاءٌ بإجرام وغمَّات

سأبلغ الأرض آسَى مثلما حزنوا ... وأُبرىء الناس من جرح البليات[2]

إن الجهاد على النقص الذى طبعوا ... عليه أفضل من عصم السجيات

فالسيف أفضل مشهوراً وإن صدئت ... بالصون ما درنت منه بإصْلات[3]

(صوت من السماء) :

اهبط إلى الناس واندبهم إلى خلق ... كما تشاءُ على تقوى وإخبات[4]

وارغب بهم عن شرورٍ أنت ناقمها ... وداوِ ما اسطعت كلْمَ المصمئلات[5]

أوردهُمُ الخُلُقَ الأعلى لعل لهم ... إلى الدنيات طبعًا غير منصات[6]

فإن فشلت فلا غَروٌ فإن لنا ... فى الخلق حكمة مخبوء العلامات

(مسعى الملك الثائر واضطهاد الناس إياه وفشله) :

سعى إلى الناس ساع نحو خيرهمُ ... يدرُّ للخير أرواحًا بكيَّات[7]

---

(١) أى أن الثائر يأبى كل هذا الخير ، والنعيم ما دام الشر والشقاء فى الحياة .

(٢) آسى : أى أحزن من الأسى .

(٣) أصلت السيف : جرده من غمده وصدىء الحديد : علاه الوسخ والصدأ ، ودرن : أصابه الدرن أو الوسخ ، والتاء فى صدئت إشارة إلى صفحة السيف . والمعنى : هو أن محاربة النفس للشر مع ما طبعت عليه من النقص أفضل كما أن السيف المستعمل أفضل من السيف الذى لا فضل فيه وإن أصابه الدرن من الاستعمال . (٤) أخبت إلى الله : خشع له .

(٥) الكلم : الجرح . والمصمئلات : المصائب والكوارث ، واسطعت أى استطعت .

(٦) أوردهم : أى اجعله موردا لهم ، ومنصات إلى الشىء : أى منقاد إليه .

(٧) الناقة البكى : القليلة اللبن ، ويدر : يستنزل الدر أى اللبن ، والمراد خير النفس .

فـيـا لسـعـدهم لو أنَّهم جَنَبـوا ... ما يجنب السعدَ من حرص المباراة[1]

عـزيز عـاداتـهـم للشـرِّ رائدهـم ... كم قدسوا العادَ تقديس الديانات[2]

تبغي المُحالَ فتبغي الخير أجمعه ... هيـهات لو عزَّيت نفس بهـيـهـات

كشَّفتَ عيب نفوس أنت ناصحها ... فاحمل عن الخلق آلام الشقاوات[3]

ثارت به الناس كـالاغوال يقدمهم ... إليــه كـل عــريق فـي الجـهــالات

وحـمَّلوا خُلقَـه من سـوء خلقـهم ... وكـم رمـــوه بـأدناس الرمـــايات

ومـزَّقـوه بـأظفـار كـمـا خُـضـبتْ ... فواتك الوحش من دامي الفريسات

وعلَّقـوهُ عـلى جـذْعٍ وقـيـلَ لـه : ... اصعد كما رمت في مرقى السجيات[4]

مـا راعـه أن رأى الأشـرار ترجـمـه ... وإن تـوجَّـع مـن وقـع الـنـكـايـات

حـتى إذا مـا رأى الأبرار تـظلمـه ... غـرارةً وانصـيـاعًـا للسِّـعـايات

بكى لبغض ذوى خير وما منيت ... نـفـس بأوجع منه في العـــداوات

من كل لحظ بضوء الخير مُنبعثٍ ... يدجو عليه بتقطيب السخيمات[5]

تلك النفوس التي عاف السماء لها ... وثار يُغضب جبار السماوات[6]

يُكـفِّـرُ الناس بالآلام قـاطبـة ... عن الخطايا وعن شـر الدَّنيَّات

وعن رضـاء بعـيش جلُّه نقمٌ ... وعن ولوع بنعـمـاء ولذات[7]

---

(١) أي إن جشع التنافس في الدنيا مما تطلب به السعادة ولكنه كثيراً ما يؤدي إلى ضياعها .

(٢) تقديس العادات ليس مقصوراً على العادات الفاضلة ، والعاد العادات .

(٣) هذا البيت تفسير لسخط الناس على ناصحهم وطالب الخير والسعادة لهم لأنه بنصحه يظهر عيوب نفوسهم ، واحمل عنهم : أي بدلا منهم .

(٤) صلبوه ، وقولهم اصعد كما رمت من قبيل السخر . (٥) السخائم والسخيمات : الأحقاد .

(٦) عاف السماء لها : أي من أجلها ومن أجل تعاستها .

(٧) جله : أكثره .

هم يعـذرون بمدح الخـيـر شـرَّهُـمُ ... تكفير من لم يُطق هجر الخطيئات[1]

لســـان بَرٍّ بثلب الشـــر منطلق ... مـثل الأفـاعى ومـا قلب بعـزْهاةِ[2]

مـا أنكر الناس شـرًّا غيـر ضـائرهم ... أينكرون شـهـيـاتِ الغـريزات ؟

(صوت من الجحيم : إبليس يتكلم) :

ناداه فى النـار إبليس فـقـال لـه : ... هـوِّن علـيك ولا تُولَع بـإعـنـات

قـد شـاء ربك إن الشـرَّ عـدتـه ... فى صيغة الخير فى قَدْرٍ وميقات[3]

أنـا الـشـقـىُّ بما لـم أجنـه أبداً ... من خلق نفـسى ومن آثام زلاتى

(قول الثائر الساخط) :

فـقـال ذو شـقـوةٍ بالجزع منتصب ... يـكلمُ اللهَ فى نجـوى السـريرات

أَنزلْ علىَّ شـقـاء الخلقِ قـاطبـة ... وطهـر النـاس من ضَـيـر الجـريرات

إن يظلمـونى فـمن بـالشر يجـبلهم ... أو يصلبونى فمن بارى الجنايات ؟[4]

هل يَعـذرُ الشـرَّ أنَّ الخـيـر غـايتـه ... أم هـل تـهـوِّن آثامٌ بغـايـات ؟

(مصير الثائر) :

فـخُلِّفتْ روحـه كـالطيـر سـابحـة ... فى الجو تنـشـد مـخـضرَّ النبـاتات

طارت إلى الملأ الأعلى فـمـا لقيت ... لهـا قـراراً ولم تظفـر بمهْـواةِ

---

(١) من أسباب شدة ولوع الناس بمدح الخير ميلهم إلى التكفير بمدح الخير عن شر أعمالهم ، وهذا لا ينفى أن تكون هناك أسباب فاضلة لمدحهم الخير .

(٢) عزهاة : أى زاهد ولها معان أخرى ، والثلب : الذم والانتقاص .

(٣) فى الطبعة الأولى : فى صنعه الخير .

(٤) فى الأصل : فمن جانى الجنايات .

لا فى الجحيم ولا الفردوس مسكنها ... حيرى المسالك من فقد القرارات[1]
ترى الملائك حول العرش آسية ... تأسى الملائك من إثم وزلات

(صوت من السماء) :

يا ناقم الشر هلا كنت مضطلعًا ... بالجزع والصلب قبل الكارث الآتى
عصيت ربك فى كبر وفى جهَل ... لما بَرِمْت بإيلام الملمات[2]
الخلْق للخلق ربح لو فطنت له ... كمغنم الحىّ من أسلاب أموات
والشر والخير لا يُرْجى افتراقهما ... فارفض إذا اسطعت نعمائى ولذاتى
حتى العقول وحتى الفضل أجمعه ... والذة النفس فى بذل المروءات[3]
ومُرتضى الخير لو يسعى إلى دنس ... لَباءَ منه بإخلاف العلالات
ومرتضى الزهد مسعود بعفته ... ولذة المنع إنماء الخيالات
برحمة قد نماها الشر تنقمه ... ورحمة المرء من وخز المصيبات[4]
إن كان سخطك خيراً فى مراحمه ... أجزت خلْقى بأرواح رحيمات[5]
فالشر للخير مردود وإن أسيت ... منه النفوس بأنّات وآهات
وباحث سرَّ عيش غير مُدركه ... كالطفل ينشد أفلاك السماوات

(١) فى الأصل : ولا الفردوس موطنها .

(٢) برم بالشىء : ضجر وسئم .

(٣) ذلك لأن نمو العقل البشرى كان بسبب مكافحته المصائب والآلام والشرور ، فالذى يريد حياة لا شر فيها يريد إنسانا لا عقل له وكذلك الفضائل إنما نمت لأنها هى محاربة الشرور .

(٤) الرحمة تنتمى إلى الشر أى لو كانت الحياة لا شر فيها لما عرفت النفس الإنسانية الرحمة .

(٥) فى الأصل : أجزت شرى .

الموت

أيا معبداً قربانُنا فيه عيشُنا ... نضحي به لذاتنا والأمانيا

ويا منصفَ المظلومِ من كل ظالمٍ ... ويا مهربَ الملهوف يخشى الأعاديا

ويا مبرئاً كلم الحياة بطبِّه ... جلالك أن قد راق ما كنت شافيا

ويا سترُ لم يصدعك همٌّ ولوعة ... ويا حصن عطلت الدروع الأواقيا

فيا موت يا أمّا أطالت تصامماً ... أمالك قلب يرام الولد حانيا ؟

ألا أرضعيني منك يا أمّ درة ... لأذكر ما قد كنت في العيش ناسيا

فياموت أقبل باسط الوجه طلقه ... فإن حميم الصحب ما كنت لاقيا

تقارب من أمسى لطيفك قاليا ... وتبعد من يرجوك في النحس راضيا

أتجمع بين الصحبِ ام انت فرقة ... تقول لها الآباد أن لا تلاقيا ؟

وكلٌّ لهيفٍ يبتغي فيك نجوة ... وكل لديغٍ يبتغي منك راقيا

فما التاح من ألفى من الموتِ موردا ... ولا اعتل من لاقى من الموت شافيا

أتسمع صوتَ الرعدِ كي أستعيره ... لأوقظ طرْفاً منك وسنان ساجيا[1]

أحبّك حبَّ الصبِّ وجه عشيقه ... لينقع ثغرا منك صديان ظاميا

وكم طربت أذني للحن أجدته ... أعد منك لحنًا يترك السمعَ واعيا

وأنت شبيهُ الله في خيرِ نعته ... فإنك رحمن وإن كنتَ قاسيا

لأعززت من قد كان في الناس صاغرا ... وأرخصت من قد كان في العيش عاتيا

وليس يعزّ المرء مثل افتقاده ... وإن كان معشوقًا لدى النفس غاليا

---

(١) الوسنان : الناعس . والساجي : الساكن اللين .

جـوارُك مـأمـونٌ وملكك رحـمـة ... لمن كـان قد أعيـا الطـبيب المداويا

لخلقت قلبَ الخوف يخشى حِمامه ... فجارك لا يخشى من الخوف ساريا

وأين دمـوعُ النحسِ من عـهـد آدم ... محاها من الأحيان ما كان ماحيا[1]

وكم حرس الموت الودائع بعـدمـا ... أحالت صروفُ العيشِ إلفاً معاديا

إذا لم يكن للميت شجوٌ وحسرة ... ولم يك للفقـد الذى ناب واعـيـا

فـأين وعـيـد منك يامـوت نتـقى ... ونزوى إذا مـا لحت منه النواصيـا ؟

وللخـفـض أيامٌ وللنحس مـثلهـا ... ودهرك مـثل الخلد أروع نـامـيـا[2]

توالت فصولُ الحولِ عن قدر موعد ... فـهل منـذر ينبى عن الموت آتيـا ؟

وليـسـت حـيـاةُ المرءِ إلا كنفـحـة ... سل الموت عنها والسنين السـوافيا [3]

وما بى خوف الموت بل حرّ حسرة ... لفـقـد حـيـاة فـيـه لم أدر مـا هـيـا

رزقنـا فلم لا يرزق الدود بعـــدنا ... أليست فضول العيش خلقاً دواليا ؟[4]

نسرّ على قبر العصورِ التى خَلت ... كـمـا يضحك المجنونُ أخطأ الملاهيـا

هو الحىُّ عبد الموت يسعى لطعمـه ... فـيـغـذى دمـاه والمُنى والمسـاعـيـا

ومـــا العـــيـش إلا طائرًا فى دُجُنَّة ... توهمـــه برقًـا على الأفق نائيـا[5]

كـفى شرفًا بالموت أن كـان عـائش ... يصولُ لنيل الرزقِ باللؤم شاكيـا[6]

حـمـدنا مهودَ النوم أن شابه الرَّدَى ... وإن لم يرع بالحلم من كان كاريا[7]

---

(١) الأحيـان : جمع حين بالفتح وهو الموت . (٢) الخفض : النعيم (٣) أسفت الريح التراب : بددته فهى سواف (٤) أى مرة لهذا ومرة لذاك .

(٥) الليلة الدجنة : المظلمة . (٦) شاكيا : للسلاح والعدة لابسها.

(٧) كاريا : نائما .

فكيف نعافُ النومَ لا نوم مثله ؟ ... سل القبرَ عنه والعظامَ البواليا

وما العيشُ إلاَّ عادة غال قَيدها ... وأى امرىءٍ يلفى لدى العاد عاصيا ؟

ولو فهم الحيُّ الحمامَ وطهره ... لما أوْجَرَ الحقدُ الكمينُ الأعاديا (١)

غداً يستوى الجانى ومن ذاق شره ... كأنْ لم يكونا مستكينا وجانيا

حبتك صروفُ الدهرِ بالحسن والهوى ... سلِ الموت أن يحبوك ما كان حابيا (٢)

ألم ترَ أنَّ المرءَ فى عظم سعده ... كما فى أساه ، يرتجى منه آتيا ؟

سواحر لذاتٍ يرى العيش بعدها ... خلاءً ، فيرجو لو رأى الموتَ باديا

يخاف عليها من عقيبٍ يمرّها ... فيكره من سوءِ العقيب اللياليا (٣)

كما ائتلف الإلفان فى صفو طرفةٍ ... يخالان أن لم يُبق فى العيش باقيا

فودّا لو ان الموتَ نسمةُ عاطر ... تطيرُ بروحٍ منهما كان هافيا (٤)

وهل يعدل الأحياء خير الأولى مضوا ... تنادوا لحينٍ واستجابوا المناديا ؟

فأهون بهذا العيش قد جاز داره ... ذوو اللب شتى يدلفون تواليا

سل الملكَ الجبارَ ينقع غلّه ... من الموت لو ألفى على الموت عاديا

وما العيش إلا ميتة بعد ميتة ... وما الخير واللذات إلا عواريا

وما العيش إلا الظئر تؤذى وليدها ... إذا لم يكن فى النحس جذلان لاهيا

فأهون بأحلام الحياة وطيبها ... فإن عناءً سؤر كأس رجائيا (٥)

فياليتنى كالزهرِ صيفٌ حياته ... فأفنى ولم يعنف علىَّ شتائيا

---

(١) أوجره : جعله فى فيه . (٢) حباه : منحه . (٣) العقيب : العاقبة ويمرها : يجعلها مرة

(٤) هفا : خف وطار . (٥) السؤر : ما يبقى فى الإناء من الشراب .

على العيش واللذات منى تحية ... وألفٌ على موتٍ يريح جَنَانيا[1]

أرى ظلمةً فى العيش أخشى غيوبَها ... وربَّ وليدٍ خافَ ما كان خافيا

أنخشى ظلامَ الموتِ والعيش مثله ؟ ... إذا ضاءَ سرُّ العيشِ فاعدده داجيا[2]

وما يضحك المسرور إلاّ لخوفه ... وكم ضحكة فى ثغر من كان خاشيا

تقطع أوتار المودّات والهوى ... تقطعَ خيط العودِ أشجى الأواليا

أيعجب ذاك الميت من حزن والهٍ ... أم الميت لم يسمع من الناس داعيا

تدرّع بالصمت الذى ليس مثله ... مقال ، أليس اللبُّ للصمت واعيا ؟

وصمت على الأموات يدنى كأنما ... يسقّى الندى زهراً على الترب ناديا

سواءٌ مقال الإلف أو جَرْس سبةٍ ... فقد أمنوا منه الأذَى والمخازيا

فمَنْ مبلغ الأموات عنى تحيةً ... سلامٌ عليهم ، بل علىَّ سلاميا !

فما أعوزتهم رحمةٌ فى قبورهم ... كما أعوزتنى رحمة فى حياتيا

لعادوا وفى الأرواح منهم بقية ... وفى الماءِ مورودًا وفى الزهر زاهيا[3]

وقد أصبحوا رزقَ الحياة وطعمها ... أيدعى قوام الحىّ ميْتاً وفانيا ؟

سواءٌ لديهم صبحُنا ومساؤنا ... وسيّان ما يسْمى الأذى والأمانيا

وسيَّان لمحُ الطرف مرًّا وحقبة ... ويبطى لنا النحس السنين البواقيا

خليلىَّ خطَّا لى من الأرض حفرةً ... أريح بها قلبًا عن الناس ساليا

ولا تسمعانى الطير تشدو بنغمةٍ ... فآسى على العيش الذى كنتُ قاليا[4]

ولا تمهدا للغيد فوقىَ موطئاً ... فأحنو لحسنٍ لم أزل منه صاديا ![5]

---

(١) الجنان : القلب . (٢) داج : مظلم . (٣) الأرواح : أى الرياح .

(٤) أسى : حزن . قلا : أبغض . (٥) صدى : عطش .

عزائىَ أنَّ الزهرَ تسقيه حفرتى ... دمى ويروح الحسن بالزهر حاليا

حبيبى ، أرحْ منك الجنَان فإننى ... تبدّلت منك الموت حبًّا مؤاخيا

وهيهات لا يسلو عن العيش جارعٌ ... من العيش حتى يصبح العيشُ ماضيا

وحتى يموت الحبُّ والذِّكر والمُنى ... وتتلو نواعى الشائقات المناعيا

وحتى يموتَ الموتُ لولاه ما بكى ... حريصٌ على دنياه يخشى المرازيا

فياليت أنَّ العيشَ يخلف ميتة ... دراكًا كما يطوى النهارالليياليا

ذعر المحب

تعزَّل قلبى كلَّ شجوٍ وفرحةٍ ... فقرٌّ كما قرَّت رفاتُ المقابرِ

وما كنتُ أدرى أنَّ للحبّ عودةً ... إلى القلب حتى خِفتُ صرف المقادرِ

أخاف عليك الضرَّ حتى كأننى ... أخاف على قلبى وسمعى وناظرى

كتمتُ الهوى فى القلب حتى أذاعه ... وجيبٌ وإشفاق لأنباءِ ذاعرِ

فـ احسرتا مالى وللحبّ بعدما ... وَهَى منه قلبى بين جانٍ ونافرِ !

ـيـك فى رغدِ السلامة لم يخف ... عليك شفيقٌ من صروف الدوائر

ولم أدرِ ما ذعر المحب ولم أبت ... أباعد عن قلبى مخوف الخواطر

ويسعدنى من شدّة النحس أنها ... نذيرٌ بإقبال الحِمام المغامر

أعالج آلامَ الدهور التى خَلَت ... كأنى مناكيد الدهور الغوابر[1]

فليتك تدرى مالقيتُ ولو دَرَى ... جَنانُك ما ألقاه ماكنتَ هاجرى

وياعجبًا لو كنت تجهل أننى ... لأجلك أقضى الليل رطب المحاجر[2]

---

(١) نكد : أى عسر شؤم والجمع مناكيد .
(٢) أى دامع العين .

ويا عجباً لو كنت تجهل أننى ... أبيتُ وقلبى فى مخالب كاسرِ

أما خبّرت عيناى عينيك أننى ... احبك حبٌ النحسِ خصب المصادرِ

فقد خبرت عيناك عينىٌ إنما ... تراءت لتشفى عاشقاً جد عاثر

شهيدىَ ليلٌ سامرتنى نجومُهُ ... كم التحت من بَرْح الهيام المخامر

وكم بتٌ أبكى أسأل الله راحةً ... من الموت لو ألفى لدى الموت ناصرى

أبنْ لىَ ألفاظاً من النار علّها ... تؤديك ما يلقاه قلبى وناظرى

وكلٌ بيانٍ عاجزُ اللفظِ كاذب ... فليتك تُلقى خاطراً طىّ خاطرى

وليتك روحٌ طىَ روحى خابرٌ ... وليتك ربٌ عالمٌ بالسرائر

وما إن كتمت الحبٌ إلاٌ مخافة ... لفقدك من مسعاة لاحٍ وغادر

فيا ويح قلبى لا صديقٌ مصادق ... ولا حِب إلا عادَ عون المقادر

أمن أرَبٍ أحيا لآسى كأننى ... غذاءٌ لأفواه الشجونِ الجوائر

فيا نائياً اغدق على القلب رحمةً ... بعينين نجلاوين من صنع ساحر

وعطفُك عندى نهزةٌ ليس بعدها ... إلى ابد الآباد إسعاد خاسر

فيا دهر كفّر عن همومى كلّها ... بمرأى حنان الحسنِ من طرف هاجرى

أليس قليلاً نهزة لو ينالها ... أخو الموت من خلدِ اللهى والذخائر

فيا لبلائى لاعزاء اصيبه ... عن الحب والخِلٌ الحبيب المؤازر

وإن كنت أدرى أن عيشىَ خدعةٌ ... وحُلم تقضّى أو أكاذيب سامر

أرى الزهرَ غضّاً يانعاً طلّه الندى ... مليًا بأن يشجو ظماءَ النواظر

فأحسبه دمعاً لذكرى غرامنا ... وأنفاس أيام اللقاءِ الغوابر

أتذكر وعداً باللقاءِ بذلته بمجتمع الأطيارِ بين الأزاهرِ
وليلاً طرقناه سميريْن فى الدُجىَ كما جال سرُّ الوحى بين السرائر
طرقتكَ ياليلَ اللقاءِ فرقتنى بلذات حبٍّ كالنجوم الزواهر
فهل من معيد لى لقاءً مضى لنا وعهداً تقضى بين إلفٍ وناصر؟
ولا تتركنّى ذاكراً عهد ما مضى كعادٍ يرجىّ الذخرَ بين المقابر

طيرة الفرخ

جناحُك واهنٌ فإلى م تبغى بذاك الوهن مطَّلب النسورِ
أقم فى وكر غصنك مستريحاً من الأحداث والقدر المغيرِ
الا طرْ حيث شئت فغير بدع إذا غالتك عاديةُ الصقورِ
لطيرة من يؤم الشمس أجدى على الزّلات والجدّ العثور
لقدُ جعل الطموحُ لكلٍّ ندب كما جعل القوادمُ للطيور
وقد يبكى الجبانُ على جرىءٍ كما يبكى الجزوعُ على الصبور
أرى الآلام محملها خفيف على الضعفاءِ والبطلِ القدير
أنفرق من ديونٍ هنّ حتم على النَفْساءِ والطفل الصغير[1]
ووقعُ النحس فى الأجسام وخز كوخز اللذّ من وقع السرور
فسلْ قلبَ الشهيد عن البلايا يخّبرك الشهيدُ عن الحبور
وما من مهجةٍ هانت وذلّت بغير مخافة الألم الذعور

---

(١) النفساء : المرأة إذا ولدت .

حب العزوف [1]

ليس الوجودُ وأنت بعضُ كيانه ... أسراً لقلبِ العاشق الغطريفِ [2]

والندبُ يحمل بين جنبيه الدنى ... روع الغريب وراحة المالوف

إنّ الذى درس الزمانَ وفعله ... لأجل من حَدَث الزمان الموفى

ويشيم أسرارَ الحياة بحكمةٍ ... تعدى على المجهول والمعروف

هب حسنك الأقدار تطرق بالأسى ... ما إن يعاب أخو الأسى بصروف

أو ما نما الأمر الصغير فأصبحت ... تتلى قروف قراعه بقروف [3]

هبه الخطوب حقيرها وجليلها ... عبث صيال جمالك الموصوف

عبثٌ ومن عبث مقالى إنه ... عبث ملامة ذى قَلًى وصُدُوف [4]

عَبث عداء الحاسدين ومثله ... نعستى لخلة جارمٍ وعَزوف

عَبثٌ نعيمى والشقاء ولوعةٌ ... تفضى إلىَّ بعلّةٍ وحتوف

عَبثٌ جمالك في الصدود وفي الرضى ... عبثٌ هيام فؤادى المقروف [5]

أو بعد ذا حال أخاف صيالها ... ولقد برمتُ برائقٍ ومخوف

لن تعرفَ الغيدَ الحسان إذا قضت ... أنَّ الهيامَ أشده لعفيف

ومن العجائب أن جهلت وطالما ... ذخر العزوف هيامه لحصيف

كم مدَّعٍ خَبَلاً لتحسب أنه ... خبلُ الهوى واعجُ الملهوف

يلقاك بالدمع الغزيز ولم يكن ... دمعى بخدعة ماذقٍ مطروف [6]

---

(١) العزوف : الذى لا يكاد يثبت على مودة خليل (٢) الغطريف : السخى

(٣) القروف : الجروح (٤) القلى : البغض . والصدوف : الانصراف عن الشىء .

(٥) المقروف : المجروح . (٦) ٥٧٤٥٧٤ ماذق : غير المخلص في الود .

إنى أجلّك عن سوافحِ عبرةٍ | عبثت لمغرور الحصاة سخيف (١)
يخشى على الباكين وقع جماله | فيبيت نهزة خادعٍ ومروف (٢)
ولأنت أعظم فى الفؤاد محلةً | من أن تغرّ بمدمعٍ مرصوف
يارب مضطغن يحبك إنَّ لى | شوقاً إليك ألحّ غير طفيف
الآن لما خِلتُ صفوك بالغى | يسعي إليك بمدمع المشغوف
كيما أبيت علي جفائك حيث لا | يخشى الحسودُ على الصفاءِ وقوفى
كيما يقال حبوتَه بمودةٍ | وتركتنى للعذلِ والتعنيف
أسفاً له لم يلق حيلةَ سابق | بالجد يسبقني بغير طريف
حتّام أبلو كلَّ يومٍ خلَّةً | للناس تغرى عنهمُ بوجيف
أو كلما قلت الحضيض بلغته | من ذى النفوس عدوته لألوف
حسبى اغترارك بالمناقب ملهما | صبراً فتثلج حرقةَ الملهوف

العدل والكسب

إذ كان رزق المرءِ كيداً يكيده | فأى يقينٍ فى النفوسِ الكواذبِ ؟
فما ينتحى حىّ سوى نفع نفسه | وإن خاضَ منه فى خبيثِ المكاسب
يذود قلوب الناس عن كل سابقٍ | كما ذيد طيرٌ فى الرياض بحاصب
أبيتُ على الأسقام نضواً محسّداً | وأحسبُ أنىّ ناعمٌ بالمآرب
وهل ذاق لؤم الناسِ إلا أخو ضنى | تكنّفه الأعداءُ من كل جانب ؟

---

(١) الحصاة : الرأى والعقل .   (٢) المؤوف : الفاسد .

أناسيهم أحقادهم غير جاهل وأسالهم من صفوهم غير عاتب
وما الناس إلا ظاهراً غير باطن حماة الأفاعى فى جلود الأرانب
يخالون خيرَ الناس من رام نفعهم وإن كان ذا نقص خسيس المعائب
وإنَّ أخسَّ الناس من عاف شرّهم وإن كان ذا فضلٍ نبيل المواهب
تجارب قد زهدتنى فى إخائهم وروَّعن لبىَّ بالأمور العجائب
وخلفنى فى العيش لا عيش رائقى وإن قيل إنّ الحزم حمد التجارب
فطوبى لمظلومٍ رأى العدلَ معوزا قضى أن فوق العدلِ صبر المحارب
هل العدلُ إلا خوف سرّ تعافه حذار العوادى من مهيب العواقب ؟

سفر اللؤم

حاولت منى بغضة لما نظرتَ إلىَّ شزرا
إن الحياة أعم شـ ـراً من لحاظ منك تترى
فكأنها باب الجحيـ ـم تبين منه ما استسرا
الناسُ سفرى كيف أقـ ـلى نعته لؤماً وشرّا
تُبدى وتنكر بغضةً ولشد ما أنكرت نكرا
لو باخ حرّ البغض لا نـ ـطفات حياةٌ منك حرّى
فكأنما نارُ الحيا ة تشبّ من غلٍ وتورى
فلئن بلغت به الحضيـ ـضَ فميزة لك ما استقرا
فافخرْ بأنك ألأم الـ ـثقلين حسبك ذاك فخرا!
فضلٌ خصصت به وكـ ـلُّ خصيصةٍ عتد ذخرا

نــفْـــسٌ بـــقـــىء المـــرءُ إن ... جُليت فــضعْ للنفس ســتــرا

فـكـأنمـا زخـــــــرفـت إذ ... ألبـــست نفـسَك منه قـبـــرا

بيـــرُ الـعــــقــــارب والأســـا ... ود بئــــست الأرواح بئـــرا

والمرءُ يغـــــفـــــر للظـلو ... م إذا تبـــغَّى منه خـــيـــرا

فـلـئـــن أهـــان خــلـيـلَــه ... لم يُلف للمظـلوم غُـــفــرا

إكـــرامُـــــهُ المظـلوم إقـ ... رار بجــــرمٍ منـه أســـرى

جـــرمٌ يحـــاول ســتــرَه ... جـــعل الشكاة لديه عـــذرا!

ويل للشجي من الخلي

هل للجـــوَى وقعٌ بقلبك رائق ... ترضـــاه لي بعـــادكَ المملولِ ؟

أم كنت معـروفـاً بإكي في الورَى ... فوضعت صدقي موضعَ التضليلِ !

أم أنت تكذب في الحديث وفي الهوى ... إمّــا شكوت لواعـجـاً لخليل ؟

فحسبت أن الخلقَ مثلك خادعٌ ... يحكي الهوي ببيانه المبذول (١)

خلتَ الأنين ترنّمـاً ، ولواعـجي ... إفك القريضِ ، ومشتكًى لحمول (٢)

أني اتهمت فصاحة كذبتها ... من ذا يعير فهاهة المفضول ؟ (٣)

فلـ'لّ في بعض الفهاهة شافعاً ... يأتي إليك بحـجـــةٍ ودليل

ياليت أنَّ الشعـر ليس يجيده ... غيرُ الشقيِّ بلوعة المتبول (٤)

كـذّب ولوعي بالفضائلِ والنُهى ... وبكل أمـــرٍ في الحـــيـــاة جليل

وارتبْ بصدقي في المقالِ ولاتدعْ ... للشكٍّ مسرًى في شكاة غليل (٥)

(١) المبذول : المبتذل الركيك (٢) الحمول : الصبور الحليم (٣) الفهاهة : العي

(٤) المتبول : من تيله الحب فسقمه (٥) الغليل : حرارة الحب أو الحزن .

أشقى الأنام من استريب بصدقه ... في نحسه من مشتكى وعويلِ

أفئن رأيت على الطريق مبضعاً ... ترجو له لو راح غير قتيلِ

ولئن رأيتَ أخا السقامِ رحمته ... ووددتَ لو يلقاك غير عليل

أو ناحت الثكلى رثيت لرزئها ... تبغي فداءَ وحيدها ببديل

وإذا اشتكى العافي الضريك بررته ... وكشفت ضرّ المجتدى المخذول [(١)]

وتودّ لو تنفى الأذى عن أنفسٍ ... راحت بجدّ في الحياة ذليلِ

رحماتُ نفسك قد وسعن منادحا ... للكون غير فؤاديَ المعلول

ولأنت أبصر بالفؤاد ودائه ... وألطُّ منك بشاكلٍ وقتيل [(٢)]

أفكلُّ حيّ منك أقربُ شقة ... وأحقُّ بالرحماتِ والتأميل :

من عاشقٍ قد خبَّرتك لحاظُه ... ما لم تخبرّ قبل عينُ خليل

فاقرن لحاظَ العاشقيك بلحظتي ... واظفر لها من لحظهم بمثيل

هيهات فات الناظرين لواعجي ... ومضوا بسؤر صَبَابتي وغليلي

الحبّ كونٌ لم تسعه برحمةٍ ... ياويح حبّ ظلّ غير قليل

لو كان أمراً هيناً لوسعته ... ورحمت قلباً منه غيرَ عليل

قد كنت أبغي منك سمعاً واعياً ... فظللتُ بين اليأس والتأميل

وبعثت شعري موقظاً لك من كرًى ... عن لوعتي ولواعجي وغليلي

تالله لستَ بمسعدٍ لي في الهوى ... ولئن دعوتُ ببوقِ إسرافيل

لم يبقَ إلاَّ أنْ أُنيم خواطري ... كالطفل راحَ بحسرةٍ وعويل

تشدو له الظئرُ الرؤوم فينثني ... طلقَ المحيّا ، قانعاً بقليل

---

(١) الضريك : الأحمق .

(٢) ألط : أي لصق ، أي أنك ألصق بالفؤاد منك بشاكل أو قتيل لا تعرفه .

لهفى لو أن القلبَ مثلُ وليدها نسىَ الأسى وأصاخ للتعليل
لا يخدعنّك أنْ بدوت تجلدى ما ذاك إلا حيرتى وذهولى
ولكم ذخرتُ للقية لك ، قولةً ، فإذا بدوتَ نسيتُ كلَّ دليل
وأودُّ لو أدعوك إمّا لحت لى فأرد عنك بحيرةِ المخبول
لهفاً لصادٍ خيل غير محوّم ولمقبلٍ قد خيل جدَّ ملول
وبوده لو كنت أنت جليسه في ليلةٍ وصبيحة ومقيل [1]
ظفر الخلىُّ بنهزةٍ ما نالها أحجى رعاة الحسنِ بالتنويل [2]
إن الخلىَّ هو الجرىء على المنى حيث الشجىّ لخيبة المخذول
حُرمَ الشجىُّ تصافيا وتدانيا ومضى الخلىُّ بغاية التأميل
والصبُّ مسبوب ببادى حبّه حيث الخلىّ لعزة التبجيل
ولعلَّ مسعوداً أحقُّ بخيبةٍ من عاشقٍ عفّ الغرام نبيل
جور القضاءِ وهل يجيرك غافلٌ عن جوره بفطانةٍ وكفيل ؟

صحو ولا صحو

لقد أصبحت لا عتبا ولا عذراً فيبتدرُ
وقدماً كنتُ إن أذنبـ ـتَ مما جئتَ أعتذرُ
لأقرب منك بالغفرا ن ، ذنبُ الحُسْنِ مغتفر
وفى الأعتاب لى وِردٌ وكيف وهمّيَ الصّدَرُ
ففى الأعتاب لى عود وذاك الصابُ والصبر [3]

---

(١) المقيل : منتصف النهار

(٢) النهزة : الفرصة (٣) الصاب والصبر : المر .

وحسبى منك أنَّ الحـ ... ـبٌ مخذولٌ ومعتكرُ
رعى الله البعاد لو ا ... نَّ صبراً عنك يقتصرُ
أأحمده وهذا العيـ ... ـش قربٌ منك والذكر
وأخشى أن يكون المو ... تُ فيه ، منك لى خبر
فما فى العيش لى منجى ... وما فى الموت لى وَزَر[1]
وكيف أصيب لى منجى ... وأنت النفسُ والقدر ؟
نوازع نفسىَ اللاتى ... تؤوب بها لك الفكر
أغرَّك مقول المتبو ... ل : أنت الشمسُ والقمرُ
إذا ما لجَّ بى ولَهٌ ... فترب بقيعة دررُ[2]
وما نفسٌ بأقطن من ... وليد شَاقَه المدَرَ[3]
الا غفراً بنفسىَ لا ... يماز الشهد والصبر[4]
فليس الذنبُ ذنبى بل ... هى الأرزاءُ والغيَر
فكنْ فى ذروة الأكوا ... ن حظٌ بمهجتى قصر
وكنْ حيث الحضيض فليـ ... ـس قولى ساقه الصعر[5]
وما أدرى سوى أن لسـ ... ـت مَنْ قد كنتُ أنتظر
حبيبٌ وامقٌ جاءت ... به الآمالُ والذكر[6]
بفتْك غير من أبغى ... وأنت السمعُ والبصر
ولو أنى حسبتكمُ ... جلاكم حلمىَ العطر
رضيتُ شقاءَ نفسى إذ ... يهُون العيشُ والقدر
شقائى أننى أهوى ... حبيباً غيره الوطر

---

(١) الوزر: الملجأ . (٢) البقيعة : قطعة الأرض . (٣) المدر: الطين . (٤) يماز : يفرق والصبر : المر . (٥) الصعر : الميل أو الكبر . (٦) الوامق : العاشق .

أتحسبنى أغار إذا … أتتك بآية غررُ ؟
وكيف أغار من فضلٍ … لغيرى شامَه النظرُ ؟
أذلك سوءُ رأيك فى … أم واشٍ فينزجر ؟
وهل ألفيتنى غِرّاً … بما أحسنت أفتخر ؟
جفاءُ الحسنِ منجبر … أسوءُ الرأىِ ينجبر ؟[1]
بودى أن تشيم الفضـ … ـلَ أجمعه فتبتدر[2]
بودّى أن تشيم النقـ … ـص َ لا يخفى له أثر
لكيما تعرف الواشين … ما أبدوا وما ستروا
وأقبحُ ما يرى حسن … برأى الخبِّ ياتمرُ
فهل عوّذتَ حسنَك بالـ … ـخداع كلّه عَررَ[3]
لتدرأ حاسداً لكمال … حسنِك لحظه شرر
وكلا إنه الخسور … فأين الحزم والحذر ؟

العظيم

لمعاتُ رأيك مقلةُ العرفان … فاحكم كحكمِ الحقِّ فى البرهان
لو كنتَ قد أعطيتَ فى الدهر المُنى … أو كان ما قد شئت للحدثان
لتعطلت سبلُ الشرور وبرّدت … وقدت قلبٍ للضريك العانى[4]
ومسحتَ بالرحمات آماقَ الورى … حتى تعودَ قريرةَ الأجفان[5]

---

(١) جبر الشيء : أصلحه (٢) تشيم : تظن أو تقدر . (٣) العرر : العيب أو الشر .

(٤) الضريك : الفقير (٥) الآماق : العيون .

من غير أن يوبى الحياة ركودها ... لفناء ما دفعت من الحدثان[1]

نزعاتُ نفسك رحمةٌ مرجوةٌ ... رحمات مقتدر الأناة معان

وجلائلٌ تذر الحياةَ كأنها ... خلدٌ يعبّ بزاخر الأزمان

وعلوت عن حسد الحسود وربما ... حسدَ الحسودُ الشمسَ فى الأعنان[2]

هيهات ما أسر الحسود تكرم ... إنَّ التكرمَ وقدُ غلٍّ الشانى

وفضائل ليست لغير مجرب ... إنَّ التجاربَ حجةُ الرجحان

وأجلُّ خيرِ النفسِ بعد بلائها ... فالعيشُ حربٌ فضيلة الغفلان

وترى الفرائضَ كالحقوقِ حبيبة ... أو كالديون رهينةَ الإيمان

دَينُ الحياةِ وربّ فرض غالق ... إلا لديك بمطلةِ الليان[3]

وعزائمٌ تمضى الحياة غلبَّةً ... وخواطرٌ كملائكِ الرحمن

الشمطاء الفتية (4)

قد بلوتِ الصروفَ فى حالتيّها ... ورمتك السراء والضراءُ

ورأيتِ الأطماع كالطير صرعى ... ثم عاد الرجاءُ وهو غشاءُ

واحتسيتِ الحياة فيضاً وسؤرا ... فإذا الذكر والرجاء سواءُ

وإذا المقبل المرجَّى كما فا ... ت به الدهرُ والحثيث ضراء[5]

وشهدتِ الأنامِ سلما وحربًا ... فإذا السلم والحروب عناء

---

(١) أى تمحو الشر من غير أن يكون ذلك سبباً فى محو الخير وركود الحياة ، لانتفاء الفضائل التى فى محاربة الشر .

(٢) أعنان السماء : نواحيها .

(٣) الليان : الخلف

(٤) يرثى الشاعر لوطنه فى عهود الاحتلال والجمود ، وقبل ثورتها وتحررها ، ويهيب بها إلى الانتفاض واليقظة (نشرت قبيل عام ١٩١٩) .

(٥) الضراء : المشى فى خفاء فهو من أجل ذلك بطىء . والحثيث : المشى السريع .

وإذا العيشُ والسنونُ جهادٌ ليس يدرى أسبابَه الأحياء

إيه يا مصرُ ما تقضى جمال ترتضيه الآمالُ والأهواء

الليالى التى عهدتِ حسان والسماءُ التى عهدت سماء

وذُكاءُ التى أطلّت على مجـ ـدك دهراً على القصور سناء

وجرى النيلُ فى أديمك قدما يتهادى كأنّه الحسناء

فانشرى أهلك الذين تقضوا إنَّ عيشَ الباقين منهم فناء

فكأنَّ الأطماعَ والسعى فيهم عبثٌ غيرُ نافعٍ وعناء !

سحرتك الأيامُ يا مصر أم نو مك قد طار عنه الرجاء !

الغليلُ الذى عهدتِ مقيمٌ فى نفوسٍ كما عهدت تشاءُ

أبغضينى أو أحسنى ، أنتِ أمٌّ برّها لو تعق ولداً قضاءُ

لك منى الغديرُ فى نومةٍ ، من بعد جهدٍ قضى عليه العفاءُ

نصبٌ خالدٌ واعظم منه اعتقاد تزيده الأرزاءُ

ورجاءٌ هو العبادة ، وإلا يـ ـمانُ درعٌ يرتد عنه الفناءُ

أبغضينى إذا هززت مناماً عطرّته الأحلامُ وهى رُخاءُ

مثلما يبغض النئوم المسجى موقظاً إذ يُماط عنه الرداءُ

مللٌ قد عراكِ من عنتِ العيـ ـشِ ، بلاءٌ أن الطماحَ بلاءُ

قد كرهت الرجاءَ والذكر طراً إن بالذكر تأرقُ الشمطاءُ

قد سمعت الذى نقول قديما ... وتقضى الدعاء أين الدعاءُ ؟

دعوة بعد دعوةٍ من صروف الـ ... ـدهرِ لبيتها وعادَ النداء

إنْ يكنْ باء بالزمانة من أهـ ... ـلِك رهط كأنهم أشلاء

أو عناكيب عيشها ورداها ... يتقاضاهما بليلٍ قضاء

أبغضينى فليس ذاك ببدع ... آه لو جرَّ نفعك الشهداء!

غرّك المرجفون ميناً وحقداً ... وحمانى عن قلبك الجهلاء

لم أقصّر فى دعوةٍ غير أنىّ ... خَذلَتنى مسامعٌ صماء !

ليس إلا الأحقاد يبعثها العجـ ... ـزُ وغلٌ يعدو به السفهاء

بعد عشرة أعوام

إلى حبيب غاض جماله

يا أليفَ الصبا عليك سلامٌ ... أين تلك اللوعات والآلامُ ؟

أين وردُ الخدودِ كالجمر يذكى ... حرقات يشقى بها المستهام ؟

أين قدٌ ينقد من دونه القلـ ... ـبُ ويطغى عليه منه الهيام ؟

وثنايا مفلجات عذاب ... هن ريٌ للمستقى وسلام

أين مدٌ الشفاه من عَبَث الد ... لّ وثغرٌ يبلّ منه الأوام ؟

واختيالُ الطاووسِ يافتنةَ الطا ... ووس يورى الهواء منك ابتسام

أين غمزُ اللحاظِ والكف واللفـ ... ـظ ، وأين العهود أين الذمام ؟

أين ذاك الضحك المرنُّ الذى حـ ـرّك قلبى كأنَّه الأنغامُ ؟
أين سحرُ الحديث واللحظ والد لّ ، وسحرٌ تحوكه الأوهام ؟
نثرت عنك كالثمار وقد هـ ـزتك ريح والغصن منك القوام
أين خصرٌ يهتز كالغصن اللد ن ،وقدٌ يهوى عليه الحَمام ؟
إذ ذراعى نطاقه ونطاق الـ ـجيد منّى ما تضمر الأكمام
ولقاءٌ كأنه رشفة الطيـ ـر وهجرٌ كأنَّه الأعوام
واختيالى على الزمان بعطفٍ منك والحاسدون بُلهٌ نيام
أين أين الوشاة والوصل والهجـ ـرُ وأين الآمالُ والأحلام ؟
يا أليفَ الشبابِ هل تذكر العهـ ـدَ وحولى وحولك اللوّام ؟
أسِىَ القلب منك للغابر الفا ئتِ من حسنك الذى لا يذام
أم نسيت الدلال والمُلك والدو لة إذ أنت آمرٌ وإمامُ؟
لنقيمن مأتماً حول حسنٍ استوى الصمتُ دونه والكلامُ
ثم أكسوه من قريضىَ زهراً مثلما حببَّ الزهورَ الرجامُ
مثلما جَمَّل الأزاهر بيتاً هدمته الأحداث والأيام
ذائعٌ حوله من الحبِّ نفح كالشذى والجمالِ زهر يشام
وكأنَّ الهيامَ هالةُ بدرٍ فيه وجه الحبيبِ بدرٌ تمام!

سم الخسة وسعار الغرور

لو أنَّ كلبًا عضه فى جلدتهْ لمات كلبٌ عضّه من خستهْ
وثائرٌ لطبعه الخسيس من كل خلقٍ رائقٍ نفيس

وغافرٌ لنفسه الجريرة   ويأخذ الجليس بالصغيرة

وقلبُهُ جهنمُ الأحقاد   وإن بدا في الصمتِ كالجماد

إن رعته بجانب الهجاء   لقيت منه جانبَ الرجاء

فإن تلن ألفيت جدّ نابي   أو رمت منه صفوه فآبي

فعيشُه ونفسُه بضاعة   وخلقُه ووِدُّه رقاعة

إذا شهدت أمرَهُ فمادح   أو غبت عنه طرفة فقادح

ولؤمه في طبعه ديانة   وعيشه لصحبه خيانة

طريد أهل الموتِ والقبور   مشرداً من ثقل الغرور

مفاخراً بعَبثِ الكلام   كأنما يهذى من الأسقام

ويدعى من سفه نجابة   وهو ضئيل الشأن كالذبابة

ووجهه من رقعة النعال   أو قطعة من أخْمَصَىْ بلال

تخاله مزدرداً ثعبانا   أو ماضغاً في شدقه أتانا

وعقلهُ كصررِ الأطفال   تجمع بين الترب والنمال

ياصافعيه صفعه مبرور   وعملٌ في خيره مشكور

إذا اشتكى ممن شكاه أمرا   كالهرّ أو كالكلب إماهرا

إن قطع الغلمان من آذانه   يصمُّ أهل الدار من جيرانه

يثار من آذانهم لسمعه   إذ ذاق مر فقده بقطعه

جدّ به في أهله الدلال   (والقرد عند أمه غزال) !

قربان القلب

لا تخجلن إذا علمت محبةً تحكى الصلاةَ وتشبه القربانا !

هل أنت تخجل أنَّ ربك راحم يهوى الجمالَ ويعشق الإحسانا ؟

أم من أب يحنو عليك مدافعًا يهوى لنفسك فى الزمان أمانا ؟

أذناب الخسة

ياعا ئباً نفسه عندى بلا خجل ذهبت تقدح فى ناءٍ بلا وَزَرِ

كى لا أصدق فى قولٍ تعاب به وإنْ أتيتُ بماثور من السور

ما زلتُ أرجو لهذا الناس منصلحاً على استفالك فى لؤمٍ وفى نكر

فربما فقد الإنسان خسَّته مثل افتقادك للأذناب والوبر

يرى الحليم أخسَّ النفس إذ رفعت عنها الرياءولم تقصده بالحذر

حقوق الفرائض

الحقُّ مثل الشمسِ يشرق نورُها لتغاير الألوان طىّ شروقها

وبلوغ أفق الفرض يظهر غيره أقصى سماءٍ تطبى لسحيقها

فذر الحقوق إلى الفرائض إنها لذات معبود الخصالِ عريقها

لن يبلغَ المرءُ العلا بحقوقه إلا إذا بلغَ العلا بحقوقها !

درسى من الطبيعة - اللينوفر

زَهرٌ يعبد الشموس فلا تخـ ـدعه لمعة تضىء سواها

يتبع الشمس لحظه أين دارت ويرى الضوءَ حليةً وإلهها

غـيـر أنّا نرى الرياءَ كـمـالا ... ونرى الطهـر خـدعـةً وسـفـاها

هل رأيت الرياضَ وهى ظمـاءٌ ... ضلةً تحسب السرابَ مـيـاها ؟

نوح الحفيف

يا حفيفَ الغصونِ هل أنت تحكى الـ ... ـنوحَ أم أنت مـشـبـه للغناء ؟

أنت قلب الأديبِ يشدو ويبكى ... كـدمـوع الندى وقطر السـمـاء !

محارب الخرافات

نقـضـت خـرافـةً لتـشـيـد أخـرى ... وخِلتَ الحقَّ أجـمـعـه مـشـيـدا

كـهـادم شـامـخ العـرنـين سـامٍ ... لـيـرفـع عنده جـبـلاً جـديـدا

يهوذا

لستَ من عـبـاد عـيـسـى ... لا ولا تـعـبـد بـوذا

أنت فـيـمـا جـئـت من عـ ... ـبـاد ذى الخبِّ يـهـوذا !

البطل

ترمى الحوادث بالظلال أمـامـهـا ... فـيـرى خُطى الأمـر الذى هوآتى

حـتـى كـأنَّ الـدهـرَ فى آباده ... يلقـاه بين عـشـيـة وغـداة

كـشف الزمـانُ لك الخـفىَّ وقلمـا ... يـعـصى المذلَّل نافـذ النظرات

سحرُ البصيرةِ رائضٌ ومحكم بلواحظ للرأيِ مقتدراتِ
وخواطرٌ لك في الأنام تجيلها تجلو الشكوكَ وتبلغ الغايات
يا حكمة فاه الزمانُ بسرِّها من بعد طول تصامٍ وصمات
فاه الزمانُ فكنت أصدق منطق والناس أصداء بجوف فلاة
شتّان بين صدى يردد ضلة ومقاولٍ مرضيةِ الأصوات
نظر الأنام الدهر في أعقابه ونظرتم الأيام في الجبهات
ورموا مساعي المجد في أقدامها ورميتم المسعاة في الهامات
بعزائم للشر تنقض أمره وعزائم للخير مبتدرات
أفعال من صحت سريرة صدره لا يعقد التدبير بالخدعات
إنَّ العظيمَ إلى الصراحة ينتمي والغمر للتدليس في الغفلات
سيرٌ كما شاء الكمال وضيئة مثل الهداة وآية الآيات
والدهرُ ليلُ المدلجين ومجدكم وفعالكم في الدهرِ كالمشكاة [1]
ومعاقل النعماء إنْ هي أعوزت كنتم معاقلَ منعة ونجاة
لا يصلح التدبير إلا أروع ينأى به عن ضيعةٍ وشتات
أعبقت في الأيام أزكى نفحة وخلعت من أردانها عطرات
والفضلُ مثل العرفِ يحيا نشره بنسائم العبقات والنفحات [2]
ترمي إلى الغرض البعيد بعزمة تصميه بين تمهل وأناة
هيهات ما جاد الزمان بمثلها عقم الزمان بتلكم الحسنات
فكأنها قد جمّعت لموفقٍ من سالف الآبادِ والحقبات
لاتصلح التدبيرَ إلا أنفس الحق يغلبها على النزعات

---

(١) المشكاة : ما يوضع فيه المصباح (٢) العرف : الرائحة الطيبة

إنَّ المقـــادرَ تنتـــحـــيك لأنهـــا ... ريضت لديك بحكمةٍ وحصاة [1]

كـالخـيل تعـرف رائضـاً ومـذللاً ... عند اقـتـعـاد السـرجِ والصـهـوات

يـا راكـب الأيامِ تجـــرى تحــتــــه ... مـــأمـــونة الخطوات والعــــدوات

العــقـل أغلـب والحــزامــة والنـهى ... بموفق فى العـــدل والرحــمــات!

فى فكـه

ارفق بـنـفـسٍ لـك مـــــزّاحـــــة ... لا تـفـلـتن فى مـــزحـــةٍ شـــاردة !

واطوِ مــــزاحـــاً ليس ذا وقــتـــه ... فــصــيــفــه أيامــه عـــائـده !

كـــانون أم قطب الشـــرى أم أعـــا ... لى الشمّ أم أنـفـاسك الجـامــدة ؟

بردت حـــتى صــــرت ذا وقـــدة ... يا ثلج تـكـوى نارك البــــارده !

والـشـىءُ إن أربى عـلـى حـــــدّه ... صــفــاته عن طبــعـــه حـائده !

فى شاب يدعى الفكاهة والظرف

ثقلت على النفـوس فكـنت سـداً ... وفـــسـقـت ســـــوائلَ الأرواح بـردا

فـكـلْ نـاراً ولا تـطـعـم ســـــواهـا ... لـــعـــلّــك أن تحـــبَّ وأن تُـــودا

وكـــلا لا تـذق جــــمــــرات نـارٍ ... فـتـشـعل منك أضـغـاناً وحـقـدا

كـــذاك الغـــاز يـخـــفى منه جـِـرْمٌ ... فـــإن أجّـــجـت نيـــرانا تَبـــدّى

ســـيظفـــر منك إبليس بنفسٍ ... تقـــاطر من مــخـــازيهـــا وتَنْدَى

---

(١) الحصاة العقل والرأى .

ويغسلُ بعدها يده بحمضٍ ويحرق حولها عوداً وندا
وإن النار تمحو كل نتن سوى نتنٍ عمدت إليه عمدا
لكان القردُ أكبر منك شأناً لو ان بجلده صلاً وقردا
ولو قول وجميع الذمّ مُرٌّ أريق على قفاك لعاد جمدا !
وعقلك مثل قطب الأرض فيهاً حكى أقطاره ظلما وبردا !

مر العمر

إن تباطا ساعة طرقت فبما قد أوقرتّ حزنا
كم عدوتُ العمر منتهبا خلت أنيّ أسبق الزمنا
عدو أحلام أقاربها أججت من عوديَ الغصنا
أتبغّى العمر من أمَم فكأني هارب جبُنا
يا بطيء العمر من وسنٍ قد هنيت السعدَ والوسنا
لهب الأطماع في كبدى آض وخط الشيب والشجنا
كم خليل قد وثقتُ به عابيء في خفةٍ إحنا
وحبيب كنت آمله لم أصب في خلقه حسنا
نحن والأيام تنقلنا ونعيٌّ الموت ينذرنا
كرهين السجنِ مرتقباً قاتلاً يغتالُ من سُجنا
رقبتي للموت آن لذى لهفة أن يدرك السَكَنا
لا جديدٌ في الحياةِ ولا أمل يجلو لي المنا
وأعدّ العمر إن دلفت ساعةٌ ألفيتها محنا

وهى بشـــرى الموتِ إن نفـــدت ... قـلـت : لـيـت الـدهـر زايـلـنـا
أغـــريم ذا الحـــمـــام فـــمـــا ... بالـه بالـســـعـــد يمطلنا ؟

قصة هزّ الانوف

لقـد جـاء فى الأخـبـار أن مملكاً ... حمته العوالى والسيوف الشواجرُ
رأى فى يسير الظلم خُبراً لخابر ... فكان قـضـاءً أن تهـزَّ المناخـرُ
صباحاً إذا ما الشمس ذرّ شعاعها ... وليـلاً وفى وكـر الكرى منه طائر
ومن لم يرد فى يومـه هز أنفـه ... مطيـعـاً تولته السـيوفُ البـواتر
فقال جبان القوم فى الحزم عصمة ... ومن ذمّ شـراً أزعـجـتـه المقـادر
ومـاذا على مَن هزَّ ياقـوم أنفَـه ... مطيـعـاً إذا لم يعص مـا سنَّ آمـر
فلما رأى الطاغى هوادةَ صبرِهم ... أطلّ عليـهـم جـارح منه كـاسـر
فـقـام إليـه نـاقمٌ هزَّ أنفـه ... وقـال وقـد مـدت إليـه النواظر :
إذا نحن طامنَّا لكل صغيرةٍ ... فـلا بد يومـاً أن تساغ الكبائر !

تم

الجـــزء الـثـــامـن

ويتضمن القصائد التى نشرها الشاعر
فى الصحف والمجلات بعد عام ١٩١٩
ولم تجمع من قبل فى ديوان خاص

الطبعة الأولى للجزء الثامن

في ديـوان خـاص

عـام ١٩٦٠

الطفل[1]

من عالم الروحِ وهو الخلدُ والقدم ... وكان بالأمس يطوى جسمه العَدَمُ

سرُّ الحياةِ وسر الموت ما برحت ... تطويه عن فكرٍ هَمت به الظُّلمُ

يُطلُّ من عينه معنى يزاوله ... معنى التفهُّم لم ترصَدْ له كَلمُ

وحيرةٌ هى بعض اللبِّ يبرزها ... صفوٌ من العين لا خبّ فتَنْكتمُ

صفو الغرارة أبهى ما رأي بَشَرٌ ... ما رنَّق العين لا شر ولا ندم

ولم تَشِبْهُ تجاريب الحياة بما ... يدجو له اللحظ والأفكار والشِّيم

ضعف الوليد وهل فى القلب مبتعثٌ ... نَبْعَ الحنان كضعف ليس يُتَّهمُ

لأىِّ أمر بدا يفْترُّ مبسمه ... وما حباه بزعم الأشْيب الفَهَمُ

وكلَّما بَدَرَت للشرٌّ بادرة ... قلب المسنِّ لها حيران يضطرم

يودُّ كل رجيح العقل مكتهل ... أن لو يعود وليداً أمره أمَمُ

وليس يبصر أن الشَّر مُقْتَبَلٌ ... يعود منه إليه الهمّ والهرم

لكنها مهلةٌ للقلب ينْشُدُها ... حيث الصفاء وعيْش ماؤه شبم

فلا عداءٌ ولا مكر ولا حِيَلٌ ... ولا حقودٌ ولا غدرٌ ولا جُرُم

حيث الحياة كبيت الله طاهرة ... لدى الطفولة وهى المعبد الحَرَمُ

أو جنَّة الخلد لا إثم لساكنها ... وما تجاوز ذو عجز ومُجتَرَمُ

إنَّ الأزاهر والأطفال ما اجتمعا ... صنوان والحسن فيها طهره عَمَمُ

---

(١) نشرت بمجلة الهلال فى عدد أول أغسطس ١٩٣٢ بتوقيع ع . ا . ش . ثم بمجلة الرسالة عدد ١٤٩ فى ١١ مايو ١٩٣٦ بتوقيع الشاعر كاملا .

مـرآى يُطهِّـر مـا بالنفس من دنسٍ حـتى يعـود بهـا والخـيـر مُـغْـتَنَمُ

كـم ناقمٍ سلَّ منه الطفل عـــادية من الضـغـائن إذ يرنو ويبـتـسـم

قد يحزن الزهرا إذ يَذْوى أمن شبهٍ بمصـــرع الطفلِ رائيـــه له يجِمُ

ما أعظمَ الفقدَ لو أن الورى خُلِقُوا خلق الرجال وكالأطفال ما وسموا

لما تَمَلّى أناسٌ طهْـرَ مـا فـقـدوا ولا أحـبـوا ولا أحنوا ولا رحـمـوا

شهداء الإنسانية[1]

مقـدمة :

شهداء العلم والإصلاح يزدحمون على باب الحياة ويسألون كل هالك : هل تحقّق الخير الذى بذلوا حياتهم من أجله ؟ فتدركه الحيرة ! أيكذب كى يدخل على قلوبهم الاطمئنان ، أم يصدق فيفجعهم فى آمالهم ، أم يغريهم بالصبر الطويل كصبر الأحياء على الشر ، أم يُغريهم بالعودة إن استطاعوا إلى كفاح الحياة . وإذا استطاع أن يُعزّى الشهداء الموتى فماذا يقول للشهداء الأحياء ؟ :

الناظم

* * *

على باب الحـيـاة أرى زِحـامًـا من الأشـبـاح عجّ بهم وســالا

من العـهـد القـديم إلى زمـانٍ حـديث قـد مَـضـوا زُمَـرًا تَوالى

هُمُ ضَحَوْا بهـذا العيش كيـما يطيبَ العـيشُ للأحـيـاءِ حـالا

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) – عدد ١٠٩ فى ٥ أغسطس ١٩٣٥

إذا مـــا هالك الْقـــوهُ ظلّوا   على شغفٍ يُعيدون السؤالا

* * *

بربّك هل مضى قدرٌ بِشَرٍ   وخُبثُ النفس هل أودى وزالا ؟

وهل جَفّت دموع الناس طُرّاً   وهل بلغوا من العيش الكمالا ؟

وذلّ الجوع هل قد زال عنهم   وكان سوادهم هَمَلاً مذالا ؟

وجَهْلٌ يغتدى بالناس بَهْماً   يُصرّفها يميناً أو شمالا

وهل غلبوا من الشهوات ما قد   عدا سلطانه فيهم وغالا ؟

أصار العيشُ من مِقَةٍ وأمن   وكان العيش لؤما واقتتالا ؟

أعاد العيش عدلاً واعتدالا   وكان العيشُ مكراً واغتيالا ؟

بربك لا تقُل إنا غُبِنّا   وإن هزئ الحِمَامُ بنا وصالا ؟

* * *

أيفجعهم بآمالٍ عِزَازٍ   وما نال الردى منها منالا ؟

يقول لهم : لقد رُمتم خيالا   وأسديتم وضحّيتم ضلالا

أيسكت والسكوت له معانٍ   أيخدعهم وما ألفوا احتيالا ؟

أيغريهم بصبر مثل صبر   لدى الأحياء دام لهم وطالا ؟

أيَأْسَى أنّ مَوْتى لم ينالوا   من العرفان ما يرعى نوالا ؟

أيُغريهمْ ببَخع النفس يأساً   إذا اسْطاعوا عن الأخرى انتقالا ؟

أيسخر أنهم – وهمُ رفات –   أبوْا للعيش سقماً واعتلالا ؟

فيا عيش الورى ماذا تراه   يقول لهم إذا الْفَى مقالا ؟

* * *

يقول لهم : إذا اسْطَعْتم فعُودوا — دفاعاً للنوائب أو صيالا

إذا الأحياءَ لم يرعوا عهوداً — لأحياءٍ فلا تشكوا انخذالا

* * *

يقول لمعشر الأحياء منهم — ليقضوا العيش صبراً أو نزالا

أيفدح أن تقاسوا العيش نحساً — ليُسعد بعدكم صحباً وآلا

وكم من نعمةٍ لولا شقاء — قديماً لم تكن إلا وبالا

فكم خبر الأوائلُ من شقاء — فنلنا من شقائهمُ نوالا ؟

العصر الذهبى[(١)]

مقدمة :

أولع الناس من قديم الزمن بالتفكير فى عصر الإنسانية السعيد : عصر الخير العميم الشامل ، فبعضهم كان ينشده فى الزمن القديم ويبكى انقضاءه ، وبعضهم ينشده فى المقبل من العصور يُدنيه رقى الإنسان . وكثيراً ما استخدم شعاره أهل الحرص لنيل أطماعهم واقتياد الناس لاستثمارهم واستذلالهم . وكثيراً ما علق الأذلاَّء بكماله حتى إذا تحكموا ساروا على نهج الطغاة ، وهو مثل عال ، ولا تحلو حياة الإنسان إلا به . ولئن صدق ما يقوله بعض المفكرين الذين يزعمون تحققه نذير الفناء ، فمرحبا بالفناء يكون نذيره الخير والسعادة الشاملة والمثل العالى ، وقد لايصدق تشاؤمهم .

الناظم

عصرَ السلام تحية وسلام — خلعت عليك رجاءها الأقوام

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) – عدد ١١٠ فى ١٢ أغسطس ١٩٣٥

من كل عصرٍ فى نسيجك لُحمة … ألأجل صنعك تدلف الأعوام ؟

إمّا دنوت وما عهدتك دانيا … عَفّى على نقص الأنام تمام

نستقبل الأيام وهى كوالح … مستبشرين إذ التمام إمام

خالوك فى الماضى – ولم تك ماضيا – … إذْ زان منهُ البُعد والأوهام

ويرون فى غدهم سراباً نائيا … فيطول نحس العيش والإجرام

تتغير المُثُل التى شاقتْهم … تتبدّلُ الآمالُ والأحلام

حسب الورى من حُسْنِ عهدك قدوة … علياء ما إن شانها استِبْهَام

ما فاتهم طبّ الطبيب وإنما … تتباين الأرواح والأفهام

ولأنت فى سير النفوس إذا صَفَتْ … يدنى إليك البرّ والأكرام

عطف النفوس على النفوس ولن تُرى … أبداً ، ونفس فى الأنام تضام

هيهات يكرم فاضلاً ذو خسّة … أو يغفر الجانى شآه كرام

اسْتَبْطأوك وأنت بين جنوبهم … وتنظّروك ودأبك الإلمام

ورأوك فى الدهر البعيد ولَوْ دروا … أنْ لو أرادوا كان منك لِمَام

لرأوا مشيئتهم تُشاء ولا تُشا … هاموا وتحسب أنهم ما هاموا

ومن المشيئة ما يجئ فجاءة … ليستْ تُجزّئُ أمره الأيام

ونأى بهم عن وِرد خيرك أنهم … للحرص حادٍ بينهم وزمام

أصباغتاً بالخير بعد تمنّع … حبُّ الأنام لعهدك استقدام

ولقد يَنُوب أخو المجانة بغتة … من بعد عيشٍ كلّه آثام

ويثُوب هذا الخلق من شرّ ومِنْ … إثم فتحمد خيرك الأيام

كم فتنة أجّجت نار جحيمها … شوقاً لعهدك والأنامُ حُطامُ

وشعار حقٍّ كم غدا أحبولة أثرى بحقك في الأنام لئام
وإذا العبيد تحكموا في فتنة ساروا على نهج الظلوم وضاموا
أترى العَبيد ببابل وبطيبة أغرتهم بكمالك الآلام
لو أنهم ملكوا لعافوا مسلكا يُدني إليك وطاشت الأحلام
ولطالما حنّ اليهود لشرعه ودعا المسيح لهُ وريم سلامُ
وتنظّر المهديَّ قومٌ أمّلوا ركْباً له يحدُو به الإسلام
ثار الفرنسُ وخيرهم يبغي له عهداً تَدين لشرعه الأحكام
يبكي ويعتنق الغريب مبشّراً بالشّر زال وبالكمال يشام
ما زال شر – لا – ولم يمهدْ به نهجَ السلام الحكمُ والحكام
أنّى تكون وفي الأنام تفاوت أُسْدٌ لها في الصّاغرين سوام
غرٌّ وذو مكر فلست بكائن حتى تَسَاوى في الأنام الْهَام
فمتى يدينُ لسنة لك جمعُهم ويراك خيراً شرّهم فترام
لا يصدقُ الكهان إنْ هم انبأوا بدوام ما لم يُلْفَ فيه دوام
كم من عهود كان يحسب أهلها انْ زلّ عنها النقضُ والإبرام
نسِيَ الأنام عهودهم فعُهودهم أقصى وأدنى منهمُ الأوهام
فَقَدَ الأنامُ صفات أجداد لهم وتحولتْ وتبدلتْ أجسام
والطبعُ في غدد الجسُوم فعلّها يوماً تصحّ فلا يكون أثام
وتعود من فرط الصفاء حياتهم ذهبيةً أيامُها والعَام
خيرٌ مَرَى الحرصُ الخسيسُ أقلّ من خير لديك تروده الأحلام
والنحس عدوى ليس يُقْصِي شرّها إلاّ التضافر شادَه الأقوام

كذبوا فما أبقى التقاتل بينهم — إلاّ الضعيف وقد قضى المقدامُ

خلقت فى سير النفوس مباهجاً — وتجمّلَتْ بجمالك الأيامُ

كَغناءِ حَادى الركب رقّهُ عنهمُ — نغَمَ النشيدُ ونعمت الأنغامُ

حلم هو المثل الأجلّ ، وإنّهم — لولا مثالُ كمالك ، الأنعامُ

ولعلّ عمرَ الشرِّ ليس بدائم — ينمُو سناك فينْمحى الإظلامُ

قالوا : إذا ما جاء خيرا كُلُّه — لم يبق خيرٌ فى الحياة يشامُ

لولا جهادٌ فى الشرور تعطلت — سُبُل المكارم واستنام أنامُ

إنْ لم يكن نقصٌ ففيمَ رجاحة — وبضدّها تتميّزُ الأقوامُ

لا يطعم السعدَ الشهىَّ وشُهده — مَنْ لا تَرودُ فؤادَه الآلامُ

والوَهَن يسعى للفناء دبيبه — إن لم يَكُنْ حذرٌ وعمَّ سلامُ

لغز الحياة وليس يفهم لغزها — بين الأنام مُفَهَّمٌ علاّمُ

والشرُّ أهْوَنُ بعضه من بعضه — فاطلب كمالاً كىْ يقلّ الذامُ

أهلاً بغائلة الفناء نذيرها — عهد يشوق سلامُه وتمامُ

إنْ لم يصحّ العيش إلا أن ترى — شَرْعَ التنافس فى الأنام يقامُ

فعسى التنافس فى المحامد ينثنى — طبعاً وإن قيل الأنام لئامُ

يدنو إذا بطلت ضرورة كائدٍ — يُزْجَى بها رزقٌ له وحطامُ

إن نال كلٌّ مطمئناً رزقَه — فعلام لؤم للورى وخصامُ ؟

دين التنافس فى المكارم ربّما — أنماه نصح فيهمُ وحسامُ

فترى الورى دينَ الورى وصلاحهُم — فرضٌ يدين لشرعه الأقوامُ

الشـــباب[1]

مقـدمة :

مستقبل الإنسانية رهنٌ بطموح الشباب إلى المثل العليا ، وعزوفه عن حقيرات الأمور ، وإبائه الضيم للنّاس ولنفسه ، وبألا يقنع من الحياة بما يرى ، وبأن يحاول أن يبلغ من جليلات أمورها البعيد الداني إلى قلبه ونفسه وبأن يحاول أن يقهر طاغوت الأمور وجبروتها ، وأن يستنقذ الدهر من عبث العابثين الذين جعلوا الحياة مهزلة رخيصة ومأساة وضيعة .

(الناظم)

إنَّ الشـبـاب حـديقـة الأزمـانِ ... عَـطِـرُ الـروائـح نـاصـع الألـوانِ

مـثلُ الربيع إذا جَلَوْتَ بسحـره ... نَوْرَ الربى وأطايب البسـتـانِ

روحٌ من الفـردوس يُشـمل نَشْرُه ... تغـدو الحـيـاةُ به رياضَ جنان

مـا راعـه حُكْمُ الحِـمـام وصَولُه ... إنَّ الشـبـابَ من الخلود لَدانٍ !

لا اليـأسُ يضنيـه ولا جـزعٌ إذا ... كَـثُـر العِـثـار وزلّت القـدمـان

ينسى الذى يمضى لينشد مقبلاً ... مـسـتـأنفـاً للعـيش بالنسيـان

ولو انّ رفـضـاً للقـضـاء يذيقـه ... كـاسـاً تذيب القلب من ذيفـان

والشّيبُ بالتسليم يكسر سمّها ... حـيث الشـبـاب لِغـرّةِ الأسـوان

وهو المغَامـرُ فى الحـيـاة بنفسـه ... نشـوان لا من خـمـرة النشـوان

نشوان من خمر الحياة وكـاسهـا ... تغنيـه عن نشـوات بنت الحـان

فكأنما فكّ الزمـانُ قـيـودَه ... عنـه ومـا للدّهر من سلطان

ويَصُـوغ من أحـزانه نغـمـاً له ... فـكـأنّـه خِلْوٌ من الاحـزان

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) – العدد ١١١ فى ١٩ أغسطس ١٩٣٥

يسمو إلى الغرض البعيد طموحه ويردّ خطبَ الدهرِ بالإيمانِ
مُتحصّنٌ منه بامنع معقلٍ متكفّل إيمانُه بأمانِ
ويكاد من فَرْطِ الهناءةِ والهوى يَدَعُ الثّرى ويهمّ بالطيرانِ
والشيبُ يرسب في الحضيضِ تخلفا وترى الشباب كذرورة الأكوان
ما أرّقتهُ ذكرة من أشيب جمّ التردد خطوهُ متداني
وله على إدبار دهرٍ عزةٌ تنأى به عن ذلةٍ وهوان
كِبْرُ الشباب ولا اعتداد مُسَوّدٍ بالجاه والأجناد والأعوان
إنْ كان صعلوكاً فليس بخانع فكأنّه ذو التاج والإيوان
إنّ العزيز هو العزيزُ على الصّبا والشيب مهما عزّ ذلّ جَنان
ذلّ الجَنان لوهن جثمان ولا ذلٌّ كذلّ الوهن في الأبدان
ورث المراح ذخيرةً لمبذّر خالَ الحياةَ رخيصةَ الأثمان
لذّاتُه دَيْنٌ يؤديه إذا حلّ المشيب وهدّ من جثمان
تتعادل اللذات في ريعانه ولواعجٌ للشّيب في ميزان
عهدُ الصراحة والمروءة والندى وتألّف الخلاّن بالخلاّن
عهدٌ المحبةِ والإخاء وربما تُلفيهما في القلب يمتزجان
عهد إذا طلبَ الكرى لم يُعيِه وكرى المشيبِ مؤرّق الأحزان
عهد الصّبا عهدُ المنى فإذا مضى لم يبق إلا مُرُّ سُؤْرٍ دنانِ
وتكادُ ذكراه إذا فات الصَبا تُحْيى الصّبا وترد غرب زمان
أطماعُه علويّة ، أحلامُه ذهبية الآمال كالعقيان
عهد الصيال ولا صيال لأشيب هابَ الحياةَ وصولة العدوان

والخطبُ أن يهوى المشيب بصائلٍ ... ما كان يخشى جولة الحدثان

حتى تراهُ بالحياة مُروَّعاً ... قلق الضلوع مؤرّق الأجفان

والخوفُ طبعٌ في المشيب وقلّما ... تلقى الشباب على غرارِ جبان

ولربما جمحَ الشبابُ بسادرٍ ... عَبَد الحياةَ عبادةَ الشيطان

ولربما عَبَدَ الحياة أخو النهى ... كعبادةِ لله والأوطان

قالَ المشيبُ وربَّ قولة صامتٍ ... تعظ المصيخ له بغير لسان

ما سَرَّني أني فطنت وإنني ... والحلم والتبيان في أكفان

ونسيت ما نشْرُ الجنان وخلدُها ... وذكرتُ أن العيش مهلة فاني

ولقد علمتُ الآن ما عهد الصبا ... من بعدِ جَهْلي فيه والنسيان

والآن عالجتُ الحياةَ كما أرى ... لا ما أريد من البعيد الداني

وعددت من سُنَنِ الحياةِ وحكمها ... ما يفعلُ الإنسانُ بالإنسان

في حِرْصه أو قَسْوِهِ أوْ رِقّه ... من فتكه بالروح والأبدان

وفزعت من ظُلْمِ الحياة وطالما ... ذُلِّلْتُ منها أيَّما طغيان

وتلوت في التاريخ آيات الأسى ... مسطورةً بمدامع الأحزان

فعسى الشباب بمقبلٍ من دهره ... يبلو الحياة بعزمةٍ وأماني

ويَسُنُّ للدنيا الوسيعة سنّة ... لا سنةً للحرص والحرمان

يستنقذ الأزمان من عبث الورى ... ويطهِّر الأحشاءَ من أضغان

ويذلّ طاغوت الأمور فيحتذى ... شرعُ الحياة شريعةَ الرحمن

ويحُيلُ ظلم العيش عدلاً سائغاً ... يُنْسَى به ما كان من عدوان

نحـو الفجـر[1]

مقـدمة :

إن الذى يأمل للإنسان فجراً تتجاب فيه ظلمة الضيم والشر ، يرى فى فجر كل نهار رمزاً له ووعداً به ، فيتعلل بهذا الرمز ، وينتظر إنجاز الوعد ، آملاً أن النومة التى يحدث فيها للإنسانية كابوس من الأضغان والأذى ، والتنابذ والكيد ، والاستهتار فى العبث بالحق ، يكون فيها أيضا نسيان لخصالها الوضيعة يدركها من طريق سنة النوم ، فتستيقظ فى خلق الحق والخير .

(الناظم)

* * *

أرقتُ فطال الليلُ امْ طالَ بى عمرى ... كأن انجياب الليل فى موعد الحشرِ

كــأنّىَ فى لجّ من الليل غــارق ... سوى هداة لم تُلْفَ فى لجج البحرِ

كـأنّى غـريبٌ من حـراك لواعـجى ... بعالِم صمت غاله الصمت من سحرِ

كأنّ غصون الدوح فى حندس الدجى ... رءوس ثكالى ارسلت أسود الشَّعر

كـأنَّ النجـومَ الغـانيـات تَرهَّبَتْ ... تبيت طوال الليل تعبد فى دير

أو الفلُّ مـزروعـاً بحـقـل بنفـسـج ... وكـاللازوَرْدِ الافـقُ رُصّـع بالـدرّ

أو انَّ ثقـوباً فى جـدار زبَرجـد ... تطلّعُ منها الغيدُ بشرفن من خدر

اقلّبُ طرفى بينهـا مُـتَـفَـهّـمـاً ... تَفَهُّمَ معْنى اللفظ فى صفحة السِّفر

كـأن الدجى دَيْر به البـدر راهب ... جـمـيل المحيَّا حوله هالةُ الحبـر

كان صقيعاً قد كسا الأرضَ نوره ... او انَّ عليـهـا ابيض الطهر ما يمْرى

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) – العدد ١١٢ فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٥

كـأنَّ فـراشـاً أبيـضـاً قـدّ نورُه ... مهاداً لروح أو شباكا من السحرِ
أمَا يذهل الراؤون من سحر ضوئه ... وقد تحسب الأحلام تسرى وما تسرى ؟
وإن تلك أحلام فأوهام خاشعٍ ... عراه جلال الحسن فى الليل والبدر
أيحلم هذا الدوح فى سحر ضوئه ؟ ... فقد خلته من هدأة النوم فى أسر
كأن حفيف الدوح أضغاث حالم ... أو انّ حديثاً بيْنَه خافت السر
أدورُ بعينى لا أرى غير ساكن ... فأين احتيال الناس بالغدر والمكر ؟
وأين نشاط القوم للهو والهوى ... وأين مَساعى الناس فى الخير والشر ؟
ألا ليت نسياناً كذا النوم سافياً ... يدير لهم كأساً ألذّ من الخمر
لتذهلهم عن كلّ شرٍّ وفتنةٍ ... فيستيقظ النُوَّامُ فى خلق الطهرِ
خواطر آمال أسلّى بها الدجى ... وتمضى مُضىَّ الليل أو طيرة الطيرِ
فلما تقضّى الليل وانجاب جنحه ... رأيت صباحاً يصبغ النّبت بالتبرِ
تشوبُ اخضرارَ الروض صفرةُ ساطع ... من الضوء مثل الغيد فى حُلل خُضر
كما تينع الأثمار شاب اخضرارَها ... لدى النّضج لونٌ فى غلائلها الصُفر
كأنَّ نبات الروض من نبت جنةٍ ... رمى مَلَكٌ من أفقها الأرضَ بالبذر
أظلّ وطرفى فى مدى الأفق ذاهل ... أحاك عليه الفجر وشياً من السحر ؟
ويرنو إلىّ الفجرُ من خلف ظلمةٍ ... بنور كما شفّ الرمادُ عن الجمر
كأن مماتاً فى الدجى أهلك الدُّنَا ... فتبعث فيها الروح فى وضح الفجر
كأن كيان الكون يُخلق ثانياً ... فإن انفجار الفجر كالخَلْق والنشر
تخالُ تباشير الصباح أزاهرا ... إذا ما بدت فوق الشجيرات كالنَّوْر
فيختلط الزهران حسناً ومنظرًا ... ويزدادُ نِظْرُ الحسن من مشهد النِّظر

تحـدّثُ أنبـاء السـمـاء بمشـرق ... من الضوء مثل الرُّسْل تُبْعَثُ بالخير
تُبـادُهنا منهـا مـحـاسنُ جـمّـةٌ ... كـما بادهَ الأذهان من حَسَن الفكر
تفضّ خـتـام النفس عن كلّ ذكـرة ... وكم ذِكَرٍ في الضوءِ والزهر والعطر
تذكـرنـا الآمـالَ والحب والصّـبـا ... كأن رُواء الصبح ضرب من الشعر
كـذلك يغـدو منظر الحـسن ذكـرةً ... وخاطرةً في النفس تُسعِد في الضّر
وتستيقظ الأرضُ النؤوم إذا حنا الصـ ... ـباح عليها ، يلمسُ الثغر بالثغر
كما استيقظ الطرف المغمَّضُ بعدما ... أُريقَ عليه ساطعٌ من سنا البدر
تحنّ إليـه النفسُ من بـعـد ظلـمـة ... فتحكي حنين الطير تهفو إلى الوكر
ترى الصبح يجلو النهر كالقَيْن سيفه ... ويُذكي النّدى فوق الشجيرات كالدر
أُطلّ بأفكاري على النهـر مـثلـمـا ... لَدُنْ هدأة يحنو النبات على النهر
تصبُّ عليه الشمسُ رقراق مسجد ... فـيـعلو لجينَ النهـر نهرٌ من التّبـر
ترى تارة في مـتنه المـاءَ راجـفـاً ... كـما ارتعدت أبْشَارُ غيدٍ من القُرّ
وتحـسب أن النهـر يشـعـر بالذي ... يعالج من حَاليْـهِ في القرّ والحر
ترى النهر مثل العين سحراً وبهجة ... ويمـلأُ مـثل العين بالصـور الكُثْـر
يبـوح بسـرّ الحـسن لونٌ مـجـدد ... ولولاهُ ما ألفَيتَ في الكون ما يغري
واروعُـه مـا كـان منه فُـجـاءةٌ ... فجاءة صبغ النهر من سُحُبٍ حمرِ
وليس رُواء الكون في الصيف وحدَه ... فـربّ شـتـاءٍ ناثر أيّمـا ذُخـر
جلالٌ يريح النفس من بعـد رونق ... نَصيبك من سحرين في الحرّ والقر
على أن ذكرى الصيف فيه جلية ... ففي النهر من ذِكرٍ وفي الروض من ذكر
وقـد يحلـم المحروم باليسـر واللّهى ... كذلك حلم الأرض بالصّيف واليسر

فلما تقضى الليل يحدو لواعجى   وذكرى طيور الصيف تهزج فى صدرى

أخذتُ نصيباً من جَدَى الفجر وافراً   فنهنهت آلامى وأرخيت من صبرى

وأملتُ للدنيا صباحاً مؤجلا   سيكشف عنها ظلمة الضيم والشر

فكلّ صباحٍ رمزه ومثالُهُ   ووعدٌ به يحدو إلى الزمن النضر

نسرّ بنعماه وإن لم تكن لنا   وننشده فيما يكون من الدهر

مناجاة الأمل [1]

الا عِدْ وأخلفْ أنتَ بالوعد مانحُ   فَمطْلُك مغفور وخيرُك راجحُ

ولم تكُ مثلَ الآلِ فالآل مهلك   ووحيك أسْخى ما تضم الجوانحُ

وكم ناقمٍ من خُلف وعدك لاغنىً   له عنك أو تغنى المنايا اللوافحُ ؟

وأعشق من يهواكَ مَن هو ناقم   وأمدحُ من يرجوكَ من هو قادحُ

نَشاوَى هموم قد تُدير عليهمُ   كؤوسًا فتفترُ الثغورُ الكوالح

سلامٌ على الدنيا ورضوان راحمٍ   إذا ضاء نجمٌ منك فى الأفق لائح

عفاءٌ على الدّنيا وهلكٌ ونقمةٌ   إذاً لم تكنْ والمرءُ بالعيش رازح

وكم فى ثنايا اليأس منك كوامن   إذا فنَيتْ فالعيش فانٍ وطائح

أيا بهجة العمران لولاك لم يكن   فلا شيِّد البانى ولا كدّ كادحُ

إذا اشتدت اللأواءُ زدتَ تألقّاً   كذاك سوادُ الليل للنجم قادح

وليس بعيبٍ أنْ تُراد لمحنةٍ   فَمن ذا يريد النجمَ والصبحُ واضح ؟!

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١١٦ فى ٢٣ سبتمبر ١٩٣٥

أيا بلسمَ الأحزان لَولاك لم يَعشْ — على عَنت الدنيا لهيفٌ ونائحُ

مُعينٌ على البلوى ، مُعينٌ على الضنى — إذا لم يكن فيه معينٌ وناصحُ

ويا حادى الرّكبان فى العيش مثلما — حدا الركبَ فى الصحراء حادٍ وصادح

ويا رحمةَ الله التى عَمَّت الورى — ولَمْ يَخْلُ منها جارم النفس جامح

عَلَى صَاحِب الكُوخ المهدّم مشرق — ببُشرى وربّ القصر راجٍ وطَامِحُ

وأسعدُ ما تُلفىَ إذا كنتَ ماطلا — فكلّ طليبٍ شائقٌ وهو نازح

رَسَتْ بك فى لجّ الحياة نفوسُنا — فَلَمْ تتقاذَفْها الهموم السّوارحُ

لشيَّدت للإيمان فى قلب أملٍ — معابدَ قد ضُمت عليها الجوانح

ثباتٌ وصبر ، واعتزام وهمة — فضائلُ نفسٍ كلهّا أنت مانح

ولولا مساعٍ أنت عاقدُ أمرها — لآثر عقرَ الدار غادٍ ورائح

تكادُ تنير الليلَ إمَّا توقّدت — أمانىُّ تذكو حينَ تخبو المصابحُ

تأرّجُ من ذكراك نفحة خاطر — أأنت أريجٌ من شذا الزهر فائح ؟

وإن غنىَّ الناس من أنتَ ذخره — وأى غِنى تغنى وضوؤك نازح

وسائلُ من جدْواك أنت استثرتها — وتفتق إنْ لحتَ النُّهى والقَرائح

وكَمْ لكَ دونَ النّفس وحىٌ وهمةٌ — إذا نطقتَ تعيا اللغاتُ الفصائحُ

وكَمْ مِن غريق أسقط الجهدُ كفّه — فما لُحتَ إلاَّ وهو فى اليمّ سابح

منحت حياةً مرةً بعد مرة — وتبخلُ بالعيش النفوس الشحائح

ورُبَّ حبيسٍ أنزل السجنَ ظلمة — عليه ونورٌ منك فى السجن لائح

أيا طائراً يشدو وفى النفس أيكةٌ — فيخفتُ فيها يأسُها المتناوح

ويا آسى الأحزان والظلم والضنى — ولولاك أعيا الطبّ مودٍ وطائح[1]

---

(١) الضنى : سوء الحال ، ومود : ميت .

تخلَّل أنات الشـقـاء ونوحـه فتعذب فى الأسماع حتى المنائح

خلعت على الأيام أحسن خلعةٍ فـيـخـفى بعيش شـرّه والمقـابح

سقيتَ فانسيت المؤجل من ضنى ومن وخط شيبٍ فى غدٍ وهو واضح

وأنسيتَ أن الشر حتمٌ مقدر وأن المنايا غـاديات روائح

تضاحك فى يأس ونحسٍ وكربة كـأن الرزايا عـابثـات مـوازح

بها مؤنسٌ من طيب عهدك عامر بشـائرُ فى لأوائهـا ومـفـارح

وتخلق منك النفس دنيا سنية وفى أفق منهـا النّجـوم اللوائح

مبـاديك شـتى كـالأزاهر جـمة ففى كل حـال مـوطن منك صالح

أيا سحر إن لمْ تُغنِ فالسحر كاذبٌ مـغـاليـقـه فيـمـا تريد مـفـاتح

تعللنا بالسعد من بعد ميتةٍ فتحسن فى مرآك حتى الضرائح[1]

فـن الحيـاة[2]

مقـدمة :

إن للإنسان فى الحياة نشوة كنشوة الفنان عند الصنع ، أو كنشوة المطلع على الفن عند الاطلاع عليه ، فإذا عدم هذه النشوة صعب عليه أن يسوغ الحياة ، وأن يلتذها . ولا يمنع عدة الحياة فناً جميلا من نقدها أو الرغبة فى إصلاحها ، كما ينقد المطلع على الفن ما يشاهده من الفن وكذلك لا تمنع الرغبة فى إصلاح الحياة من النظر إليها كأنها ممثلة حسناء تمثل الخير والشر ، فلا يكرهها من أجل

---

(١) الضرائح : جمع ضريح .

(٢) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١١٧ فى ٣٠ سبتمبر ١٩٣٥

تمثيلها الشر ، وهذا خير من أن يظل يبكي ويندب ؛ لأن نمر الشر الذى فى كل نفس لم يتحول إلى هرّة وديعة كالتي نراها فى المنازل ، وهو لو تحول ما تجاوز أصله ولا فصيلته ، إذ النمر والهرة من فصيلة واحدة ! (الناظم)

أيا حُسن هذا العيش لو كان قصّةً ... يُسرّ بها سارى الورى وهو يسمرُ

على ما بها من ضجّة بين شقوة ... وكم عاشقٍ للنقص يهوى وينكرُ

فليت الفتى يبدو له صرفُ عَيْشِه ... كعيش غريبٍ قصةً تتدبّرُ

ويارُبّ مأساة إذا ما بدت له ... تُمثّلُ إنْ يحزن لها فهو يصبر

وفى فنّها ملهى وحسنٌ وسلوة ... ولولا فنون العيش ما كانَ يعذر

وإن كان ربّ الناس يقضى اقتتالهم ... فما شان مثلى ، وهو أعلى وأقدر ؟

وما قصرت بى رغبة عن محاسن ... أريدُ لها عيشًا سوى العيش يُقْدر

حياةٌ كحسناء المسارح شرّها ... إذا ما حكْتهُ عاد بالفن يبهر

ممثلة حسناءكم مثّلت أذىً ... وغدرًا أجادتْ فنّها وهى تغدر

فما زادها إلاّ بهاءً وحظوة ... لدى عاشقيها وهى بالفن تاسر

تمَلّيتَها لما ولعتَ بفنها ... ولولاهُ تزرى بالحياة فتكدُرُ

حنانيك إنّ العيشَ فنٌّ فلا تُرَع ... وإن ناب خطبٌ فهو مَحْكَى ومخبرُ

تُعانُ بهذا الرأى إن كنتَ قادرا ... وإن أمكن الإصلاح لمَ تكُ تُقصر

يمثّل كلٌّ دوره فى حياته ... فإنْ راقَ فنٌّ فهو شأوٌ ومظهر

أإنْ نمرٌ فى النفس لمْ يمس هرّةً ... تظلّ على الأسقام تبكى وتسخر

وما نمرٌ عن هرّةٍ بمُبَاعدِ ... ويطغى وديع حين يبغى ويقدر

سر الحيـاة [1]

عبء لُغز الحياة يا قلبُ ما أفدح ... عـبـئـا يُحـشىَ عليكَ وثقـلا
لُغزُ عيشٍ ولُغز عقلٍ وما أعجبَ ... لُغـزًا يروم للّغـز حـلا
كلمـا رمتَ بالجـاهل خُـبْـرًا ... زادكَ العـيشُ بالمعـالم جـهـلا
عبثُ العيش كلمّا قال لا سرًا ... أعَـدْتَ السّـؤالَ جـداً وهزلا
قد خبرتَ الأنامَ يا قلبُ هلْ تنشدُ ... سـرًا من بَعْـد ذاك وسـؤْلا ؟
وحـيـاةٌ بالسّـر أحـجى حـيـاة ... هـيَ أحـلـى ممـاّ تـراه وأعـلـى
خـدعـةُ العـيش أن يُلَوّح بالسـر ... إذا عـاف عـائشـوه ومـلاً
فـتـزيد الحـيـاةُ حـسنًا ومـامـولا ... وتغـوى الحـيـاةُ نشـأ وكـهـلا
مـثلمـا حُـجّـبَتْ فـتـاة ليُـرجىَ ... سـرّ حـسن لهـا استَـسرّ وقـلا
لو بدتْ عـاطلاً لما خَلبت لُـبًّـا ... ولا اسـتـعـبـدتْ عـشـيقـاً وخِـلا
كم سـعـيد يلهو ويعـمل لا ينقضُ ... فـعـلاً وليس ينـكـر قـولا
وعلى غـدرها أحبَّ حـيـاةً ... وحـبـاها فى الحب أهلاً ونسـلا
عـاشـقًـا للحـيـاة بعـضـا وكـلا ... راضـيًـا بالحـيـاة فـرعـاً وأصـلا
فـإذا شـاكـه من العـيش هَمٌّ ... قَـال قـولاً ورام للّغـز حـلا
عبُءِ لغز الحياة يا قلب ما أفدحَ ... عـبـئـا يُحـشى عليك وثقـلا
سـرُّها أنك السـعـيـدُ إذا لـم ... تَدْر أن لا سـرًّا لديهـا فـيُـجْلى
ضَلّةٌ ما أقـول كـم لاح من كَـشْفٍ ... وقـد كـان خـافِيَ السـرّ قـبـلا

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١١٩ فى ١٤ أكتوبر ١٩٣٥

ولعلّ الحـــيـــاة أكـــبـــر لولا مُـعْظِمٌ للحـيـــاة غـــالى وأغلى

فـهى من فـرطِ رفعـةٍ فى انخفـاض تلك عليـا إنْ يُعلِهـا فـهى سُفلى

باءَ باليـأس من عُـلاها وقـد غـالى فـــقـــالَ الحـــيـــاة بالحطّ أولى

ويعـيـد الحـيـاة فـرضـاً وحـسنًا ومـتـاعًـا مَنْ يأخـذ العـيش سـهـلا

بعد الإخاء والعداء (1)

حنوتُ على الودّ الذى كـان بيْننا وإن صـدَّ عنهُ مـا جنيْنا على الودِّ

حنوتُ ولو أنى حنوتُ ومـا حنـا ولو أنه يبـغى هلاكى من الحـقـدِ

ولا أكـذبنَّ الناسَ قلبى كـقلبـه له آنة مـيلٌ عن النّصف والقـصـدِ

كِـلانا جنى شـرًا فـعـاد إخـاؤنا محالاً حكى ذكرى الشباب على بُعْدِ

فـيـا طيبَ ذكـراه وَيا بُعْـدَ عـهـده وأينَ قـديمُ الودّ من حـاضـر الصّـدِّ

مَضَى حيثُ يمضى عابر بعدَ عابر من الأهل والأصحاب والذخر والولْدِ

مضى حيث يمضى كلّ رأى ومذهب له أجلٌ كـالناسِ ظعنٌ بلا عَـوْدِ

إذا أنا أُنسـيـتُ الإسـاءة من أخٍ ذكـرتُ له منىّ إسـاءة ذى عـمـدِ

وأيقنتُ لا ينسى عدائى وما جنى عـدائى عليـه من عناءٍ ومن جـهـدِ

أيلتـئمُ الصّـخـران فى اليمّ بـعـد مـا تردّدَ مـوجُ اليـمّ بالصـدْع والهـدِّ ؟

ويتـفق الخِـلاّنِ من بعـد مـا بدت به بغـضـة من مين قـول ومـن نقـد ؟

وكنا علـى مـا كـانَ من قـرب أنفسٍ كنهـرين فى وادى الغضـارة والورد

---

(1) نشرت بمجلة (الرسالة) عدد ١٢٠ ، ٢١ أكتوبر ١٩٣٥

قد اقتربا مجرًى وماءً وعسجدا ... من الشمس لألاءً كلألأة الود

حياة شباب عسجدٌ أىّ عسجد ... وعهدُ إخاء لا يغيض ولا يكدى

إلى أن دعا داعى الحياة وإفنها ... فمال بنا قصدُ السبيل عن القصد

وغيرٌ منا القلبَ والنفسَ والمنى ... وزاد طماحُ النفس بعداً على بعد

هو البُغض مثلُ الحبِّ لحظٌ فمنطق ... فنارٌ لها بين الأضالع كالوقد

وإن كنت تدرى الحبّ كيف طروقه ... ولم تدره أيقنت ما جاء بالحقد

فياليتَ أنىّ قد غفرتُ جَفَاءه ... ونَبْوته حتى يصدّ عن الصد

ويذكر لى صْبرى على الضْيم والأذى ... فيأسى على ما كان منه من الكيد

وتكسبنى منهُ الندامةُ ألفةً ... وإنْ كان لى من قبل كالحجر الصلد

أعيشُ بصفو منه يومًا فإن جنى ... على إثرِه غْدرًا ذخرتُ له ودى

وأُذْكِرُ نفسى منه عند انصرافها ... شمائل تستدعى المغيظَ إلى الحمد

أبعد بلائى العيش أبغى مُبَرأً ... وكيف ونفسى لى كما الضدُّ للضد

يروقك حسن الفجر والنجم فى الدجى ... ومرأى رياض من عرار ومن ورد

وأحسنُ منها البشر فى وجه صاحب ... حليفك منه ما استسرّ ولم يُبْدِ

فياليتَ لى دُنيا أبيعُ حطامها ... بودٍّ أخٍ لو يُشترى الود بالنقد

إذا الحبّ لم يخلص من البغض والأذى ... فكيف خلاص الود من عنت الحقد ؟

وخلاَّتنا مثلُ الجوارح أيّهم ... فقدنا ، فبعضُ النفس فى ذلك الفقد

احقٌّ طلاب الودّ من نقص طالب ... إذًا قَمنٌ نشدانك الودّ بالحمد

لتكمل بالخل الذى أنت ناشد ... كما كَملَ النصفان تجمع فى العد

ويا طيب قلب غرّه الودُّ حقبةً ... كما عظم المخدوع بالفضل والمجد

وإنك لا تدرى أقلب مراوغ أسرُّ أم القلب المغرّرُ بالودّ

وإنَّ ودادَ المرءِ من بعضِ غُنمه ولو أن مخلوف الوفا غاضَ لم يُجْد

تعيش بمخلوف الرجاءِ وكذبه فَطامِنْ فإنَّ الودَّ يا قلبُ لم يُرْدِ

رحيق الحياة الودّ ، لوْ دام صفوه – وكالخمر – أصفاه المعتَّق ذو العهد

وأحسنه ما كان من عصرة الصِّبا ولم يَحْلُ بعد الشّيب مُسْتَحدثُ الود

فمن لى بعود الدهر للودّ والصّبا أليفينْ ما كانا كما النِدّ للند

يخال الصّبىَ ودّا وودّ الصّبا صبًا كيانهما الممزوجُ كالجوهر الفرد

وإن فقير الناس مَنْ خان خِلّه وإن نالَ حظّاً من طريفٍ ومن تلد

أأبغى إخاءً لم تشبه عداوة وأنقم عفو الغدر أو غدرة العَمْدِ ؟

كأنّىَ لم أدرِ الأنام وخلقه ولم أدر أن الضّد يولع بالضد

أبعد فراغى من جنازة ودّنا أروم خلود الودّ من عادم الخلد ؟

متى أرتضى الخلان صحواً وغيمة فأمنحهم غيثى وأمنعهم رعدى

أُغالط نفسى فيهم وأغرها وإن لاح منهم غدر أعدائىَ اللد

وأكتم من آلام نفسىَ عزّةً إذا لم يُتَحْ لى ما أُزيل به وجدى

فيا ساقىَ النسيان عَاطِ صحابتى وهات لِىَ النسيان رفداً على رفد

وهيهاتَ ما أمرٌّ إذا جدّ جده ليُنْسَى ولو واروه فى مُشبه اللحد

إذا انفلت السهم الطّليق فما له ولو أنّه سهم النّميرىّ من رد

ويعجز هذا الدهر عن نقض فعله الا وهو الدّهر المصرِّفُ ذو الأَيْدِ

وفى وصف الطباع [1]

مــــا ازدريتُ الأنام إلاّ وهـان الــ ـــكيـدُ منهم وهانَ منهم عـداءُ
وتفـــرّدت لا أصـــولُ بكيـــد وتزهدتُ واستـقـام العـزاءُ
ومِن الناس مَنْ إذا مـــا ازدراهم كــان منه الإجـرامُ والاعـتـداءُ
ولو أنّى أكـــبـــرتُهم لم يرونى غـافـراً واحـتـوتنىَ البـغـضـاءُ
ولو أنّى أكـــبـــرتُهم لم ترَ الرحــ ـــمـة دينى ومـــا بهم رُحـمـــاءُ
وُدّهم مثل بُغضهم فيه عدوى مثل عدوى تسعى بها الثؤباء
وَيَـرى المـرءُ أنّـه كـلُّ شىء هو تبـــرٌ ومـــا عـــداه هبـــاء
مـــركـــزُ الكونِ حـــوله دارة الأفــ ـــق وبهـوٌ من فـوقـه وسـمـاء
ولقـــد تحـــمـــد الخليل طويلا ثم يَبْـــدُو مـــا كـــان منه انطواء
فـإذا الغـدرُ شـيـمـةٌ وطِبـاعٌ وإذا الـودّ والـوفـــــــاء ريـاء
وإذا النفسُ جـــانـبٌ مُـــدلّهِمٌ بالدنايا وجـــانبٌ وَضّـــاء
وإذا المرءُ يحـمـد الصـحب منه جـــانبـــاً والكريهُ منه خـفـــاء
ومع الخُـبْـرِ بالأنام فـقـد يعْــ ـــرو الفتى عند غـدرهم إعـيـاء
كلّ يومٍ يَخـــال منه جـديداً وهـو رثٌّ ومـــا طواه العـفـــاء
قلبُـــه الآمل المضلّل بالـــود يقـــود الأسى إليـــه الرجـــاء
ومعَ اليـاس منهم كـرمُ الصـفــ ـــح إذ الحتْمُ مـا جنـوْا والقضاءُ
كلُّهم يَشْـتكى ويشـمـت بالشـا كى وكلٌّ كـــمـــا يسئ يســـاء

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٢١ فى ٢٨ أكتوبر ١٩٣٥

كـلُّهم ينـدبُ الـوفـــــاءَ وكـلٌّ يتــــأذَّى وطَبْـــــعُـــــهُ الإيذاء

كلُّهم قـانصٌ يرى فى وفـاءِ الخلّ صـنـيـــــداً ولَيْسَ منـه وفــــاءُ

كـلـهـم لا يودُّ لـلـنـاس مــــا ير غب فـيـــه لنفـســـه ويشـــاء

ويُسَـرُّ الفـتى ويبـدى اكـتـئـابًا إن المتْ بصـــاحـب بأمــــاء

صادق العطف كان أو كاذب العطـ ف فـــفى نحْسِ خلّه سـراء

وارتيـاح أن لَمْ يُصَبْ مـثل خلّ نزل الحـــزن دَارَه والشـــقـاء

وســـواءٌ خِبٌّ وغِــرٌّ ولا غــرْوَ فـللـغـــرّ صــــولة وعـــداء

كـلّهـم إن يرقْكَ منـه ذكـــاء بعـــد حين يرعْك منه غـبـــاء

فكأنَّ الذكـــاءَ منه ومـيضُ الـ بـــرقِ ، والعـقل كله ظلمـــاء

كلُّهم يبـغض النقـيـصـة حـقـا حـــذرَ الناس بغـضـه إخـفـــاء

واكـتسـابًا للحمـد والربح يقـلا ها ولولاهمـــــا لعـــيف الرياء

كلُّهـم يُلبْسُ النقـــيـــصـــة منه حلة الخـــيــــر وهو منه بَــراءُ

يغـضب المرء للفـضـيلة كـيـمـا يحـــسـب الناس أن ذاك نقـــاء

وســـــواء نقصٌ وفـــضلٌ لديه إن تدانت من كـسـبـه النعـمـاء

ومن النـاس مَنْ يَبــــوح بنقصٍ وكـــثـيـــرٌ من قـــوله إطراء

كـالذى قـال إنما أفـقـدته الحـ ـلمَ منه صـــراحــــةٌ وإبـــاء

يمدح الحلم مـــغـــريا وهو يَسْطو مـــغنم الخبّ فى الورى الحُلَماء

حـــذراً للشـــرور يمدح خـيـــرا ذاك جبنٌ فى طبـــعـــه واتقـــاء

قـــسم النقصَ والمحــامـد بين النـ ـاس منه الأحــقـــادُ والأهـــواء

فلئـــيم من كـــان منه جــفـــاء وكـــريمٌ من كـــان منه إخـــاءُ

ذاك مـيـزانه ومـا الحقُّ إلا ... مـا رأى الحق يأسـه والرجـاءُ

ويرى الأخـرَق الذى يرحم النـ ... ـاس وإن ودّ أنهـم رحـمـاءُ

كـى يمدّوه بالـذى ضنّ عنهـم ... بجَـداهُ وهكـذا الأحـيـاءُ

كلُّ حىّ يصـون منه حـيـاة ... ولئن غـال مـا عـداه العـفـاءُ

حـاطهـا بالصّيال والمكر والقسـ ... ـو ولو عمّ مـا سـواه الشـقـاءُ

وبإنكـار كـيـده وأذاه ... وبدعـوى الكمـال وهو طـلاءُ

يتـدنىّ يبـغى العـلاء ولا يثـ ... ـنيـه عَـمّـا يحطّ منه إباءُ

غـيـر من آثروا على أنفس منـ ... ـهم نفوسَ الورى وقَـدْ قِيلَ داءُ

وعجيبٌ أن كان أطْهَرُ ما فى النـ ... ـفس داءً والحرص منه الشـفـاءُ

وأشَـدُّ القُسَـاةِ ينكر لؤم النـ ... ـاسِ كـيـمـا يكون منه مـضـاءُ

وهو يُطرِى الحياة بُقْيَا على الكيـ ... ـد وذعـراً يكونُ منه الثناءُ

بين أمـريْـن يدرجُ النَّاس طرا ... جـوع بطن أو أن يكون امـتـلاء

ومن الجـوع أو حَـذارا له أو ... خَشْيـة الموت كم قـمـا الأحـيـاء

وامـتـلاء يصـيـر شـهـوة جـسـم ... يهـتك الطهـرَ حـفـزها والمضـاء

هَيِّنٌ بعـدها إذا مـا الضـحـايا ... نال منهـا نحسٌ ونال شـقـاء

خـمصُ بطن ، ونهـمـة وحـذار ... واحـتـيـال ، وقـسـوة ورياء

ذلك العـيش ثم مـا كـان من خـيـ ... ـرٍ بكـىّ لولاه عـيف البـقـاء

وقـتـالٌ على الحـيـاة دَعـاه الحـ ... ـىّ فـضـلا يبـغى به مـا يشـاء

ذاك فَـضلٌ إذا أسـاء ولـكـن ... وهـو نقـصٌ فى الناس حين يُسـاء

ولو أنّ السـبـيل للمـوت سـهلٌ ... لم تكن عنه نجـوة أو عـزاء

فاحمد العيشَ إنَّ حبّك للعيـ ـيش مُلحٌّ مَهْمَا تمادى العناءُ

إن أقوى الرجاء ما تعرف النفـ ـس وإن قبَّحَ الحياةَ الذكاء

لم يعفها وإنما شاء أن يُبـ ـصرَ قدما من حسنها ما يشاء

دائبٌ بَصَر الأنام بماَ جَـ ـمّلَ عيشًا ووصفُه إغراء

والذى يَكْلأ الحياة على العلـ ـم بها لا تروعه الأشياء

يمدح المرء مثلَ ما حاز من فضـ ـلٍ فإن زاد كان منه هجاء

فقليلٌ ما تصدق النفس قولا وكثيرٌ من أجل ذاك المراء

مُهجةُ الحاسدين من سورة الأحـ ـقادِ والبُغْض مهجة هوجاء

ساء فعلٌ منهم فساءت ظنون والورى فى طباعهم شركاء

سوءُ ظنٍّ الأنام طبعٌ ولكن مقلة الظن مقلة حولاء

كلُّ حيّ أمامه ما جنى الخصـ ـمُ يراه ومـا جناه وراء

وعجيب أن يحسد المرء حتى بعد أن لم تَدُم له النعماء

أىّ نفس من أنفسٍ الناس عافت حسداً للقلوب منه اكتواء

لابل الفضل إن تضاءل ما فى النـ ـفس منه ولم يكن إيذاء

كلهم ذلك الحسود ولكن هَيِّنٌ ما بدت به الفضلاء

لو ينال الأنام ما حسدوه حسدوا ضدّه وليمَ القضاء

حسبوا اللؤم من ذكاءٍ وعقل فادّعاه الطغام والأعلياء

وتباهوا بقدرة اللؤم فيهم واستشاطوا إن قيل هم لؤماء

وقليل ما يندم المرء إن لم يك جرمُ من بعده الازدراء

فــإذا الناسُ زَيَّنوا منه جــرمــا ... شــملتــه من مــدحــهم خــيــلاء
ومــــضى ســــادراً يرود من الآ ... ثــام مــرعى ودأبــه الكبــرياءُ
يبــتــغى المرء أن يرى الناس طُرا ... حيث يرضى ، وخلقـهم ما يشاء
وهو لا يستطيع تغـيـيـر مــا فى ... نفــســه كى يكوَن منهم رضــاء
وحــقــيقٌ بالشك من رأيه يتــ ... ــبع مــا خــولجت به الحــوبّاء
رأيــه مــثل خلقــه وهــواه ... حــاكم فــيــه جــوُّهُ والغــذاء
فى قنوط ومطمع ، وانقــبــاض ... وارتيــاحٍ ، تناكــرت آراء
لو بدا الشر فى النفوس تعادت ... رحم الله فــاحــتــواه كــســاء
وإذا الشــر أعــوز المرء عــجــزاً ... ادّعى أن عــجــزه اســتــعــلاء
ومُــقِــرٌ بالشــرٌ كى يُغـفــر الشــ ... ــرُّ وكــيــمــا يعــود منه اعــتــداء
واعــتــداءٌ بالجود حرصٌ وكسبٌ ... وهو منه اســـتـــزادة لا وفـــاء
ولقــد يحــقــدُ العــشــيــرُ إذا خــ ... ــلاّك رزء وكـــــان منه رثاء
يجــرؤ الفــرد بالجــمــيع على الشــ ... ــر ولولاه غــاله اســتــخــذاء
شـــدّ من أزر ســـافل أنّ شَّــراً ... جــمــعت فى مناله الجــبناء
فــجــبــانٌ يشــدُّ أزرَ جــبــانٍ ... وعـــداءٌ يكونُ منهُ عـــداء
ولقـد يفـعلون خيراً ليخف الشــ ... ــرّ منهم وذاك منهم رياء
والشــقيّ الجَــزوعُ من شــر قــوم ... جــرّ نفــعم منه إليــهم رجــاء
مــســتنيمٌ إلى الولاء ويكوى ... قلبَــه أن يفــيض منهم ولاء
جــاهل بالأنام يخــدعــه المطــ ... ــرى نفــوســاً لهم وحق الهجــاء
لــقَّــتــوهُ أنَّ المــروءةَ أنْ يــغــ ... ــتر بالنَّاس وهو منه غــبــاء

لابل الفضلُ خيره وهو يدرى … إنْ بلاهم أنْ قد يعز الجزاءُ

مطمئناً بعدَ اصطناعٍ جَميلٍ … عندهم إن دهاه منهم بلاءُ

كلهم ظالم وإن كان مظلو … مًا رأى أن قَسْوَهُ استشفاء

يشتفى من لواعج الغيظ والذ … لُ بظلم الأذلّ ، بئس الدواء

يظلم الصاغر الضعيف كما يظ … لمه من له عليه اعتلاء

طبقاتٌ مقدّرات من الطغ … يان ما إن يُخال فيها انتهاء

ومعَ الشرِّ والأباطيل فى نف … سٍ فللخير آنة سيماء

الصحراء [1]

أرحْبُك أم صمتٌ على الأرض غالب … غدا مُصْحرٌ من روعه وهو هائب [2]؟

كَصمتِ الخشُوع المطرقين نزوعهم … مقابرُ صرعى للردّى وخرائبُ

وصمت لذى المحراب فى بيت ربّه … يقاربه فى صمته ويخاطبُ [3]

تَوقّعَ مَنْ قد غَاله الصمتُ هاتفا … يكلّمه من فرط ما الصمتُ راعب

كمخترقِ الظلماء لاحَ لعينه … إذا جَال فيها اللحظ ما هو غائب

حدٍ أن يُناجى النفس فيك أخو الحجى … ويخشع صمتًا راكب فيك ذاهب [4]

---

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » عدد ١٢٦ فى ديسمبر ١٩٣٥ وفى كتاب « ديوان الاسكندرية » فى أكتوبر ١٩٣٥

(٢) الرحب : السعة . ومصحر : من أصحر خرج إلى الصحراء .

(٣) ذو المحراب : أى العاكف على الصلاة . والضمير فى يقاربه وصمته يعود على البيت ، ويخاطب أى مع صمته يخاطب ربه .

(٤) حرىً : جدير وخليق ، والحجى : العقل .

ويخشع من رَحْبٍ كأن لا مدى له حكى أبداً ما حدّه الدهرَ حاسبُ
ويخشع أن لا شيءَ إلا مُجانسٌ فلمْ يلفَ إلا مُشبهٌ أو مُناسبُ[1]
وكم راع رأى العين إن كان لا يُرى سوى الشِّبه يتلوه الشَّبيه المصاقب[2]
حكى خدعة الآمال آلُكَ رافعًا على الأفق بُشرى كذّبتها العواقب
سرابُ الأماني في الحياة خديعةٌ وقد تهلك المرءَ المُنى والرغائب
وَمَنْ ضلَّ في خَرْقٍ من العيش لبّه كمن خذلتْه في الفيافي المذاهب[3]
تَفتّحُ أبواب الجحيم عن اللظى كأنّ شُوَاظ القيظِ يسْفيه دائب[4]
سموم كدفّاع البراكين أو لظى الحرائق يصلاه الحصا والنجائب[5]
ويصلاه ركب خال دنيا تقلّصت عن النار لو يسعى جحيم مقارب
ويسودُّ وجه الأفق حتى كأنما ذُكاءُ دجت أو يكسف الشمس حاجب
وكم حَار ركب من فجاءة صحوة كما راع مرأى الحسن والعُرْى سالب
إذ الجو كالبّلوْر أخلص لونه وصبَّ عليه من سناء الشمس ساكب
كذلك غبّ الغيث ريعان بهجة كأن طلاءً قطره وهو صائب
كأنَّ ضياءً في سواد سحابةٍ تكاثر حتى ثَقَّب الدجن ثاقب
تفجّر ينبوع من النور غامرٌ كما غمر الأرض المياهُ السوارب[6]
ضياءٌ ترى المألوف من كلِّ منظر به فإذا المألوف منه الغرائب
وما فرحةُ الولهانِ عاد حبيبه بأصدق منها فرحة وهو آيب

---

(١) مجانس : مشاكل ومشابه .

(٢) المصاقب : المقارب . (٣) الخرق : القفر . (٤) الشواظ : اللهب ، ويسفيه : يذروه

(٥) صلي بالنار : وجد حرها ، والنجب : القشر (٦) سرب الماء : جرى .

نهارك أم ليلُ الدَّراريّ نائل ... من اللبُّ نيلاً لم تنله الكواعب
أديم سماءٍ يُبْرِزُ الشهبَ صفْوهُ ... فاحسبها تدنو به وتقاربُ
أما يخشع السُّمَّارُ من كثرة الدنى ... ويذهل من رحب الفضاء المراقب ؟
يَبيتُ يُناجِي النجم والنجم سامر ... فتفضى إليه بالحوار الكواكبُ
كأنَّ لحاظ النجم من لحظ عاقلٍ ... وأنَّ رقيباً فى السماء يراقب
يُسائلُهُ عن عيشه أيْن سرّه ... كأنّ وراء النجم ما هو طالب
إذا خطّ فيك الدهر سطرًا محوته ... كذا اليمُّ لا يقوى على اليمِّ كاتب
وترقل فيك اليعملات وإنما ... سفائن لجّ البيد تلك الركائب[1]
وللبحر أمواجٌ ؛ وللبيد مثلها ، ... إذا هبّ إعصارٌ على الركب كارب
فيغرق فى لجٍّ من الترب حائنٌ ... كما احتشدت فوق السفين السوارب[2]
ورحبك رَحب البحر يطويك هائب ... ويركبه ذو مطلب وهو هائب
بأفقكما للشهب رهب وروعة ... جَلَا لكما شِبْهٌ وشِبْهٌ مقارب
وذى دولة فى اليمِّ قد دال أمره ... وآخر أردتْه لديك المطالب
ويَصغر عيشُ المرء فى اليمِّ مثلما ... تضاءل فيك عيشه والرغائب
لمحْلك يلقى مكرم الضيف ضيفه ... بخيرٍ وأما خصمه فهو سالب
وتشحذُهُ الأخطارُ حتى كأنما ... بَنُوك سيوف ينتضيها المحارب
لقد صقلتها نار قينٍ وصيقل ... كما صقلتهم فى الحياة النوائب
تنسَّكْتِ فى بُردِ التقشف لم يكنْ ... معاش ولا ترجى لديك الأطايب

---

(١) اليعملات : جمع يعملة أى الناقة السريعة ، وترقل : تسرع .

(٢) الحائن : الهالك .

الشاعر البابلى المجهول [1]

يا غريبَ الدارِ عن وطنى ... ناظراً فى غابر الزمنِ :
هل سمعت اسمى وما نقل الـ ... ـركب عن شعرى وعن فِطنى ؟
انكت الأطلال علّ بها ... أثراً قد خطَّ فى الدمنِ
قد وصفتُ الحسن أجمعه ... لم أدعْ فى الكون من حسنِ
وبحثتُ النفس قاطبةً ... لم يفتْنى أيما شَجن
ولكم ألجمتُ مضطغنا ... عائبًا قولى من الإحن
سَهرَ الأقوامُ واختصموا ... فىّ من راضٍ ومضطغن
كلُّ ما قد صاغه عربٌ ... أو من الإفرنج ذو لَسَن
صُغْتُه من قبلهم فعفا ... وكأنَّ الأمرَ لم يكن
لم يعشْ بالصيت شاعرهم ... عمرَ صيتٍ كان لى وفنى
دُوَلٌ أودتْ بها غِيرٌ ... ورَدَى اسمى بعدُ لم يحن
لم أدعْ معنى لذى أدب ... عالقٍ بالشعر مرتهن
فاستباح الدهر من أدبى ... ما استباح الدهر من وطنى
بابلُ الأملاك ما عمرت ... مثلها فى سائر المدن
درستْ من بعد ما لبثَتْ ... حقبًا مشهورة السنن
بعد ما كانت خمائلُها ... فتنةً تربو على الفتن
بعد ما دان الزمان لها ... فكأنَّ الدهر لم يدن
واستوى فى التُّرْب ذو لسن ... وذوو الإعياءِ واللكن

(١) نشرت بكتاب « ديوان الاسكندرية » لجامعه الأستاذ على البحراوى - أكتوبر ١٩٣٥ ص ١١١

نــم طويلاً يا أخــا الزمن   وادعًا فى اللحد والكــفنِ
بعــد آلاف من الحــقب   قم وسلْ عن صــولة المحنِ
لا ترى اسمـا كنت تكبره   سلْ عن الأوطان والسكن
سلْ عن المشهور من قدمٍ   وعن المعبــود كــالوثن
عن عظيم كنت تحسبه   خــالداً كــالدهر والزمن
فــإذا أنتم وشــأنكمُ   حُـلُم قد كان فى الوسن
يا غــريبَ الدارِ عن وطن   باحـثًا فى دارس المــدن
هل سمعت اسمى وما نقل الـ   ـركب عن شعرى وعن فطنى ؟

النشوء والارتقاء [1]

أراكَ فــريســة الجُــوعيْن ســغْبــانا وشــهــوانا

بربِّك أيهــا الإنســا   نُ لِمْ أصـبحتَ إنســانا ؟
بعــقلٍ يبلغ الشــمسَ   وأقــصى الكون عــرفــانا
وجــدتَ لكلِّ مــا كــا   ن من الأكــوانِ مــيــزانا
كــأنك خــالق الخلْقَين   أكــوانًا وأزمــانا
وسـخَّرتَ الرياحَ مطيَّـ   ـةً والبــرق فــرسانا
وقــد أعليت عُــمــرانا   وقــد قــدَّستَ أديــانا
وردْت العــيشَ عُــريانا   وترجع عنه عــريانا

---

(١) نشرت بمجلة (المقتطف) عدد أول نوفمبر ١٩٣٥ .

وملء حيـاتك الأحـزان والآلام ألـوانا
وتُبليكَ الحـيـاةُ كـمـا يفت الجـوُّ صـوَّانا
وتصـرعك الجـراثيمُ كـمـا لو كُنتَ ديدانا
وقـد تهلك غـرثانا وقـد تهلك مـبطانا[1]
وقـد تغـدو إلى اللـذات فـتَّـاكًـا وخَـزْيانا
فبينَ الجـوع والشـهـو ة قـد أُجـريت مـيـدانا
وللتَـحْليلِ والتـحـريم قـد أعـددْتَ تبـيـانا
فـمـا أصلحتَ حـالَيْك ولا طـهّـرت أدْرانا[2]
وفُـقْتَ الطيْـر والحـيـوان آثامـاً وأشـجـانا
وزنتَ الذّرة الصـغـرى ومـا أعـددتَ مـيـزانا
لعـيـشك كى يكـون العـيش إسـعـاداً وإحـسـانا
بربك أيهـا الإنسـا نُ لِمْ أصبحتَ إنسانا ؟ !

النجـاح [3]

أنت ربُّ الأوشـاب والأعليـاءِ وجـمـاعُ الجـهـود والأهواءِ
تلبس المرء منك حلة فـضـل يلهج الناسُ حـولهـا بالثناء
أىُّ فـضـلٍ للمـرء إن لـم تَـحُكه وذكاءٍ إن لم تكن فى الذكاءِ

---

(١) الغرثان : الجوعان ، المبطان : الكبير البطن . (٢) الأدران : الأوساخ .

(٣) نشرت بمجلة « الرسالة » - عدد ١٢٣ فى ١١ نوفمبر ١٩٣٥ .

فُرَص العيش كلُّها لك جند والعطايا مواثلٌ كالإماء

وصروف الأقدار طرّا عبيد للذى تصطفيه للآلاء

لا يضيرُ الذى اصطفيتَ عداءٌ لا ولا يُزْدَرىَ لفرط الغباء

ويودّ الذكىُّ لو كان غِرّا ثم تكسوه خلَّه الأذكياء

أنت سحرٌ يكسو القبيح جمالاً ويُنيلُ الوضيع أفقَ العلاء

وينيل القَمىءَ أجنحة النسر فيغدو لقومه كسماء

يرتجى الناس غيثها وعلاها بخشوعٍ وذلَّةٍ ورياء

إيه يا مالك القلوب قلوبُ الناس طرّاً طوع اللُّها والعطاء

رُبَّ قلبٍ مُماكسٍ لك فى البيع وذاكَ المكاسُ غيرُ الإباء

تنثر التبر مثلما تبعث الشمس بأضوائها على الأرجاء

فوق وغدٍ أو فوق غِرٌ حَظِىٌ أوْ على ظافرٍ من الفضلاء

لك ثوبٌ يخفى العيوبَ ويحبو الـ ـفضل فضلاً من روقة اللألاء

قَدَرٌ حاكه وليسَ صَناعٌ كصناع يدعونَه بالقضاء

معدنُ الخير والفضيلة والحكمة من يرتدى بذاك الرداء

أىَ فضل تعطى القوىّ قواه إن عداه النجاحُ فى الأحياء ؟

أىُّ صيت يجُدى الذكىَّ بيانٌ لم يُصبْ نهزةً من الإصغاء

أىُّ فضل تحبو الحكيمَ نُهاهُ وهو لولا الأنصار كالأغبياء ؟

سَرَفٌ أن أضاعه الدهر لا يفقر دهراً أضاعه من ثراء

أترى التِّبر لو يظل دفينا كان يُجبى أطايب الأشياء ؟

أترى الحسن كان يعتد حسنًا وهو فى خفيةٍ عن البصراء ؟

يغنمُ الظافر السعيدُ وإن كذَّب ... منه النّقاد بُطْلَ الطلاءِ

وهو في أعين الأنام نضار ... وسواه في الخلق كالدقعاءِ

يغفر الناس شرّه وأذاه ... ويمدُّونه بمحض الولاء

إنما الحقُّ ما رأى النَّاسُ حقًّا ... ثابتاً في عقيدة الأهواء

والشريف الذي يرون شريفاً ... نال أو لم ينل مدى الشرفاء

والكريم الذي يرون كريما ... حاز أو لم يحز هوى الخبراء

صاح لو يُنْبَذُ المزيَّفُ طُرّا ... حَربَ الناسَ كلٌّ هذا الإباء

ثم باءوا بحيرةٍ وضلالٍ ... في دعاوى العقول والآراء

وإذا النجح لم يكنْ منه ميزانٌ فكلٌّ مزيف الأنباء

كنْ جديراً به وإن لم تنله ... إنما الحقدُ آلة الأدْنياء

وَيَضيرُ الأنامَ كيدُ حقودٍ ... صدَّ عن خير مطمح وعلاء

فدعِ النَّاسَ يكلفون بما شاءوا وعشْ في حقيقة الأشياء

إن تجدْها أو لم تجدها فللسعيّ وللجدِّ نشوة الصهباء

نشوة النجح نشوة السعي والخاسر منْ لم يَفُزْ له بطلاء

ولعلّ الأحقاد ما صقّر النجح وانحنى عليه بالأزراء

ورجاءٌ للنجح خيرٌ من النجح فعشْ من طلابه في رخاء

إنَّ بعدَ الرجاء أن تبلغ القصد ولا قصدَ بعد نيل الرجاء

ولقد ينكب النجاح أناسا ... بالذى فاق نكبةً للشقاء

والسعيدُ المحرومُ من أسلم الأطماعَ طرًّا لصرف حكم القضاء

ويودّ الذى تودّ له الأقدار يبغى فيها رخاء الرضاء

ذاك خُبْر يغرى الحكيم وإن شقَّ فَيُلْفى رخاءَه فى العزاءِ
ولقد يحبط الطموحُ إذا زحزحَه الهمُّ عنه بالإعياءِ
وفروضُ الحياة أخلق بالسعى وأحجى من اقتعاد السماء
إن أعلى من العلاءَ خليقًا بعلاء لا حائزًا للعلاء
والسعيد الحظىُّ من رزق الجدُّ وفى الجدُّ مصرع الثؤباء
هو طبَّ الملال إنْ أعنتَ العيشُ وغالتْ غوائل الباساء
وسواء نجحٌ وفَوتٌ إذا أحمدت ما فى مسعاته من دواء
والشقىُّ المحروم من لا يَرى فى العيش فرصاً ينأى به عن شقاء
ذاك من مات قلبه وهوَ حىٌّ وغدتْ نفسه كقفرٍ خلاءِ
خاصمتْه النعماء فى كلَّ أمرٍ وبدت فيه وحشة البيداء
خيبة المرءِ أن يمل مُناهُ لا تمادِى الحرمان والإبطاء
ولعلّ الإبطاء فى النجح أهنَا وقصارى المبذول للأزراء
ويُملّ العطاء بعد أوانٍ كعزوف من بعد طول الغذاء
والذى لا يملّ فرصًا معادًا كلَّ يوم مُوَفَّقُ السعداء
لا ينال البعيدَ من لا يرى الأدنى سبيلاً يُدنى إلى البعداء
خطوةٌ إثرَ خطوةٍ هكذا سُنَّةُ عيشٍ وسُنَّة فى الجِراء
وامتناع الطليب أهونُ من أن يندب المرء خيبة الأهواء
هو خطبٌ أدهى من الفَوْتِ وقعًا وهو داء أشدُّ من ذا الداء
كالذى يستطب بالخطب من خطـ ـبٍ ويُقْصِى الأدواءَ بالأدواء
ليس يُدْعى الرضاء ياساً فكم راضٍ وفى سعيه دبيبُ الرجاء

والذى يستدر نجحًا من الخيبة أحجى برفعة وعلاء

فإذا ما نكصت فى العيش فاعْلَمْ ليسَ فى العيش موطن للنجاء

يُدخِلُ المرء نفسه فى الرزايا كىْ يداوى من رعدة الجبناء

مثلما أسمعوا الجيادَ صليلا كى يَهون الصليلُ فى الهيجاء

صاحِ ، ما العيشُ بالمخلَّدِ فى الدهر ، فترتدّ ناكصاً للوراء

وإذا ما ارتخصتَ ما هو مبذو ل ويارُبَّ مُرخَصٍ من سخاء

فالهواءُ الحياةُ وهو مُذَالٌ لو نأى كان مُنْيَةَ الأحياء

لا تقلْ خيبة الرجاء سموم فالشقىُّ الشقىُّ بالأسماء

إنّ بَعْضَ السمومِ منه دواء كدواء الرَّمداء بالظلماء

وإذا ما هممتَ بالخير لا تولعْ بكسبِ الإجلال والإطراء

ليْس بين الإطراء والذمّ إلا كانطباق الجفون فى الإغفاء

واللبيبُ العليم بالناس لا يغتر بالمدح منهمُ والهجاء

غايظوا الراجحَ السعيد بمن خاب ولو فاز كان فى البغضاء

يزعمون الخُيَّابَ أحجى بفوزٍ قد لواه القضاء ذو الأخطاء

زعموا الدهر يظلم الندبَ إذ يسمو بشأو اللئام والأدنياء

فإذا الندب نال شأوًا أعدُّوا ما أعدُّوا له من الإيذاء

ولعمرى لو بُيِّن النقص والفضل لكانوا فى النقصِ كالشركاء

باتفاقٍ أو باقتدارِ نجاح كان أو لم يكن لدى الفضلاء

ولو أن المفضولَ لم يُلفِ نُجحا ضاعف الفَوتُ غَبن صرف القضاء

نابَهُ النقصُ من قضاءٍ فإن خاب فغبنٌ مضاعفٌ فى الجزاء

ليسَ فوزُ الأباة قدرَ شقاء هزم الذلُّ نخوةَ الأحياء

لا بل الفوزُ صحةٌ واقتدار ... وببذلٍ للذّخر أو للحياءِ

وبأن تطّبى رضاء ذوى الجاه وأهلِ الجدود والأقوياءِ

وبإحباطِ مَنْ يكيدُ بكيد ... رُبَّ فوز مستجلبٍ بالدهاء

وبإطراء من ترى منه نفعا ... وبإرضاء كل دانٍ ونائى

واحتذاءِ الحياة ترضى الذى ترضاه من شيمةٍ ومن سيماء

وبأنْ لا تعاف كسبًا ولا خُلْقًا يُدانى من مطلبٍ ورجاء

فإذا عِفْتَ كان سعدك فى الخيبة والنجح من صنوف الشقاء

رُبَّ قُوتٍ للمرء منه سقامٌ ... وهو فى جسم آخرٍ كالدواء

وكذا النجحُ منه عزٌّ ونعماءُ ونجحٌ يُلمّ بالبُرحاء

الجبل (1)

- ذكرى -

جلالُك أهدى من ضياءِ المنائر ... ومنبرُك الأعلى أجلُّ المنابرِ

لقد كنتَ عرشَ المجد فى الأرضِ عزّةً ... ومسكن أربابِ الدهور الغوابرِ

فيا معبداً سقفُ السماءِ غطاؤهُ ... وعمْدانُه الدوحات ملءُ النواظرِ

جلالُك يُلهى المرءَ عن كلِّ زائلٍ ... فيخشع مسحور النهىْ الضمائرِ

توحّدت كالرهبان يارُبَّ راهب ... رأى عصمة الأطوار طهر السرائر

(1) نشرت بمجلة « الرسالة » - عدد ١٢٥ فى ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥

تطلُّ على السهل الفسيح كأنما ... تفكّرُ في عيش القرى والعمائرِ
ألا إنّ للأهرام مجداً وروعة ... ولكنّها إن لُحْتَ لَهوُ الأصاغرِ
فأنت بناء الله لم يَبْنِ مثلهُ ... قديرٌ ولم تعبث به يَدُ جائر
ومعتصمٍ في معقل منك مانع ... كما اعتصم الملاحُ بين الجزائر
علوت برأس في السماء مباعد ... أكيْمَا تُناجي السحب أم كبر قادر ؟
وينساب فيك الماء جذلان لاهيا ... وآنًا له روعٌ كروعة هادر
عليك اعتراكٌ للعواصف رائع ... وبرقٌ ورعد طيّ سُحْب مواطر
وأنت وقورٌ لم تُرعْ من رعودها ... ولم تتهيّب دورةً للدوائر
يغيّر مَرّ الدهر حيًّا وهامدا ... سواك فهل أوقفتَ خطو المقادر
فيا مَلكا بُرْدُ الجليد كساؤه ... ومن فوقه تاجُ النجوم الزواهر
تشاهدُ جيلاً بعد جيلٍ كأنما ... تمرُّ بك الأجيال مرَّ العساكر
ترى مولدَ الدولات ثم مماتها ... وتبصر مجد اليوم بعد الغوابر
خلطتُ بك النفس الطموح إلى العلا ... ومرأى جلال منك ملء الخواطر

المستقبل (١)

كهانة

خطراتُ الأحلام ... ستسرى في الأيام

(١) نشرت بمجلة (بالمجلة الجديدة) بالقاهرة في عدد أول ديسمبر ١٩٣٥ ص ٢٥

أقوال وفعال هى رهن الأوهام

– الآن –

ويكونُ الممنوع هو حقٌ مسموع

ويكونُ المنبوذ هو عرفٌ متبوع

– الآن –

وجهودٌ مشكورة ستغادى منكورة

آراءٌ ومعان حبات مبذورة

– الآن –

وترى فى الأجيال من حالٍ ومآل

وسبيلاً مطروقا كخيالٍ ومحال

– الآن –

وأمورٌ مجهولة ستغادى مملولة

من فرطِ العرفان وتراها مأمولة

– الآن –

خطراتُ الأذهان وضروبُ العرفان

تهدى إن لم تصم فتكات الإنسان

– الآن –

وولوعٌ ببقاء ككفيلٍ بنجاء

مهما صال الموت فى حرب وعداء

حالتان للنفس [1]

- ١ -

طلب السكينة

يا ليت قلبي غدا خلاءً ... كعالمٍ كلّه بِحارْ

على انتفاءِ الحياة منها ... في خضرم ماله قرار

فلا مهودٌ ولا قبورٌ ... ولا سفينٌ ولا منار

ولا حَبيبٌ ولا عدوٌّ ... ولا نموٌّ ولا احتضار

ولا رخاءٌ ولا شقاءٌ ... ولا رجاءٌ ولا ادِّكار

أو كان كالنجم في سُراه ... الوادع السائر المدار

أو كان كالليل في هدوء ... يُخال في صمته حوار

- ٢ -

طلب القوة

يا ليتَ قلبي على أساه ... أقوى من الشرِّ والشقاء

وليت نفسي على هواها ... أقوى من الحبِّ والرجاء

وليت لبّي على حجاه ... أجلد من غفلة الغباء

لا يضْطنيه عداء عادٍ ... وليس يغترُّ بالإخاءْ

يأخذ صفو الزمان عفوا ... ولا يُعنَّى من القضاء

(١) نشرت بمجلة (المقتطف) عدد أول ديسمبر ١٩٣٥

وليت صبرى على بلاء | أشدُّ من أروع البلاء
فداوِ داء الحياة فينا | لو تُسعد النفس بالدواء
بالصبر والسعى والأمانى | والحلم والعزم والوفاء

عجز التجارب [1]

مَازادَ مرُّ حياتى غير أشجانى | فَزَوَّدَتْنى رُجحانًا كنقصانِ
يَا دهر لا تُنْسِنى فى ضيق عادية | محاسِنَ العين من صبرٍ وغفرانِ
وَقوَّتى بتجاريبٍ أزاولها | فإنها لم تزدنى غير عرفانِ
وكيف يُلْهِمُ خُبْرٌ صَبْرَ مصطبر | يَمْرى له الخبر عرفانًا بإيهان
يزيدهُ العمر من وَهْيٍ ومن كِبَرٍ | مازاده العمر من خُبْرٍ بحِدْثانِ
فكيف ينفع تجريبٌ ومانحه | يُوهى جلادة أعصاب وجثمان
بعض التجارب ينسى ليذكر زمنًا | إذا تعاورَ لبَّ المرءِ ضِدَّان
فإن تيقظ فى تجريب طارقةٍ | فإنما هو يقظانٌ كوسنان
ضرورةُ العيش أن ينسى ليذكر ما | يغدو يعالج من أمرٍ له ثان
فالمرء ما عاش من حال لثانية | مُنَقَّلٌ بين نسيانٍ ونسيان
فإن تذكَّر أمرًا واحدًا أبدًا | قضى الحياة غريرًا جد غفلان
وإن تناسَ فلا نفعٌ لخبرته | وكيف يجديه منسىٌّ بِغُنيانِ
فإن تذكر منسيًا تبادهه | منه فجاءة ما يقضى الجديدان

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) - العدد ١٢٧ فى ٩ ديسمبر ١٩٣٥

كأنه مستجدٌ لم يلمَّ به ... ولم يحوَّل إلى طبعٍ ودَيْدَانِ

وربَّ طبع بلا خُبرٍ وتجربةٍ ... أسْخى على المرءِ من خُبْرٍ وعرفان

ذُخر التجاربِ ذخرٌ لا رواج له ... ولم يخص بأرباح وأثمانِ

ذخر الأقاصيص مسحوراً ومختزَنًا ... فليس للعين منه غير ريعان

إلاَّ تجاربُ علمٍ يستجدُّ بها ... ما يملأ العيش من حسن وإحسان

لولا انتفاعُك من عَادٍ مُقَضَّلةٍ ... قد تجتبيها مع التجريب فى آن

لما خُدِعْتَ بأشباه إذا اختلطت ... فعادةُ المرء والتجريبُ أمْران

والخُبْرُ ليس بنافٍ عادةً شَنَاتْ ... ولا يداوى به منَ وْهيِ أبدان

يزيدك الخُبْر علمًا بالحياة وما ... تغرى به الناس من شرٌ وطغيان

حتى تسير على مجرى سجيتهم ... فلا يزيدك فيها غير إمعان

فإن أبيت سجايا الناس من شممٍ ... قضيت عيشك فى همٍّ وأحزان

إلا إذا ما لبست الدهر عافيةً ... فهيَّات لك من صبرٍ وغفران

ليلة حوراء (1)

رقَّ الظلامُ بليلةٍ ... حوراء كالطَّرف الكحيلْ

سحرُ العيون كسحرها ... بين الشواهد والشكولْ

هى فتنة الحَدَق الملاح ونعمة الطرف العليل

رقَّ الظلامُ كأنَّه ... متفيًّا الظل الظليل

(1) نشرت بمجلة (الرسالة) - العدد ١٢٨ فى ١٦ ديسمبر ١٩٣٥

في روضــــةٍ فـــينانةٍ هجرَ الهجيرُ بها المقيل
وصـــفَـــا الدجـــا فكأنما مـــزج النهـــار به الأصـيل
فـتـمـازجـا كـتـمـازج المـــ ــاء المصـفَّى والشَّـمـول
في جُنحـهـا وصـفـائهـا قُــرِنَ الجليل إلى الجـمـيل
وتصـالحـا من بعـد مـا افــتـــرقَ السـبـيل عن السـبـيل
تحنو علينا مـــثلمـــا يحنو الخليل على الخليل
وتخـالهـا حُلْمًـا بِسـعـدٍ جلَّ عن قـيـد العـقـول
ولرُبَّ لـيـلٍ فـــاحـمٍ فـيكادُ يُقْطَعُ أو يسـيل
لا مـــثلَ لَيْلتِيَ التي تندى على الوجدِ الدخيل
في سـحـرِها وصـفـائِهـا ونجـومِـهـا بُرْءُ الغليل
عـمَّ الـسـكـونُ كـــأنَّه مَلَكٌ على الدُّنيـا نَزيل
فـكأنَّهـــا رسمٌ بَـــدَا وكـأنَّهـا حُلْمٌ مـخِـيل
في مـــثلهـــا من هَدْأَةٍ سَكَنَ القـضـاءُ فَلَا يَصـول
وكـهــدأةٍ في مـعـبـدٍ للخَـاشِـعِين به مُـثُـول
وكـأنَّمـا أَغْـفَـى الهـواءُ كـغـضَّـة الـطـرف الـكـلـيـل
والبَـــدْرُ طَـيْفٌ فـي المـنـــام يُطيف كـالحِبِّ الوَصـول
في مـــثلهـــا من ليلة عـــبـد الدُّنا أهـلُ الحلول
ورأوا تجـلـــيَ الله فـي كــــونٍ عـــــراه لـه ذهـول
والزَهْـرُر كـالمســحـور وســنـــان المحـــاسن في ذبـــول

والنهــــر غـــافٍ راكـــــد　　نسَىَ التَـرَقْـرُقَ والمسـيل

وسنــانَ يحلـم بالـريـاض　　وظلّهــــا فـيــــه الظليل

فى مــــثلهـــــا من ليلـةٍ　　يَقِفُ الزمــانُ فـلا يحـول

يُصْـــغِى إلى نجــوى الـقـلـوبِ وذِكْـرِها العـهـدَ المحيل

كـوقـوف نجم سـمـائهـا　　يثنيــه من سـحـر ذهول

كـذهول مـسحـورٍ بمـا　　تجلو من الحُلم الجـمـيل

يا ليل بل يا ســحـــر بل　　يا حُلْمُ ليـــتك لا تزول

الشـتاء فى إنجـلترا [1]

مقـدمة :

يسقط الثلج فى إنجلتره شتاءً على شكل حبات الدقيق . فيعلو الأرض والمنازل والأشجار ، فيخيّل للرائى كأنما قد كُسيت الدنيا كساء من القطن . وكأن النهار ليلة مقمرة ، وكأنما بياض الثلج من أثر بياض أشعة القمر . وتذكى النار فى المواقد فى البيوت ، فَكأَن ألوان النار ألوان الأزهار الزاهية فى جنّة الربيع ، وتذكى نار المواقد وجنات الوجوه فكأن فى المواقد جمراً وفى الوجوه جمرا ! وتبحث فى القلوب فترى نار الحياة وشرّتها ، وترى الحب والآمال لم يغضّ منها برد الشتاء وثلجه !

(الناظم)

* * *

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٢٩ ، فى ٢٣ ديسمبر ١٩٣٥ .

نَشرَ الضَّريبُ على البسيطة حلةً — بيضاء تمحو غبرة الغبراءِ
يسعى على وضح النهار كأنما — يسرى الفتى فى ليلةٍ قمراءِ
فكأنَّ نور البدر ما حلَّى الثرى — برواء تلك الحلَّة البيضاءِ
غلب البياض على اصفرار أشعة — تَهَبُ النهار من اصفرار ذُكاءِ
وعلى المساكن كسوةٌ منه كما — تعلو المفارقَ شيبة الشمطاء
فإذا مشابهة المشيب كدعوةٍ — للنفس أن تنأى عن الأهواء
وإذا استراح لمُقْمرٍ فى لونه — راءٍ ترى الأحلامَ عينُ الرائى
وكأنما فى عالم الأرواح يسعى مَنْ سعى لا عالم الدقعاء
وكأنَّ زهرًا أبيضاً غطى الثرى — برواء ثوب الروضة الغناء
ولكلٍّ لون حسنه كالليلة الليلاء أو كالقبّة الزرقاء
ولربما اختلف الجمال ، وفعله — متشابهٌ فى أخذة الصهباء
وإذا المواقد فى البيوت تضاحكت — من شدة الإيقاد والإذكاء
خلْتَ الربيعَ سعى إليك بحفله — والنارَ زهرَ الجنة الفيحاء
يذكى الوجوه لهيبها فتراهما — جمريْن يشتعلان فى الظلماء
ما غضَّ من دفء الحياة ونارها — ثلج الشتاءِ على ثرى الغبراء
الحبُّ والآمالُ فوق متونه — كالحبِّ والآمال فى الصحراء
والقلبُ قلب حيث كان إذا ذكت — نارُ الشباب وشِرَّةُ الأحياء

بحــر الحســد [1]

مقــدمة :

الحياة هي بحر الحسد . ويسعى الناس في الحياة لأرزاقهم وجاههم بالكيد والمكر ، كأنما يسبحون في بحر من الحسد . وقد يدفع بعضهم بعضا كي يظهر الدافع على متون أمواجه . وقد يعين بعضهم بعضا في الأحايين . أما المجاملة في الحياة والتحيات ، فقد تكون أشبه بلألاء الشمس على سطح الماء يخفي بجماله ما في البحر من قبح وبلاء !　　　　(الناظم)

* * *

يسبح الأحياء في بحر الحسدْ　　　فاعتصم بالصبر فيه والجلَدْ

واقتعد صهوته مستبشرا　　　سابحًا في الموج منهُ والزَّبدْ

ضاحكًا من عنت الأمواج ، لا　　　يُدفَعُ الغائلُ منها بالكمدْ

انظر الأمواج في الشط ، تَجدْ　　　لُججها منهزم الأمر بددْ

إن علَت موجة حقد فاصطبر　　　أيّ موجٍ في ذرى اليمّ خَلَد ؟

وإذا ما رمَّةٌ لاحتْ ، فلا　　　تحسب الرّمة فيه كالسَّند

وإذا لألاتِ الشمس على اليمّ أخفتْ قبح ما دون الزبد

كمقالِ الخبِّ يخفي كيدَهُ　　　إن سطا في العيش في لُؤمٍ وحِقد

وإذا غارَ بك الماءُ فقل :　　　كم حسام في قراب قد غُمد !

---

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٣٠ في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٥

رُبَّ درٍ فيه لاتأمله — إنَّ مَن غاص على الدرّ وجَدْ

درةٌ مخبوءة أنتَ إذا — ما طفَا باللؤم إن أُغرِقْتَ وغدْ

أمجدِ السّابحَ إن حار وكنْ — للذى أشفَى على الهُلْك عَضُد

ليس مجد الغدر أحجى بالفتى — أىُّ مجدٍ ناله الأوغاد مجد ؟

أحمقُ الناس جهولٌ خائف — كُلَّما لاحَ لهُ برقٌ رَعَد

ليس فى العيش ولا الموت أذى — إنَّ من سار على الدرب ورد

لا يَلَذّ الموتَ إلاَّ مُستَعَبٌ — سهر العيش وفى الموت رقد

رقدة يا طيبها من رقدةٍ — بعد أن عانى وأبلى وسهد !

الصدى (١)

أمازحٌ أم ساخرٌ يا صدى — تردد الصوتَ ولفظ المقالْ ؟

الصدى : مقال – مقال – مقال !

أم قائلٌ ذو خبلٍ لا يعى — أغراه بالترديد مسُّ الخبالْ ؟

الصدى : خبال – خبال – خبال !

أم أنت طفلٌ عابثٌ لا ينى — يلهو ويحكى ما يرى من فعالْ ؟

الصدى : فعال – فعال – فعال !

أم ببغاء ما لها فطنة — كم رددت من حكمةٍ أو مثالْ ؟

---

(١) نشرت (بالمجلة الجديدة) بالقاهرة ، عدد أول يناير ١٩٣٦ السنة الخامسة ص ٤٨

الصدى : مثال – مثال – مثال !

أم أنت روحٌ لا ترى تبتغى أمراً لدى الأحياءِ صعب المنالْ ؟

الصدى : منال – منال – منال !

أم أنت بعضُ الجنِّ فى خدعةٍ تسكن فى الأطلالِ أو فى الجبال ؟

الصدى : جبال – جبال – جبال !

أم أنت شيخٌ أَفِنٌ إن سها ردّد ما قيل له من مقال ؟

الصدى : مقال – مقال – مقال !

أم كاصمٍ رامَ إخفاءَ ما به فلا يطلب رجعَ السؤال ؟

الصدى : سؤال – سؤال – سؤال !

أم أنتَ مثل الناسِ فى غيّهم كم ردّد الجهال قولاً يقال ؟

الصدى : يقال – يقال – يقال !

يخشون إن شذوا بإنكار ما قد ألفوا من ترهات الضلال !

الصدى : ضلال – ضلال – ضلال !

فرددوا بغْيًا على ألفةٍ بينهم ، أو رددوا من كلال !

الصدى : كلال – كلال – كلال !

فقولهم مثل الصدى رجعة وعيشهم ما بين قيل وقال !

الصدى : وقال – وقال – وقال !

حكيتهم فى عيشهم ساخراً أذلك العيش وعقبى المآل !

الصدى : مآل – مآل – مآل !

صمت الشك (1)

علم أم ضعف ؟

ألا لا أبيحُ العَيش مدحًا ولا ذما — سكتُّ فلا عذراً نطقت ولا لَوما
ولا يستقيم القولُ إلا لمُنْتشٍ — من العيش والآمال لا من صَحَا غما
مللتُ أساطير الحياة فإن أُفِق — فمن لى بحلْمٍ قد حلمت به قِدْما ؟
حلمتُ بحسن العيش والصدقِ والنهى — أمانىَّ لاصماً تبدَّت ولا بُكْمَا
وإن لم يكن عيشُ الفتى حلَم حالمٍ — فما عُذرُ قولى إن حَسِبْتُ الدنى حلما
فإنْ شئت كان الشكُّ ضعفًا وخَيْبةً — وإنْ شئت كان الشك منطقه علما
وإن كان أصلُ الوحش والناس واحدا — فلِمْ فَقَدُوا ظلفًا وقد كسبوا لؤما
وكيف أرى فى مستقبل الدهر للورى — علاءً ومحْيًا يجمع الخلق والفهما ؟
إذا كان صدق الناس كذبًا وفضلهم — رياءً ، وودٌّ منهم الغدرَ والسُّما
صحوت كصحو الموت من نوم عيشه — أترجعنى للعيش ألْعَقه رغما ؟
كما يلعق الآسى العليلُ دواءَه — وإن مجّ منه علقمًا قد نبا طعما
وهل ثقةٌ بالعيش والناس تشترى — لأنثرها نثراً وأنظمها نظما ؟
وإن كان مدح المرءِ للعيش خَشْيَةً — من اليأس كان المدحُ من وجلٍ ذماً
يسوغ بيان السخط إن كان من هوى الـ — ـحياة وإن أغرى بك الأمل الجمّا
وإلا فإنّ الصمت أولى بقائلٍ — إذا قال قَولاً جدّد اليأس والهمّا

---

(1) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٣٢ فى ١٣ يناير ١٩٣٦

على تافـــهٍ لا ينقعَ الدهرَ غلة ولم يك بين الناس ربحًا ولا غنْمـا

رأيت زوال الكائنات فــلا أسًى إذا لم أُخَلّدْ لى مـقـالاً ولا نظْمًـا

سـيحـدث بعـد القـول قول يُديلُه وإن زال أقـوام تجـدْ بعـدهـم قـومـا

ومـا الخلد إلا عِـزّةٌ وطمــاعـة وأنبل كـذْبٍ يخدع اللبّ والفهما

يكون الفتى فى اليأس دهراً وفى المنى (كأرجوحةٍ بين الشقاوة والنعمى)

وقـد حلّ بى دهر إذا مـا مـدحـتـه أظل كـحاسى المُرِّ يفتعل البسما

وإن لـم يُنلْك القـولُ إلاَّ مـذمـةً فـمن برِّ نَفْسى أن ترى تركه حزما

فمن شاء فلينطق ومن شاء فليكنْ صموتاً فحسْبى أن أرى الحمق والحلما

مللتُ نضالَ الناس فى غير طائلٍ وإن كان شرًّا يصقل الذهن والفهما

وكم شبَّهوا فهمـا بسهم ومورد وَيَا طالما أشْوَى الصواب وكم أظما

فيا ليت هذا العيش يبدو كصورةٍ لعينىَّ أو خطًّا على الطرس أو رسْما

كـمـا تهدأ الهيجاء فى رسم راسم تراها فـلا قـتْـلاً تراها ولا كَلْمَـا

ترى حسن إحسان وتجويد صانع وقـــدرة فنَّان وجـــهـــداً له تمّـــا

ســحر الطبيعـة [١]

كئوسٌ من النور هذى الزهو ر أم هى أخـيلة الشـاعـرِ ؟

ولـيــست بحُلم ولكنهـا أجلّ من الحُلُم البَـــاهِرِ

ومـا خلّفت لفنون الخـيـا ل فـتنة حـسنٍ لدى الخـابرِ

ومـاءُ الحـيـاة ونبع الخلو د فى مـائهـا السلسل المـائر

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٣٣ فى ٢٠ يناير ١٩٣٦

وعشب قشيب وظلٌّ ظليل ... أدنْيــاً أرى أم مُنى الســاحــر ؟

ومما يــزيــد رواء الــزهــور ... أذى العـــيش والقـــدر الجــائر

لقد خفت أن تنطوى مثلما ... يزول الخـــيـــال عن النـاظر

فأسلمت نفسى لسحر الخيال ... لأخلد فى حُـــسنهـــا الزاهر

وغبتُ عن الحسنِ حسن الوجود ... كـــأنى روح لدى العـــابر

كـــأنى نقلت إلى عـــالم ... سَـيُنشــأ فى الدهر أو غـــابر

كـــأنى نُقلت إلى جنة ... نـأتْ عن سطا القـــدر الدائر

ومما يــزيــد رواء الــزهــور ... أذى العـــيش والقـــدر الجـــائر

الغـــابـة [1]

قد حكيتِ الآباد كالبحر والصحـ ... ـراء من طول أرضك الشــجــراءِ

وحـجـبتِ الأفق البـعـيـد عن ... الطَّرف فأنسيت منتهى الأشياءِ

فكأنْ لامـــدى لدوحك يُرجى ... حين تُدْحَى مطارحُ الغْـبـــراءِ

ورياح تشـــدو على ورق الدو ... ح بالحـــانِ شـــدة أو رخـــاء

منطق لم يدع لنفس شجـونا ... لا يُحـاكى صـفـاتهـا فى الغناءِ

ثم تبدو الغصون فى هدأة الريـ ... ـح كَنَاىٍ مـــعـلّق بالهـــواء

وكـأنى أصـغى إلى غـابر الدهر ... ومـــا كـــان فـيك من أزراء

وكـــأنّ المســـاءَ ظلل دَوْحـــا ... يتـســـامى ولات حين مـســاء

وكـــان الظلامَ دسٌ كـمـينًا ... رابضًـــا فى آجـــامك الدّكْناء

---

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٢٤ فى ٢٧ يناير ١٩٣٦

خطرتْ فى ظلام دوحك أرْوا … حٌ وناجت مسامع القدماءِ

ليث القوم فيك دهراً فناَجاَ … هُمْ سرارُ الفنون بالإيحاءِ

عُمُداً شيّدوا وَسْقفاً لبَهْوٍ … واستمدّوا من غابةٍ وسماء

حين شادوا للديّن بيعةَ إيما … نٍ تبدّت كالغابة اللفّاء

صِرْتِ ملهىً وكنت غيلا مخوفا … وملاذَ اللصوص والطرداء

وارتضيت الأمان من بعد ذُعر … لم يزل فى المدينة الشماء

غابة شادها ابن آدم نزلا … دَوْحها من قصورها الزهراء

ربما عرّشتْ وضاقتْ فلا شمـ … ـسٌ لديها ولا مراحُ الهواء

ومخوفٍ من الفجاءة فيها … كمخوف فى الغابة القتماء

واحتيال ليُقْتَنَصَ الرزق والصَّيْدُ … سواء فى مكرةٍ كسواء

كم وحيد لا يعرف الأنس فيها … أصْبَحت نفسه كقفرٍ خلاء

ضاقَ ذرعًا بنفسه فغدا ينـ … ـشُدُ طيًّا فى معرض الأحياء

عذّبته لواحظ الشمس حتى … أخذتْه لواعج الظلماء

وأفاعٍ فى دُورها وقرود … ووحوش من ناسها بالعَراء

وغريب ومُعدم وطريد … قد عداه حتى خداع الرجاء

فكأنّ الأقوام لم يخرجوا منك … ولا زال عهدُكِ المتنائى

سُنَّةٌ قد سننتها فى نفوسٍ … إن دَعتها كانت جواب النداء

الحق والحسن (١)

عصيت الحسنَ من همّ ونحس ... ينيخ على الورى فى الطارقات
وقلتُ الحق خير منه عقبى ... وأولى بالنفوس الساميات
وقلتُ أيا رُواء الزهر بُعدا ... ويا سحر العيون الساحرات
ويا مُلح الخمائل لا تكونى ... حبائل قانصات آخذات
ويا شمس اخبئى ضوءا صبيحا ... يغازل حسنه حسن النبات
أليس الناس فى عنت وشرٌّ ... سلى الأيتام والمترملات
سلى أهل الشقاء ومادهاهم ... وهل طابت لهم خدع الحياة
رمى بالنسل للآفات طُرًّا ... نشاوى لذّة لا الواجبات
وقالوا النسل فرضٌ أىّ فرضٍ ... جديرٌ بالنفوس المؤمنات ؟
ديار النحس كالجنات حُسنا ... لدى العشاق فيها والهواة
ورنّق من مناقع آسنات ... ألذّ مع الغرام من الفرات
وحيث ترى نعيم الحسن داء ... ترى فقد النفوس الآبيات
وهل ترجوه لاستصلاح أمر ... صريع عقار حسن الفاتنات
فإن الحسن يلهى المرء عما ... يحاول من صلاح الحادثات
ولولا سلوة للحسن ، عيفت ... حياة فى حضيض الهاويات
فقال الحسن هل أنا غير سلوى ... تعين على كفاح النائبات
أنا الأمل الذى لولاه كانت ... حياة المرء شرّا من ممات

---

(١) نشرت بمجلة « المقتطف » - عدد أول فبراير ١٩٣٦

أنا الحقُّ الذى تبـــغى جـــداه   وتنشـــد كـــونه فى الكائنات
أنا المثل الأجلّ ، إلىّ مَــــرْقى   خُطا الراقين من مـــاضٍ وآت
أنا الحادى الذى يحدو نفوسـا   فـتطرب طِرْبة المســتـوقـرات
أنا الصبـــر الذى يودى بنحس   ويسـعـد فى الهـموم المضنيات
أنا الحبُّ الذى لولاه كـــانت   وجـوه الكون أشبــه بالرفـات
فلمّـا أن تبـدّى منه سـحـر   أضــاء بنوره وجـه الحـيـاة
ولمّا أن تبـدى منه سـحـر   أعـاد النفس فى مثل السُّبـات
خشعت وما ملكت قياد نفسى   وقلت : الحق حُـسنٌ لو يؤاتى
وإن لم يزوِ نفس المرء عـمـا   يحـاول من صـلاح الحـادثات

ما وراء الأمن [(١)]

« ولكن ما وراءك يا عصام ؟ »

(شاعر قديم)

أمـــا فـكّر هذا النا   سُ كم من قـاتلٍ عـاتى
لو أن لكلّ ذى حـقـدٍ   مناه فى الرمـايات
لو أنَّ الأمـرَ فـوضى لا   حسيب على الجريرات
لكان الأمـر مـا كـان   قـديماً فى البـداوات
إذ الأشـــره فى الأرحـ   ـم مقضىٌّ المشيئـات
ودامى النـابِ من لحـم   أخيه أو السخيمات

(١) نشرت بمجلة « بالمجلة الجديدة » بالقاهرة عدد أو فبراير ١٩٣٥ ص ١١ .

وغــرّ الناسِ مــا يخــد ... عُ مــن بــذلِ المــروءاتِ
وغــــرّ الأمنِ والسلم ... وآيات الســــمــــواتِ
ومن يصـــغى لآيات ... وأرواح رحــيــمــات
وخلــف الأمن والســلم ... كــحــرب الذئب والشاة
قــتــال بالنكايات ... وآخــر بالســعــايات
وبــالــكــذب وبــاللؤمِ ... وأرجــاس الغــريزات
ســلاح كلّ مــا أســعــ ... ــف فى حــرب المبــاراة
ولو تقــتــل الحــاظ ... نمت قــتــلى العــداوات
أسهمٌ مــا بدا فى اللحــ ... ــظ أم ســهــم الحــزازات
وقــوم الزمن الماضى ... كــقــوم الزمن الآتى

* * *

ســالت الله أن يخلــ ... ــف ظنى عند مبيقات
بأن يخلف أقــوامــاً ... كــرامــاً فى الســجيــات
فمن فــجــار مــهــواة ... إلى أطهــار مــرقــاة
ومن رجــسِ المبــــاراة ... إلى طــهــر المؤاخــاة

نذالة التعاسة [١]

كــدتُ أنْسى دواعىَ الرّفْق ممــا ... قــد أرتْنى نذالة التُّعَــسَــاء
يقضمونَ اليد التى تَنْتَحيهمْ ... بســخــاءٍ ونجــدة وإخــاء

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٣٦ فى ١٠ فبراير ١٩٣٦ .

ويكيـدون فى الخـفـاء أو الجـهْـ ـرةِ أَلْئِمْ بِجَـهـرهم والخَـفَـاءِ
عـشّش اللؤم حيثـما عشش البؤ س سـوى فى القليل من كـرمـاءِ
ليس بدعـاً ، أليس مـا نغّص العيـ ـش من البـؤس باعث الشـحْنَاء
كل قلبٍ تبيت من حَسَك البؤ س مليئـاً بخـسَّـة الأدنيـاء
يتلظّى شـرًّا ويرشح غـدراً ويُداجى خـوفـاً بثـوب رياء
يلؤم المرء وهو غـيـر شـقىّ كـيف ينأى عن لؤمه فى الشقاء
ليـزيدَنَّهُ اغـتـيـالا وحِـقْـداً وافـتـراسـاً على حُطَام الرّخـاء
وسُـعَـاراً لَوْ انّه نـال من أرْ ضٍ لجُنَّتْ زلالزل الغَـبْـراء
وهو غلٌّ لو حاقَ بالشمس أمسَى مـثل ذرّ الرمـاد وجـهُ ذُكـاءِ
ليس شر البأساء قصراً على النحْـ ـس ولكن كم أشعَلَت من عَداء
وحـقـودٍ وخـسَّـةٍ وسـعـار واغـتـيـال ومكرة ورياء
تفـسد الأنفس الكرائم حـتى تَغـتـدى مـثل أنفس اللؤمـاء
ضَاع عطف الرحيم إذ ضاع حسُن الـ ـخُلقْ فى خِيم أنْفُسِ التّعـساء
وعظيمٌ مـا أفسد النحسُ من خلـ ـق هضـيم ورحـمـة الرحـمـاء
كم شـقـاءٍ يمضى وفى النفس منه أثـر واضـح لغـيـر فـنـاء
من عـوادى سخـائم لست تدرى هـى بـالمـرءِ عـلـة الأدواء
أم هىَ النفسُ سقمُها مثل سقم الـ ـجِـسْـم من إحنةٍ ومن شـحناء
مـثل ذل الشعـوب خلّف لؤمـا بَعْـدَ فوْتٍ من عـهـده وانتـهـاء
وصفات الشعب الضعيف لَتُلْفى فى جسـومٍ صـحـيـحـةٍ أقـوياء
من رياءٍ وإحنة واحْـتـيـال وتعـادِى تخـاذلٍ وافـتـراء
شـيـمٌ يدرأ الذليل بهـا من عـجـزه سطوةً من الأعـداء
أصبحت شيمة النفوس وإن لم يـك ذل ولـم يـكـن من عـداء

فمتى يلبس الخلائق طرًّا	طيب نفْسٍ في شملة النعماءِ ؟
ليس إلا بها نجاء نفوس الـ	ـناس طُرا من خسّة الغبْراء
فاطلُبنْهُ فيها وإلا فدَعْ نشد	ان أمرٍ بغير داعِى الرّجاء

بين الثريا والثرى[1]

الحمل الجدى والسرطان : هى الأبراج المعروفة بهذه الأسماء ، والمعنى هو أن الشباب لايهتم بما يخبئ له القدر ؛ كما يهتم من يرصد الأفلاك والأبراج ليعرف منها ما يُخبِّئهُ له القدر .	(الناظم)

١ - الشباب

تُذكرني الشبابَ وقد علونا	به فوق المجرّة والنجومِ
ونحن الخالدون وكان حقاً	خلوُّ الخالدين من الهمومِ
سوى الحزن الذى عُقباه ضِحْكٌ	يرنّ صداه فى ضحك الهزيمِ[2]
وطِئنْا فوق أطلال الدرارى	وأشرفنا على بيد السديمِ
فلا حَملٌ ولا جدْىٌ رقينا	ولا السرطان ذو البرج العَظيم
وما من صَولَةِ الأقدار خِفْنَا	ولا لاحَتْ لنا مثل الغيوم
بأرواح لها فى الأفق مسعى	وتحليق على العيش البهيم

---

(١) نشرت بمجلة الرسالة – العدد ١٣٧ فى ١٧ فبراير ١٩٣٦

(٢) ضحك الهزيم : يُراد به صوت الرعد .

رَكَضْنا فى السماء لكل نجمٍ حُنُوَّ الطير للزهرِ العميم

وحوَّلْنا وجوهَ الكون كاسا حسوْناها ولم تَكُ من كرومِ

ولم نعْبأ بما تُخفِى الليالى ولم نخْشَ المنيَّة فى الهجوم

وأسْلَفَنا الزمان نعيم عيش ولم نحذر مقاضاة الغريم

وكنّا فى ائتلاف الشمل نحكى نظام الشهب والدرّ النظيم

٢ - المشيب

سكَنّا الأرض بعد الأفق دارا وأنزلنا إلى بطنِ الأديم

وأُفْهِمْنا القضاء وما فهمنا وقل ما شئت فى لغْوِ العليم

وكُسّرت القوادمُ والخوافى وهِيضَ العَظْمُ فى الجسم الكليم

صحونا للحياة وما تراه من الخلق المُقبَّح والذميم

فمن حذرٍ إلى بخل وذُلّ وسوء الظن بالخلّ الحميم

أطلّ الموت من كثب علينا وظِلُّ الموت أصبح كالنديم

تُرَوِّعنا الصروف بكل خطبٍ وخطب الموت أهون للفهيم

وضاعت جدَّة الدنيا وصارت كأطمارٍ على جسم العديم

يحُاربنا التذكّر والتمنى كلا الامرين يُفْضى للهموم

وقدما قد نعمنا بالتمنى وأملنا الخلود على النعيم

وليت الذكر ، وهو نذير شجو يدوم بروقةِ العهد القديم

سننسى أننا كنا قديما على هَام الثريا والنجوم

بيان ماض وحاضر[1]

أنشـودة

عـهـدى بالعـيش على رَغـدِ	عـذباً كـالماءِ حَسَـاهُ صدِى
نـغـمٌ والـدهـر يُـوَقِّـعُـهُ	يسـرى كـالنَّشْـوَةِ فى الجسـد
ياليت الدهر كـمن يشـدو	بـأغـان إن يُـطْرِبْ يَـزِدِ
إن قلتُ أعـدْ نعـمى عـادت	كـتـرنُّم ذى النَغَم الفَـردِ
حـسنات كنت بهـا ثمـلاً	ذهبتْ فى الدهر فلم تَـعُـد
آمـالٌ كنت بهـا شـغـفـاً	نظرَ الولهـان إلى الخُـرُدِ
أحـلامٌ كنت بهـا جـذلاً	قـد شحَّ النوم ولم تجُـدِ
وشـبـاب ذقت بـه خلدا	فـى طرفـة عينْ من أبدِ
لـو دام دوام الخـلـد لمـا	نقع الظَمْـآن من الصَّـفَـدِ
لو عـاد بذلتُ لـه ذخـرى	من مُطَّرَفـى أو مُـتَّـلَدِى
بشـعـاعٍ منه أعـيش مـدى	دفءٌ للشـمس على بُعـدِ
آبَ التـذْكـارُ له شـبـحـاً	أو قَـبـراً شِـيـد لمُـفْـتَـقَـدِ
مـا خَلَّفَ لى دهرٌ ثـقـةً	بمآل فـيـه أو أحـد
يـانبْـع الماضى لو عـاد الـ	وُرَّادُ إليك على جَـدَدِ

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) عدد ١٢٨ فى ٢٤ فبراير ١٩٣٦ .

لرجعتُ إليك رجوعَ صدٍ — لم ينْهلْ قَبلُ ولم يردِ
وغداً ماذا يادهرُ ترى — قد قُدِّرَ لى بضمير غد ؟

صور الصداقة والعداوة[1]

وفىٌّ غادرٌ سمْحٌ حقود — أرى الأضدادَ فيك إلى لقاءِ
أمدحُكَ لى انتقام من عدوٍّ — أساءَ إليك أم محض الثناءِ
وفاؤك كى أبادلك التّحايا — أذا سَبَبُ التقرُّب والتنائى؟
وكيما أصْطلى وأشنّ حربا — على مَنْ مَدحُه لك كالهجاء
أَتخدعُنى ولم تلحق بسنىّ — ولم تظفرْ بخبرْىَ أو بلائى ؟
وتمذق لى إخاءك مذق حقد — علىّ وما أصبتُك بالعداء[2]
تحاربنى وتحسب أن ستخفى، — عداؤُك ليس يظفر بالخفاء
كشأن نَعامةٍ للرأس تخفى — وتحسب ما لها فى الناس رائى
ولستَ بأول المُخْفين بُغْضاً — نما بين المحبَّة والإخاء
عرفتُ الناس قبلَك ياخليلى — وذقتُ الغدر من حلو الوفاءِ
فإنْ كان الولاء كما أراه — فويْلى من وفائك والولاءِ
وبُعْداً للمديح وإن تغالى — وسُحقا للمروءة والصفاءِ
سل الخلاّن ما فعلوا بقلبى — وهل أبْقوْا لشدقك من غذاء

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٠ فى ١٦ مارس ١٩٣٦

(٢) يمذق الإخاء : أى لا يخلص .

وهل أبقوا لبطنك منه شِلْواً | مريراً لا يساغ على عداءِ ؟
أعيذُكَ أن أراك شبيه قوم | رجولةُ بعضهم فقد الحياء
وهمْ فقدُوه من ذلٍّ وعارٍ | وهمْ فقدوه من فقدِ الإباء
وكم أخفَوْا رخاوتهم بهُجْرٍ | كمن فقد الحياء من النساء
وهم مثل الهلوك رمت رجالاً | بما قد صحّ فيها من هجاء
على الأوباب واقفة تَنزّى | وترمى القوم من دانٍ ونائى
وتحسبُ أنها نفضت خناها | كجلد الكلب هُزَّ لِنَفْضِ ماء
فلا يعديك خلقُهُم فإنى | رأيت الخلق يُعدى كالوباء
صفحتُ ولو أردتُ بلغتُ ثأرى | وقد عُرف اقتدارى فى الرِّماء
فإن يأبوا وإن تأبى سكوتى | فما صمتى بعَىٍّ الأدعياء
ولا يُعليك بين الناس خفْضى | ولم تبعدْ بأفقك عن مسائى
لتنزلنى إلى حيث استقرتْ | بك الدنيا تفَنّنُ فى العداء
تُخَبِّرُنى اللحاظ بغلّ قوم | على ما نلتُ من فُرص الرخاء
وكنتُ أظنّه حسداً لقولى | فخلت الصمت أقرب للنجاء
ولو سمعوا بموتىَ ما استراحوا | ولا يشفى حقودهم فنائى !
أرادوا لى الممات ولو دهانى | لفرط الحقد أُحْسَدُ للفناء !
فلا يُرضيهمُ عيشى رخيّا | ولا يرضيهمُ منى عفائى
وفى الدنيا الدنيئة هان سمحٌ | تعالى عنْ سِلاح الأدنياء
إذا ما أحرجوا سمحاً كريما | تدرَّع بالقواذع فى الرماء
دعُونى صامتاً فالصمت أوقى | لكم إن لم تصولوا بالغباء

أداجي الناسَ ما داجوا وإني ... لأزهدُ في الدّهان وفي الرياءِ
ولكنّ الحياة لها قضاء ... فمن يأباه يزهد في البقاءِ
وما أدْرِي لدن أُلْفِي عُدواً ... أأَبْلَه أم تباله بالعداء ؟
أَخَوَّفَه أذايَ أخو دهاء ... أخَوَّفَهُ ذكائي واعتلائي ؟
أتمَّقَ وعده بالخير إمّا ... تمادى مَنْ تمادى في الجفاء؟
أسَعْيُ سعاية أم قولُ واشٍ ... يحكِّمُه المُحَكِّم في الخفاء ؟
أرجّاه مُرَجِّي الخوف مني ... ضلالاً نيل عوني أو ثنائي؟
أعَدْوى في التثاؤب من كسولٍ ... كعدوى في العداوة والإخاء؟
أرَشْحُ اللؤم في رهط وضيعٍ ... يفيض بما يشاء من الأداء؟
ومن عرف الأنامَ رأى أمورا ... مُرَعْبَلةً كرعبلة الكساء(1)
أراها كلّها صوراً تنزَّى ... تنزِّى الآل في الخَرْق الخواء
سرابٌ لست أتبعه فاخشى ... هلاكاً لا ، ولا هوَ منْ رجائي
أنا المرء الذي عرف البرايا ... فلا يردى لعادٍ أو لشائي
ومن خبرَ الأنام لصنع فنّ ... فكل الخلق من صور الأداء
ترامَوا بالهجاء فإن أصابوا ... فرهطهم الملَطَّخُ بالهجاء
أليسَ الرهط فَرْدا ثم فَرداً ... وأوصافًا لها عدوى الوباء؟
نعتُّم رهطكم لما نعتُّم ... نفوسكم بأوضار الرماء
نفوسكمُ معرّة كل رهطٍ ... ومدرجة الشعوب إلى الفناء
ومهزلة المكارم والمعالي ... وهل لؤم يئول إلى علاء؟
لعلكُم حسبتمْ كل شرّ ... إلى عودٍ بخير وانتحاء

(1) الرعبلة : الثوب البالي .

الهاربون من القضاء[1]

أتظلُّ مــوهونَ الجنان مــروّعــا ... قلقــاً من الآفــات والأقــدار
تخشى الحياة ولست تخشى ميتة ... هبْهـا نصيب الموت فى الإصْغـارِ
قلقــاً تظلّ على الحــيــاة كـأنما ... منهـا وقفت على الشـفير الهارى
تخشى الحياة وكذبها وسفالها ... وصـيـالهـا فى قـسـوة الغـدّار
والحىّ يأكل من حـيـاة مـثـيله ... لَحْسَ الضــــوارى للدم المدرار
وتطاول المغـمـور ينحـو نابهـا ... كـتطاول الغـرقـان فى التـيـار
مـتـشـبـثـاً منه بِعِطفىْ سـابح ... ليـــجـــرّه لمهـــالك وبوار
كلٌّ يخــال الدهر إن هو عـاقــه ... خطب الجـمـيع بقاصم الأعـمـار
والموتُ يعـصف بالدهور وأهلهـا ... فكأنهـا صـور الخـيـال السـارى
فـعـلام تخضع للتناكص والأسى ... وتخـاف حكم الله فى المقـدار
والقلب يلمـسـه الأسى فـيـهـزُّه ... وكـــــأنه وترٌ من الأوتـار
وعـلام ترتقبُ الزمـان وصـرفـه ... والغـيبُ وهو مُـحـجَّبٌ متـوارى
عمرى لوان الغيب عاجل وانقضى ... لقــرأته خــبــراً من الأخــبـار
فـمتى ترى صور الحيـاة صحائفاً ... وكـأنهـا سـفـر من الأسـفـار
لا إنهـــا أمـــرٌ تُزاوِل صــرفـــه ... وتظل تعـدو منه فى مـضـمـار
أو تغـتـدى بين الأنام مـغـامـراً ... تسـعى على سنن لهم وشـعـار
فـإذا أسيتَ أسـيت طرفـة ناظر ... وإذا نسـيت نسـيت كل عـثـار

(1) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤١ فى ١٦ مارس ١٩٣٦ .

وكذبتَ ما كذب الأنام ولم تجِدْ — فى قسوةٍ منْ خِسَّةٍ وشنارِ
ونسيت ما جلب الزمان لأهله — من محنةٍ أو مهلك ودمار
فتقول للقلب المروع إذا نزا — حذَر الحياة وصولة الأشرار:
يا هارباً من صولة المقدار — أتُراك تفلت من يد الأقدار!
اهربْ إذا ما اسطعت فى أزل الدُّنى — أو فى مدَى الآباد والأدهار
أو فى المماتِ وما تُلاقى خلفه — بين الفناءِ ومعقل الأسرار
تعدو ويدركك الذى خلّفته — كالليّل ليس يفرّ منه السارى
كلٌّ من العيش المروِّع هارب — لو فاز خَلْق فى الدنى بفرار
بالفنّ أو بالعلم أو بمجانة — أو بالسّطا والجند والأنصار
فإذا القضاء مآلهم ونفاذه — كحصادِ كل وسائل المختار
سَلْ صفحة التاريخ كم قوم به — أجراه مجرى الدهر فى مضمار
أقوام أدهارٍ مضت بعضٌ لها — ذكرى وبعضٌ مالها من دارى
قد أبدلواطبع السَّفالِ بأنفس — من طبعها المتصاعد السَّوَّار
صاروا إذا غضبوا وإن سروا وإن — درجوا لأمرٍ ثالثٍ بمدار
يتمرغُون مجانةً فنفوسهم — وجسومُهم كمزابل الأقذار
وصموا الشباب ولم يكن من طبعه — خلق اللئيم العاجز الغدَّار
إنّ الشباب مُروءةٌ وسذاجة — وترفّعٌ ينبو عن الأوْضار
تخذوا السُّفَال مجنَّهم ليصونهم — من صولة الغلاب والمغوار
فغدا السُّفَال سعادة ومسرة — عبث الخنا ومجانة الفجار
نبذوا الحياء وكيف ترجو أمة — للنائبات مجانة العُهّار

---

(١) الرعبلة الثوب البالى .

قد خِيلَ فى فقدِ الحياة رجولة | فقدُ الحياء رجولةُ الدُّعار
طبعُ المجانة عمَّ حتى خلته | كيداً يحاك عليهمُ بِسَرار
أمْ وُرِّثوه عن الجدود غنيمة | يطفو الذليل بها على الأقدار
وُيذل من عنت الحياة وضيمها | بسعادة المجّان والفجار
وتكايدوا كيد العبيد ولم يكن | كتنابذٍ بطبائع الأحرار
واستمرءُوا مرعى الغبَاوة والخنا | إِلْفَ السجون لطول عهد إسار
هزموا الدهور الغازيات بهزلهم | فمَضْت وظلواْ رهن عقر الدار
فإذا الدهور جديدةٌ قهَّارة | وإذا اللِّئام فريسة الأدهار
درجوا علىَ دَرج الحياة إلى الردى | من بعد جهلٍ راقهم وصغار

صديق البلاء[1]

يغدرُ الناس فى الشقاء ولكنْ | عذرُه فى الرّخاء لا فى الشقاء
إنْ تفدْ نعمةٌ علىَّ تلظَّى | حسداً لى وكان من أعدائى
فإذا الدهرُ مال بى كان بكا | ءً على مِحنتى وطول بلائى
المُواسى فى الحزن حتى إذا ما | كنت فى غبطة سَطا بالعداء
فى سقامى حلو الحديث شَهىٌّ | وهو يرجُو أنْ لو يُخلِّدُ دائى
فإذا ماصَحَحتُ عاودَ بُغضى | ويله لوْ أُعدُّ فى الأقوياء
لدهاه الأسى وطال عليه الـ | ـهَمُّ حتى يموتَ بالبُرَحاء
إن هجانى العدّو أُحسن قولا | دَافعاً فِرْيةَ العدا بالثناء

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٢ فى ٢٣ مارس ١٩٣٦ .

فـإذا مـا مُـدِحتُ همّ بقـتلى ... ورمـانى بقـذعـهِ والهـجـاءِ

ياصـديقَ البـلاء عطفُك فى النحـ ... ـس رياءً أبغـضْ بـه مـن رياءِ

إيه ياقلب مـادهاك من الخـ ... ـلاّن أدهى من صـولة الأعـداء

خلتَ أن الصديق مثل نسيمٍ ... نـافـع لازم قـليـل العَـنـاء

لا تنال الحـيـاةَ إن لم تنلهُ ... برُه كـالإخـاء خـيـر غـذاء

إن تقـدّمت لا يعـوقك منه ... عـائق فى منادح الأرجـاء

ويعى مـا تقـوله ثم لا يلـ ... ـبثُ حـتّى يذيع فى الأنحـاء

من مديح تطرى به مجدك الأمْـ ... ـجـد أوْلبّك السنىّ الذكـاء

إن تُردْهُ تجـدْهُ أو لم تـرِدْهُ ... لم تخف منه زورة الثـقـلاء

مـا اختـفى فى دخيلةٍ منه إلاّ ... مـا بَدا ظافـراً به كل رائى

ويك إن النسيم قد يُرمد الطر ... ف بسَـافى التـراب والأقـذاء

وهو مثل الصديقِ حَـراً وبردا ... فى اختـلاف الحالات والأجـواء

وله عـذرهُ إذا اعـتكر الجـ ... ـوّ وأنحى بالصَّـرْصـرَ الهـوجـاء

وعلى غِـرّةٍ يبلّك بالمطـ ... ـرةِ من بعـد رونق وصـفـاء

وهو خدن الممات واسطة العـد ... وى رسـول الوباءِ والأدواء

عجائب مألوفة[1]

اليس عجيباً أن أحدّ بميتةٍ ... ورأيى أتىٌّ للخلود نظيـرُ ؟

---

(١) نشرت (بالمجلة الجديدة) فى أول أبريل ١٩٣٦ ص ٦٠ .

وإنّى أقضّى العمر فى جدّ آمل ... واعلم أنى للفناءِ أسيرُ
وإن دهوراً بعدنا ، ثم بعدها ... دهور ، توالى بعدهن دهور
وإن على هذا الثرى عاش قبلنا ... شقىٌ بما نسعى له وأسير
ولست ترى من لايرى أن نفسه ... لبابٌ لهذا الكون وهو قشور
فلم يُجْده إعزازه النفس إن دنا ... رداه فلم ينجدْ عليه نصير
ويعلم كلُّ الناس هذا ولم يكن ... ليردع عن بغى الحياة مغير
وأن أرتضى للطرس ما أنا قائل ... وإن راعنى أن الحياة غرور
واغضبُ إما سبنى فمُ هالك ... وأعلم ما يؤذى الغداة هرير
وأرهب صرف الدهر فى كل طارقٍ ... وأعلم أن الدائرات تدور
وأعلم لا يبقى سرور ولا أسى ... أحلّ حبور أم أناخ ثبور
أليس عجيباً أننى اليوم عاجب ... وعلّ حياة ما حكاه سمير ؟
وأن لا أرى الشرَّ الذى لايمسنى ... وأحسب أنى عالمٌ وخبير
وإن كان علمٌ فهو أنى أخاله ... دهانى وإلا فالبعيد يسير
وأنكر ما قد كنت فى السعد مادحاً ... به الناس إلا أن يعود حبور
أليس عجيباً أن نناط بمعجبٍ ... من الرأى والمزجى الفعال شعور ؟
وإنّ وجوه الكون فكرة ناظر ... سيفنَى ، وكنه الكائنات ستير
وأبغى صلاحَ الكونِ والناسِ مثلما ... مضى فى بناءٍ مالكٌ وأجير
كأنى خلقت الكائنات وأننى ... على الناس قاضٍ حاكمٌ وأمير !

عند بحر مويس شتاء[1]

كمْ خشع العابرُ من قبلنا ... على ضفافِ النهر وقت الأصيل

أوْ فى مساءٍ إذ تُرى ظلمة ... قد عشَّشتْ فى الدوح دوْحا كفيلْ

وربما كنّا الأُلى قد مضوا ... وإن نأى الظنّ وعزّ الدليل

وما الذى ينأى بنا عنهمُ ... من منظرٍ أو خاطرٍ أو ميول؟

كم منظرٍ تحسَب إمّا بدا ... من أخذة الفكر ووهمِ الذهول

أنكَ – والقلبُ خبيرٌ به – ... أجلْتَ قدْما فيه لحظ المجيل

الدوحُ كالمفكر فى هدأة ... إذْ سكن الجوّ سكون الكهول

أو ثاكلات طَال ثكلٌ بها ... فَسكَّنَت من شجوها والعويل

أو صمتت من طولِ ما عمَّرت ... كصمتة الشيخ الوقور الجليل

والنهر كالزئبق فى لمعةٍ ... وركْدَةٍ ما إن بها من مسيل

عهدتهُ فى صيفه لؤلؤا ... لو أن للؤلؤ سيلاً يسيل

والسحبُ كالأشجار قد عرّشتْ ... فى الأفق تبدو مثل ظلٍ ظليل

أوْ قطع من حُلم غامضٍ ... أو كمشار النقع أو كالطلول

والجو قد روّع من قرّه ... كأنه قرّمات يصول

أنفاس ثغر الموت فى قرّه ... تخرج من ثغر لجسمٍ محيل

والأرض غبراء سوى ما بدا ... من عشها منتشرا كالفلول

كأنما الدجن غدا تُربها ... وتربها الجَهْمُ كدجنٍ سديل

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٤ فى ٦ أبريل ١٩٣٦

وبحر مويس : ترعة كبيرة تمر بالزقازيق ومديرية الشرقية فى مصر .

تشـابهتْ فى اللونِ عـهـدي بهـا فى صـيـفـهـا ، واللون غيـر القـليل

عـهـدى بهـا كـالخـود فى غرسـهـا زاهيـــة الأصـــبــاغ شَــتى الذُّيول

خِـــيلَ حـــداداً إذْ دَجَـــا لونُهـــا وهو كـعقب العرس حتم البـديل

خــلاعـــة للصّـــيـف خـــلابة وفى الشـتاء الحُسْنُ جم الفـصـول

تبـــاينَ الحُـــسْنان فى روقـــة لـكـنه زاد جـــلال الجـــمـــيـل

كم مـتـعـة جـاءت بهـا رهبَـةً كـرهيـة البـرق وعـادى السّـيول

قرب الموتى[1]

يارُوحَ إلف أليف الموت والحــفـرِ قُومى اسألى عن أليف الهمّ والسهرِ

أوْ فـابْعثى هاتفـاً بالليل يُؤنسنى لو كـانَ للميْت من شوقٍ ومن ذكـرِ

وَحَلِّقى فـوق قـوم كنتِ زينتـهـم كالطيْر تهبط فوق الوكر فى الشجرِ

فـــإنَّ نورك نور النجم يرشـــدنا ورحلة العيش تحكى رحلة السـفـرِ

أو كـالملائك تهـدى وهى خـافيـة وتشعر النفس طهراً ليس فى السِّير

عـجـزٌ عن الشـرِّ لم أبْصرهُ فى نفـرٍ ياشـرَّ مـا خَلَّفَ الأحبـاب من نفـرِ

غـرارَة ربما لـو عـشـت مـا بقـيـت إذا عـداك الرّدى عن مـهـبط البـشـر

هل تلك طبعُ الصبـا تودى الحيـاة به لا بل غـــرار فــؤادٍ غـيــر ذى نُـكرِ

فـصـــانك الله فى أمن وفى كنفٍ وقُدْسِ طهْـرٍ كـصون المرء للذّخـرِ

كـــأنما أنـتِ ذخــرٌ لا يجـــود به على الدُّنى وهى من ضَنْيٍ ومن أشرِ

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٥ فى ١٣ أبريل ١٩٣٦

ما أقربَ الميت من حيّ وإن بعدت ... مكانة بين هذا الورْدِ والصَّدرِ

إن الأولى خلفونا بعدهم ومضوا ... ما خلّفونا وإن غابوا عن النظر

همْ في الأمانيّ والأرواح والذِّكر ... منّا وفي القلب والأشجان والفكرِ

فكيف تجزعُ من فقدٍ وما انتقلوا ... إلا إلى النفسِ حرزاً ريم من غيـر

يا قـربَ دارهمُ من واصل لهم ... بالنفسِ إن لم يكن بالعين والأثر

ووحشة النفس من حيٍّ يُغايرها ... أشدّ من وحشة في السمع والبصر

من حاضرينَ وإن ماتوا وإن بعدوا ... وإن غدوا كحديث الركب والسَّمَرِ

وربّ ذكرى تعيد الميْت في شبحٍ ... يكادُ يُلْمَس لولا رادع الحذر

ماضٍ من الدهر والأقوام يُخبرنا ... أن لا مسافة بين المهدِ والحُفرِ

نحن والزمن[1]

مقدمة:

الزمن كما يفهمه الإنسان فكرةٌ من أفكاره ، ونسبة ومقياس من صنعه ، فهو يقيسه بإحساسه بأمور نفسه ، وبالمرئيات والمحسوسات وما يعتريها من تحوّل ، وفكرة الزمن هذه أمر نسبى شأنها شأن الإحساس بالحرارة والبرودة ، أو بالأبعاد والحجوم والألوان والأشكال ، ومن المستطاع أن يتصوّر العقل مخلوقاً آخر غير الإنسان يختلف في حواسه ، فتختلف كل هذه الأمور فى نظره عنها فى نظر الإنسان ، وهى أيضا قد تختلف فى حواسه ، فتختلف كل هذه الأمور فى نظره عنها فى نظر الإنسان ، وهى أيضاً قد تختلف فى نظر الإنسان

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) فى ٤ مايو ١٩٣٥ - العدد ١٤٨

فى حالاته المختلفة من شقاء أو سعادة ، أو مرض أو صحة ، والعجيب أن الإنسان فى خياله ينسب إلى الدهر مثل هرمه لقدمه ، فيصوّره كأنه شيخ مُفن فى يده منجل ، يحصد به الناس والخليقة ، جيلاً بعد جيل ، والدهر خليق أن يُمثل بفتى فى ريعان الشباب !

فالإنسان يهرم ، والدول تشيخ وتفنى ، والأجيال تنقرض ، والدهر هو الدهر . ومن أجل ذلك تصوّر بعض المفكرين الدهر كأنه زمن حاضر لا ماضى فيه ولا مستقبل ، وأما الماضى والمستقبل ففى الناس ، والحقيقة أن هذه الفكرة فى كنه الزمن لا تختلف عن الأولى ما دام الزمن نسبة يقيسها الإنسان بإحساسه .

وإذا كان الزمن كذلك فمعاداة الناس للزمن معاداة لأنفسهم ، ونسبتهم الحيف والظلم إليه هى نسبة الظلم إلى أنفسهم ! (الناظم)

* * *

ينشد البحر خرير الحقب	أم خُفُوقُ القلب نَبْضُ الزمنِ[١]
أم ترى الأفلاك فى دوراتها	رتّلتْ منهُ خفىّ اللّحَنِ ؟
فرش الناسُ له منهم وُجوهًا	خَدَّدَ الدهرُ بها ما خَدَّدَا
أثرٌ فى سيره من قدمٍ	جَعَّدَتْ ما كان بَضًّا أمردا[٢]
زعمَ النّاسُ إذا أمضاهم الـ	ـدّهر أنْ أمضوا من الدهر سنين

(١) فى البيت تشبيه للدهر بالبحر ، وكأن له خريرا من تعاقب أجياله كخرير البحر من تعاقب أمواجه ، وكأن الدهر أيضا قلب ، نبضاته كدقات الساعة التى يقاس بها الزمن ، أو كنبضات قلب الإنسان الذى يقاس الزمن بإحساسه . (الناظم)

(٢) كأن أخاديد التجعد فى وجه الإنسان آثار قدم الدهر ، وهى كآثار قدم الإنسان فى الرمال.

يســتطيع البــذل مَنْ يقــوى على خَــزْنه ، هيــهــاتَ ذا من هالـكين

كم ملوك وَدَّهُمْ لو تُشْــتَــرَى منهُ عند الموت بالذّخــرِ التليــد

سنَةٌ ، أو ســاعــةٌ ، أو طرفــةٌ، فــإذا الدهر قــضــاءٌ لايحــيــد

إيه يا دهرُ لقـــد شــاطرك الـ ـحُكمَ فى الناس قضاءٌ لا يَحول[1]

أَرْدِه يا دهرُ واعــقــدْ غــيــره إنما القِــرنُ على القِــرنِ يصــول

كم شــقــىٌّ أبطأ الموتُ له ودَّهُ أنْ لو يكون الأســرعــا

سَلَّمَ الدهر عليــه مــثــقــلا ثم مــا أبطأ حــتى هُرِعــا

وسعــيــد يجتنى من عــيشــه زهراً يرْجــو لو الدهر تأنَّى

فــســواء مُــتْــعَسٌ أو مُــسْــعَــدٌ أيْن من يَحمد خَطوَ الدهر أينا؟

نحن نبغى من زمان فُسْحَةً هل ربحْنا من زمان قد قضى؟[2]

لو يعــود الدهرُ مــردود الخُطَى لفــعلنا فعلنا فيــمــا مضى[3]

وصــفُــوا الدهرَ بشــيخٍ حــاصــدٍ أشــيــب فى يده كــالمنجل

وَهِــمُــوا فى شــيب دَهر يافعٍ ذى فــتــاءٍ خــالد لم يَنْصَل

يســرق الدهر بهــاءً رائعــاً ويُعــيــر النّؤْىَ حُــسْنًا أروَعــا

فــهُــو كــالرسَّام يمحــو صــورةً ثم يســتنبطُ رســمــاً أبدعــا

وتَرَى الدهر مُــغَــيــرًا آســيــاً يدهُ تأســو وأخــرى تَجــرَحُ

---

(١) فالقضاء لا يحول عما يراد بالخليقة.

(٢) فسحة من الزمن : أى زيادة منه ، وقضى : أى مات واندثر ومضى .

(٣) كثيرا ما تمنى الإنسان نفسه بأنــه لو عــاد إليه ماضى عمره لفعل به غير ما فعل وهذا وهم ، ولا يغير أفعاله إلا إذا تغيرت نفسه . (الناظم)

والذى فى القــوم بالرزء يصــول		يمنحُ السلوان فــيــمــا يمنحُ
ولَعَلَّ المُـضْـمَـرَ المخبـوءَ من		مـصـرع الدهر يُرى بالأعين
مـصــرعُ الدهر مَـمَـاتٌ للدُّنى		كـيف يبْـغـيـهِ الورى بالإحَن ؟
مــوتُه مــوتٌ لمن قــد قــاسـه		باتصـال الفكر أو خـفق القلوب
عـجــبًـا نحن خلقناه فــمـا		نسبةُ الظلم إليـه والعيوب[1]

أقوام بادوا[2]

مفتاح القصيدة :

جعلوا لِطبع اللؤم كل قداسة		و تحرّزُوا من سنة المختار

المختار هو النبى صلى الله عليه وسلم ، وكل من نبذ سنة الله ورسوله ، لابد أن يصير إلى ما هو موصوف فى هذه القصيدة من الصفات ؛ ونعنى بالنبذ نبذ القلب وإن لم ينبذ اللسان ، ولا نعنى أحداً بالذات ، وإنما هى صفات يعرف كل متصف منها أنها شائعة حيث الاضمحلال والبوار .		(الناظم)

* * *

(١) خلقناه : بمعنى أنه فكرة نسبية يتخذ الإنسان لها مقياساً من حواسه وهى ليست كل ما يمكن أن يكون من الحواس .

(الرسالة) ربما كان لبعض العروضيين فى أبيات القصيدة رأى لايتفق مع حرية الناظم .

(٢) نشرت بمجلة « الرسالة » فى ١٤ فبراير ١٩٣٨ . وقد أضاف الشاعر فى ختام هذه القصيدة ١٩ بيتا كان قد نشرها من قبل فى قصيدته « الهاربون من القضاء » (ص ٦٥٧) لتشابه موضوع القصيدتين . فحذفت هنا لتكرارها دون أن يخل ذلك بالمعنى .

تركوا اللُّبابَ وشاقهم ماشانَهم	من بهرجٍ فى مطلب غرّارِ
عاشوا عبيد كلامهم لم يدلفوا	من خلفه لحقائق الأفكارِ
جعلوا حطام اللؤم أعلى مكسبا	وأعزّ محمدةً ليوم فخارِ
يخفون أوزار النفوس بمنطقٍ	فينمّ فاضح خافىَ الأوزار
حسبوا اغتياب الغائبين مطهّراً	لنفوسهم من خزية أو عار
كلٌّ يغار من الإجادةِ جُهْدَهُ	مثل النساء تغار كل مغار[1]
يحكى عظيمُهم الحقيرَ سفالة	متكثّرا بدناءة الأنصار
يخشى البرىء قضاءهم من خطةٍ	لم تُعفِ ناسًا من هوى الأصهار
العدل فيهم أجر كل مملّق	جعلَ النفاق عصابة الأبصار
كلٌّ يعاقب من يريد أليفه	ضرًّا له لا الكره للأشرار
الكذِب عجز فيهمُ وخساسة	والصدق عبد مزدرى متوارى
ندم المجيد على إجادة قوله	أو فعله من ضيعةٍ وضرار
الضيمُ ما يجزى اللئامُ مُجوِّدا	فيصون كلٌّ عجزه لفخار
سبقٌ بمضمار الحياة يحوزه	متخلِّفٌ بالغشّ فى المضمار
وتفرقوا إلا لدى التهويش والتضـ	ـليل فهو مؤلف الدُّعّار
وتخالُهم حشرات روْثٍ مالهم	إلا به حظٌّ من الإكثارِ
وكأنَّ كلَّ إجادة قد دهورت	من عقلهم فى بؤرة الأوضارِ[2]

---

(١) تغار النساء فى أمور الجمال واللباس ، أما ضعاف العقول من ذوى النفوس المسفة ، فتغار من كل إجادة فى القول والعمل ، وهذا أعظم أسباب تأخر الأمم ؛ لأنهم يحاربون كل مسببات التقدم ، ويهذر من يقول إنها لاتهزم فى أماكن الانحطاط . (الناظم)

(٢) الأوضار : الأوساخ .

فكأنما أذهانهم بالوعة أخفت نفيسَ الدرّ في الأغوارِ

كلٌّ يلوذ بإثرَةٍ ويخالها الـ إيثارَ بئس مزيّف الإيثار

ففعاله ومقاله وسكوته للّؤم لا فضلاً وحسن جوار

دأبوا على إخفاء حقٍّ، مالهم في حجبه من مكسبٍ ونضار

لؤمٌ لعمرك لامدى لصياله وضؤولةٍ تحدو لسفل قرار

الطيش أغلب للتأمل فيهم حتى لدى العظماءِ والأخيار

سبق اللسان حصاتهم فكأنما سكر العقار لهم بغير عقار[1]

رانت على مهجاتهم وقلوبهم وعلى الحجا والسمع والأبصار

شيمٌ تُوَرَّثُ حقبةً عن حقبة كتخلف الأرجاس في الأنهار[2]

أومَا دهى أوصالَ جسم من ضنى يمضى ويترك باقى الآثار

جعلوا لِطبع اللؤم كلَّ قداسةٍ وتحرّزوا من سنة المختار[3]

هات المربّى للكبار ولا تقلْ يا أيْنَ مُعْوِزَ رشده لصغار

هيهات يصلح نشء قوم لم يجد خُلق الكبار يضيء مثل منار

عدوى الضؤولة والخساسة فيهمُ عدوى الوباءِ تسير كل مسار

قومٌ إذا ابتدروا السباب رأيتهم يطلون موضع عُرِّهم بالقار[4]

متعاظمين على نجاسة أنفس نتجت نتاج الدود في الأقذار

ستر الخسيسُ خساسةً بخساسةٍ في أنفس الأعوان والأنصار

---

(١) الحصاة : العقل والرأى . (٢) الأرجاس : الأقذار

(٣) أخلاق اللؤم لم تعد نصيرا يبررها من مذاهب الفلسفة الحديثة فضلا، وإنما هو اللؤم الذى يبرر اللؤم بالفلسفة .

(٤) العر : هو الجرب ، والقار : هو الزفت .

متعظّماً يبدو كريمًا سامياً ... متحلياً بفضائل الأطهار

وترى الوقار ولا وقار وإنما ... أخفوا دعارة أنفس بوقارِ

ودعوا إلى الإصلاح دعْوة مائق ... يسعى إلى الأرباح سعى تجارِ

هم يبتغونَ الجاه إن لم يبتغوا ... مالاً بدعْوة مصلح ثرثارِ

لم تدرِ وَحْيَ المصلحين حصاتُهم ... فتشبثوا بزوائف الأفكارِ

صارت وسائل عيشهم ما غاله ... من طبع لؤم سائق لبوار

فقد الحياءَ صغارُهم من ضيعة ... فغدوا كبار الفخر غير كبار

صنعوا الأذى من غير ما سبب ولا ... يُؤذى لغير القوت وحشٌ ضارى

ضلّت غرائز شرهم عن أصلها ... فى صون عيشٍ أو لدفع ضرار

فغدت دناءة أنفسٍ وخساسة ... كيداً بلا كسب ولا أوطار[1]

وحديثهم كالحك يهتك عرَّهم ... فأخو السفاهة منه كاسٍ عارى

العدل ما وهبَ السمير سميره ... والرأىُ للأوْشاب والأغمار[2]

جرؤت صعاليك على مالم يكن ... فى فهمهم ، فقضوا بغير تمارى

فوضى لعمرك لاصلاح لشأنها ... كيف الصلاح لأمر هاو هارى؟[3]

عادوا الذكاء خساسة فكأنما ... نبذ الذبالة فى الظلام السارى

إلا الدعاوى الباطلات فإنها ... عادت كعود مزيف الدينار[4]

يتمرغون مجانةً ، فنفوسهم ... وجسومهم كمزابل الأوزار[5]

كتمرغ المفلوك دغدغ جلده ... عض من البرغوث فى الأقذار[6]

---

(١) الوطر : البغية والحاجة . (٢) الأوشاب : أخلاط للناس وأوباشهم .

(٣) الهارى : السئ الخلق .

(٤) العملة المزيفة تطرد العملة الصحيحة من السوق كما يعرف الاقتصاديون . وكذلك الذكاء المزيف كثيرا ما يطرد الذكاء الصحيح من سوق الحياة .

(٥) مزابل : جمع مزبلة . (٦) المفلوك : هو الفقير المعدم .

العداء والفناء[1]

عفا الجاني وقد بلغ التشفّي   وبعض العفو من فرح الشّمات[2]

(للناظم)

قد يُعزّيك شامت يتشَفّى   باجتلاء الآلام لا بالعزاء

(للناظم)

مقدمة :

إن العفو لا يكون من المظلوم المجنى عليه وحده ، بل قد يكون أيضاً من الجاني الظالم إذا أقنع نفسه أنه المظلوم ، أو إذا أقنع الناس كي ينال عطفهم ومساعدتهم له في ظلمه وشره . وكثيراً ما يساعد الناس الشرير في شره ، اعتقاداً منهم أنه هو المظلوم . أو لأن مساعدته في الشر ضد المظلوم فرصة لإراحة ميل كثير من الناس لالتذاذ القسوة ؛ كما هي الحال في مرض « السادزم » عند إطلاق هذا المصطلح عليه في المعنى الأعم . وهذا النوع من العفو الذي يجود به الظالم إنما هو من فرح الشماتة ، وهذا الشعور يشبه شعور الشامت الذي يعزى المصاب ، ويخفى فرح الشامت ويظهر الأسف . وهو إنما يعزي كي يرى آلام المصاب أثناء التعزية . وهذه القصيدة تصف النفس الإنسانية بين عواطف الخير والشر . وقد تجتمع الأضداد منها في نفس واحدة من غفران وشمات ، ومن حقد الحياة وصفح الممات ، كما تصف عبث شقاء الحروب بين الأمم التي يتحالف بعدها الخصوم ويتعادى الأصدقاء .   (الناظم)

---

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » في ٢٨ مارس ١٩٣٨ . (٢) الشمات : الشماتة .

إذا مــا دنا الموت من هالكٍ   وأيقن ألا يطول البقاءْ
وقد زال ما كان منْ نشوةٍ   ومن شِرَّةٍ نال عنها العزاءْ[1]
ولاح له عيشه مائلاً   وقد بزّ عما جناه الرياءْ[2]
وأُفهِمَ ما كان من حرصه   وأبُصر ما قد طواه الخفاءْ
يُرَى أسفاً أنْ عَدا أو جنى   وإنْ كان منه الأذى والعداءْ
وليس يُرَى آسفاً لاغتفار   دعاه قديماً فلبَّى الدّعاء[3]
فليس على صفحه آسفاً   ولكن على النَّيْلِ ممّن أساء[4]
أيأسف أن ضاع ثأر سُدًى   ومُتِّعَ خصمٌ له بالبقاء ؟[5]
عدوّان عاشا على إحنةٍ   وباعا السماحة بيع الإماء[6]
أباحا النّفاقَ وكيد اللئام   لنيل الحطام وكسب الهباء
إذا ما دنا الموت من واحد   أيشمت خصم له بالفناء ؟
أيفرح مثل الجبان استراح   وبُشّرَ بالأمن بعد العداء ؟
أيطعنه طعن نذل خصيماً   صريع التراب مُراق الدماء ؟
ومرأى الحِمام كمرأى السَّقام   يذل العُتُلّ ويُخزِى الجفاء[7]
هو الموت يَشْفِى قلوب العدا   ويختم بالصلح حرب البقاء
وقد يُطْلَب الصلح من فرحة   تعير الشماتة ثوب السخاء[8]

---

(١) نشوة الحياة : سكرة غرورها ، والشرة بكسر الشين : نشاط الشباب الحيوى .

(٢) بز : خلع ونزع .

(٣) أى لا يأسف إذا فقد شرة الحياة على فلتات اغتفاره الماضى .

(٤) النيل من العدو وإصابته بالشر .

(٥) هذا التساؤل معناه هل يخالط اغتفاره أسف الحقد بضياع ثأره وبقاء خصمه وقد قلنا في المقدمة إن الصفات المتضادة قد تختلط في النفس .

(٦) الإماء : الجوارى . الإحنة : الحقد .

(٧) السقام بفتح السين : السقم . العتل : الغليظ الشديد الجافى .

(٨) السخاء : الكرم ، أى أن الصلح قد يكون من فرحة الشامت بالظفر فيظن العفو كرما . (الناظم)

وكم من عـــداء غـــدا أُلفـــةً ... فـيــا عـبـثًــا إذْ تـراق الدمـــاء

كم احـتــريت أمم ثم عــادت ... كأن لم تذق في الحروب الشقاء[1]

ألم تسمع الأرض نوح الجريح ... يُودِّع حـــتى جنون الرجـــاء ؟

أما اختلطت بالصديد الدماء ... أما أفعم الموت نتْنَ الهـواء ؟[2]

وكم عنُقٍ لقـــتـــيل ، به ... عضاضُ عدو صريع العداء[3]

عـضـاض يحاول خلد الضـ ... ـغـائنِ في جـســد خَلْقُـه للفناء

فـيـا عـبـثـا الجهـود الأنام ... سيمضي الرخاءُ ويمضي العناء

ويُصْبح من كان خصماً لدوداً ... عــزيزًا ويُبْـغَضُ إلفُ المســاء[4]

مرأى الجمال وذكرى الجلال[5]

مقدمة :

لمناظر الطبيعة الرائعة الجليلة لذة في النفوس مثل مناظر الجبال الشاهقة ، والهاويات العميقة ، والأعاصير وأثرها ، والبحار وأمواجها ، وهي تبعث اللذة في النفس حتى في مخاوفها إذا لم تتملك مخاوف مناظرها النفس بالذعر والرعب ، وقد ينقلب الحنين المقهور في النفس إلى الجمال فيصير ولوعا بمناظر الجلال والروعة ، كما أن مناظر

---

(١) احتربت : تحاربت . قال البحتري : (إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها) .

(٢) الصديد : هو القيح . وأفعم : ملأ وأترع ، والنتن : خبث الرائحة .

(٣) العضاض : العض . وقد لوحظ بين القتلى بعد المعارك قتيل أنشب أسنانه في عنق قتيل آخر قبل الممات واستمر في الموت على هذه الحالة .

(٤) أي بين مساء وصباح يصير العدو صديقا والصديق عدوا ، وكأنما قد ضاع شقاء القتلى سدى .

(٥) نشرت بمجلة (الرسالة) في ١٤ مارس ١٩٣٨

الجلال والروعة قد تشحذ الحنين إلى الجمال وتذكر للرء به ، وقد تطغى كل من العاطفتين على الأخرى ، ولهما أيضا صلات أخرى غير ما ذكرنا . ومن مسرات التفكير والفنون أن يتتبع الإنسان صلات العاطفتين فى نفسه . وهذه القصيدة من قبيل هذا التتبع . (الناظم)

* * *

ذكــرتك فى البحـار الزاخـراتِ	وفى مجـرى السـفين الجـاريات
كــأنَّ البـحـرَ حيٌّ ذو جنان	ومـوجُ اليمِّ نبض النابضـات[1]
وفي ذاك الجــلال بـلاغ راءٍ	وروّع للنفــوس الواعـيـات
ولكنّى ذكـرتك ياحـبـيـبى	كـمـا حَنَّ المريض وإلى الحـيـاة
كـمـا جنّ الهـزار إلى ربيع	وأفنان الرياض على الأضـاة[2]
وكم غلب الجـمالُ على جلالٍ	كـمـا غلب الرقادُ على التفـات
ذكـرتك والقـبـور تردّ طرفى	وتسـخـر من هيام بالشيات[3]
وتخـبـرنى بان الحب فــانٍ	وأن العـيش صنو للممـات[4]
ولكنى ذكـرتك ياحـبـيـبى	وذاك الذكـر خـيـر الذكـريات
ذكـرتك والسـقـام يبـيـد لبّى	ويسلى النفس عن مـاضٍ وآت
ويلهى النفس عن حبّ وشـعـر	وعن سحر العيون الساحـرات
ولكني ذكـرتك ياحـبـيـبى	كـذكـرى للسنين المقـيـلات
ذكـرتك في الطلول الدارسـات	وآثار العـصـور الغـابرات[5]

---

(١) الجنان : القلب .

(٢) الهزار : طائر – الأفنان : الغصون – الأضاة : غدير الماء .

(٣) الشيات : ألوان الحيوانات .

(٤) الصنو بكسر الصاد : القريب من أصل واحد .

(٥) الطلول جمع طلل : آثار المباني .

أرى الأهرام كـالأعـلام تزهو — على عبث الصروف المهلكات[1]

فأبصر من مضوا وأرى اعتزازاً — لهم بالمصبيات الفانيات

فيضؤُل عيش هذا الناس حتى — لينسى المرء ذكر المصبيات

ولكنى ذكرتك ياحبيبى — كذكرى للأمور الخالدات

حواء الخالدة[2]

من شعر الصبا

أنتِ يا مَن ألّفتْ بين الفنون — وهى لولا ما جنتْ منك ظنون

دوحة الفن التى تحبو الورى — بجناها من قطوف القاطفين

كل لحنٍ أو قريضٍ أو دُمى — نُحِتَتْ أو صورة ، منك تكون[3]

كلّ من قد خلبتْ لبّ الرصين — من حسَانٍ جمعتْ سحر الفتون

كُنتِها للناس حالاً بعد حال — تحفة فاتنةً للناظرين

فلبستِ الحسن شكلا بعد شكلٍ — وخبرتِ الحبّ حيناً بعد حين

ورأيْت الكونَ فى صحوته — وفهمتِ الناسَ في ضيقٍ ولين

كنتِ أُمًّا ، كنتِ أختاً ، كنتِ زوجا، — كنتِ فى البؤس عزاء البائسين

فعلى صدرك يبكى همّه — وأساه موجع القلب حزين

كم نفوسٍ وقلوبٍ بسطتْ — لك ما تضمر فى ماضى السنين

---

(١) الأعلام : الجبال .

(٢) نشرت بمجلة « المقتطف » فى أول إبريل ١٩٣٨ - وقد خرج الشاعر فى هذه القصيدة على بعض القيود العروضية مع علمه بها رغبة فى التجديد .

(٣) الدمى : التماثيل .

فعرفتِ القلب ما ينشده ... وعرفت النفس والسر الكمين

وقرأتِ الروح دهرا بعد دهرٍ ... وبلوتِ الخلق فى مر القرون

أى قلبٍ مغلق لم تفتحي ... أى سرٌ للورى لا تعرفين ؟

كنتِ حواء التى من أجلها ... يندب الفردوس كل العالمين

وقليل لك يا حواء أن ... يفقد الخلْق جنان الخالدين

آدمٌ كان بجهلٍ قانعا ... ناعماً بالجهل في خفضٍ ولين[1]

ليس يستطلع أمراً غامضا ... فى ثمار العيش والسرّ المصون

بك شام الكون غضًّا زاهيا ... أكذا الغبْن ، فيا نعم الغبين

جذوة الفطنة فى اللبّ وفى ... نفسه من حسنك الغض ، شئون

كفّرى فى النّسل عن إثمٍ مضى ... وثقى فى الله خير الغافرين

لم يكن إثمك إلا قدرا ... كى يلذّ الناسُ سعدَ الهالكين

لا يحسّ السّعدَ إلا هالك ... قد أحسّ الهمّ فى القلب الحزين

كنتِ هيلينَ التى من أجلها ... خربتْ طروادةٌ ذات الحصون[2]

وقليل لك يا هيلين أن ... يهلك الأبطال فى الحرب الزبون

كنتِ شيرينَ التى قد ذلّلت ... عنْق كسرى وهو ذو الملك المكين[3]

كنتِ تاييس إذا ما خطرت ... خفق القلب كطير فى وكون[4]

---

(١) خفض العيش : نعيمه ولينه ، والمراد بإثم حواء المذكور في القصيدة أكلها من الشجرة المحرمة وحث آدم على الأكل منها .

(٢) هيلين : الإغريقية الحسناء التى كانت سبب حصار طروادة وتخريبها .

(٣) شيرين : من حسان الفرس .

(٤) تاييس : ممثلة إغريقية فاتنة .

كنت سيفُو إذ رمت بالشعر كالْـ ... جَمْرِ تُذكي لفْطَهُ للسامعين[1]

كنْتِ اسبزْيا التى قد فتنَتْ ... باقتران الحسنِ والفهم الفطين[2]

كنتِ ليلى ، كنت بثْنا ، كنت عزّا، ... باعثات الوجد والشعر المبين[3]

كنت ما كنتِ ولكن أنتِ أنتِ ... لكِ سحر الضوء والليل الدجين !

وغدا كيف تكونين وما اسمُكِ ... بين الناس فى الآتى الشطون ؟[4]

جنون الأقوياء[5]

ملكوا الأرض واستباحوا حِمَاها ... واستطالوا بجِنَّة الأقوياء[6]

وسعوا ينشرون فى الأرض سرًّا ... مُنكرا فى شريعة الأتقياء

تارة فى الخفاء بالمكر يَعْدُو ... ن وطوراً فى جهرة العظماء

أهْوَنُ الوِزْر ما أتوْه جهارا ... من صيالٍ وقسوة وبلاء

والذى فى الخفاء أقتلُ للنفـ ... ـس وأقسى لصولهِ فى الخفاء

إن رأوا نقص أنفس فى خصوم ... استزادوه بالأذى والدهاء

---

(١) سيفو (سافو) : شاعرة إغريقية اشتهرت بالغزل .

(٢) اسبزيا : حسناء فى عهد بركليز اشتهرت بالعقل .

(٣) ليلى : صاحبة قيس ، وبثينة : صاحبة جميل ، وعزة : صاحبة كثير ، وقد ألهمن عشاقهن الشعر الرفيع .

(٤) الشطون : البعيد .

(٥) نشرت بمجلة « الرسالة » فى ٢١ نوفمبر ١٩٣٨

(٦) جنة : أى جنون بكسر الجيم .

أفسدوا أمرهم ودسوا دُعَاةً كي يهيجوا تشاحن الأشقياء[1]

واستمالوا سمع اللئيم بلؤمٍ زاده خسَّةً على الأدنياء[2]

كصيال الشعوب بالمكر والكيـ ـد وإن أحرزت صفات العلاء

حَلّلُوا للوشاة أن تشتفي من لاعج الحقد بالأذى والعداء

خدعتهم أرصادهم أم رَأَوْا أنَّ سماحا بشرهم كالجزاء؟[3]

مَكّنوهم مما أرادوا من الشَّر جزاء كخونهم والرياء

ذاك أن العدوَّ أرخصُ شأنًا من تَحامي الإجحاف في الإيذاء[4]

قرَّظوا العلم والحضارة جهراً وتقاةً لله أو للقضاء[5]

ثم ساسوا بالختل في السرّ ماشا ءوا وشاءت جوامح الأهواء

لا رقيبٌ على الخفاء ولا الصو لة فيه ولا عديم الحياء

عَدِموه للكفر بالله والنا س سوى ما رجوا من الآلاء

عَلَّمَ العلْمُ صائلاً إنما النا س كنملٍ سواؤهم كسَواء

زعموا زعمهم وسموه علماً واستطالوا بلؤم ذاك الذكاء

وأباحوا لحقدِ كل وَلِيٍّ مُثْلِجًا نار إحنة الأحشاء[6]

---

(١) هؤلاء الدعاة هم عمال السياسة الذين يعملون فى السر .

(٢) أى يدرسون أماكن الضعف فى أخلاق الأمم ويحاربونهم ، ويستدرجونهم ، ويخدعونهم ، ويؤثرون فيهم بأساليب السياسة الخفية من طريق أوجه الضعف فى الأخلاق .

(٣) الأرصاد : الجواسيس .

(٤) تحامى الإجحاف : التفادى من الظلم . وتحامى متعدية وتفادى لازمة ، والمعنى : أن العدو أهون من أن يمنعوا عمالهم السياسيين من إرضاء شهوات أحقادهم .

(٥) تقاة : تقوى بضم التاء .

(٦) الولى : المناصر المخلص للوالى . أى أباحوا لعمالهم السياسيين أن يشتفوا بأعمالهم فى السر .

ثم قالوا وسَطّروا فى ضميـر … إنه من ضـرورة الأشـيـاء

قسٌ على مـابدا من الشـر جـهـراً … فى حـروب ونـزوة وعـداء

مـا أجَنّوه وهو أبلغ فى الكذْ … ب وفى كل قسـوةٍ واعـتـداء[1]

وقـديمًا جُنّ القـوىُّ بما طا … ع له من تزلف الضـعـفـاء[2]

وضـعـوه فى منزل الله كُـفْـراً … فطغى واستباح سفك الدماء[3]

ورأى الخـيـر والفـضـيلة مـاشـا … ء وإن كـان من أذى الأدنيـاء

ورأى الشـر والكبـائر مـا عـا … ف وإن كـان سـيـرة الأبرياء

وكـذا المرء وهو ليس ولى الـ … حكم يطغى بنصـرة اللؤمـاء[4]

وسـواءٌ شـعـبٌ وفـرد وذو السُّلـ … طان أو سـادر من الدهمـاء[5]

صنعوا الشر حسْبةً ولوجه الله، … شـاهت وجـوههم من رياء !

أو لحقد قـد مَوَّهُوهُ بخير … وتبـاهوا بحسن ذاك الطلاء

أو برأى الأحرار صاغوا قيودا … واستباحُوا فى الناس سفك الدماء[6]

وجنون القـوىّ أقبح من قسْـ … ـوة حسن يقسو بغير ذكاء

إيه لغز الحيـاة هل دورةٌ للـ … ـشر والخير غير ذات انتهاء؟

لعبة مـا أراه أم خبل الأنْـ … ـفسِ أم نزوة من الحمْقاء

إحَنٌ فى الحياة مثل خطوط … نسجوها فى البُرْدَة السِّيَرَاء[7]

---

(١) أجنوه : أى أخفوه .

(٢) مثل بعض الفراعنة أو أباطرة الرومان مثل كاليجولا أو غيرهم . وطاع ثلاثى لازم بمعنى دان له أما أطاعه فرباعي متعد .

(٣) لأنهم يقدسونهم فى العبادة .

(٤) أى أن جنون الطغيان والقوة ليس مقصورا على الإمبراطورة والفراعنة بل يشمل كل من يجد نصراء يستعز بهم حتى ممن صغرت مرتبته .

(٥) ويستوى فى جنون القوة والطغيان الشعوب والأفراد ، والسادر : المستهتر الخليع ، والدهماء : عامة الناس .

(٦) برأى الأحرار : أى باسم الديمقراطية .

(٧) السيراء : المخططة بكسر السين وفتح الياء .

فــغــدت نهْـزة الفنون ، هو الفنّ ... كنحل يَشـتـار أرْىَ الشـقـاء[1]

هل لسـحْـر الفنون أنْ دَلَف الدّهـ ... ـر وسـاغ الأنامُ لؤمَ البـقـاء[2]

سـحـرُها يتـرك اليَبَـابَ عـمـاراً ... حـافـلاً بالنعـيـم والآلاء[3]

ويُحيل الخسيسَ من معدن العيـ ... ـش شريفاً بصنعة الكيمياء[4]

خطرات فى الحياة والموت[5]

عند رؤية جمجمة

رحيقك ياكأسَ النهى والمشاعرِ ... ومهبطَ سر الله بين السرائرِ[6]

أكأس الحجا أين الرحيقُ ترشّفتْ ... علالاته نشوى النهى والبصائرِ[7]

أجُـرّعــهُ ثغـرٌ من الموت ظامئٌ ... طوى ما طوى من فطنة وخـواطر

حـوتها عـوادي الدهر إلا أقلها ... إذا خُطّ لفظ فى بطون الدفـاتر

بدا الناس جيلا بعد جيلٍ كأنهم ... تهاويلُ سحر أو سمادير ناظر[8]

وما تدركُ الألباب منهم عديدهم ... إذا استجمَعتهم بين ماض وحاضر

---

(١) نهزة : فرصة ، ويشتار : يجمع العسل أو مادته . والأرى : العسل أو المادة التى تصير عسلا والمعنى هو أن الفنون فى الحياة تستخرج من الام الحياة أقاصيص وعبر أو حكمة تصير لذة فنية تهون شقاء الحياة .

(٢) دلف : تقدم ، أى هل يسير الدهر أو العيش سيرتهما لكي تتمكن الفنون من ابتكار سحر جمالها ، وهل يرضى الأنام بلؤم الحياة من أجل لذة الفنون .

(٣) اليباب : القفر المجدب .

(٤) أى أن للفنون كيمياء تحول مظاهر الحياة الخسيسة إلى مظاهر رائعة جميلة ثمينة ، فكأن الفنون فى عالم المحسوسات والمعقولات فى حجر الفليسوف المنشود في عالم الماديات.

(٥) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ٢٨٤ فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٨

(٦) الخطاب موجه إلى الجمجمة . والمراد بالرحيق رحيق الفكر والإدراك .

(٧) كأس الحجا : أى الجمجمة .

(٨) التهاويل : الصور والرسوم والنقوش . والسمادير : ما يرى الوسنان أو الأعشى من الأشباح .

كأن لم يَلُحْ منهم إذا الموتُ غالهم ... وميض الثنايا أو بكاء المحاجر

ولم يعرفوا الآلام تُحْسَبُ أنها ... ستخلد في جسمٍ إلى الموت صائرِ

فأين مضت أحقاد قوم كأنها ... لهيب جحيمٍ خالدٍ في السرائر؟

وأين ولوعٌ بالجمال كأنه ... زعيم بتخليد الوجوه النواضر؟[1]

وأين فِعالٌ يحسب الناس أنها ... على جبهة الأيام من وشم قادر؟

وأين جيوش دكت الأرض خيْلها ... مضت حيث لا تمضى خواطر شاعر؟

وأين الغزاة الفاتحون وقد بدوا ... كما تبعث الأشباحَ نفثةُ ساحر؟

فهل أنت ممن قد جنته سيوفهم ... وداسته خيلٌ تحتها بالحوافر؟

أم ازدان تاجٌ قد لبست بحكمة ... بها اسْطعْت صريف الصروف الدوائر

وهل أنتِ ممن دبّر الشرَّ لُبّهُ ... وأحكم زهرُ النفس جرّ الجرائر؟

أم الخيرُ ما حنت إليه نوازع ... لديك وإن لم تحتقب خير غادر[2]

لقد كنتِ وكر اللبّ لو أن عادياً ... من الموت لم يهبط عليه بكاسر[3]

بكِ ارتاع ممعود إذا ارتاح يائس ... بذكرى الردى يرجو عُلالَةَ صابر

قد اختلف الأقوام في العيش والردى ... فَمِنْ ظافر يهوى الحياة وخاسر

هنيئاً لكلٍّ ما يرى من عُلالَةٍ ... بحسن حياةٍ أو بنجوى المقابر

وما عَلَّلَتْ نفس الفتى بمنيّة ... ستطوى هموم العيشِ طيّ الدساكر[4]

سوى رغبة في العيش يرهب صرفه ... فيعدو على البُؤْسى بذكرى الغوابر[5]

بذكرى الحتوف الجاليات على الورى ... من الراحة الكبرى أجلَّ البشائر

---

(١) زعيم بكذا : أى كفيل به .

(٢) احتقب : ادخر أو حمل معه . يقال احتقب خيرا أو شرا .

(٣) الكاسر : الطائر المفترس ، والمراد بوكر اللب : الجمجمة . والوكر : عش الطائر .

(٤) الدساكر : جمع دسكرة وهى فى هذا المعنى بيوت للهو والشراب ، وتأتى بمعنى القرى الصغيرة .

(٥) البؤسى بياء فى آخر الكلمة : البؤس .

يوم مطير[1]

نهـار تدانَى الدّجْنُ فى عُلْوِ أفْـقـهِ ... مـبلَّلةٌ أرجــاؤه ومَناكِـبُــهْ

خَبَتْ شمسه كالجمر يخبو لهيبه ... وعـاد رمـاداً حسنُهُ وعـجـائبُـهْ

دجـا مـثل وجـه الهمِّ إلا جــلاله ... فللدجنِ سحر يحزن النفس خالبُهْ[2]

ثقيل على القلب البهيج عُبُوسُهُ ... ولكنه قد يسْحر القلب كاربُه[3]

كما كان بعض الحزن للنفس شائقا ... تعَــاقـرُه فى نشــوةٍ وتقــاربُهْ

ترى قطراتِ الغيث كالخيل أُطلقَتْ ... لكسب رهانٍ أحرز السبقَ كاسبهْ

وتحـسـبـهـا كـالطيـر تهـفُو تنـزِيًّا ... تَنزِّى الدَّبىَ إن أهرق الغيث ساكبهْ[4]

كأن الصِّلالَ الزاحفاتِ على الثّرى ... تجوس إذا ما الغيْث جاست سواربه[5]

كـمـا عـاج حـيـرانٌ يمينًا ويسْـرة ... من الذعر ، شرُّ الذعر ماعاج صاحبه[6]

على الأرض والجدران والدوح قطرُهُ ... ويدفع فى وجـه المشَرَّدِ حـاصـبُـه

أيسطو عليه الغيث يغسل نحسـه ... أم الغـيـث من لَهْـوٍ تَراه يداعـبـه؟

كلهْـوِ غـلام مُلّكَ القـسْـوُ قلْبَـهُ ... إذا حـيـوانٌ هابَه فـهْـوَ ضـاربه[7]

سجيـة كل الناس من هاب شرهم ... رَموهُ بباسِ اللؤم والخوفُ شائبه[8]

ويعـزو خـيـال المرء للكون رُوحَـهُ ... مناقـبـه تُجْلى به ومـثـالبـه

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) عدد ٢٨٦ فى ٢٦ ديسمبر ١٩٣٨ .

(٢) أى الخالب منه الذى يأخذ القلب بالخلابة .

(٣) البهيج : هنا الدائم السرور وقد تأتى بمعنى الجميل . والكارب : مسبب الكرب .

(٤) التنزى : التذبذب والاهتزاز . والدبى : صغار الجراد .

(٥) الصلال ، جمع صل : الثعابين . فى البيت تشبيه انسراب مياه المطر على الأرض بسير الأفاعى .

(٦) الهارب الحيران يعوج يمينا وشمالا من الحيرة فسيره فى ميله يمينا وشمالا كسير مياه الأمطار على الأرض المنبسطة .

(٧) القسو معناها : القسوة .

(٨) شائبه : مخالطه .

إذا رنّق التربُ الهواء انبرى له من الوَدْقِ طُهْرٌ يغسل الجو صائبهْ

ترى البرق فيه مُصْلِتًا سيف نقمة لها الرعدُ صوت يذهل اللبّ راعبهْ(1)

إذا خف كان الغيث لهواً ونعْمة وإن لجَّ لاحتْ للعيون خرائبه

ويطغى على الوادى بجيش عَرَمْرمٍ مسالكه مذمومة وعواقبه

يخف على لوح الزجاج فصوته طنين فراشٍ مَرّ باللوح حاصبه

وطوْراً يلحّ الودقُ منه فصوته خريرٌ كما يستحْلِبُ الدَّرَّ حالبهْ(2)

ويرنو إليه المرءُ من ثقب بيته كأنَّ غريبا يتقى منه هائبه

وطوْراً ترى الغلمان تلقط طَلّهُ يداعب صنْوٌ صنْوَهُ ويلاعبه(3)

ترى كلَّ لَوْنٍ بعده قد زها به كأنَّ طِلاَءً فوقه لجَّ خاضبه

يُعَلِّق قرْطا فى ذُرى الدوح قطره فتحسبه قد نَظَّم الدُّرَّ ثاقبه

السكون بعد النغم(4)

أفحمَ الشجوُ مقولَ النغم العذ ب فأمسىَ هذا السكونَ المهيبا

مثلما تفحم الشجون خطيبا صار فى صمته قؤولا خطيبا

كسكوتِ العشّاقِ فى نشوة الـ حبِّ تناجى فيه القلوب القلوبا

---

(1) مصلتا : شاهرا.

(2) الدر : بفتحتين اللبن . والودق : قطر الغيث .

(3) الطل : ضد الوابل والأول هو الخفيف من المطر ، الصنو : القريب النسب .

(4) نشرت بمجلة « المقتطف » عدد يناير ١٩٣٩ .

أو سكوت اللهيف فوجئ بالبشرى ويخشى من حسنها أن تخيبا

أو سكوت الشباب فى حُلم الآ مالِ من قبل أن تُعانى المشيبا

أو سكوت الخشوع فى صلـ ـلوات القلب صار البعيد منه قريبا

أوسكوت الأم الرءوم حنانا وابنها نائم حمته الخطوبا

حلمت حلمها بما سوف يسعى فى مساعيه جيئة وذهوبا

من ثمار الحياة تختار أحلا ها له نعمة وسعداً وطيبا

* * *

نَغَمٌ خلَّفتْ بواراً للحنٍ دقَّ عن أن تصيبَ سمعًا طروبا

وكأن لم تزل بمسمع مسحو رٍ من اللحن آملٍ أن تؤوبا

فهو يُصغى لعودة الصوت منها وهى فى نفسه تدبُّ دبيبا

سحر القلب شدوها أم سكون خلّفته فكان سحراً حبيبا

عجب يسحر السكوت أم اللحن يناجى فى ذا السكون الغيوبا[1]

وكأنَّ الأصداء من بعدها فى النـ ـفس تشدو وتستثير الوجيبا

هامساتٍ فى النفس همش مسرّ بائح بالهوى ويخشى الرقيبا

فى سكون كأنما هدأ الكون خشوعاً لها وسحراً عجيبا

هدأة الكون فى المساء وقد يخـ ـشع راءٍ والشمس تحدى غروبا

فكأنَّ الحياة عادت سكونا كسكون الردى رهيباً مهيبا

---

(١) وكان المسحور من أثر اللحن يناجى فى ذا السكون الغيوبا . (الناظم) .

تحسب الدهر ساعةً دقّها قد ... منع الصمت صوته أن يجوبا

ساعة توهم الورى أن هذا الـ ... ـكون قلب ما إن يحس وجيبا

تحسب الدهر مسقط الماء غا ... ل الماء فيه جموده أن يصوبا

فدويٌّ بالذكر في النفس منه ... وسكوت في الأذن يسبي القلوبا

قيد الماضي[1]

أخذنا عن الماضي قليلاً من النّهى ... وأكثر ما نِلْنا الهواجس في النّفسِ

فمن غامض لا يدرك الفهمُ فهمَه ... ومن واضحٍ كالخطّ في صفحة الطرسِ

فمن قسو ذي خوف من الموت والأذى ... ومن ضغْن مهمومٍ من الفكر والحدسِ[2]

ومِن حقد ذي حقد يرى العيش كلّه ... ظلامة مغلوب على الغد والأمس

ومن كيد لاهٍ أشرب العيشُ قلبه ... لذاذة صنع الشرّ في الجهر والهمس

ونِلْنا ، وما زال الذي كان كائنًا ... يدافع عنه المرء بالسيف والفلس

يدافع عنه المرءُ بالحق والهوى ... ويسعى له الأضداد ندباً إلى نكس[3]

* * *

---

(١) نشرت بمجلة « المقتطف » في مارس ١٩٣٩ .

(٢) الحدس : الظن والفراسة .

(٣) الندب : الشهم الذي ينتدب للأمور . والنكس : المرذول الذي لا خير فيه . والهوى هنا : الميل للباطل .

ويغـرى به حـتّى الـذين شـقـاؤهم   بأن يخذل الإصلاحَ ضغن ذوى النحسِ
حـقـودُ قلوبٍ لا يُـداوَى فـسـادُها   فتدعو ذوى الآمال فيهم إلى اليأس

* * *

يريـدون منع الحـربِ والحـربُ سُنَّةٌ   إلى أن تُفيق النَّفسُ من إثرة النفس
فهل يـدركون الطهر من قبل عـمرةٍ   وطينتـهم مـعجونـة الدم بالرجس ؟
ويا ويلهم شبّت عن الطوق حربهم   وأزرت بفعل السيف والروح والترس
وظلُّوا حـيارى خشـية من دمـارها   وكلٌّ يرجّى نفع أحـداثهـا الحُـمْس[1]
وكلٌّ يـعـاف العـدلَ إلاَّ لنفـسـه   سـجـيـة لؤم هـل تزول من الجنس
وتابى سـجـايا الشـرِّ طهـرةَ عـادل   تغـيّر فـيـهم مـأتم العـيش بالعُـرس
سـواء لعـمـرى طبـع فـرد وأمـةٍ   همُ الأنس ما أبدوا سوى نجس الغرس
وكـيف تزول الحـرب ، والسلم بينهم   كحربٍ طغت بالقهر والمكر والخلس ؟
وكم قـدّسـوا قُـدسـاً لتطهـر أنفس   فـأزرى جـوارُ النفس بالديـن والقـدس
خـميرة عيش شرُّهم وحـقـودهم   فكيف يراد العيش للأمن والأُنس ؟
بناء المعـالى كـان بـالشـر قـائمـا   ومـــا طربـوا إلا إلى نـغـم النحـس
ومـا شـربوا من لذة العـيش شـربة   صفا ماؤها من كـدرة الهمّ فى الكأس
غـفلنا ونام الهـامـدون ، وفـوقـنا   نجوم الدجى زَهر على قُبّـة الرمسِ

---

(١) الحمس : الشديدة .

فإنْ كان خلق الناس للعجز والأسى ... ولم يستطيعوا البرء من خطل المسِّ[1]

وأعجز أوصافَ الأطباءِ داؤُهم ... ولم يشفهم من شرّهم عمل النّطسِ[2]

وإن قبسوا من شعلة القدس قبسه ... فما صانها العادى ولا فاز بالقبس

فإنَّ ارتهان المرء فى سجن شره ... إذا جدَّت الأحداث شر من الحبس

وإن انغماس المرءِ فى لُجَّ أمسه ... كما يغرق الغواص من نهكة القمس[3]

وإن رسيف النفس فى قيد شرها ... كما يخلد المحموم فى خطأ الحسِّ

يقولون إن الحق فى الناس قوة ... وأقوى من الحقِ الجهالة فى النفس

صوتك[4]

صوتُك صوتُ السلامِ تألفه الأنـ ... ـفسُ بعدَ الكفاح والظَفَرِ

أو مثل صوتِ الطيور في وَضَح الصبـ ... ـح نشاوَى من غير ما سُكُرِ

صوتك صوت الربيع يبعث فى الرو ... ضِ حياةَ الطيور والزهَرِ

أو مثل صوت الحياة ظافرةً ... عابثةً للجمال والصُّوَرِ

يُطربُ مثل الصَّدى الخلوبِ إذا ... ردَّدَه الريف فى سَنا القمرِ

أو مثل شدو الشَّجيِّ يسمعه السّا ... هرُ فى هَدأةٍ من السَّحرِ

---

(١) المس : الجنون .

(٢) النطس بفتح وسكون : المجرب .

(٣) القمس : الغمس فى الماء .

(٤) نشرت بمجلة « الهلال » عدد أول سبتمبر ١٩٥٠ ص ١٧ .

من عالم الخُلد خِيلَ منبعثاً ... لعالم الفانيات والغِيَرِ[1]

تنال منه الأسماعُ فتنتَهُ ... وتقتضى مثلها من الأشَرِ[2]

فهو كمعنى يُضْفِي لسامعه ... مواردا ثرَّةً من الفِكَرِ[3]

أو عَيْنِ دعجاءَ ، فى محاسنها ... عمقٌ كعمق البحارِ والدُّرَرِ

تأخذ منها العيون أقربَها ... وأبعدُ الحسن أطيب الأثرِ

صوتكِ صوت الشباب والعمر مادا ... مَ فان فاتَ فات بالعُمر

أو مثل صوت المُنى السحيقة ... والحبِّ و صوتُ الداعى من القَدَر

كلاهما نافذ يُلبِّى على ... ما كان من قِسمةٍ لمؤتَمِرِ[4]

شفق الغروب[5]

شفقُ الغروبِ وإنه ... سحرٌ تُراح له القلوبْ

وكأنّه الأنماط أعْلَى ... صُنْعَها فنٌّ عجيب[6]

خدرت ذُكاءُ كأنها الحـ ... ـسناء يرقبها الرقيب[7]

---

(١) الفانيات : الأمور الفانية . الغير : تقلبات الدهر وصروفه .

(٢) الأشر : الشره والطمع .

(٣) يضفى ما ضفا الحوض : أى امتلأ ماء . وثرة : أى يفيض مياهها .

(٤) يلبى : أى يطاع . المؤتمر : الذى يطيع الأمر .

(٥) نشرت بمجلة « الهلال » فى أول نوفمبر ١٩٥٠

(٦) النمط هنا : شبيه بالبساط والسجاد .

(٧) خدرت ذكاء : دخلت الشمس خدرها ، والمراد الشفق .

وكــــأنهـــا الملك المحـــجَّبُ | فى تحـــجّــــبــــه رهيـبْ
بســــتـــار مُلْكٍ حـــاك رو | نق حـــسنه الحـــذِقُ الاريـبْ
عــبـــاتٌ مـــفـــاتن لونـهـــا | والحـــسن مـــعـــشـــوق مـــهـــيب
والحـــــســـن أبـهـى حـين رَوْ | قُ الحـــــــســن رَوْعٌ لا يـريـب
رَوْعٌ لمــــهـــلـــك كـــل يـــومٍ | لا يُـقـــــــيـــم ولا يـؤوب
كـم مــــرَّ فى يوم مـــضى | أملٌ يحــــقّقُ أو يخـــيب
وأسىً يُخــــال مُـــخـلّدا | فــــإذا به ذكـــرى تنوب
والعــــيش ألـوانٌ وبعض الـ | ـعــــيش من بعض قــريب

* * *

شــفقٌ على أفق البــحـــا | رِ به ســـفـــائنه تغـــيبْ
ســـود تشـــابه عنبـــراً | فى يمّه ذهبٌ صـــبـــيبْ
وكـــأنَّ صــفــحـــة مـائه | نــور عـــلــى نــور يـــذوب
من منبع الذهب اســتـــقى | أم أنّه ورد يـصـــــوب[1]
أســفـــائنًا قـــد حــمّلتْ | مـــا يحـــمل الرائى الطروب
شـــوقًـــا إلى وهجٍ على | أفق كـــمـــا حنّ الغـــريب
والنفس تنشـــد مـــرتقىً | كــلٌّ عــلــى وطــنٍ يـلــوب[2]

* * *

وعــــوالم للسِّـــحــر تعــر | فــــهـــا وتنشـــدها القـلوبْ
لاحت عـلى شــــفق الغـــر | وب كـــأنها الحلم الحـبـيبْ
نــارٌ تـؤجـج فـى الـغـــــد | يـر وحليـــة المرج العـــشـيب
والشـــمسُ تبـــدو فى المنا | قع مـــاســـةً مـــثل اللهـــيب

---

(١) يصوب : يسيل .

(٢) يلوب : يحوم .

مـــاءٌ ونـارٌ جُـــمِّـــعـــا ... فى المنظر العـجـيب العـجـيبْ
وتـوهّـجٌ كـــدمٍ يـلـو ... ح بلا قـتـيـلٍ أو حـريـب[1]
كــدم الرحـيـقِ بـنـشـوةٍ ... ردّ الكُهُـول عن المشـيـب

* * *

وعـلـى المـزارع هـابـطٌ ... بجناح ذى الريِّش الخـضـيبْ[2]
وهدوء ذى السـمـع المُـصـيخ ... وراحـة القـلـب المجـيـب[3]
وعـنـاق أرض والسـمـاء ... به وبـالـدّغـش العـقـيـب[4]
وعلى البـهـائم وحـشـة ... من غـيـر مكروب كـئـيـب

مفتاح القلوب[5]

هـل عندك الخُـبْـرُ والخَـبَـرْ ... عن مـعـلن السـرِّ يا قَـدَرْ؟
فـهـبـه لِى أتـقّ الأعـادى ... وأعـرف الصـادقَ الأبَرّ
من قـبـل أن أنـقـم الـعـوادى ... وألعقَ الصّـابَ والصَّـبـر
فـاعـرف الحـافـزات طراً ... إلى المودّات والسـيـرْ
يا طالما غـرّنى ابـتـسـامٌ ... كم باسمٍ قلبُـه كـشـر
قـد حـرتُ دهراً وحـارَ منى ... قـوم تهـابُ الذى اسْـتَـتَـرْ
هل عندكَ الخُـبْـرُ والخَـبـرْ ... عن مـعـلن السّـر يا قَـدَرْ ؟
ليـقـرأ العـاذلون غـيـبِى ... ويـأمـنَ الحبُّ إن نـفـر
واحـرّ قـلـبِى إذا تـنـاءتْ ... وخـالـنى الغـادرَ المكر

---

(١) الحريب : هو السّليب
(٢) الإشارة إلى اختلاف ألوان الشفق فى أفق المزارع .
(٣) المصيخ : المصغى .
(٤) الدغش : ظلمة المساء .
(٥) نشرت بكتاب « مشاهير شعراء العصر » للأستاذ أحمد عبيد .

فيعرف الخلّ أنّ قلبى … أصفى من العذب فى الغُدُر
قد أخفق الحبّ فى بيانٍ … وأخفق اللحظ والبصر
وأخفق العيش وهو سفر … تبلى على الحازم الحذر
هل عندك الخبر والخَبَرْ … عن معلن السرَّ يا قَدَرْ ؟

الاندلس العربية[1]

جنةٌ لم يظفر الدهرُ لها … بمثيلٍ ، جنة الاندلسِ
إذ دَجَت أقطارُ أوربا بَدت … فى ظلامِ الدهر مثل القَبَسِ
أو كنجمٍ يهتدى السارى به … فى ضلالِ المسلكِ الملتبسِ
أو كنادٍ يأنسُ الضيفُ به … موحشاً فى البيدِ وسط الحندسِ
أهلُها الغرُّ الألى قد ملكوا … بالنُّهى منهم عنانَ الشُمُس
عمروا الأرضَ وأجروا ماءَها … وزَها كالسحرِ نبتُ اليبس
لم يهابوا بهجةَ العيشِ ولا … جعلوا الطهرَ قرينَ الدنس
أفسحوا للفكرِ فيهم موطناً … موطنَ الفضلِ الشهى الأنس
كللوا بالمجد هاماتهم … فى نعيم العزِّ أو فى الأبؤس
فى خلال البحرِ أو فى المصنع … فى لظى الحربِ وطيبِ المغرس
لم يكونوا مثل قومٍ أنفوا … أن ينالوا منه أعلى منفس
نجدةُ الفارسِ فيهم شيمةٌ … علمت قوماً صفاءَ الأنفس
ووفاء بعهودٍ وثقت … فى ظلالِ السعدِ أو فى التعس
أخذ الإفرنجُ عنهم فكرَهم … وابتكاراً لم يكن بالأوكس
نهضةُ الأحياءِ لولا صحف … صنعوا ، عزَّت على الملتمس

---

(١) أو « حلم بالأندلس » – لم ينشرها الشاعر فى حياته .

لم يكن مصرعُهم من وهنٍ ... لا ولا من لذةٍ لم تحتبسِ
شجعوا في ضحوةِ المجدِ كما ... شجعوا في أُخريات الغَلَسِ
دبّت الفرقةُ فيهم كاللظى ... تتلظى في الهشيمِ اليبسِ
صيَّرت بهجةَ أيامٍ لهم ... مأتمًا من بعد حسنِ العرسِ
وإذا شمْلُ أناسٍ لم يكن ... معقلاً هانوا على المفترسِ
قاتلوا قوماً بقومٍ منهم ... عن قلوبٍ نفرت لم تسلسِ
بربرٌ من تحتهم والقوط من ... فوقهم مثل رحى المندرسِ
تأنسُ النفسُ إلى عهدك يا ... حلم الأحلامِ بالأندلس !
كنت أوحى من خيالٍ طارقٍ ... في الكرَى أو قبلة المختلسِ
فعلى القومِ سلامٌ إنهم ... حملوا شعلةَ نارِ القدسِ
وهي أعباءُ حياةٍ ونهى ... وكفاحٌ ثم نومُ المرمسِ !!

بهاء الحياة[1]

كم أسينا على زوال بهاءٍ ... كان أنساً وكان للنفسِ أهلا
وودناه خالداً ليس يفنى ... فنرى الزهرَ في الحدائق حولا
ونرى بهجةَ الربيعِ دواما ... ليس يفنى الربيع ضوءاً وظلا
ونرى عارمَ الشبابِ جديداً ... أبداً سادرا إذا الشيخ غَلاَّ
ونرى كل ما نودُّ ونهوى ... خالداً لا يزول رسماً وشكلا
فأسينا إذ الفناء طريق الـ ... حسنِ والعيش يتبع اليوم ليلا
كل آنٍ يجدد الكون وجها ... من حلاه يحلو إذا الرث ملاَّ
لذةُ العيشِ في التقلب في العيـ ... شِ ونيل الجديدِ حلواً مُحلَّى

---

(١) لم يسبق نشر هذه القصيدة .

أبداً يبسط الزمان ويطوى مُلحّاً لا تدوم إلا لتُسلى

جدةُ الحسنِ رونقٌ تأخذ الطر فَ طَريفاً وما استجد ليقلى

ورأينا صفاتنا ربما مرّ ت سراعاً كالطيفِ حين اضمحلا

غفل الطرفُ عن سناها فلما غربت ضاء حسنها وتجلى

أعجمت فى حياتها ثم عادت فى ضميرِ الآباد أشهى وأحلى

ثم عادت يحبو البيان حلاها حجة توضح البهاء وقولا

حسرة للبيان بعد فوات الـ حسن لو قد غدا اليفا وخلاّ

وإذا بالفناء فينا ينادى لو يدوم الجمالُ هان وقلا

بهجةُ العيشِ فى زوال بهاءٍ ملا النفسَ طرفةً ثم ولّى

وإذا خافت النفوسُ على فا نِ تحلى وكان أشهى وأغلى

فوددنا الزمانَ حبًا عليه لا جديداً يرجى ورثًا أملا

أبداً واردين ورداً زلالا نَهَلا جارعين منه وعلا

غير ما قانعين أن حياةً وقفت فى الزمان تعتد بُطلا

وقفةُ الكون ميتةٌ وفناءٌ لا حياةٌ به ولا حُسن يقلى

فرضينا وما رضينا ولـ كنا عرفنا الأمور فهماً وعقلا

ثم عدنا إلى الأسى والتمنى أبداً غالبين فرعاً وأصلا

وودنا خلودَ كل مراد ودوام الجمال شكلاً وشكلا

واستطبنا المحال من بعد ما لا ح بنور اليقين بطلاً وجهلا

وأسينا على زوال بهاء كان أنسًا وكان للنفسِ أهلا !

مقطوعات شعرية[1]

صلاح الحياة أم غايتها

قل كـيف نحْـيا ولا تقُلْ لى :   مـا حكمـة العْـيش والبـقـاء
فـمطلب للعـلاء يحـدو   وآخـر كـلـه عـنـاء
كم سـأل السـائلون قـدمـا   ما الكون ، ما العيشُ ، ما الفناء ؟
مـسـألةٌ مـالهـا جـوابٌ   وليس يُلْفى لهـا غـنـاء
كـساخطٍ من طروق داءٍ   وتـاركٍ خلـفـه الـدّواء

ود الأسى

يارفـاقـاً طالما أنسـتْـهمُ   لذة العـيش حـزيناً يارفـاق
قـد وجدت الصّدق فى ود الأسى   مِـقَـةُ اللذات كـسبٌ ونفـاق

غبى ذكى

يا غـبيًّـا رأى الذكـاءَ شـقـاء   ورأى النّحس أن يكونا أريبـا
أنت أذكى من الذكـىّ الذى يحـ   ـيـا شـقـيًّـا لكىْ يكون أديبـا
وإذا كـانت الغـبـاوة نعـمى   فـمن الحمق أن تكون لبـيبـا[2]

البصير الأعمى

ياقلب صَبْراً ولاتعتب على قِسَم   قد استوى الناس فى عتب على القسم
الحظُّ أعـمى لدى من لم ينل أربا   وهو البـصير لدى من فاز بالنعم

خطة الضعة

فى كلِّ نفسٍ من نفـوس الورى   شىءٌ مِنَ الحِـقـد وسـوء الظنون
إنْ كـذّبَ المُـثْنى على نفـسه   صـدّق من يزرى بفـضل القـرينِ

---

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٦٠ فى ٢٧ يوليو ١٩٣٦

(٢) للمعرى ولإسكندر بوب مثل هذا المعنى . (الناظم)

لذاك يعلى الخبّ من نفسه   إن هدً من فضلٍ بمدح قمين[1]

أكثر من إعلائه نفسه   بان يزكّى النفس عند الفطين

ناجح

كل بشر منه فخٌ   كل لفظ منه غدرُ

بلغ النُّجحَ بلؤمٍ   إنَّ بعض النجح وزرُ

الكذب

للكذب فى الناس أوساط مجنحة   والصدق يسعى لديهم كالسلحفاةِ

يهوون ما لا يسيغ العقل من كذب   وينبذ الحق من حِرص المجاراة

كأنما الكذب ملح يستلذ به   طهيُ الحديث وإشباع السخيمات[2]

إخفاء السريرة بالنطق

أتحسب أن الله أعطاك منطقا   لتبسط من لغو الكلام على الصدقِ

وأنَّ لسانًا بين فكيك ناطقا   لإخفاء ما دون السريرة بالنطقِ

وتكتم ما قد يظهر الوجه أمره   بقولك قولا باطلا شَبَهَ الحقِّ

عجائب الحقد

عجبتُ للمرء فى بُغضٍ وفى مقة   هما العجيبان إن آخى وحين عَدا

يرمى النّفاية لا يبغى لها ثمنا   حتى إذا ما حداها راغب حسدا

ويغفر الذنب من إحسان فاعله   حتى إذا نفدْت آلاؤه حقدا

---

(١) جدير

(٢) الأحقاد .

فخر الناجح

قــبــيحٌ نجــاحُ المرءِ إن هوَ شــانَهُ بفـخرٍ فـلا يقـبحْ نجـاحُك بالفـخرِ

كـــأن لـم يـكـنْ أهلا له حين نـالـه هو الصمت قد يطرى إذ الفخر لايُطرى

جلا منه عيبَ النفس من بعد ستره كـذاك حديث العـهـد بالمال واليُسـر

ويارب نجح يسلبُ المرء رشـــده ويـبدى خصالاً منه تقتل أو تزرى

نذالة الحسد

عـدوُّك مـرجـوٌّ فـإن كـان حـاسـدا فـلا رحـمـةٌ تـرجى لديه ولا عـدلُ

وليس بنذلٍ كلُّ من صـال أو عـدا وتـابَ ولكـنّ الحـســود هـو النـذل

مغفل لمغفل

قــالوا الأنام إذا اخـتـبـرت أمـورهـم وبلوتَ من أحـوالهـم مـا يبـتـلى :

غـــرٌّ يخــادعــه لئــيم عـــاقل ولـبــئـس حَظّ المرءِ إن لـم يعــقـل

كـذبوا ، فـمـا عـيش الأنام وهزله إلا خـــداع مـــغــفـلٍ لمغـــفـل !

يتـهـارشون على الحيـاةِ ورجـسـها فعلَ الكلاب على خبيث المآكل !

باقة غزل من شعر الصبا[1]

يا أيُّهـا الخـاذل النـائي بجـفـوته ... خلفت في العيش سحر المنظر البهج

خلعت حسناً على عيش كما خلعت ... شمس الغروب على الآفاق من وهج

* * *

فـــرص الحــيـــاة قليلة ... فـــإلى مَ صــدك ياحــبـيــبي

بينــا جـــمـــالك يانـع ... فــينان كـــالغـــصن الرطيب

إذ لا جـــمـــال ولا صـبـــا ... يصـبي القلوب إلى الوجـيب

والعــيش خلد في الشـبـا ... ب فـــإن دنوت من المشـيـب

أحــسـست إقـبـال الردى ... كـخـشـوع قلبك في المغـيب

فـتـرى الحـيـاة قـصـيـرة ... كـتـــلألؤ البــرق الخلوب

وإذا الحــيـــاة كـنغـــبـة الـ ... ـعـــصـــفـــور روِّع بالرقــيب

مـتلفـتـاً يحـسـو ويخـ ... ـشى أن يفـاجـأ من قـريب

بينـا تـراه عـلى الـغــديـ ... ـر تراه في الأفق الرحـيـب

* * *

خلفت في القلب يا مـعـذبه ... مـا خلفت نغـمـة من الجـرس

ذكـــراك في نفس منصت يقظ ... ذكـرى غناء في الأذن كـالهـمس

كـــأنما القلب نحــوكم أبدا ... لينوفـــر دائر مع الشـمـس

* * *

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ٢٥٦ في ٣٠ مايو ١٩٣٨ - وقد أضاف إليها الشاعر مقطوعات أخرى من دواوينه السابقة فحذفت هنا لتكرارها .

كنت روضى والعيش صيف وفىّ ... حافل بالنعيم والآلاءِ
فلئن عادت الحياةُ شتاءً ... أنت فيها كزهرة فى الشتاءِ
فهى محبوبة وأندادها كثـ ... ـر ومحبوبة بقفر عراء
وهى أشهى إلى النفوس وأحلى ... لافتقاد الأنداد والأكفاء

أعِزْ البدر طلعتك ... علِّم النجمَ نظرتك
وامنحِ الصيفَ من روا ... ئك والزهرَ نضرتك
وهب الطير شدو صو ... تك والفجرَ غرتك
وإذا ما هفا النسيـ ... ـمُ فَعلِّمْهُ خطرتك
امنحِ الكون نشوتك ... علِّم السحرَ قدرتَكْ

ملاحظـــــات

* ١ - طبع الشاعر عبد الرحمن شكرى ، الجزء الأول من ديوانه : « ضوء الفجر » عام ١٩٠٩ ، ثم أعاد طبعه عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) فى ثمانين صفحة - بلا مقدمات .

٢ - وطبع الجزء الثانى عام ١٩١٣ فى ١٠٨ صفحة مع شرح للكثير من الألفاظ والأبيات فى الهوامش . وكتب مقدمته الأستاذ عباس محمود العقاد .

٣ - ونشر الجزء الثالث عام ١٩١٥ فى ٧٦ صفحة . وصدره بعبارة إهداء إلى صديقه الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى . وكتب الشاعر مقدمة عن « العاطفة فى الشعر » .

٤ - ونشر الجزء الرابع عام ١٩١٦ بعنوان « زهر الربيع » - فى ٦٤ صفحة . وصدره بمقدمة : « فى الشعر » .

٥ - ونشر الجزء الخامس عام ١٩١٦ فى ٦٤ صفحة . وصدره بمقدمة : « فى الشعر ومذاهبه » .

٦ - وظهر الجزء السادس عام ١٩١٨ فى ٦٤ صفحة ، بعنوان : « ديوان الأفنان » وصدره بفصل « فى أن الشعراء كماليون » .

٧ - وظهر الجزء السابع عام ١٩١٩ بعنوان : «ديوان أزهار الخريف » فى ٦٤ صفحة . وصدره بعبارة إهداء ، وبمقدمة ، رداً على بعض الحملات التى اعتاد البعض كتابتها عنه فى الصحف .

وقد طبعت الأجزاء الستة الأولى بمطبعة غرزوزى بالإسكندرية . وطبع الجزء السابع بالمطبعة المصرية بشارع فرنسا بالإسكندرية سنة ١٩١٩ .

ولم يضع الشاعر أسماء للأجزاء : الثانى ، والثالث ، والخامس ، كما وضع للأجزاء : الأول ، والرابع ، والسادس ، و السابع . ولكنه أعلن على غلاف كتابه النثرى « الثمرات » المطبوع عام ١٩١٦ مايلى :

ديوان عبد الرحمن شكرى : الجزء الأول : « ضوء الفجر » - والجزء الثانى : « لآلئ الأفكار » ، والجزء الثالث : «أناشيد الصبا » ، والجزء الرابع : « زهر الربيع » والجزء الخامس : « الخطرات » - وقد وضعت هذه الأسماء على دواوينه كما سماها هو .

وكان الشاعر قد أشرف على طبع هذه الدواوين السبعة الأولى بنفسه . ووضع لكل جزء منها فهرساً وكشفاً بالأخطاء المطبعية ، صححت فى هذه الطبعة .

ولم يهتم الشاعر بوضع الشكل على الحروف ، أو بتفسير الكثير من الكلمات والأبيات .

٨ - أما الجزء الثامن فلم يجمعه الشاعر أو يفكر فى طبعه ونشره فى حياته ، وتركه للزمن . وقد سبق أن قال :

أرمى بشعرى فى حلق الزمان ولا أبيت منه على هم وبلبال

ويتضمن هذا الجزء « الثامن » ما نشره الشاعر فى حياته من القصائد فى الصحف والمجلات بعد عام ١٩١٩ . ومعظمها فى الواقع نشر بعد عام ١٩٣٥ . ولو أنه نظم قبل هذا التاريخ . وقد جمع منها هنا ٥٣ قصيدة . وقد تكون هناك أبيات أو قصائد أخرى مطوية فى بعض الصحف القديمة . وللزمن أن يظهرها للطبعات القادمة . فقد علمنا أن الشاعر نشر قصيدة بعنوان : « فى القافلة » بجريدة عكاظ عدد ٦١ فى ١٩٢٠/٤/١٢ . كما علمنا أنه نشر بالمقطم قصائد : « الإنسان والكون » و « الأبد فى ساعة » و « الخلق العظيم » و « إلى المجهول » . وبالأهرام : « المثل الأعلى » . وأن له قصيدة بعنوان « سنة ١٩١٩ » بأحد الكتب . وبعض هذه القصائد منشور فى هذا الديوان بالعناوين نفسها .

وكان الشاعر قد نشر قصيدة « الطفل » بمجلة « الهلال » فى ١٩٣٢/٨/١ ، ثم أعاد نشرها بلا تبديل بمجلة الرسالة فى ١٩٣٦/٥/١١.

كما نشر له ثلاث قصائد بكتاب : « ديوان الإسكندرية » لجامعه الأستاذ على محمد البحراوى ، والذى صدر منه الجزء الأول فى أكتوبر ١٩٣٥ . وهى : « الصحراء » و « الأمل » و « الشاعر البابلى المجهول » . وأعاد الشاعر نشر القصيدتين الأولى والثانية بمجلة الرسالة عام ١٩٣٥، وكلها منشورة هنا .

وكذلك نشر له ثلاث قصائد بكتاب : « مشاهير شعراء العصر » للأستاذ أحمد عبيد . وهى : « البحر » و « مرآى الجمال وذكرى الجلال » و « مفتاح القلوب » . وأعاد نشر الأولى والثانية بالرسالة . وكلها منشورة هنا أيضا .

وكان الشاعر قد بدأ ينشر قصائده المنشورة فى الجزء الثامن متلاحقة بمجلات : الرسالة ، والمقتطف ، والهلال ، والمجلة الجديدة ، والمقطم ، والأهرام فيما بين ١٩٣٥ ، ١٩٥٠ : منها ٣٥ قصيدة بمجلة الرسالة و ٦ بالمقتطف و ٤ بالمجلة الجديدة و ٣ بالهلال . ثم كف عن النظم والنشر منذ عام ١٩٥٢ لإصابته بالشلل النصفى .

وبين قصائد الجزء الثامن قصيدتان لم ينشرهما الشاعر فى حياته وهما : « الأندلس العربية » (أو حلم بالأندلس) ، و « بهاء الحياة » . وكان فى خلال مرضه الأخير قد أعارهما لآنسة بجامعة عين شمس ، كانت تنوى إعداد « ماجستير » فى شعر شكرى ، ثم عدلت عن ذلك وتزوجت ، واحتفظت بالقصيدتين حتى عثرنا عليهما ، وهما منشورتان فى هذا الديوان (ص ٦٦٧ ، ٦٦٨) . كما أنه أعارهما مع كثير من الصحف والمجلات التى نشرت قصائده ، لأديب آخر بالقاهرة كان ينوى إعداد رسالة جامعية عنه ، ولم يعدها للآن . ولهذا خلت مكتبة الشاعر قبيل وفاته من جميع آثاره .

* * *

* أعاد الشاعر نشر تسع من قصائد دواوينه السابقة ، وذلك بمجلة الرسالة ، ولم يدخل عليها غير قليل من التعديل فى بعض الألفاظ . وقد أشير إلى ذلك فى هوامش تلك القصائد . وهى :

١ - « هرم خوفو » - أعيد نشرها بالرسالة (عدد ١٥٧ فى ١٩٣٦/٧/٦) من ديوانه الجزء السادس . ص ١٠ ط - ١ و ص ٤٤٤ هنا)

٢ - « أبو الهول » - الرسالة (عدد ١٥٩ - ١٩٣٦/٧/٢٠) عن الجزء السادس ص ٧ و ص ٤٤٠ هنا .

٣ - « الشلال » - الرسالة عدد ١٦٣ - ١٩٣٦/٨/١٧ عن الجزء السابع ص ١٤ - وص ٥١٢

٤ - « ياضوء » - الرسالة . عدد ١٦٥ - ٩٣٦/٨/٣١) عن الجزء السابع ص ٣٤ و ٥٣٣ - وحذف منها أربعة أبيات أعيدت إلى مكانها هنا .

٥ - « وصف البحر » - نشرت بالرسالة بعنوان « البحر » - عدد ١٦٢ - ١٩٣٦/٨/١٠ (عن الجزء الثانى ص ٢٠ - وص ١١٨ هنا) - وأضاف الشاعر إلى القصيدة القديمة ٢٥ بيتا جديداً فى أولها - ذكرت هنا كلها (ص ١١٨) .

٦ - « الفصول » - الرسالة . عدد ٢٤٩ - ١٩٣٨/٤/١١ (عن الجزء السادس ص ٢٧ - وص ٤٦٢ هنا - وكان عنوانها الأول : « الصيف » وحذف من الأول ستة أبيات أعيدت إلى موضعها هنا .

٧ - « الباحث الأزلى » - الرسالة عدد ٢٥٠ - ١٩٣٨/٤/١٨ . عن الجزء الرابع ص : ى وهنا ص ٢٩٢ - ونشرت بالرسالة بعنوان « الباحث » فقط .

٨ - « إلى المجهول » - الرسالة . عدد ٢٥٢ فى ١٩٣٨/٥/٢) عن الجزء الخامس ص ٣١ وهنا ص ٣٩٦ - وحذف منها البيت التالى :

فليتهن خفافيش تلوح لها   مجاهل الحق خافيه وباديه

وذلك بعد البيت الذى يبدأ : « ليل مهيب كموج البحر »

وختمها بهذا البيت :

هيهات ما كشفت لى الحق خاطرة ولم يجب لى سؤالا ما أناديه

٩ - « الملك الشائر » - بفتح الميم واللام - بالرسالة (عدد ٦٨٠ - ١٥ / ٧ / ١٩٤٦) عن الجزء السابع ص ٣٧ - و ص ٥٣٧ هنا - وأضاف إليها مقدمة وبعض الشرح فى الهوامش .

١٠ - أما « باقة غزل من شعر الصبا » - ص ٦٧٣ فهى أبيات مختارة من بعض قصائده المنشورة فى دواوينه السابقة . وقد حذف منها ما سبق نشره فى الديوان .

* * *

* أعلن الشاعر على غلاف كتابه : « الثمرات » المطبوع عام ١٩١٦ أن له كتبا (تحت الطبع) وهى : « رسائل الحب » و « مظاهر القوة فى الحياة » و « أدب الشعر » . كما أضاف إليها عام ١٩١٨ على غلاف كتابه : « الصحائف » أن له كتاب « المدارس » (تحت الطبع) . وجاء على غلاف ديوانه السادس (الأفنان) عام ١٩١٨ ما يلى : « سيطبع بعد قليل الجزء الثانى من « حديث إبليس » و « كتاب المدارس » - وهو آراء فى التعليم والقائمين به ، وفى المدارس ونظارها » . ثم كتب فى مقدمة الجزء السابع من ديوانه عام ١٩١٩ (ص ٥٠٤) ما يأتى : « . . . وقصيدة (سم الحسنة) مأخوذة من مسودات كنت قد ألفتها فى كتاب اسمه (مجالى الأخلاق) لم ينشر ، وكثيراً من قصائد الغزل فى هذا الديوان خواطر كانت تخطر لى فأقيدها فى رسائل سميتها « رسائل الحب لم تنشر . . » .

والواقع أن الشاعر كان يعد فصول هذه الكتب لينشرها ، ولكنه لما توقف عن طبع الدواوين والكتب النثرية بعد عام ١٩١٩ عدل عن إتمامها أو تأليفها ثم اكتفى بنشر فصولها فيما بعد فى الصحف والمجلات ، ومنها الرسالة والثقافة والمقتطف والهلال ، وعدل فيها بحيث خرجت كتباً جديدة بأسماء أخرى ، كما يرى فى قائمة مؤلفاته المنشورة فى أول الديوان . . .

* نشر الشاعر فى آخر كتابه من حديث إبليس » - ١٩١٦ - مختارات من شعره بعنوان « حكم وأمثال » استغرقت ٢٣ صفحة . وكلها من دواوينه الخمسة الأولى » . ونشر فى آخر كتابه « الثمرات » - ١٩١٦ - قصيدة « وصف البحر » المنشورة من قبل فى الجزء الثانى من كتابه .

* الأبيات الشعرية التى على وجوه بعض الدواوين ، وضعها الشاعر بنفسه واختارها من بعض قصائده السابقة .

* الهوامش المذكورة فى هذا الديوان أكثرها بقلم الشاعر ، وأقلها أضيف فى هذه الطبعة لتفسير بعض الألفاظ .

* لم نعثر على قصائد للشاعر بمجلة « أبو للو » التى أنشأها الشاعر أحمد زكى أبو شادى ، وإن كان قد نشر بها مقالة عن الرمزية ، كما أن له بها حديثا عن مطران أفضى به إلى أبى شادى . كما نشر بها أبو شادى كلمة عن شكرى . ونشر بها الدكتور رمزى مفتاح عدداً من المقالات عن شكرى والعقاد . (١٩٣٣ - ١٩٣٤)

* نشر الشاعر بمجلة « المقتطف » - مجلد ٧ سنة ١٩٤٧ - مقالات بامضاء ع . ش. وهى : « الحضارة واختلاف الطبائع » و « السلم الدائم والحلف العام » و « الحرب تؤدى إلى الحرب » وقصة مترجمة بتصرف عن جوزيف كونراد بعنوان « جريمة أم قصاص » (مايو ١٩٤٧) . وهذا غير فصول كتابه : « نظرات فى النفس والحياة » بقلم ع . ش . الذى نشره مسلسلا فيما بين أغسطس ١٩٤٧ وسبتمبر - ١٩٥١ وكلمة عن « انتحال المعانى الشعرية » وغير القصائد الست التى نشرت بالمقتطف عام ١٩٣٩ .

* نشر الشاعر بمجلة الرسالة نحو ٤٠ مقالة نثرية فى النقد والأدب والدراسات النفسية ، وذلك فيما بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ .

* نشر الشاعر بمجلة الهلال - إلى جانب قصائده الثلاث - ثلاث مقالات : هل تنجح

الدكتاتورية عندنا (مارس ١٩٣٥) وعبقرية الفنون (نوفمبر ١٩٣٥) والمعرى : هل كان سابقاً لعصره (يونيه ١٩٣٨) وبين المطرقة والسندان ١٩٣٥ .

* نشر بمجلة الثقافة (السنة الأولى ١٩٣٩) سلسلة مقالات بعنوان : « الرثاء فى شعر العرب » ، ومقالة عن عواقب النصيحة ، وعن جهاد النفس .

* نشرت بعض الصحف أن الشاعر أحرق كل ما نظم من شعر ، وما كتب من نثر بعد عام ١٩١٩ فى نوبة من نوبات اليأس . وهذا غير صحيح فإن ما نظم وما كتب بعد ذلك التاريخ منشور فى الصحف والمجلات كما سلف . كما نسبت إليه بعض الصحف أيضا قبيل وفاته أحاديث وكلمات قالها قبل موته ، وجلها غير صحيح .

* * *

دراسات عن عبد الرحمن شكرى

الكاتب		الجريدة أو المجلة أو الكتاب	التاريخ
إبراهيم عبد القادر المازنى	:	جريدة « عكاظ » الأسبوعية	١٩١٤
«	:	ديوان المازنى جـ ١ ص ١٠٦ - (قصيدة)	١٩١٤
«	:	ديوان المازنى جـ ٢ ص ٢٦٩ و ٣٢٢	١٩١٧
«	:	كتاب « شعر حافظ » ص ٨ - ١٠	١٩١٥
«	:	كتاب « الديوان » جـ ١ و جـ ٢	١٩٢١
«	:	جريدة « السياسة الأسبوعية »	١٢،٥ أبريل ١٩٣٠
«	:	جريدة « البلاغ »	١٩٣٤/٩/١
أحمد زكى أبو شادى	:	مجلة « المقتطف »	١٩١٧ - ويولية ١٩٥٢
«	:	كتاب « قضايا الشعر المعاصر »	١٩٥٥
«	:	مجلة « أبولو » (مقالة - وحديث)	
أديب كدوانى	:	مجلة « العالم العربى » - بالقاهرة	١٩٥٦/٩/١٥
أسعد حسنى	:	مجلة « العالم العربى » - بالقاهرة	١٩٥٦/٩/١٥
إسماعيل أدهم	:	مجلة « المقتطف » - مقالات عن مطران وشكرى	
حسن كامل الصيرفى	:	مجلة « المجلة » ص ١١	١٩٥٩/١/١
حسن ماهر فهمى	:	مجلة « المجلة »	١٩٥٩
رمزى مفتاح	:	مجلة « أبوللو »	أبريل ١٩٣٣ ويونيه ١٩٣٤
«	:	كتاب « رسائل فى النقد »	
شوقى ضيف	:	كتاب « دراسات فى الشعر العربى المعاصر »	١٩٥٦
صديق شيبوب	:	جريدة « البصير »	١٩،٢٠/ ١٩٥٩
عباس محمود العقاد	:	مقدمة الجزء الثانى من ديوان شكرى	١٩١٣
«	:	جريدة « الجهاد »	١٩٣٤/٩/٤
«	:	جريدة « الأخبار »	١٩٥٨/١٢/٢٢
«	:	جريدة « الأخبار »	١٩٥٨/١٢/١٨
«	:	مجلة « الهلال »	١٩٥٩/٢/١
«	:	مجلة « الشعر »	١٩٥٩/٣/١
عبد اللطيف السحرتى	:	كتاب « شعراء مجددون »	١٩٥٩
«	:	كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث »	

عبد المنعم عواد يوسف :	مجلة « العالم العربي »	١٩٥٦/٩/١٥
علي أدهم :	« المجلة » ص ١٣	١٩٥٩/٢/١
عمر الدسوقي :	كتاب « دراسات في الأدب الحديث » ص	٢٢٠ - ٢٣٠ (١٩٥٤)
محمد مندور :	كتاب « الشعر بعد شوقي »	١٩٥٩
محمد مندور :	جريدة « الجمهورية »	ديسمبر ١٩٥٨
محمد مندور :	« المجلة » ص ٤١	١٩٥٩/٦/١
محمود الخولي :	مجلة « أبولو »	يونيه ١٩٣٤
مختار الوكيل :	كتاب « الشعراء المجددون »	١٩٣٤
محمد رجب البيومي :	مجلة « العالم العربي »	١٩٥٨/٣/١
محمد رجب البيومي :	مجلة « الأدب »	يولية ١٩٥٨
محمد عبد المنعم خفاجي :	كتاب « الشعر والتجديد »	
محمد عبد المنعم خفاجي :	كتاب « رائد الشعر الحديث »	
نقولا يوسف :	مجلة « العالم العربي »	١٩٥٦/٩/١٥

* * *

فهـــرس

الصفحة	عنوان القصيدة
أ	تقديم تعلم فارق شوشه
١	مقدمات
٤١	الجزء الأول : ضوء الفجر
٤٥	كسرى والأسيرة
٤٧	خطرات فى المساء
٤٨	عاشق المال
٥١	حنين الغريب
٥٣	حمام الكازينو
٥٥	الحب نائم ويقظان
٥٧	مناجاة الحبيب
٥٨	شكوى الزمان
٥٩	شكوى الصديق
٥٩	تحية للشمس عند شروقها
٦١	الحب والليل
٦٢	النغمات
٦٣	الفونوغراف
٦٣	حديقة
٦٤	مغالبة الهوى
٦٤	مطال الهوى
٦٥	نظرة
٦٥	فى سبيل الجامعة
٦٦	مصرى عربى يخاطب أخاه القبطى
٦٦	ضرر اليأس
٦٧	ذكرى
٦٧	أعمى يرثى بصره
٦٨	البخيل
٦٨	ألومه فى التجنى
٦٩	الخمول
٦٩	اليسر بعد العسر
٦٩	حسناء ماتت فى صباها
٧٠	عتاب وأعتاب
٧١	المشنوق
٧١	حسناء تغنى
٧١	نصيبى من الحياة
٧٢	الصغير والكبير
٧٢	الطموح
٧٣	رثاء مصطفى كامل
٧٣	موقف
٧٤	التأليف
٧٤	الشاعر وحبيبته
٧٥	ليلة من ليالى الحب
٧٥	عين اليقظة وعين الحلم
٧٦	النصيحة
٧٦	الحزم والحدثان
٧٦	عتاب ومحبة
٧٧	آمال النفس
٧٧	ذكرى ليلة
٧٨	أمانى الحب
٧٩	دليل الشوق
٧٩	مرثية قاسم أمين
٨٠	رثاء قاسم أمين
٨١	زورة حبيب
٨١	الحب والرقة
٨١	فى الفخر والحكم
٨٢	إلى صديق
٨٣	ضيقة حال
٨٤	رثاء الشيخ محمد عبده
٨٥	عقيدة الحب
٨٥	وصف راقصة
٨٦	حالات الحب
٨٦	طلعة وشجون

الصفحة	عنوان القصيدة
٨٦	الحظ القليل الكثير
٨٧	حساد على الصبر
٨٧	الحزن والسرور
٨٧	مواطن الأشياء
٨٧	إلى صديق بعد إبلاله من مرض
٨٨	شاهد الدمع
٨٨	رثاء الحب
٨٩	استهداء رسم جميل
٨٩	عبادة الحسن
٩٠	الود الرخيص
٩٠	إلى صديق
٩٠	لحاجة الحب
٩١	غلالة الصهباء
٩١	مخادعة الهم
٩١	العذر فى الكأس
٩١	خطرات فى الحياة
٩٢	مجلس
٩٢	سبيل الحب
٩٢	عناء الليل والحب
٩٣	خطرات الحب
٩٤	زهرة ووعد
٩٤	اليأس من الحب
٩٤	طول الليل
٩٥	عفة الطرف
٩٥	لحن يتمشى بالألم
٩٥	الأمانى حلق
٩٥	الخمود والجمود
٩٦	الروض والهجير
٩٦	معانى النظر
٩٦	شفق الغروب
٩٦	الحياة قمار
٩٦	الخاطر والزمن الخالى
٩٧	الثبات
٩٧	الحب أعمى
٩٧	لغز الحياة
٩٨	دواء الملل
٩٨	الروض بالليل
٩٨	البرق
٩٨	أمنية
٩٩	جسم وقبر - النجوم - الخمول - تصيب قليل - الروض والحب
١٠٠	صديق عدو
١٠٠	كلمة فى الشاعر بيرون
١٠٠	إلى صديق
١٠١	موعد - عذير الحب - عذاب ونعمة
١٠٢	فى التبسط
١٠٢	إلى عالم جليل
١٠٢	إلى صديق
١٠٣	لقاء على صد
١٠٣	حب من لوازم الحياة
١٠٤	الهوى
١٠٤	فى التبسط
١٠٤	مغنم أم مغرم
١٠٤	الحياة
١٠٥	العزيز تعله
١٠٥	كان الخداع وكنت الحذار
١٠٥	رثاء عزيز
١٠٥	ليلة نحس وليلة سعد
١٠٦	استعطاف
١٠٦	إلى صديق
١٠٧	فى معلم جاهل
١٠٧	ذكرى زورة
١٠٨	رثاء عزيز
١٠٨	المحب الهالك
١٠٨	فى شاب يدعى سعة الاطلاع كذبا
١٠٩	الحب يدعم بالحب
١٠٩	المجادلة
١٠٩	حنين واشتياق
١٠٩	داء أم دواء
١١٠	إسعاد الهوى
١١٠	إلى أديب
١١١	كلمات العواطف

الصفحة	عنوان القصيدة
	الجزء الثاني
١١٣	الإهداء
١٢٣	لآلئ الأفكار
١٢٧	مقدمة للأستاذ عباس العقاد
١٣٨	حياة الأمم أو التجدد والتغير
١٣٩	الإيمان والقضاء
١٤٠	الحياة والعبادة
١٤١	القلق والغفلة
١٤٢	اليتيم
١٤٣	الجمال والعبادة عند قدماء اليونان
١٤٤	الحياة والعمل
١٤٥	ضحكات الأطفال
١٤٦	الجمال والموت
١٤٨	عابدة الشمس (اسم زهرة)
١٤٩	صوت الليل
١٤٩	وصف البحر
١٥٢	معان لايدركها التعبير
١٥٣	غلام مريض يكلم أمه
١٥٤	التنويم المغنطيسي أو عزمة المجرم
١٥٥	ليتني كنت إلها
١٥٩	لسان الغيب
١٦٠	نعمى الزواج
١٦١	الشاعر وصورة الكمال
١٦٢	ربما أو المزهو بحميد خلقه
١٦٣	النساء في الحياة والموت
١٦٤	الحلال والحرام
١٦٥	العقاب بالقتل
١٦٥	عيون الندى
١٦٦	الحاجة المكتومة
١٦٧	الإنسان والزمن
١٦٩	مراجعة الحب
١٧٠	الحاجات الممتزجة
١٧١	أنفاس السحر
١٧٢	امرأة تكلم بعلها

الصفحة	عنوان القصيدة
١٧٣	الحسناء الغادرة
١٧٣	النعمان ويوم بؤسه
١٧٥	اليأس داء والأمل داء
١٧٦	ضوء القمر على القبور
١٧٧	الندامة
١٧٨	ثغر
١٧٩	ابتسامات
١٧٩	عتاب أم دلال
١٨٠	الحسن والآمال النبيلة
١٨١	شرب الخمر والحبيب
١٨١	أمل قريضة
١٨٢	صوت الموتى
١٨٣	الحجاب
١٨٤	الموت والتخيل
١٨٥	شاعر في الغربة
١٨٦	حنين غريب
١٨٦	كأس خمر
١٨٧	الزوجة المهجورة تعالج السحر
١٨٨	الشاعر والزمن الخرب
١٨٩	الحب والحجاب
١٩٠	قبلة الزوجة الخائنة
١٩١	خطأ الحر وإصابة العبد
١٩١	الحب والكبر
١٩٢	ملل من الحياة
١٩٣	ذكر
١٩٣	رثاء عصفور
١٩٤	في دفة قديمة
١٩٤	ذكرى على جفاء
١٩٥	إلى صديق
١٩٥	شكوى شاعر
١٩٦	عاطفة شوق
١٩٧	الحرية
١٩٨	نبوءة شاعر
١٩٩	أنا والغيب
٢٠٠	ثورة النفس
٢٠٢	فجر الشباب

الصفحة	عنوان القصيدة
٢٠٢	الإيمان بالحياة
٢٠٣	محب يرد لحافظة
٢٠٣	العظيم فى قومه
٢٠٤	نحن إخوة
٢٠٤	لذة المحبوب والمحب
٢٠٥	الشاعر وجمال الحياة
٢٠٥	فى قبيح اسمه حسن
٢٠٥	الكاذب
.٢٦	كلمة مدح
٢٠٦	العهد والحذر
٢٠٧	العادات
٢٠٧	أم إسبرطية قتلت ابنها
٢٠٨	مناجاة الحبيب
٢١٠	الكبر والمجد
٢١٠	إلى صديق
٢١١	الزوجة الغادرة
٢١٥	كلمات النفس
٢١٦	عتاب
٢١٧	المقاطيع
٢٢٦	ثلاث رباعيات للخيام
٢٢٦	شكوى
٢٢٧	الحب والجمال - الأديب المتكلف - الثأر
٢٢٨	شكوى الزمن - خلوة - العذر فى الهجر - نظرات ممالك - كاذب أبدا - الحب والهجر .
٢٢٩	ذم الشتاء - عتاب - لكل دهر إمام - صبر فى الأمل وصبر فى اليأس - إذا أكرمت اللئيم أهنته - صاحب الغيبة
٢٣٠	الوليد - الدهر بحر - الحسناء ومرآتها - حلم
٢٣١	الجنة الخراب أو الشام فى عهد الاستبداد
٢٣١	اللئيم المستنيت - اليوم وغد
٢٣٢	منظر - كاذب لئيم

الصفحة	عنوان القصيدة
٢٣٢	عتاب الملك حجر
٢٣٤	واقعة أبو قير
٢٣٦	نابليون والساحر المصرى
	الجزء الثالث
٢٣٩	أناشيد الصبا
٢٤١	إهداء الديوان
٢٤٣	كلمة : العاطفة فى الشعر
٢٤٥	الحب والموت
٢٤٧	بين الحياة والموت
٢٤٨	حكمة التجارب
٢٤٩	الدفين الحى
٢٥٠	الحسن مرآة الطبيعة
٢٥١	سحر الربيع
٢٥٢	جنة الحب وجحيمه
٢٥٣	حسرة العيد
٢٥٥	الخوف والفزع
٢٥٥	نشوة الحب
٢٥٧	غاية الحب
٢٦٠	الشعر والطبيعة
٢٦١	الأزاهير السود
٢٦٢	طبع الإنسان
٢٦٤	الحب واليأس
٢٦٥	الحبيبان
٢٦٦	صداقة الأموات والأحياء
٢٦٨	شاعر يحتضر
٢٦٩	أمل قديم
٢٦٩	مرآة الضمائر
٢٧١	عناء الطيف
٢٧٢	سلوان الجنون
٢٧٤	ليس لى شغل سواك
٢٧٥	حلم بالبعث
٢٧٧	صنم الملاحة
٢٧٨	بين الحقيقة والخيال
٢٧٩	الحسود

الصفحة	عنوان القصيدة
٢٨٠	بالله ما تفعل لو بلغوك
٢٨١	الحب والحياة
٢٨٤	سراب الود
٢٨٤	عبث الحياة
٢٨٦	الحياة والفنون
٢٨٨	مناجاة الأرواح
٢٨٩	أنا مجنون بحبك
٢٩٠	ظالمى ما أعدلك
٢٩١	ليتنى وليتك
٢٩١	لولاك
٢٩٢	الربيع والصبا
٢٩٣	ليلة القدر
٢٩٣	الرحمة (عن شكسبير)
٢٩٤	غروب الشباب
٢٩٥	الحب القديم والجديد
٢٩٧	مواطن الحب
٢٩٨	جنون الحياة
٢٩٩	فراشة الحب
٣٠٠	عصفور الجنة
٣٠١	إلى الروح التى أهوى
٣٠٢	بعد الحسن
٣٠٣	الحب والخلود
٣٠٥	الحب والود
٣٠٧	وعظ القدر
٣٠٩	مشترى الأحلام
٣١٠	جنة الحسن
٣١١	صوت النذير
٣١٦	بين الحب والبغض
	الجزء الرابع
	زهر الربيع
٣٢٣	مقدمة فى الشعر
٣٢٨	الباحث الأزلى
٣٣٢	سمو النفس
٣٣٢	حديقة الصيف
٣٣٤	مصارع النجباء
٣٣٥	المجاهد الجريح
٣٣٦	عبث الشكوى
٣٣٧	الطائر الحبيس
٣٣٩	الإنسان والكون
٣٤٠	وعظ الموت
٣٤١	أبناء الشمال (الآريون)
٣٤٣	توأم النفس
٣٤٥	حلم النفس
٣٤٦	زهر الهوى ونبت الفيافى
٣٤٧	جنون الأمانى
٣٤٩	هذا الحبيب
٣٤٩	أحلام الصيف
٣٥٢	فتنة الطهر
٣٥٣	فى الفردوس
٣٥٤	حلم الفردوس
٣٥٧	الجمال المنشود
٣٦٠	منى النفس
٣٦٢	قريب بعيد
٣٦٥	عشيق القمر
٣٦٦	الحب والرحمة
٣٦٧	أملح الناس
٣٦٨	ذكرى الحبيب الأول
٣٧٠	الشعر
٣٧٢	بين العذر واللوم
٣٧٤	نجوى
٣٧٦	عقوق الغدر
٣٧٧	بعد الود
٣٧٨	الحب والطبيعة
٣٧٩	نرجس
٣٨٠	الخطاب والحشرة
٣٨٢	الوتر المفقود
٣٨٣	أغاريد شاعر
٣٨٥	صوت الله
٣٨٦	وارحمة للناس
٣٨٧	جهاد المصلحين
٣٨٨	الروح السوداء

الصفحة	عنوان القصيدة
٣٨٩	سنة العيش
٣٩٠	الكوتان : قلب اليائس وقلب الآمل
٣٩٣	نظرتان فى النفس
	الجزء الخامس
٣٩٥	الخطرات
٣٩٩	مقدمة فى الشعر ومذاهبه
٤١٢	الصنع والكسب
٤١٣	نجى النجوم
٤١٦	سحر اللحاظ
٤١٧	قوة الفكر
٤٢٠	الذكر
٤٢١	المجرم
٤٢٣	ليلة الحسن
٤٢٥	البطل المنتظر
٤٢٦	خميلة الحب
٤٢٨	علالة العيش
٤٣٠	لص أم أديب
٤٣٠	تزاوج النفوس
٤٣٢	عيش الأدباء
٤٣٥	إلى المجهول
٤٣٩	إلى ماض من العمر
٤٤٠	إلى الريح
٤٤١	طيف الجنون
٤٤٢	المموه
٤٤٤	شقوة العيش
٤٤٦	أمل ميت
٤٤٧	التفاهم فى الحب
٤٤٨	ملك القلوب
٤٤٩	الحق المكتوم
٤٥٠	بلاغ الحب
٤٥٢	الآمال الذاوية
٤٥٤	شكوى - العلم وعزة النفس
٤٥٦	نجم الحياة
٤٥٧	ذل المشيب
٤٥٨	خطوة عن عالم الحسن

الصفحة	عنوان القصيدة
٤٥٩	الحسن الكاذب
٤٦٠	تمثال سوء
٤٦١	يقظة فى الفجر
١٦٢	قبر فى القلب
٤٦٣	صوصور الشعر
٤٦٤	لوازم الحب
٤٦٤	النقد القذر
٤٦٤	إيكاروس : العبد الرومانى
٤٦٦	دعابة
٤٦٧	العيش والرجاء - بعد زينة
٤٦٨	الروضة المنتهبة
٤٦٩	حلم وردة
٤٧٠	الهوى حلم العمى
	الجزء السادس
٤٧١	الأفنان
٤٧٥	فصل فى أن الشعراء كماليون
٤٧٨	الحياة والحق
٤٨٠	أبو الهول
٤٨٤	هرم خوفو
٤٨٨	الليل
٤٩٠	سؤر العيش
٤٩١	ذكرى أمس
٤٩٢	نعسة الطرف
٤٩٣	قبس الحسن
٤٩٤	درع الحياة
٤٩٥	طائر السعادة
٤٩٧	لا مرحباً بالأقدار
٤٩٧	مرحباً بالأقدار
٤٩٨	خلود التجارب
٥٠٠	المثل الأعلى
٥٠٢	الفصول
٥٠٩	خواطر الأرق
٥١٠	غل السرائر
٥١١	ألة الضمير
٥١٢	دعوة المصلح
٥١٣	الشهرة بعد الموت

الصفحة	عنوان القصيدة
٥١٤	دلال الربيع
٥١٥	ربيع القلوب
٥١٦	حقيقة أم وهم
٥١٧	عالم الحسن
٥١٩	اختفاء الحق
٥٢٠	زورة الملائكة
٥٢١	الأم المسكينة
٥٢١	جد أم لعب
٥٢٢	اصبر
٥٢٣	صلع الدهر
٥٢٤	قرد النهى
٥٢٤	قبلة الوداع
٥٢٥	تبر النفوس
٥٢٦	ليت شعري
٥٢٧	أأنت والربيع
٥٢٨	حلم بالأرواح الطليق
٥٢٩	الوحدة
٥٣٠	من الحي إلى الميت
٥٣١	سجن الفضيلة
٥٣٢	بيت اليأس
٥٣٣	لغز الحياة
٥٣٤	خواطر في الحياة
٥٣٥	الشجرة والغراب
٥٣٦	ياشاعر الكون
٥٣٧	كعبة النفس
٥٣٨	الصنم المكسور
٥٣٨	غلة النفس
	الجزء السابع
٥٤١	أزهار الخريف
٥٤٥	الإهداء
٥٤٧	مقدمة
٥٥١	آية الحسن
٥٥٦	الشلال
٥٥٩	يا وضيء البسمات

الصفحة	عنوان القصيدة
٥٦٢	وسائل الحب
٥٦٣	حجة النائي
٥٦٤	فطنة الحسن
٥٦٥	الأماني والذكر
٥٦٧	الحب والشفاعة
٥٦٨	نجوى المحتجب
٥٦٩	الحب والحذر
٥٧١	موارد الحب
٥٧٢	الصبر والجزع
٥٧٤	زورة المباعد
٥٧٧	ياضوء
٥٨٠	الصديق المنشود
٥٨١	الملك الثائر
٥٨٦	الموت
٥٩٠	ذعر المحب
٥٩٢	طيرة الفرخ
٥٩٣	حب العزوف
٥٩٤	العدل والكسب
٥٩٥	سفر اللؤم
٥٩٦	ويل للشجي من الخلي
٥٩٨	صحو ولا صحو
٦٠٠	العظيم
٦٠١	الشمطاء الفتية
٦٠٣	بعد عشرة أعوام
٦٠٤	سم الخسة وسعار الغرور
٦٠٦	قربان القلب - أذناب الخسة
٦٠٦	حقوق الفرائض - درس من الطبيعة
٦٠٧	نوع الخفيف - محارب الحرافات - يهوذا - البطل
٦٠٩	في فكه
٦٠٩	في شباب يدعي الفكاهة والظرف
٦٠٩	مر العمر
٦١١	قصة هز الأنوف

***

الصفحة	عنوان القصيدة
٦١٣	الجزء الثامن
٦١٧	الطفل
٦١٨	شهداء الإنسانية
٦٢٠	العصر الذهبي
٦٢٤	الشباب
٦٢٧	نحو الفجر
٦٣٠	مناجاة الأول
٦٣٢	فن الحياة
٦٣٤	سر الحياة
٦٣٥	بعد الإخاء والعداء
٦٣٨	في وصف الطباع
٦٤٣	الصحراء
٦٤٦	الشاعر البابلي المجهول
٦٤٧	النشوء والارتقاء
٦٤٨	النجاح
٦٥٣	الجيل
٦٥٤	المستقبل
٦٥٦	حالتان للنفس
٦٥٧	عجز التجارب
٦٥٨	ليلة حوراء
٦٦٠	الشتاء في إنجلترا
٦٦٢	بحر الحسد
٦٦٣	الصدى
٦٦٥	صمت الشك
٦٦٦	سحر الطبيعة
٦٦٧	الغابة
٦٦٩	الحق والحسن
٦٧٠	ماوراء الأمن

الصفحة	عنوان القصيدة
٦٧١	نذالة التعاسة
٦٧٣	بين الثريا والثرى
٦٧٥	بين ماض وحاضر
٦٧٦	صور الصداقة والعداوة
٦٧٩	الهاربون من القضاء
٦٨١	صديق البلاء
٦٨٢	عجائب مألوفة
٦٨٤	عند بحر مويس شتاء
٦٨٥	قرب الموتى
٦٨٦	نحن والزمن
٦٨٩	أقوام بادوا
٦٩٣	العداء والفناء
٦٩٥	مرأى الجمال وذكرى الجلال
٦٩٧	حواء الخالدة
٦٩٩	جنون الأقوياء
٧٠٠	خطرات في الحياة والموت
٧٠٤	يوم مطير
٧٠٥	السكون بعد النغم
٧٠٧	قيد الماضي
٧٠٩	صوتك
٧١٠	شفق الغروب
٧١٢	مفتاح القلوب
٧١٣	الأندلس العربية
٧١٤	بهاء الحياة
٧١٦	مقطوعات شعرية
٧١٩	باقة من شعر الصبا
٧٢١	ملاحظات
٧٢٧	فهرس

***

المشروع القومى للترجمة

اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : لطفى عبد الوهاب / فاروق القاضى / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب علوب
مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
الرواية العربية	روجر آلن	ت : د. حصة إبراهيم المنيف

الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ماجد
عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
لذَّة النَّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
وسم السيف	ميجل دى ثربانتس	ت : محمد إبراهيم مبروك
المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
هوية فرنسا	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : د. أشرف على دعدور

صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدي
ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	ت : إكرام يوسف
راية التمرد	سادي پلانت	ت : أحمد حسان
مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلي
غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهري سنبل	ت : بإشراف/ رءوف عباس
الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وايزابيل كمال
نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : د/ منيرة كروان
الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيتل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
الفجر الكاذب	چون جراي	ت : أحمد فؤاد بلبع
التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديڤي	ت : سمحه الخولي
فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرين
الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقي جلال
مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تاروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح

(تحت الطبع)

المختار من نقد ت . س . إليوت
الشعر الأمريكى المعاصر
الجانب الديني للفلسفة
الولاية
حيث تلتقى الأنهار
النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس
المدارس الجمالية الكبرى
الإسكندرية : تاريخ ودليل
مختارات من الشعر اليونانى الحديث
بارسيفال
اثنتا عشرة مسرحية يونانية
الخوف من المرايا
العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل
عدالة الهنود
جان كوكتو على شاشة السينما
الأرضة
مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية
غرام الفراعنة
نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية والقوانين المعالجة
القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
صاحبة اللوكاندة
التجربة الإغريقية : حركة الاستعمار والصراع الاجتماعى
العنف والنبوءة
خسرو وشيرين
العمى والبصيرة (مقالات في بلاغة النقد المعاصر)
وضع حد

التليفزيون في الحياة اليومية
أنطوان تشيخوف
من المسرح الإسبانى المعاصر
فلاحو الباشا
خطبة الإدانة الطويلة
تاريخ النقد الأدبى الحديث (الجزء الرابع)
تشريح حضارة
حكايات ثعلب
شامبوليون (حياة من نور)
الحورية الهاربة
الإسلام في السودان
العربى في الأدب الإسرائيلى
آلة الطبيعة
ضحايا التنمية
المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر
أيديولوجى
تاريخ الكنيسة
فن الرواية
ما بعد المعلومات
الورقة الحمراء
موت أرتميد كروث
علم الجمالية وعلم اجتماع الفنى
المهلة الأخيرة
الهيولية تصنع علماً جديداً
قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى
مدرسة فرانكفورت نشأتها ومغزاها

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٠٤٥٦ / ١٩٩٨

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 046 - 7)



عبد الرحمن شكري

ان عبد الرحمن شكري، شاعر رومانسي حتى النخاع فهو من الانا يبدأ والى الانا يعود، وعنده ..

انما الشاعر شاعر القلب، فهو الذي يصف عواطف النفس وأطوارها، فيصف عواطف الحب والجمال والجلال والخوف والفزع والامل واليأس والرحمة والكره والحقد والبخل والجود والشجاعة والجبن، وغيرها من عواطف النفس وأحوالها، وهو الذي يصف أساليب الحياة التي تجول فيها هذه العواطف كل مجال، ومظاهر الوجود التي تتعلق بها العواطف. فهو الشاعر الذي عواطفه مثل عواطف الوجود، مثل الامواج او الرياح او الضياء او النار او الكهرباء، فإن هذه عواطف الكون، وهو الذي [illegible]

وانما الشعر تصوير وتذكرة [illegible]

[illegible] وخيال غير خوان

[illegible]

في الحياة [illegible] سوء واحسان

[illegible]

[illegible]